

عجلة الزمن
المفيد
الخطير
THE
WHEEL
OF
TIME

NOW AN
ORIGINAL SERIES ON
prime video

THE GREAT HUNT
ROBERT JORDAN
روبرت جوردان

ترجمة: أحمد صلاح المهدي

رواية



الصيد العظيم

جوردان، روبرت.

عجلة الزمن "الصيد العظيم" : / روبرت جوردان.

ترجمة: أحمد صلاح المهدي.

القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، ٢٠٢٥.

٤٧٢ صفحة، ٢٠ سم.

ردمك: 978-977-820-256-4

أ- القصص الأمريكية.

أ- المهدي، أحمد صلاح (مترجم).

ب- العنوان: ٨٢٣

رقم الإيداع: ٣١٢٧٧ / ٢٠٢٤

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٥.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

—

كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام: محمد جميل صبري

نفيين التهامي

© ١٩٩٠ Copyright by Bandersnatch Group, Inc ٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني - الهرم.

هاتف أرضي: ٠٢٣٥٩١٨٨٠٨

هاتف محمول: ٠١٠٠٤٠٥٤٥٠ - ٠١٠١٨٧٢٢٩٠

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com kayanpub@gmail.com الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com إن الآراء الواردة في هذا

الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين.

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون

إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

سلسلة عجلة الزمن
الجزء الثاني
الصيد العظيم
تأليف
روبرت جوردان
ترجمة
أحمد صلاح المهدي

رف 404

t.me/Rff404

وكل ما صنعه البشر سيتحطم، وسيخيم (الظل) على (نمط العصور)، وسيضع (سيد الظلام) يده من جديد على عالم البشر، ستبكي النساء، ويرتجف الرجال، بينما أمم الأرض تتمزق كقماش عطن، لن يستقر شيء أو يخلد...

ولكن سيولد رجل ليواجه (الظل)، سيولد من جديد كما وُلد من قبل وكما سيولد مرة أخرى إلى الأبد. سيُبعث (التنين) من جديد، وسيكون هناك نواح وصرير أسنان مع بعثه من جديد. سيُلبس الشعوب المسوح والرماد، وسيحطم العالم من جديد مع مجيئه، ويمزق كل القيود التي تربطه. كفجر تحرر من عقاله سيعمينا ويحرقنا، ومع ذلك فإن (التنين العائد) سيواجه (الظل) في (المعركة الأخيرة)، ودمه سيمنحنا (النور). فلتذرفوا الدموع يا شعوب العالم، فلتبكوا من أجل خلاصكم.

- من حكايات كارايشون: نبوءات التنين، كما ترجمتها إيليان ماريسيدين آلشين، كبيرة أمناء المكتبة في بلاط آرافيل، في العام المبارك 231، من العهد الجديد، العصر الثالث.

رف 404

t.me/Rff404

تمهيد

في الظل

تجهم الرجل الذي يُطلق على نفسه اسم (بورس) - على الأقل في هذا المكان - وهو يصغي إلى الدمدمة الخفيضة، التي تتردد في الحجرة المقببة كثرثرة إوز خافتة. اختفى تجهمه وراء قناع من الحرير الأسود يغطي وجهه، تمامًا مثل الأقنعة التي تغطي مئات الوجوه الأخرى في الحجرة. مئة قناع أسود ومئة زوج من الأعين تحاول أن ترى ما يكمن أمامها.

لو لم ينظر المرء عن كثب لظن أن هذه الحجرة الضخمة في قصر، بمدافئها الرخامية الطويلة، ومصابيحها الذهبية المتدلية من السقف المقبب ومفروشاتها الملونة وأرضيتها الفسيفسائية المزخرفة بأنماط متداخلة. هذا إن لم ينظر المرء عن كثب، فالمداخن على سبيل المثال كانت باردة؛ تراقص ألسنة اللهب على قطع حطب سميقة كساق رجل، ولكن لا يصدر عنها أي حرارة. الجدران من وراء المفروشات والسقف الذي يعلو فوق المصابيح كانت من أحجار عارية تكاد أن تكون سوداء. لم يكن هناك أي نوافذ، وكان هناك مدخلين فحسب، على الطرفين المتقابلين للحجرة. بدا الأمر وكأن شخصًا ما أراد أن يمنح الحجرة مظهر قاعة استقبال في قصر ما، ولكنه لم يبال بأكثر من الخطوط العريضة وبعض التفاصيل القليلة.

لم يكن الرجل - الذي يُطلق على نفسه اسم (بورس) - يعرف مكان الحجرة، ولا يعتقد أن أيًا من الآخرين يعرفونه، ولم يجب أن يفكر في المكان الذي يُحتمل أن تكون فيه. يكفي أنه قد تلقى استدعاءً. لم يجب أن يفكر في هذا أيضًا ولكن حتى شخص مثله يأتي تلبية لاستدعاء كهذا.

شد عباءته وهو يشعر بالامتنان لأن النيران باردة، وإلا لصار الجو شديد الحرارة على أن يتحمل الصوف الأسود الذي يغطيه من رأسه حتى أخمص قدميه. كانت كل ثيابه سوداء، وطيات عباءته السميقة تخفي انحناء ظهره التي يستخدمها لإخفاء طوله، وتثير التساؤل حيال ما إذا كان نحيفًا أم سمينًا. لم يكن الشخص الوحيد هناك المغطى بأقمشة سميقة.

راح يراقب رفاقه في صمت، لقد صبغ الصبر جزءًا كبيرًا من حياته، إن انتظر وراقب فإن شخصًا ما سيرتكب خطأ، هذا ما يحدث دومًا. ربما يتبنى معظم الرجال والنساء هنا نفس الفلسفة، كانوا يراقبون ويصغون بصمت إلى هؤلاء الذين يضطرون إلى الحديث. بعض الناس لا يتحملون الانتظار أو الصمت، فيفصحون عما يعرفونه.

كان الخدم يطوفون بين الضيوف، شباب بأجساد نحيلة وشعر ذهبي يقدمون النبيذ بانحناءة وابتسامة صامتة، كان الشباب والشابات على حد سواء يرتدون سراويل بيضاء ضيقة، وقمصانًا بيضاء فضفاضة. الذكور والإناث على حد سواء يتحركون برشاقة مثيرة للتوتر. كل واحد يبدو صورة طبق الأصل من

الآخرين، فقد كان كل الشباب وسماء بقدر ما أن كل الشابات جميلات. شك في قدرته على تمييز أحدهم عن الآخر، رغم أن لديه عيناً متفحصة وذاكرة لا تنسى وجهاً.

كانت هناك فتاة ترتدي ثياباً بيضاء تبتسم وهي تقدم له صحيفة عليها أقداح بلورية. ابتسم وهو يأخذ قدحاً بينما يضمّر في نفسه ألا يشرب، فلم يرغب في أن يبدو متشككاً، أو ما هو أسوأ. فقد يكون من الخطير أن يرفض الشراب تماماً، ولكن أي شيء قد يوضع خلصة في الشراب، ومن المؤكد أن بعض رفاقه لن يعترضوا على رؤية تضاول أعداد منافسيهم على السلطة، أيّاً من كان هؤلاء سيئو الحظ.

راح يفكر بلا اكتراث إن كان يجب التخلص من الخدم بعد هذا الاجتماع، فالخدم يسمعون كل شيء. بينما الخادمة تعتدل من انحناءها نظر إلى عينيها من فوق ابتسامتها العذبة؛ عيني خاويتين، عيني دمية، عيني أكثر موتاً من الموت.

ارتجف بينما تبتعد برشاقة ورفع القدح إلى شفثيه قبل أن يتدارك نفسه. لم يكن ما حدث للفتاة هو ما أثار قشعريرته، بل في كل مرة يعتقد أنه قد اكتشف نقطة ضعف في هؤلاء الذين يخدمهم يتضح له أنهم قد سبقوا تفكيره، وما أثار دهشته هو الطريقة التي يبترون بها أي ضعف مُفترض، وهذا ما أثار قلقه أيضاً. كانت القاعدة الأولى في حياته هي البحث عن نقاط الضعف، فكل نقطة ضعف هي ثغرة يمكن أن يستكشفها ويتحقق منها ويؤثر عليها، إن لم يكن لدى أسياده الحاليين - المؤقتين - أي نقاط ضعف...

عقد حاجبيه من وراء قناعه وهو يتفحص رفاقه، على الأقل كان هناك الكثير من نقاط الضعف فيهم. لقد أفصح توترهم عن نفسه، حتى هؤلاء الذين كان لديهم من العقل ما يكفي لكي يمسكوا ألسنتهم. هناك تيبس في الطريقة التي يتمالك بها هذا الرجل نفسه، ورعشة في الطريقة التي تهنّدم بها هذه المرأة تنورتها.

قدّر أن أكثر من ربعهم لم يبالوا بالتخفي وراء الأقنعة السوداء، فملابسهم تُفصح عن الكثير. كان هناك امرأة تقف أمام بساط معلق على جدار باللونين الذهبي والأحمر القاني، وتتحدث بصوت خافت مع شخص يرتدي عباءة رمادية ذات غطاء رأس، ومن المستحيل تحديد ما إذا كان رجلاً أم امرأة. كان من الواضح أنها اختارت هذه البقعة لأن ألوان البساط تبرز ملابسها. من الحماسة أن تلفت الانتباه إلى نفسها، ففستانها القرمزي المنخفض عند صدرها يُظهر الكثير من اللحم ومرتفع عند الحاشية يُظهر نعلها الذهبي، قد أوضح أنها من (إليان)، وأنها امرأة ثرية، بل وربما من عائلة نبيلة.

على مسافة غير بعيدة من المرأة الإليانية تقف امرأة أخرى وحيدة وصامتة بشكل مثير للإعجاب، بعنق طويل وشعر أسود غزير، ينسدل في موجات أسفل خصرها. كانت تُبقي ظهرها إلى الجدار الحجري وهي تراقب كل شيء. لم يبدُ عليها أدنى توتر، بل رباطة جأش هادئة. هذه المرأة مثيرة للإعجاب، ولكن بشرتها النحاسية وثوبها الزبدي ذا الياقة العالية - الذي لا يترك شيئاً مكشوفاً سوى يديها، ولكنه ملتصق بجسدها حتى يكاد أن يكون شفافاً، لذا فإنه يكاد أن يكشف عن كل شيء ولا يكشف عن أي شيء في الوقت ذاته - قد بيّنا أنها من كبار النبلاء في (آراد دومان). وما لم يخطئ الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - في

تخمينه فإن السوار الذهبي العريض المحيط بمعصمها الأيسر يحمل رمز عائلتها، لا شك أنه رمز عائلتها، فأى نبيلة دومانية لن تجرح كبرياءها الشديد بارتداء رمز عائلة أخرى. هذا أسوأ من الحماقة.

مر من جواره رجل بمعطف شائيناري ذي لون أزرق سماوي وياقة عالية، تفحصه من رأسه حتى أخمص قدميه بنظرة حذرة من خلال فتحتي العينين في قناعه. بدا من هيئة الرجل أنه جندي، قامته المنتصبة والطريقة التي لا تستقر بها نظرتة في مكان واحد لوقت طويل، وكيف تبدو يده مستعدة للاندفاع نحو سيف غير موجود، كل هذا أفصح عن حقيقته. لم يضيع الرجل الشائيناري الكثير من الوقت على الرجل الذي يطلق على نفسه اسم (بورس). فلم يبدُ من كتفيه المطرقتين وظهره المنحني أنه يمثل أي تهديد.

ابتسم الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - بسخريه بينما الشائيناري يتعد، ويده اليمنى متأهبة وعيناه تتفحصان بالفعل مكاناً آخر بحثاً عن الخطر. كان باستطاعته قراءتهم جميعاً، ومعرفة طبقتهم وبلدهم، من العامي إلى النبيل، من (كاندور) إلى (كايرين) ومن (سالديا) إلى (غيلدان)، من كل أمة ومن كل عرق تقريباً. زرَّ أنفه في اشمئزاز مفاجئ، فقد كان هناك واحد من (الجوالين)، في سروال أخضر زاهٍ ومعطف أصفر فاقع. لم تكن بحاجة إلى مجيء مثل هؤلاء إلى (اليوم).

لم يكن المتنكرون أفضل حالاً، رغم أن الكثير منهم يغطون أجسادهم بالعباءات، فقد لمح تحت الروب الأسود لأحدهم الحذاء ذا التطريز الفضي الذي يميز سادة (تير) النبلاء، وتحت روب آخر لمح رأس الأسد الذهبي الذي لا يرتديه إلا كبار الضباط في حرس ملكة (أندور). كان هناك رجل نحيف - يبدو نحيفاً رغم ارتدائه للروب الأسود الذي يجرد ذيله على الأرض، وعباءة رمادية غامضة مثبتة بدبوس فضي عادي - يراقب وقد احتجب وجهه في ظلال غطاء رأسه. قد يكون أي شخص ومن أي مكان... لولا النجمة السداسية الموشومة على الشبكة ما بين إبهام يده اليمنى وسبابته، إنه واحد من (قوم البحر) إذن. وإذا نظرت إلى يده اليسرى سترى علامات عشيرته وسلالته. لم يتكبد الرجل الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) عناء المحاولة.

فجأة ضيق عينيه وهو يثبتها على امرأة متشحة بالسواد حتى إنه لا يظهر منها شيء سوى أصابعها. في يدها اليمنى يستقر خاتم ذهبي على هيئة أفعوان يلتهم ذيله؛ (آيز سيداي)، أو على الأقل امرأة تدربت في (تار قالون) على يد (الآيز سيداي). لا أحد سواهن يرتدي هذا الخاتم. لم يصنع هذا أو ذاك فارقاً بالنسبة له. نظر بعيداً قبل أن تلاحظ أنه يراقبها، وعلى الفور لمح امرأة أخرى متشحة بالسواد من رأسها حتى أخمص قدميها وترتدي خاتم (الأفعوان العظيم). لم تُظهر الساحرتان أدنى إشارة على أنهما تعرفان إحداهما الأخرى. إنهن يجلسن في (البرج الأبيض) كالعناكب، في وسط شبكة، ينسجن الخيوط التي تجعل الملوك والملكات يرقصون، يتدخلن في كل شيء. اللعنة عليهن جميعاً حتى الموت الأبدي! أدرك أنه يجز على أسنانه، إن كان لا بد أن يتضاءل العدد - ويجب أن يتضاءل قبل نهاية (اليوم) - فهو يتمنى هلاكهن، أكثر حتى من (الجوالين).

تردد رنين جرس، نغمة واحدة مثيرة للقشعريرة، جاءت من كل مكان في وقت واحد، وبترت كل الأصوات الأخرى كسكين حاد.

انفتحت الأبواب العالية في آخر القاعة على مصراعها، وخطا اثنان من (الترولوكيين) إلى الحجرة، يرتدي كل منهما زردًا أسود مزينًا بالأشواك يصل إلى ركبتيه. تراجع الجميع إلى الوراء، حتى الرجل الذي يطلق على نفسه اسم (بورس).

كانا أطول بكثير من أطول رجل بالقاعة، وكانا مزيجًا مثيرًا للغثيان من رجل وحيوان، وجهان بشريان ملتويان ومشوهان. كان لأحدهما منقار صغير مدبب في موضع أنفه وفمه، ويغطي رأسه الريش بدلًا من الشعر، والآخر يمشي على حافرين ويبرز من وجهه خطم مغطى بالشعر، ويعلو أذنيه قرنا ماعز. تجاهل (الترولوكيان) البشر وهما يستديران ناحية الباب وينحنيان في خضوع وتذلل، وقد ارتفع الريش في رأس (الترولوك) على هيئة عرف.

خطا (ميردرال) من بينهما فسقطا على ركبهما. كان متشعًا بلون أسود جعل زرد (الترولوكيين) وأقنعة البشر تبدو زاهية، وكانت ملابسه ساكنة دون أي تموج بينما يتحرك برشاقة أفعى.

شعر الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - بشفتيه تتراجعان لتكشفًا عن أسنانه مزعجًا في خوف، وهو ما خجل أن يعترف به لنفسه. كان وجه (الميردرال) مكشوفًا، وجه أبيض شاحب، وجه رجل ولكن بلا عيين، كبيضة ملساء، كدودة في قبر.

تحرك الوجه الأبيض الأملس ليتأملهم جميعًا - كما يبدو - واحدًا تلو الآخر. ارتجفوا جميعًا بشكل واضح أمام تلك النظرة عديمة العيين. كانت الشفتان النحيلتان الخاليتان من الدماء منشيتين فيما يبدو أنه ابتسامة، بينما حاول المقنعون أن يتراجعوا إلى الوراء عبر الحشد محاولين تجنب تلك النظرة. لقد جعلتهم نظرة (الميردرال) يتشكلون على هيئة نصف دائرة تواجه الباب.

الرجل الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) ازدرد لعابه. سيأتي يوم يا (نصف البشري) يعود فيه (سيد الظلام) مرة أخرى، وسيختار (سادة الرعب) الجدد التابعين له، وسترتعد أمامهم، سترتعد أمام البشر، أمامي! لم لا يتحدث؟ كف عن التحديق إليّ وتحدث!

«لقد أتى سيدكم». كان صوت (الميردرال) مبحوحًا كتفتت جلد ثعبان جاف. «انبطحوا على بطونكم أيها الديدان! وتذللوا لئلا يعميكم ضوءه الباهر ويحرقكم».

ملأ الغضب عروق الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - بسبب نبذة الصوت لا الكلمات فحسب، ولكن الهواء من فوق (نصف البشري) تلاًلاً وتحققت كلماته. هذا مستحيل! هذا...! كان (الترولوكيان) منبطحين على بطنيهما بالفعل، يتلويان كما لو أنهما يريدان أن يحفرا الأرض.

دون أن ينتظر ليرى إن كان أي شخص آخر قد تحرك انبطح الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - على وجهه، وهو يتأوه بينما الأرض الحجرية تصيبه بالكدمات. جرت الكلمات على لسانه

كتميمة ضد الخطر - كانت تميمة بالفعل، ولكنها ضعيفة للغاية أمام ما يخشاه - وسمع مئات الأصوات الأخرى تلهث في خوف دون أن يرفعوا وجوههم عن الأرض مثله.

«(سيد الظلام العظيم) هو سيدي، وأنا أخدمه بإخلاص حتى آخر ذرة من روحي». في عقله الباطن تتم صوته في خوف: (سيد الظلام) وكل (الملعونين) مسجونون... ارتجف وهو يجبر هذا الصوت على الصمت. لقد تخلى عن هذا الصوت منذ زمن بعيد. «إن سيدي هو سيد الموت، أنا لا أطلب شيئاً وأخدم من أجل (يوم مجيئه)، ولكنني أخدم في يقين وأمل واثق في الحياة الأبدية». ... مسجونون في (شايل غول)، قيديهم (الخالق) في لحظة الخلق. لا، أنا أخدم سيداً آخر الآن. «لا شك أن للمؤمنين العزة في الأرض، وأنهم يعلون على الكافرين، يعلون على العروش، ولكنني أخدم في تواضع من أجل (يوم عودته). قريباً سيأتي (سيد الظلام) ليرشدنا ويحكم العالم إلى أبد الأبدين».

أنهى الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - قسم إيمانه وهو يلهث، كأنها قد ركض عشرة أميال، وأنباته الأصوات اللاهثة في كل مكان من حوله أنه ليس وحده من يشعر بهذا. «انهضوا، انهضوا جميعاً».

فاجأه الصوت اللطيف، من المؤكد أنه لم يكن صوت أحد رفاقه المنبطحين على بطونهم ووجوههم المقنعة ملتصقة بالبالاط الفسيفسائي، ولكنه لم يكن الصوت الذي يتوقعه من... رفع رأسه بحذر بما يكفي لأن يرى بعين واحدة.

كانت هناك هيئة رجل يطفو في الهواء فوق (الميردرال)، وحافة روبه الأحمر كلون الدماء، تتدلى بارتفاع باع فوق رأس (الميردرال). كان مقنعة بقناع أحمر بلون الدماء أيضاً. هل يظهر لهم (سيد الظلام العظيم) على هيئة رجل؟ ومقنعة أيضاً؟ ولكن مع ذلك ارتجف (الميردرال) وبدت نظرتة خائفة، وكاد أن يخر جاثياً حيث يقف في ظل الرجل. حاول الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - أن يبحث عن إجابة يمكن أن يستوعبها عقله دون أن ينفجر. ربما يكون أحد (الملعونين).

بدأت هذه الفكرة أقل إيلافاً بقليل، ومع ذلك فإن هذا يعني أن (يوم) عودة (سيد الظلام) يجب أن يكون وشيكاً إن كان أحد (الملعونين) طليقاً. الملعونون، ثلاثة عشر من أقوى مسخري (القوة الواحدة) في عصر مليء بالمسخرين الأقوياء قد سجنهم في (شايل غول) - بصحبة (سيد الظلام) - (التنين) و(الرفاق المئة)، ورد الفعل على هذا السجن قد دسّ النصف الذكوري (للمصدر الحقيقي)، وكل ذكور (الآيز سيدي) الذين يمتلكون هذه القوة الملعونة قد أصيبوا بالجنون وحطموا العالم، مزقوه كما لو أنه وعاء فخاري قد تحطم على الصخور، وأنهم (عصر الأساطير) قبل موتهم، يتعفنون بينما لا يزالون أحياء. مودة تليق (بالآيز سيدي) من وجهة نظره، بل أفضل مما يستحقونه. وشعر بالأسف لأن النسوة لم يلقين المصير ذاته.

ببطء وبشكل مؤلم دفع الذعر إلى أعماق عقله ليحبسه ويقيده بشدة رغم أنه يصرخ لإطلاق سراحه، كان هذا أفضل ما استطاع فعله. لم ينهض أي من هؤلاء الجاثين على بطونهم، ولم يجرؤ سوى القليل منهم على

رفع رأسه.

«انهضوا». كان هناك حدة في صوت الرجل ذي القناع الأحمر هذه المرة. أشار بكلتا يديه وقال: «قفوا!». أسرع الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - لكي ينهض واقفاً بشكل متعثر، ولكن ما إن اعتدل على قدميه حتى تردد، هاتين اليدين المشيرتين كانتا محروقتين بشكل فظيع، مع شقوق سوداء ويظهر اللحم من بينها أحمر كروب الرجل. أ يظهر (سيد الظلام) هكذا؟ أو حتى واحد من (الملعونين)؟ تحركت فتحتا العينين في القناع الأحمر لتنظرا إليه فنصب قامته على الفور. خُيِّل إليه أن باستطاعته أن يشعر بحرارة تنور متأجج في تلك النظرة.

أطاع الآخرون الأمر بأن نهضوا في خفة مماثلة وخوف لا يقل عن خوفه. عندما صاروا جميعاً واقفين على أقدامهم تحدث الرجل الذي يطفو في الهواء.

«لقد عرفت بأسماء عديدة، ولكن الاسم الذي يجب أن تعرفوني به هو (بعلمون)».

أطبق الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - فكاهة ليمنع أسنانه من الاصطكاك. (بعلمون)؛ في اللغة الترولوكية يعني قلب الظلام، وحتى الكافرون يعرفون أنه الاسم الذي يطلقه (الترولوكيون) على (سيد الظلام العظيم)، هذا الذي لا يجب نطق اسمه، ليس الاسم الحقيقي؛ (الشیطان)، ولكنه لا يزال محرماً. إن نطق أيّاً من الاسمين يعد بين المجتمعين هنا - والآخريين من أمثالهم - تجديفاً. كانت أنفاسه تخرج كالصفير من أنفه، وفي كل مكان من حوله كان قادراً على سماع الآخرين يلهثون من وراء أقنعتهم. لقد رحل الخدم، و(الترولوكيان) أيضاً، رغم أن أحداً لم يرَ رحيلهم.

«المكان الذي تقفون فيه يقع في ظل (شايبول غول)». تأوه أكثر من صوت مع ذكر هذا، ولم يكن الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - متيقناً إذا ما كان صوته من بينهم. ظهرت لمحة مما يمكن تسميته بالسخرية في صوت (بعلمون) وهو يبسط ذراعيه على اتساعهما ويقول: «لا تخشوا شيئاً، فإن (يوم) نهوض سيدكم في العالم قد صار وشيكاً، (يوم العودة) يقترب. ألا ينبئكم بهذا وجودي هنا لكي تروني أنتم القلائل المصطفون من بين إخوانكم وأخواتكم؟ قريباً ستتحطم (عجلة الزمن)، قريباً سيموت (الأفعوان العظيم)، ومع القوة النابعة عن هذا الموت - موت (الزمن) ذاته - سيعيد سيدكم تشكيل العالم على صورته، من أجل هذا العصر وكل العصور الآتية. وهؤلاء الذين يخدمونني، المؤمنون والمخلصون، سيجلسون عند قدمي فوق نجوم السماء ويحكمون عالم البشر إلى الأبد. هكذا وعدت وهكذا سيتحقق وعدي، بلا نهاية. ستعيشون وتحكمون إلى الأبد».

سرت غمغمة من الترقب بين المستمعين، حتى إن بعضهم خطوا خطوة إلى الأمام ناحية الهيئة القرمزية الطافية، وقد رفعوا أعينهم في حماس. حتى الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - شعر بجاذبية هذا الوعد، الوعد الذي تنازل عن روحه من أجله مئة مرة.

قال (بعلمون): «إن (يوم العودة) يقترب، ولكن لا يزال هناك الكثير مما يجب فعله».

تلاً الهواء على يسار (بعلمون) ثم تكثف وظهرت هناك صورة شاب معلقة على مسافة منخفضة قليلاً عن (بعلمون). لم يستطع الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - أن يقرر إذا ما كان حياً أم لا. أشارت ملابسه إلى أنه فتى قروي، مع بريق من المشاكسة في عينيه البنيتين ولمحة ابتسامة على شفثيه، كأنها يتذكر مقلباً أو يتوقع واحداً. بدا الجسد دافئاً ولكن الصدر لم يكن يتحرك في تنفس ولم ترمش العينان. تموج الهواء على يمين (بعلمون) كأنها بفعل الحرارة، وظهرت هيئة أخرى في ثياب قروية معلقة أدنى بقليل من (بعلمون)، شاب أشعث الشعر ومفتول العضلات كأنها هو حداد. والأمر الغريب هو الفأس الحربي المتدلي على جانبه، فأس فولاذي عظيم على هيئة نصف قمر متوازن على شوكة سميكة. فجأة مال الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - للأمام ليتحقق من شيء أكثر غرابة؛ كان للشاب عينان صفراوان.

للمرة الثالثة يتشكل الهواء على هيئة شاب، هذه المرة تحت عيني (بعلمون) مباشرة، ويكاد أن يكون عند قدميه. شاب طويل بعينين رماديتين تكادان أن تكونا زرقاوين في الضوء الذي تعكسانه، وشعر أحمر داكن، قروي آخر أو ربما مزارع. شهق الرجل الذي يطلق على نفسه اسم (بورس)؛ فثمة شيء آخر خارج عن المألوف، ولكنه تساءل لم قد يتوقع أي شيء مألوف هنا، سيف يتدلى من حزام الشاب، سيف به بلشون برونزي على الغمد، وآخر على المقبض الطويل الذي يمكن الإمساك به بكلتا اليدين. شاب قروي بسيف يحمل علامة البلشون؟ مستحيل! ما الذي قد يعنيه هذا؟ وفتى له عينان صفراوان. لاحظ أن (الميردرال) ينظر إلى الهيئات الثلاثة وهو يرتجف، وما لم يكن قد أخطأ في حكمه تماماً فإنه لم يعد يرتجف بسبب الخوف، بل بسبب الكراهية.

خيم الصمت المطبق على المكان، وقد ترك (بعلمون) الصمت يزداد ثقلاً قبل أن يتحدث قائلاً: «هناك رجل يجوب العالم الآن، رجل كان وسيكون - ولكنه ليس بعد - (التنين)». سرت غمغمات دهشة بين المستمعين.

«(التنين العائد)! هل تريد منا أن نقتله أيها (السيد العظيم)؟». كان المتحدث هو الشايناري بينما يده تتحسس جانبه في لهفة بحثاً عن السيف الذي من المفترض أن يتدلى منه.

قال (بعلمون) ببساطة: «ربما، وربما لا. ربما يمكنني أن أستغله لصالحه، عاجلاً أو آجلاً سيتحقق هذا الأمر، في هذا العصر أو في عصر آخر».

رمش الرجل الذي يطلق على نفسه اسم (بورس). في هذا العصر أو في عصر آخر؟ ظننت أن (يوم العودة) قد اقترب. لم قد بالي بما سيحدث في عصر آخر إن كنت سأهرم وأموت بينما أنتظر في هذا العصر؟ لكن (بعلمون) تحدث مرة أخرى.

«هناك انحناء يتشكل بالفعل في (النمط)، وهي إحدى النقاط الكثيرة التي قد يتحول فيها من سيصير (التنين) إلى خدمتي، ويجب أن يتحول! من الأفضل أن يخدمني حياً بدلاً من أن يخدمني ميتاً، ولكن حياً أو

ميتاً يجب أن يخدمني، وسوف يخدمني! يجب أن تعرفوا هؤلاء الثلاثة، فكل واحد منهم خيط في (النمط) الذي أنوي نسجه، وستكون مهمتكم هي الحرص على أن يكونوا في الموضع الذي أمر أن يكونوا فيه. تأملوهم جيداً حتى تعرفوهم».

فجأة تلاشى كل صوت، وتللمل الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - في توتر، ورأى أن الآخرين يفعلون مثله، أدرك أنهم جميعاً يفعلون هذا باستثناء المرأة الإليانية. كانت قد وضعت يديها مبسوطتين على صدرها كأنها لتخفي اللحم المكشوف، وبعينين متسعيتين نصف خائفتين ونصف منتشيتين كانت تومئ في حماس كأنها لشخص تراه وجهاً لوجه. أحياناً تبدو وكأنها تتحدث، ولكن الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - لم يستطع أن يسمع ولو كلمة واحدة. فجأة أحت ظهرها إلى الوراء وانتصبت على أطراف أصابعها وهي ترتجف. لم يستطع أن يفسر سبب عدم سقوطها ما لم تكن تستند إلى شيء خفي. وفجأة أيضاً استقرت من جديد على قدميها وأومات برأسها مرة أخرى وهي تنحني وترتجف. وبينما تنصب قامتها جفلت إحدى المرأتين اللتين ترتديان خاتم (الأفعوان العظيم)، ثم بدأت تومئ برأسها. إذن فكل واحد منا يتلقى تعليماته بشكل شخصي، ولا يسمع أحد تعليمات الآخر. غمغم الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - في إحباط، إن عرف الأوامر التي يتلقاها الآخرون فربما يقدر على استخدام هذه المعرفة لصالحه، ولكن بينها الحال هكذا... انتظر في نفاد صبر أن يحين دوره وقد نسي نفسه بما يكفي لأن يقف منتصباً.

واحدًا تلو الآخر تلقى المجتمعون أوامره، كل منهم محاط بجدار من الصمت، ومع ذلك يُمنح أدلة محسوسة، كما لو أنه وحده قادر على قراءتها. تيبس جسد رجل (الآثان مير) - (قوم البحر) - في تحفظ بينما يومئ برأسه. أفصحت وقفة الشايناري عن ارتبائه حتى وهو يذعن للأمر. المرأة الثانية من (تار فالون) جفلت كأنها في صدمة، والشخص ذو العباءة الرمادية، الذي لم يستطع تحديد جنسه، هز رأسه قبل أن يجثو على ركبتيه ويومئ برأسه في حماس. عانى بعضهم نفس التشنج الذي انتاب المرأة الإليانية، كما لو أن الألم ذاته يجعلهم يقفون على أطراف أصابعهم. «(بورس)».

انتفض الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - عندما أغشى عينيه قناع أحمر، كان لا يزال قادرًا على رؤية الحجرة، ولا يزال يرى هيئة (بعلزمون) الطافية والأشكال الثلاثة أمامه، ولكن في الوقت ذاته كان كل ما يستطيع أن يراه هو الوجه المغطى بقناع أحمر. شعر بالدوار كأن جمجمته قد انشقت وعينه تخرجان من محجريهما. للحظة خيّل إليه أن باستطاعته أن يرى ألسنة لهب عبر فتحتي العينين في القناع. «هل أنت مؤمن يا... (بورس)؟».

كان هناك لمحة سخرية مع نطق الاسم جعلت قشعريرة تسري في عموده الفقري. «أنا مؤمن أيها (السيد العظيم)، لا يمكنني أن أخفي هذا عنك». أنا مخلص! أقسم بهذا!

«لا، لا يمكنك هذا».

الثقة في صوت (بعلزمون) جعلت حلقه يحف، ولكنه أجبر نفسه على الحديث. «مرني وسأطيع أيها (السيد العظيم)».

«أولاً أريد منك أن تعود إلى (تارابون) وتواصل أعمالك الصالحة، في الواقع آمرك بأن تضاعف جهودك». حدق إلى (بعلزمون) في حيرة، ولكن حينها توهج اللهب من جديد من وراء القناع فتذرع بالانحناء لكي يبعد عينيه. «كما تأمر أيها (السيد العظيم)، لتكن مشيئتك».

«ثانياً سيكون عليك تتبع هؤلاء الفتيان الثلاثة، وعليك أن تأمر أتباعك بتتبعهم أيضاً. كن حذراً، إنهم خطيرون».

نظر الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - إلى الهيئات الثلاثة الطافية أمام (بعلزمون)، كيف يمكنني هذا؟ يمكنني أن أراهم، ولكن لا يمكنني أن أرى أي شيء آخر سوى وجهه. شعر أن رأسه على وشك أن ينفجر، وتصبب العرق من يديه تحت قفازه الرقيق، والتصق قميصه بظهره. «خطيرون أيها (السيد العظيم)؟ هؤلاء المزارعون؟ هل واحد منهم هو...؟».

«السيف يكون خطيراً للرجل الواقف عند طرفه وليس للرجل الواقف عند مقبضه. ما لم يكن الرجل الذي يحمل السيف أحمق أو مهملاً أو غير بارع، ففي هذه الحالة يكون خطر السيف عليه ضعف خطره على أي شخص آخر. يكفي أنني أخبرتك أن تعرفهم، يكفي أن عليك أن تطيعني».

«كما تأمر أيها (السيد العظيم)، فلتكن مشيئتك».

«ثالثاً فيما يتعلق بمن هبطوا في (تومان هيد) والدومانين، يجب ألا تتحدث عن هذا مع أحد. عندما تعود إلى (تارابون)».

أدرك الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - أنه يستمع وهو فاغر فاه، لم تبدِ التعليمات منطقية. لو كنت أعرف بعض ما قيل للآخرين فلربما صرت قادراً على ربط الأمور ببعضها ببعض.

فجأة شعر كأن يداً عملاقة تمسك برأسه وتضغط على صدغيه، وشعر بنفسه يُرفع في الهواء، وانفجر العالم في آلاف الانفجارات النجمية، وكل وميض من الضوء تحول إلى صورة انطلقت عبر ذهنه أو دارت وتضاءلت في الأفق قبل أن يراها لأكثر من لحظة عابرة. سماء مستحيلة من غيوم مخططة حمراء وصفراء وسوداء، تندفع كأنها تدفعها أعتى رياح قد عرفها العالم. امرأة - أو ربما فتاة؟ - ترتدي ثياباً بيضاء تنحسر إلى الظلمة واختفت بمجرد أن ظهرت. غراب يحرق إلى عينيه، يعرفه، ثم اختفى. رجل مدرع، يرتدي خوذة وحشية مطلية بالذهب وهيئتها كحشرة ضارية سامة، يرفع سيفاً ويغرسه إلى جانبه بعيداً عن النظر. بوق ملتبس وذهبي يأتي مندفعاً من الأفق البعيد، ترددت نغمة واحدة حادة بينما البوق يندفع ناحيته ويجذب روحه. في اللحظة الأخيرة ومض بضوء ساطع يعمي الأبصار، حلقة ذهبية من الضوء مرت من خلاله وأصابته بقشعريرة تفوق الموت. قفز ذئب من خارج مرمى بصره ومزق حلقه. لم يستطع أن يصرخ. استمر اندفاع

التيار ليغرقه ويدفنه. بالكاد استطاع أن يتذكر من يكون أو ماذا يكون. أمطرت السماء نارًا، وسقط القمر والنجوم، وتدفقت الدماء أنهارًا، وسار الموتى، وانشقت الأرض، لتتدفق الصخور المنصهرة...

وجد الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - نفسه نصف رابض في القاعة مع الآخرين، معظمهم يراقبونه في صمت. أينما نظر - لأعلى أو لأسفل أو في أي اتجاه - يجد وجهه (بعلزمون) يغشى عينيه. بدأت الصور التي غمرت عقله تتلاشى، وكان متيقنًا من أن معظمها قد مُحي من ذاكرته بالفعل. اعتدل واقفًا في تردد، و(بعلزمون) دومًا أمامه.

«(سيدي العظيم)، ماذا...؟».

«بعض الأوامر أكثر أهمية من أن يعرفها حتى من سيفنذاها».

انحنى الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - انحناء مضاعفة وقال بهمس أجش: «كما تأمر يا (سيدي العظيم)، فلتكن مشيئتك».

عندما اعتدل واقفًا كان وحيدًا في الصمت مرة أخرى. شخص آخر - سيد (تير) النبيل - أومأ برأسه وانحنى لشخص لا يراه سواه. رفع الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - يدها مرتجفة إلى جبينه محاولاً أن يتشبث بشيء مما يموج في عقله، رغم أنه لم يكن متيقنًا تمامًا مما يريد أن يتذكره. ومضت آخر البقايا، وفجأة وجد نفسه يتساءل عما يحاول أن يتذكره. أعرف أنه كان هناك شيء ما، ولكن ما هو؟ كان هناك شيء ما! أليس كذلك؟ فرك يديه معًا وتجهم مع الإحساس بالعرق تحت قفازه، ثم أولى انتباهه إلى الأشكال الثلاثة المعلقة أمام هيئة (بعلزمون) الطافية.

الشاب مفتول العضلات ذو الشعر الأشعث، والمزارع الذي يحمل السيف، والفتى ذو النظرة المشاكسة على وجهه. كان الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - قد أطلق عليهم أسماء بالفعل في عقله؛ الحداد والسياف والمشاكس. ما موضعهم في الأحجية؟ لا شك أنهم مهمون، وإلا لما جعلهم (بعلزمون) ركيزة هذا الاجتماع. ولكن ما فهمه من أوامره وحدها هو أنهم يمكن أن يموتوا في أي لحظة، وخمن أن الآخرين - بعضهم على الأقل - قد تلقوا أوامر مميتة مماثلة فيما يتعلق بهؤلاء الثلاثة. ما مدى أهميتهم؟ يمكن للأعين الزرقاء أن تعني نبالة (أندور)، ولكن هذا غير مرجح مع هذه الثياب، والأعين فاتحة اللون تشي بسكان (البلاد الحدودية)، وكذلك (تير)، ناهيك بالبعض من (غيلدان)، وبالطبع... لا، هذا لا يجدي نفعًا. ولكن العينين الصفراوين؟ من هم؟ ما هي حقيقتهم؟

جفل مع لمسة على ذراعه، فتلفت حوله ليجد أحد الخدم ذوي الثياب البيضاء، شاب يقف إلى جواره. كان الخدم الآخرون قد عادوا أيضًا، وبعدها أكثر من ذي قبل؛ خادم لكل مقنع. رمش بعينه، لقد اختفى (بعلزمون)، واختفى (الميردرال) أيضًا. ولم يعد هناك سوى الحجر الخشن في موضع الباب الذي كان موجودًا، ولكن الهيئات الثلاثة لا تزال معلقة في الهواء، وشعر كأنهم يحدقون إليه. «إذا سمحت لي يا سيدي (بورس) فسوف أصطحبك إلى غرفتك».

تجاهل العينين الميتين وهو ينظر إلى الهيئات الثلاثة مرة أخيرة قبل أن يلحق بالخادم. تساءل في توتر كيف عرف الشاب أي اسم يجب أن يستخدمه. لم يدرك أنه وحيد في الممر مع الخادم إلا بعد أن أغلقت الأبواب المنحوتة الغريبة من ورائه ومشى عشر خطوات. عقد حاجبيه في ريبة من وراء قناعه، ولكن قبل أن يفتح فمه تحدث الخادم.

«الآخرون يجري اصطحابهم إلى غرفهم أيضًا يا سيدي. إذا سمحت يا سيدي؟ الوقت قصير، وسيدنا غير صبور».

جز الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - على أسنانه بسبب نقص المعلومات، وبسبب ما تنطوي عليه الكلمات من مساواة ما بينه وبين الخادم، ولكنه تبعه في صمت. فقط الأحمق سيصرخ في وجه خادم، والأسوأ هو أنه - مع تذكر عيني الخادم - لم يكن متيقنًا من أن هذا سيجدي نفعًا. وكيف عرف أنني سأسأل؟ ابتسم الخادم.

لم يشعر الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - بالراحة مطلقًا حتى عاد إلى الغرفة التي كانت ينتظر فيها عند مجيئه في بادئ الأمر. وحتى حينها لم يشعر بالكثير من الراحة. حتى اكتشف أنه أحدًا لم يمسه الأختام على أكياس سرجه لم يمنحه الكثير من الراحة.

وقف الخادم في الردهة دون أن يدخل، وقال: «يمكنك أن تبدل ثيابك. لا أحد سيرى رحيلك عن هنا أو عند وصولك وجهتك، ولكن من الأفضل أن تصل بالملابس اللائقة، قريبًا سيأتي شخص ما ليريك الطريق».

انغلق الباب دون أن تمسه أي يد مرئية.

ارتجف الرجل - الذي يطلق على نفسه اسم (بورس) - رغمًا عنه. وعلى الفور فك الأختام وأبازيم أكياس سرجه وأخرج عباءته المعتادة. في عقله الباطن تساءل صوت خافت إن كانت القوة الموعودة - أو حتى الخلود - تستحق عناء اجتماع آخر كهذا، ولكنه سخر من الصوت على الفور. من أجل هذه القوة العظيمة سأسبح بحمد (سيد الظلام العظيم) تحت (قبة الحقيقة). تذكر الأوامر التي أملاها عليه (بعلزمون) وهو يتحسس تطريز الشمس الذهبية المتوهجة على صدر العباءة البيضاء وعصا الرعي الحمراء الملتوية وراء الشمس؛ رمز منصبه في عالم البشر، وكاد أن يضحك. هناك عمل عظيم يجب إنجازه في (تارابون) و(سهل الموت).

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الأول

شعلة تار قالون

(عجلة الزمن) تدور، والعصور تأتي وتمضي، تاركة وراءها الذكريات، التي تتحول إلى أسطورة، ثم تضمحل إلى خرافة، وتكون قد نُسيت منذ زمن بعيد عندما يأتي هذا العصر مرة أخرى. في عصر من العصور، يسميه البعض العصر الثالث، عصر لم يأت بعد، عصر قد مضى منذ وقت طويل، هبَّت رياح من (جبال دهوم). لم تكن الرياح هي البداية. لم يكن هناك بدايات ولا نهايات لدوران (عجلة الزمن). ولكنها كانت بداية ما.

هبّت الرياح من بين قمم سوداء ذات حواف حادة كالنصال، حيث يجوب الموت الممرات العليا، ولكنه مع ذلك يختبئ من أشياء أكثر خطورة، ثم اندفعت الرياح جنوبًا عبر غابة متشابكة (بالبلاء العظيم)، غابة مدنسة ومشوهة بلمسة (سيد الظلام). كانت رائحة الفساد النفاذة المثيرة للغثيان قد تلاشت بحلول الوقت الذي وصلت فيه الرياح إلى ذلك الخط غير المرئي الذي يُطلق عليه البشر اسم حدود (شاينار)، حيث تتفتح أزهار الربيع بكثافة في الأشجار. كان من المفترض أن يكون هذا هو موعد حلول الصيف، ولكن الربيع قد جاء متأخرًا، والأرض تسرع حثيثًا للحاق به. وهكذا نبتت أوراق خضراء شاحبة جديدة على كل شجيرة، والبراعم الحمراء الجديدة تنقل أغصان كل شجرة. جعلت الرياح حقول المزارعين تتمايل كبرك عشبية، مليئة بالمحاصيل التي كادت أن تبدو وكأنها ترحف إلى الأعلى بشكل واضح.

كانت رائحة الموت قد تلاشت تمامًا قبل أن تصل الرياح إلى بلدة (فال دارا) ذات الأسوار الحجرية، الواقعة على التلال. وهبت من حول أحد أبراج القلعة في منتصف البلدة، برج يعلوه رجلان يبدوان وكأنهما يرقصان. كانت (فال دارا) ذات الأسوار العالية المنيعة بلدة وحصنًا، لم تتعرض للهزيمة يومًا أو الخيانة. أطلقت الرياح أنينًا وهي تهب على أسطح البيوت الخشبية ومن حول المداخل الحجرية العالية والأبراج الشاهقة، كأنها تعزف مرثاة.

ارتجف (راند ألتور) - الذي كان عاري الجذع - مع لمسة الرياح الباردة، وتشبثت أصابعه بالمقبض الطويل لسيف التدريب الذي يحمله. كانت الشمس الحامية قد جعلت صدره يلمع بالعرق، والتصق شعره الأحمر الداكن برأسه وقد تلبد بفعل العرق. كان هناك رائحة خافتة في الهواء جعلت أنفه يرتعش، ولكنه لم يربط ما بين الرائحة وصورة القبر القديم المفتوح حديثًا التي ومضت في عقله. بالكاد كان يشعر بالرائحة أو الصورة، وقد كان يحاول أن يبقي عقله خاويًا، ولكن الرجل الآخر الذي يشاركه قمة البرج واصل اقتحام هذا الخواء. كانت قمة البرج بقطر عشر خطوات، ويحيط بها سور به فتحات يصل إلى ارتفاع الصدر. كان المكان واسعًا بما يكفي لثلاثين رجلًا يبدون مزدحمًا إلا عندما يتشاركه مع أحد (الحماة).

كان (راند) لا يزال يافعاً، ولكنه أطول من معظم الرجال، ومع ذلك كان (لان) يماثله طولاً ويمتلك عضلات أكبر، ولم يكن عريضاً للغاية عند الكتفين. كان هناك شريط رفيع من الجلد المضفر يرفع شعر الحامي الطويل عن وجهه الذي يبدو وكأنه مصنوع من قسبات وزوايا حجرية، وجهه خالٍ من التجاعيد بشكل يتناقض مع الشعر الأشيب عند صدغيه. رغم الحرارة والجهد لم يكن هناك سوى طبقة خفيفة من العرق تتلألأ على صدره وذراعيه. راح (راند) يفتش عيني (لان) الزرقاوين الثلجيتين، بحثاً عن بعض الدلائل عما ينوي فعله. لم يبدُ أن (الحامي) يرمش مطلقاً، وسيف التدريب في يديه يتحرك بثبات وسلاسة بينما ينتقل برشاقة من وقفة قتالية إلى أخرى.

كان سيف التدريب مكوناً من حزمة من العصي الرفيعة المربوطة بشكل غير محكم بدلاً من النصل، مما يجعله يطلق فرقعة عالية عند اصطدامه بأي شيء، ويترك كدمة عندما يصيب اللحم. يعرف (راند) كل هذا حق المعرفة، فهناك ثلاثة خطوط حمراء رفيعة على ضلوعه، وآخر يحرق كتفه. لقد تطلب الأمر منه بذل كل جهده لكيلا يصاب بالمزيد من العلامات، ولم يكن (لان) يحمل أي علامة.

شكّل (راند) شعلة واحدة في ذهنه - كما تعلم - وركز عليها وحاول أن يغذيها بكل أفكاره ومشاعره ليشكل خواءً بداخل نفسه، بينما يُبقي الأفكار بالخارج. جاء الفراغ، لم يكن فراغاً مثاليّاً كما هو الحال في الآونة الأخيرة. بقيت الشعلة، أو شيء من الضوء يرسل تموجات عبر السكون، ولكن هذا كان كافياً، بالكاد. تسللت إليه سكينه الخواء الباردة، وصار متحدّاً مع سيف التدريب ومع الأحجار الملساء تحت حذائه وحتى مع (لان). كل شيء صار متحدّاً، وراح يتحرك دون تفكير في تناغم يضاھي (الحامي) خطوة بخطوة وحركة بحركة.

هبّت الرياح مرة أخرى، فتعالى رنين الأجراس من البلدة. شخص ما لا يزال يحتفل بأن الربيع قد حل أخيراً. رفرفت الفكرة الدخيلة عبر الفراغ في موجات من الضوء، مما صنع اضطراباً في الفراغ. وكأن (الحامي) قرأ عقل (راند) فقد دار سيف التدريب في يدي (لان).

للحظات طويلة تعالى صوت فرقعة حزمتي العصي في قمة البرج. لم يبذل (راند) أي جهد لإصابة (الحامي)، وكل ما استطاع فعله هو أن يمنع ضربات (الحامي) من إصابته. كان مجبراً على التراجع بعد أن صد ضربات (لان) في آخر لحظة ممكنة. لم يتغير التعبير المرتسم على وجه (لان) قط، وبدأ أن سيف التدريب ينبض بالحياة بين يديه. فجأة غيرت ضربة (الحامي) من اتجاهها أثناء حركة السيف، فتراجع (راند) إلى الوراء وقد باغته الأمر، وتلوى وجهه بالفعل من الضربة التي يعرف أنه لن يستطيع إيقافها هذه المرة.

عوت الرياح عبر البرج... وحاصرته. بدا الأمر وكأن الهواء قد تجمد فجأة واحتجزه في شرنقة تدفعه للأمام. تباطأ الزمان والحركات، وفي رعب راقب سيف (لان) يهوي ببطء ناحية صدره. لم يكن هناك شيء بطيء أو لطيف حيال الضربة. أصدرت ضلوعه صريراً كأنها قد تلقت ضربة مطرقة. تأوه ألماً، ولكن الرياح لم تسمح له بأن ينهار، بل راحت تدفعه للأمام. انثنت العصي في سيف (لان) وتقوست ببطء شديد - كما

يبدو لرانند - ثم تحطمت واندفعت الشظايا الحادة ناحية قلبه واخترقت العصي المسننة جلده. اجتاح الألم جسده، وأحس أن جلده كله يتمزق، أحس بالاحتراق وكأن الشمس قد توهجت لتشويهه كلحم في مقلاة. صرخ وهو يدفع نفسه متعثراً إلى الوراء قبل أن يرتطم بالسور الحجري. لمس جرح صدره بيد مرتجفة، ثم رفع أصابعه الدامية أمام عينيه الرماديتين في ذهول.

قال (لان) بحدة: «ما هذه الحركة الحمقاء أيها الراعي؟ من المفترض أنك صرت أكثر براعة، ما لم تكن قد نسيت كل شيء حاولت تعليمك إياه. ما مدى سوء جرح...؟». بتر عبارته و(رانند) ينظر إليه. قال (رانند) بحلق جاف: «إنها الرياح، لقد... لقد دفعتني. كانت... كانت صلبة كالجدار».

حلق إليه (الحامي) في صمت ثم مد إليه يده. أمسك بها (رانند) وتركه يجذبه لكي يقف على قدميه. قال (لان) أخيراً: «أشياء غريبة يمكن أن تحدث عندما تكون قريباً إلى هذا الحد من (البلاء)». ولكن رغم جمود صوته فإنه بدا مضطرباً، وكان هذا شيئاً غريباً في حد ذاته. (الحماة) هم هؤلاء المحاربون شبه الأسطوريين الذين يخدمون (الآيز سيدي)، ونادراً ما يُظهرون أي مشاعر، و(لان) أقلهم في إظهار مشاعره حتى بالنسبة لواحد من (الحماة). ألقى سيف التدريب المحطم جانباً، ثم اتكأ على السور حيث يوجد سيفاهما الحقيقيان بعيداً عن موضع تدريبيهما.

قال (رانند) محتجاً: «الأمر ليس هكذا». ثم لحق بالرجل الآخر ليجلس متكئاً بظهره إلى السور الحجري. الطريقة التي تعلو بها قمة السور على رأسه كانت تمنحه نوعاً من الحماية من الرياح، هذا إن كانت رياحاً. لم يشعر من قبل أن هناك رياحاً... صلبة... هكذا. «بحق (السلام)، ربما ليس حتى في البلاء».

قال (لان): «بالنسبة لشخص مثلك...». ثم هز كتفيه كأن هذا يفسر كل شيء. «كم تبقى على رحيلك أيها الراعي؟ لقد مضى شهر منذ أن قلت إنك سترحل، وظننت أنه سيكون مر أسبوعان على رحيلك بحلول هذا الوقت».

حلق إليه (رانند) في دهشة. إنه يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث! عقد حاجبيه وهو يضع سيف التدريب جانباً، ويرفع سيفه الحقيقي إلى ركبتيه، ويمرر أصابعه على المقبض الطويل المغطى بالجلد والمزين بطائر البلشون البرونزي. كان هناك بلشون برونزي آخر على الغمد، وآخر منقوشاً على النصل. لا يزال يشعر بالغرابة لأنه يمتلك سيفاً، ناهيك بكونه سيفاً يحمل علامة سياف. كان مزارعاً من (النهرين)، البعيدة عنه الآن كل البعد. وربما قد صارت بعيدة إلى الأبد. كان مزارعاً مثل أبيه. كنت مزارعاً فماذا أنا الآن؟ وأبوه قد منحه سيفاً بعلامة البلشون. (تام) هو أبي، مهما كان ما يقوله أي شخص آخر. تمنى لو أن أفكاره لم تبدُ وكأنه يحاول إقناع نفسه.

مرة أخرى بدا وكأن (لان) قد قرأ عقله. «في (البلاد الحدودية) أيها الراعي إن ربى رجل طفلاً فإن هذا الطفل يصير ابنه، ولا يمكن لأحد أن يقول عدا هذا».

تجههم (رانند) متجاهلاً كلمات (الحامي)، هذا أمر لا يعني أحد سواه. «أريد أن أتعلم كيف أستخدمه، أحتاج إلى هذا». إن حمل سيف بعلامة البلشون قد أوقعه في المتاعب، لا أحد يعرف ما يعنيه ذلك، أو حتى

يلاحظه، ولكن وجود سيف بعلامة البلشون - خصوصاً في يد شاب بالكاد يبلغ مبلغ الرجال - يجذب النوع الخاطئ من الاهتمام. «لقد تمكنت من الاحتيال في بعض المرات عندما لم أتمكن من الهرب، وقد كنت محظوظاً. ولكن ماذا أفعل عندما لا أستطيع الهرب ولا أستطيع الاحتيال، ويكون حظي قد نفذ؟». قال (لان) مفكراً: «يمكنك بيعه، هذا سيف نادر، حتى من بين السيوف التي تحمل علامة البلشون، يمكنك بيعه بثمن باهظ».

«لا!». كانت فكرة قد راودته أكثر من مرة، ولكنه يرفضها الآن لنفس السبب الذي لطالما رفضها من أجله، وبشكل أكثر شراسة لأن الفكرة طُرحت من شخص آخر. ما دمت أحتفظ به فلدي الحق في أن أدعو (تام) أبي، لقد منحه لي، وهذا يمنحني الحق. «ظننت أن أي سيف يحمل علامة البلشون يكون نادراً».

نظر إليه (لان) بطرف عينه وقال: «(تام) لم يخبرك إذن؟ لا شك أنه يعرف، ربما لم يصدق، فالعديد لا يصدقون». أمسك بسيفه، الذي يكاد أن يكون مطابقاً لسيف (راند) باستثناء افتقاده لعلامات البلشون، ثم استله من غمده. تلاً النصل - المقوس قليلاً ذو الحافة الواحدة - بلون فضي في ضوء الشمس.

كان سيف ملوك (مالكير). لا يتحدث (لان) عن الأمر - لا يجب حتى أن يتحدث الآخرون عنه - ولكن (الآن ماندراجوران) هو سيد الأبراج السبعة، وسيد البحيرات، وملك (مالكير) غير المتوج. لقد تحطمت الأبراج السبعة، وصارت البحيرات الألف عريناً لأشياء دنسة. لقد ابتلع (البلاء العظيم) (مالكير)، ومن بين سادة (مالكير) كلهم لم يبق سوى واحد.

يقول البعض إن (لان) قد صار (حامياً) وربط نفسه (بالآيز سيدي) لكي يسعى إلى الموت في (البلاء العظيم) ويلحق ببقية نسله. وبالفعل رأى (راند) أن (لان) يلقي بنفسه في التهلكة دون مراعاة لسلامته الشخصية، ولكنه يقدر حياة (مويرين) وسلامتها، (الآيز سيدي) التي قد ارتبط بها. لا يعتقد (راند) أن (لان) سيسعى حقاً إلى الموت بينما (مويرين) لا تزال على قيد الحياة.

أدار (لان) نصله في الضوء ثم قال: «في حرب (الظل) استخدمت (القوة الواحدة) ذاتها كسلاح، وكانت الأسلحة تُصنع (بالقوة الواحدة). بعض الأسلحة تستخدم (القوة الواحدة)، أشياء يمكن أن تدمر مدينة كاملة بضربة واحدة، وتخرب الأرض لفراخ عديدة. لقد ضاعت هذه الأسلحة مع تحطم العالم ولم يعد أحد يتذكر كيفية صنعها، ولكن كان هناك أسلحة أكثر بساطة أيضاً، لهؤلاء الذين كانوا يواجهون (الميردال) - وأشياء أسوأ قد صنعها (سادة الرعب) - وجهاً لوجه.

باستخدام (القوة الواحدة) استخرج (الآيز سيدي) الحديد والمعادن الأخرى من باطن الأرض، وصهرها وشكلوها، كل هذا باستخدام (القوة الواحدة). السيوف وأسلحة أخرى أيضاً، العديد منها الذي نجا من (تحطم العالم) قد دمره البشر خشية وكرهية لصنيع (الآيز سيدي)، وأسلحة أخرى اختفت مع مرور السنوات. لم يتبق إلا القليل منها، وقليل من البشر يعرفون حقيقتها. هناك أساطير عنها، حكايات مبالغ فيها عن سيوف يبدو أن لديها قوة خاصة بها. لقد سمعت حكايات صانعي البهجة. ولكن الحقيقة

كافية، سيوف لن تتحطم أو تتكسر، ولن تفقد حداثتها أبدًا. لقد رأيتُ بشرًا يشحذونها - والحقيقة أنهم يتظاهرون بالشحذ - وهذا فقط لأنهم لا يصدقون أن هناك سيفًا لا يحتاج للشحذ بعد استخدامه. كل ما يفعلونه حقًا هو أنهم يستهلكون أحجارهم الزيتية.

تلك الأسلحة قد صنعها (الآيز سيدي)، ولن يكون هناك أسلحة أخرى أبدًا. مع (تحطم العالم) انتهت الحرب والعصر معًا، وكان عدد الموتى غير المدفونين يفوق الأحياء، وهؤلاء الأحياء قد هربوا، محاولين أن يجدوا مكانًا ما - أي مكان - من أجل الأمان، وفي كل ثانية تبكي امرأة لأنها لن ترى زوجها أو أبناءها مرة أخرى أبدًا. عندما انتهى الأمر أقسم (الآيز سيدي) - اللاتي لا يزلن على قيد الحياة - أنهن لن يصنعن أسلحة أبدًا لكيلا يقتل بها رجل رجلًا آخر. وأقسمت كل (آيز سيدي) على هذا. وكل امرأة منهن تفي بهذا القسم حتى يومنا هذا، حتى (الآجاه الحمراء)، رغم أنهن لا يبالين كثيرًا بما قد يحدث لأي ذكر.

أحد هذه السيوف، سيف جندي عادي...». بابتسامة شاحبة تكاد أن تكون حزينة - إن كان من الممكن أن يقال إن (الحامي) أظهر شعورًا - أعاد النصل إلى غمده. «... صار شيئًا أعظم. على الجانب الآخر فإن السيوف التي صُنعت للسادة الجنرالات ذات نصال صلبة لا يمكن لأي حداد أن يضع عليها علامة، ومع ذلك فهي تحمل علامة البلشون، هذه السيوف صارت شيئًا يسعى الناس إليه».

أبعد (راند) يديه عن السيف الموضوع على ركبتيه، فكاد أن يسقط أرضًا، ولكنه بحركة غريزية أمسك به قبل أن يرتطم بالأرضية الحجرية. «تعني أن (الآيز سيدي) صنعوا هذا؟ ظننتك تتحدث عن سيفك».

«ليس كل السيوف التي تحمل علامة البلشون من صنع (الآيز سيدي)، قليل من الرجال يحمل السيوف ببراعة كافية لأن يُطلق لقب سيف، ويستحق سيفًا بعلامة البلشون. ولكن مع هذا لم يتبقَّ من سيوف (الآيز سيدي) إلا أقل القليل، معظم السيوف قد صنعها صانعو سيوف محترفون، من أفضل فولاذ يمكن أن يستخدمه البشر، ولكنها مع ذلك مصنوعة بأيدي البشر. ولكن هذا السيف أيها الراعي... هذا السيف يحكي حكاية ثلاثة ألف عام أو أكثر».

قال (راند): «لا يمكنني الهرب منهن، أليس كذلك؟». وازن السيف أمامه على حافة الغمد، لم يبدُ مختلفًا عما كان عليه قبل أن يعرف بالأمر. «صنيع (الآيز سيدي)». ولكن (تام) قد منحني إياه، أبي منحني إياه. إنه يرفض التفكير في كيفية حصول راع من (النهرين) على سيف بعلامة البلشون. هناك تيارات خطيرة في مثل هذه الأفكار، أعماق لا يرغب في استكشافها.

«هل ترغب في الهرب حقًا أيها الراعي؟ سأسألك مرة أخرى؛ لماذا لم ترحل إذن؟ السيف؟ في غضون خمسة أعوام يمكنني أن أجعلك جديرًا به، أن أجعلك سيافًا. إن لديك رسغين سريعين وتوازنًا جيدًا ولا ترتكب نفس الخطأ مرتين، ولكن ليس لدي خمس سنوات لأتخلى عنها من أجل تعليمك، وأنت ليس لديك خمس سنوات للتعلم، ليس لديك عام واحد حتى، وأنت تعرف هذا. بمهاراتك الحالية فإنك لن تطعن

نفسك في قدمك. أنت تتصرف وكأن السيف ينتمي إلى خصرك أيها الراعي، ومعظم المتنمرين القرويين سيشعرون بهذا، ولكن كان لديك هذا الشعور منذ اليوم الذي حملت فيه السيف، فلماذا لا تزال هنا؟».

تمتم (راند): «(مات) و(بيرين) لا يزالان هنا، لا أريد أن أرحل قبل أن يرحلا. لن أراهما... قد لا أراهما مرة أخرى... لسنوات، ربما». اتكأ برأسه إلى الوراء على السور. «بحق الدماء والرماد! على الأقل يعتقدان فقط أنني مجنون لأنني لن أعود إلى الديار معهما. نصف الوقت تنظر إليّ (ناينيف) كأنني طفل في السادسة من عمري وقد جرحت ركبتني، وأنها ستجعلني أتحسن. وفي النصف الآخر تنظر إليّ كأنها ترى شخصاً غريباً، شخصاً قد تسيء إليه إن نظرت إليه عن كثب. إنها حكيمة، وعلاوة على ذلك لا أعتقد أنها قد شعرت بالخوف من أي شيء من قبل، ولكنها...». هز رأسه. «و(إيجوين). بحق (النور)! إنها تعرف لم يجب عليّ الذهاب، ولكن في كل مرة أذكر الأمر تنظر إليّ فأشعر بغصة في حلقي و...». أغلق عينيه وضغط بالمقبض على جبهته كأنها يستطيع أن يطرد أفكاره عن رأسه. «أتمنى... أتمنى...».

«أتمنى أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه أيها الراعي؟ أم أتمنى أن تذهب الفتاة معك بدلاً من الذهاب إلى (تار فالون)؟ هل تعتقد أنها ستتخلي عن كونها واحدة من (الآيز سيدي) من أجل حياة التجوال؟ معك؟ إن طرحت عليها الأمر بالطريقة الصحيحة فقد تفعل هذا، الحب شيء غريب». بدا (لان) متعباً فجأة. «أغرب ما يكون».

«لا». كان هذا ما يتمناه، أن تذهب معه. فتح عينيه ونصب ظهره وجعل صوته حازماً. «لا، لن أسمح لها بالمجيء معي حتى لو طلبت هذا». لا يمكنه أن يفعل هذا بها. ولكن بحق (النور)، ألن يكون جميلاً - ولو لدقيقة - إن قالت إنها تريد هذا. «ستكون عنيذة للغاية إن اعتقدت أنني أحاول أن أمني عليها ما يجب عليها فعله، ولكن ما زال يمكنني حمايتها من هذا». تمنى لو أنها في الديار في (إيموندز فيلد)، ولكن كل هذا قد تلاشى منذ اليوم الذي جاءت فيه (مويرين) إلى (النهرين). «حتى لو أن هذا يعني أنها ستصير واحدة من (الآيز سيدي)!». لمح من طرف عينه (لان) يرفع حاجبيه، فاحمر وجهه خجلاً.

«هذا هو السبب فحسب؟ تريد أن تقضي أكبر وقت مع أصدقائك قبل رحيلهم، لهذا تؤجل رحيلك؟ أنت تعرف السبب الذي يدفعك للرحيل».

نهض (راند) واقفاً في غضب وقال: «حسناً، إنها (مويرين)! لم أكن لآتي إلى هنا لولاها، وهي لا ترغب حتى في الحديث معي».

قال (لان) ببساطة: «كنتم جميعاً لتصيروا موتى لولاها أيها الراعي».

ولكن (راند) اندفع قائلاً: «لقد أخبرتني... أخبرتني بأشياء فظيعة عن نفسي». ابيضت مفاصل أصابعه على مقبض سيفه. «أنني سأصاب بالجنون وسأموت. (وفجأة ترفض الحديث معي، إنها تتصرف وكأنني لست مختلفاً عن اليوم الذي وجدتني فيه، وهذا يبدو خاطئاً أيضاً». «تريد منها أن تعاملك وفقاً لحقيقتك؟».

«لا، لم أقصد هذا. بحق (النور)، لا أعرف حتى ما أقصده معظم الوقت. لا أريد هذا، وأنا خائف من الآخرين. الآن ستذهب إلى مكان ما، وتختفي...».

«قلت لك إنها أحيانًا تحتاج لأن تكون وحدها. ليس من حقك - أو من حق أي شخص آخر - أن تشكك في تصرفاتها».

«... دون أن تخبر أي شخص أين ستذهب أو متى ستعود أو حتى إن كانت ستعود. لا شك أنها قادرة على إخباري بشيء يساعدني يا (لان)، أي شيء، لا شك في هذا. هذا إن كانت ستعود».

«لقد عادت أيها الراعي، الليلة الماضية. ولكنني أعتقد أنها قد أخبرتك بكل ما يمكنها إخبارك به، فلترض بهذا، لقد تعلمت ما يمكنك أن تتعلمه منها». هز (لان) رأسه وصار صوته حادًا وهو يقول: «أنت بالتأكيد لن تتعلم أي شيء بالوقوف هكذا، حان وقت القليل من التدريب على التوازن. استخدم تشكيلة (شق الحرير)، بدءًا من (خوض البلشون في القصب). تذكر أن تشكيلة البلشون تُستخدم فقط للتدريب على التوازن. إن عدم استخدام التشكيلات يجعلك عرضة للهجوم، يمكنك أن تبادر بالهجوم، ولكن إن انتظرت أن يهجم خصمك أولاً فلن تكون قادرًا على تفادي نصله».

«لا شك أنها قادرة على أن تخبرني بشيء ما يا (لان). تلك الرياح لم تكن طبيعية، ولا يهمني مدى قربنا من (البلاء)».

«(خوض البلشون في القصب) أيها الراعي، وانتبه إلى معصميك».

تعالى من الجنوب نفير أبواق خافت، ثم بدأ صوت الأبواق يزداد ارتفاعًا مع اقترابه مصحوبًا بقرع الطبول. للحظة حدق (راند) و(لان) أحدهما إلى الآخر، ثم جذبها صوت الطبول إلى سور البرج ليحدثا باتجاه الجنوب.

كانت المدينة مقامة على تلال عالية، والأرض المحيطة بأسوار المدينة قد نُزعت أشجارها لمسافة ميل من كل الاتجاهات والحصن يغطي أعلى التلال. من أعلى البرج كان (راند) قادرًا على أن ينظر إلى الغابة من فوق المداخل وأسطح البيوت. ظهر قارعو الطبول أولاً من بين الأشجار، عشرات منهم، يخطون مع إيقاعهم الخاص وهم يدقون بالمطارق الخشبية. ثم جاء نافخو الأبواق وهم يرفعون أبواقًا طويلة لامعة. في الأفق كان (راند) لا يزال غير قادر على تمييز الراية الضخمة المربعة التي تخفق في الرياح من ورائهم. ولكن (لان) تنهد، فقد كان (للحامي) عينان كعُقاب الثلج.

نظر إليه (راند)، ولكن (الحامي) لم يقل شيئًا، وعينه مركزتان على الطابور الذي يبرز من الغابة. خرج من بين الأشجار رجال مدرعون يمتطون خيولًا ونساء على صهوة أحصنة أيضًا. ثم هودج يحملة حصانان، واحد في الأمام وآخر في الخلف، وقد أسدلت ستائره، ثم المزيد من الرجال على صهوة أحصنة. صفوف من المشاة يرفعون حرابًا كأشواك طويلة، ورماء أسهم يعلقون أقواسهم على صدورهم، وجميعهم يخطون مع قرع الطبول. تعالى نفير الأبواق مرة أخرى، وكأفعى مغنية شق الطابور طريقه ناحية (فال دارا).

خفقت الراية في الرياح، أطول من الرجال، وتمتد مباشرة بشكل جانبي، كانت ضخمة الحجم وقد صارت قريبة بما يكفي لأن يراها (راند) بوضوح. دوامات من الألوان لا تعني له شيئاً، ولكن في منتصفها شكل على هيئة دمة بيضاء نقية. احتبست أنفاسه في حلقة، (شعلة تار فالون). قال (لان) وقد بدا شاردًا: «(إنجتار) معهم، لقد عاد من صيده أخيرًا. لقد غاب طويلاً بما يكفي، أتساءل إن كان الحظ قد حاله؟».

عندما استطاع (راند) أن يتحدث أخيرًا همس قائلًا: «(الآيز سيداي)». كل هؤلاء النسوة هناك... إن (مويرين) (آيز سيداي) بالفعل، ولكنه سافر معها، وإن لم يكن يثق بها تمامًا فإنه على الأقل يعرفها، أو خيّل إليه أنه يعرفها. الكثير من (الآيز سيداي) معًا، ومحيّهن بهذه الطريقة هو أمر مختلف تمامًا. تنحنح ثم تحدث قائلًا بصوت مبحوح: «لم هذا العدد الكبير يا (لان)؟ ولم يأتي أي منهن على الإطلاق؟ وبطبول وأبواق وراية تعلن عن محيّهن».

يحظى (الآيز سيداي) بالاحترام في (شايانار)، على الأقل من معظم الناس، والباقيون يحترمونهم خوفًا منهن. ولكن (راند) ذهب إلى أماكن كان فيها الأمر مختلفًا، حيث يوجد فيها الخوف فحسب، وأحيانًا أخرى الكراهية. في المكان الذي نشأ فيه كان بعض الرجال - على الأقل - يتحدثون عن «ساحرات (تار فالون)» كما قد يتحدثون عن (سيد الظلام). حاول أن يحصي عدد النساء، ولكنهن لم يحافظن على أي ترتيب أو نظام، فيتحركن بخيولهن في الأرجاء للتحدث مع بعضهن بعضًا، أو مع الشخص الموجود في الهودج. اجتاحت جسده القشعريرة، لقد سافر مع (مويرين) والتقى (آيز سيداي) أخريات وبدأ يعتقد نفسه خبيرًا بشئون الحياة. لا أحد يغادر (النهرين) - إلا نادرًا - ولكنه قد غادر. وقد رأى أشياء لم يرها أحد في (النهرين)، وفعل أشياء يحلمون بها فقط، هذا إن كانوا قد حلموا بها. لقد رأى ملكة، وورثة عرش (أندور)، وواجه (الميردرال)، وسافر عبر (الطرق)، ولا شيء من هذا قد أعده لهذه اللحظة. همس مرة أخرى: «لم هذا العدد الكبير؟».

نظر إليه (لان) وكان التعبير المرتسم على وجهه جامدًا كالصخر ثم قال: «لقد جاءت (عرش أميرلين) بنفسها، لقد انتهت دروسك يا راعي الغنم». ثم صمت وخيّل لراند أن هناك تعاطفًا مرتسمًا على وجهه، هذا مستحيل بالطبع. «كان من الأفضل لك أن ترحل قبل أسبوع مضى». وما إن قال (الحامي) هذا حتى انتزع قميصه واختفى عبر السلم هابطًا البرج.

حرك (راند) لسانه في فمه محاولاً أن يبلله بالقليل من اللعاب، ثم حلق إلى الطابور المقرب من (فال دارا) كأنه ثعبان حقًا، أفعى مميتة. تردد دوي الطبول والأبواق عاليًا في أذنيه، (عرش أميرلين) التي تأمر (الآيز سيداي). لقد جاءت بسبي. لم يستطع أن يفكر في أي سبب آخر.

إنهم يعرفن أشياء، وهذه المعرفة قد تساعد، كان متيقنًا من هذا، ولكنه لا يجزؤ على سؤال أي منهن. كان خائفًا من أنهن قد جئن لترقيقه، واعترف على مضض أنه خائف من أنهن قد لا يفعلن هذا أيضًا. بحق

(النور)، لا أعرف أي الاحتمالين يخيفني أكثر.

همس قائلاً: «لم أقصد تسخير (القوة الواحدة)، لقد كان حادثاً! بحق (النور)، لا أريد أن يكون لي أي علاقة بها، أقسم أنني لن ألمسها مرة أخرى! أقسم بهذا!«.

جفل عندما أدرك أن (الآيز سيداي) يدخلن من بوابة المدينة. هبت الرياح بشدة لتبرد حبات عرقه فصارت كأنها قطرات من الجليد، وجعلت نفير البوق يبدو كضحكة ماكرة. خُيِّل إليه أن الهواء معبق برائحة قبر مفتوح. سيكون قبري إن واصلت الوقوف هنا.

أمسك بقميصه وأسرع هابطاً السلم ثم بدأ في الركض.

الفصل الثاني

الترحيب

كانت قاعات حصن (فال دارا) المزينة جدرانها الصخرية الملساء ببعض المفروشات البسيطة واللوحات الملونة تضج بأخبار وصول (عرش أميرلين) الوشيك. كان الخدم الذين يرتدون الملابس السوداء والذهبية يسرعون لتأدية مهامهم ويركضون لتجهيز الغرف، أو يحملون الأوامر إلى المطابخ، وهم يتذمرون بأنهم لا يستطيعون تجهيز كل شيء من أجل هذه الشخصية العظيمة، لأنهم لم يتلقوا أي تنبيه. لم يركض الجنود - حليقو الرأس باستثناء عقدة مربوطة بحبل جلدي - ولكن كانت خطواتهم مسرعة ووجوههم متهللة بحماس لا يظهر عادة إلا في المعارك. تحدث بعض الرجال بينما (راند) يسرع من جوارهم.

«آه، ها أنت ذا يا (راند أثور)، فليبارك (السلام) سيفك. هل أنت في طريقك للاغتسال؟ سيكون عليك أن تظهر في أفضل حلة عند تقديمك إلى (عرش أميرلين)، سترغب في رؤيتك أنت وصديقك، وكذلك المرأتين، يمكنك أن تراهن على هذا».

هرول ناحية السلام العريضة بما يكفي لأن يخطو عليها عشرون رجلاً جنباً إلى جنب، التي تؤدي إلى مساكن الرجال.

«(الأميرلين) بنفسها تأتي دون سابق إنذار كأنها هي بائع جائل، لا شك أن هذا بسبب (مويرين سيدي) وبسببكم أيها الجنوبيون، أليس كذلك؟ لا يوجد أي سبب آخر».

كانت أبواب المساكن العريضة المعززة بالحديد مفتوحة وتكتظ بالرجال ذوي العقد الذين يثرثرون بشأن وصول (الأميرلين).

«مرحى أيها الجنوبي! (الأميرلين) هنا، أفترض أنها قد جاءت من أجلك أنت وأصدقائك. بحق (السلام)! يا له من شرف أسبغ عليك. إنها نادراً ما تغادر (تار قالون)، وحسباً أتذكر فإنها لم تأت قط إلى (البلاد الحدودية)».

لم يكن يجيبهم بأكثر من كلمات مقتضبة، يجب عليه أن يغتسل وأن يجد قميصاً نظيفاً، لا وقت للحديث. ظنوا أنهم قد فهموا الأمر، وأفسحوا له الطريق، لا أحد منهم يعرف شيئاً باستثناء أنه وأصدقائه يسافرون بصحبة واحدة من (الآيز سيدي)، وأن اثنين من أصدقائه امرأتان ذاهبتان إلى (تار قالون) للتدرب على فنون (الآيز سيدي)، ولكن كلماتهم كانت تطعنه كأنهم يعرفون كل شيء. لقد جاءت من أجلي.

اندفع عبر مساكن الرجال، مسرعاً ناحية الغرفة التي يشاركها مع (مات) و(بيرين)... ثم تجمد، وفغراه في دهشة. كانت الغرفة مليئة بنسوة يرتدين الأسود والذهبي، جميعهن يؤدين مهام يعرفنها جيداً. لم تكن غرفة كبيرة، ونوافذها عبارة عن فتحات ضيقة طويلة مخصصة لرمي الأسهم تطل على الباحات الداخلية، مما لم يساهم في جعل الغرفة تبدو أكثر اتساعاً. كانت الغرفة مزدحمة بثلاثة أسيرة على منصات من بلاط

باللونين الأسود والأبيض، ولكل سرير صندوق، وثلاثة كراسي بسيطة، ومغسلة بجانب الباب، وخزانة ثياب مرتفعة وعريضة. بدت النسوة الثمانية في الغرفة كأسماء في سلة.

لم تلقِ النسوة عليه أكثر من نظرة عابرة، وشرعن على الفور في إخراج ملابسهن - وملابس (مات) و(بيرين) - من الخزانة واستبدلها بملابس جديدة. أي شيء يجدهن في الجيوب كن يضعنه فوق الصناديق، والملابس القديمة تحزم بلا اكتراث كأنها هي أسماهن بالية.

سألهن بعد أن التقط أنفاسهن: «ما الذي تفعلنه؟ هذه ملابسهن».

تشممت امرأة معطفه الوحيد ثم مررت إصبعها عبر فتق في كمه، قبل أن تضيفه إلى الكومة على الأرض. نظرت إليه امرأة أخرى ذات شعر أسود وتحمل حلقة مفاتيح كبيرة على خصرها، هذه هي (إيلانسو)، شاتايان الحصن. كان ينظر إلى المرأة ذات القسمات الحادة باعتبارها مدبرة منزل، رغم أن المنزل الذي تعتني به هو حصن، ويأتمر بأوامرها أعداد كبيرة من الخدم.

«قالت (مويرين سيداي) إن كل ملابسكم قد بلت، والسيدة (أماليسا) قد منحتكم ملابس جديدة». ثم أضافت بحزم: «فقط ابتعد عن طريقنا، وسننتهي بشكل أسرع». كان هناك عدد قليل من الرجال لا يمكن للشاتايان أن تتنمر عليهم ليفعلوا ما تريد - يقول البعض إنه حتى اللورد (أجيلمار) نفسه يفعل ما تريد - وكان من الواضح أنها لم تتوقع أي متاعب مع شاب صغير بما يكفي لأن يكون في عمر ابنها.

تراجع عما كان على وشك أن يقوله، لا يوجد وقت للجدال، قد تُرسل (عرش أميرلين) في طلبه في أي لحظة. استطاع أن يقول بالطريقة الشاينارية: «الشرف للسيدة (أماليسا) من أجل هديتها، والشرف لك يا (إيلانسو شاتايان). أرجوك انقلي كلماتي إلى السيدة (أماليسا)، وأخبريها أنني قلت قلبي وروحي يخدماها». يجب أن يكون هذا كافيًا لإرضاء حب الرسميات الشايناري في نفس المرأتين. «ولكن الآن إذا سمحت لي فإنني أريد أن أبدل ثيابي».

قالت (إيلانسو) بارتياح: «لا بأس بهذا». قالت (مويرين سيداي) إن علينا إزالة كل الثياب القديمة، كل الثياب المرقعة، والثياب التي ضاقت أيضًا. نظرت إليه العديد من النسوة نظرات جانبية، ولكن أيًا منهن لم تتحرك ناحية الباب.

عض على وجنته ليمنع نفسه من الضحك بشكل هستيري، الكثير من التقاليد في (شاينار) مختلفة عما اعتاد عليه، وبعضها لن يعتاد عليه حتى لو عاش هنا إلى الأبد. كان معتادًا على الاستحمام في الساعات الأولى من الصباح، عندما تكون البرك الكبيرة المبلطة خالية من النساء، بعدما اكتشف أنه في أي لحظة قد تشاركه امرأة الاستحمام. يمكن أن تكون خادمة للسيدة (أماليسا)، أو أخت اللورد (أجيلمار) نفسها. إن الحمامات هي المكان الوحيد في (شاينار) الذي لا يوجد فيه أي فوارق بين الطبقات، وقد تتوقع منه أن يفرك ظهرها مقابل أن تسدي له نفس الخدمة، ثم تسأله عن سبب احمرار وجهه إلى هذا الحد؛ هل ظل في الشمس

لوقت أطول من اللازم؟ سرعان ما عرفوا حقيقة احمرار وجهه بهذه الطريقة، ولم يعد هناك امرأة في الحصن لا تبدو مفتونة بهذا.

قد أكون ميتاً أو ما هو أسوأ في غضون ساعة، وهن ينتظرن ليرين وجهي يحمر خجلاً! تنحنح وقال: «إن انتظرتن في الخارج فسأمرر لكن بقية الملابس. أقسم بشرفي».

ضحكت إحدى النسوة ضحكة خافتة، وحتى شفتا (إيلانسو) ارتعشتا، ولكن الشاتايان أومأت برأسها وأمرت النسوة الأخريات بجمع الحزم التي حزمها. كانت آخر من يرحل، وقد توقفت عند الباب لتضيف: «والأحذية أيضاً؛ لقد قالت (مويرين سيدي) كل شيء».

فتح فمه، ثم أغلقه مرة أخرى. إن حذائه على الأقل لا يزال في حالة جيدة، فقد صنعه (ألوين ألقان)، الإسكافي في (إيموندز فيلد)، وكان ليناً ومريحاً. ولكن إن كان التخلي عن حذائه سيجعل الشاتايان تتركه وشأنه فإنه سيتخلى عن حذائه وأي شيء آخر تريده، ليس لديه وقت ليضيعه. «أجل، أجل بالطبع، أقسم بشرفي». ثم دفع الباب ليجبرها على الخروج.

ما إن صار وحيداً حتى ارتمى على فراشه وخلع حذائه الذي لا يزال جيداً. إنه مهترئ بعض الشيء، والجلد متشقق هنا وهناك، ولكنه لا يزال صالحاً للارتداء، وليناً بشكل يناسب قدميه. ثم على الفور انتزع ثيابه وكوم كل شيء فوق الحذاء واغتسل في الحوض بنفس السرعة. كانت المياه باردة، دوماً ما تكون باردة في مساكن الرجال.

كان لخزانة الملابس ثلاثة أبواب عريضة منقوشة ببساطة على الطراز الشايناري، مظهرة سلسلة من الشلالات والبرك الصخرية. فتح الباب الأوسط وحقق للحظة إلى ما حل محل الثياب التي جلبها معه؛ دزينة من المعاطف ذات الياقة العالية من أجود أنواع الصوف، لم يرَ أحداً يرتدي شيء بهذه الفخامة إلا تاجرًا أو سيداً نبيلًا، ومعظمها مزخرفة كثياب العيد، دزينة منها!

ثلاثة قمصان لكل معطف، من الكتان والحرير، بأكمام واسعة وأساور ضيقة. كان هناك عباءتان رغم أنه لم يكن بحاجة لأكثر من عباءة واحدة طويلة حياته. إحدى العباءتين كانت بسيطة من الصوف المتين، ولها لون أخضر داكن، والأخرى زرقاء داكنة مع ياقة منتصبة مطرزة بالذهب وطيور البلشون... أما على الجانب الأيسر من الصدر حيث سيضع أي لورد علامته...

امتدت يده إلى العباءة من تلقاء نفسها، ولامست أصابعه خياطة أفعوان ملتف على نفسه في دائرة تقريبًا، ولكنه أفعوان بأربع أرجل، ولبدة أسد ذهبية، بحراشف قرمزية وذهبية، ولكل قدم أربعة مخالب ذهبية. ارتدت يده إلى الوراء كأنها قد احترقت. فليساعدني (النور)! من أمر بصنع هذه، (أماليسا) أم (مويرين)? كم عدد من رأوها? كم عدد من يعرفون ما تكون أو ما الذي تعنيه? حتى لو عرف شخص واحد فهذا كثير للغاية. بحق (النور)! إنها تحاول أن تجعلني أقتل. (مويرين) ترفض حتى الحديث معي، ولكنها الآن تمنحني ملابس جديدة فخمة لأموت فيها!

انتنفص عندما سمع صوت طرقات على الباب.

جاء صوت (إيلانسو) تقول: «هل انتهيت؟ امنحني كل ثيابك الآن، ربما من الأفضل أن...». تعالى صوت صرير كأنها تحاول تحريك المقبض لفتح الباب.

جفل (راند) عندما أدرك أنه لا يزال عاريًا، فصاح: «لقد انتهيت. بحق (السلام)! لا تدخل!». أسرع لجمع ما كان يرتديه؛ الحذاء وكل شيء. ثم قال: «سأجلبها لك!». ثم اختبأ وراء الباب وفتحها بها يكفي لأن يدفع بالحزمة بين ذراعي الشاتايان وقال: «هذا كل شيء».

حاولت أن تحتلس النظر عبر الفتحة وقالت: «هل أنت واثق؟ قالت (مويرين سيداي) كل شيء. ربما من الأفضل أن أنظر فحسب...».

زجر قائلاً: «هذا كل شيء، أقسم بشرفي!». دفع الباب بكتفه ليغلقه في وجهها، فسمع ضحكات من على الجانب الآخر.

راح يغمغم بصوت خافت وهو يرتدي ثيابه في عجالة. لن يندهش لمحاولة أي منهن اقتحام الغرفة على أي حال. كان السروال الرمادي ضيقاً أكثر مما اعتاد عليه، ولكنه لا يزال مريحاً، والقميص بكميه المتفخين كان أبيض بما يكفي لإرضاء أي زوجة صالحة في (إيموندز فيلد) في يوم غسل الثياب. كان الحذاء الذي يصل إلى ركبتيه يناسب قدميه كأنه قد ارتداه لمدة عام، فتمنى أن يكون هذا لأن صانعه إسكافي بارع وليس لأنه شيء آخر من صنيع (الآيز سيداي).

إن حزم هذا القدر الكبير من الملابس سيصنع حزمة ضخمة بطول جسده تقريباً، ولكنه قد اعتاد من جديد ارتداء القمصان النظيفة المريحة، وألا يرتدي السروال نفسه يوماً تلو الآخر، حتى يجعله العرق والوسخ يابساً كحذائه، ويظل يرتديه مع ذلك. أخرج أكياس سرجه من صندوقه، ووضع بداخلها كل ما يستطيع، ثم على مضض بسط العباءة الفاخرة على فراشه وكوم عليها المزيد من القمصان والسراويل. حرص وهو يطويها على أن يكون الشعار الخطير بالداخل، ثم عقدها بحبل به حلقة لكي يتمكن من تعليقها على كتفه. لم تكن مختلفة كثيراً عن الحزم التي كان يرى الشباب الآخرين يحملونها على الطريق. تردد نفير أبواق عبر فتحات الأسهم الضيقة بغرفته، فأجابته أبواق من داخل الأسوار، وأبواق من أبراج الحصن.

تمتم قائلاً: «سأنتزع خياطة الشعار عندما تتاح لي الفرصة». لقد رأى النسوة ينتزعن تطريزاً عندما يرتكبن خطأً أو يغيرن رأيهن بشأن النمط، ولم يبدُ الأمر صعباً.

أعاد بقية الملابس - معظمها في الواقع - إلى الخزانة. لا داعي لأن يترك دليلاً على هربه يراه أول شخص يطل برأسه داخل الغرفة بعد رحيله.

كانت المنصات التي تستقر عليها الأسرة عبارة عن مواقد يمكنها إشعال نار صغيرة طيلة الليل لكي تبقي السرير دافئاً أثناء أبرد الليالي في شتاء (شاينار). كانت الليالي لا تزال أكثر برودة مما اعتاد عليه في هذا الوقت

من العام، ولكن البطانيات كانت كافية لتدفعته في الوقت الحالي. فتح باب الموقد وأخرج حزمة لا يمكنه أن يتركها وراءه، كان سعيد لأن (إيلانسو) لم تعتقد أن أحداً قد يحتفظ بملابس هناك.

وضح الحزمة فوق البطانيات وفك أحد طرفيها وفتحها جزئياً. كانت عباءة صانع بهجة، مقلوبة لإخفاء مئات الرقع التي تغطيها، رقع من كل حجم ولون يمكن تخيله. كانت العباءة نفسها سليمة بما فيه الكفاية، فالرقع هي شارة صانع بهجة، أو كانت شارة صانع بهجة.

بالداخل كان هناك حقيقتان من الجلد الصلب، الكبرى بها قيثارة لم يلمسها قط، فلم تكن القيثارة مخصصة للأصابع الخرقاء لمزارع شاب. الأخرى طويلة ورفيعة وتحتوي على مزمار مطعم بالذهب والفضة قد استخدمه ليحصل على عشاء وفراش أكثر من مرة منذ أن غادر الديار. لقد علمه (توم ميريلين) كيف يعزف على المزمار، قبل أن يموت صانع البهجة. في كل مرة يلمسه (راند) يتذكر (توم)، بعينه الزرقاوين الحادتين وشاربه الأبيض الطويل، وهو يدفع العباءة المحزومة بين يديه ويصرخ فيه أن يهرب. ثم يركض (توم) وتظهر السكاكين بشكل سحري بين يديه كأنها يستعرض، ليواجه (الميردرال) الذي جاء لقتلهم.

ارتجف وهو يعيد ربط الحزمة. «لقد انتهى كل هذا». فكر في الرياح التي كانت على قمة البرج وأضاف: «أشياء غريبة تحدث عندما تكون بهذا القرب من (البلاء)». لم يكن واثقاً إن كان يصدق هذا أم لا، ليس بالطريقة التي عناها (لان). على أي حال حتى من دون مجيء (عرش أميرلين) فقد حان الوقت ليرحل عن (فال دارا).

ارتدى المعطف الذي لم يحزمه، كان بلون أخضر داكن، مما جعله يفكر في الغابات بالديار؛ مزرعة (تام) بالغابة الغربية حيث ترعرع، وغابة الماء حيث تعلم السباحة. ثم علّق السيف الذي يحمل علامة البلشون على خصره، والجعبة المليئة بالسهام على الجانب الآخر. كان قوسه منزوع الوتر موضوعاً في ركن الغرفة مع قوسي (مات) و(بيرين)، والقوس أطول منه بمقدار قبضتين. لقد صنعه بنفسه منذ مجيئه إلى (فال دارا)، ولا أحد يستطيع جذب وتره عداه سوى (لان) و(بيرين). حشا لفافة بطانياته وعباءته الجديدة عبر الحلقات الموجودة في حزمته، ثم علقها على كتفه الأيسر وألقى بأكياس سرجه على الحبال وأمسك بالقوس. لم يعلق شيئاً على ذراعه التي يستخدمها في القتال بالسيف، هذا سيجعلهم يعتقدون أنني خطير، ربما شخص ما سيعتقد هذا.

وارب الباب ليكشف عن الردهة شبه الفارغة. اندفع خادم واحد بثيابه المميزة من جواره، ولكنه لم يلق ولو نظرة عابرة ناحية (راند). ما إن تلاشت خطوات الخادم المسرعة حتى خرج (راند) إلى الممر.

حاول أن يمشي بشكل طبيعي ببساطة، ولكن مع أكياس السرج على كتفه والحزم على صدره عرف أنه يبدو على حقيقته، رجل خارج إلى رحلة ولا ينوي العودة. تعالى نفير الأبواق مرة أخرى، وبدا صوتها خافتاً هنا داخل الحصن.

إن لديه حصان طويل القامة في الإسطبل الشمالي الذي يسمى (إسطل اللورد) بالقرب من البوابة الصغيرة التي يستخدمها اللورد (أجيلمار) عندما يذهب لركوب الخيل. لن يخرج لورد (فال دارا) أو أحد

من عائلته لركوب الخيل اليوم، لذا فعلى الأرجح سيكون الإسطبل خاليًا إلا من عمال الإسطبل. كان هناك طريقان للوصول إلى إسطبل اللورد من غرفة (راند)؛ الطريق الأول سيجعله يلتف من حول الحصن من وراء حديقة اللورد (أجيلمار) الخاصة، ثم عبر الجانب البعيد ومن خلال ورشة صانع حدوات الخيول التي لا شك أنها ستكون فارغة بدورها، ثم إلى باحة الإسطبل. سيكون هناك وقت كافٍ لإصدار الأوامر لبدء البحث قبل أن يصل إلى حصانه. الطريق الثاني أقصر بكثير، أولاً عبر الباحة الخارجية حيث ستصل (عرش أميرلين) الآن بصحبة دزينة من (الآيز سيدي) أو أكثر.

اقشعر بدنه مع هذه الفكرة، لقد تعامل مع ما يكفي من (الآيز سيدي) لما تبقى من حياته، إن واحدة منهن أكثر من اللازم. كل الحكايات تقول هذا، وقد عرفه على وجه اليقين، لكنه لم يتفاجأ عندما أخذته قدماه ناحية الباحة الخارجية، لن يرى أبداً (تارقالون) الأسطورية، فهو لن يتحمل هذه المخاطرة الآن أو في أي وقت آخر، ولكنه قد يلمح (عرش أميرلين) قبل رحيله. هذا سيكون أشبه برؤية ملكة. لا يمكن أن يكون هناك أي شيء خطير في مجرد نظرة من مسافة بعيدة. ساستمر في الحركة وسأرحل قبل حتى أن تعرف أنني هناك.

فتح باباً ثقيلاً مدعماً بالحديد يؤدي إلى الباحة الخارجية وخطاً خارجاً في صمت. كان هناك أشخاص يتجولون في ممشى الحراسة فوق كل سور، جنود تعلو رؤوسهم عقد الشعر، وخدم بالثياب الرسمية، وعمال لا يزالون في أوساخهم. جميعهم محتشدون كتفاً إلى كتف، والأطفال جالسون على أكتافهم لينظروا من فوق رؤوس الكبار، أو يضغطون بأجسادهم للنظر من بين الخصور والركب. كل شرفة لرماة الأسهم كانت مكتظة كبرميل من التفاح، وظهرت الوجوه حتى في الفتحات الضيقة بالجدران. كان هناك حشد كثيف من البشر يحيط بالباحة مثل سور آخر، وجميعهم يراقبون وينتظرون في صمت.

كان قادراً بسهولة على أن يرى من فوق رؤوس معظمهم بما يكفي لأن يميز بوضوح ما يحدث في الساحة. أمام البوابة الرئيسية كان هناك صف من الرجال يقفون إلى جانب خيولهم؛ أربعة عشر منهم. لم يكن اثنان منهم يرتديان الدروع نفسها أو يحملان السيف نفسه. ولم يكن أي منهم يشبه (لان)، ولكن لم يراود (راند) أدنى شك في أنهم (حماة). وجوه دائرية ووجوه مربعة ووجوه طويلة ووجوه نحيلة، جميعها تحمل النظرة ذاتها، كأنهم يرون أشياء لا يمكن للرجال الآخرين أن يروها، ويسمعون أشياء لا يمكن للرجال الآخرين أن يسمعوها. رغم وقوفهم باسترخاء فإنهم بدوا خطيرين كقطيع من الذئاب. كان هناك شيء واحد آخر متشابه فيما بينهم؛ جميعهم يرتدون العباءات ذات الألوان المتغيرة التي رآها لأول مرة على (لان)، العباءات التي غالباً ما تبدو وكأنها تتلاشى في أي خلفية وراءهم. لم يكن من السهل رؤية عديد من الرجال يرتدون مثل هذه العباءات، بل كان أمراً مثيراً للدوار.

أمام (الحماة) بقرابة عشر خطوات يقف صف من النسوة إلى جانب خيولهن وقد أزحن أغطية الرأس بعباءاتهن. صار قادراً على إحصاء عددهن؛ أربع عشرة، أربع عشرة من (الآيز سيدي)، لا شك أنهم كذلك، طويلات وقصيرات، نحيفات وممتلئات، ببشرة فاتحة وداكنة، بشعر قصير أو طويل ينسدل على

ظهورهن أو في جدائل، وملابسهن متباينة كملابس (الحماة)، بكثير من الأشكال والألوان بعدد النساء. ومع ذلك كان هناك شيء مشترك بينهن أيضًا، شيء لا يكون واضحًا إلا عندما يقفن إلى جانب بعضهن بعضًا هكذا. كان من الصعب تحديد أعمارهن، من بعيد قد تعتقد أنهن شابات، ولكن عن قرب ستعرف أنهن مثل (مويرين)، يبدن شابات ومع ذلك هن لسن كذلك، ببشرة ناعمة، ولكن بوجوه ناضجة للغاية على أن تكون شابة، وبأعين تعرف الكثير.

عن قرب؟ أيها الأحمق! أنا قريب للغاية بالفعل! بحق (النور)، كان يجب أن أكون قد قطعت شوطًا طويلًا بعيدًا عن هنا. واصل المضي ناحية هدفه؛ باب آخر مدعم بالحديد في أقصى نهاية الباحة، ولكنه لم يستطع أن يتوقف عن النظر.

في هدوء تجاهل (الآيز سيدي) كل المتفرجين وركزن انتباههن على الهودج المسدلة ستائره، الذي صار في منتصف الباحة. كانت الخيول تقف هادئة كما لو أن الساسة يمسكون بأجتمتها، ولكن لم يكن هناك سوى امرأة واحدة طويلة بجانب الهودج، وجهها وجه (آيز سيدي)، ولم تعر الخيل انتباهًا. كانت العصا التي ترفعها أمامها بكلتا يديها بنفس طولها والشعلة المطلية بالذهب التي تتوج العصا تعلو فوق عينيها.

كان اللورد (أجيلمار) يقف في الطرف الآخر من الباحة مواجهًا الهودج، ولا يمكن قراءة التعبير المرتسم على وجهه. كان معطفه ذو الياقة العالية واللون الأزرق الداكن يحمل علامة الثعالب الثلاثة الراكضة التي تميز عائلة (چاجاد)، وكذلك علامة الصقر الأسود المنقض الخاصة (بشائنا). إلى جانبه (رونان) بوجه متغضن بفعل العمر ولكنه لا يزال طويل القامة، ويوجد ثلاثة ثعالب حمراء منحوتة من الآفاتين أعلى العصا الطويلة التي يحملها الشامبايان. إن (رونان) نظير (إيلانسو) في تدبير شئون الحصن، شامبايان وشتايتان، ولكن (إيلانسو) لا تترك له أكثر من المراسم الاحتفالية والعمل سكرتيرًا للورد (أجيلمار). كانت كلا عقدتي الرجلين بيضاء كالثلج.

جميعهم - (الحماة) و(الآيز سيدي) ولورد (فال دارا) والشامبايان التابع له - يقفون ساكنين كالحجر. بدا أن الحشود المتفرجة تحبس أنفاسها، ورغماً عنه أبطأ (رانند) من حركته.

فجأة ضرب (رونان) بعصاه بصوت عالٍ ثلاث مرات على أحجار الرصف العريضة وهو يكسر السكون بندائه: «من جاء إلى هنا؟ من جاء إلى هنا؟ من جاء إلى هنا؟».

ضربت المرأة الواقفة إلى جانب الهودج بعصاها ثلاث مرات وأجابت: «مراقبة الأختام. (شعلة تار فالون). (عرش أميرلين)».

سألها (رونان): «لم يجب أن نراقب؟».

أجابته المرأة الطويلة: «من أجل أمل البشرية».

«ضد أي شيء نحرس؟».

«الظل في الظهيرة».

«إلى متى يجب أن نحرس؟».

«من شروق الشمس إلى شروق الشمس، ما دامت (عجلة الزمن) تدور».

انحنى (أجيلمار) وخفقت عقدة الشعر التي تعلو رأسه في النسيم ثم قال: «(فال دارا) تقدم لكم الخبز والملح والترحاب. مرحبًا (بعرش أميرلين) في (فال دارا)، فهنا نراقب، وهنا نحفظ الميثاق. مرحبًا بكم».

جذبت المرأة الطويلة ستارة الهودج فخطت (عرش أميرلين) إلى الخارج، بشعر أسود، ولا يمكن تحديد عمرها ككل (الآيز سيداي)، ثم مررت عينيها على حشد المتفرجين وهي تنصب قامتها. اقشعر بدن (راند) عندما مر بصرها من عليه، وشعر كأنها قد لمستته، ولكن عينيها واصلتا الحركة حتى استقرتا على اللورد (أجيلمار). انحنى خادم بزيه الرسمي على ركبتة إلى جانبها، وهو يقدم لها صحيفة فضية عليها مناشف مطوية يتصاعد منها البخار. بوقار مسحت يديها وربتت على وجهها بقطعة قماش مبتلة، ثم قالت: «أقدم لك الشكر على ترحيبك يا بني، فليشرق (النور) على عائلة (چاجاد)، فليشرق على (فال دارا) وكل شعبها».

انحنى (أجيلمار) مرة أخرى ثم قال: «أنتِ تشرفيني أيتها الأم». لم يبدُ غريبًا أن تنعته بالابن أو ينعته بالأم، رغم أن المقارنة بين وجنتيها الناعميتين ووجهه الخشن تجعله يبدو أشبه بأب لها أو حتى جد. كان لها حضور يفوق حضوره. «عائلة (چاجاد) في خدمتك، (فال دارا) في خدمتك».

تعالت الصيحات من كل الجوانب، لترتد عن أسوار الحصن كأمواج متكسرة، ارتجف (راند) وهو يسرع ناحية الباب بحثًا عن الأمان، غير عابئ بمن يصطدم به في طريقه. إنها مخيلتك فحسب، إنها لا تعرف من أنت، ليس بعد، بحق الدماء والرماد إن كانت تعرف... لم يرغب في التفكير فيما سيحدث إن عرفت من يكون أو ماذا يكون، ماذا سيحدث عندما تكتشف أخيرًا. تساءل إن كان لها أي علاقة بالرياح التي هبت على قمة البرج، يمكن (للآيز سيداي) أن يفعلن أشياء كهذه. تنفس الصعداء عندما اندفع عبر الباب وأغلقه وراءه، ليكتم هدير (الترحيب) الذي لا يزال يرج الفناء.

كانت القاعات فارغة هنا كالقاعات الأخرى، فانطلق راكضًا. خرج عبر باحة أصغر حجمًا، في منتصفها نافورة يتناثر منها الماء، ثم عبر ممرًا آخر، وخرج إلى باحة الإسطبل المرصوفة بالحجارة. كان إسطبل اللورد المبني في سور الحصن طويلًا ومرتفعًا، بنوافذ كبيرة داخل الجدران، والأحصنة موضوعة في طابقين. كانت الورشة على الجانب الآخر من الباحة صامتة، فقد ذهب صانع الحدوات ومساعدوه لرؤية (الترحيب).

استقبله (تيا) رئيس الساسة ذو الوجه المتغضن عند الأبواب الواسعة بانحناءة عريضة وهو يلمس جبهته ثم قلبه قبل أن يقول: «الروح والقلب في خدمتك يا سيدي اللورد، كيف يمكن أن يخدمك (تيا) يا سيدي اللورد؟». لم يكن هناك عقدة محارب على رأسه، بل كان شعره مستقرًا على رأسه كوعاء رمادي مقلوب.

تنهد (راند) وقال: «للمرة المئة يا (تيا) أنا لست لوردًا».

«كما يشاء سيدي اللورد». كانت انحناءة السائس أكثر انخفاضًا هذه المرة.

كان اسمه هو سبب هذه المشكلة، فإن حرفي «أل» في اسمه (راند ألثور) يجعلان هناك شيء من التشابه مع اسم (ألان ماندراجوران). فوفقاً لعادات (مالكير) فإن اسم «أل» الملكي يجعل (لان) ملكياً، رغم أنه لم يستخدمه بنفسه قط. بالنسبة لراند فإن «أل» مجرد جزء من اسمه، رغم أنه سمع أنه ذات يوم، قبل وقت طويل، قبل أن يُطلق اسم (النهرين) على (النهرين)، كان يعني «ابن فلان». بالنسبة للخدم في حصن (فال دارا) فإنهم اعتبروه ملكاً أيضاً، أو على الأقل أميراً. وكل احتجاجه على هذا لم ينجح في تخفيض رتبته سوى للورد. على الأقل اعتقد هذا، فلم يسبق له أن رأى مثل هذا القدر من الانحناء والتبجيل حتى مع اللورد (أجيلمار).

«أريدك أن تسرج (ريد) يا (تيا)». كان يعرف أنه من الأفضل ألا يعرض فعل هذا بنفسه، لأن (تيا) لن يسمح (لراند) بتلويث يديه. «أفكر في قضاء بضعة أيام متجولاً في الريف المحيط بالمدينة». بمجرد أن يمتطي ظهر حصانه فسيصل إلى (نهر إيرينين)، أو يعبر الحدود إلى (آرافيل). لن يعيشوا عليّ أبداً حينها. انحنى السائس انحناء مضاعفة، ثم قال بهمس أجش دون أن يعتدل: «اغفر لي يا سيدي اللورد، (تيا) لا يستطيع أن يطيع أمرك».

احمر وجه (راند) في حرج، وتلفت حوله في قلق، لم يكن هناك أي شخص آخر على مرمى البصر، ثم أمسك بالرجل من كتفيه وجذبه ليعتدل واقفاً. ربما لا يمكنه أن يمنع (تيا) أو بعض الآخرين من التصرف بهذه الطريقة، ولكن يمكنه أن يحاول منع أي شخص آخر من رؤية هذا. «لم لا يا (تيا)؟ انظر إليّ يا (تيا) من فضلك. لم لا؟».

قال (تيا) وهو لا يزال يهمس: «إنها الأوامر يا سيدي اللورد». أبقى عينيه مطرقتين، ليس خوفاً، بل خجلاً لأنه لا يستطيع أن يفعل ما يطلبه (راند). إن الشاينارين ينظرون إلى الخجل كما قد ينظر شخص آخر إلى وسمه باللص. «لا يجب أن يغادر حصان هذا الإسطبل إلا بعد تغيير الأمر، ولا من أي إسطبل آخر في الحصن يا سيدي اللورد».

فتح (راند) فمه ليقول للرجل إنه لا بأس، ولكنه بدلاً من ذلك لعق شفتيه وقال: «ولا أي حصان من أي إسطبل؟».

«أجل يا سيدي اللورد. لم يأت الأمر إلا قبل وقت قصير، قبل لحظات فحسب». ازداد صوت (تيا) قوة وهو يقول: «كل البوابات مغلقة أيضاً يا سيدي اللورد، غير مسموح لأحد بالدخول أو الخروج دون تصريح، حتى دوريات المدينة. هكذا قيل (لتيا)».

ازدرد (راند) لعبابه، ولكن هذا لم يخفف من الغصة التي تخنق حلقه. «هل جاء هذا الأمر من اللورد (أجيلمار) يا (تيا)؟».

«بالطبع يا سيدي اللورد، ومن غيره؟ اللورد (أجيلمار) لم يتحدث إلى (تيا) بهذا الأمر بالطبع، ولا حتى إلى الرجل الذي تحدث إلى (تيا). ولكن من غيره يمكن أن يصدر أمراً كهذا في (فال دارا) يا سيدي

اللورد؟».

من غيره؟ جفل (راند) مع تردد دوي من أكبر جرس في برج الأجراس بالحصن، تلتته الأجراس الأخرى، ثم أجراس من البلدة.

قال السائس من فوق الأصداء: «إن كان (لتيا) أن يكون جريئًا فسأقول إن سيدي اللورد سعيد بلا شك».

كان على (راند) أن يصبح لكي يسمع الرجل: «سعيد؟ لماذا؟».

قال (تيا) وهو يشير إلى برج الأجراس: «لقد انتهى (الترحيب) يا سيدي اللورد، و(عرش أميرلين) سترسل في طلب سيدي اللورد وأصدقاء سيدي اللورد لكي يمثلوا أمامها الآن».

اندفع (راند) راكضًا، بالكاد رأى الدهشة على وجه (تيا) قبل أن يختفي، لن يهتم بما سيعتقده (تيا). سترسل في طلبي الآن.

الفصل الثالث

أصدقاء وأعداء

لم يبتعد (راند) كثيرًا، فما إن وصل إلى البوابة الصغيرة القريبة من الإسطبل حتى أبطأ من حركته قبل أن يصل هناك، محاولاً أن يبدو متمهلاً غير متعجل.

كانت البوابة المقوسة مغلقة بإحكام، وبالكاد تكفي لمرور رجلين جنباً إلى جنب، ولكنها مثل كل البوابات في السور الخارجي مغطاة بألواح عريضة من الحديد الأسود، ومغلقة بمزلاج سميك. كان هناك حارسان يقفان أمام البوابة، يرتدي كل منهما خوذة مخروطية بسيطة ودروع من ألواح معدنية وزرد، وعلى ظهره سيف طويل. كان معطفا الدروع الذهبيان منقوشاً عليهما الصقر الأسود على الصدر، كان يعرف أحدهما بشكل طفيف؛ (راجان). كان هناك ندبة من سهم (ترولوك) تصنع مثلثاً أبيض على وجنة (راجان) الداكنة وراء قضبان واقية الوجه. تهلل الوجه المتغضن بابتسامة عندما رأى (راند).

صاح (راجان) لكي يُسمع صوته من فوق الأجراس: «فليباركك (السلام) يا (راند أثور). هل تنوي ضرب الأرناب على رؤوسها، أم أنك ما زلت مصرّاً أن هذه الهراوة هي قوس». تحرك الحارس الآخر ليقف أمام البوابة بشكل مباشر.

قال (راند) وهو يقف أمامهما: «فليباركك (السلام) يا (راجان)». كان يبذل مجهوداً لكي يُبقي صوته هادئاً. «أنت تعرف أنه قوس، لقد رأيته أطلق السهام به من قبل».

قال الحارس الآخر بوجوم: «ليس جيداً من على صهوة حصان». تعرف عليه (راند) حينها، بعينه السوداوين الغائرتين، اللتين تبدوان وكأنهما لا ترمشان قط. كانتا تطلان من خوذته ككهفين بداخل كهف آخر. خمن أنه ليس هناك حظ أسوأ بالنسبة له من وقوف (ماسيا) لحراسة البوابة، ربما باستثناء واحدة من (الآيز سيداي الحمراءات). أضاف (ماسيا): «إنه طويل للغاية، يمكنني أن أطلق ثلاثة أسهم باستخدام قوس قصير من على صهوة حصان بينما تطلق أنت سهماً واحداً باستخدام هذا الشيء الضخم».

ابتسم (راند) ابتسامة مفتعلة، كما لو أنه يعتقد أنها مزحة. لم يسمع (ماسيا) يمزح من قبل، أو يضحك على مزحة. معظم الرجال في (فال دارا) يتقبلون (راند)، فهو يتدرب مع (لان)، ويأكل على طاولة اللورد (أجيلمار)، والأهم من كل هذا هو أنه وصل إلى (فال دارا) بصحبة (مويرين)؛ واحدة من (الآيز سيداي). بدا أن بعضهم غير قادر على نسيان كونه غريباً، وبالكاد يتبادلون معه كلمة أو اثنتين، و فقط إن اضطروا لهذا. كان (ماسيا) هو الأسوأ من بين كل هؤلاء.

قال (راند): «إنه جيد بما فيه الكفاية بالنسبة لي. بالحديث عن الأرناب يا (راجان)، ما رأيك في السماح لي بالخروج؟ لا يمكنني تحمل كل هذا الصخب والضجيج، من الأفضل أن أخرج لصيد الأرناب، حتى لو لم أر واحداً».

التفت (راجان) إلى رفيقه، فشعر (راند) بشيء من الأمل. إن (راجان) رجل لين العريكة، ويتناقض أسلوبه مع ندبته الكثيبة، ويبدو أنه يجب (راند). ولكن (ماسيا) كان يهز رأسه بالفعل، فتنهد (راجان) وقال: «لا يمكن السماح بهذا يا (راند أثور)». ثم أومأ بإيحاء طفيفة ناحية (ماسيا)، كأنها ليفسر الأمر. لو كان الأمر متوقفاً عليه وحده... «غير مسموح لأحد أن يغادر دون تصريح مكتوب. يؤسفني أنك لم تطلب هذا قبل بضع دقائق، لقد جاء الأمر للتو بوضع المزاليج على البوابات».

«ولكن لم قد يرغب اللورد (أجيلمار) في إبقائي بالداخل؟». كان (ماسيا) ينظر إلى الحزمتين على ظهر (راند) وأكياس سرجه، ولكن (راند) حاول أن يتجاهله وهو يكمل مخاطباً (راجان): «أنا ضيفه، وأقسم بشرفي أنني كنت قادراً على المغادرة في أي وقت خلال الأسابيع الماضية، فلم قد يصدر هذا الأمر من أجلي تحديداً؟ إنه أمر اللورد (أجيلمار)، أليس كذلك؟». رمش (ماسيا) بعينه لسماع هذا، وازداد انعقاد حاجبيه، وبدأ تقريباً كأنها قد نسي المتاع التي يحملها (راند).

ضحك (راجان) وقال: «ومن غيره يمكن أن يصدر أمراً كهذا يا (راند أثور)؟ بالطبع (أونو) هو من مرر الأمر لي، ولكن من غيره قد يصدر هذا الأمر؟».

نظر (ماسيا) إلى وجه (راند) نظرة ثابتة دون أن يرمش، فقال الأخير: «أريد فقط أن أختلي بنفسي، هذا كل شيء. سأذهب إلى إحدى الحدائق إذن، لا يوجد أرانب هناك، ولكن على الأقل لا يوجد حشد من الناس. فليشرق عليكم (النور) وليبارككم (السلام)».

مشى مبتعداً دون أن ينتظر ردّاً على مباركته، وقد قرر ألا يذهب بالقرب من أي من الحدائق بأي حال من الأحوال. بحق (النور)، بمجرد انتهاء المراسم فقد يكون هناك (آيز سيداي) في أي حديقة منها. شعر بنظرة (ماسيا) على ظهره - كان متيقناً من أنه (ماسيا) - ولكنه واصل المشي بوتيرة طبيعية.

فجأة توقفت الأجراس عن الرنين، فكاد أن يتعثر. لقد مرت دقائق طويلة، حان الوقت لاصطحاب (عرش أميرلين) إلى غرفتها، حان الوقت لترسل في طلبه، وبدء البحث عندما لا يعثرون عليه. بمجرد أن خرج من البوابة الصغيرة بدأ في الركض مرة أخرى.

بالقرب من مطابخ الثكنات كانت بوابة عربات الحمولات - حيث تُدخل كل المواد الغذائية إلى الحصن - مغلقة بالمزاليج، ويقف أمامها جنديان. أسرع ليتجاوزهما ثم تجاوز باحة المطابخ كما لو أنه لم يقصد التوقف مطلقاً.

كانت بوابة الكلاب في الجزء الخلفي من الحصن - المرتفعة والعريضة بما يكفي لأن يدلف من خلالها رجل واحد يمشي على قدميه - تخضع للحراسة أيضاً. دار على عقبيه قبل أن يراه الحارسان. لم يكن هناك الكثير من البوابات رغم ضخامة حجم الحصن، ولكن إن كانت بوابة الكلاب تخضع للحراسة فستكون جميع البوابات كذلك.

ربما يمكنه أن يجد حبلاً طويلاً... صعد أحد السلاالم المؤدية إلى أعلى السور الخارجي، إلى المتراس العظيم بجدرانه المتشققة. لم يكن الأمر مريحاً بالنسبة له، أن يكون في مكان مرتفع ومكشوف إن هبت تلك الرياح مرة أخرى، ولكن من هنا يمكنه أن يرى أسوار المدينة البعيدة من فوق المداخل الطويلة وأسطح البلدة الحادة. حتى بعد قضاء قرابة شهر لا تزال البيوت غريبة بالنسبة لعينيه المعتادتين على بيوت (النهرين)؛ أباريز تكاد أن تلمس الأرضية كما لو أن البيوت كلها عبارة عن أسقف مغطاة بألواح خشبية، والمداخل مائلة لكي تسمح للثلوج الثقيلة بالانزلاق من عليها. كان هناك ساحة واسعة مرصوفة تحيط بالحصن، ولكن على مسافة مئة خطوة فحسب من السور تمتد الشوارع المليئة بالأشخاص الذاهبين لأعمالهم اليومية؛ أصحاب متاجر يرتدون المآزر يقفون تحت المظلات أمام متاجرهم، مزارعين بشباب خشنة قد جاؤوا إلى البلدة من أجل البيع والشراء، تجمعات من الباعة جائلين والتجار وسكان البلدة، ولا شك أنهم يتحدثون عن زيارة (عرش أميرلين) المفاجئة. كان قادراً على رؤية العربات والأشخاص يتدفقون عبر إحدى البوابات في سور البلدة. من الواضح أن الحراس هناك ليس لديهم أي أوامر بإيقاف أي شخص.

نظر إلى أقرب أبراج الحراسة، فرفع أحد الجنود يده المغطاة بقفاز ليلوح له فبادله التلويح بضحكة مريرة. لا توجد مساحة قدم من الجدار لا تراقبها أعين الحراس. مد رأسه عبر كوة في الحاجز، ونظر لأسفل عبر الفتحات في الأحجار المخصصة لوضع ألواح البناء، ليمسح ببصره السور الحجري الشاهق حتى نظر إلى الخندق الجاف بعيداً بالأسفل.

كان باتساع عشرين خطوة، وبعمر عشر خطوات، ومغطى بأحجار مصقولة ملساء زلقة، ويحيط به جدار خفيض مائل لكيلا يمنح مكاناً للاختباء، ولكنه يمنع أي شخص من الوقوع فيه بالخطأ. وفي قاعه غابة من الأشواك الحادة كالأمواس. حتى إن كان معه حبل للنزول ولم يكن هناك حرس يراقبونه فلن يستطيع أن يعبر هذا الخندق. إن السور الذي يعمل على إبقاء (الترولوكيين) بالخارج كإجراء وقائي أخير صار يحتجزه بالداخل.

فجأة شعر أنه متعب حتى النخاع، وأنه مستنزف. إن (عرش أميرلين) هنا ولا يوجد مهرب. لا يوجد مهرب و(عرش أميرلين) هنا. إن كانت تعرف أنه بالفعل هنا، وإن كانت هي من أرسلت تلك الرياح التي أحكمت قبضتها عليه، إذن فهي تحاول أن تصيده بالفعل. تصيده بقوى (الآيز سيدي). إن الأرانب لديها فرصة أفضل في مواجهة قوسه. ولكنه مع ذلك رفض الاستسلام، هناك من يقول إن قاطني (النهرين) يمكنهم أن يعلموا الأحجار وأن يعطوا دروساً للبالغ. إن شعب (النهرين) يتشبثون بعنادهم عندما لا يتبقى لهم شيء آخر.

ترك السور وتجول عبر الحصن، لم يبال بوجهته، ما دام أنها مكان لن يتوقع أحد وجوده فيه. لم يذهب بالقرب من غرفته أو أي من الإسطبلات أو البوابات - فربما يتحدث (ماسيما) إلى (أونو) ويبلغ عن محاولته الخروج - أو الحقائق. كل ما استطاع أن يفكر فيه هو أن يبقى بعيداً عن أي من (الآيز سيدي)، حتى

(مويرين)، إنها تعرف بشأنه، ورغم ذلك فإنها لم تفعل أي شيء ضده... حتى الآن. لم تفعل شيئاً حتى الآن حسبما يعرف. ماذا لو غيرت رأيها؟ ربما هي من أرسل في طلب (عرش أميرلين).

شعر بالضيق للحظة وهو يتكئ على سور الممر، وأحس بالحجر صلباً تحت كتفه. بعينين خاويتين حذق إلى الأفق، ورأى أشياء لم يرغب في رؤيتها؛ التريق، هل سيكون من السيئ أن ينتهي من الأمر؟ أن ينتهي منه حقاً؟ أغلق عينيه ولكنه لا يزال قادراً على رؤية نفسه، منكسماً كالأرنب، بلا أي مكان للهرب، و(الآيز سيداي) يضيّقن حوله الخناق كالغربان. إن الرجال عادة ما يموتون بعد فترة قصيرة من ترقيقهم، لا يعودون راغبين في الحياة. لقد تذكر كلمات (توم ميريلين) جيداً، حتى إنه لم يكن راغباً في مواجهة الأمر. هز رأسه بحدة ثم أسرع قاطعاً الردهة. لا حاجة للبقاء في مكان واحد حتى يعثروا عليه. كم سيمضي من الوقت قبل أن يعثروا عليك على أي حال؟ أنت أشبه بخروف في مريض أغنام. كم سيمضي من الوقت؟ لمس السيف على جانبه. لا، لست خروفاً، لست خروف (الآيز سيداي)، أو أي شخص آخر. شعر بالقليل من الحماقة، ولكنه كان عاقد العزم.

كان الناس قد عادوا إلى مهامهم. كان هناك ضجيج من الأصوات وقعقة الآنية يتعالى من المطبخ الذي يقع بالقرب من القاعة الكبرى، حيث ستنال (عرش أميرلين) وصحبته الوليمة الليلة. كان الطهاة والخدم والمساعدون جميعهم يركضون إلى عملهم، والكلاب الموضوعة في عجالات من الخيزران تركض لتقليب اللحم. شق طريقه مسرعاً عبر الحرارة والبخار وروائح التوابل والطبخ. لم يعره أحد انتباهاً فقد كانوا جميعاً مشغولين للغاية.

كانت القاعات الخلفية - حيث يعيش الخدم في مساكن صغيرة - تعج بالحركة مثل تل نمل قد ركله أحدهم، بينما الرجال والنساء يسرعون لارتداء أفضل ما لديهم من ملابس. كان الأطفال يلعبون في الزوايا بعيداً عن الطريق؛ أولاد يلوحون بسيف خشبية، وبنات يلعبن بدمى منحوتة، وبعضهن يقلن إن دميتهن هي (عرش أميرلين). كانت معظم الأبواب مفتوحة فلا يجلب المداخل سوى الستائر المصنوعة من الخرز. عادة ما يعني هذا أن الشخص الذي يعيش بالداخل يرحب بالزوار، ولكن اليوم فإن هذا يعني ببساطة أن قاطني المساكن في عجلة من أمرهم. حتى هؤلاء الذين انحنوا له كانوا يفعلون هذا دون أن يتوقفوا في موضعهم.

هل سيسمع أي منهم عندما يذهبون إلى الخدمة أن هناك من يبحث عنه فيتحدثون عن رؤيته؟ هل سيتحدثون إلى واحدة من (الآيز سيداي) ويخبرونها أين تعثر عليه؟ فجأة بدت الأعين التي يمر من أمامها كأنها تتفحصه بمكر، وأنها تزنه وتقيمه من وراء ظهره. حتى نظرات الأطفال بدت أكثر حدة في عقله. إنه يعرف أنها مخيلته فحسب - كان واثقاً من هذا - لا شك أنها كذلك. ولكن عندما ابتعد عن مساكن الخدم شعر كأنه هرب من فخ قبل أن ينطبق عليه.

بعض الأماكن في الحصن كانت خالية من الأشخاص، فالتناس الذين يعملون هناك عادة قد خرجوا لقضاء عطلة مفاجئة. ورشة صانع الدروع وقد خمدت كل النيران، وسكنت المطارق، مكان صامت بارد بلا

حياة. ولكنه بطريقة ما لم يكن خاويًا، أحس بقشعريرة في بدنه ودار على عقبه، لم يرَ أحدًا هناك، فقط صناديق الأدوات الكبيرة مربعة الشكل، وبراميل التبريد المليئة بالزيت. انتصب الشعر على مؤخرة عنقه ودار حول نفسه مرة أخرى. كانت المطارق والملاقط معلقة في أماكنها على الجدار، تلفت حوله في غضب في أرجاء الحجرة الواسعة. لا يوجد أحد هنا، إنها مخيلتي فحسب. تلك الرياح و(الأميرلين)، كل هذا كافيًا لجعلي أنتخيل أشياء.

بالخارج في باحة صانع الدروع هبت الرياح من حوله للحظة فجفل رغمًا عنه وهو يعتقد أنها تريد الإمساك به، للحظة اشتم رائحة التعفن الباهتة مرة أخرى، وسمع شخصًا من ورائه يضحك في مكر، فقط للحظة واحدة. في خوف دار حول نفسه في دائرة وهو يمعن النظر، كانت الباحة - المرصوفة بأحجار خشنة - خالية إلا منه. إنها مخيلتك فحسب! ولكنه ركض على أي حال، وخُيِّل إليه أنه يسمع الضحك مرة أخرى، ولكن هذه المرة دون رياح.

في باحة الحطب عاوده الإحساس بوجود شخص ما هناك، الإحساس بأن هناك عينيّن تحدقان إليه من وراء أكوام حطب المدافئ، من تحت السقائف الطويلة، تحتلّس النظر من وراء أكوام ألواح الخشب المصقولة الجاهزة لإرسالها إلى الجانب الآخر إلى باحة ورشة النجار، المغلقة الآن بإحكام. رفض أن يتلفت حوله، رفض أن يفكر كيف يمكن لعينيّن أن تتحركا من مكان إلى آخر بهذه السرعة، أن تعبرا الباحة المفتوحة من سقيفة الحطب إلى سقيفة الأخشاب دون حتى حركة عابرة يمكنه أن يراها. كان واثقًا من أنهما نفس العينيّن. إنها مخيلتي، أو ربما أصاب بالجنون بالفعل. ارتجف جسده. ليس بعد، بحق (النور) ليس بعد. بظهر متيبس قطع باحة الحطب، والمراقب غير المرئي يتبعه.

قطع ممرات عميقة لا يضيئها إلا بعض المشاعل الصغيرة حتى وصل إلى المخازن المليئة بجوالات من البازلاء والفاصولياء المجففة أو مكتظة بأرفف عليها أكوام من اللفت والبنجر، أو مكدسة بحاويات اللحم المملح وبراميل النبيذ، ودومًا ما تكون العينان هناك بطريقة ما، وأحيانًا ما تكونان في انتظاره عندما يدخل. لم يسمع أي خطوات أقدام سوى خطواته، ولم يسمع صرير باب إلا عندما يفتح واحدًا أو يغلقه، ولكن العينيّن دومًا هناك. بحق (النور)، أنا أصاب بالجنون!

ثم فتح باب مخزن آخر فجاءته أصوات وضحكات بشرية، فشعر بالارتياح. لن توجد هنا عينان غير مرئيتين. دلف إلى الداخل. كان نصف الغرفة مكدسًا حتى السقف بجوالات من الغلال، في النصف الآخر كان هناك مجموعة من الرجال جاثين في نصف دائرة أمام أحد الجدران العارية. بدا أنهم جميعًا يرتدون السترات الجلدية، ويخلقون شعرهم بالقصة الدائرية التي تميز العمال، لم يكن هناك عقد الشعر التي تميز المحاربين، أو الملابس الموحدة التي تميز الخدم، لا أحد ممن قد يفصح عن موضعه عن طريق الخطأ. ولكن ماذا عن الإفصاح عنه عمدًا؟ جاء صوت أحجار النرد من بين تلماتهم الخافتة، ثم أطلق أحدهم ضحكة صاخبة مع رمي النرد.

كان (لويال) يراقبهم وهم يلعبون بالنرد ويفرك ذقنه مفكرًا بإصبع أكثر سمكًا من إبهام رجل ضخم، ورأسه يكاد أن يصل إلى العوارض الخشبية التي يبلغ ارتفاعها قرابة باعين. لم يكن أحد من لاعبي النرد ينظر إليه. لم يكن وجود (الأوجير) شيئًا شائعًا في (البلاد الحدودية)، أو في أي مكان آخر، ولكنهم كانوا معروفين هنا ومقبولين، وقد أمضى (لويال) في (فال دارا) وقتًا طويلًا بما يكفي لثلاثين جوده الكثير من التعليقات. كانت ستره (الأوجير) الخضراء الداكنة ذات الياقة المنتصبة مزرة حتى رقبتة، ومتسعة تحت خصره فوق حذائه الطويل. وكان أحد جيوبه الكبيرة منتفخًا ومتدليًا بثقل شيء ما. لا شك أنها كتب بحسب معرفة (راند) به. إن (لويال) لن يتعد عن الكتب حتى وهو يشاهد الرجال يقامرون.

رغمًا عن كل شيء وجد (راند) نفسه يتسم. عادة ما يكون (لويال) هذا التأثير عليه، إن (الأوجير) يعرف الكثير للغاية عن بعض الأشياء، والقليل للغاية عن الأشياء الأخرى، ويبدو أنه يرغب في معرفة كل شيء. ومع ذلك لا يزال (راند) قادرًا على تذكر المرة الأولى التي رأى فيها (لويال) بخصلات الشعر على أذنيه، وحاجبيه المتدلين كشارين طويلين، وأنفه الذي يكاد أن يكون عريضًا كوجهه. عندما رآه اعتقد أنه (ترولوك)، لا يزال هذا يُشعره بالخرج. (الأوجير) و(ترولوكيون)، (الميردرال) والأشياء الأخرى من الزوايا المظلمة لحكايات منتصف الليل. أشياء من القصص والأساطير، هكذا كان يفكر في هذه الأشياء قبل أن يرحل عن (إيموندز فيلد)، ولكن منذ رحيله عن الديار رأى الكثير من القصص تصير حية، حتى إنه لم يعد واثقًا مرة أخرى. (آيز سيدي)، ومراقبون غير مرئيين ورياح أمسكت به واحتجزته. تلاشت ابتسامته. قال بصوت خافت: «كل القصص حقيقية».

ارتعشت أذنا (لويال) والتفت برأسه ناحية (راند). عندما عرف من يكون ابتسم (الأوجير) ابتسامة عريضة ثم اقترب منه وهو يقول: «أوه، ها أنت ذا». كان صوته عميقًا كطين النحل. «لم أرك في (الترحيب). كان هذا شيئًا لم أره من قبل، بل شيئًا؛ (الترحيب الشايناري)، و(عرش أميرلين). إنها تبدو متعبة، ألا تعتقد هذا؟ ليس من السهل كون المرء (أميرلين)، أفترض أن هذا أسوأ من كونه أحد الكبراء». صمت للحظة قصيرة وقد بدا عليه التفكير قبل أن يكمل: «قل لي يا (راند)، هل تلعب النرد أيضًا؟ إنهم يلعبون لعبة بسيطة هنا، بثلاثة أحجار نرد فقط، نحن نستخدم أربعة في الملاذ. ولكنهم لم يسمحوا لي باللعب، إنهم يقولون فقط «المجد للبنايين» ثم يرفضون المراهنة ضدي. لا أعتقد أن هذا عادل، أليس كذلك؟ أحجار النرد التي يستخدمونها صغيرة للغاية...». عقد حاجبيه وهو ينظر إلى يده الكبيرة بما يكفي لتغطية رأس إنسان. «ولكني ما زلت أعتقد...».

جذبه (راند) من ذراعه ليبتز جملة وهو يفكر؛ (البنايون)! «(الأوجير) هم من بنوا (فال دارا)، أليس كذلك يا (لويال)؟ هل تعرف أي مخرج من هنا عدا البوابات؟ حفرة يمكنني الزحف من خلالها، أنبوب صرف، أي شيء على الإطلاق، كبيرًا بما يكفي لأن يزحف رجل عبره. يفضل أيضًا أن يكون بعيدًا عن الرياح».

ابتسم (لويال) ابتسامة شاحبة، وكاد طرفا حاجبيه أن يلمسا وجنتيه، ثم قال: «لقد بنى (الأوجير) (مافال دادارانيل) يا (راند)، ولكن تلك المدينة قد تدمرت في (الحروب الترولوكية)، أما هذه...». لمس الجدار الصخري بأنامله العريضة وقال: «فقد بناها البشر. يمكنني أن أرسم لك مخطط (مافال دادارانيل)، فقد رأيت الخرائط ذات مرة في كتاب قديم في (ملاذ شانجتاي)، ولكنني لا أعرف عن (فال دارا) أكثر منك. إنها جيدة البناء بما يكفي، أليس كذلك؟ مقبضة ولكنها جيدة البناء».

اتكأ (راند) بجسده إلى الجدار وأغمض عينيه ثم همس قائلاً: «أريد مخرجاً، الأبواب مغلقة بالمزاليج ولن يسمحوا لأحد بالمرور، ولكنني أحتاج إلى مخرج».

قال (لويال) ببطء: «ولكن لماذا يا (راند)؟ لا أحد هنا سيؤذيك. هل أنت بخير؟ (راند)؟». ثم رفع صوته فجأة وقال: «(مات)»! (بيرين)! أعتقد أن (راند) مريض».

فتح (راند) عينيه ليرى صديقيه يعتدلان من دائرة المقامرين. (مات كاوثون)؛ طويل الأطراف كطائر اللقلق، يتسم نصف ابتسامته كأنها قد رأى شيئاً مضحكاً لم يره أحد غيره. (بيرين آيارا)؛ بشعره الأشعث وكثفيه العريضتين، وذراعيه الغليظتين بسبب عمله كمساعد للحداد. كلاهما لا يزال يرتدي ثياب (النهرين)، ثياباً بسيطة ومتينة ولكنها بالية بفعل السفر.

ألقى (مات) بحجر النرد إلى نصف الدائرة بينما يخطو مبتعداً، فصاح أحد الرجال: «مهلاً أيها الجنوبي، لا يمكنك أن تسحب بينما أنت فائز».

قال (مات) ضاحكاً: «هذا أفضل من أنسحب بينما أنا خاسر». بشكل غير واع لمس المعطف عند خصره، فتجهم (راند)، إن (مات) يحمل هناك خنجرًا به ياقوتة في مقبضه، خنجرًا لا يفارقه قط، خنجرًا لا يمكنه أن يفارقه. إنه نصل مدنس من المدينة الميتة (شادار لوجوث)، مدنس ومشوه بفعل شر يكاد أن يكون بنفس سوء (سيد الظلام)، شر قد قتل (شادار لوجوث) قبل ألفي عام، ولكنه لا يزال يحيا بين الأطلال المهجورة، هذا الدنس سيقتل (مات) إن ظل محتفظاً بالخنجر، وسيقتله بشكل أسرع إن تخلى عنه. «ستحظون بفرصة أخرى لاستعادة ما خسرموه». تعالى من الرجال الجاثين على ركبهم ضحكات ساخرة، تنم على أنهم لا يعتقدون هذا.

أبقى (بيرين) عينيه مطرقتين بينما يمشي وراء (مات) ناحية (راند). دوماً ما يبقي (بيرين) عينيه مطرقتين هذه الأيام، وكتفاه متهدلتان كما لو أنها تحملان وزناً ثقيلاً للغاية حتى بالنسبة لعرضهما.

سأله (مات): «ما الأمر يا (راند)؟ إن وجهك أبيض كقميصك. مهلاً، من أين حصلت على هذه الملابس؟ هل ستتحول إلى شيناري؟ ربما سأشتري لنفسني معطفاً كهذا وقميصاً فاخراً». هز جيب معطفه فأصدرت العملات المعدنية رنيناً. «يبدو أنني محظوظ مع أحجار النرد، يبدو أنني لا ألسها مرة إلا وأفوز».

قال (راند) في تعب: «ليس عليك أن تشتري أي شيء، لقد أمرت (مويرين) باستبدال جميع ملابسنا. ربما قد أحرقوها بالفعل باستثناء ما ترتديانه أتما الاثنين. على الأرجح ستأتي (إيلانسو) لأخذ هذه الثياب أيضاً،

لذا أقترح عليكما أن تبدلا ثيابكما سريعاً قبل أن تنتزعا منكما». لم يرفع (بيرين) عينيه ولكن وجنتيه احتقتتا بالدماء. واتسعت ابتسامه (مات) رغم أنها بدت مفتعلة. لقد تعرضا بدورهما لبعض المواقف في الحمامات، ولكن (مات) وحده من يحاول أن يتظاهر بأن هذا لا يهم. «أنا لست مريضاً، أحتاج فقط إلى الخروج من هنا. إن (عرش أميرلين) هنا، وقال (لان)... قال إنه كان من الأفضل لو رحلت قبل أسبوع، قبل أن تأتي إلى هنا. يجب عليّ الرحيل وكل البوابات مغلقة بالمزاليح».

عقد (مات) حاجبيه وقال: «أقال هذا؟ لا أفهم، إنه لم يقل أي شيء قط ضد واحدة من (الآيز سيدي)، لم الآن؟ اسمعني يا (راند)، أنا لا أحب (الآيز سيدي) أكثر منك، لكنهن لن يفعلن أي شيء بنا». كان قد خفض صوته ليقول هذا، ونظر وراءه ليرى إن كان أي من المقامرین يسترق السمع. ربما يخاف الناس في (البلاد الحدودية) من (الآيز سيدي)، ولكنهم أبعد ما يكون عن كراهيتهم، وقول أي تعليق مسيء تجاههن قد يجعلك تتورط في شجار أو ما هو أسوأ. «انظر إلى (مويرين)، إنها ليست سيئة، رغم كونها (آيز سيدي). أنت تفكر مثل العجوز (سين بوي) وهو يحكي حكاياته الطويلة في الديار، في (حانة واينسبرينج). أعني إنها لم تؤذنا ولن تؤذينا، فلم قد يؤذينا هن؟».

رفع (بيرين) عينيه، عينين صفراوين تلمعان في الضوء الخافت كذهب مصقول. قال (راند) لنفسه: ألم تؤذنا (مويرين)؟ لقد كانت عينا (بيرين) بلون بني داكن مثل عيني (مات) عند رحيلهما عن (النهرين). لم يكن لدى (راند) أدنى فكرة عن كيفية حدوث هذا التغيير - لم يرغب (بيرين) في الحديث عن الأمر، أو حتى الحديث عن أي شيء منذ أن حدث هذا - ولكنه حدث في نفس الوقت الذي صارت فيه كتفاه متهدلتين وصار منطوياً على نفسه كأنها يشعر بالوحدة حتى مع وجود أصدقائه من حوله. عينا (بيرين) وخنجر (مات)، لا شيء من هذا كان ليحدث إن لم يغادرا (إيموندز فيلد)، وكانت (مويرين) هي من أخذتهم بعيداً. إنه يعرف أن هذا تفكير مجحف، فعلى الأرجح كانوا سيموتون على أيدي (الترولوكيين) مع جزء كبير من قاطني (إيموندز فيلد) إن لم تأت إلى قريتهم. ولكن هذا لم يجعل (بيرين) يضحك كما كان يضحك قديماً، أو ينتزع الخنجر من حزام (مات). وماذا عني؟ لو كنت في الديار وما زلت على قيد الحياة فهل كنت لأصير إلى ما أنا عليه الآن؟ على الأقل لم أكن لأقلق بشأن ما ستفعله (الآيز سيدي) بي.

كان (مات) لا يزال ينظر إليه بتساؤل، و(بيرين) قد رفع رأسه بما يكفي لأن يحرق إليه من تحت حاجبيه. انتظر (لويال) في صبر، لم يستطع (راند) أن يخبرهم عن سبب اضطرابه للابتعاد عن (عرش أميرلين). إنهم لا يعرفون حقيقته، (لان) يعرف، وكذلك (مويرين)، و(إيجوين) و(ناينيف). تمنى لو أنهم جميعاً لا يعرفون. وأهم من ذلك كله تمنى لو أن (إيجوين) لا تعرف، ولكن على الأقل (مات) و(بيرين) و(لويال) أيضاً يعتقدون أنه ما زال الشخص نفسه. فكر أنه يفضل الموت على أن يجعلهم يعرفون، لكيلا يرى نفس التردد والقلق اللذين يراهما أحياناً في عيني (إيجوين)، وحتى في عيني (ناينيف)، رغم أنهما تبدلان قصارى جهدهما.

قال أخيراً: «شخص ما... يتعقبني. الأمر وما فيه... أنه لا أحد هناك».

رفع (بيرين) رأسه في حركة حادة. ولعق (مات) شفثيه ثم قال هامساً: «(عاتم)؟».

قال (لويال) ساخراً: «بالطبع لا، كيف يمكن لواحد من عديمي الأعين أن يدخل (فال دارا)، البلدة أو الحصن؟ وفقاً للقانون غير مسموح لأحد بإخفاء وجهه داخل أسوار البلدة. كما أن مشعلي المصابيح مكلفون بإبقاء الشوارع مضاءة ليلاً لكيلا يكون هناك ظل يختبئ فيه (ميردرال). هذا مستحيل».

تمتم (مات): «الأسوار لا توقف (عائماً)، ليس وهو يريد الدخول. ولا أعتقد أن القوانين والمصابيح ستُجدي نفعا». لم يبدُ كشخص كان يعتقد أن (العواتم) مجرد حكايات صانعي البهجة قبل أقل من نصف عام، لقد رأى الكثير بدوره.

أضاف (راند): «وكان هناك تلك الرياح أيضاً». ارتجف صوته قليلاً وهو يحكي لهم ما حدث على قمة البرج. شدد (بيرين) قبضتيه حتى طقطقت مفاصلهما. أنهى (راند) حديثه قائلاً: «أنا فقط أريد الرحيل عن هنا، أريد أن أذهب إلى الجنوب، إلى مكان بعيد. مكان بعيد فحسب».

قالت (مات): «ولكن إن كانت الأبواب مغلقة بالمزاييج فكيف سنخرج؟».

حدق (راند) إليه وقال: «نخرج؟». يجب عليه الذهاب وحيداً، سيكون الأمر خطيراً على أي شخص قريب منه في نهاية المطاف. سيكون خطيراً، وحتى (مويرين) لم تستطع أن تخبره كم من الوقت سيمضي قبل أن يصاب بالجنون. «أنت تعرف أن عليك الذهاب إلى (تار فالون) بصحبة (مويرين) يا (مات). لقد قالت إنه المكان الوحيد الذي يمكن فيه فصلك عن هذا الخنجر اللعين دون أن تموت، وأنت تعرف ما سيحدث إن واصلت الاحتفاظ به».

لمس (مات) معطفه فوق الخنجر ولم يبدُ عليه أنه يدرك ما يفعله. قال مقتبساً: «إن هدية (الآيز سيداي) طعم سمكة». ثم أضاف: «حسناً، ربما لا أرغب في وضع خطاف في حلقي، ربما أياً كان ما تريد أن تفعله في (تار فالون) أسوأ من عدم الذهاب على الإطلاق. ربما تكذب». ثم قال مقتبساً مرة أخرى: «إن الحقيقة التي تقولها (آيز سيداي) لا تكون مطلقاً الحقيقة التي تعتقدها».

سأله (راند): «هل لديك الكثير من الأقوال التي تريد أن تخلص نفسك منها؟ رياح الجنوب تجلب ضيفاً دافئاً، ورياح الشمال تجلب بيتاً فارغاً؟ الخنزير المطلي بالذهب لا يزال خنزيراً؟ وماذا عن تحدّث عن مجز الفرو لا الأغنام؟ كلمات الأحمق تراب؟».

قال (بيرين) بهدوء: «على رسلك يا (راند)، لا حاجة لهذا الانفعال».

«لا حاجة حقاً؟ ربما لا أرغب منكم أن تذهبا معي، دوماً ما تتسكعان من حولي وتتورطان في المتاعب، ثم تتوقعان مني أن أخرجكما منها. هل فكرتما في هذا يوماً؟ بحق (النور)، هل خطر في بالكما يوماً أنني قد أمل من وجودكما يوماً أينما التفت؟ أنتما دوماً هناك وأنا سئمت من هذا». طعنه الألم المرتسم على وجه (بيرين) كالسكين، ولكنه أكمل بلا هوادة: «ثمة من يعتقد هنا أنني لورد، ربما يعجبني الأمر، ولكن انظرا إليكما؛

تلعبان بالنرد مع عمال الإسطبل. عندما أذهب فسأذهب وحدي، يمكنكما أنتما الاثنان أن تذهبا إلى (تار قالون) أو أن تشنقا نفسيكما، ولكن اتركاني وشأني».

تحشب وجه (مات) وأمسك بالخنجر من خلال معطفه حتى ابيضت مفاصله ثم قال بقسوة: «إن كان هذا ما تريده. لقد ظننت أننا... افعل ما تشاء يا (ألثور)، ولكن إن قررت الرحيل في نفس الوقت الذي سترحل فيه فسأفعل هذا، وإياك أن تقف في وجهي».

قال (بيرين): «لا أحد سيذهب إلى أي مكان، الأبواب مغلقة بالمزاليج». كان يحدق إلى الأرضية مرة أخرى. تعالت ضحكات المقامرين مع خسارة أحدهم.

قال (لويال): «الذهاب أو البقاء، معاً أو متفرقين، كل هذا لا يهم. إن ثلاثتكم (تأثيرين)، وحتى أنا يمكنني أن أرى هذا رغم أنني لا أمتلك (الموهبة)، فقط بالحكم على ما يحدث من حولكم، و(مويرين سيدي) تقول هذا أيضاً».

لوح (مات) بيديه وقال: «لا مزيد من هذا يا (لويال). لا أريد أن أسمع عن هذا بعد الآن». هز (لويال) رأسه وقال: «سواء سمعته أم لا فإنه لا يزال حقيقة. (عجلة الزمن) تنسج (نمط العصور) باستخدام حياة البشر كخيوط، أنتم الثلاثة (تأثيرين)، نقاط مركزية في النسيج». «لا مزيد من هذا يا (لويال)».

«لفترة من الوقت، ستشي (عجلة الزمن) (النمط) من حول ثلاثتكم، أيًا كان ما تفعلونه. وعلى الأرجح ما ستفعلونه ستختاره (عجلة الزمن) لا أنتم، (التأثيرين) يجذبون التاريخ من ورائهم، ويشكلون (النمط) بمجرد وجودهم. ولكن (عجلة الزمن) تنسج (التأثيرين) على خيط محكم أكثر من بقية البشر. أينما تذهبون وأيًا كان ما تفعلون - حتى تختار (عجلة الزمن) خلاف هذا - فإنكم سوف...».

صاح (مات): «لا مزيد من هذا!». تلفت الرجال الذين يلعبون النرد من حولهم، ثم حدقوا إليهم، قبل أن ينكبوا من جديد على لعبتهم.

قال (لويال): «المعذرة يا (مات)، أعرف أنني أتحدث كثيرًا، ولكنني لم أقصد...».

قال (مات) وهو ينظر للعوارض الخشبية: «أنا لن أبقى هنا، بصحبة (أوجير) ثرثار، وفتى أحرق رأسه أكبر من أن يرتدي قبعة. هل ستأتي معي يا (بيرين)؟». تنهد (بيرين) ثم نظر ناحية (راند) قبل أن يومئ برأسه.

راقبهما (راند) يبتعدان وهو يشعر بغصة في حلقه. يجب أن أذهب وحدي، فليساعدنني (النور)، يجب عليّ هذا.

كان (لويال) يحدق إليهما أيضًا وقد تدلى حاجباه في قلق، ثم قال: «(راند)، أنا لم أقصد حقًا أن...».

جعل (راند) صوته قاسيًا وهو يقول: «ماذا تنتظر؟ اذهب معهما! لا أعرف لم لا تزال هنا، أنت بلا فائدة بالنسبة لي إن كنت لا تعرف مخرجًا. اذهب! اذهب وابحث عن أشجارك وبساتينك العديدة، إن لم تكن قد قُطعت كلها، وبئس المصير إن كانت قد قُطعت».

اتسعت عينا (لويال) حتى صارتا ككويين، وقد بدا مندهشًا ومتألمًا في البداية، ولكن سرعان ما ضاقتا في شيء أشبه بالغضب. لم يعتقد (راند) أن هذا ممكنًا، بعض الحكايات القديمة تزعم أن (الأوجير) كانوا شرسين ولكنها لم تذكر كيف بالضبط. لكن (راند) لم يقابل قط شخصًا لطيفًا مثل (لويال). قال (لويال) بجمود: «كما تشاء يا (راند أثور)». ثم انحنى انحناءة متييسة قبل أن يمشي وراء (مات) و(بيرين).

ألقي (راند) جسده على كومة من جوالات الحبوب. سخر منه صوت في عقله: حسنًا، لقد فعلتها، أليس كذلك؟ كنت مضطراً لهذا. لقد قالها؛ سأكون خطيراً على أي شخص حولي. بحق الدماء والرماد، سأصاب بالجنون، و... لا! لا، هذا لن يحدث! لن أستخدم (القوة الواحدة)، وعندها لن أصاب بالجنون و... ولكن لا يمكنني المخاطرة بهذا. لا يمكنني هذا، ألا تفهم؟ ولكن الصوت اكتفى بأن ضحك ساخرًا منه.

أدرك أن المقامرين ينظرون إليه وهم لا يزالون جاثين على ركبهم في مواجهة الجدار، ملتفتين ليحدثوا إليه. إن الشايناريين من أي طبقة اجتماعية دومًا ما يكونون مهذبين ومنصفين حتى مع ألد أعدائهم، و(الأوجير) لم يكونوا قط أعداءً (لشاينار). كانت الصدمة تملأ أعين المقامرين، وجوههم خاوية، ولكن أعينهم تقول إن ما فعله كان خاطئًا. جزء منه اعتقد أنهم محقون، وهذا أدى إلى تعميق اتهاماتهم الصامتة. لقد اكتفوا بالنظر إليه، ولكنه أسرع خارجًا من المخزن كأنهم يطاردونه.

بدأ يمشي عبر المخازن وهو يشعر بالخدر بحثًا عن مكان يختبئ فيه حتى يسمحوا بالمرور عبر البوابات مرة أخرى، وبعدها يمكنه أن يختبئ في قاع عربة مؤن، هذا إن كانوا لا يفتشون العربات في طريقها إلى الخارج. هذا إن لم يفتشوا المخازن، إن لم يفتشوا الحصن بأسره بحثًا عنه. رفض في عناد أن يفكر في هذا، وركز على إيجاد مكان آمن. ولكن في كل مكان يعثر عليه - تجويف في كومة من جوالات الحبوب، أو ممر ضيق على طول الجدار وراء بعض براميل النيذ، أو مخزن مهجور نصف ممتلئ بالظلال والبراميل الخاوية - يمكنه أن يتخيل أن الباحثين سيجدونه هناك. كان بوسعه أن يتخيل أن ذلك المراقب غير المرئي أيًا من كان - أو أيًا ما كان - سيجده هناك أيضًا، لذا واصل البحث وهو يشعر بالعطش وشعره مغطى بالغبار وخيوط العنكبوت.

ثم خرج إلى ممر تضيئه المشاعل بشكل خافت، فوجد (إيجوين) تتسلل من خلاله وتتوقف لتختلس النظر إلى المخازن أثناء مرورها. كان شعرها الأسود - المنسدل حتى خصرها - معقودًا بشريط أحمر، وترتدي فستانًا رماديًا على الطريقة الشاينارية، مزينًا بأطراف حمراء. اجتاحه عند رؤيتها إحساس بالحزن والضيق، أسوأ مما شعر به عندما جعل (مات) و(بيرين) و(لويال) يبتعدون عنه. لقد كبر وهو يعتقد أنه سيتزوج (إيجوين) يومًا ما، كلاهما كان يعتقد هذا، ولكن الآن...

جفلت عندما ظهر أمامها وشهقت بصوت مسموع، ولكن ما قالته كان: «إذن فأنت هنا. أخبرني (مات) و(بيرين) بما فعلته، و(لويال) أيضًا. أعرف ما تحاول فعله يا (راند)، وهو أمر في غاية الحماقة». عقدت

ذراعيها تحت نهديها، بينما عيناها الواسعتان السوداوان تحدقان إليه بحزم. لطالما تساءل كيف تتمكن من أن تبدو وكأنها تحددق إليه من أعلى - وهي تفعل هذا متى تشاء - رغم أن طولها لا يصل إلى صدره، كما أنها أصغر منه بعامين.

قال: «جيد». وفجأة جعله شعرها يشعر بالغضب، لم يسبق له أن رأى امرأة بالغة شعرها غير مجدول إلا بعدما رحل عن (النهرين)، هناك تنتظر كل فتاة بلهفة أن تخبرها دائرة النساء أنها بلغت من العمر ما يكفي لتصفير شعرها، وكانت (إيجوين) متلهفة لهذا بالتأكيد، وها هي ذا بشعر منسدل باستثناء الشريط. أريد أن أعود إلى الديار، ولكنني لا أستطيع، وهي لا تطيق صبراً لكي تنسى بشأن (إيموندز فيلد). «أذهبي بعيداً واتركيني وشأني أنت أيضاً. أنت لا ترغبين في البقاء برفقة راعي غنم بعد الآن، يوجد الكثير من (الآيز سيداي) هنا لكي تقضي وقتك برفقتهم الآن، ولا تخبري أيًا منهن أنك رأيتني. إنهن يسعين ورائي، وأنا لا ينقصني أن تساعدين».

توردت وجنتاها وقالت: «هل تعتقد أنني س...».

دار على عقبيه وبدأ يمشي مبتعداً فصرخت وألقت بنفسها ناحيته لتحيط ساقيه بذراعيها. تعثرا وسقطا على الأرضية الحجرية، وتطايرت أكياس سرجه وحزمته. تأوه عندما ارتطم بالأرضية وانغرس مقبض سيفه في جانبه. ثم تأوه مرة أخرى عندما أسرع وأقفه وألقت بجسدها على ظهره كما لو أنه كرسي. قالت بحزم: «لطالما قالت لي أُمي إن أفضل طريقة لتعلم كيفية التعامل مع رجل هو تعلم كيفية ركوب بغل، قالت إن عقليهما متشابهان في معظم الأوقات، وأحياناً يكون البغل أكثر ذكاءً».

رفع رأسه لينظر إليها من فوق كتفه وقال: «انهضي عني يا (إيجوين). انهضي! إن لم تنهضي يا (إيجوين)...». ثم خفض صوته بشكل ينذر بالشر وقال: «سأفعل شيئاً بك، أنت تعرفين من أكون». ثم أضاف نظرة حادة ليؤكد على ما قاله.

قالت (إيجوين) بسخرية: «أنت لن تفعل هذا حتى لو كنت قادراً عليه، أنت لن تؤذي أحداً، ولكنك لا تقدر على هذا على أي حال. أنا أعرف أنك لا تستطيع تسخير (القوة الواحدة) متى تشاء، لقد حدث الأمر بمحض الصدفة، وأنت لا تستطيع السيطرة عليه، لذا فإنك لن تفعل أي شيء بي أو بأي شخص آخر. أنا على الجانب الآخر كنت أتلقي دروساً مع (مويرين)، لذا إن لم تصنع إلى صوت العقل يا (راند ألثور) فقد أشعل سروالك، يمكنني أن أفعل هذا. فلتنظر لترى إن كنت لا أستطيع». فجأة توهج المشعل الأقرب لهما على الجدار وتأججت النيران، ثم صرخت وهي تحددق إليه في دهشة.

كان قد التوى حول نفسه وأمسك بذراعها وجذبها من على ظهره ليلصقها بالجدار. عندما اعتدل جالساً كانت تجلس قبالة وهي تفرك ذراعها في غيظ، ثم قال في غضب: «أنت مصرة على هذا، أليس كذلك؟ تعبثين بأشياء لا تفهمينها. ربما كنت لتحرقينا حتى نتحول إلى فحم».

«يا للرجال! عندما لا تتمكنون من الفوز في جدال فإنكم تلجؤون إما للهرب وإما لاستخدام العنف».

«تمهلي لحظة؛ من أسقط من؟ من جلس على ظهر من؟ وقد هددت - حاولت! - بأن...». رفع كلتا يديه وقال: «لا، أنت من يفعل هذا طيلة الوقت، كلما أدركت أن الجدل لا يسير في صالحك فجأة نتجادل حول شيء آخر تمامًا. ليس هذه المرة».

قالت بهدوء: «أنا لا أجادل، ولا أغير الموضوع أيضًا. ما الاختباء سوى الهرب؟ وبعد أن تختبئ ستهرب حقًا، وماذا عن إيذاء مشاعر (مات) و(بيرين) و(لويال)؟ ومشاعري؟ أنا أعرف السبب، أنت خائف من أنك قد تؤذيهم بشكل أسوأ إن تركتهم بالقرب منك. إن لم تفعل ما لا يجب عليك فعله فلا داعي للقلق بشأن إيذاء أي شخص آخر. كل هذا الركض والانفعال وأنت لا تعرف حتى إن كان هناك سبب لهذا. لم يجب أن تعرف (الأميرلين) - أو أي (آيز سيدي) أخرى عدا (مويرين) - أنك موجود حتى؟».

حدق إليها للحظة، كلما أمضت وقتًا أطول مع (مويرين) و(ناينيف) صار سلوكها أشبه بسلوكهما، على الأقل عندما ترغب في هذا. كثيرًا ما تبدوان متشابهتين؛ (الآيز سيدي) والحكيمة، منطويتين وتعرفان الكثير. كان من المقلق أن يشعر بهذا تجاه (إيجوين). وأخيرًا أخبرها بما قاله (لان)، قبل أن يضيف: «أي شيء آخر يمكن أن يعنيه؟».

تجمدت يدها على ذراعه وعقدت حاجبيها في تفكير قبل أن تقول: «(مويرين) تعرف بشأنك ولم تفعل أي شيء، فلم قد تفعل الآن؟ ولكن إن كان (لان)...». نظرت إلى عينيه وهي لا تزال عاقدة حاجبيها وقالت: «المخازن هي أول مكان سيبحثون فيه، هذا إن كانوا يبحثون عنك. وإلى أن نعرف إذا ما كانوا يبحثون عنك فيجب أن نضعك في مكان لن يفكروا أبدًا في البحث فيه. أنا أعرف؛ السرداب».

قفز واقفًا على قدميه وهو يقول: «السرداب!».

«ليس في زنانة أيها الأحق، أنا أذهب إلى هناك في بعض الأمسيات لزيارة (بادان فاين)، (ناينيف) تفعل هذا أيضًا. لن يعتقد أحد أنه أمر غريب إن ذهبت باكراً اليوم. في الحقيقة بينما الجميع يتطلعون إلى رؤية (الأميرلين) فلن يلاحظنا أحد».

«ولكن (مويرين)...».

«إنها لا تذهب إلى السرداب لاستجواب السيد (فاين)، بل تأمر بإحضاره إليها، وهي لا تفعل هذا كثيرًا منذ أسابيع. صدقني ستكون آمنًا هناك».

ومع ذلك ظل مترددًا وهو يفكر في (بادان فاين). «لم تذهبين لزيارة البائع الجائل على أي حال؟ إنه من أصدقاء الظلام، لقد اعترف بهذا بنفسه، وهو واحد من أسوأهم. بحق (النور) يا (إيجوين) إنه من جلب (الترولوكين) إلى (إيموندز فيلد)! لقد قال بنفسه إنه كلب صيد (سيد الظلام)، وإنه يتعقب أثري منذ (ليلة الشتاء)».

«حسنًا، لا خطر منه الآن وهو وراء القضبان الحديدية يا (راند)». كان دورها الآن في التردد وهي تنظر إليه كأنها تتوسل. «لقد كان يجلب عربته إلى (النهرين) كل ربيع منذ ما قبل ولادتي يا (راند)، إنه يعرف جميع

الأشخاص الذين أعرفهم وكل الأماكن. الأمر غريب، ولكن كلما طال حبسه بدا وكأنها يعود إلى سابق عهده، وكأنها يتحرر من (سيد الظلام). إنه يضحك من جديد ويحكي حكايات مضحكة عن قاطني (إيموندز فيلد)، وأحياناً عن أماكن لم أسمع بها من قبل، في بعض الأحيان يبدو وكأنه نفس الشخص الذي عرفته، أنا فقط أحب أن أتحدث عن الديار مع شخص ما».

قال لنفسه: بما أنني كنت أتجنبك، و(بيرين) يتجنب الجميع، و(مات) يقضي كل وقته في المقامرة والشراب. تتم قائلًا: «ما كان يجب أن أنطوي على نفسي كثيرًا». ثم تنهد وقال: «حسنًا، إن كانت (مويرين) تعتقد أن الأمر آمن بما يكفي بالنسبة لك، فأعتقد أنه سيكون آمنًا بما يكفي بالنسبة لي، ولكن لا حاجة لأن تتورطي في الأمر».

اعتدلت (إيجوين) واقفة، وركزت انتباهها على نفخ الغبار عن فستانها متحاشية النظر إلى عينيه. «(مويرين) قالت إن الأمر آمن، أليس كذلك يا (إيجوين)؟».

قالت بحذر: «لم تخبرني (مويرين سيدي) قط أنني لا أستطيع زيارة السيد (فاين)». حدق إليها ثم انفجر قائلًا: «أنت لم تسألها قط، إنها لا تعرف، هذا غباء يا (إيجوين)، (بادان فاين) صديق للظلام، وواحد من أسوأهم».

قالت بعناد: «إنه محتجز في قفص، ولست مضطرة لطلب إذن من (مويرين) في كل شيء أفعله. لقد فات الأوان على القلق بشأن ما تعتقده واحدة من (الآيز سيدي)، أليس كذلك؟ والآن، هل ستأتي؟». «يمكنني أن أجد السرداب من دونك، إنهم يبحثون عني، أو سيبحثون عني، ولن يكون في صالحك أن يعثروا عليك معي».

قالت بسخرية: «من دوني فإنك على الأرجح ستعثر وتسقط في حوض (عرش أميرلين)، ثم ستعترف بكل شيء بينما تحاول تبرئة نفسك».

«بحق الدماء والرماد، كان عليك أن تكوني في (دائرة النساء) في الديار. لو أن كل الرجال متعثرون وعاجزون كما تعتقدين، فما كنا...».

«هل ستظل واقفًا هنا تتحدث حتى يعثروا عليك؟ اجمع حاجياتك يا (راند) وتعال معي». لم تنتظر إجابة بل دارت على عقبيها وبدأت تمشي عبر الردهة. غمغم بشيء ما وهو يطيعها على مضض.

كان هناك عدد قليل من الأشخاص - معظمهم من الخدم - في الطرق الخلفية التي سلكوها، ولكن انتاب (راند) إحساس بأنهم جميعًا قد لاحظوه بشكل خاص. ليس ملاحظة رجل يحمل متاع سفر، بل (راند ألثور) على وجه الخصوص. كان يعرف أنها مخيلته فحسب - كان يأمل أنها كذلك - ولكنه مع ذلك لم يشعر بأي ارتياح عندما توقف في ممر عميق تحت الحصن، أمام باب طويل بشبكة حديدية صغيرة ومدعم بالحديد كأي باب في السور الخارجي. كان هناك مطرقة معلقة أسفل الشبكة.

من خلال الشبكة استطاع (راند) أن يرى جدراناً عارية وجنديين كل منهما تعلو رأسه عقدة شعر يجلسان حاسري الرأس إلى طاولة عليها مصباح. كان أحد الرجلين يشحذ خنجرًا بسحبات بطيئة طويلة من حجر. لم يتوقف عن الشحذ عندما طرقت (إيجوين) الباب بالمطرقة ليردد دوي المعدن على المعدن. أما الرجل الآخر فقد نظر إلى الباب بوجه جامد متجهم، كأنها يفكر في الأمر، قبل أن ينهض أخيرًا ويقترّب من الباب. كان قصيرًا وممتلئ الجسد، وبالكاد طويلًا بما يكفي للنظر من خلال القضبان المتقاطعة.

«ما الذي تريدينه؟ آه، إنه أنتِ مرة أخرى أيتها الفتاة، هل جئتِ لرؤية صديقك صديق الظلام؟ ومن هذا؟». لم تند عنه أدنى حركة لفتح الباب.

«إنه صديقي يا (تشانجو)، ويرغب في رؤية السيد (فاين) أيضًا».

تفحص الرجل (راند)، وقد تراجعت شفته العليا لتكشف عن أسنانه. لم يعتقد (راند) أنها من المفترض أن تكون ابتسامة. قال (تشانجو) أخيرًا: «حسنًا، حسنًا، أنت طويل، أليس كذلك؟ طويل وترتدي ملابس فاخرة بالنسبة لواحد من بني جنسك. هل أمسك بك شخص ما وأنت صغير في (التخوم الشرقية) وروضك؟». أزاح المزاليج ثم فتح الباب بقوة وقال: «حسنًا، فلتدخل إن كنت تريد». ثم أضاف بنبرة ساخرة: «ولكن احذر أن تصدم رأسك يا سيدي اللورد».

لم يكن هناك خطر من هذا، فقد كان الباب مرتفعًا بما يكفي ليمر منه (لويال). خطأ (راند) ليلحق (بإيجوين) إلى الداخل، وهو يعتقد حاجبيه ويفكر إن كان (تشانجو) هذا يسعى إلى إثارة بعض المتاعب، كان أول شائنا ري وقح يلتقي به (راند)، حتى (ماسيما) كان صارمًا فحسب ولم يكن وقحًا. ولكن هذا الرجل أغلق الباب بقوة ثم أعاد المزاليج الثقيلة إلى موضعها قبل أن يتوجه إلى بعض الرفوف على الناحية الأخرى من الطاولة ويجلب أحد المصابيح التي عليها. لم يتوقف الرجل الآخر عن شحذ خنجره، ولم يرفع عينيه حتى. كانت الغرفة خالية إلا من الطاولة والمقاعد والرفوف، بأرضية مغطاة بالقش، وباب آخر مدعم بالحديد يؤدي إلى عمق السرداب.

قال (تشانجو): «ستحتاجان إلى بعض الضوء، أليس كذلك؟ هناك في الظلام بصحبة صديقكما صديق الظلام». ثم ضحك ضحكة خشنة خالية من الفكاهة، قبل أن يشعل المصباح. «إنه ينتظركما». ثم دفع بالمصباح ناحية (إيجوين) وفتح الباب الداخلي بلهفة تقريبًا. «ينتظركما هناك في الظلام».

توقف (راند) بقلق وهو يحدق إلى الظلمة من وراء الباب، و(تشانجو) يبتسم ابتسامة عريضة من ورائه، ولكن (إيجوين) أمسكت بكمه وجذبتة إلى الداخل. صُفّق الباب وكاد أن يرتطم بكاحليه، ثم أصدرت المزاليج قعقعة وهي تنغلق. لم يكن هناك سوى ضوء المصباح، دائرة صغيرة من الضوء تحيط بهما في الظلام.

سألها: «هل أنتِ واثقة من أنه سيسمح لنا بالخروج؟». لم ينظر الرجل حتى إلى سيفه أو قوسه، ولم يسأله قط عما يوجد في حزمته. «إنهما ليسا حارسين بارعين، من أدراه أننا لسنا هنا لتحرير (بادان فاين)؟».

قالت: «لن يعتقدوا هذا لأنهما يعرفانني جيداً». ولكنها بدت مضطربة. ثم أضافت: «إنهما يبدوان أسوأ في كل مرة آتي فيها إلى هنا. جميع الحراس يبدون كذلك، أسوأ سلوكاً وأكثر تَجْهَمًا. لقد مازحني (تشانجو) في المرة الأولى التي جئت فيها إلى هنا، و(نيادو) لم يعد يتحدث حتى، ولكنني أفترض أن العمل في مكان كهذا لن يجعل المرء يتحلى بالمرح. ربما يُخَيَّلُ إليَّ الأمر، ولكن هذا المكان لا يجعلني أشعر بالمرح أيضًا». رغم كلماتها جذبته بثقة إلى عمق الظلمة، فأبقى يده الأخرى على سيفه.

على ضوء المصباح الشاحب ظهر ممر عريض بشبكات حديدية مسطحة على كلا الجانبين، وزنازين بأبواب حجرية. زنزانان فقط من الزنازين التي مرا من أمامها كان بهما سجينان. كان شاغلا الزنانتين يجلسان على سريريهما الضيقين عندما وقع الضوء عليهما، فرفعا أيديهما ليحميا أعينهما وهما يحدقان من بين أصابعهما. رغم أن وجهيهما كانا مخفيين فإن (راند) كان واثقاً من أنهما يحدقان، فقد كانت أعينهما تلمع في ضوء المصباح.

تمتتم (إيجوين) وهي تشير إلى رجل قوي البنية بمفاصل أصابع غائرة: «هذا الرجل يحب الشراب والشجار، هذه المرة دمر الحجرة العامة لإحدى الحانات بالبلدة بمفرده وألحق الأذى الشديد ببعض الرجال». كان السجين الآخر يرتدي معطفاً مطرّاً بالذهب بكمين واسعين، وحذاءً قصيراً لامعاً. «لقد حاول أن يغادر المدينة دون أن يدفع حسابه بالحانة». قالت هذا باستياء شديد، فأبوها صاحب حانة بالإضافة إلى كونه عمدة (إيموندز فيلد). «أو أن يدفع ما يدين به لنصف دزينة من الباعة والتجار».

حدق إليهما الرجلان ووجها إليهما شتائم لا تقل بذاءة عن أي شتائم قد سمعها (راند) من حرس التجار. قالت في توتر: «إنهما يزدادان سوءاً كل يوم أيضًا». ثم أسرع الخطى.

كانت تسبقه بما يكفي عندما وصلا إلى زنزانة (بادان فاين)، حتى إنه في نهاية المطاف كان (راند) خارج دائرة الضوء تماماً. وقف هناك في الظلال وراء مصباحها.

كان (فاين) جالساً على فراشه، ومنحنياً للأمام مترقباً كما لو أنه ينتظر، تماماً كما قال (تشانجو). كان رجلاً بارز العظام حاد النظرات بذراعين طويلتين وأنف كبير، وقد صار أكثر هزالاً مما يتذكر (راند). ليس هزيلاً بسبب وجوده في السرداب - الطعام هو نفسه الذي يأكله الخدم، وحتى أسوأ السجناء لا يُجْرَم من الطعام - بل بسبب ما فعله قبل مجيئه إلى (فال دارا).

أعاد مرآه (لراند) ذكريات تمنى أن يتخلص منها، (فاين) على مقعد عربته الكبيرة التي تعبر بعجلاتها (جسر العربات) لتصل إلى (إيموندز فيلد) في يوم (ليلة الشتاء)، وفي (ليلة الشتاء) جاء (الترولوكيون) ليقتلوا ويحرقوا ويتعقبوا... يتعقبوا ثلاثة شبان كما قالت (مويرين). ليتعقبوني أنا - فقط لو كانوا يعرفون - ويستخدمون (فاين) ككلب صيد.

اعتدل (فاين) واقفاً مع اقتراب (إيجوين)، دون أن يحمي عينيه من الضوء أو حتى يرمش. ابتسم لها ابتسامة لمست شفثيه فحسب، ثم رفع عينيه من فوق رأسها لينظر مباشرة ناحية (راند) المختبئ في الظلمة

وراء الضوء. أشار بإصبعه ناحيته وقال بصوت أشبه بالدندنة: «أشعر بك هناك مخبئًا يا (راند أثور)، لا يمكنك أن تختبئ، لا مني ولا منهم. تعتقد أن الأمر قد انتهى، أليس كذلك؟ ولكن المعركة لا تنتهي أبدًا يا (أثور)، سيأتون من أجلي، وسيأتون من أجلك، وستستمر الحرب. سواء عشت أو مت فلن تنتهي أبدًا بالنسبة لك، أبدًا». وفجأة بدأ يترنم.

«قريبًا سيأتي اليوم الذي نتحرر فيه جميعًا.

حتى أنت، وحتى أنا.

قريبًا سيأتي اليوم الذي نموت فيه جميعًا.

بالتأكيد أنت، ولكن أبدًا ليس أنا».

ترك ذراعه تسقط ثم رفع عينيه ليحديق بحدة إلى الظلام. انثنى فمه في ابتسامة ملتوية، ثم ضحك من أعماق حلقه كأن أيًا ما كان يراه مسلّ. «(مورديث) يعرف أكثر منكم جميعًا. (مورديث) يعرف».

تراجعت (إيجوين) بعيدًا عن الزنزانة حتى وقفت إلى جانب (راند)، ولم يمس قضبان الزنزانة سوى حافة الضوء. أخفى الظلام البائع الجائل، ولكنها لا يزالان يسمعان ضحكاته. رغم أن (راند) لم يكن قادرًا على رؤية (فاين) فإنه كان واثقًا من أنه لا يزال يحديق إلى اللاشيء.

ارتجف وهو يبعد أصابعه عن مقبض سيفه ثم قال بصوت أجش: «بحق (النور)، هذا ما تسمينه عاد إلى سابق عهده؟».

قالت (إيجوين) بصوت مرتعش: «أحيانًا يكون أفضل حالًا، وأحيانًا يكون أسوأ. هذا أسوأ بكثير من المعتاد».

«تري ما الذي يحديق إليه؟ إنه مجنون يحديق إلى سقف حجري في الظلام». لو لم يكن الحجر موجودًا لكان يحديق مباشرة إلى مساكن النساء، حيث توجد (مويرين) و(عرش أميرلين). ارتجف مرة أخرى وقال: «إنه مجنون».

«لم تكن هذه فكرة جيدة يا (راند)». نظرت وراءها ناحية الزنزانة ثم جذبته بعيدًا عنها وخفضت صوتها كأنها تخشى أن يسمعها (فاين). لاحقتهما ضحكات (فاين). «حتى لو لم يبحثوا عنك هنا فلا يمكنني البقاء هنا معه هكذا، ولا أعتقد أنه يجب عليك البقاء أيضًا. هناك شيء حياله اليوم...». أخذت نفسًا مرتجفًا ثم قالت: «هناك مكان واحد يمكنك أن تكون آمنًا فيه من البحث أكثر من هنا. أنا لم أذكره لأنه كان من الأسهل جلبك إلى هنا، ولكنهم لن يبحثوا مطلقًا في مساكن النساء. مطلقًا».

«مساكن ال...! قد يكون (فاين) مجنونًا يا (إيجوين)، ولكنك أكثر جنونًا. لا يمكن أن تخبئني من الدبابير في عش الدبابير».

«أي مكان أفضل؟ لا يوجد جزء آخر في الحصن غير مسموح لرجل أن يدخله دون أن تدعوه امرأة، ولا حتى اللورد (أجيلمار). هذا هو المكان الوحيد الذي لن يفكر أحد في البحث فيه».

«هذا هو المكان الوحيد في الحصن الذي من المؤكد أنه سيكون مليئًا (بالآيز سيدياي)! هذا جنون يا (إيجوين)».

راحت تفتش حزمته وتتحدث كأنها الأمر قد حُسم: «يجب عليك أن تلف سيفك وقوسك في عباءتك، وبعدها ستبدو كأنك تحمل أشياء من أجلي، لن يكون من الصعب أن نجد لك سترة جلدية وقميصًا ليس جميلًا، ولكن سيكون عليك أن تنحني».

«قلت لكِ إنني لن أفعل هذا».

«بما أنك تتصرف بعناد كالبعغل فيجب عليك أن تلعب دور الحمار الذي يحمل أمتعتي. ما لم تكن تفضل حقًا البقاء هنا معه».

جاء همس (فاين) الضاحك عبر الظلال السوداء: «المعركة لا تنتهي أبدًا يا (ألثور). (مورديث) يعرف».

تمتم (راند): «سأحظى بفرصة أفضل بالقفز من على السور». ولكنه انتزع حزمته وراح يلف سيفه وقوسه وجعبته كما اقترحت.

في الظلمة ضحك (فاين) وقال: «لا تنتهي أبدًا يا (ألثور)، أبدًا».

الفصل الرابع

الاستدعاء

بينما (مويرين) بمفردها في غرفتها بمساكن النساء راحت تهندم شالها الموضوع على كتفيها والمطرز بالبلابل وأغصان العنب، قبل أن تتفحص نفسها في المرآة الطويلة الموضوعة في الزاوية. إن عينيها الواسعتين السوداوين تبدوان حادتين كعيني صقر عندما تكون غاضبة. بدتا في هذه اللحظة وكأنها تثقبان الزجاج الفضي. كان من قبيل الصدفة أنها تحمل هذا الشال في أكياس سرجها عندما جاءت إلى (فال دارا)، مع (شعلة تار قالون) البيضاء المتوهجة المتمركزة في منتصف ظهرها، والأهداب الطويلة الملونة بلون (الآجاء) التي تنتمي إليها، كانت أهداب شال (مويرين) زرقاء كسما الصباح. نادراً ما ترتدي أي واحدة من (الآيز سيدي) الشال خارج (تار قالون)، وحتى هناك لا ترتديه عادة إلا داخل (البرج الأبيض). كان هناك قليل من الرسمية في (تار قالون) التي تدعو إلى ارتداء الشال، باستثناء اجتماع (قاعة البرج)، وخارج (الأسوار اللامعة) فإن مرأى (الشعلة) سيجعل الناس يركضون للاختباء أو ربما لجلب (أبناء النور). إن سهم أصحاب العباءات البيضاء سيقتل (الآيز سيدي) كما قد يقتل أي شخص آخر، و(أبناء النور) ماكرون للغاية فلن يسمحوا (للآيز سيدي) بأن ترى الرامي قبل أن يضرب سهمه، مما لا يمنحها فرصة لفعل أي شيء. من المؤكد أن (مويرين) لم تتوقع قط أن ترتدي الشال في (فال دارا)، ولكن بالنسبة لاجتماع مع (الأميرلين) فهناك عادات يجب اتباعها.

كانت نحيفة وليست طويلة على الإطلاق، ولها وجنتان ناعمتان كأبي واحدة من (الآيز سيدي) لا يمكن تحديد عمرها، مما يمنحها عادة مظهرًا أصغر من عمرها الحقيقي، ولكن (مويرين) لديها هالة طاغية وحضور هادئ يمكنهما أن يهيمنوا على أي تجمع. وقد عزز من هذا السلوك نشأتها في القصر الملكي (بكايرين)، بالإضافة للسنوات التي أمضتها كواحدة من (الآيز سيدي). كانت تعرف أنها قد تحتاج إلى كل جزء من هذا الحضور اليوم، ومع ذلك كان وجهها مكتسبًا بالهدوء. لا شك أن هناك مشكلة وإلا ما جاءت بنفسها، هكذا فكرت للمرة العاشرة على الأقل. ولكن وراء هذه الفكرة يكمن ألف سؤال آخر؛ أي مشكلة؟ ومن اختارت أن يصحبها؟ ولماذا هنا؟ ولماذا الآن؟ لا يمكن السماح للأمر بأن يسير على نحو خاطئ الآن.

انعكس الضوء عن خاتم (الأفعوان العظيم) في يدها اليمنى عندما لمست السلسلة الذهبية الرقيقة المثبتة في شعرها الأسود المنسدل في أمواج على كتفيها. كان هناك حجر أزرق صافٍ صغير يتدلى من السلسلة في منتصف جبهتها. يعرف الكثيرون في (البرج الأبيض) الحيل التي يمكن فعلها باستخدام هذا الحجر كنقطة تركيز. كانت مجرد قطعة مصقولة من البلور الأزرق، مجرد شيء استخدمته شابة في بداية تعلمها دون أحد ليرشدها، هذه الفتاة تتذكر حكايات الأنجريال، وحتى حكايات السانجريال الأكثر قوة، هذه البقايا الأسطورية من (عصر الأساطير)، التي تسمح (للآيز سيدي) بتسخير المزيد من (القوة الواحدة) أكثر مما

يمكن تسخيره بشكل آمن دون مساعدة. تذكرت وهي تفكر أن بعض التركيز مطلوب من أجل أي تسخير، إن أخواتها في (البرج الأبيض) يعرفن بعض حيلها ويشتبهن في البعض الآخر، بما في ذلك بعض الحيل التي ليس لها وجود وقد شعرت بالصدمة عندما سمعت بها. إن الأشياء التي تفعلها بالحجر صغيرة وبسيطة، وعادة ما تكون مفيدة. الأشياء التي قد يتخيلها طفل، ولكن إن كانت (الأميرلين) قد اصطحبت النوع الخاطئ من النساء فإن البلورة قد تززع من ثقتهم بسبب الحكايات.

جاءت طرقات سريعة ملححة على باب الغرفة. لن يطرق شايناري بهذه الطريقة على أي باب، وخصوصًا على بابها. واصلت التحديق إلى المرأة، حتى صارت عيناها تحقدان بهدوء وقد دُفنت كل الأفكار في أعماقهما المظلمة. تفحصت كيسها الجلدي الناعم المتدلي من حزامها. أيا ما كانت المشكلات التي أخرجتها من (تارفالون) فإنها ستسهاها عندما أعرض عليها هذه المشكلة. سمعت الطرقات مرة ثانية بشكل أقوى من المرة الأولى، قبل أن تقطع الغرفة وتفتح الباب بابتسامة هادئة للمرأتين اللتين جاءتا من أجلها.

تعرفت على كليهما، (آنايا) في شالها ذي الأهداب الزرقاء، و(لياندرين) ذات الشعر الأشقر في شالها ذي الأهداب الحمراء. لم تكن (لياندرين) شابة المظهر فحسب، بل كانت شابة جميلة، بوجه رقيق وفم صغير مشاكس، وقد رفعت يدها لتطرق مرة أخرى. كان حاجباها السوداء وعيناها الأكثر سوادًا متناقضين مع الصفائر العديدة ذات اللون العسلي الفاتح التي تلمس كتفيها، ولكن هذا المزيج لم يكن غير معتاد في (تارابون). كانت كلتا المرأتين أطول من (مويرين)، رغم أن (لياندرين) كانت تفوقها طولًا بأقل من مقدار يد.

ارتسمت ابتسامة على وجه (آنايا) حاد القسمات بمجرد أن فتحت (مويرين) الباب. هذه الابتسامة منحتها الجمال الوحيد الذي ستحظى به، ولكنه كان كافيًا. يشعر الجميع تقريبًا بالارتياح عندما تبتسم لهم (آنايا). «فليشرق عليك (النور) يا (مويرين)، تسعدني رؤيتك مرة أخرى. هل أنت بخير؟ لم أرك منذ وقت طويل للغاية».

«يبتهج قلبي بحضورك يا (آنايا)». كان هذا صحيحًا بالتأكيد، من الجيد أن تعرف أن هناك صديقة واحدة على الأقل بين (الآيز سيدي) اللائي جئن إلى (فال دارا). «فليشرق عليك (النور)».

زمت (لياندرين) شفتيها وهي تهندم شالها ثم قالت: «(عرش أميرلين) تطلب حضورك يا أختاه». كان صوتها حادًا أيضًا ويكاد أن يكون باردًا. ليس بسبب (مويرين) - أو ليس من أجلها فقط - فدومًا ما تبدو (لياندرين) غير راضية عن شيء ما. عقدت حاجبيها وهي تنظر من فوق كتفي (مويرين) إلى الغرفة ثم قالت: «هذه الغرفة محمية بتعويذة، لا يمكننا الدخول. لم قد تضعين تعويذة حماية ضد أخواتك؟».

أجابت (مويرين) ببساطة: «ضد كل شخص، العديد من الخادومات يشعرون بالفضول تجاه (الآيز سيدي)، وأنا لا أريد أن يعشن بغرفتي في غيابي. لم يكن هناك حاجة للتمييز حتى الآن». أغلقت الباب من ورائها ليقف ثلاثتهن في الردهة، ثم قالت: «هلا ذهبنا؟ لا يجب أن نبقي (الأميرلين) منتظرة».

بدأت تمشي عبر الردهة بينما (آنايا) تحدثها إلى جانبها. ظلت (لياندرين) واقفة للحظة وهي تحديق إلى الباب كأنها تتساءل عما تخفيه (مويرين)، ثم أسرعت لاحقة بهما. مشيت على الجانب الآخر من (مويرين) بتكلف كأنها هي واحدة من الحراس، أما (آنايا) فقد كانت تمشي ببساطة برفقة (مويرين). كانت أصوات نعالهن تتردد بصوت خافت على السجاد السميك ذي الأنماط البسيطة.

كان هناك نسوة في ثياب الخدم ينحنين انحناءات كبيرة أثناء مرورهن، أكبر من انحنائهن للورد (فال دارا) نفسه. ثلاثة من (الآيز سيداي) معاً، و(عرش أميرلين) نفسها في الحصن. كان شرفاً أكبر مما تتوقع أي امرأة في الحصن أن تتلقاه في حياتها. بعض النسوة من العائلات النبيلة كن في الردهات وقد انحنين أيضاً وهو ما لا يفعله بالتأكيد للورد (أجيلمار). كانت (مويرين) و(آنايا) تبتسمان وتحنيان رأسيهما، ردّاً على كل بادرة توقير، سواء من الخادومات أو النبيلات على حد سواء، ولكن (لياندرين) تجاهلتهن جميعاً.

لم يكن هناك سوى النسوة بالطبع، لم يكن هناك رجال، فلا يمكن لأي ذكر شائيناري فوق سن العاشرة أن يدخل مساكن النساء دون إذن أو دعوة، ولكن كان هناك بعض الصبية الصغار يركضون ويلعبون في الردهات. كانوا يجثون على ركبة واحدة بارتباك عندما تنحني أخواتهم انحناء كبيرة. من آن لآخر كانت (آنايا) تبتسم وتومئ برأسها الصغير أثناء مرورها.

قالت (آنايا): «هذه المرة قد ابتعدت عن (تار فالون) لوقت طويل يا (مويرين)، أطول من اللازم، (تار فالون) تفتقدك، أخواتك يفتقدنك، وهناك حاجة لوجودك في (البرج الأبيض)».

قالت (مويرين) برفق: «بعضنا يجب أن يعمل في العالم، سأترك (قاعة البرج) لك يا (آنايا)، ومع ذلك في (تار فالون) تسمعن بما يحدث في العالم أكثر مني. أحياناً ما يفوتني ما يحدث في المكان الذي كنت فيه بالأمس. ما الأخبار التي لديك؟».

«ثلاثة (تنانين كاذبين) آخرون». قالت (لياندرين) الكلمات بحدة. «(التنانين الكاذبون) يعيشون بالأرض فساداً في (سالدايا) و(موراندي) و(تير). في تلك الأثناء أنتن الزرقاوات تبتسمن ولا تتحدثن عن شيء وتحاولن التشبث بالماضي». رفعت (آنايا) حاجباً فأغلقت (لياندرين) فمها بحركة حادة.

قالت (مويرين) متعجبة بهدوء: «ثلاثة؟». للحظة لمعت عيناها ولكنها أخفت هذا على الفور. «ثلاثة في العامين الماضيين، والآن ثلاثة في الوقت ذاته».

«ستعامل معهم كما تعاملنا مع الآخرين، هذه الطفيليات الذكورية وأي رعايتبعون رايتها».

تعجبت (مويرين) من الثقة في صوت (لياندرين)، فقد كانت مدركة للحقائق، ومدركة للاحتتمالات. «هل كانت بضعة أشهر كافية لكي تنسي يا أختاه؟ (التنين الكاذب) الأخير قد مزق (غيلدان) قبل هزيمة جيشه، سواء كانوا من الرعا أم لا. أجل (لوجاين) في (تار فالون) الآن وأفترض أنه مرقق وآمن، ولكن بعض أخواتنا قد متن من أجل التغلب عليه. حتى موت أخت واحدة لهو خسارة أكبر مما يمكننا تحمله، ولكن خسائر (غيلدان) كانت أسوأ بكثير. إن الاثنين اللذين سبقا (لوجاين) لم يتمكننا من التسخير، ومع

ذلك فإن سكان (كاندور) و(آراد دومان) يتذكرونها جيداً، لقد حُرقت القرى ومات الرجال في المعارك. إلى أي مدى سيكون من السهل التعامل مع ثلاثة في وقت واحد؟ كم عدد من سيحتشدون تحت راياتهم؟ لم يكن هناك نقص في الأتباع لأي رجل يزعم أنه (التنين العائد)، إلى أي مدى ستكون الحروب عظيمة هذه المرة؟».

قالت (آنايا): «الأمر ليس قائماً إلى هذا الحد، حسبما نعرف فإن الشخص الموجود في (سالدايا) هو وحده من يمكنه التسخير، لم يكن لديه وقت لجذب الكثير من الأتباع، ويجب أن تكون الأخوات قد وصلن بالفعل للتعامل معه. التيريون يهاجمون (التنين الكاذب) وأتباعه في جميع أنحاء (هادون ميرك)، بينما الشخص الموجود في (موراندي) مكبل بالأصفاد بالفعل». ثم ضحكت ضحكة قصيرة متعجبة قبل أن تقول: «من العجيب أن يتعامل المورانديون - من بين كل الناس - مع تنينهم الكاذب بهذه السرعة. ومع ذلك فهم لا يطلقون على أنفسهم اسم المورانديين، بل اللوجارديين أو الإنشيليين أو أتباع ذلك اللورد أو تلك السيدة النبيلة. ولكن خوفاً من أن يتخذ أحد جنراتهم هذا ذريعة للغزو انقض المورانديون على (تنينهم الكاذب) بمجرد أن فتح فمه ليعلن عن نفسه».

قالت (مويرين): «ومع ذلك لا يمكن تجاهل ثلاثة في الوقت ذاته، هل تمكنت أي من الأخوات من التنبؤ؟». كان هذا احتمالاً ضئيلاً، فالقليل من (الآيز سيدي) قد أظهرن أي جزء - ولو صغير للغاية - من تلك الموهبة منذ قرون، لذا لم تتفاجأ عندما هزت (آنايا) رأسها. ولكنها لم تشعر بالارتياح.

وصلن إلى تقاطع للمرات في الوقت نفسه الذي وصلت فيه السيدة (أماليسا)، انحنى انحناء كاملة وهي تبسط تنورتها الخضراء الشاحبة، وتمتمت: «الشرف (لتار فالون)، الشرف (للآيز سيدي)».

لم يكن مطلوباً من أخت لورد (فال دارا) أكثر من إيماءة بالرأس. أمسكت (مويرين) بيدي (أماليسا) لكي تنصب قامتها وقالت: «أنتِ تشرفيننا يا (أماليسا)، انهضي يا أختاه».

اعتدلت (أماليسا) برشاقة وقد احمر وجهها خجلاً، إنها لم تذهب قط إلى (تار فالون)، لذا فإن منحها لقب أخت من واحدة من (الآيز سيدي) كان مبعثاً للفخر، حتى بالنسبة لشخص في مثل مكانتها. كانت قصيرة وفي منتصف العمر وتتمتع بجمال داكن وناضج قد أبرزه احمرار وجنتيها. «أنتِ تشرفينني شرفاً عظيماً يا (مويرين سيدي)».

ابتسمت (مويرين) وقالت: «منذ متى تعرف إحدانا الأخرى يا (أماليسا)؟ هل يجب أن أناديك السيدة النبيلة (أماليسا) كأننا لم نجلس لتناول الشاي معاً من قبل؟».

بادلتها (أماليسا) الابتسام وقالت: «بالطبع لا». إن القوى التي يتمتع بها وجه أخيها كانت بادية في وجهها أيضاً، ولا تقلل منها الخطوط الرقيقة لوجنتيها وفكها. هناك من يقول إن (أجيلمار) رغم كونه مقاتلاً لا يشق له غبار فإنه لا يتفوق على أخته. «ولكن مع وجود (عرش أميرلين) هنا... عندما يأتي الملك (إيسار)

لزيرة (فال دارا) أناديه على انفراد (ماجامي)، أو العم الصغير، كما كنت أفعل عندما كنت طفلة يحملها على كتفيه، ولكن في العلن يجب أن يكون الأمر مختلفاً».

طقطقت (آنايا) بلسانها وقالت: «أحياناً تكون الرسميات ضرورية، ولكن الرجال غالباً ما يبالغون في الأمر، أرجوك ناديني (آنايا)، وسأناديك (أماليسا) إذا سمحت».

من طرف عينها رأت (مويرين) (إيجوين) بعيداً عبر الردهة الجانبية، تختفي بسرعة عند الزاوية. كان هناك شخص منحني يرتدي سترة جلدية مطرقاً برأسه ويحمل حزمتين بين ذراعيه مسرعاً في إثرها. سمحت (مويرين) لنفسها بابتسامة طفيفة أخفتها على الفور. قالت لنفسها بسخرية: إن أظهرت الفتاة القدر نفسه من المبادرة في (تارقالون) فقد تجلس على (عرش أميرلين) يوماً ما. هذا إن تعلمت كيف تتحكم في تلك المبادرة، وإذا كان لا يزال هناك (عرش أميرلين) لتجلس عليه.

عندما أولت الأخريات اهتمامها مرة أخرى كانت (لياندرين) تتحدث. «... وسأرحب بفرصة لمعرفة المزيد عن أرضك». كانت تبتسم ابتسامة مرحبة أثوية، وكان صوتها ودوداً.

رسمت (مويرين) السكون على وجهها، بينما (أماليسا) توجه دعوة للانضمام إليها وإلى السيدات النبيلات الأخريات في حديثها الخاصة، فقبلت (لياندرين) الدعوة بحرارة. كان لدى (لياندرين) القليل من الصديقات، وجميعهن ضمن (الآجاه الحمراء)، وبالتأكيد ليس لديها صديقات خارج (الآيز سيدي). سرعان ما ستصادق رجلاً أو (ترولوكاً). لم تكن (مويرين) واثقة من أن (لياندرين) ترى اختلافاً كبيراً ما بين الرجال و(الترولوكيين). وكانت واثقة من أن جميع (الآجاه الحمراء) ينظرون إلى الرجال نفس النظرة. أوضحت (آنايا) أنه يجب عليهن الامتثال أمام (عرش أميرلين)، فقالت (أماليسا): «بالطبع، فليشرق عليها (النور)، وليحميها (الخالق). في وقت لاحق إذن». ثم نصبت قامتها وأحنت رأسها بينما يغادرن. راحت (مويرين) تتفحص (لياندرين) بينما يمشين دون أن تنظر إليها بشكل مباشر، كانت (الآيز سيدي) ذات الشعر العسلي تحديقاً إلى الأمام مباشرة، وتزم شفيتها الورديتين في تفكير، بدا أنها نسيت بشأن (مويرين) و(آنايا). ما الذي تخطط له؟

لم يبد أن (آنايا) قد لاحظت أي شيء خارج عن المألوف، ولكنها دوماً ما تتمكن من قبول الناس كما هم، وكما يريدون أن يكونوا، دوماً ما تدهش (مويرين) قدرة (آنايا) على التعامل بشكل جيد كما تفعل في (البرج الأبيض). ولكن يبدو أن هؤلاء المخادعين دوماً ما يعتبرون انفتاحها وصدقها وتقبلها للجميع وسائل للمكر. ودوماً ما يفقدون توازنهم عندما يتضح أنها تعني ما تقوله وتقول ما تعنيه. وكان لديها أيضاً طريقة في رؤية جوهر الأشياء، وقبول ما ترى، وفي هذه الأثناء راحت بكل سرور تستأنف الحديث عن الأخبار.

«الأخبار من (أندور) جيدة وسيئة في الآن ذاته، لقد خدت التمردات في شوارع (كايملين) مع مجيء الربيع، لكن لا يزال هناك حديث عن إلقاء اللوم بشأن الشتاء الطويل على الملكة و(تارقالون) أيضاً. إن

قبضة (مورجيز) على عرشها أقل إحكامًا مما كانت عليه العام الماضي، ولكنها لا تزال تحكم قبضتها عليه، وستظل محكمة ما دام (جاريث براين) هو القائد العام لحرس الملكة. والسيدة (إيلالين) ولية العهد وأخوها اللورد (جاوين) قد وصلا بأمان إلى (تار قالون) من أجل تدريباتهما. كان هناك بعض التخوف في (البرج الأبيض) من أن هذه العادة قد تُكسر».

قالت (مويرين): «لن يحدث هذا ما دام هناك نفس يتردد في صدر (مورجيز)». جفلت (لياندرين) كأنها قد استيقظت للتو ثم قالت: «فلندعُ أن تستمر في التنفس، إن (أبناء النور) قد تتبعوا مجموعة ولية العهد حتى (نهر إيرينين)، حتى الجسور المؤدية إلى (تار قالون). المزيد منهم لا يزالون مخيمين خارج (كايملين)، من أجل فرصة لإثارة المتاعب، وداخل (كايملين) لا يزال هناك من يصغون لهم». تنهدت (آنايا) وقالت: «ربما حان الوقت لتتعلم (مورجيز) القليل من الحذر، العالم يزداد خطورة كل يوم، حتى بالنسبة للملكة، وربما على وجه الخصوص بالنسبة للملكة. لطالما كانت عنيدة. أتذكر عندما جاءت إلى (تار قالون) وهي فتاة، لم تتمتع بالقدرة على أن تصير أختًا كاملة، وقد أثار هذا استياءها. أحيانًا أعتقد أن هذا هو سبب ضغطها على ابنتها. أيًا كان ما تختاره الفتاة».

قالت (مويرين) باستياء: «لقد وُلدت (إيلالين) بشرارة بداخلها، لم تكن مسألة اختيار، لن تغامر (مورجيز) بترك الفتاة تموت بسبب افتقارها للتدريبات حتى لو كان جميع أصحاب العباءات البيضاء في (أماديسيا) يخيمون خارج (كايملين). كانت لتأمر (جاريث براين) وحرس الملكة بشق طريق لهما حتى (تار قالون)، وسيفعلها (جاريث براين) حتى لو اضطر لأن يفعل هذا وحده». ولكنها لا تزال بحاجة لإبقاء القدرات المحتملة للفتاة سرًا، هل سيقبل شعب (أندور) بجلوس (إيلالين) على عرش الأسد بعد (مورجيز) إن عرفوا؟ ليس فقط ملكة تدرت في (تار قالون) وفقًا للعادات، بل (آيز سيدي) كاملة؟ في التاريخ المسجل كله لم يكن هناك سوى عدد قليل من الملكات يحق لهن أن يطلقن على أنفسهن لقب (آيز سيدي). والقليل منهن اللاتي جعلن هذا معروفًا قد ندمن في نهاية المطاف. شعرتُ بلمسة من الحزن، ولكن هناك الكثير من الأمور التي تجري بحيث لا يمكن مد يد العون إلى - أو حتى القلق على - أرض واحدة وعرش واحد. «هل هناك شيء آخر يا (آنايا)؟».

«يجب أن تعرفي أنهم في (إليان) ينادون (للصيد العظيم للبوق)، لأول مرة منذ أربعمئة عام. يقول الإليانيون إن (المعركة الأخيرة) آتية». ارتجفت (آنايا) ارتجافة طفيفة ولكنها أكملت حديثها دون أن تتوقف: «ويجب العثور على (بوق فالير) قبل المعركة النهائية ضد (الظل)، الرجال من كل أرض يجتمعون بالفعل، وكلهم متلهفون ليكونوا جزءًا من الأسطورة، متلهفون للعثور على (البوق). (موراندي) و(ألتارا) متأهبتان بالطبع، معتقدتين أن كل هذا محاولة لإخفاء تحرك ضد إحداهما. هذا على الأرجح هو سبب إلقاء المورادنيين القبض على (تينهم الكاذب) بهذه السرعة. على أي حال سيكون هناك الكثير من الحكايات الجديدة

للشعراء وصانعي البهجة لتضاف إلى مجموعة حكايات (التنين)، ونرجو من (النور) أن تكون مجرد حكايات جديدة فحسب».

قالت (مويرين): «ربما ليست الحكايات التي يتوقعونها». فنظرت (لياندرين) إليها بحدة ولكنها أبقت وجهها ساكنًا.

قالت (آنايا) بهدوء: «لا أعتقد هذا، الحكايات التي يتوقعونها ستكون هي الحكايات التي ستُضاف إلى المجموعة، أكثر من ذلك ليس لدي سوى الشائعات، إن (قوم البحر) مضطربون وسفنهم تبحر من ميناء إلى آخر دون توقف تقريبًا. الأخوات من الجزر يقلن إن (الكورامور) - مختارهم - آتٍ، ولكن لم يقلن أكثر من هذا. أنتِ تعرفين كم أن (الآثان مير) متحفظون بشأن الحديث عن (الكورامور) مع الغرباء، وبهذا الصدد يبدو أن الأخوات يفكرن (كقوم البحر) أكثر من كونهن (آيز سيدي). يبدو أن الآيليين مضطربون أيضًا، ولكن لا أحد يعرف السبب. لا أحد يعرف شيئًا عندما يتعلق الأمر بالآيليين. على الأقل لا يوجد دليل على أنهم ينوون عبور (فقار العالم) مرة أخرى، حمدًا (للنور)». تنهدت وهي تهز رأسها ثم قالت: «سأدفع أي ثمن لكي يكون لدينا ولو أخت واحدة بين الآيليين، واحدة فحسب، نحن لا نعرف عنهم سوى أقل القليل».

ضحكت (مويرين) وقالت: «أحيانًا ما أشعر أنك تنتمين إلى (الآجاه البنيات) يا (آنايا)».

قالت (لياندرين): «(سهل الموث)». وبدأت مندهشة لأنها قد تحدثت.

قالت (آنايا): «أما هذه فإنها شائعة بالتأكيد يا أختاه. لقد سمعت بعض الهمسات بينما نرحل عن (تار فالون)، قد يكون هناك قتال في (سهل الموث)، وربما في (تومان هيد) أيضًا، أقول ربما، الهمسات خافتة للغاية، شائعات عن شائعات. لقد رحلنا قبل أن نسمع المزيد».

قالت (مويرين): «لا شك أن السبب هو (تارابون) و(آراد دومان)». ثم هزت رأسها وقالت: «إنهما تتشاجران على (سهل الموث) منذ قرابة ثلاثمئة عام، ولكن الأمر لم يتحول قط إلى معركة صريحة». نظرت ناحية (لياندرين)، من المفترض أن تتخلص (الآيز سيدي) من كل ولائهن القديم للأراضي والحكام، ولكن قليلًا منهن يفعلن هذا بشكل كامل، من الصعب ألا تبالي بشأن الأرض التي ولدت بها. «لم قد تفعلان هذا الآن...؟».

قالت المرأة ذات الشعر العسلي بغضب: «يكفي ثرثرة. إن (الأميرلين) تنتظرك يا (مويرين)». ثم قطعت ثلاث خطوات سريعة لتسبقهما، وفتحت مصراع باب طويل. «لن تبادلك (الأميرلين) الثرثرة».

بشكل لا شعوري لمست (مويرين) الكيس عند خصرها ثم تجاوزت (لياندرين) لتعبر المدخل وهي تومئ برأسها كأن المرأة الأخرى تمسك بمصراع الباب من أجلها. لم تبسم حتى مع وميض الغضب على وجه (لياندرين). ما الذي تخطط له الفتاة المسكينة؟

كان هناك سجاد بألوان زاهية يغطي أرضية غرفة الاستقبال في طبقات، وكانت الغرفة مؤثثة بشكل لطيف بالكراسي والمقاعد المبطنه والطاولات الصغيرة والتحف الخشبية المشغولة ببساطة أو المصقولة فحسب. كانت الستائر المنسدلة على فتحات رمي الأسهم الطويلة تجعلها تبدو أكثر شبهاً بالنوافذ، لم يكن هناك نيران في المدافئ فقد كان النهار دافئاً، ولن تأتي برودة (شاينار) إلا بعد حلول المساء. من بين دزينة (الآيز سيداي) اللاتي صحبن (الأميرلين) كان هناك خمسة فحسب؛ (فيرين ماثوين) و(سيرافيل) من (الآجاه البنيات)، لم ترفعا بصرهما مع دخول (مويرين). كانت (سيرافيل) تقرأ باهتمام كتاباً قديماً بغطاء جلدي بالٍ وتتعامل مع صفحاته المهترئة بحذر، بينما (فيرين) ذات الجسد الممتلئ تجلس عاقدة الساقين أسفل فتحة سهام وهي تحمل زهرة صغيرة باتجاه الضوء، وتكتب ملحوظات، وترسم رسومات بيد دقيقة في كتاب متوازن على ركبته. كان هناك محبرة مفتوحة على الأرض بجانبها، وكومة صغيرة من الزهور على حجرها. لا تهتم (الأخوات البنيات) كثيراً بأي شيء آخر عدا طلب المعرفة. أحياناً ما تتساءل (مويرين) إن كن يعرفن حقاً بما يجري في العالم أو حتى ما يحدث من حولهن مباشرة.

التفتت النسوة الثلاثة الأخريات في الغرفة، لم تبدل أي منهن مجهوداً للاقتراب من (مويرين)، بل اكتفين بالنظر إليها. إحدهن امرأة نحيفة من (الآجاه الصفراوات)، ولم تكن تعرفها، فهي لا تقضي الكثير من الوقت في (تار فالون) لتعرف كل (الآيز سيداي)، رغم أن أعدادهن لم تعد كبيرة. ولكنها كانت تعرف المرأتين الأخريين؛ (كارلينا) ذات البشرة الشاحبة والسلوك البارد كأهداب شالها البيضاء، على النقيض تماماً من (آلانا موسقاني) السمراء المفعمة بالحياة من (الآجاه الخضراوات)، ولكن كليهما اكتفتا بالوقوف والتحديث إليها دون حديث أو أن يرسم أي تعبير على وجهيهما. جذبت (آلانا) شالها على جسدها بحدة، ولكن (كارلينا) لم تتحرك على الإطلاق. أشاحت (الصفراء) النحيفة بوجهها وقد بدا عليها الأسف.

قالت (مويرين): «فليشرق (النور) عليكم جميعاً يا أخواتي». لم تجبها أي منهن، لم تكن واثقة حتى إن كانت (سيرافيل) أو (فيرين) قد سمعتها. «أين الأخريات؟». لم يكن هناك حاجة لوجودهن جميعاً هنا، معظمهن يستريحن في غرفهن للاسترخاء من الرحلة، ولكنها في هذه اللحظة كانت متوترة، وكل الأسئلة التي لم تستطع طرحها تموج في عقلها، وإن كان أي من هذا لم يظهر على وجهها.

انفتح الباب الداخلي وظهرت (لياني) من دون عصاها ذات الشعلة المطلية بالذهب. كانت القيّمة على السجلات طويلة كمعظم الرجال، ذات جسد نحيل رشيق، ولا تزال جميلة، ببشرة نحاسية وشعر قصير أسود. كانت ترتدي وشاحاً أزرق بعرض يد بدلاً من الشال، فهي تجلس في (قاعة البرج) كقيّمة وليس لتمثيل (الآجاه) التي تنتمي إليها.

قالت بحيوية مخاطبة (مويرين): «ها أنتِ ذي». ثم أشارت إلى الباب وراءها وقالت: «تعالى يا أختاه، عرش أميرلين في انتظارك». كانت تتحدث بشكل طبيعي وبطريقة مقتضبة سريعة لا تتغير مطلقاً، سواء

كانت غاضبة أو مبتهجة أو متحمسة. بينما (مويرين) تمشي وراء (لياني) تساءلت ما الشعور الذي ينتاب القِيَمَة الآن. جذبت (لياني) الباب من ورائها، فانغلق بصوت عالٍ كأنها هو صوت انغلاق باب زنزانة.

كانت (عرش أميرلين) نفسها جالسة خلف طاولة عريضة في منتصف السجادة وعلى الطاولة يستقر مكعب مسطح من الذهب بحجم صندوق سفر، ومزخرف بالفضة. كانت الطاولة ثقيلة وبقوائم متينة، ولكنها بدت كأنها تتن تحت ثقل سيواجهه رجلان قويان صعوبة في حمله.

مع رؤية المكعب الذهبي وجدت (مويرين) صعوبة في إبقاء وجهها ساكنًا، فأخر مرة قد رآته فيها كان مؤمّنًا في خزانة (أجيلمار) المنيعة. عندما علمت بمجيء (عرش أميرلين) كانت تنوي أن تخبرها عنه بنفسها. إن وجوده بالفعل في حوزة (الأميرلين) كان أمرًا بسيطًا ولكنه مقلق، فهذا يعني أن الأحداث يمكن أن تسبقها.

انحنى انحناء واسعة وقالت بشكل رسمي: «لقد جئت كما طلبت أيتها الأم». مدت (الأميرلين) يدها فقبلت (مويرين) خاتم (الأفعوان العظيم) الذي لا يختلف عن خاتم أي (آيز سيداي) أخرى. نهضت وهي تجعل لهجتها أكثر تبسطًا، ولكن ليس كثيرًا، فهي تدرك أن القِيَمَة تقف وراءها إلى جانب الباب. «آمل أن رحلتك كانت خالية من المتاعب أيتها الأم».

لقد وُلدت (الأميرلين) في (تير)، لعائلة صياد سمك بسيط، وكان اسمها (سيوان سانشي)، رغم أن أقل القليل قد استخدموا هذا الاسم أو فكروا فيه أثناء العشر السنوات التي مضت منذ أن ارتقت من (قاعة البرج). إنها (عرش أميرلين)، وهذا كل شيء. إن الوشاح العريض على كتفها مخطط بألوان (الآجاهات) السبع، إن (الأميرلين) تنتمي لكل (الآجاهات) ولا تنتمي لأي واحدة منهم. كانت متوسطة الطول ووسيمة بدلًا من كونها جميلة، ولكن وجهها يحمل القوة التي يتمتع بها منذ ما قبل ارتقائها، قوة فتاة قد نجت في شوارع (مايول)؛ منطقة الميناء في (تير). وعيناها الزرقاوان الصافيتان تجعلان الملوك والملكات - وحتى القائد الأعلى (لأبناء النور) - يطرقون بأعينهم. كانت عيناها متعبتين في هذه اللحظة، وفمها مشدود بعض الشيء.

«لقد استدعينا الرياح لتسرع من مركباتنا عبر (نهر إيرينين) يا ابنتي، بل وحولنا التيارات لمساعدتنا». كان صوت (الأميرلين) عميقًا وحزينًا. «لقد رأيت الفيضانات التي تسببنا بها في القرى على طول النهر، و(النور) وحده يعرف ما الذي فعلناه بالطقس. لن يعجب الناس الضرر الذي أحدثناه والمحاصيل التي ربما قد أفسدناها، كل هذا لكي نصل هنا في أسرع وقت ممكن». اتجهت عيناها إلى المكعب الذهبي المزخرف، ثم رفعت يدها كأنها لتلمسه، ولكن عندما تحدثت كان كل ما قالته: «(إيليدا) في (تار قالون) يا ابنتي، لقد ذهبت بصحبة (إيلين) و(جاوين)».

كانت (مويرين) مدركة لوقوف (لياني) جانبًا صامتة كعادتها دومًا في حضور (الأميرلين)، فقط لتراقب وتستمع، قالت بحذر: «أنا مندهشة أيتها الأم، هذا ليس الوقت المناسب لكي تكون (مورجيز) بدون

مشورة (الآيز سيدي)». كانت (مورجيز) واحدة من الحكام القلائل الذين يعترفون علناً باستشارة (الآيز سيدي)، كل الحكام تقريباً لديهم مستشارة من (الآيز سيدي)، ولكن القليل يعترفون بهذا.

«لقد أصرت (إيليدا) على هذا يا ابنتي، وسواء كانت (مورجيز) ملكة أم لا فأشك أنها ستعارض إرادة (إيليدا). على أي حال ربما هذه المرة لم ترغب في هذا، (إيلان) لديها قدرات كامنة أكثر مما رأيت من قبل، وهي تبرز تقدماً بالفعل، (الأخوات الحمراء) فخورات للغاية بالأمر. لا أعتقد أن الفتاة تميل لطريقتهم في التفكير، ولكنها لا تزال صغيرة ولا يمكن التيقن من الأمر. حتى إن لم يتمكنوا من استمالتها فإن هذا لن يصنع فارقاً كبيراً، قد تصير (إيلان) أقوى (آيز سيدي) منذ ألف عام، و(الآجاء الحمراء) هن من عثرن عليها، لقد اكتسبن مكانة كبيرة في (القاعة) بسبب الفتاة».

قالت (مويرين): «معي شابتان في (فال دارا) أيتها الأم، كلتاها من (النهرين)، حيث لا تزال دماء (مانثيرن) قوية، رغم أنهم لا يتذكرون أن أرضهم كانت ذات يوم تُدعى (مانثيرن). الدماء القديمة تغني أيتها الأم، وتغني بصوت عالٍ في (النهرين). إن (إيجوين) الفتاة القروية تتمتع بقوة مثل (إيلان) على الأقل، لقد رأيت ولية العهد وأعرف ما أقوله، والأخرى (ناينيف)، كانت حكيمة القرية، ولكنها لا تزال شابة صغيرة. هذا يشي بالكثير عنها إن كن النساء في قريتها قد اخترنها لكي تصير الحكيمة في مثل عمرها. بمجرد أن تكتسب سيطرة واعية على ما تفعله الآن دون إرادة فستكون بقوة أي (آيز سيدي) في (تار قالون). مع التدريب ستألق كالنار إلى جانب شمعتي (إيلان) و(إيجوين)، وليس هناك فرصة أن تختار هاتان الاثنتان (الآجاء الحمراء)، إنهما معجبتان بالرجال، تغضبان منهم ولكنها لا تكرهانهم. ستتصديان بسهولة لأي تأثير تكتسبه (الآجاء الحمراء) في (البرج الأبيض) نتيجة لعثورهن على (إيلان)».

أومأت (الأميرلين) برأسها، كما لو أن كل هذا غير ذي أهمية. رفعت (مويرين) حاجبها في دهشة، قبل أن تتدارك نفسها وترخي ملامحها. كان هناك شاغلان أساسيان في (قاعة البرج)؛ أن هناك عدداً أقل من الفتيات يمكن تدريبهن على تسخير (القوة الواحدة) كل عام، أو هذا ما يبدو، وأن هناك عدد أقل من القوى الحقيقية يعثر عليها. إن الأسوأ من الخوف لدى أولئك الذين يلقون باللوم على (الآيز سيدي) (لتحطم العالم)، الأسوأ من كراهية (أبناء النور)، الأسوأ حتى من صنائع أصدقاء الظلام، هو التناقص الهائل في الأعداد وتناقص القدرات. إن ممرات (البرج الأبيض) التي لا يشغلها سوى عدد قليل كانت مزدحة ذات يوم، وما كان يمكن إنجازه بسهولة باستخدام (القوة الواحدة) ذات يوم لم يعد من الممكن إنجازه إلا بصعوبة، أو لا يمكن إنجازه على الإطلاق.

«كان لدى (إيليدا) سبب آخر للذهاب إلى (تار قالون) يا (مويرين)، لقد أرسلت الرسالة نفسها ست مرات باستخدام الحمام الزاجل لتتقن من أنني تلقيتها. ولا يسعني إلا أن أخن من غيري قد أرسلت له الحمام في (تار قالون). ثم جاءت بنفسها. لقد أخبرت (قاعة البرج) إنك تعبثين مع شاب هو في الحقيقة

(تافيرين)، وخطير. قالت إنه كان في (كايملين)، ولكن عندما عثرت على الحانة التي كان يقيم فيها اكتشفت أنك ساعدته على الهرب».

«إن العاملين في تلك الحانة قد خدمونا بإخلاص أيتها الأم، إن كانت قد أوقعت الضرر بأي منهم...». لم تستطع (مويرين) إخفاء الحدة في صوتها، وسمعت (لياني) تتململ في وقفاتها، لا يمكن لأحد أن يخاطب عرش أميرلين بهذه اللهجة، ولا حتى ملك جالس على عرشه.

قالت (الأميرلين) بنبرة جافة: «يجب أن تعرفي يا ابنتي أن (إيليدا) لا تؤذي أحدًا باستثناء هؤلاء الذين تعدهم مصدرًا للخطر؛ أصدقاء الظلام، أو هؤلاء الرجال المساكين الحمقى الذين يحاولون تسخير (القوة الواحدة)، أو شخصًا يهدد (تار فالون). كل شخص آخر ليس (آيز سيدي) لا يختلف بالنسبة لها عن أحجار على لوحة لعب. من حسن حظ صاحب الحانة - شخص يدعى السيد (جيل) حسبما أتذكر - أنه يكن (للآيز سيدي) احترامًا كبيرًا، لذا فقد أجاب عن أسئلتها بشكل مُرضٍ. إن (إيليدا) في الواقع قد أثنت عليه، ولكنها تحدثت أكثر عن الشاب الذي أخذته معك. قالت إنه أكثر خطورة من أي رجل منذ (أرتور هاوكوينج). أحيانًا ما يمكنها التنبؤ كما تعرفين، ولكلماتها ثقل في (القاعة)».

نظرًا لوجود (لياني) جعلت (مويرين) صوتها متواضعًا قدر استطاعتها، لم يكن متواضعًا للغاية ولكن هذا أقصى ما استطاعت فعله. «معي ثلاثة شباب أيتها الأم، وليس هناك ملك من بينهم، وأشك كثيرًا في أن أيًا منهم يحلم بتوحيد العالم تحت راية حاكم واحد، لم يحلم أحد بما حلم به (أرتور هاوكوينج) منذ (حرب المئة عام)».

«أجل يا ابنتي، ثلاثة شباب قرويين، هكذا أخبرني اللورد (أجيلمار)، ولكن واحدًا منهم (تافيرين)». انتقلت عينا (الأميرلين) إلى المكعب المسطح مرة أخرى، وقالت: «لقد طُرح في القاعة أنه يجب إرسالك إلى خلوة للتأمل، هذا ما اقترحته إحدى (الجالسات) من (الآجاء الخضراوات)، وقد أومأت الاثنتان الأخريان بالموافقة بينما تتحدث».

ند عن (لياني) صوت استياء، أو ربما إحباط. إنها دومًا ما تظل في الخلفية عندما تتحدث (عرش أميرلين)، ولكن استطاعت (مويرين) أن تفهم المقاطعة الصغيرة هذه المرة، (فالآجاء الخضراوات) كن متحالفات مع (الآجاء الزرقاوات) لألف عام، منذ زمن (أرتور هاوكوينج)، وجميعهن يتحدثن بصوت واحد. «ليس لدي رغبة في حصاد المحاصيل في قرية نائية أيتها الأم». ولن أفعل هذا مهما كان ما تقوله (قاعة البرج).

«لقد اقترحت (الخضراوات) أيضًا أنه أثناء خلوتك يجب منحك (للآجاء الحمراءوات). لقد حاولت (الجالسات الحمراءوات) أن يبدن مندهشات، ولكنهن بدون مثل طيور صيد تعرف أن فريستها بلا حراسة». تنهدت (الأميرلين) ثم قالت: «أعلنت (الحمراوات) عدم رغبتهن في تولي رعاية شخص لا ينتمي إلى (آجاهن)، ولكنهن قلن إنهن سيلين رغبات (القاعة)».

ارتجفت (مويرين) رغماً عنها وقالت: «هذا سيكون... شيئاً غير سار أيتها الأم». بل سيكون أسوأ من هذا، أسوأ بكثير، (الحمراوات) لا يكن لطيفات مطلقاً. نحت هذه الفكرة جانباً بحزم لكي تتعامل معها لاحقاً. «لا أستطيع أن أفهم هذا التحالف الواضح ما بين (الخضراوات) و(الحمراوات) أيتها الأم، فمعتقداتها ومشاعرها تجاه الرجال ونظرتها لهدفنا (كآيز سيداي) على طرفي النقيض تماماً. لا يمكن (لحمراء) و(خضراء) حتى أن تتبادلا الحديث دون أن يتحول الأمر إلى صراخ».

«الأحوال تتبدل يا ابنتي، أربع من آخر خمس نساء اعتلين (عرش أميرلين) كن من (الزرقاوات)، ربما يشعرون أن هذا عدد أكبر من اللازم، أو أن طريقة (الزرقاوات) في التفكير لم تعد مناسبة في عالم مليء (بالتنانين الكاذبين). أشياء كثيرة تتغير بعد ألف عام». تجهمت (الأميرلين) وتحدثت كأنها تخاطب نفسها: «تضعف الأسوار القديمة وتسقط الحواجز القديمة». ثم تداركت نفسها وقالت بصوت حازم: «لا يزال هناك اقتراح آخر، ومع ذلك تظل رائحته كريهة. بما أن (لياني) من (الآجاه الزرقاوات) وأنا جئت من (الزرقاوات) لذا فقد طُرح أن إرسال اثنتين من (الزرقاوات) معي في هذه الرحلة سيمنح (الزرقاوات) أربع ممثلات. لقد اقترحت هذا في (القاعة) في وجهي، كأنها يناقشن إصلاح المصارف. وقفت اثنتان من (الأخوات البيضاء) في وجهي، واثنين من (الخضراوات). أما (الصفراوات) فرحن يتبادلن حديثاً خافتاً فيما بينهن، وبعدها لم يتحدثن لصالحني أو ضدي. لو أن واحدة أخرى قالت لا لما جاءت أختاك (آنايا) و(مايجان) معي، بل إنه كان هناك حديث صريح بأنه لا ينبغي لي مغادرة (البرج الأبيض) على الإطلاق».

شعرت (مويرين) بصدمة أكبر من تلك التي شعرت بها عندما عرفت أن (الآجاه الحمراء) يردن وضع أيديهن عليها. أياً ما كانت (الآجاه) التي خرجت منها القيّمة على السجلات فإنها لا تتحدث إلا نيابة عن (الأميرلين)، و(الأميرلين) تتحدث نيابة عن (الآيز سيداي) وكل (الآجاهات)، كان هذا هو الحال دوماً، ولم يقترح أحد خلاف هذا، حتى في أحلك أيام (الحروب الترولوكية)، أو عندما حاصرت جيوش (أرتور هاوكوينج) ما تبقى من (الآيز سيداي) داخل (تار فالون). والأهم من كل ذلك أن (عرش أميرلين) هي (عرش أميرلين)، وقد تعهدت كل (آيز سيداي) بطاعتها، لا يمكن لأحد أن يعترض على ما تفعله أو على ذهابها إلى أي مكان تشاء. هذا الاقتراح يتعارض مع ثلاثة آلاف عام من الأعراف والقوانين.

«من قد تجرؤ أيتها الأم؟».

ضحكت (الأميرلين) ضحكة مريرة وقالت: «جميعهن تقريباً يا ابنتي. الاحتجاجات في (كايميلين)، الدعوة (للصيد العظيم) دون أن يكون لدى أي منا أدنى تلميح قبل الإعلان، ظهور (التنانين الكاذبين) مثل الأجراس الحمراء بعد المطر. تضمحل الأمم ويتصارع المزيد من النبلاء على الخلافة أكثر من أي وقت مضى منذ أن أحبط (أرتور هاوكوينج) جميع مؤامراتهم. والأسوأ من هذا كله أننا جميعاً نعرف أن (سيد الظلام) يصحو مرة أخرى. فلتريني أختاً لا تعتقد أن (البرج الأبيض) يفقد سيطرته على الأحداث، وإن لم تكن من

(الآجاء البنيات) فإنها ميتة. ربما الوقت ينفد منا جميعاً يا ابنتي، وفي بعض الأحيان أشعر أنه ينفد بسرعة أكبر».

«كما قلتِ أيتها الأم؛ الأحوال تتبدل. ولكن لا يزال هناك أخطار خارج (الأسوار اللامعة) أسوأ مما بداخلها».

للحظة طويلة بادلت (الأميرلين) (مويرين) التحديق، ثم أومأت برأسها ببطء وقالت: «تركينا يا (لياني)، أريد أن أتحدث مع ابنتي (مويرين) بمفردنا».

ترددت (لياني) للحظة قبل أن تقول: «كما تشائين أيتها الأم». كانت (مويرين) قادرة على الإحساس بدهشتها، نادراً ما تقابل (الأميرلين) أحداً دون حضور القيّمة، لا سيما أختاً لديها سبب لتوبيخها. انفتح الباب وانغلق وراء (لياني)، لم تقل كلمة في غرفة الانتظار عما حدث بالداخل، ولكن الأخبار بأن (مويرين) كانت وحدها مع (الأميرلين) ستتشر بين الناس في (فال دارا) كالنار في الهشيم، وستبدأ التكهّنات.

ما إن انغلق الباب حتى اعتدلت (الأميرلين) واقفة، وشعرت (مويرين) بوخز لحظي في جلدها، عندما بدأت المرأة الأخرى في تسخير (القوة الواحدة). للحظة بدت (عرش أميرلين) وكأنها محاطة بهالة من ضوء ساطع.

قالت (عرش أميرلين) وهي تلمس بخفة الحجر الأزرق على جبهة (مويرين) بإصبع واحدة: «لا أعرف أيّاً من الأخريات لديها حيلتك القديمة، ولكن معظمنا لديه بعض الحيل القديمة التي يتذكرها من طفولته. على أي حال لن يسمع أحد ما نقوله الآن».

فجأة أحاطت (مويرين) بذراعيها؛ عناقاً حاراً ما بين صديقتين عزيزتين، فبادلتها (مويرين) العناق بحرارة.

«أنتِ الوحيدة يا (مويرين) التي أستطيع أن أتذكر معها من كنت، حتى (لياني) تتصرف دوماً كما لو أنني قد صرت الوحش والعصا، حتى عندما نكون وحدنا، كأننا لم نضحك معاً قط عندما كنا مبتدئتين. أحياناً أتمنى لو أننا ما زلنا مبتدئتين، أنتِ وأنا، ما زلنا بريئتين بما يكفي لنعتقد أننا سنرى الأمر كله كحكاية صانع بهجة تتحقق، ما زلنا بريئتين بما يكفي لأن نعتقد أننا سنجد رجالاً - سيكونون أمراء، أتذكرين، يتمتعون بالوسامة والقوة والرقّة؟ - يمكنهم تحمل العيش مع امرأة تتمتع بقوة (الآيز سيدي)، ما زلنا بريئتين بما يكفي لنحلم بنهاية سعيدة لحكاية صانع بهجة بأن نعيش حياتنا كما تعيش النساء الأخريات، فقط ستمتع بأكثر مما يتمتعن به».

«نحن (آيز سيدي) يا (سيوان)، لدينا واجبنا، حتى لو لم نولد أنا وأنتِ بالقدرة على التسخير فهل ستتنازلين عنها من أجل زوج أو حتى أمير؟ لا أعتقد هذا، هذا حلم زوجة قروية صالحة، حتى (الخضراوات) لم يتهادين إلى هذا الحد».

خطت (الأميرلين) إلى الوراق وقالت: «لا، لن أتخلّى عنها، ليس في معظم الأوقات، ولكن هناك أوقاتاً أحسد فيها تلك الزوجة القروية الصالحة، في هذه اللحظة أكاد أن أفعل هذا. (مويرين)، إن اكتشف أي شخص - حتى (لياني) - ما نخطط له فستُسكّن كلتانا، ولا يمكنني أن أقول إنهن سيكون مخطئات بفعل هذا».

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الخامس

الظل في شايانار

التسكين. بدا وكأن الكلمة ترتعش في الهواء وتكاد أن تكون مرئية. عند فعل ذلك برجل يمكنه تسخير (القوة الواحدة) ويجب إيقافه قبل أن يدفعه الجنون لتدمير ما حوله فإنه يسمى بالترقيق، ولكن بالنسبة (للآيز سيدي) يسمى التسكين؛ وهذا يعني أنها لن تعود قادرة على تسخير تدفق (القوة الواحدة)، أن تكون قادرة على الإحساس (بالسايدار)، النصف الأنثوي من (المصدر الحقيقي)، دون أن تكون قادرة على لمسه، أن تتذكر ما قد ضاع منها إلى الأبد. لم يحدث هذا إلا نادرًا للغاية، حتى إن كل مبتدئة يكون مطلوبًا منها معرفة اسم كل (آيز سيدي) قد سُكِّنت منذ (تخطم العالم)، وجريمتها، ولكن لا يمكن لأي منهن أن تفكر في الأمر دون أن ترتجف. لا يمكن للنساء أن يتحملن التسكين أفضل من قدرة الرجال على تحمل الترقيق.

كانت (مويرين) تعرف المخاطرة منذ البداية، وتعرف أنها ضرورية، لكن هذا لا يعني أنه من الممتع التفكير في الأمر. ضيّقت عينيها ولم يظهر فيهما إلا بريق من غضبها وقلقها، ثم قالت: «(لياني) ستبتعدك إلى منحدرات (شايول غول) يا (سيوان)، وإلى (هاوية الهلاك) ذاتها. لا يمكن أن تفكري أنها ستخونك».

«لا، ولكن ما الخيانة من وجهة نظرها؟ هل من الخيانة أن تخون خائنًا؟ ألم تفكري في هذا قط؟».

«مطلقًا. نحن نفعل ما يجب علينا فعله يا (سيوان)، نحن نعرف هذا منذ قرابة عشرين عامًا. (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، وقد اختارنا (النمط) أنا وأنتِ من أجل هذا، نحن جزء من النبوءات ويجب أن تتحقق النبوءات!».

«يجب أن تتحقق النبوءات. لقد علمونا أنها ستتحقق وأنها يجب أن تتحقق، ومع ذلك فإن تحققها يعد خيانة لكل شيء آخر قد تعلمناه. بل قد يقول البعض إنها خيانة لكل شيء نمثله». فركت (عرش أميرلين) ذراعها ثم مشت مقتربة من فتحة السهام لتنظر إلى الحديقة بالأسفل، لمست الستائر وقالت: «هنا في مساكن النساء يعلقون ستائر ليجعلوا الغرف أكثر رقة ويزرعون حدائق جميلة، ولكن لا يوجد جزء في هذا المكان ليس مصممًا من أجل المعارك والموت والقتل». تابعت حديثها بنفس النبرة المتأملة: «لم يحدث أن جُرِّدت (عرش أميرلين) من وشاحها وعصاها إلا مرتين منذ (تخطم العالم)».

«(تيسوان) التي خانت (مانثيرن) بسبب غيرتها من قوى (إليساند)، و(بونوين) التي حاولت أن تستخدم (أرتور هاوكوينج) كدمية للسيطرة على العالم، وكادت أن تدمر (تار قالون)».

واصلت (الأميرلين) تفحصها للحديقة ثم أكملت: «كلتاها من (الآجاه الحمراءات)، وكلتاها حل محلها أميرلين من (الآجاه الزرقاوات). هذا هو السبب وراء عدم اختيار أميرلين من (الحمراوات) منذ (بونوين)، وسبب محاولة (الآجاه الحمراءات) اتخاذ أي ذريعة لإسقاط أي أميرلين من (الزرقاوات).

السببان متشابهان بدقة. لا أرغب في أن أكون ثالث من تخسر وشاحها وعصاها يا (مويرين). بالنسبة لك بالطبع فهذا يعني تسكينك ونفيك خارج (الأسوار اللامعة)».

«(إليدا) على سبيل المثال لن تطلق سراحي بهذه السهولة». راقبت (مويرين) ظهر صديقتها باهتمام. ما الذي حدث لها بحق (النور)؟ لم تكن هكذا من قبل. أين قوتها وعنفوانها؟ «ولكن الأمر لن يصل إلى هذا الحد يا (سيوان)».

واصلت المرأة الأخرى حديثها كأنها (مويرين) لم تتحدث: «بالنسبة لي سيكون الأمر مختلفًا، فحتى بعد تسكين (الأميرلين) لا يمكن السماح لها بأن تتجول بحرية، فقد يُنظر إليها باعتبارها شهيدة، وتتحول إلى نقطة تركز لحشد المعارضة. (تيتسوان) و(بونوين) بقيتا في (البرج الأبيض) كخادمتين، لغسل الأطباق، ويمكن الإشارة إليهما للتحذير بشأن ما يمكن أن يحدث حتى لأقوى (الآيز سيداي). لا يمكن لأحد أن يلتف حول امرأة يجب عليها تنظيف الأرضيات والآنية طوال اليوم. يمكن أن يشفقن عليها، ولكن لن يحتشدن حولها».

توهجت عينا (مويرين) وهي تتكئ بقبضتيها على الطاولة. «انظري إليّ يا (سيوان)، انظري إليّ! هل تقولين إنك ترغبن في الاستسلام بعد كل هذه السنوات وبعد كل ما فعلناه؟ تستسلمين وتركين العالم ينهار؟ وكل هذا بسبب خوفك من الضرب بالعصا بسبب عدم تنظيف الآنية بشكل جيد!». وضعت في صوتها أقصى ازدراء ممكن، وشعرت بالارتياح عندما التفتت صديقتها لمواجهتها، لا تزال القوة بداخلها، مكبوح جماحها ولكنها لا تزال موجودة، وهاتان العينان الزرقاوان متقدتان بغضب كغضبها.

«أتذكر من منا كانت تصرخ بصوت أعلى عند ضربنا بالعصا حينما كنا مبتدئين، لقد عشت حياة لينة في (كايرين) يا (مويرين)، ليس كالعيش على قارب صيد سمك». فجأة ضربت (سيوان) الطاولة لتتشقق بصوت عالٍ. «لا، أنا لا أقترح الاستسلام، ولكنني في الوقت ذاته لا أقترح أن نترك كل شيء يفلت من بين أيدينا، بينما لا يمكنني أن أفعل شيئًا! معظم مشكلاتي مع (القاعة) بسببك، حتى (الخضراوات) يتساءلن لم لم أستدعِك إلى (البرج) لألقنك درسًا صغيرًا في الانضباط. نصف الأخوات يعتقدن أنه يجب تسليمك (للحمرات)، وإن حدث هذا فستمنين لو عدت مبتدئة مرة أخرى، حيث لا يوجد شيء تتطلعين إليه أسوأ من الضرب بالعصا. بحق (النور)، إن تذكرت أيّ منهن أننا كنا صديقتين عندما كنا مبتدئين فسألحق بك».

نحن لدينا خطة! خطة يا (مويرين)! تحديد موضع الفتى وجلبه إلى (تار قالون)، حيث يمكننا إخفاءه وإرشاده وإبقائه آمنًا. منذ أن تركت (البرج) لم أتلّق منك سوى رسالتين، رسالتين! أشعر وكأنني أحاول الإبحار إلى (أصابع التين) في الظلام. رسالة قلت فيها إنك وصلت إلى (النهرين) وستذهبين إلى تلك القرية التي تدعى (إيموندز فيلد)، اعتقدت أنك سرعان ما ستعثرين عليه وتعودين به. ثم رسالة من (كايملين) قلت فيها إنك ذاهبة إلى (شاينار)، إلى (فال دارا) وليس (تار قالون)، (فال دارا) حيث (البلاء العظيم) على

مرمى البصر، (فال دارا) حيث تكون غارات (الترولووكيين) و(الميردرال) قريبة للغاية. قرابة عشرين عامًا من التخطيط والبحث ثم تلقين بكل خططنا في وجه (سيد الظلام)، هل أنتِ مجنونة؟».

الآن بعد أن أثارت الحياة في المرأة الأخرى عادت (مويرين) إلى الهدوء الظاهري. هدوء ولكن إصرار حازم أيضًا. «إن (النمط) لا يبالي بخطط البشر يا (سيوان)، رغم كل خططنا فإننا نسينا ما الذي نتعامل معه؛ (تافيرين). إن (إيليدا) مخطئة، إن (أرتور بايندرج تانريال) لم يكن (تافيرين) قويًا إلى هذا الحد. (عجلة الزمن) ستنسج (النمط) حول هذا الشاب بمشيئتها، بغض النظر عن خططنا».

تلاشى الغضب من وجه (الأميرلين) وحل محله صدمة شاحبة. «يبدو وكأنك أنت من يقترح أن نستسلم، هل تقترحين أن نكتفي الآن بالتنحي جانبًا ومراقبة العالم وهو يحترق؟».

«لا يا (سيوان)، لن نتنحي جانبًا أبدًا». ومع ذلك فإن العالم سيحترق يا (سيوان)، بطريقة أو بأخرى، مهما فعلنا، لن يمكنك رؤية هذا أبدًا. «ولكننا يجب أن ندرك الآن أن خططنا مخوفة بالخطر، إن لدينا سيطرة أقل مما كنا نعتقد، ربما لا نتشبث بالأمور إلا بقبضة واهية، إن رياح القدر تهب يا (سيوان)، ويجب أن نتركها تحملنا إلى حيث تريد أن تأخذنا».

ارتجفت (الأميرلين) كأنها تشعر بتلك الرياح الثلجية على مؤخرة عنقها. امتدت يداها إلى المكعب الذهبي المسطح، وبأصابع متمرسه استطاعت أن تجد نقاطاً دقيقة في التصميمات المعقدة. رفعت الجزء العلوي المتوازن ببراعة إلى الوراء لتكشف عن بوق ذهبي ملتوٍ موضوع في مساحة فارغة مخصصة لاحتوائه. رفعت الآلة الموسيقية وتتبع الكتابة الفضية المتدفقة باللغة القديمة المطعمة حول الفم المنتفخ.

قالت مترجمة: «القبر لن يكون عائقًا أمام ندائي». كان صوتها خافتًا للغاية حتى بدت وكأنها تخاطب نفسها. «لقد صُنع (بوق فالير) لاستدعاء الأبطال الموتى من القبور، وتقول النبوءة إنه لن يُعثر عليه إلا عندما تحين (المعركة الأخيرة)». فجأة أعادت البوق إلى موضعه وأغلقت الغطاء، كما لو أنها لم تعد قادرة على تحمل رؤيته. «لقد وضعه (أجيلمار) بين يديّ بمجرد أن انتهى (الترحيب). قال إنه كان خائفًا من الذهاب إلى خزانته المنيعة مع وجود (البوق) هناك، قال إن الإغواء كان عظيمًا للغاية. أن ينفخ في (البوق) بنفسه ويقود الحشد الذي سيستجيب لندائه شمالاً عبر (البلاء العظيم) ليدمر (شايل غول) ويضع نهاية (لسيد الظلام). كان يحترق بنشوة المجد، وهذا ما جعله يُدرك - كما قال - أنه ليس هو من سينفخ (البوق) ولا يجب أن يكون هو. لم يكن يطيق انتظارًا للتخلص منه، ومع ذلك لا يزال يرغب فيه».

أومأت (مويرين) برأسها، فقد كان (أجيلمار) على دراية (بنبوءة البوق)، معظم هؤلاء الذين يقاتلون (سيد الظلام) على دراية بها. قالت مقتبسة: «هذا الذي سينفخني لن يفكر في المجد بل في الخلاص فحسب».

ضحكت (الأميرلين) بمرارة وقالت: «الخلاص؟ من النظرة في عيني (أجيلمار)، فإنه لم يكن يعرف إن كان يتخلى عن الخلاص أم يرفض إدانة روحه، كان يعرف أن عليه فحسب التخلص منه قبل أن يحرقه. لقد

حاول أن يُبقي الأمر سرًا ولكنه يقول إن هناك شائعات في الحصن بالفعل. لا أشعر بإغواء (البوق)، ومع ذلك فإنه يجعل جلدي يقشعر. سيكون عليه أن يعيده إلى الخزانة المنيعة حتى أغادر. لا أستطيع أن أنام مع وجود هذا الشيء حتى في الغرفة المجاورة». فركت تجاعيد جبهتها ثم تنهدت. «لم يكن من المفترض العثور عليه إلا قبل (المعركة الأخيرة)، هل يعقل أنها قد اقتربت إلى هذا الحد؟ أعتقد - وآمل - أن لدينا المزيد من الوقت».

«حكايات كارايثون».

«أجل يا (مويرين)، ليس عليك أن تذكّرني. لقد عشت مع (نبوءات التنين) لوقت طويل مثلك». هزت (الأميرلين) رأسها وقالت: «لم يكن هناك أكثر من (تنين كاذب) واحد في أي جيل منذ (تحطم العالم)، والآن هناك ثلاثة يعيشون فسادًا في العالم في وقت واحد، وثلاثة آخرون في العامين الماضيين. (النمط) يحتاج (تنينًا) لأن (النمط) ينسج نحو (تارمون جايدون). أحيانًا ما يملأني الشك يا (مويرين)». قالتها بتعجب كأنها تتساءل عن الأمر، ثم أكملت حديثها بالنبرة نفسها: «ماذا لو أن (لوجاين) كان هو المنشود؟ لقد كان قادرًا على التسخير، قبل أن تجلبه (الحمراوات) إلى (البرج الأبيض) ونرققه، وكذلك (مازريم تايم)، الرجل الموجود في (سالدايا). ماذا لو أنه المنشود؟ هناك أخوات بالفعل في (سالدايا)، وربما يكن قد أخذه بحلول هذا الوقت. ماذا لو كنا مخطئات منذ البداية؟ ماذا سيحدث إن رققنا (التنين العائد) قبل حتى أن تبدأ (المعركة الأخيرة)؟ حتى النبوءة يمكن أن تفشل إن قُتل صاحب النبوءة أو رُقّق، ومن ثم نواجه (سيد الظلام) عراة أمام العاصفة».

«لا هذا ولا ذاك هو المنشود يا (سيوان)، (النمط) لا يحتاج إلى (تنين)، بل (التنين) الحقيقي الواحد، وحتى يُعلن عن نفسه سيستمر (النمط) في إلقاء (تنانين كاذبين)، ولكن بعد هذا لن يكون هناك آخرون. إن كان (لوجاين) أو الآخر هو المنشود لما كان هناك آخرون».

قالت مقتبسة: «لأنه سيأتي كشقشة الفجر، وسيحطم العالم مرة أخرى وينشئه من جديد». ثم أضافت: «إما أن نواجه العاصفة عراة وإما أن نتشبث بحماية ستكون وبالأعلى علينا. فليساعدنا (النور) جميعًا». هزت (الأميرلين) رأسها كأنها لتخلص من كلماتها، وكان وجهها جامدًا كأنها تستعد لتلقي ضربة. «لا يمكنك أن تخفي عني ما تفكرين فيه كما تفعلين مع الآخرين يا (مويرين)، إن لديك المزيد لتخبريني به، ولا شيء منه أخبار سارة».

أجابتها (مويرين) بأن انتزعت كيسها الجلدي من حزامها وفتحته ثم قلبته رأسًا على عقب لتسقط محتوياته على الطاولة. بدت كومة من شظايا الفخار تلمع باللونين الأسود والأبيض.

لمست (عرش أميرلين) إحدى القطع بفضول، ثم قالت بأنفاس مبهورة: «كوينديلار».

وافقتها (مويرين) قائلة: «حجر قلب». إن صنع الكوينديلار قد ضاع مع (تحطم العالم)، ولكن أي شيء مصنوع من حجر القلب قد نجا من الكارثة، حتى الأشياء التي ابتلعها الأرض أو غاصت في البحر قد

نجت، لا شك أنها قد نجت. لا توجد قوة معروفة يمكنها كسر الكوينديلار بمجرد اكتماله، حتى (القوة الواحدة) الموجهة ناحية حجر القلب فقط تجعله أقوى. ولكن قوة ما قد حطمت هذا.

جمعت (الأميرلين) القطع في عجالة، وما تشكل كان قرصًا بحجم يد إنسان، نصفٌ أسود من الظلام، ونصفٌ أبيض من الثلج، ويلتقي اللونان عند خط متعرج لم يبهت مع طول الزمن. الرمز القديم (للآيز سيدي) قبل (تحطم العالم)، عندما كان الرجال والنساء يستخدمون (القوة الواحدة) معًا. نصفه الآن يُدعى (شعلة تار فالون)، والنصف الآخر (ناب التنين)، يُنقش على الأبواب لاتهام من بالداخل بالشر. لم يُصنع سوى سبعة من هذا، كل شيء مصنوع من حجر القلب مسجل في (البرج الأبيض)، وهذه السبعة يتذكرها أكثر من أي شيء آخر. حدثت (سيوان سانشي) إليه كما لو أنها تحدق إلى أفعى على وسادتها.

قالت أخيرًا على مضض: «أحد أختام سجن (سيد الظلام)». كانت هذه الأختام السبعة هي ما يفترض أن تكون (عرش أميرلين) مراقبة عليها. السر المخفي عن العالم - هذا إن كان العالم يفكر فيه - هو أن (عرش أميرلين) لم تعد تعرف موضع أي من هذه الأختام منذ (الحروب الترولوكية).

«نحن نعرف أن (سيد الظلام) يصحوا (سيوان)، نعرف أن سجنه لن يظل مختومًا إلى الأبد، لا يمكن لصنيع البشر أن يضاهي صنيع (الخالق)، نحن نعرف أنه قد لمس العالم مرة أخرى، حتى لو كان هذا بشكل غير مباشر، حمدًا (للنور). تتضاعف أعداد أصدقاء الظلام، وما كنا نسميه شرًا قبل عشر سنوات قد صار مجرد شيء عابر مقارنة بما يحدث الآن كل يوم».

«إن كانت الأختام تتحطم بالفعل... ربما لا يكون لدينا وقت على الإطلاق».

«القليل فحسب، ولكن هذا القليل قد يكون كافيًا. يجب أن يكون كافيًا».

لمست (الأميرلين) الختم المتشطي، ثم قالت بصوت مختنق كأنها تجبر نفسها على الحديث: «لقد رأيت الفتى في الباحة أثناء (الترحيب). هذه واحدة من مواهبي، رؤية (التأثيرين)، موهبة نادرة هذه الأيام، أكثر ندرة حتى من (التأثيرين)، وبالتأكيد ليست بنفس النفع. شاب طويل وسيم إلى حد ما، لا يختلف عن أي شاب قد ترينه في أي بلدة». صمتت لتأخذ نفسًا عميقًا ثم قالت: «لقد توهج كالشمس (مويرين)، نادرًا ما شعرت بالخوف في حياتي، ولكن رؤيته جعلتني أشعر بالخوف حتى أخمص قدمي. لقد أردت أن أنكمش على نفسي، أن أصرخ، بالكاد استطعت الحديث. لقد ظن (أجيلمار) أنني غاضبة منه، فلم أقل سوى القليل. هذا الشاب... إنه الشخص الذي كنا نبحث عنه طيلة عشرين عامًا».

كان هناك لمحة سؤال في صوتها فأجابتها (مويرين): «أجل، هو».

«هل أنت واثقة؟ هل يمكنه...؟ هل يمكنه... تسخير (القوة الواحدة)؟».

توتر فمها مع النطق بالكلمة، واستطاعت (مويرين) أن تشعر بالتوتر أيضًا، التواء بداخلها، قبضة باردة تعتصر قلبها، ولكنها أبقت وجهها هادئًا وهي تقول: «أجل يمكنه». رجل يستخدم (القوة الواحدة)، كان

هذا شيئًا لا يمكن لأي (آيز سيدي) أن تفكر فيه دون أن تشعر بالخوف، إنه الشيء الذي يخافه العالم كله. وأنا سأطلق سراحه على العالم. (راند ألتور) سيقف أمام العالم باعتباره (التنين العائد).

ارتجفت (الأميرلين) وقالت: «(راند ألتور)، لا يبدو كاسم يثير الخوف ويؤجج النيران في العالم». ارتجفت مرة أخرى ثم فركت ذراعيها بحوية، ولكن عينيها توهجتا فجأة ببريق عازم وقالت: «إن كان هو المنشود فقد يكون لدينا الوقت الكافي حقًا، ولكن هل هو بأمان هنا؟ لديّ أختان (حمران) معي، ولم أعد قادرة على إجابة (الخضرارات) أو (الصفراوات) أيضًا. بحق (النور) لا يمكنني أن أجيب أيًا منهن، ليس عن شيء كهذا، حتى (ثيرين) و(سيراويل) ستنقضان عليه كما قد تنقضان على أفعى قرمزية في روضة أطفال». «إنه بأمان في الوقت الراهن».

انتظرت منها (الأميرلين) أن تقول المزيد، ولكن الصمت طال حتى صار من الواضح أنها لن تقول شيئًا. أخيرًا قالت (الأميرلين): «تقولين إن خططنا القديمة صارت عديمة الجدوى، ما الذي تقترحينه الآن؟». «لقد تعمدت أن أتركه يعتقد أنني لم أعد مهتمة به، وأنني لا أبالي إلى أين يذهب». عندما فتحت (الأميرلين) فمها رفعت يديها وقالت: «كان هذا ضروريًا يا (سيوان). لقد ترعرع (راند ألتور) في (النهرين)، حيث تتدفق دماء (مانثيرن) العنيدة في كل عرق، ودماءه أشبه بصخرة إلى جانب الصلصال مقارنة بدماء (مانثيرن)، يجب التعامل معه برفق، وإلا فسندفع إلى أي اتجاه عدا الاتجاه الذي نريده». «إذن سنعامله كطفل حديث الولادة. سنلفه بالقماط ونلعب بأصابع قدميه، إن كان هذا ما تعتقدن أن علينا فعله، ولكن لأي غرض مُلح؟».

«صديقه (ماترم كاوثون) و(بيرين آيبارا) مستعدان لرؤية العالم قبل أن يعودا من جديد إلى (النهرين)، هذا إن كانا قادرين على العودة. إنهما (تافيرين) أيضًا، وإن كانا أقل منه. سأحثهما على حمل (بوق فالير) إلى (إليان)». ثم ترددت وهي تعقد حاجبيها قبل أن تقول: «هناك... مشكلة مع (مات)، إنه يحمل خنجرًا من (شادار لوجوث)».

«(شادار لوجوث)! بحق (النور)، لم سمحت لهم بالاقتراب من ذلك المكان، كل حجر منه مدنس، لا توجد حصاة آمنة لحملها بعيدًا. فليساعدنا (النور)، لو أن (مورديث) قد لمس الصبي...». بدت (الأميرلين) وكأنها تحتنق. «إن حدث هذا لهلك العالم».

«ولكن هذا لم يحدث يا (سيوان). لقد فعلنا ما يجب علينا فعله من باب الضرورة، وقد كان ضروريًا. لقد فعلت ما يكفي لكيلا ينقل (مات) العدوى للآخرين، ولكنه قد حمل الخنجر لوقت طويل قبل أن أعرف، الرابط لا يزال موجودًا. لقد اعتقدت أنه يجب عليّ أخذه إلى (تار فالون) لعلاج، ولكن مع وجود العديد من الأخوات فربما يمكننا أن نفعل هذا هنا، ما دام أنه يوجد بعضهن ممن لن يرين أنه من أصدقاء الظلام رغم أنه ليس كذلك. أنت وأنا واثنان أخريان سنكون كافيات باستخدام الأنجリアル الخاص بي».

«(لياني) واحدة منهم، يمكنني أن أجد واحدة أخرى». فجأة ابتسمت (الأميرلين) ابتسامة ساخرة وقالت: «(القاعة) تريد استعادة ذلك الأنجリアル يا (مويرين). لم يتبق الكثير منها وأنت الآن تعدين... غير جديرة بالثقة».

ابتسمت (مويرين) ولكن هذه الابتسامة لم تظهر في عينيها. «سيفكرون بي على نحو أسوأ قبل أن أنتهي. سيتتهز (مات) فرصة أن يكون جزءًا كبيرًا من أسطورة (البوق)، ولن يكون من الصعب إقناع (بيرين)، إنه يحتاج إلى شيء يصرف تفكيره عن مشكلاته الخاصة. إن (راند) يعرف ما الذي يخاف منه بطبيعة الحال، أو على الأقل يعرف جزءًا صغيرًا، إنه يرغب في الذهاب إلى مكان ما ليصير وحيدًا، حيث لا يمكنه أن يؤذي أحدًا. قال إنه لن يستخدم (القوة الواحدة) مرة أخرى أبدًا، ولكنه يخشى ألا يكون قادرًا على إيقافها».

«يجدر به الخوف، إن التوقف عن شرب الماء أسهل من هذا».

«بالضبط، وهو يرغب في أن يكون حرًا من (الآيز سيدي)». ابتسمت (مويرين) ابتسامة شاحبة خالية من المرح. «إن أُتيحت له الفرصة أن يترك (الآيز سيدي) وراءه وفي الوقت ذاته يظل مع صديقه لفترة أطول فيجب أن يكون متلهفًا مثل (مات)».

«ولكن كيف يترك (الآيز سيدي) وراءه؟ بالتأكيد يجب عليك السفر معه، لا يمكننا أن نفقده الآن يا (مويرين)».

«لا يمكنني السفر معه». إنها مسافة طويلة من (فال دارا) إلى (إليان)، ولكنه قد سافر مسافة طويلة مثلها بالفعل.

«يجب ترك العنان له لبعض الوقت، فلا فائدة منه. لقد أمرت بحرق كل ملابسهم القديمة، وليس هناك فرصة لأن تقع قصاصة مما كانوا يرتدونه في الأيدي الخطأ، سأطهرهم قبل رحيلهم، لن يدركوا حتى ما فعلته. ليس هناك احتمال لتعقبهم بهذه الطريقة، والخطر الوحيد الآخر من هذا النوع محبوس هنا في السرداب». كانت (الأميرلين) على وشك أن تومئ برأسها موافقة، ولكنها بدلًا من هذا نظرت إليها بتساؤل، غير أن (مويرين) لم تتوقف عن الحديث. «سيسافرون بأمان قدر ما أستطيع يا (سيوان)، وعندما يحتاج إليّ (راند) في (إليان) سأكون هناك، وسأحرص على أن يكون هو من يقدم (البوق) (لمجلس التسعة) و(العُصبة). سأعتني بكل شيء في (إليان). الإليانيون سيتبعون (التنين) - أو (بعلزمون) نفسه - إن جاء حاملًا (بوق فالير) يا (سيوان)، وكذلك معظم أولئك الذين سيجتمعون من أجل (الصيد)، لن يحتاج (التنين العائد) الحقيقي إلى جمع أتباع قبل أن تتحرك الأمم ضده، سيبدأ بأمة من حوله وجيش في ظهره».

ألقت (الأميرلين) بجسدها في كرسيها، ولكنها على الفور مالت إلى الأمام. بدت عالقة ما بين التعب والأمل. «ولكن هل سيعلن عن نفسه؟ إن كان خائفًا... (النور) يعرف أنه يجب أن يكون خائفًا يا (مويرين)، ولكن الرجال الذين يطلقون على أنفسهم لقب (التنين) يرغبون في السلطة. إن لم يكن...».

«لدي الوسائل اللازمة للتيقن من أنه سيُسمى (التنين) سواء شاء أم أبى، وحتى لو فشلتُ بطريقة ما فإن (النمط) ذاته سيحرص على أن يُسمى (التنين) سواء شاء أم أبى. تذكرني أنه (تافيرين) يا (سيوان)، وليس

لديه أي سيطرة على مصيره أكثر من سيطرة فتيل شمعة على اللهب».

تنهدت (الأميرلين) وقالت: «الأمر محفوف بالمخاطر يا (مويرين)، ولكن أبي اعتاد أن يقول: إن لم تغتني الفرص يا فتاة فلن تربحي أبدًا عملة نحاسية. إن لدينا خططًا لرسمها. اجلسي، فهذا سيستغرق وقتًا، سأرسل في طلب النيذ والجن».

هزت (مويرين) رأسها وقالت: «لقد جلسنا بمفردنا لوقت طويل بالفعل، إن حاول أي شخص أن يسترق السمع ووجد أنك تضعين تعويذة حماية فسيبدأ في التساؤل بالفعل، الأمر لا يستحق المخاطرة، يمكننا أن نخطط لاجتماع آخر في الغد». كما أنني يا صديقتي العزيزة لا أستطيع أن أخبرك بكل شيء، ولا يمكنني المخاطرة بجعلك تعرفين أنني أخفي أي شيء.

«أفترض أنك محقة، ولكن دعينا نلتقي في الصباح الباكر، هناك الكثير مما يجب أن أعرفه».

وافقتها (مويرين) قائلة: «في الصباح». اعتدلت (الأميرلين) واقفة، ثم تعانقتا مرة أخرى. «في الصباح سأخبرك بكل شيء تحتاجين إلى معرفته».

نظرت (لياني) إلى (مويرين) نظرة حادة عندما خرجت إلى غرفة الانتظار، ثم اندفعت إلى غرفة (الأميرلين). حاولت (مويرين) أن ترسم على وجهها الإحساس بالذنب كأنها قد تلقت توبيخًا من توبيخات (الأميرلين) الشهيرة، فمعظم النساء مهما كن قويات الإرادة يُعدن من هذه التوبيخات بعينين متسعيتين وركبتين ضعيفتين. ولكن هذا التعبير كان غريبًا عليها، لقد بدت غاضبة أكثر من أي شيء آخر، وهو ما يحقق نفس الغرض تقريبًا. شعرت بشكل عابر بوجود النسوة الأخريات في الغرفة الخارجية. خمنت أن بعضهن قد خرج، وبعضًا آخر قد جاء منذ دخولها، ولكنها بالكاد نظرت إليهن. لقد تأخر الوقت وهناك الكثير مما يجب فعله قبل حلول الصباح، الكثير قبل أن تتحدث مع (عرش أميرلين) مرة أخرى. أسرع الخطى وهي تتعمق في الحصن.

كان مشهد الطابور ليكون مثيرًا للإعجاب تحت القمر الأحدب المتزايد، وهو يتحرك عبر ليل (تارابون) مع رنين الأجمة، لو أن هناك من يشاهده. ألفان كاملان من (أبناء النور)، على صهوة الخيول، بسترات وعباءات بيضاء ودروع مصقولة، مع قافلة من عربات المؤن وصانعي الحدوات والساسة الذين يجرون أحبال الخيول الإضافية. كان هناك قرى في ذلك الريف الذي لا يوجد به الكثير من الغابات، ولكنهم قد تركوا الطرق وراءهم وظلوا بعيدين حتى عن حقول المزارعين. عليهم أن يلتقوا... بشخص ما... في قرية صغيرة بالقرب من حدود (تارابون) الشالية، عند حافة (سهل الموث).

كان (جيو فرام بورنهالد) - الذي يتقدم رجاله - يتساءل عن السبب وراء كل هذا. إنه يتذكر جيدًا مقابلته مع (بيدرون نبال) - السيد القائد الأعلى (لأبناء النور) - في (أمادور)، ولكنه لم يعرف إلا القليل حينها.

كان الرجل أبيض الشعر قد قال: «نحن وحدنا يا (جيو فرام)». كان صوته ضعيفاً ومتحشراً بفعل التقدم في العمر. «أتذكر منحك القسم قبل ... ستة وثلاثين عاماً».

نصب (بورنهالد) قامته وقال: «سيدي القائد الأعلى، هل يمكنني أن أسأل لم استدعيتني من (كايملين)، وبمثل هذه العجالة؟ بدفعة واحدة كانت (مورجيز) قد تسقط، هناك عائلات نبيلة في (أندور) تنظر إلى التعامل مع (تار فالون) كما ننظر إليه، وكانوا مستعدين للمطالبة بالعرش. لقد تركتُ المسؤولية في يد (إيامون فالدا)، ولكنه بدا مهتماً بتعقب ودية العهد إلى (تار فالون)، لن أنفاجاً إن عرفت أن الرجل قد اختطف الفتاة أو حتى هاجم (تار فالون)». كما أن (داين) - ابن (بورنهالد) - كان قد وصل قبل استدعاء (بورنهالد) بوقت قصير، و(داين) مليء بالحماس الديني، حماساً أكثر من اللازم في بعض الأحيان، كافيًا لأن يتبع بشكل أعمى أيًا ما يقترحه (فالدا).

«(فالدا) يمشي في (النور) يا (جيو فرام)، ولكنك أفضل قائد حربي بين (أبناء النور). ستجمع فيلقاً كاملاً، أفضل الرجال الذين يمكنك العثور عليهم، وتأخذهم إلى (تارابون)، متحاشياً أي عيين متصليتين بلسان يمكنه الحديث، أي لسان كهذا يجب إخراسه إن رأيتكم عيناه».

تردد (بورنهالد)، يمكن لخمسين من (أبناء النور) - أو حتى مئة - أن يدخلوا أي أرض دون تساؤل، أو على الأقل دون تساؤل علني، ولكن فيلقاً كاملاً... «هل هي حرب يا سيدي القائد الأعلى؟ هناك حديث في الشوارع، معظمه شائعات عن عودة جيوش (أرتور هاوكوينج)». لم يتحدث الرجل العجوز. «الملك...».

«الملك لا يأمر (أبناء النور) أيها القائد (بورنهالد)». لأول مرة كان هناك حدة في صوت السيد القائد الأعلى. «أنا من يأمرهم. دع الملك يجلس في قصره ويفعل ما بوسعه، أي أنه لن يفعل شيئاً. هناك من سيلتقي بك في قرية تُسمى (ألكرونا)، وهناك ستلتقي أوامرك النهائية. أتوقع أن يتحرك فيلقك في غضون ثلاثة أيام، اذهب الآن يا (جيو فرام)، لديك عمل لتنجزه».

عقد (بورنهالد) حاجبيه وقال: «المعذرة يا سيدي القائد الأعلى، ولكن من سيلتقي بي؟ ولم أخطر بحرب مع (تارابون)؟».

«سيقال لك ما يجب عليك فعله عندما تصل (ألكرونا)». فجأة بدا السيد القائد الأعلى أكبر من عمره، وفي شرود انتزع سترته البيضاء التي تحمل في موضع الصدر شعار الشمس الذهبية الخاص (بأبناء النور). «هناك قوى مؤثرة تتجاوز ما تعرفه يا (جيو فرام)، تتجاوز حتى ما يمكنك أن تعرفه. اختر رجالك بسرعة، اذهب الآن، ولا تسألني المزيد من الأسئلة. فليكن (النور) معك».

أفاق (بورنهالد) من ذكرياته ونصب قامته في سرجه ليخفف من تشنج في ظهره. قال لنفسه: أنا أكبر في العمر. لقد أمضى يوماً وليلة في سرجه، مع استراحتين لسقي الخيول، وها هو يشعر بكل شعرة رمادية في رأسه. لم يكن حتى ليلاحظ هذا قبل بضع سنوات. على الأقل لم أقتل أي أبرياء. ربما يكون صارماً مع أصدقاء الظلام كأني رجل قد أقسم (للنور) - يجب تدمير أصدقاء الظلام قبل أن يجذبوا العالم بأسره تحت (الظل) -

ولكنه يحرص أولاً على التيقن من أنهم أصدقاء للظلام. كان من الصعب تفادي أعين التارابونيين مع مثل هذا العدد الكبير من الرجال - حتى في مثل هذا الريف النائي - ولكنه قد استطاع هذا، لذا لم يكن هناك حاجة لإخراص أي السنة.

عاد الكشافه الذين قد أرسلهم للاستطلاع، ومن ورائهم المزيد من الرجال في عباءات بيضاء، بعضهم يحمل مشاعل تفسد الرؤية الليلية على هؤلاء الذين يتقدمون الطابور. تتم (بورنهالد) بسبة، ثم أمر بالتوقف لتفحص هؤلاء الذين جاؤوا لمقابلته.

كانت عباءاتهم تحمل شعار الشمس الذهبية نفسه الذي على صدره وعلى صدر كل واحد من (أبناء النور). وكان لدى قائدهم من تحتها عَقْد ذهبية تبين رتبته المساوية لرتبة (بورنهالد). ولكن من وراء شموسهم توجد عصي الرعي الحمراء الملتوية التي تميز (المستجويين). باستخدام الحديد الساخن والكماشات والماء المقطر ينتزع (المستجوبون) الاعتراف والتوبة من أصدقاء الظلام، ولكن هناك من يقول إنهم يحكمون على الشخص بأنه مذنب قبل حتى أن يبدؤوا. كان (جيو فرام بورنهالد) واحداً ممن يقولون هذا.

لقد أرسلت إلى هنا لمقابلة (المستجويين)؟

قال قائدهم بصوت خشن: «كنا بانتظارك أيها السيد القائد (بورنهالد)». كان رجلاً طويلاً بأنف معقوف وبريق اليقين في عينيه ككل (المستجويين). «كان بمقدورك أن تصل في وقت أسرع. أنا (إينور سارين)، الرجل الثاني بعد (جايتشيم كاريدين) الذي يأمر (يد النور) في (تارابون)». (يد النور)، اليد التي تستخرج الحقيقة كما يقولون. إنهم لا يحبون اسم (المستجويين). «هناك جسر عند القرية، فلتأمر رجالك بعبوره، سوف نتحدث في الحانة، إنها مريحة بشكل مدهش».

«لقد أخبرني السيد القائد الأعلى بنفسه أن أتجنب كل الأعين».

«لقد تولينا أمر القرية، لقد... أُرسي فيها السلام. والآن فلتجعل رجالك يتحركون. أنا أمرك الآن. لدي أوامر بختم السيد القائد الأعلى إن كنت لا تثق في الأمر».

كبح (بورنهالد) زجاجة تعالت في حلقه. أُرسي فيها السلام؟ تساءل إن كانت الجثث قد تكدست خارج القرية أم أُلقيت في النهر، هذا هو أسلوب (المستجويين)، إنهم باردو المشاعر بما يكفي لقتل قرية كاملة من أجل الحفاظ على السرية، وأغبياء بما يكفي لإلقاء الجثث في النهر لتطفو مع التيار وتُعلن عن فعلتهم من (ألكرونا) إلى (تانتشيكو). «ما لست واثقاً منه هو سبب وجودي في (تارابون) مع ألفي رجل أيها (المستجوب)».

تجههم وجه (سارين) ولكن صوته ظل خشناً وأمرًا وهو يقول: «الأمر بسيط أيها القائد، هناك بلدات وقرى على طول (سهل ألوث)، ليس بها أدنى سلطة أكثر من عمدة أو مجلس بلدة، لقد حان وقت جلبهم إلى (النور)، سيكون هناك الكثير من أصدقاء الظلام في أماكن كهذه».

ضرب حصان (بورنهالد) الأرض بحوافره. «أقول إنني قد جلبت فيلقاً كاملاً عبر (تارابون) في سرية لأجث قلة من أصدقاء الظلام من بعض القرى الوضيعة يا (سارين)؟».

«أنت هنا لتفعل ما تؤمر به يا (بورنهالد)، أن تعمل لصالح (النور)! أم أنك تبتعد عن (النور)؟». كانت ابتسامة (سارين) قائمة. «إن كنت تبحث عن معركة فقد تنال فرصتك. الغرباء لديهم قوة عظيمة في (تومان هيد) أكثر مما يمكن (لتارابون) و(آراد دومان) ردعه معاً، حتى لو تمكنا من إيقاف مشاحناتها طويلاً بما يكفي للعمل معاً. إن تمكن الغرباء من اختراق المنطقة فسوف تواجه كل القتال الذي يمكنك التعامل معه. يزعم التارابونيون أن الغرباء وحوش من مخلوقات (سيد الظلام). بعضهم يقول إن بصحتهم (آيز سيدي) يقاتلن معهم. إن كان هؤلاء الغرباء من أصدقاء الظلام فيجب التعامل معهم بدورهم».

حبس (بورنهالد) أنفاسه للحظة ثم قال: «إذن فالشائعات صحيحة؛ لقد عادت جيوش (آرتور هاوكوينج)».

قال سارين في فتور: «غرباء». بدا كأنها هو نادم على ذكرهم. «غرباء، وعلى الأرجح من أصدقاء الظلام، أيًا ما كان المكان الذي أتوا منه، هذا هو كل ما نعرفه، وكل ما تحتاج إلى أن تعرفه. إنهم لا يعنونك الآن، نحن نضيع الوقت. أوامر رجالك بعبور النهر يا (بورنهالد). سأمنحك أوامرك في القرية». أدار حصانه وأسرع عائداً عبر الطريق الذي جاء منه، وحاملو المشاعل في عقيبهم.

أغلق (بورنهالد) عينيه ليسرع من عودة بصره الليلي. نحن نستخدم كأحجار على لوحة لعب. «(بيار)!». فتح عينيه بينما مساعده يظهر إلى جانبه ناصباً قامته في سرجه أمام السيد القائد. كان الرجل ذو الوجه النحيل يتمتع ببريق (المستجوبين) في عينيه، ولكنه جندي مخلص رغم هذا. «هناك جسر أماننا، فلتأمر الفيلق بعبور النهر والتخيم، سأنضم إليكم في أقرب وقت ممكن».

جذب لجام حصانه وأسرع في الاتجاه الذي سلكه (المستجوب). أحجار على لوحة لعب، ولكن من يحركنا؟ ولماذا؟

أفسحت ظلال ما بعد الظهر المجال للمساء بينما (لياندرين) تشق طريقها عبر مساكن النساء. من وراء فتحات الأسهم كانت الظلمة تتزايد وتضغط على الضوء المنبعث من المصابيح في الممر. كان الشفق وقتاً مثيراً للاضطراب بالنسبة (للياندرين) مؤخراً، وكذلك الفجر. في الفجر يولد النهار، تماماً كما يلد الشفق الليل، ولكن عند الفجر يموت الليل، وعند الشفق يموت النهار. إن قوى (سيد الظلام) متجذرة في الموت، ويكتسب قوته من الموت. وفي مثل تلك الأوقات يُخيل إليها أنها تشعر بقوته تنشط. شيء ما ينشط في الظلام على الأقل، شيء يُخيل لها أنها قادرة على رؤيته إن التفتت بسرعة كافية، شيء كانت متيقنة من أنها تستطيع رؤيته إن أمعنت النظر بما يكفي.

كانت الخادومات في الثياب السوداء والذهبية ينحنين لها أثناء مرورها، ولكنها لم تستجب لهن، كانت تُبقي عينيها مثبتتين أمامها مباشرة، ولم ترهن.

عند الباب الذي كانت تسعى إليه توقفت لتلقي نظرة سريعة عبر الردهة، كانت النسوة الوحيدات اللاتي يمكنها رؤيتهن هن الخادومات، ولم يكن هناك أي رجال بالطبع. دفعت الباب ودلفت إلى الداخل دون أن تطرق.

كانت الحجرة الخارجية لمسكن السيدة (أماليسا) مضاءة بشكل ساطع والنار تتأجج في المدخنة لتردع برودة ليل (شاي نار). كانت (أماليسا) ورفيقاتها من السيدات النبيلات يجلسن في أرجاء الغرفة، على الكراسي والسجاد متعدد الطبقات، يصغين السمع، بينما إحداهن واقفة وتقرأ لهن بصوت عالٍ. كانت تقرأ كتاب (رقصة الصقر وطائر الطنان) من تأليف (تيفين آيروين) الذي يُقال إنه يحدد السلوك الصحيح للرجال تجاه النساء وللنساء تجاه الرجال. زمت (لياندرين) شفيتها، إنها بالتأكيد لم تقرأ الكتاب، ولكنها قد سمعت عنه بما يكفي. كانت (أماليسا) والنسوة الأخريات يستقبلن كل جملة بعاصفة من الضحك، واتكأن على بعضهن بعضًا وضربن بكواحلهن على السجاد كالفتيات الصغيرات.

كانت القارئة هي أول من أدرك وجود (لياندرين)، فبترت قراءتها في دهشة وقد اتسعت عيناها. التفتت الأخريات لترين ما الذي تحدث إليه، ثم حل الصمت محل الضحك. أسرعن جميعًا - باستثناء (أماليسا) - للوقوف على أقدامهن وهندمة شعرهن وتنانيرهن.

اعتدلت السيدة (أماليسا) واقفة برشاقة ثم قالت وهي تبتسم: «إن حضورك يشرفنا يا (لياندرين)، هذه مفاجأة سارة للغاية، لم أتوقع حضورك قبل الغد، ظننت أنك سترغبين في الاستراحة بعد رحلتك الطوي...».

قاطعتها (لياندرين) بحدة وهي تخاطب النسوة الأخريات دون أن تنظر إليهن: «سأتحدث إلى السيدة (أماليسا) على انفراد، فلتغادرن جميعًا الآن».

كان هناك لحظة من الصدمة والصمت، ثم بدأت النسوة الأخريات في توديع (أماليسا). انحنين (للياندرين) واحدة تلو الأخرى، ولكنها لم تلتفت إليهن. واصلت التحديق مباشرة إلى اللاشيء، ولكنها كانت تراهن وتسمعهن. كن جميعًا يبدن احترامهن في توتر بسبب الحالة المزاجية (للآيز سيداي)، وقد أطرقن بأبصارهن مع تجاهلها لهن. تجاوزنها حتى الباب منكمشين على أنفسهن بشكل محرج لكيلا تحتك تنانيرهن بتنورتها.

مع إغلاق الباب وراء آخرهن قالت (أماليسا): «(لياندرين)، أنا لا أفهم...».

«هل تمشين في (النور) يا ابنتي؟». لن ترتكب حماقة مناداتها بالأخت هنا. كانت المرأة الأخرى أكبر منها بضع سنوات، ولكن يجب مراعاة التقاليد القديمة، مهما طالت فترة نسيانها فقد حان الوقت لتذكرها.

ولكن ما إن نطقت (لياندرين) بالسؤال حتى أدركت أنها ارتكبت خطأ، إن طرح (آيز سيدي) لهذا السؤال من المؤكد أن يثير الشك والقلق. ولكن (أماليسا) نصبت قامتها وارتسم الحزم على وجهها.

«هذه إهانة يا (لياندرين سيدي). أنا شائنارية، من عائلة نبيلة تحمل دماء المحاربين، لقد حارب أسلافي (الظل) منذ ما قبل وجود (شائنا)، ثلاثة آلاف سنة من دون تخاذل أو يوم من الضعف».

بدلت (لياندرين) نقطة الهجوم، ولكنها لم تتراجع. قطعت الغرفة وأمسكت بنسخة كتاب (رقصة الصقر وطائر الطنان) المغلفة بالجلد من على رف المدفأة، ووازنته بيدها دون أن تنظر إليه. «في (شائنا) - أكثر من أي أرض أخرى - يجب تقدير (النور) وخشية (الظل)». دون اكتراث ألقت بالكتاب في النار، فتأججت ألسنة اللهب كما لو أنه قطعة من الحطب، وتعالى صوت طقطقة النيران بينما تتصاعد في المدفأة. في اللحظة ذاتها توهج كل مصباح في الغرفة بصوت فحيح عالٍ بينما يغمر الضوء الغرفة. «هنا أكثر من أي مكان آخر، هنا بهذا القرب من (البلاء) اللعين حيث ينتظر الفساد، هنا حيث يمكن (للظل) أن يُفسد حتى من يعتقد أنه يمشي في (النور)».

لمعت جبهة (أماليسا) بحبات من العرق، كانت قد رفعت يدها لتحتج على إحراق كتابها، فأنزلتها جانباً ببطء. كانت ملامحها لا تزال حادة، ولكن (لياندرين) رأت أنها تزدرد لعابها وتتململ بقدميها. «أنا لا أفهم يا (لياندرين سيدي)، هل هذا بسبب الكتاب؟ إنه مجرد حماقة».

كان هناك ارتعاشة طفيفة في صوتها. جيد. تشققت أغشية المصابيح الزجاجية مع تقافز ألسنة اللهب لأعلى بشكل أكثر سخونة، لتحيل الليل ظهيرة. وقفت (أماليسا) متبسة كعمود خشبي، ووجهها مشدود، بينما تحاول ألا تضيق عينيها.

«بل أنت الحمقاء يا ابنتي، أنا لا أبالي بالكتب. هنا يذهب الرجال إلى (البلاء)، ويمشون في دنسه، ويمشون في (الظل) ذاته. لم قد تتعجبين إن تسلل الدنس إليهم؟ من المحتمل أن يتسلل، سواء كان هذا بإرادتهم أم لا. لم تعتقدين أن (عرش أميرلين) قد جاءت بنفسها؟».

شهقت وقالت: «لا».

قالت (لياندرين) بقسوة: «أنا من (الحمراوات) يا ابنتي، أنا أتعقب جميع الرجال الفاسدين».

«لا أفهم».

«ليس فقط هؤلاء الخطاة الذين يحاولون استخدام (القوة الواحدة)، جميع الرجال فاسدون، وأنا أتعقبهم من أعلاهم منزلة إلى أدناهم».

«أنا لا...». لعقت (أماليسا) شفتيها في تردد، وبذلت مجهوداً واضحاً لتتمالك نفسها. «أنا لا أفهم يا (لياندرين سيدي). أرجوك...».

«بل أتعقب أعلاهم منزلة قبل أدناهم».

«لا!». سقطت (أماليسا) على ركبتيها كأن القوة الخفية التي تدعمها قد تلاشت، ثم أطرقت برأسها وقالت: «أرجوك يا (لياندرين سيداي)، قولي لي إنك لا تقصدين (أجيلمار)، من المستحيل أن يكون هو». ضربت (لياندرين) ضربتها في تلك اللحظة من الشك والارتياب. لم تتحرك، بل هاجمت باستخدام (القوة الواحدة). شهقت (أماليسا) وانتفضت كأنها قد وخزتها إبرة، فالتوى فم (لياندرين) العدواني في ابتسامة.

كانت هذه حيلتها منذ الطفولة، أول ما تعلمته من قدراتها، وقد كانت محظورة عليها بمجرد أن اكتشفتها (سيدة المبتدئين). ولكن بالنسبة (للياندرين) كان هذا يعني شيئاً آخر فحسب يجب أن تخفيه عن أولئك الذين يغارون منها.

تقدمت للأمام ورفعت ذقن (أماليسا) لأعلى. كان المعدن الذي يجعل جسدها متيناً لا يزال موجوداً، ولكنه صار ليناً وقابلاً للتشكيل مع الضغط المناسب. سألت الدموع من جانبي عيني (أماليسا) لتلمع على وجنتيها. تركت (لياندرين) النيران تهدأ وتعود إلى طبيعتها، فلم يعد هناك حاجة لشيء كهذا. خففت من حدة كلماتها ولكن صوتها لا يزال صلباً كالفلواذ.

«لا أحد يريد رؤيتك أنتِ وأجيلمار تُلقيان للناس باعتباركما من أصدقاء الظلام يا ابنتي، سأساعدك، ولكن يجب عليك أن تساعديني».

«أ... أساعدك؟». وضعت (أماليسا) يديها على صدغيها وقد بدت مرتبكة. «أرجوك يا (لياندرين سيداي)، أنا لا... أفهم. كل هذا يبدو... كل هذا...».

لم تكن قدرة مثالية، فلا تستطيع (لياندرين) أن تُجبر أي شخص على فعل ما تريده، رغم أنها قد حاولت كثيراً، ولكنها تستطيع أن تجعلهم ضعفاء أمام حججها، أن تجعلهم راغبين في تصديقها، وأن يرغبون تماماً في الاقتناع بصواب رأيها.

«أطيعيني يا ابنتي، أطيعيني وأجيبني عن أسئلتني بصدق، وأعدك أن أحداً لن يتحدث عنك أو (أجيلمار) باعتباركما من أصدقاء الظلام، لن تُجرا عاريين في الشارع، أو تُجلدا، أو يمزقكما الناس إرباً إرباً. لن أسمح بحدوث هذا، هل تفهمين؟».

«أجل يا (لياندرين سيداي)، أجل، سأفعل ما تقولين وسأجيبك بصدق».

نصبت (لياندرين) قامتها وهي تنظر إلى المرأة الأخرى. ظلت السيدة (أماليسا) حيث هي جالسة على ركبتيها ووجهها صادق كوجه طفل ينتظر شخصاً يريجه ويساعده، شخصاً أكثر حكمة وقوة. شعرت (لياندرين) أن هذا الموقف يبدو صائباً، لم تفهم قط لم تكون الانحناء البسيطة كافية (للأيز سيداي) بينما يركع الرجال والنساء للملوك والملكات. أي ملكة تمتلك قوتي؟ التوى فمها في غضب فارتجفت (أماليسا).

«هوني على نفسك يا ابنتي، لقد جئت لمساعدتك وليس لعقابك، لن يتلقى العقاب إلا من يستحقه. تحدثي معي ولا تقولي إلا الحقيقة».

«سأفعل يا (لياندرين سيداي)، سأفعل . أقسم بعائلتي وشرفي» .
«لقد جاءت (مويرين) إلى (فال دارا) بصحبة صديق للظلام» .
كانت (أماليسا) خائفة للغاية على أن تبدي دهشتها . «أوه، لا يا (لياندرين سيداي)، لا . ذلك الرجل قد جاء لاحقًا، إنه في السرايب الآن» .
«تقولين لاحقًا، ولكن هل صحيح أنها تتحدث كثيرًا معه، أنها تقضي وقتًا طويلًا بصحبة صديق الظلام هذا؟ وحدهما؟» .

«أ... أحيانًا يا (لياندرين سيداي)، أحيانًا فقط . إنها ترغب في معرفة سبب مجيئه إلى هنا . إن (مويرين سيداي) ...» .

رفعت (لياندرين) يدها بحدة فابتلعت (أماليسا) ما كانت على وشك أن تقوله .
«كان هناك ثلاثة شباب بصحبة (مويرين)، أنا أعرف هذا، أين هم؟ لقد ذهبت إلى غرفهم ولم أعرهم عليهم» .

«أنا... لا أعرف يا (لياندرين سيداي) . يبدو أنهم فتية لطفاء، بالتأكيد لا تعتقدن أنهم من أصدقاء الظلام» .

«ليسوا من أصدقاء الظلام، لا، بل هم أسوأ . أكثر خطورة بكثير من أصدقاء الظلام يا ابنتي، إنهم يشكلون خطرًا على العالم بأسره . يجب العثور عليهم، ستأمرين خدمك بتفتيش الحصن، وستفتشينه بنفسك أنتِ ورفيقاتك النبيلات، ستفتشن كل ركن وزاوية، ستشرفين على هذا الأمر بنفسك، بشكل شخصي! ولن نتحدثي عن هذا الأمر مع أي شخص، باستثناء من أذكرهم بالاسم . لا يجب أن يعرف أي شخص آخر . يجب أخذ هؤلاء الفتية من (فال دارا) إلى (تار قالون) في سرية . في سرية تامة» .

«كما تأمرين يا (لياندرين سيداي) . ولكني لا أفهم ما الحاجة إلى السرية، لا أحد هنا سيعيق عمل (الآيز سيداي)» .

«هل سمعتِ عن (الآجاه السوداوات)؟» .

جحظت عينا (أماليسا) ومالت إلى الوراء بعيدًا عن (لياندرين) وهي ترفع يديها كأنها لتحمي نفسها من ضربة . «شائعة خ... خبيثة يا (لياندرين سيداي) . خ... خبيثة . لا... لا توجد أي (آيز سيداي) تخ... تخدم (سيد الظلام) . لا أصدق هذا . يجب أن تصدقيني! أق... أقسم بالنور أنني لا أصدق هذا . أقسم بشرفي وعائلتي...» .

في جمود تركتها (لياندرين) تستطرد وهي تشاهد آخر بقايا قوة (أماليسا) تتسرب منها . من المعروف عن (الآيز سيداي) أنهم يغضبون كثيرًا من أولئك الذين يذكرون حتى اسم (الآجاه السوداوات)، ناهيك بهؤلاء الذين يقولون إنهم يصدقون بوجودهن الخفي . بعد هذا ستكون (أماليسا) كالصلصال في يديها، باستخدام حيلة طفولتها البسيطة . بعد ضربة أخرى .

«(الآجاء السوداء) حقيقة يا طفلي، حقيقة وهنا بداخل أسوار (فال دارا)». ظلت (أماليسا) جاثية على ركبتيها فاعرة فمها. (الآجاء السوداء)، (الآيز سيدي) اللاتي هن أيضًا من أصدقاء الظلام. إن الأمر مروع تقريبًا بنفس قدر معرفة أن (سيد الظلام) نفسه يمشي في حصن (فال دارا). ولكن (لياندرين) لن تخفف من هجومها الآن. «أي (آيز سيدي) في الردهات التي تمرين بها قد تكون أختًا (سوداء)، أقسم بهذا. لا أستطيع أن أخبرك أيهن، ولكني سأسبغ عليكِ حمايتي، إن أطعتني ومشيت في (النور)». قالت (أماليسا) في همس أجش: «سأفعل، سأفعل. أرجوكِ يا (لياندرين سيدي)، أرجوكِ قولي إنك ستحمين أخي ورفيقاتي...».

«سأحمي من يستحق الحماية. لا تشغلي نفسك إلا بنفسك يا ابنتي، وفكري فقط فيما أمرتك به، فكري في هذا فحسب. إن مصير العالم يعتمد على هذا يا ابنتي، يجب عليكِ أن تنسي أي شيء آخر». «أمركِ يا (لياندرين سيدي)، أمركِ».

استدارت (لياندرين) وقطعت الغرفة ولم تنظر وراءها حتى وصلت إلى الباب. كانت (أماليسا) لا تزال على ركبتيها، ولا تزال تنظر إليها في قلق. «انهضي يا سيدتي (أماليسا)». جعلت (لياندرين) صوتها لطيفًا ولم يحمل سوى لمحة من السخرية التي شعرت بها. أخت بالفعل! لن تنجوليوم واحد كمبتدئة، رغم ما لديها من قدرة على القيادة. «انهضي». اعتدلت (أماليسا) واقفة بحركة بطيئة متشنجة كأنها كانت مقيدة اليدين والقدمين لساعات. عندما انتصبت أخيرًا قالت (لياندرين) وقد عاد الفولاذ إلى كامل قوته: «وإن خذلتِ العالم، إن خذلتني، فإنك ستحسدين صديق الظلام البائس ذلك في السرداب». من النظرة المرتسمة على وجه (أماليسا) لم تعتقد (لياندرين) أن الفشل سيكون بسبب أي تحاذل من جانبها.

أغلقت (لياندرين) الباب وراءها، وفجأة أحست بوخز في جلدها، حبست أنفاسها وهي تدور حول نفسها لتنظر في أرجاء الردهة خافتة الإضاءة، كانت خاوية. لقد حل الليل تمامًا وراء فتحات الأسهم. كانت الردهة خاوية، ومع ذلك كانت متيقنة من أن هناك عينين تنظران إليها. كان الممر الفارغ الذي تكتنفه الظلال ما بين المصاييح على الجدران يسخر منها. هزت كتفيها في توتر ثم أسرعت عبر الردهة في تصميم، مجرد توهم لا أكثر.

كان الليل قد حل بالفعل، ولا يزال هناك الكثير لفعله قبل الفجر. كانت أوامرها واضحة.

كانت الظلمة الدامسة تكتنف السرايب بغض النظر عن الساعة ما لم يحضر أحد مصباحًا، ولكن (بادان فاين) كان يجلس على حافة فراشه محققًا إلى الظلمة بابتسامة على وجهه. كان قادرًا على سماع سجينان آخران يتذمران في نومهما ويغمغان في كوابيسهما. كان (بادان فاين) ينتظر شيئًا ما، شيئًا قد انتظره لوقت طويل، طويل للغاية، ولكن لن ينتظره لوقت أطول.

انفتح باب غرفة الحراسة الخارجية وتدفق الضوء إلى الداخل ليظهر ظل شخص عند الباب. اعتدل (فاين) واقفاً وقال: «أنت! لست من كنت أتوقعه». تخطى متظاهراً باللامبالاة. تدفقت الدماء في عروقه، خُيِّل إليه أن باستطاعته القفز من فوق الحصن إن حاول فعل هذا. «مفاجآت للجميع، أليس كذلك؟ حسناً، هات ما عندك. الليل يكاد أن ينقضي وأنا أريد أن أحصل على قسط من النوم». مع اقتراب المصباح من الزنزانة رفع (فاين) رأسه مبتسماً لشيء ما غير مرئي ولكنه محسوس وراء سقف السرداب الحجري. همس: «الأمر لم ينتهِ بعد. المعركة لا تنتهي أبداً».

الفصل السادس

نبوءة مظلمة

ارتجف باب البيت الريفي إثر ضربات عنيفة من الخارج. بينما المزلاج الثقيل وراء الباب يقفز في دعامتيه. وراء النافذة المجاورة للباب تحركت الهيئة المظلمة (لترولوك) بخطم ثقيل. كان هناك نوافذ في كل مكان، والمزيد من الأشكال المظلمة تتحرك بالخارج، ولكنها لم تكن مظلمة بما يكفي، فلا يزال (راند) قادرًا على تمييزها.

قال لنفسه في يأس: *النوافذ*. تراجع بعيدًا عن الباب وهو يتشبث بسيفه أمامه بكلتا يديه. حتى لو صمد الباب فيمكنهم أن يكسروا النوافذ؟ لم لا يجربون النوافذ؟

مع صوت صرير معدني يصم الأذان نُزعت إحدى الدعامتين جزئيًا من إطار الباب وتدلت من مسامير قد جُذبت من الخشب بمقدار عرض إصبع. ارتجف المزلاج إثر ضربة أخرى فأطلقت المسامير صريرًا من جديد.

صاح (راند): «يجب علينا أن نوقفهم!». ولكن لا يمكننا أن نوقفهم. تلفت حوله بحثًا عن مهرب ولكن لم يكن هناك سوى ذلك الباب. كانت الحجرة عبارة عن صندوق، ليس هناك سوى باب واحد والكثير من النوافذ. «يجب علينا أن نفعل شيئًا ما، أي شيء!».

قالت (مات): «فات الأوان، ألا تفهم؟». بدت ابتسامته غريبة على وجهه الشاحب الخالي من الدماء، ومقبض خنجره يبرز من صدره، والياقوتة التي تعلوه تتوهج كأنها تحوي نارًا. لقد بدا أن الحجر الكريم به حياة أكثر من وجهه. «فات الأوان على أن نغير أي شيء».

قال (بيرين) ضاحكًا: «لقد تخلصت أخيرًا منهما». كانت الدماء تتدفق على وجهه كفيضان من الدموع من محجريه الفارغين. رفع يديه محاولًا أن يجعل (راند) يرى ما يحمله. «أنا حر الآن، لقد انتهى الأمر».

صرخ (بادان فاين) وهو يرقص في منتصف الحجرة: «لا تنتهي أبدًا يا (ألثور)، المعركة لا تنتهي أبدًا». تفجر الباب فانحنى (راند) متجنبًا شظايا الخشب المتطايرة. خطت عبر المدخل اثنتان من (الآيز سيدياي) متشحتان باللون الأحمر، قبل أن تنحنيا مع دخول سيدهما. كان هناك قناع بلون الدماء الجافة يغطي وجه (بعلز مون)، ولكن لا يزال (راند) قادرًا على رؤية اللهب في عينيه من خلال فتحتي العينين، وكان قادرًا على سماع تأجج النيران المشتعلة في فم (بعلز مون).

قال (بعلز مون) متحدًا هو و(فاين) كشخص واحد: «لم ينتهِ الأمر بيننا بعد يا (ألثور)، الحرب لا تنتهي أبدًا بالنسبة لك».

بشهقة مختنقة اعتدل (راند) جالسًا على الأرضية وهو يستيقظ. شعر أنه لا يزال قادرًا على سماع صوت (فاين) حادًا كأن البائع الجائل يقف إلى جانبه. لا تنتهي أبدًا، الحرب لا تنتهي أبدًا.

بعينين غائمتين تلفت حوله ليقنع نفسه أنه لا يزال مختبئاً حيث تركته (إيجوين)، مستلقياً على لوح خشبي في زاوية غرفتها. كان الضوء الخافت لمصباح واحد يضيء الغرفة، فاندھش لرؤية (ناينيف) تحيك على كرسي هزاز على الجانب الآخر من السرير الوحيد، الذي لا تزال أغطيته في موضعها. لقد حل الليل بالخارج. كانت (ناينيف) ذات عينين سوداوين وجسد نحيل وتضفر شعرها في ضفيرة سميكة منسدلة على كتفها وتكاد أن تصل إلى خصرها. لم تتخلّ عن الديار. كان وجهها هادئاً وبدا أنها لا تعي شيئاً سوى حياكتها وهي تهتز برفق. كان صوت نقرات إبرقي الحياكة الرتيب هو الصوت الوحيد، بينما السجادة تكتم صوت اهتزاز الكرسي.

في بعض الليالي مؤخراً تمنى وجود سجادة على الأرضية الحجرية الباردة في غرفته، ولكن غرف الرجال في (شاينار) دوماً ما تكون عارية وصارمة. كانت الجدران هنا عليها لوحتان تمثالان مشاهد جبلية مع شلالات، وستائر مطرزة بالزهور على فتحات الأسهم، وكان هناك زهور مقطوفة - زهور نجمة الصباح البيضاء - موضوعة في مزهرية مسطحة مستديرة على الطاولة إلى جانب السرير، وزهور أخرى تتأيل في الشمعدانات البيضاء المصقولة على الجدران. كان هناك مرآة طويلة في الزاوية، وأخرى معلقة فوق حوض الاغتسال، مع إبريق وإناء مخططين باللون الأزرق. تساءل لم قد تحتاج (إيجوين) إلى مرأتين، لم يكن هناك أي مرآة في غرفته ولم يشعر أنه بحاجة إلى واحدة. لم يكن هناك سوى مصباح واحد مضاء، ولكن هناك أربعة مصابيح أخرى في أرجاء الغرفة، التي كانت بحجم الغرفة التي يتشاركها مع (مات) و(بيرين). لقد حصلت (إيجوين) على هذه الغرفة وحدها.

قالت (ناينيف) دون أن ترفع عينها: «إن كنت ستنام بعد الظهيرة فلا تتوقع أن تنام في الليل». تجهم وجهه رغم أنها لا تستطيع أن ترى هذا، أو على الأقل فكّر أنها لا تستطيع. إنها تكبره ببضع سنوات فحسب، ولكن كونها الحكيمة قد أضاف خمسين عاماً من السلطة. قال: «كنت بحاجة إلى مكان للاختباء، وكنت متعباً». ثم أضاف بسرعة: «لم آتِ إلى هنا من تلقاء نفسي، لقد دعّنتني (إيجوين) إلى مساكن النساء». خفضت (ناينيف) ما تحيكه ثم منحته ابتسامة متعجبة. إنها امرأة جميلة، وهذا شيء لم يكن ليلاحظه مطلقاً في الديار، والمرء لا يفكر في الحكيمة على هذا النحو. «بحق (النور) يا (راند)، أنت تتحول إلى شايناري بمرور الوقت، لقد دُعيت إلى مساكن النساء بالفعل». ثم قالت ساخرة: «في أي لحظة قد تبدأ في الحديث عن الشرف وتطلب من (السلام) أن يبارك سيفك». احمر وجهه خجلاً، فتمنى ألا تلاحظ هذا في الضوء الخافت. نظرت إلى سيفه، الذي يبرز مقبضه من الحزمة الطويلة إلى جانبه على الأرضية، كان يعرف أنها لا تستحسن السيف - أي سيف - ولكنها لم تقل شيئاً عن الأمر هذه المرة. «لقد أخبرتني (إيجوين) لم تحتاج إلى مكان للاختباء، لا تقلق، سنبقيك مخفياً عن (الأميرلين)، أو عن أي (آيز سيداي) أخرى، إن كان هذا ما تريده». حدقت إلى عينيه، ثم أبعدت عينيهما على الفور، ولكن ليس قبل أن يرى توترها، وشكها. هذا صحيح،

يمكنني تسخير (القوة الواحدة). رجل يستخدم (القوة الواحدة)! يجب عليك أن تساعدني (الآيز سيداي) في تعقبني وترقيتي.

عبس وجهه وهو يهندم السترة الجلدية التي عثرت عليها (إيجوين) من أجله، ثم استدار لكي يستطيع أن يتكئ بظهره إلى الجدار. «سأختبئ في عربة أو أتسلل خارجًا بمجرد أن يصير بمقدوري هذا». لم تقل (ناينيث) شيئًا، أبقت تركيزها منصبًا على حياكتها، وهي تصدر صوتًا غاضبًا كلما أخفقت في غرزة. «أين (إيجوين)؟».

تركت ما تحيكه يسقط في حجرها وقالت: «لا أعرف حتى لم أحاول الليلة، لا يمكنني التركيز في الحياكة لسبب ما. لقد هبطت لكي ترى (بادان فاين)، إنها تعتقد أن رؤية وجوه يعرفها قد تساعد». «وجهي لم يساعده بالتأكيد. يجب عليها أن تبقى بعيدًا عنه، إنه خطير».

قالت (ناينيث) بهدوء: «إنها تريد مساعدته، تذكر أنها كانت تتدرب لتصير مساعدي، وكون المرأة حكيمة لا يعني التنبؤ بالطقس فحسب، الشفاء جزء من الأمر أيضًا. لدى (إيجوين) رغبة في الشفاء والحاجة إلى ذلك، وإن كان (بادان فاين) خطيرًا للغاية لقالت (مويرين) شيئًا».

ضحك وقال: «أنت لم تسألها، لقد اعترفت (إيجوين) بهذا، ولا يمكنني أن أتخيلك تطلين الإذن لفعل أي شيء». رفعت حاجبًا فانمحت الضحكة من على وجهه، ولكنه رفض أن يعتذر. إنها على مسافة بعيدة من الديار، ولا يمكنه أن يرى كيف ستستمر في كونها حكيمة (إيموندر فيلد) إن كانت ستذهب إلى (تار قالون). «هل بدأ البحث عني بعد؟ (إيجوين) ليست متيقنة من أنهم سيفعلون، ولكن (لان) يقول إن (عرش أميرلين) هنا بسببي، وأعتقد أنني مقتنع برأيه أكثر من رأيها».

للحظة لم تجبه (ناينيث)، وبدلًا من هذا راحت تعبت بلفافات الخيوط الصوفية. أخيرًا قالت: «أنا لست متيقنة، لقد جاءت إحدى الخادومات قبل وقت قصير، قالت إنها هنا لكي تعد السرير من أجل النوم، كما لو أن (إيجوين) ستنام بالفعل وتترك وليمة (الأميرلين) الليلة. لقد أمرتها بالخروج ولم تترك».

«لا أحد يعد السرير من أجلنا في مساكن الرجال». منحته نظرة هادئة كانت لتجعله يتلثم قبل عام مضى.

هز رأسه وقال: «لن يستخدموا الخادومات للبحث عني يا (ناينيث)».

«عندما ذهب بأكراً إلى المزبد لتناول كوب من الحليب كان هناك الكثير من النسوة في الردهات، هؤلاء اللاتي سيحضرن الوليمة يجب عليهن ارتداء ثيابهن والأخريات يجب عليهن مساعدتهن، أو الاستعداد للخدمة، أو...». عقدت حاجبيها في قلق وقالت: «هناك ما يكفي من العمل للجميع مع وجود (الأميرلين) هنا. ولم يكن موجودات هنا فقط في مساكن النساء، لقد رأيت السيدة (أماليسا) نفسها تخرج من مخزن بالقرب من المزبد ووجهها مغطى بالغبار».

«هذا لا يُصدق، لم قد تكون جزءًا من البحث؟ أو أي من النسوة الأخريات؟ من المفترض أن يستخدموا جنود اللورد (أجيلمار) و(الحماة) و(الآيز سيداي). من المؤكد أنهم يفعلن شيئًا من أجل الوليمة، من يعرف

ما الذي تتطلبه الوليمة الشاينارية؟».

«أنت تكون أحق أحيانًا يا (راند)، الرجال الذين رأيتهم لم يعرفوا ما الذي تفعله النساء أيضًا، لقد سمعت بعضهم يشكون من اضطرارهم إلى أداء كل العمل بأنفسهم. أعرف أنه ليس منطقيًا أنهن يبحثن عنك، لم تبدُ أي من (الآيز سيداي) مهتمة بالأمر، ولكن (أماليسا) لن تستعد للوليمة بتوسيح ملابسها في أحد المخازن. إنهن يبحثون عن شيء، شيء مهم. حتى لو بدأت في الاستحمام وتغيير ملابسها بعد أن رأيتهن مباشرة فبالكاد سيكون لديها وقت كافٍ. وبالحديث عن الأمر، إن لم تعد (إيجوين) قريبًا فسيتمتعن عليها الاختيار ما بين تبديل ملابسها أو التأخر عن الوليمة».

للمرة الأولى يدرك أن (ناينيث) لا ترتدي ملابس (النهرين) الصوفية التي كان معتادًا عليها، بل ترتدي فستانًا من الحرير الأزرق الفاتح، ومطرزًا بأزهار كندف الثلج حول العنق ونزولًا إلى الكمين، كل زهرة متمركزة على لؤلؤة صغيرة، وحزامها مزخرف بالفضة مع إبريم فضي مرصع باللؤلؤ. لم يرها ترتدي شيئًا كهذا من قبل، حتى ثياب العيد في الديار لا تضاهي هذا.

«هل ستذهبن إلى الوليمة؟».

«بالطبع، حتى لو لم تقل (مويرين) إنه يجب عليّ الذهاب، لن أدعها تعتقد أنني كنت...». توهجت عيناها بشراسة للحظة وفهم ما تعنيه، لن تدع (ناينيث) أي شخص يعتقد أنها خائفة حتى لو كانت كذلك، بالتأكيد ليس (مويرين)، وخصوصًا ليس (لان). كان يأمل أنها لا تعرف أنه على دراية بمشاعرها تجاه (الحامي). بعد لحظة لانت نظرتها عندما وقع بصرها على كم فستانها. «لقد منحنتي السيدة (أماليسا) هذا». كانت تتحدث بصوت خافت حتى إنه تساءل إن كانت تُحدث نفسها. مررت أصابعها على الحرير ولمست الزهور المطرزة وهي تبسم غارقة في أفكارها.

«إنه جميل للغاية عليك يا (ناينيث)، أنت جميلة الليلة». جفل بمجرد أن قال هذا، أي حكيمة تكون حساسة تجاه سلطتها، ولكن (ناينيث) أكثر حساسية من معظمهن. كانت (دائرة النساء) تعاملها بحذر لأنها صغيرة وربما لأنها جميلة، وكانت صراعاتها مع العمدة و(مجلس القرية) مادة للحكايات.

أبعدت يدها بحركة حادة عن التطريزات، ثم حدقت إليه وهي تقطب جبينها، تحدث على الفور لكي يتدارك الموقف.

«لا يمكنهم إبقاء البوابات مغلقة بالمزاليح إلى الأبد، بمجرد أن تُفتح سأرحل، ولن تعثر عليّ (الآيز سيداي) أبدًا. يقول (بيرين) إن هناك أماكن في (التلال السوداء) و(سهل كاراليان) يمكن أن يمشي فيها المرء لأيام دون أن يرى أحدًا. ربما... ربما سأستطيع أن أعرف ما يجب فعله حيال...». هز كتفيه في عدم ارتياح، ليس هناك حاجة لأن يقول هذا، ليس لها. «وإن لم أستطع فلن أجد أحدًا لأؤذيه».

ظلت (ناينيث) صامتة للحظة ثم قالت ببطء: «أنا لست واثقة يا (راند)، لا أستطيع أن أقول إنك تبدو لي أكثر من مجرد فتى قروي آخر، ولكن (مويرين) مصرة على أنك (تافيرين)، ولا أعتقد أنها ترى أن (عجلة

الزمن) قد انتهت منك. يبدو أن (سيد الظلام)...».

قال بقسوة: «لقد مات (الشیطان)». وفجأة بدا كأن الغرفة تتأرجح. أمسك برأسه بينما موجات من الدوار تجتاحه.

«أيها الأحمق! أيها الأحمق الغبي الأعمى! إن النطق باسم (سيد الظلام) يجذب انتباهه إليك! أليس لديك ما يكفي من المتاعب؟».

تمتم (راند) وهو يفرك رأسه: «لقد مات». ثم ازدرد لعابه، كان الدوار يتلاشى بالفعل. «حسنًا، حسنًا، (بعلز مون) إن شئت، ولكنه قد مات، لقد رأيته يموت، رأيته يحترق».

«وأنا لم أشاهدك عندما تسلطت عليك عين (سيد الظلام) الآن؟ لا تخبرني أنك لم تشعر بشيء وإلا سألكمك في أذنك. لقد رأيته وجهك».

قال (راند) بإصرار: «لقد مات». ومض المراقب غير المرئي في عقله، والرياح على قمة البرج. ارتجف ثم قال: «أشياء غريبة تحدث عندما تكون قريبًا إلى هذا الحد من (البلاء)».

قالت وهي تلوح بقبضتها: «أنت أحمق يا (راند أثور). سألكمك في أذنك إن كان هذا سيعيد لك بعض العقل...». بترت جملتها مع دوي الأجراس في جميع أنحاء الحصن.

قفز واقفًا على قدميه وهو يقول: «هذا إنذار! إنهم يبحثون...». إن نطق باسم (سيد الظلام) فسيأتي شره من أجلك.

اعتدلت (ناينيف) واقفة ببطء وهي تهز رأسها في توتر. «لا، لا أعتقد هذا. إن كانوا يبحثون عنك فكل ما ستفعله الأجراس هو تنبيهك. لا، إن كان إنذارًا فهو ليس من أجلك».

«من أجل ماذا إذن؟». ثم أسرع إلى أقرب فتحات الأسهم ونظر إلى الخارج.

كانت الأنوار تندفع كالبراغيث عبر الحصن الذي يغشاها الليل. بينما المصابيح والمشاعل تسرع هنا وهناك. بعضهم ذهب إلى الأسوار الخارجية والأبراج، ولكن معظم ما استطاع رؤيته كان يجوب الحديقة بالأسفل والباحة الوحيدة التي يستطيع أن يلمح جزءًا منها. أيًا ما تسبب في هذا الإنذار فإنه بداخل الحصن. سكنت الأجراس لتكشف عن صيحات الرجال، ولكنه لم يستطع أن يميز ما كانوا يصيحون به.

إن لم يكن هذا من أجلي... قال فجأة: «(إيجوين)». إن كان لا يزال على قيد الحياة، إن كان هناك أي شر، فمن المفترض أن يأتي إليّ.

كانت (ناينيف) تنظر عبر فتحة سهام أخرى، فالتفتت إليه وقالت: «ماذا؟».

«(إيجوين)». قطع الغرفة بخطوات سريعة ثم انتزع سيفه وغمده من الخزمة. بحق (النور)، من المفترض أن يؤذوني أنا لا هي. «إنها في السرداب بصحبة (فاين)، ماذا لو أنه صار طليقًا بطريقة ما؟».

لحقت به عند الباب وأمسكت بذراعه، كانت أقصر منه فلا يصل طولها إلى كتفه، ولكنها أمسكت به بقبضة حديدية. «لا تكن أكثر حماقة مما أنت عليه بالفعل يا (راند أثور)، حتى لو أن هذا لم يكن له علاقة بك

فإن النسوة يبحثن عن شيء ما. بحق (النور) يا رجل هذه مساكن النساء، من المحتمل أن يكون هناك (آيز سيدي) بالرداهات بالخارج. ستكون (إيجوين) بخير، ستأخذ (مات) و(بيرين) معها. حتى إن واجهت متاعب فسيعتين بها».

«ماذا لو أنها لم تستطع العثور عليهما يا (ناينيف)؟ (إيجوين) لن تسمح لهذا بأن يوقفها، ستذهب وحدها مثلك تمامًا، وأنت تعرفين هذا. بحق (النور)، لقد أخبرتها أن (فاين) خطير!». انتزع ذراعه ليحرر نفسه ثم فتح الباب وخطا إلى الخارج. بحق (النور)، من المفترض أن يؤذوني أنا!

صرخت امرأة عند رؤيته، مرتدياً قميص عمال خشناً وسترة جلدية ويحمل سيفاً في يده. رغم أنه يمكن دعوة الرجال إلى مساكن النساء فإنهم لا يأتون مسلحين ما لم يكن الحصن يتعرض للهجوم. ملأت النسوة الممر؛ خادما في الملابس السوداء والذهبية، وسيدات الحصن النبيلات في ثياب من الحرير والدانتيل، ونسوة يرتدين شالات مطرزة بأهداب طويلة. جميعهن يتحدثن بصوت عالٍ في الوقت نفسه، وكلهن يطالبن بمعرفة ما يحدث. كان الأطفال الباكون يتشبثون بالتنانير في كل مكان. اندفع من بينهم متفادياً الاصطدام بإحداهن قدر الإمكان، ومعتذراً لمن يدفعهن بكتفه جانباً، متجاهلاً صرخاتهن المذعورة. إحدى النسوة اللاتي يرتدين الشال استدارت لتعود إلى غرفتها فرأى ظهر شالها. رأى الدمعة البيضاء اللامعة في منتصف ظهرها. فجأة تعرف على أوجه قد رآها في الباحة الخارجية، (آيز سيدي) يحدقن إليه الآن في ذعر.

«من أنت؟ ما الذي تفعله هنا؟».

«هل الحصن يتعرض للهجوم؟ أجبن يا رجل!».

«إنه ليس جندياً، من يكون؟ ما الذي يحدث؟».

«إنه اللورد الشاب الجنوبي!».

«فليوقفه شخص ما!».

جعله الخوف يكشر عن أسنانه، ولكنه واصل الحركة وهو يحاول أن يتحرك بشكل أسرع. ثم خرجت امرأة إلى الردهة، لتنظر إليه وجهاً لوجه، فتوقف في موضعه رغماً عنه. لقد تعرف على هذا الوجه أكثر من الوجوه الأخرى، وفكر أنه سيتذكره إن عاش إلى الأبد؛ (عرش أميرلين). اتسعت عيناها مع رؤيته، وتراجعت (آيز سيدي) أخرى إلى وراء؛ المرأة الطويلة التي قد رآها تحمل العصا، وضعت نفسها بينه وبين (الأميرلين)، وهي تصرخ بشيء ما في وجهه لم يستطع أن يميزه وسط الضوضاء المتزايدة.

إنها تعرف، فليساعدني (النور)، إنها تعرف. (مويرين) قد أخبرتها. زجر وهو يركض للأمام. بحق (النور)، أتمنى فقط أن أتقن من سلامة (إيجوين) قبل أن... سمع صياحاً من ورائه ولكنه لم يصغ إليه.

كان هناك ما يكفي من الاضطراب حوله في الحصن، رجال يركضون نحو الباحات مشهرين سيوفهم دون أن ينظروا إليه. ومن فوق ضجيج أجراس الإنذار استطاع أن يميز ضوضاء أخرى، صيحات،

صرخات، صليل المعدن على المعدن. كان لديه ما يكفي من الوقت ليدرك أنها أصوات معركة - قتال؟ داخل (فال دارا)؟ - عندما اندفع ثلاثة من (الترولوكيين) منعطفين عند الزاوية أمامه.

وجوه بشرية مشوهة بخطوم مشعرة، وأحدهم له قرنا كبش. كسروا عن أنيابهم وهم يرفعون سيوفًا كالمناجل بينما يسرعون ناحيته.

إن الردهة التي كانت مليئة برجال راكضين قبل لحظة صارت خالية إلا منه هو و(الترولوكيين) الثلاثة. تفاجأ بالأمر فاستل سيفه بشكل غير متقن وهو يجرب تشكيلة (طائر الطنان يقبل وردة العسل). لقد صدمه وجود (الترولوكيين) في قلب حصن (فال دارا)، ففعل هذه التشكيلة على نحو سيئ، حتى إن (لان) كان لينظر إليه في استياء. تفادى (ترولوك) بخطم دب الهجمة بسهولة، مما جعله يرتطم بالاثنتين الآخرين.

فجأة صار هناك دزينة من الشياناريين يندفعون ليتجاوزوه منقضيين على (الترولوكيين)، رجال لم ينتهوا بعد من ارتداء الملابس الفاخرة من أجل الوليمة، ولكن سيوفهم في موضع الاستعداد. زجر (الترولوك) ذو خطم الدب بينما يموت، ورفيقاه يركضان تلاحقهما صيحات الرجال وهم يلوحون بالسيوف. ملأت الصيحات والصرخات الهواء في كل مكان.

(يجوين)!

استدار (راند) ليتعمق في الحصن، راكضًا عبر الردهات الخالية من الحياة، رغم أنه من آن لآخر كان يرى (ترولوگا) ميتًا على الأرض أو رجلًا ميتًا.

ثم وصل إلى تقاطع ممرات وعلى يساره نهاية قتال؛ ستة من الرجال ذوي عقد الشعر مستقلقون ينزفون بأجساد ساكنة، بينما السابع يحتضر. أدار (الميردرال) سيفه مرة أخيرة، ثم جذب ليحرره من معدة الرجل، فصرخ الجندي بينما السيف يسقط من يده وجسده يهوي أرضًا. تحرك (العاتم) برشاقة أفعى وقد عزز من هذا الوهم الأفعواني درعه المكون من صفائح سوداء متداخلة تغطي صدره. استدار ليحدق وجهه الشاحب الخالي من العينين إلى (راند). بدأ يمشي ناحيته مبتسمًا ابتسامة شاحبة دون أن يتعجل. لم يكن هناك حاجة لأن يسرع من أجل رجل واحد.

شعر أنه متجمد في موضعه، ولسانه ملتصق بسقف فمه. إن نظرة (عديم العينين) هي الخوف، هذا ما يقال على طول (الأراضي الحدودية). ارتجفت يداه وهو يرفع سيفه، لم يفكر حتى في استدعاء الخواء. بحق (النور)، لقد قتل سبعة رجال مدرعين في آن واحد. بحق (النور)، ما الذي سأفعله؟ بحق (النور)!

فجأة توقف (الميردرال) وتلاشت ابتسامته.

«إنه لي يا (راند)». جفل (راند) عندما خطا (إنجتار) ليقف إلى جانبه، ببشرة داكنة وجسد قوي، ومعطف احتفالات أصفر اللون، والسيف في كلتا يديه. لم تبتعد عينا (إنجتار) عن وجه (العاتم). إن كان الشياناري قد شعر بخوف من هذه النظرة فإنه لم يُبد أي إشارة على هذا. قال بصوت هادئ: «فلتجرب مقاتلة (ترولوك) أو اثنتين قبل مواجهة واحد من هؤلاء».

«لقد هبطت لأرى إن كانت (إيجوين) بأمان، لقد ذهبت إلى السرداب لزيارة (فاين) و...».

«اذهب لرؤيتها إذن».

ازدرد (راند) لعابه ثم قال: «سنهزمه معًا يا (إنجتار)».

«أنت لست مستعدًا لهذا، اذهب لرؤية فتاتك. اذهب! هل تريد أن يجدها (الترولوكيون) وهي بدون حماية؟».

للحظة ظل (راند) مترددًا، ثم رفع (العاتم) سيفه من أجل (إنجتار). تلوت شفتا (إنجتار) في زجرة صامتة، ولكن (راند) عرف أن هذا ليس خوفًا. وقد تكون (إيجوين) وحدها في السرداب بصحبة (فاين)، أو ما هو أسوأ. ومع ذلك شعر بالعار وهو يركض ناحية السلام التي تؤدي إلى أسفل الأرض. كان يعرف أن نظرة (العاتم) يمكن أن تجعل أي رجل خائفًا، ولكن (إنجتار) قد تغلب على خوفه، ومع ذلك لا يزال يشعر بقبضة باردة تعتصر معدته.

كانت الممرات تحت الحصن صامتة، ويضيئها بشكل خافت مصابيح وامضة متباعدة على الجدران. أبطأ من حركته عندما اقترب من السرايب، ثم تسلل في صمت قدر المستطاع على أطراف أصابع قدميه. شعر أن احتكاك حذائه بالأرض الحجرية العارية يملأ أذنيه. كان الباب المؤدي إلى السرايب مواربًا بمقدار شبر، من المفترض أن يكون مغلقًا بالملزاج.

حذق إلى الباب ثم حاول أن يزدرد لعابه ولكنه لم يستطع. فتح فمه لينادي ثم أغلقه مرة أخرى على الفور. إن كانت (إيجوين) بالداخل وتواجه متاعب فإن صيحته لن تفعل شيئًا سوى تحذير أيًا من كان يعرضها للخطر، أو أيًا ما كان. أخذ نفسًا عميقًا وهيأ نفسه.

بحركة واحدة دفع الباب ليفتحه على اتساعه بالغمد في يده اليسرى، ثم اندفع إلى السرداب، ثم دفع بكتفه لأسفل ليتدحرج عبر القش الذي يغطي الأرضية، قبل أن يقف على قدميه ويدور في هذا الاتجاه وذاك بسرعة كبيرة، ليلقي نظرة واضحة على الحجر، وهو يبحث ببأس عن أي شخص ربما يهاجمه، ويبحث عن (إيجوين). لم يكن هناك أحد.

وقعت عيناه على الطاولة، فتوقف في موضعه وتجمدت أنفاسه، بل وحتى أفكاره. على الجانب الآخر من المصباح الذي لا يزال مشتعلًا كان رأسا الحارسين في بركتين من الدماء. أعينهما تحذق إليه متسعة وخائفة، وفيهما فاغران في صرخة أخيرة لا يمكن لأحد أن يسمعها. شعر (راند) بالغثيان فانحنى وراح يتقيأ على القش. أخيرًا استطاع أن ينتصب واقفًا وهو يمسح فمه بكمه وشعر كأن حلقه يحترق.

ببطء صار مدركًا لبقية الموجودات بالحجرة، التي لم يرها بشكل كامل أو يستوعبها أثناء بحثه المتسرع عن مهاجم. كتل دامية من اللحم متناثرة على القش. لم يكن هناك شيء يمكن أن يتعرف عليه باعتباره بشريًا سوى الرأسين. بعض القطع تبدو ممضوغة. إذن هذا ما حدث لبقية جسديهما. تفاجأ من هدوء أفكاره، كأنها قد حقق الخواء دون أن يحاول. كان يعلم بشكل مبهم أن الأمر صادم.

لم يتعرف على أي من الرأسين، لقد تبدل الحراس منذ أن جاء باكراً. كان مسروراً لهذا، إن معرفة من يكونان - حتى لو كان (تشانجو) - كانت ستجعل الأمر أسوأ. كانت الدماء تغطي الجدران أيضاً، ولكن في أحرف مكتوبة، كلمات منفردة وجمل كاملة مكتوبة بالدماء في كل مكان. بعضها خشن وحاد الزوايا بلغة لم يعرفها، رغم أنه قد تعرف على طريقة الكتابة (الترولوكية). كلمات أخرى استطاع قراءتها وتمنى لو لم يستطع؛ تجديف، وكلمات بذيئة بما يكفي لجعل وجه عامل إسطنبول أو حارس تاجر يمتنع.

تلاشى هدوءه وهو يقول: «(إيجوين)». دفع غمده في حزامه ثم انتزع المصباح من على الطاولة، ولم يلاحظ عندما انقلب الرأسان. «(إيجوين)! أين أنت؟».

اندفع ناحية الباب الداخلي، فخطا خطوتين ثم توقف في موضعه. كانت الكلمات المكتوبة على الباب - الداكنة والمتألثة بشكل رطب في ضوء مصباحه - واضحة بما يكفي.

سنلتقي مرة أخرى في (تومان هيد).

الأمر لا ينتهي أبداً يا (ألثور).

سقط سيفه من يده وقد شعر بالخدر فجأة، ثم انحنى ليلتقطه دون أن يُبعد عينيه عن الباب، ولكنه بدلاً من هذا أمسك بحفنة من القش وبدأ يفرك الكلمات المكتوبة على الباب بشكل محموم. راح يلهث وهو يفرك حتى صار كل شيء لطحه واحدة دامية، ولكنه لم يستطع أن يتوقف.

«ما الذي تفعله؟».

مع هذا الصوت الحاد من ورائه دار حول نفسه وهو ينحني ليُمسك بسيفه.

كان هناك امرأة تقف عند الباب الخارجي، وقد انتصب ظهرها في غضب. شعرها ذهبي فاتح في دزينة من الجداول أو أكثر، ولكن عينيها داكنتان وتحقدان إلى وجهه بحدة. لم تبد أكبر منه بكثير، وجميلة بطريقة عابسة، ولكن فمها كان مشدوداً بطريقة لم تعجبه. ثم رأى الشال الذي تلفه بإحكام من حولها، وأهدابه الحمراء الطويلة.

فليساعدي (النور)، إنها (آيز سيداي)، ومن (الآجاه الحمراءوات). «أنا... كنت فقط... إنها أشياء دنسة، خبيثة». «يجب أن يُترك كل شيء تماماً كما هو لكي نتفحصه، لا تلمس شيئاً». خطت خطوة للأمام وحدقت إليه فتراجع خطوة للوراء. «أجل، تماماً كما خمنت، واحد من رفاق (مويرين). ما علاقتك بكل هذا؟». أشارت بيدها ناحية الرأسين على الطاولة والكتابة الدامية على الجدران.

للحظة حدق إليها ثم قال: «أنا؟ لا شيء! لقد جئت إلى هنا لكي أبحث عن... (إيجوين)!».

استدار ليفتح الباب الداخلي فصاحت (الآيز سيداي): «لا! ستجيني!».

فجأة صار كل ما يمكنه فعله هو الاعتدال واقفاً ومواصلة حمل المصباح وسيفه. شعر ببرد جليدي يضغط عليه من كل الاتجاهات، أحس كأن رأسه عالق في ملزمة متجمدة، وبالكاد استطاع أن يتنفس، بسبب الضغط على صدره.

«أجبنني أيها الفتى. أخبرني ما اسمك».

تأوه بشكل لا إرادي محاولاً أن يجيب رغم البرودة التي تبدو وكأنها تضغط وجهه على حجمته وتخنق صدره كأربطة حديدية متجمدة. جز على أسنانه ليمنع نفسه من إصدار هذا الصوت. أدار عينيه في ألم ليحرق إليها من بين غشاوة الدموع. فليحرقك (النور) أيتها (الآيز سيدي)! لن أقول كلمة، فليأخذك (الظل)! «أجبنني أيها الفتى! الآن!».

اخترقت إبر متجمدة عقله بألم شديد وطحنت عظامه. تشكل الخواء بداخله قبل حتى أن يدرك أنه يفكر فيه، ولكنه لم يستطع أن يتحمل الألم. بشكل خافت شعر بالضوء والدفع في مكان ما بعيد. كان الضوء يومض بشكل مثير للغثيان، ولكنه كان دافئاً وكان (راند) بارداً. كان بعيداً ولكنه في الوقت ذاته في متناول اليد. بحق (النور)، البرد شديد، يجب عليّ أن أصل إلى... ماذا؟ إنها تقتلني، يجب عليّ أن أصل إليه وإلا ستقتلني. مد يده بشكل يائس ناحية الضوء.

«ما الذي يحدث هنا؟». فجأة تلاشى الضوء والضغط والإبر. أحس بركبتيه ترتجيان ولكنه أجبر نفسه على الانتصاب، لن يسقط على ركبتيه، لن يمنحها هذا الرضا. تلاشى الخواء أيضاً فجأة، كما ظهر فجأة. كانت تحاول قتلي. رفع رأسه وهو يلهث، كانت (مويرين) واقفة عند المدخل. «سألتك ما الذي يحدث هنا يا (لياندرين)».

أجابتها (الآيز سيدي) الحمراء بهدوء: «لقد وجدت هذا الفتى هنا. لقد قُتل الحارسان، وها هو هنا، واحد من رفاقك. وما الذي تفعلينه هنا يا (مويرين)؟ المعركة بالأعلى وليست هنا؟». «يمكنني أن أسألك السؤال نفسه يا (لياندرين)». تلفتت (مويرين) حولها في أرجاء الحجرة، وقد ضيقت فمها بشكل طفيف مع مشهد الموت. «ما الذي تفعلينه هنا؟».

ابتعد (راند) عنهما وهو يدفع بضعف مزاليج الباب الداخلي ليفتحه. «لقد هبطت (إيجوين) إلى هنا». قالها لأي شخص قد يهتم، ثم دلف إلى الداخل وهو يرفع مصباحه. ركبتاه لا تزالان ترغبان في الاستسلام، ولم يكن واثقاً كيف ظل واقفاً على قدميه. إنه يعرف فقط أن عليه إيجاد (إيجوين). «(إيجوين)!».

جاء صوت حشرة أجوف وصوت تحبط من على يمينه، فوجه مصباحه في ذلك الاتجاه. كان السجين ذو المعطف الفاخر مرتجياً على الشبكة الحديدية بزنارته، وحزامه ملتف حول القضبان ثم حول عنقه. عندما نظر إليه (راند) ضرب بقدمه ضربة أخيرة لتحترك بالأرضية المغطاة بالقش، ثم سكن جسده، بينما لسانه متدلّ وعيناه جاحظتان، في وجه قد صار أسود تقريباً. تكاد ركبتاه أن تلمسا الأرض، كان بمقدوره أن يقف إن أراد هذا.

ارتجف (راند) وهو ينظر إلى الزناراة التالية. كان الرجل الضخم ذو المفاصل الغائرة متكوماً على نفسه في مؤخرة زنارته وعيناه متسعتان عن آخرهما. عندما رأى (راند) صرخ وتلوى على نفسه وهو يخمش الجدار الحجري بشكل محموم.

صاح (راند): «لن أؤذيك». ولكن الرجل واصل الصراخ والخمش. كانت يده دامتيتن وخمشاته تصنع خطوطاً على لطخات داكنة جافة. لم تكن هذه هي محاولته الأولى لحفر الحجر بيديه العاريتين.

أشاح (راند) بنظره وقد شعر بالارتياح لأن معدته كانت فارغة بالفعل، ولكن لم يكن هناك ما يمكنه فعله لأي منهما. «(إيجوين)!».

وصل ضوءه أخيراً إلى نهاية الزنازين، كان الباب الذي يؤدي إلى زنزانه (فاين) مفتوحاً، والزنزانه خاوية، ولكن الشكلين الموضوعين على الحجر أمام الزنزانه هما ما جعلاً (راند) يقفز للأمام ويسقط على ركبتيه بينهما.

كانت (إيجوين) و(مات) ممددين على الأرض بجسدين مرتحين، فاقدتين للوعي... أو ميتتين. أحس بموجة من الارتياح عندما رأى صدريهما يعلوان ويهبطان، ولم يبدُ أن هناك علامة على أي منهما. «(إيجوين)؟ (مات)؟». وضع سيفه جانباً وهو يهز (إيجوين) بلطف. «(إيجوين)؟». لم تفتح عينيها. «(مويرين)! لقد تعرضت (إيجوين) للأذى! و(مات)!». كانت أنفاس (مات) تبدو شاقة، ووجهه شاحب كشحوب الموت. شعر (راند) برغبة في البكاء. كان من المفترض أن يؤذيني أنا، أنا من نطقت باسم (سيد الظلام)، أنا!

«لا تحركهما». لم تبدُ (مويرين) مستاءة أو حتى متفاجئة. غمر الضوء الحجرة فجأة مع دخول كلتا (الآيز سيداي)، كل واحدة منهما تطفو فوق يدها كرة متوهجة من ضوء بارد.

تقدمت (لياندرين) للأمام مباشرة عبر منتصف الممر الواسع، وهي ترفع تنورتها عن القش بيدها الأخرى، ولكن (مويرين) توقفت لتتنظر إلى السجينين قبل أن تلحق بها. قالت: «لا يوجد شيء يمكن فعله من أجل هذا، والآخر يمكنه أن ينتظر».

وصلت (لياندرين) إلى (راند) أولاً وبدأت تنحني ناحية (إيجوين)، ولكن (مويرين) اندفعت لتسبقها ووضعت يدها الأخرى على رأس (إيجوين)، فاعتدلت (لياندرين) متجهمة.

بعد لحظة قالت (مويرين): «إنها لم تتعرض لأذى شديد. لقد تلقت ضربة هنا». ثم حددت منطقة على جانب رأس (إيجوين) مغطاة بشعرها، لم يستطع (راند) أن يرى شيئاً مختلفاً حيالها. «هذه هي الإصابة الوحيدة التي تلقتها. ستكون بخير».

نقل (راند) بصره من (آيز سيداي) لأخرى، ثم قال: «ماذا عن (مات)؟».

رفعت (لياندرين) حاجباً وهي تنظر إليه، ثم التفتت لتراقب (مويرين) بتعبير ساخر.

قالت (مويرين): «اصمت». كانت أصابعها لا تزال موضوعة على المنطقة التي قالت إن (إيجوين) مصابة فيها، وقد أغمضت عينيها. غمغمت (إيجوين) وتلملت ثم سكنت.

«هل هي...؟».

«إنها نائمة يا (راند). ستكون بخير، ولكنها يجب أن تنام».

التفتت (مويرين) إلى (مات)، ولكنها لمستته للحظة قبل أن تجذب يدها إلى الوراء. قالت بصوت خافت: «هذه الإصابة أكثر خطورة». راحت تفتش عند خصر (مات)، ثم فتحت معطفه، قبل أن تقول في غضب: «لقد اختفى الخنجر».

سألته (لياندرين): «أي خنجر؟».

فجأة جاءت أصوات من الحجرة الخارجية؛ رجال يصيحون في غضب واشمئزاز. صاحت (مويرين): «هنا، اجلبوا محفتين بسرعة». شخص ما في الحجرة الخارجية راح ينادي من أجل المحفتين.

قال (راند): «لقد اختفى (فاين)». نظرت إليه كلتا (الآيز سيداي)، لم يستطع أن يقرأ أي شيء من تعبيرات وجهيهما بينما أعينهما تلمع في الضوء. قالت (مويرين) بصوت خالٍ من المشاعر: «أرى هذا». «قلت لها ألا تأتي إلى هنا. قلت لها إنه خطير».

قالت (لياندرين) بصوت بارد: «عندما جئت كان يطمس الكتابة في الحجرة الخارجية». تملل في توتر على ركبتيه. بدت أعين كلتا (الآيز سيداي) متشابهة في هذه اللحظة، تقيمانه وترنانه، باردتين ومخيفتين.

قال: «إنه... إنه مجرد دنس. مجرد دنس». كانتا لا تزالان تنظران إليه دون أن تتحدثا. «أنت لا تعتقدين أنني... من المستحيل يا (مويرين) أن تفكري أن لي أي علاقة ب... أياً كان ما حدث بالخارج». بحق (النور)، هل لي علاقة؟ لقد نطقت باسم (سيد الظلام).

لم تجبه، فشعر بقشعريرة لم يخففها اندفاع الرجال بالمشاعل والمصابيح. تركت (مويرين) و(لياندرين) كرتيهما تنطفئان. لم تمنح المصابيح والمشاعل القدر نفسه من الضوء، فانتشرت الظلال في أعماق الزنازين. أسرع رجال يحملون محفتين إلى الشخصين المستلقين على الأرض. كان (إنجتار) يتقدمهم، وعقدة شعره ترتجف في غضب، وهو يبدو متلهفًا للعثور على أي شيء يمكنه أن يستخدم سيفه ضده. «إذن فقد رحل صديق الظلام أيضًا، حسنًا هذا أقل ما حدث هذه الليلة».

قالت (مويرين) بحدة: «بل أقل ما حدث هنا». وجهت الرجال لوضع (إيجوين) و(مات) على المحفتين ثم قالت: «يجب حمل الفتاة إلى غرفتها، ستحتاج إلى امرأة لمراقبتها حال أن استيقظت في الليل. قد تكون خائفة، ولكنها تحتاج إلى النوم أكثر من أي شيء آخر. أما الفتى...». لمست (مات) بينما الرجلان يرفعان محفته، ثم قالت: «خذه إلى غرفة (عرش أميرلين)، اعثرا على (الأميرلين) أينما كانت وأخبرها أنه هناك، أخبرها أن اسمه (ماترم كاوثون). سأنضم إليها في أقرب وقت ممكن».

صاحت (لياندرين): «(الأميرلين)! هل تعتقدين أن (الأميرلين) ستكون معالجة... لحيوانك الأليف؟ أنت مجنونة يا (مويرين)».

قالت (مويرين) بهدوء: «إن (عرش أميرلين) ليس لديها تحيزات (الآجاه الحمراءات) يا (لياندرين)، ستعالج رجلاً دون أن تكون بحاجة لمنفعة خاصة منه». ثم قالت مخاطبة حاملي المحفتين: «اذهبوا».

راقبتهم (لياندرين) وهم يرحلون، (مويرين) والرجال الذين يحملون (مات) و(إيجوين)، ثم التفتت لتحقق إلى (راند). حاول أن يتجاهلها، صب تركيزه على وضع سيفه في غمده ونفض القش الذي علق بقميصه وسرواله. ولكن عندما رفع رأسه وجدها لا تزال تتفحصه، ووجهها بارد كالثلج. دون أن تقول شيئاً التفتت لتتأمل الرجال الآخرين وهي غارقة في أفكارها. أحدهم رفع جثة الرجل المشنوق، بينما رجل آخر يفك الحزام. انتظر (إنجتار) والآخرين باحترام. ألقت نظرة أخيرة ناحية (راند)، ثم غادرت وهي تشمخ بأنفها كأنها هي ملكة.

تمتم (إنجتار): «امرأة قاسية». ثم بدا متفاجئاً من أنه قد تحدث. «ما الذي حدث هنا يا (راند ألتور)؟». هز (راند) رأسه وقال: «لا أعرف شيئاً باستثناء أن (فاين) قد هرب بطريقة ما، وأنه قد آذى (إيجوين) و(مات) أثناء هربه. لقد رأيت حجرة الحرس...». ثم ارتجف وقال: «ولكن هنا... أياً كان ما حدث هنا يا (إنجتار) فإنه قد أخاف هذا الرجل بما يكفي لأن يشنق نفسه، وأعتقد أن الرجل الآخر قد أصيب بالجنون من رؤيته».

«نحن جميعاً نصاب بالجنون الليلة».

«(العاتم)... هل قتلته؟».

«لا!». أعاد سيفه إلى غمده بحركة عنيفة، فعلق المقبض فوق كتفه الأيمن. لقد بدا أنه يشعر بالغضب والعار في الآن ذاته. «لا شك أنه خارج الحصن الآن، بصحبة بقية من لم نتمكن من قتلهم».

«على الأقل لا تزال حيّاً يا (إنجتار)، ذلك (العاتم) قد قتل سبعة رجال».

«حيّاً؟ هل هذا مهم للغاية؟». فجأة لم يعد وجه (إنجتار) غاضباً، بل متعباً ومليئاً بالألم. «لقد كان بين أيدينا. بين أيدينا! وقد فقدناه يا (راند). فقدناه!». بدا وكأنه لا يستطيع أن يصدق ما يقوله.

سأل (راند): «فقدنا ماذا؟».

«(البوق)!(بوق فالير). لقد اختفى، الصندوق وكل شيء».

«ولكنه كان في الخزانة المنيعة».

قال (إنجتار) في تعب: «لقد نُهبَت الخزانة المنيعة. لم يأخذوا الكثير إلى جانب (البوق)، أخذوا كل ما يمكنهم حمله في جيوبهم. أتمنى لو أنهم أخذوا كل شيء آخر وتركوه. لقد مات (رونان)، والحرس الذين كانوا يحرسون الخزانة المنيعة». فجأة صار صوته خفيضاً وهو يقول: «عندما كنت صبيّاً استطاع (رونان) أن يحمي (برج جيهان) مع عشرين رجلاً ضد ألف (ترولوك). ولكنه مع ذلك لم يُهزم بسهولة. كان خنجر الرجل العجوز دامياً، لا يمكن لأحد أن يطلب أكثر من هذا». لاذ بالصمت للحظة ثم قال: «لقد جاؤوا

عبر بوابة الكلاب، وغادروا بالطريقة نفسها. لقد قتلنا خمسين منهم أو أكثر، ولكن الكثير منهم قد هربوا. (ترولوكيون)! لم يدخل (ترولوكيون) إلى الحصن من قبل. مطلقاً!.

«كيف استطاعوا الدخول عبر بوابة الكلاب يا (إنجتار)؟ يمكن لرجل واحد أن يوقف مئة هناك، وجميع البوابات كانت مغلقة بالمزليج». ثم تلمل في توتر وهو يتذكر السبب. «لم يكن الحرس ليفتحوها ليسمحوا لأي شخص بالدخول».

قال (إنجتار): «لقد دُبحا. كانا رجلين صالحين ولكنهما دُبحا كالخنازير. لقد حدث الأمر من الداخل، شخص ما قتلها ثم فتح البوابة، شخص ما يمكنه أن يقترب منهما دون أن يرتابا فيه، شخص كانا يعرفانه». نظر (راند) إلى الزنزانة الخاوية التي كان بها (بادان فاين) ثم قال: «ولكن هذا يعني...».

«أجل، هناك أصدقاء ظلام بداخل (فال دارا)، أو كان هناك. سنعرف قريباً إذا ما كان الأمر هكذا. (كاجين) يتحقق الآن ليرى إذا ما كان هناك أي شخص مفقود. بحق (السلام)! خيانة في حصن (فال دارا)!». عبس وجهه وهو يتلفت حوله في السرداب ناظراً إلى الرجال الذين ينتظرونه. كانوا جميعاً يحملون سيوفاً فوق الملابس الاحتفالية، وبعضهم يرتدون خوذات. «نحن لا نفعل أي شيء مفيد هنا. اخرجوا! جميعاً!». انضم (راند) إلى الخارجين فنقر (إنجتار) على سترة (راند) الجلدية وقال: «ما هذا؟ هل قررت أن تصبح عامل إسطنبول؟».

قال (راند): «إنها حكاية طويلة، طويلة للغاية على أن أحكيها هنا، ربما في وقت لاحق». ربما لن أحكيها أبداً إن كنت محظوظاً، ربما يمكنني الهرب من كل هذه المفوضى. لا، لا أستطيع، ليس قبل أن أعرف أن (إيجوين) بخير، و(مات) أيضاً. بحق (النور)، ما الذي سيحدث له من دون الخنجر؟ «أفترض أن اللورد (أجيلمار) قد ضاعف الحراسة على كل البوابات».

قال (إنجتار) بنبرة رضا: «ثلاثة أضعاف، لن يمر أحد من هذه البوابات داخلاً أو خارجاً، بمجرد أن سمع اللورد (أجيلمار) بما حدث أمر بعدم السماح لأي شخص بمغادرة الحصن دون إذنه الشخصي».

بمجرد أن سمع...؟ «ماذا عن الوقت الباكر يا (إنجتار)؟ ماذا عن الأمر السابق بإبقاء الجميع بالداخل؟». «أمر سابق؟ أي أمر سابق؟ لم يكن الحصن مغلقاً يا (راند) حتى سمع اللورد (أجيلمار) بهذا، لا شك أن شخصاً ما قد أخبرك بشيء خاطئ».

هز (راند) رأسه ببطء، لن يختلق (راجان) أو (تيا) شيئاً كهذا، وحتى لو كانت (عرش أميرلين) هي من أصدرت الأمر فكان (إنجتار) سيعرف بهذا. إذن من؟ وكيف؟ ألقى نظرة جانبية ناحية (إنجتار) متسائلاً إذا ما كان الشايناري يكذب. أنت حقاً تصاب بالجنون إن كنت تشك في (إنجتار).

وصلوا إلى حجرة حرس السرداب، وقد أزيل الرأسان المقطوعان وأجزاء الحارسين، ولكن لا يزال هناك لطخات حمراء على الطاولة وبقع رطبة على القش توضح الأماكن التي كانت بها الرأسان والأجزاء. كان هناك اثنتان من (الآيز سيدي)، تبدوان هادئتين، وكل منهما ترتدي شالاً بأهداب بنية، تتفحصان الكلمات

المكتوبة على الجدران، غير عابئين بما تجره تنورتاهما عبر القش. كانت كل منهما تحمل محبرة في حقيبة كتابة متدلية من حزامها، وتدون ملحوظات بقلم في كتاب صغير. لم تنظرا قط إلى الرجال الذين يعبرون الحجرة. قالت إحداهما: «انظري هنا يا (ثيرين)». كانت تشير إلى جزء من الحجر مغطى بأسطر من الكتابة (الترولوجية). «هذا يبدو مثيراً للاهتمام».

أسرعت الأخرى ناحيتها فتلطخت تنورتها ببقع حمراء. «أجل، أرى هذا. يد أفضل بكثير من البقية، هذا ليس (ترولوكا). أمر مثير للاهتمام حقاً». بدأت تكتب في كتابها وهي ترفع بصرها بين الحين والآخر لتقرأ الأحرف ذات الزوايا الحادة على الجدار.

أسرع (راند) إلى الخارج، حتى لو لم تكونا من (الآيز سيدي) فإنه لا يرغب في البقاء في الحجرة نفسها مع أي شخص يعتقد أن قراءة نص (ترولوكي) مكتوب بدماء بشرية هو «أمر مثير للاهتمام».

كان (إنجتار) ورجاله قد واصلوا تقدمهم ذاهبين لأداء واجبهم، فتباطأ (راند) وهو يتساءل إلى أين يمكنه الذهاب الآن، العودة إلى مساكن النساء لن تكون سهلة من دون مساعدة (إيجوين). بحق (النور)، أتمنى أن تكون بخير. (مويرين) قالت إنها ستكون بخير.

عثر عليه (لان) قبل أن يصل إلى أول الدرجات التي تؤدي لأعلى. «يمكنك أن تعود إلى غرفتك إن شئت أيها الراعي، لقد أمرت (مويرين) بجلب أغراضك من غرفة (إيجوين) ونقلها إلى غرفتك».

«كيف عرفت...؟».

«(مويرين) تعرف الكثير من الأشياء أيها الراعي. من المفترض أن تكون قد فهمت هذا الآن. من الأفضل أن تحترس لنفسك، جميع النساء يتحدثن عنك وأنت تركض في الردهات وتلوح بسيفك. يقلن إنك تحديث عرش أميرلين».

«بحق (النور)، أعتذر لإغضابهن يا (لان) ولكنني قد دُعيت إلى هناك، وعندما سمعت الإنذار... بحق (النور)، كانت (إيجوين) هنا بالأسفل».

زم (لان) شفثيه مفكراً، كان هذا هو التعبير الوحيد المرتسم على وجهه. «لا، إنهن ليس غاضبات بالضبط، رغم أن معظمهن يعتقدن أنك بحاجة إلى يد قوية لتعليمك بعض الانضباط. بل هن بالأحرى منبهرات، حتى السيدة (أماليسا) لا يمكنها التوقف عن طرح الأسئلة عنك. وبعضهن بدأن يصدقن حكايات الخدم، إنهن يعتقدن أنك أمير متنكر أيها الراعي. هذا ليس شيئاً سيئاً، هناك قول مأثور هنا في (البلاد الحدودية): «أن يكون لديك امرأة إلى جانبك أفضل من عشرة رجال». الطريقة التي يتحدثن بها فيما بينهن تشي بأنهن يحاولن تحديد ابنة من فيهن ستكون قوية بما يكفي للتعامل معك. إن لم تنتبه لنفسك أيها الراعي فستجد أنك متزوج من عائلة شائنازية قبل أن تدرك حتى ما يحدث». فجأة انفجر في الضحك، لقد بدا الأمر غريباً كروية صخرة تضحك. «الركض في ردهات مساكن النساء في منتصف الليل مرتدياً ستره عمال وملوحاً بسيف. إن لم يأمرن بجلدك فسيحدثن عنك لسنوات على الأقل. إنهن لم يرين رجلاً غريباً

مثلك من قبل. أيًا كانت الزوجة التي سيخترنها لك فعلى الأرجح ستجعلك سيد عائلتك في غضون عشر سنوات، وستجعلك تعتقد أنك فعلت هذا بنفسك. من المؤسف أنك مضطر للرحيل».

كان (راند) يحدق إلى (الحامي) فاغراً فمه، ولكنه مع كلماته الأخيرة قال مزيجاً: «لقد كنت أحاول، البوابات تخضع للحراسة ولا يمكن لأحد أن يغادر. لقد حاولت في ضوء النهار، لم أستطع حتى إخراج (ريد) من الإسطبل».

«لا يهم الآن، لقد أرسلتني (مويرين) لأخبرك أنه باستطاعتك الرحيل متى شئت، حتى لو أردت الرحيل الآن. لقد طلبت (مويرين) من (أجيلمار) أن يستثنيك من الأمر الصادر».

«لم الآن وليس باكراً؟ لم لم أستطع أن أغادر في وقت سابق؟ هل كانت هي من أمر بإغلاق البوابات بالمزاليح حينها؟ قال (إنجتار) إنه لا يعرف أي شيء عن أي أمر بإبقاء الناس داخل الحصن قبل الليلة».

خُيِّل (لراند) أن (الحامي) قد بدا مضطرباً، ولكن كل ما قاله هو: «عندما يمنحك أحدهم حصاناً أيها الراعي لا تشك من أنه ليس بالسرعة التي تريدها».

«ماذا عن (إيجوين)؟ و(مات)؟ هل هما بخير حقاً؟ لا يمكنني الرحيل قبل أن أعرف أنها بخير».

«الفتاة بخير، ستستيقظ في الصباح، وعلى الأرجح لن تتذكر ما حدث. هذا ما يحدث عندما تتلقى ضربة على رأسك».

«ماذا عن (مات)؟».

«الخيار لك أيها الراعي، يمكنك أن تغادر الآن أو في الغد أو في الأسبوع المقبل، الأمر متروك لك». ثم مشى مبتعداً تاركاً (راند) واقفاً هناك في الممر، عميقاً تحت حصن (فال دارا).

الفصل السابع

الدماء تنادي الدماء

بينما المحفة التي تحمل (مات) تغادر غرفة (عرش أميرلين) أعادت (مويرين) تغليف الأنجリアル - نحت عاجي صغير على هيئة امرأة في روب خفاق - بعناية في قطعة حريرية مربعة، وأعادته إلى كيسها. إن العمل مع (الآيز سيداي) الأخريات؛ دمج قدراتهن وتسخير تدفق (القوة الواحدة) في مهمة جماعية، يكون عملاً متعباً في أفضل الظروف، حتى بمساعدة أنجリアル، والعمل طيلة الليل دون نوم لم يكن أفضل الظروف، وما فعلوه مع الفتى لم يكن سهلاً.

وجهت (لياني) حاملي المحفة إلى الخارج بإيماءات حادة وكلمات مقتضبة. واصل الرجلان حني رأسيهما وهما يشعران بالتوتر لوجودهما بصحبة عدد كبير من (الآيز سيداي)، وإحداهن (الأميرلين) نفسها، ناهيك بأن أولئك (الآيز سيداي) قد استخدمن (القوة الواحدة). كانا ينتظران في الممر يجلسان القرفصاء قبالة الجدار أثناء إنجاز العمل، وهما متلهفان للخروج من مساكن النساء. كان (مات) مستلقياً وعيناه مغلقتان ووجهه شاحب. ولكن صدره كان يعلو ويهبط في إيقاع منتظم يشي بنوم عميق.

تساءلت (مويرين): كيف سيؤثر هذا على مجريات الأمور؟ إنه لم يعد ضرورياً مع اختفاء (البوق)، ومع ذلك...

انغلق الباب من وراء (لياني) وحاملي المحفة، فتنفست (الأميرلين) نفساً مضطرباً ثم قالت: «كان هذا عملاً مقزراً». كان وجهها أملس، ولكنها فركت يديها كما لو أنها ترغب في غسلها.

قالت (فيرين): «ولكنه كان مثيراً للاهتمام للغاية». كانت (الآيز سيداي) الرابعة التي اختارتها (الأميرلين) لهذا العمل. «من المؤسف أننا لا نمتلك الخنجر حتى يكتمل الشفاء، رغم كل ما فعلناه الليلة فلن يعيش طويلاً، ربما أشهر على أفضل تقدير». كانت (الآيز سيداي) الثلاثة وحدهن في غرفة (الأميرلين)، ومن وراء فتحات الأسهم يتلألأ ضوء الفجر في السماء.

قالت (مويرين) بحدة: «ولكنه الآن سيعيش هذه الأشهر، وإن تمكنا من استرجاع الخنجر فقد يمكننا كسر الرابط». هذا بالطبع إن تمكنا من استرجاعه.

وافقتها (فيرين) قائلة: «لا يزال من الممكن كسره». كانت امرأة ممتلئة الجسد بوجه مربع، ورغم هبة (الآيز سيداي) في أن يبدن بلا عمر كان هناك لمسة من اللون الرمادي في شعرها البني، كانت هذه هي العلامة الوحيدة على عمرها، ولكن بالنسبة لواحدة من (الآيز سيداي) فهذا يعني أنها عجوز للغاية بالفعل، ولكن صوتها كان ثابتاً ويضاهي وجنتيها الناعمتين. «ولكنه قد رُبط بالخنجر لوقت طويل، وشيء كهذا يجب أن نحسب له حساباً، وسيظل مرتبطاً به لوقت أطول، سواء عثرنا عليه أو لم نعث. ربما يكون قد تغير بالفعل بما يفوق قدرات الشفاء الكامل حتى لو لم يعد معدياً للآخرين». ثم قالت متعجبة: «إن هذا الخنجر شيء صغير، ولكنه سيفسد أيًا من يحمله لوقت طويل. وهذا الذي يحمله سيُفسد هؤلاء الذين يتواصلون

معه وهم سيُفسدون الآخرين. وتلك الكراهية والريبة اللتين دمرت (شادار لوجوث) وجعلتا كل رجل وامرأة ينقلبون بعضهم على بعض ستعيثان فسادًا في العالم من جديد. أتساءل عن عدد الناس الذي يمكنه أن يندسهم في عام واحد فحسب. يمكن حساب هذا بشكل تقريبي معقول».

نظرت (مويرين) إلى الأخت (البنية) نظرة ساخرة. لغز آخر يواجهنا وتحدث كأنه أحجية في كتاب، بحق (النور)، (البنيات) حقًا لا يشعرون بالعالم على الإطلاق. «إذن يجب أن نجد الخنجر يا أختاه. لقد أرسل (أجيلمار) رجالًا ليتعقبوا هؤلاء الذين أخذوا (البوق) وقتلوا رجاله المخلصين، وكذلك من أخذوا الخنجر. إن عثروا على أحدهما فسيعثرون على الآخر».

أومأت (فيرين) برأسها، ولكنها عقدت حاجبيها في الوقت ذاته وهي تقول: «ولكن حتى لو عثروا عليه فمن يمكن أن يعيده بأمان؟ أيًا كان من يلმسه فإنه سيغامر بالدنس إن حمله لوقت طويل. ربما في صندوق مغلف ومبطن جيدًا، ولكنه مع ذلك سيظل خطيرًا بالنسبة لهؤلاء الذين يبقون بالقرب منه لوقت طويل. من دون دراسة الخنجر نفسه لا يمكن أن نكون متيقنين من مدى التحصين الذي يتطلبه. ولكنك رأيته يا (مويرين) وتعاملت معه بما يكفي لأن ينجو الشاب الذي يحمله وأوقفت عدواه للآخرين. لا شك أن لديك فكرة جيدة عن مدى قوته وتأثيره».

قالت (مويرين): «هناك شخص واحد يمكنه أن يستعيد الخنجر دون أن يؤذيه، الشخص الذي حصناه وعززناه ضد ذلك الدنس قدر الإمكان؛ (مات كاوثون)».

أومأت (الأميرلين) برأسها وقالت: «أجل، بالطبع، إن عاش طويلًا بما يكفي. (النور) وحده يعلم إلى أي مدى سيحمل قبل أن يعثر عليه رجال (أجيلمار)، هذا إن عثروا عليه، وإن مات الفتى أولًا... حسنًا إن ظل الخنجر طليقًا كل ذلك الوقت فسيكون هناك شيء آخر لنقلق حياله». فركت عينيها بتعب وقالت: «أعتقد أنه يجب علينا العثور على (بادان فاين) هذا أيضًا. لماذا صديق الظلام هذا مهم بما يكفي ليخاطروا بما فعلوه لإنقاذه؟ كان من الأسهل عليهم أن يسرقوا (البوق) فحسب. إن مجيئهم إلى الحصن هكذا هو أمر مخوف بالمخاطر قدر رحلة بحرية في الشتاء في (بحر العواصف). ولكنهم ضاعفوا من مخاطرتهم لتحرير صديق الظلام هذا. إن كان (الكوامن) يعتقدون أنه بهذا القدر من الأهمية...». صمتت للحظة وعرفت (مويرين) أنها تتساءل إن كان (الميردرال) وحدهم من يصدرون الأوامر. «... فيجب علينا أن نعتقد هذا أيضًا».

وافقتها (مويرين) وهي تأمل أن العجلة التي تشعر بها لن تظهر في صوتها: «يجب العثور عليه، ولكن من المرجح أنه سيُعثَر عليه مع (البوق)».

وضعت (الأميرلين) أصابعها على شفثيها لتكتم ثنائها وقالت: «أتفق معك يا ابنتي، والآن إذا سمحت لي يا (فيرين) فسأبادل بضع كلمات مع (مويرين) ثم سأنام قليلًا. أفترض أن (أجيلمار) سيصر على إقامة الوليمة الليلة بما أن الليلة الماضية قد أُفسدت. كانت مساعدتك لا تقدر بثمن يا ابنتي. أرجوكِ تذكري ألا

تقولي شيئاً لأي شخص عن طبيعة الأذى الذي تعرض له الفتى، هناك بعض من أخواتك اللائي قد يرين (الظل) فيه بدلاً من شيء قد صنعه البشر بأنفسهم».

لم يكن هناك حاجة لذكر (الآجاء الحمراء) على وجه التحديد، وفكرت (مويرين) أنه ربما (الحمراوات) لم يعدن وحدهن من يجب الحذر منهن.

«لن أقول شيئاً بالطبع أيتها الأم». انحنى (فيرين) ولكنها لم تتحرك ناحية الباب. «فكرت أنك ربما ترغبين في رؤية هذا أيتها الأم». أخرجت مفكرة صغيرة مغلفة بجلد بني ناعم من حزامها. «ما كان مكتوباً على الجدران في ذلك السرداب. كان هناك بعض المشكلات في الترجمة، ومعظمها هو المعتاد؛ التجديف والتفاخر، يبدو أن (الترولوجيين) لا يعرفون شيئاً آخر. ولكن كان هناك جزء مكتوب بيد أفضل؛ صديق ظلام متعلم أو ربما (ميردرال). قد يكون مجرد محاولة للاستفزاز، ولكنه على هيئة شعر أو أغنية، ويبدو كنبوءة. نحن نعرف القليل عن نبوءات (الظل) أيتها الأم».

ترددت (الأميرلين) للحظة قبل أن تومئ برأسها. إن نبوءات (الظل)، النبوءات المظلمة، لها طريقة مؤسفة في التحقق، تمامًا مثل نبوءات (النور). «اقرأها لي».

راحت (فيرين) تقلب الصفحات ثم تنحنت وبدأت الحديث بصوت هادئ معتدل.

«ابنة الليل) تمشي من جديد.

الحرب القديمة ستخوضها.

ستبحث عن حبيبها الجديد، الذي سيخدمها ويموت،

ومع ذلك سيخدمها.

من سيقف في وجه مجيئها؟

(الأسوار اللامعة) سترقع.

الدماء تغذي الدماء.

الدماء تنادي الدماء.

الدم الكائن، والدم الذي كان، والدم الذي سيكون.

الرجل القادر على التسخير يقف وحيداً.

إنه يقدم أصدقاءه كأضحية.

أمامه طريقان، أحدهما يؤدي إلى موت يفوق الموت، والآخر إلى حياة أبدية.

أيهما سيختار؟ أيهما سيختار؟

أي يد ستحمي؟ أي يد ستذبح؟

الدماء تغذي الدماء.

الدماء تنادي الدماء.

الدم الكائن، والدم الذي كان، والدم الذي سيكون.
لقد جاء (لوك) إلى (جبال دهوم).
(إيسام) ينتظر في الممرات العليا.
الصيد سيبدأ الآن. كلاب (الظل) الآن تتعقب وتقتل.
أحدهما قد عاش، والآخر قد مات، ولكن كليهما كذلك.
لقد حان وقت التغيير.

الدماء تغذي الدماء.
الدماء تنادي الدماء.

الدم الكائن، والدم الذي كان، والدم الذي سيكون.
(المراقبون) ينتظرون في (تومان هيد).
بذرة (المطرقة) تحرق الشجرة القديمة.

الموت سيزرع، والصيف سيحرق، قبل مجيء (السيد العظيم).
الموت سيحصد، والجثث ستساقط، قبل مجيء (السيد العظيم).
من جديد ستذبح البذرة الخطايا القديمة، قبل (مجيء السيد العظيم).
الآن يأتي (السيد العظيم).
الآن يأتي (السيد العظيم).
الدماء تغذي الدماء.

الدماء تنادي الدماء.
الدم الكائن، والدم الذي كان، والدم الذي سيكون.

الآن يأتي (السيد العظيم).«

خيم صمت طويل بعد انتهائها.

وأخيراً قالت (الأميرلين): «من غيرك قد رأى هذا يا ابنتي؟ من يعرف به؟».
«(سيرافيل) فقط أيتها الأم. وبمجرد أن نسخناه أمرت الرجال بتنظيف الجدران. لم يطرحوا أي أسئلة،
كانوا متلهفين للتخلص من الكتابة».

أومأت (الأميرلين) برأسها وقالت: «جيد. الكثير من الناس في (البلاد الحدودية) يمكنهم فك رموز
الكتابة (الترولوكية)، لا داعي لمنحهم شيئاً آخر ليقلقوا بشأنه، لديهم ما يكفي».

قالت (مويرين) وهي تسأل (فيرين) بصوت حذر: «ما تفسيرك لهذا؟ هل تعتقد أن نبوءة؟».
أمالت (فيرين) رأسها جانباً وهي تتأمل ملحوظاتها في تفكير ثم قالت: «هذا محتمل، إن لها هيئة بعض
النبوءات المظلمة القليلة التي نعرفها، وأجزاء منها واضحة بما يكفي. ومع ذلك ربما تكون مجرد محاولة

لاستفزازنا». وضعت إصبعها على أحد السطور وقالت: «(ابنة الليل) تمشي من جديد، هذا يعني أن (لانفير) قد صارت طليقة مرة أخرى، أو أن شخصًا ما يريد منا أن نعتقد هذا».

قالت (عرش أميرلين): «هذا سيكون شيئًا نقلق حياله يا ابنتي، إن كان صحيحًا. ولكن (الملعونين) لا يزالون مقيدين». نظرت إلى (مويرين) وقد بدت مضطربة للحظة قبل أن تتمالك مشاعرهما وتقول: «حتى إن ضعفت الأختام فلا يزال (الملعونون) مقيدين».

(لانفير) يعني في اللغة القديمة (ابنة الليل)، إن اسمها الحقيقي غير مذكور في أي سجلات، ولكنه كان الاسم الذي اتخذته لنفسها على عكس معظم (الملعونين) الذين أسماهم هؤلاء الذين خانوهم. يقول بعضهم إنها حقًا أقوى (الملعونين) بعد (إشاميل)، (خائن الأمل)، ولكنها قد أبقت قواها مخفية. لم يتبق من ذلك الزمن سوى القليل فلا يمكن لأي باحث أن يجزم بشيء.

«مع ظهور كل هؤلاء (التنانين الكاذبين) ليس من المفاجئ أن يحاول شخص ما إقحام (لانفير) في الأمر». كان صوت (مويرين) هادئًا كوجهها، ولكنها كانت تغلي من الداخل. هناك شيء واحد أكيد معروف عن (لانفير) إلى جانب اسمها، أنها قبل أن تذهب إلى (الظل) وقبل أن يلتقي (ليوز ثيرين تيلامون) (بالبينا) كانت (لانفير) حبيته. تعقيد لا نحتاج إليه.

عقدت (عرش أميرلين) حاجبيها كأنها تراودها الفكرة ذاتها، ولكن (فيرين) أومأت برأسها كأن كل هذا مجرد كلمات. «هناك أسماء أخرى واضحة أيضًا أيتها الأم. اللورد (لوك) بالطبع، كان شقيق (تيجرين) ثم اختفى هو وولية عرش (أندور) في (البلاء العظيم)، ولكني لا أعرف من هو (إيسام)، وما علاقته (بلوك)». قالت (مويرين) بسلاسة: «سنعرف ما نحتاج إلى معرفته مع الوقت، لا يوجد أي دليل بعد على أن هذه نبوءة». إنها تعرف الاسم، كان (إيسام) ابن (بريان) زوجة (لين ماندراجوران)، التي حاولت الاستيلاء على عرش (مالكير) من أجل زوجها مما جلب حشود (الترولوكيين)، لتجتاح المملكة. لقد اختفت (بريان) وابنها الرضيع عندما اجتاحت (الترولوكيون) (مالكير)، وكان هناك قرابة دم بين (إيسام) و(لان). أم أنه لا يزال على قيد الحياة؟ يجب أن أخفي هذه المعلومة عنه حتى أعرف كيف سيكون رد فعله. حتى نبتعد عن (البلاء العظيم). إن اعتقد أن (إيسام) لا يزال على قيد الحياة...

أكملت (فيرين) قائلة: «(المراقبون) ينتظرون في (تومان هيد). القليل لا يزالون يتمسكون بالاعتقاد القديم بأن الجيوش التي أرسلها (أرتور هاوكوينج) عبر (محيط آريث) ستعود يومًا ما، رغم أنه بعد كل هذا الوقت...». ثم تنهدت في استياء قبل أن تقول: «(الدو ميير أقرون)، (مراقبو الأمواج)، لا يزال لديهم... مجتمع هو أفضل تعبير كما أفترض... في (تومان هيد)، في (فالبي). وأحد أقدم أسماء (أرتور هاوكوينج) كان (مطرقة النور)».

قالت (عرش أميرلين): «هل تفترضين يا ابنتي أن جيوش (أرتور هاوكوينج) - أو بالأحرى أحفادهم - قد يعودون بعد ألف عام؟».

قالت (مويرين) ببطء: «هناك شائعات عن حرب في (سهل الموث) و(تومان هيد)، وقد أرسل (هاوكوينج) اثنين من أبنائه إلى جانب جيوشه. إن كانا قد نجيا في أي أرض قد عثرا عليها فربما يكون هناك الكثير من أحفاد (هاوكوينج)، أو لا يوجد له أحفاد على الإطلاق».

نظرت (الأميرلين) إلى (مويرين) نظرة حذرة، وبدأ من الواضح أنها ترغب في أن تكونا بمفردهما لكي تسأل (مويرين) عما تفكر فيه. أو مأت (مويرين) إيماءة سلسلة فتجهمت صديقتها القديمة وهي تنظر لها.

كانت (فيرين) لا تزال منكبة على ملحوظاتها، فلم تلاحظ أيًا من هذا. «لا أعرف أيتها الأم، ولكنني أشك في هذا. نحن لا نعرف أي شيء على الإطلاق عن تلك الأراضي التي سعى (أرتور هاوكوينج) لغزوها. من المؤسف أن (قوم البحر) رفضوا عبور (محيط آريث)، إنهم يقولون إن جزر الموتى تقع على الجانب الآخر. أتمنى لو أعرف ما الذي يقصدونه بهذا، ولكن نَكْتُم (قوم البحر)...». تنهدت دون أن ترفع رأسها وقالت: «كل ما لدينا هو إشارة واحدة إلى: الأراضي تحت (الظل)، وراء الشمس الغاربة، وراء (محيط آريث)، حيث تحكم (جيوش الليل). لا يوجد شيء ليخبرنا هل الجيوش التي أرسلها (هاوكوينج) كانت كافية لهزيمة (جيوش الليل) هذه، أو حتى أنها قد تبقت بعد موت (هاوكوينج). بمجرد أن بدأت (حرب المئة عام) انصب اهتمام الجميع على اقتطاع جزء لهم من إمبراطورية (هاوكوينج)، فلم يفكر أحد في جيوشه التي عبرت البحر. يبدو لي أيتها الأم أنه إن كان أحفاده لا يزالون على قيد الحياة، وإن كانوا عازمين على العودة، فما كانوا لينتظروا كل هذا الوقت».

«إذن فأنت لا تعتقدين أنها نبوءة يا ابنتي؟».

قالت (فيرين) وهي غارقة في أفكارها الخاصة: «أما عن الشجرة القديمة فقد كان هناك دومًا شائعات - وليس أكثر من مجرد شائعات - أنه ما دامت أمة (الموث) على قيد الحياة فإن لديهم فرعًا من (أفنديسورا)، بل وربما حتى شتلة حية. وقد كانت راية (الموث) زرقاء بالأعلى لتمثل السماء، وسوداء بالأسفل لتمثل الأرض، و(شجرة الحياة) منبسطة لتربط بينهما. بالطبع يُطلق التارابونيون على أنفسهم لقب شجرة البشر، ويزعمون أنهم أحفاد الحكام والنبلاء الذين كانوا في (عصر الأساطير). ويزعم الدومانبيون أنهم أحفاد هؤلاء الذين صنعوا (شجرة الحياة) في (عصر الأساطير). هناك احتمالات أخرى، ولكنك ستلاحظين أيتها الأم أن ثلاثًا منها تتمحور حول (سهل الموث) و(تومان هيد)».

صار صوت (الأميرلين) لطيفًا بشكل مخادع وهي تقول: «هلا حسمتِ قرارك يا ابنتي؟ إن كانت بذرة (أرتور هاوكوينج) لن تعود إذن فهذه ليست نبوءة، ولا يهم مقدار ذرة ما تعنيه الشجرة القديمة».

قالت (فيرين) وهي ترفع عينيها عن ملحوظاتها: «لا، ليس بوسعي إلا أن أخبرك بما أعرفه أيتها الأم، وأترك القرار لك. أعتقد أن آخر جيوش (أرتور هاوكوينج) قد هلكت قبل وقت طويل، ولكن تصديقي للأمر لا يعني أن الحقيقة كذلك. إن (وقت التغيير) هو بالطبع إشارة إلى نهاية عصر ما، و(السيد العظيم)...».

ضربت (الأميرلين) سطح الطاولة بدوي كالرعد، ثم قالت: «أنا أعرف جيدًا من هو (السيد العظيم) يا ابنتي، أعتقد أنه من الأفضل أن تذهبي الآن». أخذت نفسًا عميقًا وتماكت نفسها بشكل واضح ثم قالت: «اذهبي يا (فيرين)، لا أريد أن أغضب منك، لا أريد أن أنسى من الذي جعل الطهارة يتركون الكعكات الحلوة بالخارج في الليل عندما كنت مبتدئة».

قالت (مويرين): «لا يوجد شيء يشي بأن هذه نبوءة أيتها الأم، يمكن لأي شخص يمتلك القليل من الذكاء والمعرفة أن يؤولف شيئًا كهذا، ولم يقل أحد إن (الميردرال) لا يمتلكون ذكاءً مكرًا».

قالت (فيرين) بهدوء: «وبالطبع الرجل الذي يمكنه أن يسخر هو أحد الشباب الثلاثة الذين يسافرون معك يا (مويرين)».

حدقت (مويرين) في صدمة. لا يشعرون بالعالم؟ أنا حقًا. قبل أن تدرك ما الذي تفعله كانت قد مدت يدها إلى التوهج النابض الذي تشعر به دومًا ينتظر؛ (المصدر الحقيقي). تدفقت (القوة الواحدة) في عروقها، وشحنتها بالطاقة، وأخفت لمعان (القوة الواحدة) من (عرش أميرلين) وهي تفعل الشيء ذاته. لم تفكر (مويرين) من قبل في استخدام (القوة الواحدة) ضد (آيز سيداي) أخرى. نحن نعيش في عالم محفوف بالمخاطر، والعالم معلق في الميزان، وما يجب فعله يجب فعله. أوه يا (فيرين)، لم كان عليك أن تدسي أنفك حيث لا ينتمي؟

أغلقت (فيرين) كتابها وأعادته إلى حزامها. نظرت إلى إحدى المرأتين ثم إلى الأخرى. استطاعت أن تدرك هالة الضوء المحيطة بكل واحدة منهما، الضوء النابع عن لمس (المصدر الحقيقي)، لا يمكن أن يرى هذا التوهج سوى شخص تدرب على التسخير، ومن المستحيل ألا تراه (آيز سيداي) في امرأة أخرى.

ظهرت لمحة من الرضا على وجه (فيرين)، ولم يظهر أي شيء يدل على أنها قد ألقت بصاعقة، بدت فقط وكأنها قد عثرت على قطعة أخرى تتسق مع أحجية. «أجل لقد خمنت هذا، لا يمكن (لمويرين) أن تفعل هذا وحدها، ومن يمكن أن يساعدها أفضل من صديقة طفولتها التي اعتادت أن تتسلل معها لاختلاس الكعكات الحلوة». رمشت بعينها وقالت: «اغفري لي أيتها الأم، ما كان يجب أن أقول هذا».

هزت (الأميرلين) رأسها في تعجب وقالت: «(فيرين)، أنت تتهمين أختك - وتتهمينني؟ - ب... لن أقولها، وأنت قلقة من أنك تحدثت بتبسط أكثر من اللازم مع (عرش أميرلين)؟ أنت تحدثين ثقبًا في القارب ثم تقلقين بشأن المطر. فكري فيما تلمحين إليه يا ابنتي».

قالت (مويرين) في قرارة نفسها: فات الأوان على هذا يا (سيوان). لولم أصب بالدعر والمس (المصدر الحقيقي) ربما حينها... ولكنها واثقة الآن. قالت بصوت عالٍ: «لم تخبرينا بهذا يا (فيرين)؟ إن كنت تصديقين ما تقولينه فكان من الأفضل أن تخبري به الأخوات الأخريات، (الحمراوات) على وجه التحديد».

اتسعت عينا (فيرين) في دهشة وقالت: «أجل، أجل، أفترض أنه كان عليّ هذا، ولكنني لم أفكر فيه. ولكن إن فعلت هذا فإنك ستسكنين يا (مويرين)، وأنت أيضًا أيتها الأم، والرجل سيُرَقَّق. لم يسجل أحد من قبل

تطور حالة الرجل الذي يستخدم (القوة الواحدة)، متى يأتي الجنون بالضبط؟ وكيف يستحوذ عليه؟ ما مدى سرعة تفاقم هذا الجنون؟ كيف يظل على قيد الحياة بينما جسده يتعفن؟ وإلى متى؟ وما سيحدث لهذا الشاب - أيًا من كان - إن لم يُرَقَّق فسيحدث، سواء كنت موجودة لتدوين الإجابات أم لا. إن كنا نراقبه ونوجهه فيجب أن نكون قادرين على الاحتفاظ ببعض السجلات بقدر معقول من الأمان لفترة من الوقت على الأقل. وأيضًا هناك حكايات كارايتون». حدقت بهدوء إلى وجهيهما المتفاجئين وقالت: «أفترض أيتها الأم أنه (التنين العائد)؟ لا أصدق أنك ستفعلين هذا - تتركين رجلًا قادرًا على التسخير طليقًا - ما لم يكن (التنين)».

قالت (مويرين) لنفسها في تعجب: إنها لا تفكر إلا في المعرفة. نحن في ذروة أسوأ نبوءة عرفها العالم، وربما نهاية العالم نفسه، وهي لا تبالي إلا بالمعرفة. ولكنها مع ذلك تظل خطيرة.

قالت (الأميرلين) بصوت خافت ولكنه حاد: «من غيرك يعرف هذا؟ أفترض أن (سيرافيل) تعرف، من غيرها يا (فيرين)؟».

«لا أحد أيتها الأم، (سيرافيل) ليست مهتمة حقًا بأي شيء لم يكتبه شخص بالفعل في كتاب، ويفضل أن يكون هذا قبل وقت طويل قدر الإمكان. إنها تعتقد أن هناك ما يكفي من الكتب والمخطوطات القديمة، والقصاصات المتناثرة، الضائعة أو المنسية، بما يعادل عشرة أضعاف ما جمعناه في (تار قالون). إنها متيقنة من أن هناك ما يكفي من المعرفة القديمة للعثور عليها من أجل...».

قالت (مويرين): «يكفي يا أختاه». تخلت عن لمس (المصدر الحقيقي)، وبعد لحظة شعرت (بالأميرلين) تفعل الشيء ذاته. هناك دومًا إحساس بالخسارة عند الشعور (بالقوة الواحدة) تُستنزف بعيدًا، كأنها الدم والحياة يتدفقان من جرح مفتوح. جزء منها أراد أن يتشبث بها، ولكنها على عكس أخواتها قد وصلت إلى مرحلة من الانضباط الذاتي لكيلا تُغرم بهذا الشعور كثيرًا. «اجلسي يا (فيرين)، وأخبرينا بما تعرفينه وكيف عرفته، ولا تغفلي شيئًا».

بينما (فيرين) تتخير كرسيًا، وهي تنظر إلى (الأميرلين) لتأذن لها بالجلوس في حضرتها، راقبتها (مويرين) في حزن.

بدأت (فيرين) حديثها قائلة: «من غير المرجح أن أي شخص لم يدرس السجلات القديمة بدقة سيلاحظ أي شيء عدا أنك كنت تتصرفين بغرابة. اغفري لي أيتها الأم. كان ذلك قبل عشرين عامًا، مع حصار (تار قالون)، عندما حصلت على أول دليل، وكان ذلك فقط...».

فليكن (النور) في عوني يا (فيرين)، كم أحببتك من أجل تلك الكعكات الحلوة، ومن أجل صدرك الذي كنت أبكي عليه. ولكنني سأفعل ما يجب فعله. يجب عليّ هذا.

أطل (بيرين) برأسه من عند الزاوية وهو ينظر إلى ظهر (الآيز سيداي) وهي تبتعد. كانت تفوح منها رائحة صابون اللافتدر رغم أن معظم الناس لن يشم هذه الرائحة حتى عن قرب. ما إن اختفت عن ناظره حتى أسرع إلى باب المشفى. لقد حاول أن يرى (مات) مرة بالفعل، ولكن هذه (الآيز سيداي) - سمع بعضهم يدعونها (لياني) - كادت أن تفصل رأسه عن جسده دون أن تنظر حتى من يكون. كان يشعر بعدم الارتياح لوجوده بالقرب من (الآيز سيداي) خاصة إن كن ينظرن إلى عينيه.

توقف عند الباب ليصغي السمع، لم يسمع أي خطوات أقدام عبر الممر من كلا الاتجاهين، ولم يسمع أي شيء على الجانب الآخر من الباب. دلف إلى الداخل وأغلق الباب وراءه برفق.

كان المشفى عبارة عن غرفة طويلة بجدران بيضاء، وكانت مداخل شرفات رماة الأسهم على الجانبين تسمح بدخول الكثير من الضوء. كان (مات) في أحد الأسرة الضيقة المحاذية للجدران. بعد الليلة السابقة توقع (بيرين) أن تكون معظم الأسرة مشغولة بالرجال، ولكنه في هذه اللحظة أدرك أن الحصن مليء (بالآيز سيداي)، الشيء الوحيد الذي لا تتمكن (الآيز سيداي) من شفائه هو الموت. بالنسبة له كانت رائحة المرض تفوح من الغرفة على أي حال.

تجههم (بيرين) مع هذه الفكرة. كان (مات) مستلقياً ساكناً وعيناه مغلفتان ويداه لا تتحركان على بطانيته. لقد بدا منهكاً. ليس مريضاً بالضبط ولكنه بدا كأنما عمل لثلاثة أيام في الحقول ولم يرقد ليسترخ إلا الآن. ولكن رائحته قد بدت... خاطئة. لم يكن شيئاً يمكن (لبيرين) أن يحدده، لقد بدت خاطئة فحسب.

جلس (بيرين) بحذر على السرير المجاور لسرير (مات)، لطالما فعل كل شيء بحذر، إنه أضخم من معظم الناس، وكان أضخم من معظم الفتيان الآخرين قدر ما يتذكر. كان عليه دوماً أن يكون حذراً لكيلا يؤذي شخصاً ما عن طريق الخطأ أو أن يكسر شيئاً. الآن صار الأمر غريزياً بالنسبة له. كان يجب أن يطيل التفكير في الأمور أيضاً، وأحياناً ما يجب أن يتحدث فيها مع شخص ما. لا يمكنني أن أتحدث مع (راند) بينما يعتقد أنه لورد، وبالتأكيد ليس لدى (مات) الكثير ليقوله.

كان قد ذهب إلى إحدى الحداثق في الليلة السابقة للتفكير في الأمور ملياً، لا تزال هذه الذكرى تجعله يشعر بالقليل من الخجل، لو لم يذهب لكان هناك في غرفته ليصحب (إيجوين) و(مات)، وربما استطاع أن يحميها من الأذى. يعرف أنه على الأرجح كان سينتهي به المطاف في واحد من هذه الأسرة مثل (مات)، أو ميتاً، ولكن هذا لم يخفف من الشعور الذي ينتابه. ومع ذلك فقد ذهب إلى الحديقة، وهذا ليس له علاقة بهجوم (الترولوكتين) الذي يقلقه الآن.

لقد عثرت عليه الخادومات جالساً هناك في الظلام، ومعهن السيدة (تيمورا) إحدى وصيفات السيدة (أماليسا). بمجرد أن وصلن إليه أرسلت (تيمورا) إحدى الخادومات مسرعة وهي تقول لها: «اعثري على (لياندرين سيداي)! بسرعة!».

لقد وقفن هناك يراقبنه كأنها قد يختفي في نفخة من الدخان كصانع بهجة. حينها دق جرس الإنذار الأول وبدأ الجميع في الركض.

تمتم في هذه اللحظة قائلاً: «(لياندرين)، (الآجاء الحمرارات)، كل ما يفعلنه هو تعقب الرجال الذين يمكنهم التسخير، أنت لا تعتقد أنها تظنني واحداً منهم، أليس كذلك؟». لم يجبه (مات) بالطبع. فرك (بيرين) أنفه وقال في أسي: «الآن أتحدث إلى نفسي، لم يكن ينقصني هذا بالإضافة إلى كل شيء آخر». رمش (مات) بعينه وقال: «من...؟ (بيرين)؟ ما الذي حدث؟». لم يفتح عينيه تماماً، وبدأ صوته كأنها لا يزال نائماً.

«ألا تتذكريا (مات)؟».

«أتذكر؟». رفع (مات) يده بنعاس ناحية وجهه ثم تركها تسقط إلى جواره وهو يتنهد. بدأت عيناه تتغلغان ببطء. «أتذكر (إيجوين). طلبت مني... أن أهبط... لرؤية (فاين)». ضحك ضحكة تحولت إلى تثاؤب ثم قال: «إنها لم تسأل. قالت لي... لا أعرف ما حدث بعد...». لم يكمل جملة وعاد إلى تنفس النوم العميق الرتيب.

قفز (بيرين) واقفاً على قدميه، وقد وصل إلى مسمعيه صوت خطوات أقدام مقتربة، ولكن لم يكن هناك مكان يمكن أن يذهب إليه. كان لا يزال واقفاً هناك إلى جانب سرير (مات) عندما انفتح الباب ودخلت (لياني). توقفت وهي تضع قبضتيها على خاصرتيها، وتأمل بهبط من رأسه إلى أخمص قدميه. كانت بنفس طوله تقريباً.

قالت بنبرة هادئة ولكنها مفعمة بالحياة: «أنت شاب وسيم بما يكفي لأن يجعلني بالكاد أتمنى لو كنت (خضراء)، ولكن إن كنت تزعج مريضتي... حسناً لقد تعاملت مع أخوة بنفس ضخامتك تقريباً قبل أن أذهب إلى (البرج). لذا لا تعتقد أن هاتين الكتفين ستساعدانك على الإطلاق».

تنحج (بيرين)، معظم الوقت لا يفهم ما تعنيه النساء بما يقلنه. ليس مثل (راند)، إنه يعرف دوماً ما يجب أن يقوله للفتيات. أدرك أنه متجهم فترك ملامحه تسترخي. إنه لا يرغب في التفكير بشأن (راند)، ولكنه بالتأكيد لا يرغب في إغضاب (آيز سيدي)، وخصوصاً واحدة تنقر بقدمها في نفاذ صبر. «آه... أنا لم أزعجه، إنه لا يزال نائماً، هل ترين؟».

«إنه نائم بالفعل، هذا من حسن حظك، والآن ما الذي تفعله هنا؟ أتذكر أنني طردتك من هنا مرة، لا تظن أنني نسيت».

«أردت فقط أن أطمئن عليه».

ترددت ثم قالت: «إنه نائم الآن، وفي غضون بضع ساعات سيخرج من الفراش وستعتقد أنه لم يصب بأذى على الإطلاق».

هذه اللحظة من التردد جعلته يشعر بالقلق، إنها تكذب بطريقة ما. (الآيز سيدي) لا يكذب أبداً، ولكنهن أيضاً لا يقلن الحقيقة دوماً. لم يكن واثقاً مما يحدث، (لياندرين) تبحث عنه و(لياني) تكذب عليه، ولكنه فكر أن الوقت قد حان للابتعاد عن (الآيز سيدي)، لا يوجد شيء ليفعله من أجل (مات).

قال: «شكراً لك، من الأفضل أن أتركه نائماً إذن. أستميحك عذراً».

حاول أن يتحرك من جانبها ناحية الباب، ولكن فجأة اندفعت يداها لتمسكا بوجهه وأمالته لأسفل لكي تحديق إلى عينيه. شعر أن هناك شيئاً ما يحتاجه؛ موجة دافئة بدأت أعلى رأسه، ونزلت إلى قدميه، ثم عادت إلى رأسه مرة أخرى. جذب رأسه من يديها.

قالت وهي تزم شفتيها: «أنت بصحة جيدة كحيوان بري يافع، ولكني لا أعتقد أنك وُلدت بهاتين العينين».

قال مزججراً: «لم أحظَ بعينين سواهما». شعر بقليل من الخجل عندما تحدث إلى (آيز سيدي) بهذه اللهجة، ولكنه كان بنفس دهشتها عندما أمسك بذراعيها برفق ورفعها جانباً ليعدهما عن طريقه. بينما يحديق أحدهما إلى الآخر تساءل إن كانت عيناه متسعيتين في صدمة مثلها. قال مرة أخرى: «أستميحك عذراً». ثم بدأ في الركض.

عيناى، عيناى اللعينتان! انعكس ضوء الصباح على عينيه فلمعتا كالذهب المصقول.

تململ (راند) في فراشه محاولاً أن يجد وضعاً مريحاً على المرتبة النخيفة. كان ضوء الشمس يتدفق عبر فتحات الأسهم، ليضيء الجدران الصخرية العارية. لم يستطع أن ينام لبقية الليل، رغم تعبته، وكان متيقناً من أنه لن يتمكن من النوم الآن. كانت السترة الجلدية ملقاة على الأرضية ما بين فراشه والجدار، ولكنه عدا ذلك كان يرتدي ثيابه كاملة، حتى حذاءه الجديد. كان سيفه مستنداً إلى جوار سريره، وقوسه وجعبته موضوعان في زاوية فوق العباءتين المحزومتين.

لم يستطع أن يخلص نفسه من الإحساس بأنه كان عليه بأن يغتنم الفرصة التي أعطتها له (مويرين) وأن يغادر على الفور. كانت الرغبة الملحة تتنابه طيلة الليل. لقد نهض ثلاث مرات لكي يرحل، وفي مرتين منهم فتح الباب. كانت الردهات خاوية إلا من بعض الخدم الذين يؤدون واجباتهم في وقت متأخر، كان الطريق مفتوحاً، ولكن عليه أن يعرف.

دخل (بيرين) مطرقاً برأسه وهو يتشاءب، فاعتدل (راند) وقال: «كيف حال (إيجوين)؟ و(مات)؟».

«إنها نائمة، هذا ما قالوه لي. لم يسمحوا لي بالدخول إلى مساكن النساء. أما (مات)...». فجأة تجهم (بيرين) وهو ينظر إلى الأرضية وقال: «إن كنت مهتماً للغاية فلم لم تذهب لرؤيته بنفسك؟ ظننت أنك لم تعد مهتماً بنا. هذا ما قلته». فتح باب خزانة الملابس وبدأ يبحث عن قميص نظيف.

«لقد ذهبت إلى المشفى يا (بيرين)، كانت هناك (آيز سيدي)، تلك الطويلة التي دوّمًا ما تصحب (عرش أميرلين). قالت إن (مات) نائم، وإنني أعترض طريقها، وإنه عليّ أن أعود في وقت لاحق. كانت تتحدث مثل السيد (ثاين) وهو يأمر رجاله في الطاحونة. أنت تعرف كيف يتحدث السيد (ثاين)؛ بحدة شديدة، ويريد فعل كل شيء من المرة الأولى وبشكل صحيح وعلى الفور».

لم يجبه (بيرين)، بل خلع معطفه وجذب قميصه من فوق رأسه.

تأمل (راند) ظهر صديقه للحظة ثم ضحك وقال: «تريد أن تسمع شيئًا؟ أتعرف ما الذي قالته لي؟ أعني تلك (الآيز سيدي) في المشفى، يجب أن ترى مدى طولها، إنها طويلة كمعظم الرجال، بل أطول بمقدار يد. وبدت كأنها يمكنها أن تحديق إلى عينيّ مباشرة. حسنًا، لقد حدثت إليّ من رأسي حتى أخمص قدميّ ثم تمتمت: «أنت طويل، أليس كذلك؟ أين كنت عندما كنت في السادسة عشرة من عمري؟ أو حتى في الثلاثين؟»، ثم ضحكت كأنها كل هذا مجرد مزحة. ما رأيك في هذا؟».

انتهى (بيرين) من ارتداء قميص نظيف ثم نظر إليه نظرة جانبية. شعر (راند) أنه بكتفيه العريضتين وشعره الكثيف المتعرج أشبه بدب جريح، دب لا يفهم لماذا قد جرح. «(بيرين)، أنا...».

قال (بيرين) بحدة: «إذا كنت تريد أن تمزح مع (الآيز سيدي) فهذا شأنك يا سيدي اللورد». بدأ يدس طرف قميصه في سرواله. «لا أريد أن أقضي وقتي بكوني - ظريفًا، أهذه هي الكلمة؟ - ظريفًا مع (الآيز سيدي)، فأنا مجرد حداد أخرق، وقد أعترض طريق شخص ما يا سيدي اللورد». انتزع معطفه من على الأرضية وتوجه ناحية الباب.

«بحق (النور) يا (بيرين)، أنا آسف، لقد كنت خائفًا وظننت أنني في مشكلة - ربما كنت وربما لا أزال، لا أعرف - ولم أرغب في أن تتورط معي أنت أو (مات). بحق (النور)، كل النساء كن يبحثن عني طوال الليلة الماضية. أعتقد أن هذا جزء من المشكلة التي أنا فيها. و(لياندرين)... إنها...». ثم لوح بيديه وقال: «صدقني يا (بيرين) أنت لا ترغب في أن تكون جزءًا من هذا».

توقف (بيرين) في موضعه ولكنه ظل واقفًا مواجهًا الباب، وقد أدار رأسه فقط بما يكفي لأن يرى (راند) عينًا ذهبية واحدة. «يبحثن عنك؟ ربما كن يبحثن عنا جميعًا».

«لا، كن يبحثن عني. أتمنى لو أن الأمر لم يكن هكذا، ولكنني أعرف الحقيقة».

هز (بيرين) رأسه وقال: «أعرف أن (لياندرين) كانت تريدني على أي حال، لقد سمعت هذا».

عقد (راند) حاجبيه وقال: «لم قد...؟ هذا لا يغير من أي شيء. اسمع، لقد فتحت فمي وقلت ما لا يجب قوله، لم أقصد هذا يا (بيرين). والآن، أرجوك، هل يمكنك أن تخبرني عن (مات)؟».

«إنه نائم. قالت (لياني) - هذا هو اسم تلك (الآيز سيدي) - إنه سيقف على قدميه في غضون ساعات قليلة». هز كتفيه في عدم ارتياح وقال: «أعتقد أنها تكذب. أعرف أن (الآيز سيدي) لا يكذب مطلقًا، ليس

بطريقة يمكن كشفها. ولكنها تكذب، أو تخفي شيئاً ما». صمت لحظة وهو ينظر إلى (راند) نظرة جانبية. «أنت لم تقصد كل ما قلته؟ هل سنغادر هذا المكان معاً؟ أنا وأنت و(مات)؟».

«لا يمكنني يا (بيرين). لا يمكنني أن أخبرك لماذا، ولكن يجب أن أذهب وحده... (بيرين)، انتظر!». انغلق الباب بقوة وراء صديقه.

هوى (راند) بجسده على الفراش وتمتم: «لا يمكنني أن أخبرك». ضرب بقبضته على جانب الفراش. «لا يمكنني». قال صوت في أعماق عقله: ولكن يمكنك الذهاب الآن. ستكون (إيجوين) بخير، وستعافى (مات) في غضون ساعة أو اثنتين. يمكنك الذهاب الآن، قبل أن تغير (مويرين) رأيها.

كان على وشك أن يعتدل جالساً عندما جعله صوت طرقات على الباب يقفز واقفاً على قدميه. إن كان (بيرين) قد عاد فإنه لن يطرق الباب. تعالى صوت الطرقات مرة أخرى. «من هناك؟».

خطا (لان) إلى الداخل ثم أغلق الباب من ورائه بكعب حذائه. كالعادة كان يحمل سيفه على معطف أخضر بسيط، يكون غير مرئي تقريباً في الغابات. ولكنه هذه المرة يعقد حبلاً ذهبياً عريضاً على عضده الأيسر وتندل أهدابه حتى تصل إلى مرفقيه تقريباً. ومُثبَّت على العقدة كركي ذهبي في وضع التحليق؛ رمز مملكة (مالكير).

«(عرش أميرلين) ترغب في رؤيتك أيها الراعي. لا يمكنك الذهاب هكذا، بدل هذا القميص ومشط شعرك، أنت تبدو ككومة من القش». فتح باب خزانة الملابس وبدأ يقلب في الثياب التي كان (راند) ينوي تركها وراءه.

ظل (راند) متجمداً حيث يقف وهو يشعر كأنها قد تلقي ضربة بمطرقة على رأسه. كان يتوقع هذا بالطبع بطريقة ما، ولكنه كان متيقناً من أنه سيرحل قبل استدعائه. إنها تعرف، أنا واثق من هذا بحق (النور). «ما الذي تقصده بأنها ترغب في رؤيتي؟ أنا راحل يا (لان)، لقد كنت محققاً، سأذهب إلى الإسطنبول الآن وأمتطي حصاني وأرحل».

قال (الحامي) وهو يلقي بقميص أبيض حريري على السرير: «كان عليك أن تفعل هذا في الليلة الماضية. لا أحد يرفض مقابلة (عرش أميرلين) أيها الراعي، ولا حتى السيد القائد الأعلى لأصحاب العباءات البيضاء أنفسهم. قد يقضي (بيدرون نيال) الرحلة وهو يخطط لقتلها، إن كان بمقدوره أن يفعل هذا ويهرب بفعلته، ولكنه سيأتي». استدار وهو يحمل معطفاً بياقة عالية في يده، ثم قال وهو يرفعه عالياً: «هذا سيفي بالغرض». كان هناك نباتات شوكية متشابكة تتسلق كل كم أحمر في تطريزات ذهبية سمكية وتلتف حول كل سوار، كان هناك طيور بلشون ذهبية على الياقة ذات الحواف الذهبية. «واللون مناسب أيضاً». بدا أنه يشعر بالتعجب من شيء ما، أو الرضا. «هيا أيها الراعي، بدل قميصك، تحرك».

على مضض انتزع (راند) قميص العمال المصنوع من الصوف الخشن ثم تتم قائلًا: «سأشعر أنني أحمق. قميص حريري! أنا لم أرتد قميصًا حريريًا في حياتي، ولم أرتد معطفًا فاخرًا كهذا أيضًا، حتى في أيام العيد». بحق (النور)، إن رأني (بيرين) في هذا... بعد كل هذا الحديث الأحمق عن كونني لوردًا فإن رأني في هذا فإنه لن يصني إلي صوت العقل أبدًا.

«لا يمكنك مقابلة (عرش أميرلين) وأنت ترتدي ثياب سائس قد خرج من الأسطبل للتو أيها الراعي. دعني أرى حذاءك، سيفي بالغرض. هيا اذهب على الفور. لا يمكنك أن تبقي (عرش أميرلين) منتظرة. فلتقلد سيفك».

«سيفي!». كتم القميص الحريري فوق رأس (راند) هذه الصيحة. جذبه ليكمل ارتدائه ثم قال: «في مساكن النساء؟ إن ذهبت لمقابلة (عرش أميرلين) - (عرش أميرلين)! - وأنا أحمل سيفًا يا (لان) فإنها سوف...».

قاطعته (لان) بفتور قائلاً: «لن تفعل شيئًا. إن كانت (الأميرلين) خائفة منك - ومن الذكاء ألا تعتقد أنها كذلك، لأنني لا أعرف شيئًا يمكنه أن يخيف تلك المرأة - فلن يكون بسبب السيف. والآن تذكر، يجب أن ترقع على ركبتك عندما تمثل أمامها. ركبة واحدة فقط». ثم أضاف بحدة: «أنت لست تاجرًا قد قبض عليه وهو يغش في الوزن. ربما من الأفضل أن تتدرب على هذا».

«أعتقد أنني أعرف كيف أفعل هذا، لقد رأيت كيف يركع حرس الملكة أمام الملكة (مورجيز)». ظهر شبح ابتسامة على شفتي (الحامي) ثم قال: «أجل، فلتفعل تمامًا كما فعلوا. هذا سيمنحهن شيئًا ليفكرن بشأنه».

عقد (راند) حاجبيه وقال: «لم تخبرني بهذا يا (لان)؟ أنت (حام)، ومع هذا تتصرف وكأنك في صفي». «أنا في صفك أيها الراعي، بما يكفي لمساعدتك قليلًا». كان وجه (الحامي) جامدًا وبدأت الكلمات المتعاطفة غريبة في ذلك الصوت الجاف. «كل التدريب الذي تلقيته أنا من منحه لك، ولن أتركك تتدلل أو ترتعد. (عجلة الزمن) تنسجنا جميعًا في (النمط) بمشيئتها. إن حريتك في هذا الصدد أقل من معظم الناس، ولكن بحق (النور) لا يزال بمقدورك أن تواجه الأمر واقفًا على قدميك. عليك أن تتذكر من تكون (عرش أميرلين) أيها الراعي، وعليك أن تظهر لها الاحترام اللائق. ولكن فلتفعل ما أقوله لك، وانظر إليها في عينيها. حسنًا لا تقف هكذا فاغرفًا فمك. فلتدس قميصك في سروالك».

أغلق (راند) فمه وهو يدس قميصه في سرواله. أتذكر من تكون؟ بحق (النور) سأدفع أي ثمن لأنسى من تكون! راح (لان) يُلمي عليه التعليمات بينما (راند) يرتدي المعطف الأحمر ويتقلد سيفه؛ ماذا يقول، ولمن، وما الذي لا يقوله، ما الذي يفعله، وما الذي لا يفعله، بل وحتى كيف يتحرك. لم يكن واثقًا من قدرته على تذكر كل هذا، معظمه بدا غريبًا ومن السهل نسيانه. وكان متيقنًا من أن ما سينساه هو الشيء الذي سيجعل (الآيز

سيداي) غاضبات منه، هذا إن لم يكن غاضبات بالفعل. إن كانت (مويرين) قد أخبرت (عرش أميرلين) فمن أخبرت أيضًا؟

«لم لا يمكنني فقط أن أغادر كما خططت يا (لان)؟ بحلول الوقت الذي ستعرف فيه أنني لن آتي سأكون على مسافة فرسخ خارج الأسوار مهرولاً بحصاني».

«وستكون قد أرسلت المتعقبين وراءك قبل أن تبتعد فرسخين. ما تريده (الأميرلين) تحصل عليه أيها الراعي». عدل من وضعية حزام (راند) ليكون الإبزيم الثقيل في المنتصف. «ما أفعله هو أفضل ما يمكنني فعله من أجلك».

«ولكن لم كل هذا؟ ما الذي يعنيه؟ لم يجب أن أضع يدي على قلبي إن كانت (عرش أميرلين) واقفة؟ لم أرفض أي شيء عدا الماء - هذا لا يعني أنني أرغب في تناول وجبة معها - ثم أسقط بعض قطرات على الأرضية وأقول «الأرض عطشى؟» وإن سألتني عن عمري لم أخبرها كم مضى منذ أن مُنِحت سيفي؟ أنا لا أفهم نصف ما قلته لي».

«ثلاث قطرات أيها الراعي، لا تصب الماء صبًا. عليك أن تنثر ثلاث قطرات فحسب. يمكنك أن تفهم لاحقًا ما دمت تتذكر الآن. فكر في الأمر على أنه مراعاة للتقاليد. ستفعل (الأميرلين) بك ما تشاء، إن اعتقدت أنك تستطيع تجنب الأمر، فلتعتقد أنه يمكنك أيضًا التحليق إلى القمر مثل (لين). لا يمكنك الهرب، ولكن ربما يمكنك أن تعتد بنفسك لفترة من الوقت، وربما يمكنك أن تحتفظ بكبريائك على الأقل. بحق (النور)، أنا على الأرجح أضيع وقتي، ولكن ليس لدي شيء أفضل لأفعله. ابق ثابتًا». أخرج (الحامي) من جيبه حبلًا طويلًا بأهداب ذهبية وربطه على ذراع (راند) اليسرى بشكل معقد. وعلى هذه العقدة ثبّت دبوسًا مطليًا باللون الأحمر على هيئة عقاب يبسط جناحيه. «لقد أمرت بصنع هذا لأمنحه لك، والآن هو الوقت المناسب، هذا سيجعلهم يفكرون». لم يعد هناك شك حيال الأمر؛ (الحامي) يتسم بالفعل.

نظر (راند) إلى الدبوس بقلق، (كالدازار)؛ (عقاب مانثيرن الأحمر). تتم قائلًا: «شوكة في قدم (سيد الظلام)، وأسلة في يده». ثم نظر إلى (الحامي) وقال: «لقد ماتت (مانثيرن) ونُسيت منذ أمد بعيد يا (لان)، لم تعد سوى اسم في الكتب. ليس هناك سوى (النهرين)، وأنا راعٍ ومزارع مهمل كنت غير ذلك. هذا كل شيء».

«حسنًا، إن السيف الذي لا يمكن كسره قد تحطم في النهاية أيها الراعي، ولكنه قد حارب (الظل) حتى الرمق الأخير، هناك قاعدة واحدة تعلو كل القواعد الأخرى بالنسبة لكونك رجلًا، أيًا كان ما سيأتي فلتواجهه واقفًا على قدميك. والآن، هل أنت مستعد؟ (عرش أميرلين) تنتظر».

شعر (راند) بقبضة باردة تعتصر معدته وهو يخطو وراء (الحامي) إلى الردهة.

الفصل الثامن

التنين العائد

مشى (راند) متوترًا في البداية بساقين متيبستين إلى جانب (الحامي). فلتواجهه واقفًا على قدميك. كان من السهل على (لان) قول ذلك، فليس هو من استدعته (عرش أميرلين). لم يكن يتساءل عما إن كان سيُرقق قبل نهاية اليوم، أو ما هو أسوأ. شعر (راند) كأن هناك شيئًا عالقًا في حلقه، لا يستطيع بلعه رغم أنه يرغب في هذا بشدة.

كانت الممرات تعج بالناس؛ خدم يؤدون مهامهم الصباحية، ومحاربون يحملون سيوفهم فوق الأرواب، بعض الفتية الصغار يحملون سيوف تدريب صغيرة يقفون بالقرب من آبائهم ويقلدون الطريقة التي يمشون بها. لم تبق أي علامة على القتال، ولكن كان الهواء مفعمًا باليقظة، حتى بالنسبة للأطفال. كان البالغون يبدون كقطط تنتظر قطيعًا من الفئران. نظر (إنجتار) إلى (راند) و(لان) نظرة غريبة ثم فتح فمه ولكنه لم يقل شيئًا بينما يمران من جواره. حرك (كاجين) - رجل طويل ونحيل وشاحب - قبضتيه فوق رأسه وصاح: «تايشار (مالكير)! تايشار (مانثيرن)!». الدماء الحقيقية (المالكير). الدماء الحقيقية (لمانثيرن).

جفل (راند)؛ بحق (النور)، لم قال هذا؟ قال لنفسه: لا تكن أحمق، إنهم جميعًا يعرفون بشأن (مانثيرن) هنا، يعرفون بشأن كل حكاية قديمة، إن كانت تنطوي على قتال. بحق (النور)، يجب عليّ أن أتمالك نفسي. رفع (لان) قبضتيه مجيبًا: «تايشار (شاينار)!».

إن بدأ في الركض فهل يمكنه أن يذوب في الحشد طويلًا بما يكفي حتى يصل إلى حصانه؟ إن أرسلت المتعقبين ورائي... مع كل خطوة كان يزداد توترًا.

عندما وصلا إلى مساكن النساء قال (لان) فجأة بحدة: «(قط يعبر الباحة)!». جفل (راند) وبشكل غريزي اتخذ وضعية المشية التي تعلمها، ناصبًا ظهره، ولكن مرخيًا كل عضلة، كما لو أنه معلق بسلك من مقدمة رأسه. كان مسترخيًا ويكاد أن يتبختر في كبرياء. مسترخيًا بشكل ظاهري، ولكنه بالتأكيد لم يشعر بهذا في داخله، لم يكن لديه وقت ليتساءل عما يفعله. انعطفا عند الممر الأخير، وهما يمشيان جنبًا إلى جنب.

نظرت النسوة عند مدخل مساكن النساء إليهما بهدوء وهما يقتربان. بعضهن جالسات وراء طاوولات مائلة يتفحصن دفاتر ضخمة ومن آن لآخر يكتبن شيئًا. الأخريات كن يحكين أو يطرزن. كانت النساء النبيلات يراقبنه تمامًا مثل الخادومات. كانت الأبواب المقوسة مفتوحة، ولا أحد يجرسها باستثناء النساء. لم يكن هناك حاجة لأكثر من هذا، لن يدخل أي رجل شايناري دون دعوة، ولكن أي رجل شايناري سيكون مستعدًا للدفاع عن هذا الباب إن دعت الحاجة، رغم أن حاجة كهذه ستصيبه بالذعر.

اضطربت معدة (راند) وشعر بأحماضها الحارقة. سيلقي نظرة واحدة على سيفينا قبل أن يطردنا. حسنًا، هذا ما أريده، أليس كذلك؟ إن طردنا فربما أتمكن من الفرار. هذا إن لم ينادين الحراس من أجلنا. تشبث بالوضعية التي أمره

بها (لان) كما قد يتشبث بغصن عائم في فيضان، وقد كان التشبث بها هو الشيء الوحيد الذي يمنعه من الالتفاف والركض.

إحدى وصيفات السيدة (أماليسا) - امرأة ذات وجه دائري تُدعى (نيسورا) - وضعت أدوات التطريز جانبًا، واعتدلت واقفة، بينما يتوقفان. نظرت إلى سيفيهما وزمت شفتيها ولكنها لم تقل شيئًا. كل النسوة توقفن عما يفعلنه ليراقبن في صمت واهتمام. قالت (نيسورا) وهي تحني رأسها في إيحاءة طفيفة: «الشرف لكم!». اختلست نظرة إلى (راند)، سريعة للغاية حتى إنه لم يكن متيقنًا من أنه قد رآها، ولكنها ذكرته بما قاله (بيرين). «(عرش أميرلين) في انتظاركم!». أشارت بيدها فتقدمت سيدتان - ليستا خادمتين فقد حظيتا بالتكريم - لاصطحابه. أحنت السيدتان رأسيهما - أدنى من (نيسورا) بقليل - ثم أشارتا إليهما نحو الباب المقوس. نظرت كلتاهما إلى (راند) نظرة جانبية، ولكنهما لم تنظرا إليه مرة أخرى.

هل كن يبحثن عنا جميعًا، أم عني أنا وحدي؟ لم نحن جميعًا؟

بالداخل كانت تبدو عليهن النظرات التي توقعها (راند)؛ رجلان في مساكن النساء حيث ينذر وجود الرجال، وقد تسبب سيفاهما في أكثر من رفع حاجب. ولكن لم تقل أي من النساء شيئًا. كان الرجلان يتركان دوائر من المحادثات في طريقهما، غمغمت خافطة للغاية على أن يميزها (راند). كان (لان) يمشي إلى جواره كأنه لا يلاحظ شيئًا. حافظ (راند) على وتيرته وراء المرأتين المرافقتين، وهو يمتنى لو أنه يستطيع السماع.

وصلوا إلى غرفة (عرش أميرلين)، وكان هناك ثلاثة من (الآيز سيدي) يقفون بالردهة خارج الباب. (الآيز سيدي) الطويلة (لياني) تُمسك بعضها ذات الشعلة الذهبية. لم يعرف (راند) الاثنتين الأخريين ولكن عرف من أهدابهما أن إحداهما من (الآجاء البيضاء) والأخرى من (الصفراوات). ولكنه تذكر وجهيهما يجردان إليه بينما يركض عبر هذه الردهات. وجوه (آيز سيدي) ناعمة بأعين تعرف كل شيء. تفحصنه بحواجب مرفوعة وشفاه مزمومة. انحنت المرأتان اللتان جلبتا (لان) و(راند) قبل أن يسلماهما إلى (الآيز سيدي).

نظرت (لياني) إلى (راند) بابتسامة طفيفة، ولكن رغم الابتسامة كان صوتها به شيء من الحدة. «ما الذي جلبته إلى (عرش أميرلين) اليوم يا (لان جايدن)؟ أسد يافع؟ من الأفضل ألا تسمح لأي من (الخضراوات) برؤيته، وإلا فستربطه إحداهن قبل أن يلتقط نفسًا واحدًا. إنهن يحبن ربط اليافعين».

تساءل (راند) عما إن كان من الممكن حقًا أن يعرق المرء بداخل جلده، لقد انتابه هذا الإحساس. أراد أن ينظر إلى (لان)، ولكنه تذكر هذا الجزء من تعليقات (الحامي). «أنا (راند ألتور)، ابن (تام ألتور)، من (النهرين)، الذي كانت ذات يوم (مانثيرن). لقد جئت كما طلبت (عرش أميرلين) يا (لياني سيدي). أنا مستعد». تفاجأ بأن صوته لم يرتجف مرة واحدة.

رمشت (لياني) بعينيهما وتحولت ابتسامتها إلى نظرة مفكرة وهي تقول: «هل هذا من يُفترض به أن يكون راعي غنم يا (لان جايدن)؟ إنه لم يكن واثقاً من نفسه هكذا هذا الصباح».

قال (لان) بحزم: «إنه رجل يا (لياني سيداي)، لا أكثر ولا أقل. هذا هو ما نحن عليه». هزت (الآيز سيداي) رأسها وقالت: «العالم يزداد غرابة كل يوم. أفترض أن الحداد سيرتدي تاجاً ويتحدث بالترنم العالي. انتظروا هنا». دلفت إلى الداخل لتعلن عن مجيئها، لم تغب سوى بضع لحظات، ولكن (راند) كان متوترًا وهو يشعر بأعين (الآيز سيداي) الآخرين. حاول أن يبادلها التحديق بثبات كما أخبره (لان)، فقربت إحداهما رأسها من الأخرى وراحتا تتهامسان. ما الذي تقولانه؟ ما الذي تعرفانه؟ بحق (النور)، هل سيرققني؟ هل هذا ما قصده (لان) عندما تحدث عن مواجهة أيا كان ما سيأتي؟

عادت (لياني) وأشارت إلى (راند) أن يدخل. عندما حاول (لان) أن يلحق به دفعت عصاها إلى صدره لتوقفه وقالت: «ليس أنت يا (لان جايدن)، إن (مويرين سيداي) لديها مهمة لك، سيكون هذا الشبل آمنًا بما يكفي بمفرده».

انغلق الباب وراء (راند)، ولكن ليس قبل أن يسمع صوت (لان) ضارياً وقوياً، ولكن خفيفاً بما يكفي لكي تسمعه أذنه وحده: «تايشار (مانثيرن)!!».

كانت (مويرين) جالسة في جانب الغرفة، ووعلى الجانب الآخر تجلس إحدى (الآيز سيداي البنيات)؛ تلك التي قد رآها في السرداب. ولكن ما جذب انتباهه هو المرأة الجالسة على الكرسي الطويل وراء الطاولة العريضة. كانت الستائر مسدلة جزئياً على فتحات الأسهم، ولكن الفجوات تسمح بتسلل ما يكفي من الضوء لأن يكون من الصعب تمييز وجهها بوضوح. ولكنه مع ذلك قد تعرف عليها؛ (عرش أميرلين). على الفور جثا على ركبة واحدة، ووضع يده اليسرى على مقبض سيفه، وقبضته اليمنى تضغط على السجادة المنقوشة وأحنى رأسه. «لقد جئت كما طلبت أيتها الأم. أنا مستعد». رفع رأسه في الوقت المناسب لكي يراها ترفع حاجبها.

«هل أنت مستعد حقاً أيها الفتى؟». لقد بدا صوتها متعجباً تقريباً، وشيء آخر لم يستطع تمييزه، ولكن بالتأكيد لم يبدو هذا التعجب على ملامحها. «قف أيها الفتى ودعني أنظر إليك».

انتصب واقفاً وحاول أن يُبقي وجهه مسترخياً، كان يبذل مجهوداً لكيلا يضم قبضتيه. ثلاثة من (الآيز سيداي)، ما هو العدد المطلوب لترقيق رجل؟ لقد أرسلوا دزينة أو أكثر وراء (لوجاين). هل ستفعل (مويرين) هذا بي؟ بادل (عرش أميرلين) التحديق، ولكنها لم ترمش.

قالت أخيراً وهي تشير إلى كرسي موضوع مباشرة أمام الطاولة: «اجلس يا فتى. أخشى أن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً».

«شكراً لك أيتها الأم». أحنى رأسه وبعدها نظر إلى الكرسي ولمس سيفه كما أخبره (لان). «إذا سمحت لي أيتها الأم فسأظل واقفاً. لم تنتهِ المراقبة».

أصدرت (عرش أميرلين) صوتًا ساخطًا وهي تنظر إلى (مويرين) قائلة: «هل تركتِ (لان) يعلمه يا ابنتي؟ سيكون هذا صعبًا بما يكفي دون أن يتبع أساليب (الحماة)».

أجابتها (مويرين) بهدوء: «كان (لان) يعلم كل الفتية أيتها الأم، ولكنه قد قضى بعض الوقت مع هذا الفتى أكثر من الآخرين لأنه يحمل سيفًا».

تململت (الآيز سيداي البنية) في كرسيها وقالت: «(الجايدن) يتمتعون بالفخر والكبرياء أيتها الأم، ولكنهم مفيدون، لا يمكنني الاستغناء عن (توماس)، كما لا يمكنك تحمل خسارة (أليك). بل إنني سمعت بعض (الحمراوات) يقلن إنهن أحيانًا ما يرغبن في (حام). و(الخضراوات) بالطبع...».

كانت (الآيز سيداي) الثلاثة يتجاهلن في هذه اللحظة. قالت (عرش أميرلين): «هذا السيف، يبدو أنه نصل بعلامة البلشون، كيف حصل عليه يا (مويرين)؟».

«لقد ترك (تام أثور) (النهرين) وهو صبي، وانضم إلى جيش (إليان)، وخدم في (حرب العباءة البيضاء)، وآخر حربين مع (تير). بمرور الوقت ترقى ليصير سيافًا، ونائب قائد الرفاق. بعد (حرب آيل) عاد (تام أثور) إلى (النهرين) مع زوجة من (كايملين) وطفل رضيع. كان هذا سيوفر الكثير لو عرفته باكرًا، ولكني أعرفه الآن».

حدق (راند) إلى (مويرين)، إنه يعرف أن (تام) قد ترك (النهرين) وعاد مع زوجة أجنبية وسيف، ولكن البقية... أين عرفت كل هذا؟ ليس في (إيموندز فيلد)، ما لم تكن (ناينيف) قد أخبرتكِ بأكثر مما أخبرتني به من قبل. طفل رضيع. إنها لم تقبل ابنه، ولكنني ابنه. مالت (عرش أميرلين) إلى الأمام قليلًا وقالت: «ضد (تير). حسنًا هناك ما يكفي من اللوم لإلقائه على الجانبين في هذه الحروب؛ الرجال الحمقى الذين يفضلون القتال عن الحديث. هل يمكنك معرفة إن كان النصل أصليًا يا (فيرين)».

«هناك اختبارات أيتها الأم».

«إذن، خذيه واختبره يا ابنتي».

لم تكن النساء الثلاثة ينظرن إليه حتى. خطأ (راند) خطوة للوراء، وهو يمسك بالمقبض بقوة. قال في غضب: «لقد أعطاني أبي هذا السيف، لن يأخذه أحد مني». حينها فقط أدرك أن (فيرين) لم تتحرك من كرسيها. نظر إليهن في حيرة، محاولاً أن يستعيد توازنه.

قالت (عرش أميرلين): «إذن لديك بعض الحمية بداخلك، إلى جانب أيًا كان ما وضعه (لان) فيك. جيد، ستحتاج إليه».

استطاع أن يقول بسلاسة: «أنا ما أنا عليه أيتها الأم، مستعدًا لما سيأتي».

قالت (عرش أميرلين) متجهمة: «لقد علمك (لان) بالفعل. اسمعني أيها الفتى، في غضون بضع ساعات سيغادر (إنجتار) ليجد (البوق) المسروق، وصديقك (مات) سيذهب معه، وأتوقع أن صديقك الآخر - (بيرين)؟ - سيذهب أيضًا. هل ترغب في الذهاب معهم؟».

«(مات) و(بيرين) سيذهبان؟ لماذا؟». تذكر متأخراً أن يضيف باحترام: «أيتها الأم».

«هل تعرف بشأن الخنجر الذي يحمله صديقك؟». تلوى فمها في امتعاض مع ذكر الخنجر. «لقد سلب أيضاً، وإن لم يُعثر عليه فلن يُكسر الرابط بينه وبين الخنجر بشكل كامل، وسوف يموت. يمكنك الذهاب معهم إن أردت، أو يمكنك البقاء هنا. لا شك أن اللورد (أجيلمار) سيسمح لك بالبقاء ضيفاً قدر ما تريد. سأغادر اليوم أيضاً، وستصحبني (مويرين سيدي)، وكذلك (إيجوين) و(ناينيف)، وحينها ستظل وحدك إن بقيت، الخيار لك».

حذق إليها (راند). إنها تقول إن باستطاعتي الذهاب كما أشاء، هل هذا ما جلبتني هنا من أجله؟ (مات) يحتضر! نظر إلى (مويرين) التي تجلس بلا اكتراث ويدها مطويتان في حجرها، لقد بدت وكأنها لا تبالي مطلقاً إلى أين سيذهب. في أي اتجاه تحاولين دفعي أيتها (الآيز سيدي)؟ بحق (النور)، سأذهب في اتجاه آخر. ولكن إن كان (مات) يحتضر... لا يمكنني التخلي عنه. بحق (النور)، كيف سنعثر على ذلك الخنجر؟

قالت (الأميرلين): «ليس عليك أن تختار الآن». لم يبدُ عليها أيضاً أنها تبالي. «ولكن سيكون عليك أن تختار قبل رحيل (إنجتار)».

«سأذهب مع (إنجتار) أيتها الأم».

أومأت (عرش أميرلين) برأسها في شroud وقالت: «الآن وقد انتهينا من هذا الأمر يمكننا أن نتقل إلى الأمور المهمة. أعرف أن باستطاعتك التسخير أيها الفتى. ما الذي تعرفه؟».

فغر (راند) فمه، لقد انشغل بالقلق على (مات) حتى إن كلماتها اللامبالية قد ضربته كباب حظيرة متأرجح. كل نصائح (لان) وتعليقاته ذهبت أدراج الرياح. حذق إليها وهو يلحق شفتيه، كان هناك فارق كبير بين الاعتقاد بأنها تعرف وبين التيقن بأنها تعرف حقاً. بدأ العرق يسيل أخيراً على جبهته.

مالت للأمام في كرسيها تنتظر إجابة، ولكن كان لديه شعور بأنها ترغب في أن تميل إلى الوراء. تذكر ما قاله (لان)؛ إذا كانت خائفة منك... أراد أن يضحك؛ إن كانت خائفة منه!

«لا، لا أستطيع. أعني... لم أفعل هذا عن عمد، لقد حدث فحسب. لا أرغب في... تسخير (القوة الواحدة)، لن أفعلها مرة أخرى، أقسم بهذا».

قالت (عرش أميرلين): «أنت لا ترغب في هذا، حسناً، هذه حكمة منك، وحاقة أيضاً. يمكن تعليم البعض التسخير، والغالبية لا يمكنهم هذا، ولكن القلة يكون لديهم البذرة عند مولدهم، عاجلاً أو آجلاً سيستخدمون (القوة الواحدة)، سواء أرادوا هذا أم لا. هذا أمر يقيني، ستستمر في التسخير أيها الفتى، لا يمكنك منع نفسك من هذا، ومن الأفضل أن تتعلم كيف تسخر، تتعلم السيطرة على الأمر، وإلا فإنك لن تعيش طويلاً بما يكفي لأن تصاب بالجنون. (القوة الواحدة) تقتل هؤلاء الذين لا يستطيعون التحكم في تدفقها».

قال متسائلاً: «كيف يُفترض بي أن أتعلم؟». اكتفت (مويرين) و(فيرين) بالجلوس وهما تراقبانه في هدوء. كالعناكب. «كيف؟ تزعم (مويرين) أنها لا تستطيع تعليمي أي شيء، وأنا لا أعرف كيف أتعلم، أو ماذا أتعلم. أنا لا أريد هذا على أي حال. أريد أن أتوقف، ألا تفهمين هذا؟ أن أتوقف!».

قالت (مويرين): «لقد أخبرتك بالحقيقة يا (راند)». بدت وكأنها تجري محادثة لطيفة. «هؤلاء الذين يمكنهم تعليمك - (الآيز سيدي) الذكور - ماتوا قبل ثلاثة آلاف عام، لا يمكن لأي (آيز سيدي) حية أن تعلمك كيف تلمس (السايدين) أكثر مما يمكنك تعلم كيف تلمس (السايدار). لا يمكن للطائر أن يعلم السمك الطيران، ولا يمكن للسمكة أن تعلم الطائر السباحة».

قالت (فيرين) فجأة: «لطالما اعتقدت أن هذا مثل سيء، هناك طيور تغوص وتسبح، وفي (بحر العواصف) هناك أسماك تطير، لها زعانف طويلة، تمتد بعرض ذراعيك المفرودتين، وبمناقير كالسيوف يمكنها أن تحترق...». بترت جملتها وقد بدت مرتبكة. كانت (مويرين) و(عرش أميرلين) تحدقان إليها بنظرة جامدة.

استغل (راند) هذه المقاطعة ليستعيد بعضاً من سيطرته على نفسه، وكما علمه (تام) قبل وقت طويل شكّل شعلة لهب واحدة في عقله، غذاها بمخاوفه وهو يبحث عن الفراغ والسكون في الخواء. بدا أن الشعلة تتعاضد حتى غلفت كل شيء، حتى صارت أكبر من أن يحتويها أو يتخيلها أكثر من هذا. ومع اختفاء الشعلة حل محلها إحساس بالسكينة. وفي حواف الخواء لا يزال الخوف والغضب يومضان كبقع سوداء، ولكن الخواء ظل متماسكاً. راحت الأفكار تنزلق من على سطحه كالخصى على الجليد. لقد أولت (الآيز سيدي) اهتمامهن بعيداً عنه للحظة واحدة، ولكن عندما نظرن إليه مرة أخرى كان وجهه هادئاً.

قال متسائلاً: «لم تتحدثين إليّ هكذا أيتها الأم؟ يفترض بكِ تريقي». عقدت (عرش أميرلين) حاجبيها، ثم نظرت إلى (مويرين) وقالت: «هل علمه (لان) هذا؟». «لا أيتها الأم، لقد تعلمه من (تام ألثور)». سألها (راند) مرة أخرى: «لماذا؟».

حدقت (عرش أميرلين) إلى عينيه مباشرة وقالت: «لأنك (التنين العائد)».

ارتجف الخواء، ارتجف العالم، بدا أن كل شيء يدور من حوله. ركز على اللاشيء فعاد الفراغ واستقر العالم. «لا أيتها الأم. يمكنني التسخير - فليعينني (النور) - ولكنني لست (راولن داركسبين) ولا (جويز أمالاسان) ولا (يوربان ستونبو). يمكنك تريقي أو قتلي أو تركي أذهب، ولكنني لن أكون (تنيناً كاذباً) مروضاً مقيداً بلجام (تار فالون)».

سمع (فيرين) تشهق، واتسعت عينا (الأميرلين) في نظرة صلبة كحجر أزرق، ولكن هذا لم يؤثر عليه، بل انزلق على الخواء بداخله.

سألته (الأميرلين): «أين سمعت هذه الأسماء؟ من أخبرك أن (تار فالون) تتحكم في أي (تنين كاذب)؟».

قال: «صديق أيتها الأم، صانع بهجة، كان اسمه (توم ميريلين)، ولكنه قد مات». ند صوت عن (مويرين) فنظر إليها، إنها تزعم أن (توم) لم يموت، ولكنها لم تقدم أي دليل على الإطلاق، ولا يمكنه أن يرى كيف يمكن لرجل أن ينجو من اشتباك بالأيدي مع (عاتم). كانت الفكرة غريبة ولكنها قد تلاشت، لم يكن هناك سوى الخواء والفراغ.

قالت (الأميرلين) بحزم: «أنت لست (تينيًا كاذبًا)، أنت (التنين العائد) الحقيقي». «أنا راعي غنم من (النهرين) أيتها الأم».

«أخبريه بالحكاية يا ابنتي. حكاية حقيقية أيها الفتى، أنصت جيدًا».

بدأت (مويرين) تتحدث. أبقى (راند) عينيه على وجه (الأميرلين)، ولكنه كان ينصت.

«قبل قرابة عشرين عامًا عبر (الآيل) (فقار العالم)، (جدار التنين). وهي المرة الوحيدة التي يفعلون فيها هذا. لقد عصفوا (بكايرين) ودمروا كل جيش أرسل ضدهم، وأحرقوا مدينة (كايرين) ذاتها، وشقوا طريقهم بالقتال حتى وصلوا إلى (تار قالون). كان ذلك في فصل الشتاء، والثلوج تتساقط، ولكن البرودة أو الحرارة لا تعني شيئًا بالنسبة (للآيل). دارت (المعركة الأخيرة) - آخر معركة يمكن احتسابها - خارج (الأسوار اللامعة)، في ظل (جبل التنين). بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ من القتال دار (الآيل) على أعقابهم عائدين بعد أن أنهموا ما جاؤوا من أجله، وهو قتل (لامان) ملك (كايرين)، بسبب خطيئته تجاه (الشجرة)، وهنا تبدأ حكايتي، وحكايتك».

لقد اجتاحوا (جدار التنين) كالفيضان. حتى وصلوا (الأسوار اللامعة). انتظر (راند) أن تتلاشى الذكريات، ولكنه سمع صوت (تام)؛ مريضًا ويهذي وهو يفشي أسرار الماضي. كان الصوت ملغًا خارج الخواء، مطالبًا بالدخول.

قالت (مويرين): «كنت واحدة من (المقبولات) حينها، وكذلك كانت أمنا، (عرش أميرلين). سرعان ما ترقينا إلى مرتبة الأختية. وفي تلك الليلة وقفنا في حضرة (أميرلين) ذلك الوقت، كانت القيمة على سجلاتها (جيتارا موريوسو) موجودة هناك، وكل أخت كاملة أخرى في (تار قالون) كانت بالخارج لتشفى من المجروحين قدر ما تجده، حتى (الحمراوات). كان الوقت فجرًا والنار في الموقد لا يمكنها أن تردع البرودة. توقف تساقط الثلوج أخيرًا، وفي غرفة (الأميرلين) في (البرج الأبيض) كان بوسعنا أن نشتم رائحة دخان القرى النائية، التي أحرقت أثناء القتال».

المعارك دومًا ما تكون حامية الوطيس، حتى في الثلج. يجب الابتعاد عن رائحة الموت الكريهة. شق صوت هذيان (تام) طريقه إلى الفراغ الهادئ بداخل (راند). ارتجف الخواء وتقلص، ثم صار ثابتًا، ثم ارتجف مرة أخرى. كانت عينا (الأميرلين) تحترقانه، شعر بالعرق على جبهته مرة أخرى. قال: «كانت مجرد هلاوس حمى، كان مريضًا». ثم رفع صوته وقال: «اسمي (راند ألثور). أنا راعي غنم. أبي هو (تام ألثور)، وأمي كانت...».

كانت (مويرين) قد صمتت من أجله، ولكن في هذه اللحظة قاطعه صوتها الثابت بشكل هادئ وصارم: «تقول حكايات كارايثون - (نبوءات التنين) - إن (التنين) سيولد على منحدرات (جبل التنين)، حيث مات أثناء (تخطم العالم). أحيانًا ما يراود (جيتارا سيداي) التنبؤ، كانت عجوزًا وشعرها أبيض كالثلج، ولكن عندما يراودها التنبؤ يكون قويًا. كان ضوء الصباح المتدفق عبر النوافذ يزداد قوة عندما أعطيتها كوبًا من الشاي. سألتني (عرش أميرلين) أي أخبار أحملها من ساحة المعركة. فنهضت (جيتارا سيداي) من كرسيها، ذراعها وساقها متيبسين، وهي ترتجف، ووجهها كأنها تنظر إلى (هاوية الهلاك) في (شايول غول). ثم صاحت: «لقد وُلد من جديد! أنا أشعر به! لقد تنفس (التنين) أنفاسه الأولى على منحدر (جبل التنين)، إنه قادم! إنه قادم! فليساعدنا (النور)! فليساعد (النور) العالم! إنه مستلقٍ في الثلج ويبكي كالرعد! إنه يتوهج كالشمس!»، ثم سقطت للأمام بين ذراعيّ ميتة».

منحدر الجبل. سمعت طفلًا يبكي. لقد وضعت طفلها هناك وحدها، قبل أن تموت. الطفل أزرق بسبب البرد. حاول (راند) أن ينحي صوت (تام) جانبًا، تقلص الخواء أكثر. شهق قائلاً: «هلاوس حمى». لا يمكنني أن أتخلى عن طفل. «لقد وُلدت في (النهرين)». لطالما عرفت أنك تريد طفلًا يا (كاري). أبعد عينيه عن (عرش أميرلين)، حاول أن يجبر الخواء على التماسك، كان يعلم أن هذا ليس السبيل، ولكنه انهار بداخله. أجل يا فتاة، (راند) اسم جميل. «أنا... (راند)... (ألثور)».

أكملت (مويرين) قائلة: «وهكذا عرفنا أن (التنين) قد وُلد من جديد. جعلتنا (الأميرلين) نقسم نحن الاثنان على إبقاء الأمر سرًا، فهي تعلم أنه ليس كل الأخوات سيرين (البعث) كما يجب أن يُرى. ثم أرسلتنا للبحث. كان هناك الكثير من اليتامى بعد تلك المعركة، عدد كبير للغاية، ولكننا سمعنا حكاية، أن رجلًا قد عثر على رضيع على الجبل، هذ كل شيء، رجل ورضيع. وهكذا بدأنا البحث. لقد بحثنا لسنوات، وعثرنا على أدلة أخرى، ودققنا في النبوءات؛ «سيكون من دماء عتيقة، وستريه دماء قديمة»، كانت هذه نبوءة، وكان هناك نبوءات أخرى. ولكن كان هناك أماكن عديدة حيث الدماء القديمة - المنحدرة من (عصر الأساطير) - لا تزال قوية. وبعدها في (النهرين)، حيث دماء (مانثيرن) القديمة تموج كنهر في فيضان، في (إيموندز فيلد)، عثرت على ثلاثة فتيان قد وُلدوا خلال أسابيع من معركة (جبل التنين)، وأحدهم يمكنه التسخير. هل تعتقد أن (الترولوكين) سيسعون وراءك فقط لأنك (تاثيرين)؟ أنت (التنين العائد)».

شعر (راند) أن ساقه لا تقويان على حمله، فانهار جالسًا القرفصاء وهوت يدها على السجادة ليمنع نفسه من السقوط على وجهه. لقد تلاشى الخواء وتخطم السكون. رفع رأسه فوجدن ينظرن إليه، (الآيز سيداي) الثلاثة. كانت وجوههن ساكنة وملساء كبرك هادئة، ولكن أعينهن لم ترمش. «أبي (تام ألثور)، وأنا قد وُلدت...». حدقن إليه دون أن يتحركن. إنهن يكنبن، أنا لست... ما الذي يقلنه؟ إنهن يكنبن بطريقة ما، بشكل ما، يحاولن استغالي. «لن أسمح لكن باستغالي».

قالت (الأميرلين): «إن استخدام المرساة لتثبيت قارب لا ينتقص منه، لقد خلقت لهدف يا (راند أثور). عندما تجوب رياح (تارمون جايدون) الأرض سيواجه (الظل) ويجلب (النور) إلى العالم»، يجب أن تتحقق النبوءات، وإلا فإن (سيد الظلام) سيتحرر ويعيد تشكيل العالم على صورته، (المعركة الأخيرة) آتية، وقد وُلدت لتوحد البشر وتقودهم في وجه (سيد الظلام)». قال (راند) بصوت مبحوح: «(بعلزمون) قد مات».

قالت (الأميرلين) في سخرية: «إن كنت تعتقد هذا فأنت أحق مثل الدومانين. يعتقد عديدون أنه قد مات، أو يقولون إنهم يعتقدون هذا. ولكنني لاحظت أنهم مع ذلك غير مستعدين للمخاطرة بنطق اسمه. (سيد الظلام) على قيد الحياة، ويكاد أن يتحرر من سجنه. ستواجه (سيد الظلام)، هذا هو قدرك». هذا هو قدرك. لقد سمع هذا من قبل، في حلم ربما لم يكن حلمًا بالضبط. تساءل ما الذي ستقوله (الأميرلين) إن عرفت أن (بعلزمون) قد تحدث إليه في أحلامه. لقد انتهى هذا، (بعلزمون) قد مات، رأيت يموت. فجأة انتبه إلى أنه رابض كضفدع، منكمش تحت نظراتهن. حاول أن يشكل الخواء من جديد، ولكن الأصوات كانت تعصف بعقله، وتطيح بكل مجهوداته. هذا هو قدرك. طفل رضيع مستلق في الثلج. أنت (التنين العائد). (بعلزمون) قد مات. (راند) اسم جميل يا (كاري). لن أسمح باستغلاله! أجبر نفسه على أن يقف منتصبًا معتمدًا على العناد الذي يميز قومه. فلتواجهه واقفًا على قدميك. يمكنك أن تحتفظ بكبريائك على الأقل. كانت (الآيز سيدي) الثلاثة يراقبنه بدون أدنى تعبير.

«ما الذي...». بذل مجهودًا ليمنع صوته من الارتجاف. «ما الذي ستفعله بي؟».

قالت (الأميرلين): «لا شيء». فرمش بعينه، لم تكن الإجابة التي يتوقعها، الإجابة التي يخشاها. «قلت إنك ترغب في مرافقة صديقك مع (إنجتار)، ويمكنك أن تفعل هذا. أنا لم أميزك بأي شكل من الأشكال، قد تعرف بعض الأخوات أنك (تافيرين)، ولكن ليس أكثر من هذا، نحن الثلاثة فقط نعرف من تكون حقًا. سيمثل صديقك (بيرين) أمامي أيضًا، مثلما فعلت. وسأذهب لزيارة صديقك الآخر في المشفى. يمكنك أن تذهب كما تشاء، دون أن تخاف من أن نرسل الأخوات (الحمراوات) وراءك».

من تكون حقًا. تأجج الغضب بداخله، ساخناً وحارًا. أجبره على البقاء بداخله مخفيًا. «لماذا؟».

«يجب أن تتحقق النبوءات، سنسمح لك أن تمشي حرًا ونحن نعرف من تكون، وإلا فإن العالم الذي نعرفه سيموت، وسيغطي (سيد الظلام) الأرض بالنار والموت. تذكر كلامي، ليست كل (الآيز سيدي) متشابهات، بعضهن هنا في (فال دارا) سيهاجمنك لو عرفن عُشر ما نعرفه، ولن يشعرن بندم أكثر مما يشعرن تجاه تقطيع سمكة. وفي الوقت ذاته هناك رجال يضحكون معك سيفعلون الشيء ذاته إن عرفوا الحقيقة. اعتن بنفسك يا (راند أثور)، أيها (التنين العائد)».

نظر إليهن واحدة تلو الأخرى. إن نبوءة/تكن ليست جزءًا مني. بادلنه التحديق بهدوء شديد، حتى إنه كان من الصعب التصديق أنهن يحاولن إقناعه بأنه أكثر رجل مكروه وخيف في تاريخ العالم. لقد اجتاز الخوف

مباشرة وخرج على الجانب الآخر في مكان بارد. كان الغضب هو الشيء الوحيد الذي يبقيه دافئًا. يمكنهن ترقيقه، أو حرقه حيث يقف حتى يصير رمادًا، لم يعد يبالي.

تذكر جزءًا من تعليمات (لان)، وضع يده اليسرى على المقبض، ثم أدار السيف من ورائه ليمسك الغمد بيده اليمنى، ثم انحنى بذراعين مستقيمتين. «إن سمحت لي أيتها الأم، هل يمكنني أن أرحل عن هذا المكان؟».

«أمنحك الإذن بالرحيل يا بني».

نصب قامته وظل واقفًا للحظة، ثم قال لهن: «لن أسمح لكن باستغلالي». كان هناك صمت طويل بينما يستدير على عقبيه ويغادر.

طال الصمت في الغرفة بعد رحيل (راند)، حتى كسره زفير طويل من (الأميرلين) قبل أن تقول: «لا يعجبني ما فعلناه للتو. كان ضروريًا ولكن... هل نجح يا ابنتي؟».

هزت (مويرين) رأسها في حركة طفيفة وقالت: «لا أعرف، ولكنه كان ضروريًا بالفعل، ولا يزال ضروريًا».

وافقتها (فيرين) قائلة: «إنه ضروري». لمست جبهتها ثم نظرت إلى العرق على أصابعها. «إنه قوي وعنيد كما قلت يا (مويرين). أقوى بكثير مما توقعت. ربما نضطر إلى ترقيقه في نهاية المطاف قبل...». ثم اتسعت عيناها وقالت: «ولكن لا يمكننا هذا، أليس كذلك؟ النبوءات. فليساحنا (النور) على ما سنطلق سراحه على العالم».

قالت (مويرين) وهي تومئ برأسها: «النبوءات. بعد ذلك سنفعل ما يجب علينا فعله، كما نفعل الآن».

قالت (الأميرلين): «ما يجب علينا فعله. أجل. ولكن عندما يتعلم التسخير فليساعدا (النور) جميعًا».

عاد الصمت من جديد.

كان هناك عاصفة آتية، شعرت (ناينيث) بها. عاصفة كبيرة، أسوأ من أي شيء قد رأته من قبل. باستطاعتها أن تصغي للرياح، وتسمع ما سيكون عليه الطقس. كل الحكيمات يزعمن قدرتهن على هذا، رغم أن عديدًا منهن لا يستطعن هذا. كانت (ناينيث) تشعر براحة تجاه هذه القدرة، قبل أن تعرف أنها تجسد للقوة الواحدة. أي امرأة يمكنها أن تصغي للرياح يمكنها التسخير، رغم أن معظمهن على الأرجح مثلها، لا يدركن ما يفعلنه، ولا يتناهن إلا على فترات متباعدة.

ولكن هذه المرة كان هناك خطب ما. بالخارج كانت شمس الصباح كرة ذهبية في سماء زرقاء صافية، والطيور تغرد في الحداثق، ولكن هذا لم يكن كل شيء. لن يكون هناك فائدة من الإصغاء إلى الرياح إن لم تكن قادرة على التنبؤ بالطقس قبل أن يكون هناك علامات مرئية، ولكن هناك شيئًا خاطئًا في الإحساس

هذه المرة، شيئًا غير معتاد. بدت العاصفة بعيدة للغاية على أن تشعر بها على الإطلاق. ومع ذلك بدا الأمر كما لو أن السماء من فوقها يجب أن تُسقط أمطارًا وثلجًا وبردًا في الوقت ذاته، وأن تعوي الرياح لتتهز أحجار الحصن. وكانت قادرة على أن تشعر أيضًا بالطقس الجيد الذي يجب أن يستمر لعدة أيام أخرى، ولكن هذا الإحساس كان باهتًا تحت الإحساس الآخر.

كان هناك طائر حسون أزرق رابض في فتحة أسهم كأنها يسخر من إحساسها بالطقس، وهو ينظر إلى الردهة. عندما رآها اختفى في وميض من الريش الأبيض والأزرق.

حدقت إلى البقعة التي كان فيها الطائر. هناك عاصفة وليس هناك عاصفة، هذا يعني شيئًا، ولكن ما هو؟ بعيدًا عبر الردهة المليئة بالنسوة والأطفال الصغار رأت (راند) يمشي مبتعدًا، بينما المرأتان اللتان ترافقانه تكادان أن تركضا لمواكبته. أومأت (ناينيث) برأسها في حزم، إن كان هناك عاصفة ليست بعاصفة سيكون هو في مركزها. أمسكت بأطراف تنورتها وأسرت وراءها.

حاولت النساء اللاتي تصادقت معهن منذ مجيئها إلى (فال دارا) أن يتحدثن إليها، إنهن يعرفن أن (راند) قد جاء معها، وأن كليهما من (النهرين)، ويرغبن في معرفة سبب استدعاء (الأميرلين) له. (عرش/أميرلين)! أحست بقبضة ثلجية تعصر معدتها فبدأت تركض، ولكن قبل أن تغادر مساكن النساء كانت قد فقدت أثره في المنعطفات الكثيرة ووراء عدد كبير من الناس.

سألت (نيسورا): «في أي اتجاه ذهب؟». لم تكن بحاجة لأن تقول من، لقد سمعت اسم (راند) في محادثة النساء الأخريات المجتمعات حول الأبواب المقوسة.

«لا أعرف يا (ناينيث)، لقد خرج مسرعًا للغاية، كأننا (مُهلك القلب) نفسه في عقبيه، ويجدر به هذا بعد أن جاء إلى هنا واضعًا سيفًا في حزامه، يجب أن يكون (سيد الظلام) أقل مخاوفه بعد هذا. ما الذي يحدث للعالم؟ كما أنه قد مثل أمام (الأميرلين) في غرفتها. أخبريني يا (ناينيث)، هل هو حقًا أمير في بلدكم؟». توقفت النسوة الأخريات عن الحديث، واقتربن ليستمعن.

لا تذكر (ناينيث) بم أجابتهن، ولكنها قالت شيئًا جعلهن يسمحن لها بالمضي قدمًا. أسرعت مبتعدة عن مساكن النساء، وهي تدير رأسها عند كل ممر متقاطع للبحث عنه، وتضم قبضتيها. ما الذي فعلته به بحق (النور)؟ كان يجب أن أبعده عن (مويرين) بطريقة ما، فليعنها (النور). أنا حكيمة.

جاءها صوت ساخر من أعماقها: هل أنت كذلك حقًا؟ لقد تخلت عن (إيموندز فيلد) وتركتها تدافع عن نفسها. هل لا يزال بإمكانك أن تعتبري نفسك حكيمة؟

قالت لنفسها بشراسة: أنا لم أتخل عنهم، لقد جبلت (ماثرا مالين) من (ديثين رايد) لتعتني بهم حتى أعود. يمكنها أن تتعامل بشكل جيد بما يكفي مع العملة و(مجلس القرية)، كما أنها ستسج مع (دائرة النساء).

ستكون (ماثرا) مضطرة إلى العودة إلى قريتها. لا يمكن لأي قرية أن تستغني عن حكيמתها لوقت طويل. أحست (ناينيث) بمعدتها تتقلص، لقد ابتعدت عن (إيموندز فيلد) لعدة أشهر.

قالت بصوت عالٍ: «أنا حكيمة (إيموندز فيلد)!».

رمش في وجهها خادم يرتدي الثياب الرسمية يحمل لفافة من القماش، ثم انحنى قبل أن يسرع مبتعداً، بدا على وجهه أنه متلهف لأن يكون في أي مكان آخر.

احمر وجه (ناينيف) خجلاً، وتلفتت حولها لترى إن كان هناك أي شخص آخر قد لاحظ الأمر. لم يكن هناك سوى عدد قليل من الرجال في الردهة، منهمكين في محادثاتهم الخاصة، وبعض النسوة في الثياب السوداء والذهبية، منشغلات بأعمالهن، وينحنين لها أثناء مرورها. لقد تشاجرت مع نفسها مئة مرة من قبل، ولكن هذه هي المرة الأولى التي تتحدث فيها إلى نفسها بصوت عالٍ. غمغمت بصوت خفيض، ثم ضمت شفيتها بحزم عندما أدركت ما تفعله.

أدركت أخيراً أن بحثها عديم الجدوى عندما وصلت إلى (لان) وهو يولي ظهره إليها وينظر إلى الفناء الخارجي عبر فتحة أسهم. كان هناك خيول ورجال يصدرون ضجيجاً في الفناء، صهيلاً وصياحاً. كان (لان) غارقاً في أفكاره حتى إنه لأول مرة لم يبدُ عليه أنه قد سمعها. إنها تكره حقيقة أنها لا تستطيع التسلل إليه مطلقاً، مهما كانت خطواتها هادئة. كانت تعد في (إيموندز فيلد) بارعة في التعقب في الغابات، رغم أنها مهارة لا تهتم بها عديد من النساء.

وضعت يديها على بطنها لتهدئ من اضطرابها، وقالت لنفسها بمرارة: يجب أن أتناول جرعة من عشبة الرانيل وجذور لسان الغنم. هذا هو الخليط الذي تمنحه لأي شخص يشعر بالاكئاب أو يزعم أنه مريض أو يتصرف بحماقة. من شأن عشبة الرانيل وجذور لسان الغنم أن تنعشك قليلاً ولا تسبب ضرراً، ولكن طعمها فظيع ويستمر لأيام، إنه العلاج المثالي للحماقة.

استغلت فرصة أنه لا يراها وراحت تتأمل جسده الطويل، متكئاً على الحجر ويداعب ذقنه بينما يتفحص ما يحدث بالأسفل. إنه طويل للغاية، كما أنه كبير السن للغاية حتى إنه يمكنه أن يكون أبي. رجل بوجه كهذا سيكون قاسياً، لا إنه ليس كذلك، لم يكن كذلك قط، كما أنه كان ملكاً. لقد تدمرت أرضه عندما كان طفلاً، ولن يطالب بالعرش، ولكنه كان ملكاً. ما الذي سيريد ملك من امرأة قروية؟ إنه (حام) أيضاً، ومرتبطة (بمويرين)، إنه مخلص لها حتى الموت، برباط أوثق من أي حبيب، وهي تمتلكه. إن لديها كل شيء أريده، فليحرقها (النور)!

أبعد عينيه عن فتحة الأسهم فاستدارت على عقبيه لترحل.

«(ناينيف)». جعلها صوته تتوقف في موضعها كالأنشودة. «كنت أريد أن أتحدث معك على انفراد، يبدو

أنك دوماً ما تكونين في مساكن النساء أو بصحبة شخص ما».

بذلت مجهوداً لتواجهه، ولكنها كانت واثقة من أن ملاحظتها ستكون هادئة عندما تنظر إليه. «أنا أبحث عن (راند)». لن تعترف أنها تتجنبه. «لقد قلنا كل ما نحتاج إلى قوله قبل وقت طويل أنا وأنت، لقد أخرجت نفسي - وهو ما لن أفعله مرة أخرى - وأنت قلت لي أن أبتعد».

«لم أقل قط...». أخذ نفسًا عميقًا. «قلت لك إنه ليس معي ما أقدمه مهرًا سوى ثياب الأرملة، وهي ليست هدية يمكن لأي رجل أن يقدمها لامرأة، ليس رجلًا يمكنه أنه يزعم أنه رجل». قالت بجمود: «أنا أفهم. على أي حال الملك لا يقدم الهدايا لامرأة قروية، وهذه المرأة القروية لن تقبلها منه. هل رأيت (راند)؟ أرغب في الحديث معه. لقد رأى (الأميرلين)، هل تعرف ما الذي كانت تريده منه؟».

توهجت عيناه كجليد أزرق في الشمس. شددت على ساقها لتمنع نفسها من التراجع، وقابلت نظرتة المتوهجة بنظرة مماثلة.

«فليأخذ (سيد الظلام) (راند أثور) و(عرش أميرلين) معًا». قالها وهو يحز على أسنانه ويضع شيئًا في يدها. «سأمنحك هدية وستقبلينها حتى لو اضطررت إلى ربطها بسلسلة حول عنقك».

أبعدت عينيها عنه، إنه يحرق كصقر أزرق العينين عندما يكون غاضبًا. في يدها كان خاتم منقوش ذهبي وثقيل وبال بفعل الزمن، ويكاد أن يكون كبيرًا بما يكفي لأن تضع فيه إبهامها، منقوش عليه كركي يحلق فوق رمح وتاج، بتفاصيل دقيقة للغاية. حبست أنفاسها، خاتم ملوك (مالكير). رفعت وجهها وقد نسيت أن تحرق بنظرة متوهجة. «لا يمكنني أن أخذه يا (لان)».

هز كتفيه بلا اكتراث وقال: «إنه لا شيء، قديم وعديم النفع الآن، ولكن هناك من سيعرفه عندما يراه. إن أظهرت هذا فسيكون لك حق الضيف، والمساعدة إن احتجت إليها، من أي لورد في (البلاد الحدودية). أظهره لأحد (الحماة) وسيمنحك العون أو يحمل لي رسالة. أرسله لي أو رسالة مختومة به، وسأتي إليك دون تأخير ودون تقصير. أقسم بهذا».

صارت حواف رؤيتها ضبابية. إن بكيت الآن فسأقتل نفسي. «لا أستطيع... لا أريد هدية منك يا (ألان ماندراجوران). هاك، خذ».

صد محاولاتها لإعادة الخاتم له، فأحاطت يده بيدها، برفق ولكن بحزم كالأغلال. «إذن خذيه من أجلي، كخدمة تقدمينها لي، أو تخلصي منه إن كنت لا تريدينه، لم يعد ذا فائدة بالنسبة لي». مسح وجنتها بإصبعه فجفلت. «يجب أن أذهب الآن يا (ناينيث ماشيارا)، (الأميرلين) ترغب في الرحيل قبل منتصف النهار، ولا يزال هناك الكثير مما يتعين فعله. ربما سنجد وقتًا للحديث أثناء الرحلة إلى (تار فالون)». دار على عقبيه ورحل وهو يخطو عبر الردهة.

لمست (ناينيث) وجنتها، لا تزال قادرة على الإحساس بالمكان الذي لمسها فيه. (ماشيارا)، إنها تعني حبيبة القلب والروح، ولكنها تعني أيضًا الحب الضائع. ضائع ولا يمكن استعادته. امرأة حمقاء! كفي عن التصرف كفتاة لم تجدل شعرها بعد. لا فائدة من تركه يجعلك تشعرين...

أمسكت الخاتم بإحكام، ودارت على عقبيها، ثم جفلت عندما وجدت نفسها تنظر إلى (مويرين) وجهًا لوجه. سألتها: «منذ متى وأنت هنا؟».

أجابتها (الآيز سيدي) بسلاسة: «ليس طويلاً بما يكفي لأن أسمع شيئاً لا ينبغي لي سماعه. سنرحل قريباً، لقد سمعت هذا، يجب أن تبدئي في حزم أمتعتك».

الرحيل. لم تكن قد استوعبت الأمر عندما قاله (لان). تمتت: «سيكون عليّ توديع الفتية». ثم نظرت إلى (مويرين) نظرة حادة وقالت: «ما الذي فعلته (براند)؟ لقد أخذه إلى (الأميرلين)، لماذا؟ هل أخبرتها بشأن... بشأن...؟». لم تستطع أن تقولها، إنه من قريتها، وكانت أكبر منه بما يكفي لأن تعتني به مرة أو اثنتين عندما كان صغيراً، ولكنها لا تستطيع التفكير فيما صار عليه دون أن تلتوي معدتها.

«ستلتقي (الأميرلين) بثلاثتهم يا (ناينيف). (التاثيرين) ليس شيئاً شائعاً حتى تفوت فرصة رؤية ثلاثة معاً في مكان واحد. ربما ستمنحهم بعض كلمات التشجيع، بما أنهم سيرحلون مع (إنجتار) لتعقب هؤلاء الذين سرقوا (البوق). سيرحلون في نفس الوقت الذي سرحل فيه، لذا من الأفضل أن تسرعني إن كنتِ راغبة في توديعهم».

أسرعت (ناينيف) إلى أقرب فتحة أسهم، وأطلت على الفناء الخارجي. كانت الأحصنة في كل مكان، دواب لحمل البضائع وأحصنة مسرجة، ورجال يسرعون فيما بينها ينادون بعضهم بعضاً. كانت المساحة الخاوية الوحيدة هي التي يستقر فيها هودج (الأميرلين)، وحصانه ينتظران في صبر دون أحد ليعتني بهما. كان بعض (الحماة) هناك ينظرون من فوق خيولهم، وعلى الجانب الآخر من الباحة يقف (إنجتار) مع مجموعة من الشايناريين يرتدون دروعاً. أحياناً ما يعبر أحد (الحماة) أو أحد رجال (إنجتار) أحجار الرصف ليتبادل كلمة.

قالت وهي لا تزال تنظر إلى الخارج: «كان يجب أن أبعد الأولاد عنك». و(إيجوين) أيضاً إن استطعت أن أفعل هذا دون قتلها. بحق (النور)، لم كان يجب أن تولد بهذه القدرة الملعونة؟ «كان يجب أن أعيدهم إلى الديار».

قالت (مويرين) بسخرية: «لقد كبروا بما يكفي للتخلي عن حبال المئزر، وأنت تعرفين جيداً لم لا يمكنكِ مطلقاً أن تفعلي هذا، بالنسبة لواحد منهم على الأقل. كما أن هذا يعني ترك (إيجوين) تذهب إلى (تار فالون) وحدها. أم أنك قررتِ التخلي عن (تار فالون) بنفسك؟ إن لم تتدربي على استخدام (القوة الواحدة) فلن تتمكني أبداً من استخدامها ضدي».

دارت (ناينيف) على عقبيها، لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تغفر فمها. «لا أعرف ما الذي تحدثين عنه».

«هل اعتقدتِ أنني لا أعرف يا طفلي؟ حسناً، كما تشائين. أفترض أن هذا يعني أنك آتية إلى (تار فالون)؟ أجل، لقد ظننت هذا».

أرادت (ناينيف) أن تضربها، أن تتخلص من الابتسامة المقتضبة التي تومض على وجه (الآيز سيدي). لم تقدر (الآيز سيدي) على استخدام القوة بشكل علني منذ (تحطم العالم). ناهيك باستخدام (القوة الواحدة)، ولكنهن يتأمرن ويتلاعبن، يجذبن الخيوط كمحركي الدمى، ويستخدمون العروش والأمم كأحجار على

رقعة لعب. إنها ترغب في استغلالي، إن كانت ستستغل ملكًا أو ملكة فلم لا تستغل حكيمة؟ تمامًا كما تستغل (راند). أنا لست طفلة أيتها (الآيز سيداي).

«ما الذي تفعلينه (براند) الآن؟ ألم تستغليه بما يكفي؟ لا أعرف لم لم ترققيه الآن بينما (الأميرلين) هنا مع كل أولئك (الآيز سيداي) الأخريات، ولكن لا شك أن لديك سببًا، لا شك أنها مؤامرة تحيكيها. إن عرفت (الأميرلين) ما تخططين له فأراهن أنها...».

قاطعتها (مويرين) قائلة: «أي اهتمام محتمل يمكن أن توليه (الأميرلين) لراعي غنم؟ بالطبع إذا لُفت انتباهها إليه بطريقة خاطئة فقد يُرَقَّق، بل وربما يُقتل. لا شيء يمكن أن يغير من حقيقته على أي حال، وهناك غضب كبير بشأن ما حدث الليلة الماضية، وكل شخص يبحث عن يلقى عليه اللوم». صمتت (الآيز سيداي) وتركت الصمت يمتد. حدقت (ناينيف) إليها وهي تجز على أسنانها.

قالت (مويرين) أخيرًا: «أجل، من الأفضل أن نترك الأسد النائم نائمًا. من الأفضل لك أن تبدئي في حزم أمتعتك الآن». ثم تحركت في الاتجاه الذي سلكه (لان)، وبدت كأنها تطفو فوق الأرضية لا تمشي عليها.

تجهمت (ناينيف) وهي تضرب بقبضتها على الجدار، فانغرس الخاتم في راحتها. فتحت يدها لتنظر إليه. بدا أن الخاتم يعزز من غضبها ويركز كراهيتها. سوف أتعلم، تعتقدين أنك تستطيعين الهرب مني لأنك تعرفين. سأتعلم أفضل مما تعتقدين، وسأسقطك بسبب ما فعلته. بسبب ما فعلته (بمات) و (بيرين)، وبسبب (راند) فليساعدته (النور) ويحميه (الخالق)، وخصوصًا بسبب (راند). ثم ضمت يدها حول الدائرة الذهبية الثقيلة. وبسبب ما فعلته بي.

كانت (إيجوين) تراقب خادمة ذات ثياب رسمية تطوي فساتينها في صندوق سفر مغطى بالجلد، وهي لا تزال تشعر بشيء من عدم الارتياح - حتى بعد قرابة شهر من الاعتقاد - لوجود شخص يفعل شيئًا يمكنها جيدًا أن تفعله بنفسها. كانت فساتين جميلة للغاية، وجميعها هدايا من السيدة (أماليسا)، تمامًا مثل فستان ركوب الخيل الحريري الرمادي الذي ترتديه، رغم أن هذا كان بسيطًا باستثناء بعض تطريزات زهور نجمة الصباح البيضاء على صدره. عديد من الفساتين كانت أكثر تفصيلًا، أي فستان منها سيكون مبهرا في (يوم الشمس)، أو في (بل تايين). تنهدت وهي تتذكر أنها ستكون في (تار قالون) أثناء (يوم الشمس) التالي وليس في (إيموندز فيلد). من القليل الذي أخبرتها به (مويرين) عن تدريب المبتدئات - يكاد أن يكون لا شيء حقًا - توقعت ألا تعود إلى الديار في (بل تايين) في الربيع، أو حتى (يوم الشمس) الذي يلي ذلك.

أطلت (ناينيف) برأسها داخل الغرفة وقالت: «هل أنت مستعدة؟». ثم دلفت إلى الداخل. «يجب أن نهبط إلى الباحة قريبًا». كانت ترتدي فستان ركوب خيل أيضًا، من الحرير الأزرق، مع زهور عقدة الحب الحمراء على صدرها.

«أوشكت يا (ناينيف). أكاد أن أشعر بالأسف للذهاب، لا أقترض أنه سيتاح لنا الكثير من الفرص في (تار قالون) لارتداء الفساتين الجميلة التي منحتها لنا (أماليسا)». ثم ضحكت ضحكة مفاجئة وقالت: «ومع ذلك أيتها الحكيمة لن أفتقد قدرتي على الاستحمام دون أن أنظر ورائي طيلة الوقت».

قالت (ناينيف) بحيوية: «من الأفضل بكثير أن يستحم المرء بمفرده». لم تتغير ملامحها ولكن بعد لحظة توردت وجنتاها.

ابتسمت (إيجوين). إنها تفكر بشأن (لان). لا يزال من الغريب التفكير في أن (ناينيف) - الحكيمة - معجبة برجل. لم تعتقد أنه من الحكمة أن تفكر في (ناينيف) على هذا النحو، ولكن مؤخرًا تتصرف الحكيمة بغرابة أحيانًا، كفتاة تعلق قلبها برجل، وهو رجل ليس لديه ما يكفي من العقل ليكون جديرًا بها. إنها تحبه ويمكنني أن أرى أنه يحبها، إذن لماذا لا يمتلك من العقل ما يكفي لأن يعترف بهذا؟

قالت (ناينيف) فجأة: «لا أعتقد أنه يجب أن تناديني بالحكيمة بعد الآن».

رمشت (إيجوين) بعينها. لم يكن هذا مفروضًا عليها، ليس بالضبط، ولا تصر (ناينيف) على هذا، ما لم تكن غاضبة أو تتصرف بشكل رسمي. ولكن هذا... «لم لا؟».

«أنتِ امرأة الآن». نظرت (ناينيف) إلى شعرها غير المجدول، وقاومت (إيجوين) الرغبة في لفه على عجالة ليبدو وكأنه جديدة. (الآيز سيداي) يصفن شعرهن كما يحلو لهن، ولكن ترك شعرها منسدلاً قد صار رمزًا لبدء حياة جديدة. كررت (ناينيف) بحزم: «أنتِ امرأة. نحن امرأتان على مسافة بعيدة من (إيموندز فيلد)، وسيمضي وقت طويل قبل أن نرى الديار مرة أخرى. سيكون من الأفضل أن تناديني (ناينيف) فحسب».

«سنرى الديار مرة أخرى يا (ناينيف)».

قالت (ناينيف) بفضافة: «لا تحاولي طمأننة الحكيمة يا فتاة». ولكنها مع ذلك ابتسمت.

تعالى صوت طرقات على الباب، ولكن قبل أن تفتحه (إيجوين) دخلت (نيسورا) والاضطراب يكسو وجهها. «ذلك الشاب رفيقكم يحاول دخول مساكن النساء». بدت وكأنها تتحدث عن فضيحة. «وهو يحمل سيفًا. فقط لأن (عرش أميرلين) قد سمحت له بالدخول بهذه الطريقة... من المفترض أن يكون اللورد (راند) أكثر عقلًا، إنه يسبب اضطرابًا، يجب أن نتحدثي معه يا (إيجوين)».

قالت (ناينيف) في سخرية: «اللورد (راند)، هذا الشاب يتصرف بعجرفة. عندما أضع يدي عليه سأعلمه بعض التواضع».

وضعت (إيجوين) يدها على ذراع (ناينيف) وقالت: «دعيني أتحدث إليه على انفراد يا (ناينيف)».

«حسنًا، لا بأس. إن أحسن الرجال ليسوا أفضل من حيوانات مروضة». صمتت (ناينيف) ثم قالت كأنها تتحدث نفسها: «ولكن أحسنهم يستحقون عناء الترويض».

هزت (إيجوين) رأسها وهي تلحق (بنيسورا) إلى الردهة. قبل نصف عام لم تكن (ناينيف) لتضيف الجزء الثاني مطلقًا، ولكنها لن تروض (لان) أبدًا. انتقلت أفكارها إلى (راند)، هل يسبب اضطرابًا حقًا؟ تمت:

«ترويضه؟ إن لم يكن قد تعلم السلوك الحسن بحلول هذا الوقت فسأسلخه حيًّا».

قالت (نيسورا) وهي تمشي متعجلة: «أحيانًا يكون هذا ما يتطلبه الأمر، الرجال لا يصبحون متحضرين حتى يتزوجوا». ثم نظرت إلى (إيجوين) نظرة جانبية وقالت: «هل تنوين الزواج من اللورد (راند)؟ لا أقصد الطفل، ولكنك ذاهبة إلى (البرج الأبيض)، ونادرًا ما تتزوج (الآيز سيدي). لم تتزوج إحداهن ما عدا بعض (الخضر اوات)، هذا ما سمعته، وليس الكثير منهن و...».

استطاعت (إيجوين) أن تستنتج البقية، لقد سمعت حديثًا في مساكن النساء عن زوجة مناسبة (لراند). في البداية كان هذا يصيبها بالغيرة والغضب، لقد كان موعودًا لها منذ أن كان طفلًا، ولكنها ستذهب لتصير (آيز سيدي)، وهو ما هو عليه؛ رجل يمكنه التسخير. يمكنها الزواج منه وأن تراقبه وهو يصاب بالجنون، تراقبه وهو يموت، الطريقة الوحيدة لإيقاف هذا ستكون تربيته. لا يمكنني أن أفعل هذا به، لا أستطيع. قالت في حزن: «لا أعرف».

أومأت (نيسورا) برأسها وقالت: «لا أحد يعرف أفضل منك، ولكنك ذاهبة إلى (البرج)، وسيكون زوجًا صالحًا، بمجرد تربيته. ها هو ذا».

كانت النساء مجتمعات حول مدخل مساكن النساء، من الداخل والخارج، حيث يراقبن جميعًا ثلاثة رجال في الردهة بالخارج؛ (راند) متقلدًا سيفه فوق معطفه الأحمر، يواجهه (أجيلمار) و(كاجين)، لم يكن أي منهما يحمل سيفًا، حتى بعد ما حدث في الليل، فهذه لا تزال مساكن النساء. توقفت (إيجوين) في مؤخرة الحشد. كان (أجيلمار) يقول: «أنت تفهم لم لا تستطيع الدخول. أعرف أن الوضع مختلف في (أندور)، ولكنك تفهم؟».

«أنا لا أحاول الدخول». بدا (راند) وكأنه قد شرح كل هذا أكثر من مرة بالفعل. «لقد أخبرت السيدة (نيسورا) أنني أرغب في رؤية (إيجوين)، وقالت إن (إيجوين) مشغولة، وإن عليَّ الانتظار. كل ما فعلته هو أنني ناديتها من عند الباب، لم أحاول الدخول. ستظن أنني نطقت باسم (سيد الظلام) بسبب الطريقة التي تصرفن بها معي».

قال (كاجين): «النساء هن أساليهن». كان طويلًا بالنسبة لكونه شائناري، يكاد أن يكون بنفس طول (راند)، نحيفًا وشاحبًا، وعقدة الشعر فوق رأسه سوداء داكنة. «إنهن يضعن قواعد مساكن النساء، ونحن نلتزم بها حتى عندما تكون حمقاء». رفعت بعض النساء حواجبهن، فتنحج على الفور وقال: «يجب عليك أن ترسل رسالة إن أردت الحديث إلى إحدى النساء، ولكنهن سيخترن متى يوصلنها، وسيكون عليك الانتظار حتى ذلك الحين. هذه هي عاداتنا».

قال (راند) في عناد: «يجب أن أراها، نحن سنرحل قريبًا. ليس قريبًا بما يكفي بالنسبة لي، ولكن لا يزال عليَّ أن أرى (إيجوين). نحن سنعيد (بوق فالير) والخنجر، وهذه ستكون نهاية الأمر. ولكنني أرغب في رؤيتها قبل الرحيل». عقدت (إيجوين) حاجبها، لقد بدا غريبًا.

قال (كاجين): «لا داعي لأن تكون حادًا هكذا. أنت و(إنجتار) ستجدان (البوق)، وإن لم تجدها فسيستعيده غيركما، (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، ونحن لسنا سوى خيوط في (النمط)».

قال (أجيلمار): «لا تدع (البوق) يسيطر عليك يا (راند)، باستطاعته أن يسيطر على المرء - أعرف كيف يمكنه هذا - وهذا ليس صوابًا، يجب على المرء أن يسعى لتحقيق الواجب وليس المجد، ما سيحدث سيحدث، إن كان من المقدر أن يتعالى نفير (بوق فالير) من أجل (النور) فهذا ما سيحدث».

قال (كاجين) عندما لمح (إيجوين): «ها هي عزيزتك (إيجوين)».

تلقت (أجيلمار) حوله، ثم أومأ برأسه عندما رآها بصحبة (نيسورا) وقال: «سأتركك في يديها يا (راند ألتور)، تذكر أن كلماتها هي القانون هنا وليس كلماتك، لا تقسي عليه يا سيدة (نيسورا)، كان يرغب فقط في رؤية فتاته، وهو لا يعرف تقاليدنا».

لحقت (إيجوين) (نيسورا)، بينما المرأة الشاينارية تشق طريقها بين النسوة المتفرجات. أومأت (نيسورا) برأسها في إيماءة مقتضبة (لأجيلمار) و(كاجين)، إيماءة من الواضح أنها لم تتضمن (راند). كان صوتها حازمًا: «لورد (أجيلمار)، لورد (كاجين)، من المفترض أن يكون قد عرف تقاليدنا بحلول هذا الوقت، ولكنه أكبر من أن نصفعه على مؤخرته، لذا سأترك (إيجوين) تتعامل معه».

ربت (أجيلمار) على كتف (راند) بشكل أبوي وقال: «هل ترى؟ ستحدث معها، حتى لو لم يكن بالطريقة التي أردتها بالضبط. هيا بنا يا (كاجين)، لا يزال أماننا الكثير لنعني به، لا تزال (الأميرلين) مصرة على...». خفت صوته بينما يبتعد بصحبة الرجل الآخر. ظل (راند) واقفًا يحدق إلى (إيجوين).

أدركت (إيجوين) أن النسوة ما زلن يراقبن ما يحدث، يراقبها هي أيضًا مثل (راند)، ينتظرن رؤية ما ستفعله. إذن من المفترض أن أتعامل معه، أليس كذلك؟ ومع ذلك شعرت أنها تتعاطف معه. إن شعره بحاجة للتمشيط، ووجهه يظهر عليه الغضب والتحدي والتعب. قالت له: «فلتمش معي».

تعالت التتمتات من ورائهما وهو يمشي عبر الردهة إلى جانبها مبتعدين عن مساكن النساء. بدا أن هناك صراعًا بداخل (راند)، كأنها يبحث عما يقوله.

قالت أخيرًا: «لقد سمعت بشأن... جرأتك، لقد جئت إلى مساكن النساء الليلة الماضية متقلدًا سيفك. كنت تتقلد سيفًا أثناء مقابلتك (عرش أميرلين)». ظل صامتًا واكتفى بالسير إلى جانبها وهو يحدق إلى الأرضية عاقدًا حاجبيه. «إنها لم... تؤذك، أليس كذلك؟». لم تستطع حمل نفسها على سؤاله إن كان قد رُقّق. لم يبدُ مرققًا على الإطلاق، ولكن لم يكن لديها أدنى فكرة عما يكون عليه الرجل بعد تربيته.

انتفض قائلاً: «لا، إنها لم... (إيجوين)، إن (الأميرلين)...». هز رأسه. «إنها لم تؤذي».

راودها إحساس بأنه كان سيقول شيئًا مختلفًا، عادة ما يمكنها اكتشاف ما يريد إخفاءه عنها، ولكن عندما يريد أن يكون عنيّدًا حقًا يكون من الأسهل عليها انتزاع قزميدة من الجدار بأظافرهما. أدركت من إطباقه على فكه أنه في أكثر حالات العناد في هذه اللحظة.

«ما الذي تريده منك يا (راند)؟».

«لا شيء ذا أهمية. أنا (تافيرين)، كانت ترغب في رؤية (تافيرين)». لان وجهه وهو ينظر إليها قائلاً: «ماذا عنك يا (إيجوين)؟ هل أنت بخير؟ قالت (مويرين) إنك ستكونين بخير، ولكنك كنتِ ساكنة للغاية، حتى إنني اعتقدت في البداية أنك ميتة».

ضحكت وقالت: «حسنًا، أنا لست ميتة». لم تستطع أن تتذكر أي شيء قد حدث بعد أن طلبت من (مات) أن يذهب معها إلى السرايب، ليس قبل أن تستيقظ في فراشها هذا الصباح، وبعد ما سمعته عما حدث في تلك الليلة فإنها سعيدة أنها لا تتذكر. «قالت (مويرين) إنها كانت ستترك لي صداغًا لكوني حمقاء، لو أنها كانت قادرة على شفاء كل شيء وترك الصداغ، ولكنها لم تقدر».

تمتم قائلاً: «قلت لك إن (فاين) خطير. قلت لك هذا ولكنك لم تصغي إلي».

قالت بحزم: «إن كان هذا ما تريد أن تتحدث عنه فسأعيدك إلى (نيسورا)، لن نتحدث إليك مثلي. آخر رجل حاول اقتحام مساكن النساء أمضى شهرًا غارقًا حتى مرفقيه في الماء والصابون، وهو يساعد في غسل ملابس النساء، وكان فقط يحاول إيجاد خطيئته، فكان لديه حجة. على الأقل كان يعرف أن عليه ألا يتقلد سيفه. (النور) وحده يعرف ما الذي سيفعلونه بك».

قال مزيجًا: «الجميع يرغبون في فعل شيء بي، الجميع يرغبون في استغلالي من أجل شيء ما. حسنًا، لن أسمح باستغلالي. بمجرد أن نجد (البوق) وخنجر (مات) فلن أسمح باستغلالي مرة أخرى».

أمسكت بكتفيه وجعلته يواجهها، ثم حدقت إليه في غضب وقالت: «إن لم تبدأ في التحدث بعقلانية يا (راند أثور) فأقسم أنني سألكمك في أذنك».

قال ضاحكًا: «الآن تتحدثين مثل (ناينيف)». ولكن بينما ينظر إليها تلاشت ضحكته. «أفترض... أفترض أنني لن أراك مرة أخرى. أعرف أنك ذاهبة إلى (تار قالون)، أعرف هذا، وستصبحين (آيز سيداي). لقد اكتفيت من (الآيز سيداي) يا (إيجوين)، لن أكون دمية في أيديهن، ليس في يدي (مويرين)، ولا أي واحدة أخرى منهن».

لقد بدا ضائعًا للغاية حتى إنها أرادت أن تضع رأسه على كتفها، وبدا عنيذًا للغاية حتى إنها أرادت حقًا أن تلصقه في أذنيه. «اسمعي أيها الثور العظيم، سأصير (آيز سيداي) وسأجد طريقة لمساعدتك، سأفعل هذا».

«في المرة التالية التي سترينني فيها على الأرجح سترغبين في تريقي».

تلقت حولها على الفور، كانا وحدهما في الردهة الطويلة. «إن لم تحترس لسانك فلن أكون قادرة على مساعدتك، هل ترغب في أن يعرف الجميع؟».

قال: «الكثيرون يعرفون بالفعل. أتمنى لو أن الأمور كانت مختلفة يا (إيجوين)، ولكنها ليست كذلك. أتمنى... اعتني بنفسك وعديني أنك لن تختاري (الآجاه الحمراء)».

صارت رؤيتها غائمة بفعل الدموع وهي تحيطه بذراعيها. قالت بضراوة وهي تضع وجهها في صدره: «فلتعتن بنفسك. إن لم تفعل هذا فسوف... سوف...». خُيِّلَ إليها أنها تسمعه يتمم قائلاً: «أحبك». ثم أزاح ذراعيها وهو يبعتها عنه برفق. دار على عقبيه وبدأ يمشي مبتعداً عنها، يكاد أن يركض. جفلت عندما لمست (نيسورا) ذراعها. «يبدو كأنك قد كلفتَه بمهمة لن يستمتع بها، ولكن لا يجب أن تتركه يراكِ تبكين بسببها، هذا ينفي الغرض من الأمر. تعالي، (ناينيف) ترغب في رؤيتك». مسحت (إيجوين) وجنتيها ثم لحقت بالمرأة الأخرى. اعتنِ بنفسك أيها الأحقق العنيد. اعتنِ به أيها (النور).

الفصل التاسع

الوداع

كان الفناء الخارجي في حالة من الاضطراب عندما وصل إليه (راند) أخيرًا بأكياس سرجه والحزمة التي تحتوي على القيثارة والمزمار. كانت الشمس قد توسطت السماء في منتصف الظهيرة. أسرع الرجال من حول الخيول يجذبون أحزمة السروج، وأربطة الأكياس، مع تعالي الأصوات. اندفع الآخرون لإجراء تعديلات أخيرة على أكياس السروج، أو لجلب الماء للعاملين، أو لإحضار شيء قد تذكره في اللحظات الأخيرة، ولكن بدا على الجميع أنهم يعرفون بالضبط ما يفعلونه وإلى أين هم ذاهبون. صارت شرفات ممرات الحرس وشرفات رماة الأسهم مزدحمة مرة أخرى، والجو مفعم بالإنارة في الصباح. قرقت الحوافر على أحجار الرصف، وبدأ أحد أحصنة البضائع يضرب بقوائمه فأسرع عمال الإسطبل لتهدئته. كانت الهواء معبأًا برائحة الخيول، وحاولت عباءة (راند) أن تحقق في النسيم الذي يحرك رايات الصقور المنقضة على الأبراج، ولكن قوسه المعلق على ظهره أعاق طريقها.

من خارج البوابات المفتوحة جاءت أصوات حاملي الرماح ورماة الأسهم التابعين (للأميرلين)، وهم يجتمعون في الساحة. كانوا قد خرجوا من بوابة جانبية، وراح أحد عازفي الأبواق يختبر بوقه.

بعض (الحماة) نظروا إلى (راند) وهو يسير عبر الفناء، ورفع بعضهم حاجبًا عندما رأوا السيف الذي يحمل علامة البلشون، ولكن أيًا منهم لم يقل شيئًا. نصفهم يرتدي العباءات التي يكون النظر إليها مثيرًا للغثيان. كان (ماندارب) - حصان (لان) - موجودًا هناك، طويلًا وأسود، بعينين متقدتين، ولكن (لان) نفسه لم يكن موجودًا. ولم يكن هناك أي وجود لأي من (الآيز سيدي) ولا أي من النساء. كانت (آلديب) - فرس (مويرين) البيضاء - تقف برشاقة إلى جانب الحصان.

كان حصان (راند) مع المجموعة الأخرى على الجانب الآخر من الباحة، مع (إنجتار) ورجل يحمل راية (إنجتار) ذات البومة الرمادية، وعشرين رجلًا مدرعًا آخر يحملون رماحًا تعلوها نصال من الفولاذ بطول قدمين، وقد امتطوا جميعًا الخيول بالفعل. كانت قضبان خوذاتهم تغطي وجوههم، ومعاطف الدروع الذهبية التي تحمل علامة الصقر الأسود في موضع الصدر تخفي دروعهم المصنوعة من الصفائح المعدنية والزردي. وحده (إنجتار) كان يرتدي خوذة عليها شعار هلال فوق جبينه يشير إلى الأعلى. تعرف (راند) على بعض الرجال؛ (أونو) ذي اللسان السليط، بندبة طويلة على وجهه وعين واحدة، (راجان) و(ماسيما)، وآخرين قد تبادل معهم كلمة أو لعب معهم لعبة الأحجار. لَوَّح له (راجان) وأوماً (أونو) برأسه، ولكن (ماسيما) لم يكن الوحيد الذي نظر إليه نظرة باردة قبل أن يشيح بوجهه. كانت أحصنة البضائع تقف هادئة وهي تؤرجح ذيلها.

راح حصان (راند) يتراقص بينما (راند) يربط أكياس سرجه وحزمته وراء السرج المرتفع. وضع قدمه في الركاب وتمتم: «على رسلك يا (ريد)». ثم اعتلى السرج ولكنه ترك الحصان يفرغ بعضًا من طاقته التي كانت مقيدة في الإسطبل.

لدهشة (راند) ظهر (لويال) من ناحية الإسطبلات على صهوة حصانه لينضم إليهم. كان حصان (الأوجير) مشعرًا وضخمًا وثقيلًا كأحد الخيول (الدورانية). بجانبه تبدو كل الخيول الأخرى بحجم (بيلا). ولكن مع وجود (لويال) في السرج بدا الحصان وكأنه مُهر.

لم يكن (لويال) يحمل سلاحًا يمكن (لراند) رؤيته، لم يسمع من قبل عن (أوجير) يستخدم سلاحًا، إن ملاذاتهم تمثل حماية كافية، وكان لدى (لويال) أولويات خاصة، وأفكاره الخاصة حيال ما يحتاج إليه من أجل الرحلة. كانت جيوب معطفه الطويل منتفخة بشكل واضح، وتُظهر أكياس سرجه البصمات المربعة للكتب.

وقف (الأوجير) بحصانه على مسافة قريبة من (راند) ونظر إليه وأذناه ترتعشان في تردد. قال (راند): «لم أكن أعرف أنك قادم، اعتقدت أنك قد اكتفيت من السفر معنا، هذه المرة لا أحد يعرف كم ستطول الرحلة، أو أين سينتهي بنا المطاف».

ارتفعت أذنا (لويال) قليلًا ثم قال: «لم أكن أعرف أيضًا عندما التقيت بك للمرة الأولى، وما حفزني حينها يحفزني الآن. لن أترك الفرصة تفوتني لرؤية التاريخ وهو ينسج نفسه حول (تافيرين). والمساعدة في العثور على (البوق)...».

جاء (مات) و(بيرين) بحصانيهما ليقفا وراء (لويال). بدا في عيني (مات) أنه متعب بعض الشيء، ولكن وجهه كان متوردًا بالصحة.

قال (راند): «أعذر عما قلته يا (مات). لم أقصد هذا يا (بيرين). كنتُ غبيًا». اكتفى (مات) بالنظر إليه، ثم هز رأسه وقال شيئًا لـ(بيرين) لم يتمكن (راند) من سماعه. لم يكن (مات) يحمل سوى قوسه وجعبته، ولكن (بيرين) كان يضع فأسه أيضًا في حزامه، بنصله الكبير على هيئة نصف قمر متوازن على شوكة سميكة.

«(مات)؟ (بيرين)؟ أنا حقًا لم...». تحركا بحصانيهما ناحية (إنجتار). قال (لويال): «هذا ليس معطفًا مناسبًا للسفر يا (راند)».

خفض (راند) بصره لينظر إلى الأشواك الذهبية التي تتسلق كمه القرمزي، ثم تجهم. لا عجب أن (مات) و(بيرين) لا يزالان يعتقدان أنني أتصرف بكبرياء. عندما عاد إلى غرفته وجد أن كل شيء قد حُزم بالفعل وحُمل بعيدًا. كل المعاطف البسيطة التي مُنحت له كانت على صهوة أحصنة البضائع، هكذا قال الخدم. وكل معطف تُرك في خزانة الملابس كان مزخرفًا مثل الذي يرتديه إن لم يكن أكثر. لم يكن هناك أي ثياب في أكياس سرجه باستثناء بعض القمصان وبعض الجوارب الصوفية وسروالًا إضافيًا. على الأقل قد انتزع

الشريط الذهبي من كمه. على الرغم من أنه كان يحمل دبوس الصقر الأحمر في جيبه، فقد كان هدية من (لان) على أي حال.

تمتم قائلاً: «سأبدل ثيابي عندما نتوقف الليلة». ثم أخذ نفساً عميقاً وقال: «لقد قلت لك أشياء يا (لويال) ما كان ينبغي أن أقولها، وآمل أن تسامحني. لديك كل الحق في أن تحاسبني على ما قلته، ولكنني آمل أنك لن تفعل هذا».

ابتسم (لويال) وانتصبت أذناه، ثم اقترب بحصانه وقال: «أنا أقول أشياء لا ينبغي قولها طيلة الوقت. يقول الكبراء إنني دومًا ما أتحدث قبل ساعة من تفكيري».

فجأة صار (لان) واقفًا عند ركاب (راند)، مرتديًا درعه ذي اللونين الرمادي والأخضر الذي يجعله مختلفًا في الغابة أو الظلمة، ثم قال: «أريد أن أتحدث معك أيها الراعي». ثم نظر إلى (لويال) وقال: «وحدنا لو سمحت أيها (البناء)». أوماً (لويال) برأسه وتحرك مبتعدًا بحصانه الضخم.

قال (راند) (للحامي): «لست متيقنًا إن كان عليّ أن أستمع لك، هذه الثياب الفاخرة، وكل الأشياء التي قلتها لي، لم تساعدني كثيرًا».

«عندما لا تتمكن من تحقيق انتصار كبير أيها الراعي يكون عليك أن تتعلم الرضا بالانتصارات الصغيرة. إن جعلتهم يعتقدون أنك أكثر من مجرد صبي مزارع يسهل التعامل معه فستكون قد حققت انتصارًا صغيرًا. الآن اصمت واستمع إليّ، ليس لديّ وقت إلا لدرس واحد أخير، وهو الأصعب؛ (غمد السيف)».

«لقد قضيت ساعة كل صباح تجعلني لا أفعل شيئًا سوى أن أستل هذا السيف اللعين وأعيده إلى غمده، واقفًا وجالسًا ومستلقيًا. أعتقد أن باستطاعتي أن أعيده إلى غمده دون أن أجرح نفسي».

قال (الحامي) مزجرًا: «قلت استمع إليّ أيها الراعي، سيأتي وقت يتعين عليك فيه تحقيق هدفك بأي ثمن، سيكون هذا بالهجوم أو الدفاع، والطريقة الوحيدة ستكون السماح لسيفك أن يُعتمد في جسدك».

قال (راند): «هذا جنون، لمَ قد...».

قاطعه (الحامي): «ستعرف عندما يحين الوقت أيها الراعي، عندما يكون المكسب يستحق الثمن، وعندما لا يتبقى لك أي خيار آخر. هذا يسمى (غمد السيف)، تذكره جيدًا».

ظهرت (الأميرلين) وهي تخطو عبر الفناء المزدهم، بصحبة (لياني) وعصاها، واللورد (أجيلمار) إلى جانبها. حتى في معطفه المخملي الأخضر لم يبدُ لورد (فال دارا) في غير مكانه وسط هذا العدد الكبير من الرجال المدرعين. ما زال لا يوجد أي أثر (للآيز سيداي) الأخريات. بينما يمرون من جوار (راند) التقط جزءًا من محادثتهم.

كان (أجيلمار) يقول محتجًا: «ولكنك لم تحظي بوقت للراحة من رحلتك إلى هنا أيتها الأم. فلتبقي على الأقل لبضعة أيام أخرى. أعدك أن وليمة الليلة لن تنالي مثلها في (تار فالون)».

هزت (الأميرلين) رأسها دون أن تبطئ من حركتها وقالت: «لا أستطيع يا (أجيلمار)، أنت تعرف أنني سأفعل هذا لو كان باستطاعتي. لم أخطط للبقاء لوقت طويل، وهناك أمور ملحة تتطلب وجودي في (البرج الأبيض). يجب أن أكون هناك الآن».

«يخجلني أيتها الأم أن تأتي في يوم وتغادري في اليوم التالي. أقسم لك أن ما حدث الليلة الماضية لن يتكرر، لقد ضاعفت الحراسة على أبواب المدينة وكذلك الحصن ثلاث مرات. لدي بهلوانات من البلدة وهناك شاعر قادم من (موس شيرار)، بل إن الملك (إيسار) قادم من (فال موران)، لقد أرسلت الخبر بمجرد أن...».

خفت أصواتهم وهم يقطعون الباحة ويتلعبون الضجيج الزحام. لم تنظر (الأميرلين) ولو نظرة واحدة تجاه (راند).

عندما خفض (راند) بصره كان (الحامي) قد اختفى، ولم يستطع أن يراه في أي مكان. اقترب (لويال) بحصانه ليقف إلى جانب (راند) وقال: «هذا الرجل من الصعب ملاحظته، أليس كذلك يا (راند)؟ إنه ليس هنا، وبعدها يكون هنا، ثم يختفي، ولا تراه يذهب أو يجيء».

(غمدة السيف). ارتجف (راند). لا شك أن (الحماة) جميعهم مجانيين.

فجأة قفز (الحامي) - الذي كانت (الأميرلين) تتحدث معه - إلى سرجه، ثم أسرع بحصانه ناحية البوابات المفتوحة. ظلت واقفة وهي تراقبه يبتعد، وبدا من وقفته كأنها تحته على الإسراع.

تساءل (راند) بصوت عالٍ: «إلى أين يذهب بمثل هذه العجالة؟».

قال (لويال): «سمعت أنها سترسل شخصًا اليوم إلى (آراد دومان)، هناك أنباء عن بعض المتاعب في (سهل ألوث)، وترغب (عرش أميرلين) في معرفة طبيعة هذه المتاعب بالضبط. ما لا أفهمه هو لماذا الآن، حسبما سمعت فإن الشائعات عن هذه المتاعب قد جاءت من (تار فالون) مع (الآيز سيديا)».

أحس (راند) بقشعريرة باردة، كان لدى والد (إيجوين) في الديار خريطة كبيرة، لطالما تفحصها (راند) مرارًا وتكرارًا، حينما كان يحلم قبل أن تتحول الأحلام إلى واقع. كانت خريطة قديمة تظهر بعض الأراضي والبلاد، التي يقول التجار من الخارج إنها لم تعد موجودة. ولكن الخريطة توضح (سهل ألوث)، الذي يناطح (تومان هيد). سالتني مرة أخرى في (تومان هيد). إنها على الناحية الأخرى من العالم الذي يعرفه، على (محيط آريث). همس قائلاً: «هذا الأمر ليس له علاقة بنا. ليس له علاقة بي».

لم يبدُ على (لويال) أنه قد سمع ما قاله. راح (الأوجير) يفرح بجانب أنفه بإصبعه الغليظة وهو لا يزال يحدق إلى البوابة التي اختفى عبرها (الحامي)، ثم قال: «إذا أرادت أن تعرف فلم لم ترسل شخصًا قبل أن تغادر (تار فالون)؟ ولكن أنتم أيها البشر دومًا ما تكونون مُفاجئين ومنفعلين، دومًا ما تقفزون وتصرخون». انتصبت أذناه في إحراج وقال: «المعذرة يا (راند)، الآن ترى ما أعنيه بأنني أتحديث قبل أن أفكر، أنا نفسي أحيانًا ما أكون مندفعًا ومنفعلاً كما تعرف».

ضحك (راند). كانت ضحكة باهتة، ولكنه أحس بالارتياح لوجود شيء يُضحكه. «ربما لو عشنا طويلاً مثل (الأوجير) لكننا أكثر استقراراً». إن (لويال) يبلغ من العمر تسعين عاماً، ولكنه وفقاً لمعايير (الأوجير) ليس كبيراً بما يكفي ليكون خارج الملاذ بمفرده، بل أمامه على الأقل عشر سنوات أخرى. ولكنه يؤكد أن رحيله على أي حال دليل على تهوره. فكر (راند) أنه إن كان (لويال) (أوجيراً) سريع الانفعال فلا شك أن معظمهم مصنوعون من الحجر.

قال (لويال) متعجباً: «ربما الأمر كذلك، ولكن أنتم البشر تفعلون الكثير في حياتكم، نحن لا نفعل شيئاً سوى الانطواء على أنفسنا في ملاذاتنا. إن زراعة البساتين، بل وحتى البناء، كل ذلك كان قبل انتهاء (المنفى الطويل)». إن هذه البساتين هي ما يعتز به (لويال) كثيراً، وليس المدن التي يتذكر البشر أن (الأوجير) قد بنوها، إنها البساتين التي قد زُرعت لتذكير (الأوجير البنائين) بالملاذ، والتي ترك (لويال) وطنه لكي يراها. «منذ أن عثرنا على طريق العودة إلى الملاذ ونحن...». بتر جملة مع اقتراب (الأميرلين).

تحرك (إنجتار) والرجال الآخرون في سروجهم استعداداً للترجل والركوع، ولكنها أشارت لهم أن يبقوا حيث هم. كانت (لياني) تقف إلى جانبها، و(أجيلمار) على مسافة خطوة من ورائها. وبدا من التعبير الكئيب المرتسم على وجهه أنه قد تخلّى عن محاولة إقناعها بالبقاء لوقت أطول.

نظرت إليهم (الأميرلين) واحداً تلو الآخر قبل أن تتحدث، ولم تستقر نظرتها على (راند) أكثر من أي شخص آخر.

قالت أخيراً: «فليبارك السلام سيفك يا لورد (أجيلمار). المجد (للبنائين) يا (لويال كايسيران)». «أنتِ تشرفيننا أيتها الأم. فليبارك السلام (تار قالون)». انحنى (إنجتار) في سرجه، وكذلك فعل الشايناريون الآخرون.

قال (لويال) وهو ينحني: «كل الشرف (لتار قالون)».

فقط (راند) وصديقه الواقفان على الجانب الآخر من الحشد ظلوا منتصبين. تساءل عما ستقوله لهم. نظرت (لياني) إلى ثلاثتهم وهي تعقد حاجبيها، واتسعت عينا (أجيلمار)، ولكن لم يبدُ على (الأميرلين) أنها قد لاحظت الأمر.

قالت: «أنتم ذاهبون للعثور على (بوق قالير)، ويصحبكم أمل العالم. لا يمكن ترك (البوق) في الأيدي الخاطئة، وخصوصاً أيدي أصدقاء الظلام. هؤلاء الذين سيلبون النداء سيأتون بغض النظر عن سينفخ فيه، وهم مقيدون إلى (البوق) لا إلى (النور)». سرت غمغمة بين الرجال المستمعين، الجميع يعتقدون أن هؤلاء الأبطال العائدين من القبر سيقاتلون من أجل (النور). إن كان من المحتمل أن يقاتلوا بدلاً من ذلك من أجل (الظل)...

واصلت (الأميرلين) الحديث، ولكن (راند) لم يعد يصغي. لقد عاد المراقب. انتصب الشعر على مؤخرة عنقه، نظر لأعلى ناحية شرفات الرماة المكتظة المطلة على الباحة، وإلى صفوف الناس المتكدسين على طول

ممرات الحرس أعلى الأسوار. في مكان بينهم توجد عينان غير مرئيتين تلاحقانه. علقت به النظرة كزيت قدّر. من المستحيل أن يكون (عائماً)، ليس هنا. من إذن؟ أو ماذا؟ التف في سرجه وهو يجذب (ريد) ليدور حول نفسه مفتشاً. بدأ الحصان يرقص مرة أخرى.

فجأة ومض شيء أمام وجه (راند)، صرخ رجل يمر من وراء (الأميرلين) قبل أن يسقط، ومن جانبه يبرز سهم أسود اللون. ظلت (الأميرلين) واقفة بهدوء وهي تنظر إلى تمزق في كمها، والدماء تلتطخ ببطء الحرير الرمادي.

صرخت امرأة، وفجأة ضجت الساحة بالصرخات والصيحات. كان الرجال على الأسوار يمشون في غضب، وكل رجل في الباحة قد استل سيفه. تفاجأ (راند) عندما أدرك أنه قد استل سيفه بدوره. صرخ (أجيلمار) وهو يرفع سيفه: «اعثروا عليه! اجلبوه لي!». تحول احتقان وجهه إلى امتقاع عندما رأى الدماء على كم (الأميرلين). هوى على ركبتيه وهو يحني رأسه قائلاً: «اغفري لي أيتها الأم، لقد فشلت في حمايتك. أشعر بالخزي».

قالت (الأميرلين): «لا تقل هذا يا (أجيلمار). كفي عن انزعاجك بشأني يا (لياني) واعتني بهذا الرجل، لقد أصبت نفسي بجرح أسوأ من هذا أكثر من مرة وأنا أنظف السمك، وهو يحتاج إلى المساعدة الآن. قف يا (أجيلمار)، قف يا لورد (فال دارا)، أنت لم تخذلني، ولا حاجة لأن تشعر بالخزي. في العام الماضي في (البرج الأبيض)، بينما حراسي على كل بوابة و(الحماة) في كل مكان من حولي، اقترب رجل يحمل سكيناً على مسافة خمسة أقدام مني، لا شك أنه من أصحاب العباءات البيضاء، رغم أنني لا أملك دليلاً. أرجوك قف وإلا سأشعر بالخزي». بينما ينهض (أجيلمار) ببطء راحت تتحسس كمها الممزق. «تصويب سيئ بالنسبة لرام من أصحاب العباءات البيضاء، أو حتى من أصدقاء الظلام». ثم رفعت عينيها لتتأمل (راند) وقالت: «هذا إن كان يصوب ناحيتي». أبعدت نظرتها قبل أن يتمكن من قراءة أي شيء من تعابير وجهها، ولكنه أحس فجأة بالرغبة في التراجع والاختباء.

لم يكن يصوب ناحيتها، وهي تعرف هذا.

انتصبت (لياني) من حيث كانت جالسة، شخص ما قد وضع عباءة على وجه الرجل الذي قد تلقى السهم. قالت بصوت متعب: «لقد مات أيتها الأم. لقد مات قبل أن يلمس الأرض. حتى لو كنت إلى جانبه...».

«لقد فعلت ما بوسعك يا ابنتي، لا يمكن علاج الموت».

اقترب (أجيلمار) وقال: «إن كان هناك قتلة من أصحاب العباءات البيضاء في الأنحاء، أو حتى من أصدقاء الظلام، فيجب أن تسمح لي بإرسال رجال معك أيتها الأم، حتى تصلي إلى النهر على الأقل. لن أتمكن من العيش إن أصابك أذى في (شاينار). أرجوك عودي إلى مساكن النساء. سأحرص على حمايتها بحياتي حتى تكوني مستعدة للرحيل».

قالت له: «على رسلك، هذا الخدش لن يؤخرني لحظة. أجل، أجل، سأقبل أن يصحبني رجالك حتى النهر بكل سرور إن كنت مصرًا، ولكنني لن أسمح لهذا أن يؤخر اللورد (إنجتار) للحظة أيضًا. كل ثانية مهمة حتى نعثر على (البوق) مرة أخرى. هل تسمح لي بأن أمر رجالك المخلصين يا لورد (أجيلمار)؟».

أحنى رأسه بالموافقة. في هذه اللحظة سيمنحها (فال دارا) إن طلبت هذا.

عادت (الأميرلين) إلى (إنجتار) والرجال المجتمعين من ورائه، لم تنظر إلى (راند) مرة أخرى. تفاجأ لرؤيتها تبسم فجأة.

قالت: «أراهن أن (إليان) لا تمنح (صيدها العظيم للبوق) مثل هذا الوداع الحماسي، ولكن أنتم (الصيد العظيم) الحقيقي، أنتم قلة، لذا ستسافرون سريعًا، ومع ذلك فعددكم كافٍ لفعل ما يجب عليكم فعله. أنا أمرك يا لورد (إنجتار) من (آل شينوا)، وأمركم جميعًا، أن تعثروا على (بوق فالير) وألا تدعوا أي شيء يعترض طريقكم».

استل (إنجتار) سيفه من على ظهره وقبّل نصله وقال: «أقسم بحياتي وروحي، أقسم بعائلتي وشرفي، أقسم بهذا أيتها الأم».

«إذن فلتنطلقوا».

اندفع (إنجتار) بحصانه ناحية البوابة.

ضرب (راند) بكاحليه جانبي (ريد) وأسرع وراء الطابور الذي يختفي بالفعل عبر البوابة.

كان رجال (الأميرلين) من الرماة وحاملي الرماح واقفين يشكلون ممرًا من البوابات إلى نطاق المدينة، غير مدركين لما يحدث بالداخل، وعلى صدورهم (شعلة تار قالون). كان قارعو الطبول ونافخو الأبواق ينتظرون بالقرب من البوابات مستعدين للالتحاق بالركب بمجرد خروجها. وراء صفوف الرجال المدرعين يكتظ الناس في الساحة أمام الحصن. هلل بعضهم لرؤية (إنجتار)، والآخرون بلا شك اعتقدوا أن هذه بداية رحيل (عرش أميرلين). كان هدير متصاعد يتبع (راند) بينما يعبر الساحة.

لحق (راند) (بإنجتار)، حيث البيوت والمتاجر ذات الأفاريز المنخفضة تتراص على الجانبين، والمزيد من الناس يحتشدون في صفوف في الشوارع المرصوفة بالحجر، وبعضهم يهلل أيضًا. كان (مات) و(بيرين) يركبان حصانيهما في مقدمة الطابور بصحبة (إنجتار) و(لويال)، ولكنهما تراجعا إلى الوراء عندما انضم (راند) إليهم. كيف سأعتذر إن لم يسمح لي بالاقتراب طويلًا بما يكفي لقول أي شيء؟ بحق (النور)، إنه لا يبدو وكأنه يحتضر.

قال (إنجتار): «لقد رحل (تشانجو) و(نيداو)». لقد بدا صارمًا وغاضبًا، ولكنه أيضًا مصدوم. «لقد أحصينا كل شخص في الحصن، حيًا أو ميتًا، بالأمس في المساء، ومرة أخرى هذا الصباح. إنهما الوحيدان اللذان لم يظهر لهما أثر».

قال (راند) ببطء: «كان (تشانجو) يحرس السرداب بالأمس».

«و(نيداو) أيضًا. لقد توليا نوبة الحراسة الثانية. إنها دومًا ما يظلان معًا، حتى لو اضطرا إلى تبديل النوبات أو العمل لوقت إضافي. لم يكونا في نوبة الحراسة عندما حدث الأمر، ولكن... لقد قاتلا في (أخدود تاروين) قبل شهر مضى، وأنقذا اللورد (أجيلمار) عندما سقط حصانه بينما (الترولوكيون) يحيطون به. والآن هذا. أصدقاء ظلام». أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: «كل شيء يتداعى».

كان هناك رجل على صهوة حصان يشق طريقه عبر الحشد المصطف في الشارع، وينضم إليهم من وراء (إنجتار)، بدا من ملابسه أنه أحد سكان البلدة، وكان نحيفًا بوجه متغضن وشعر رمادي طويل. كان هناك حزمة وزجاجات مياه وراء سرجه، وسيف قصير وخنجر مسنن متدليان من حزامه، بالإضافة إلى هراوة. لاحظ (إنجتار) نظرات (راند) فقال: «هذا (هورين)، المُتشمم الخاص بنا، لا حاجة لأن تعرف (الآيز سيداي) بشأنه، هذا لا يعني أنه يفعل شيئًا خاطئًا، أنت تفهم. الملك يُبقي مُتشممًا في (فال موران)، وهناك آخر في (أنكور دايل). ولكن الأمر فقط هو أن (الآيز سيداي) نادرًا ما يعجبهن ما لا يفهمنه، ومع كونه رجلًا... هذا لا علاقة له (بالقوة الواحدة) بالطبع. آه! فلتخبره يا (هورين)».

قال الرجل: «أجل يا لورد (إنجتار)». ثم انحنى (لراند) من على سرجه وقال: «تشرفني خدمتك يا سيدي اللورد».

«فلتنادني (راند)». مد (راند) يده وبعد لحظة ابتسم (هورين) وصافحه.

«كما تشاء يا سيدي اللورد (راند). اللورد (إنجتار) واللورد (كاجين) لا يمانعان أساليب الرجال - واللورد (أجيلمار) بالطبع - ولكنهم يقولون في البلدة إنك أمير أجنبي من الجنوب، وبعض اللوردات الأجانب صارمون في إنزال كل رجل منزلته».

«أنا لست لوردًا». على الأقل سأبتعد عن هذا الآن. «أنا (راند) فحسب».

رمش (هورين) بعينه وقال: «كما تشاء يا سيدي اللورد... آه... يا (راند). أنا مُتشمم، وسأكون قد أمضيت أربع سنوات مُتشممًا في (يوم الشمس) التالي. لم أسمع عن شيء كهذا قبل ذلك الحين. لقد بدأ الأمر ببطء، تمييز بعض الروائح السيئة التي لا يمكن لأحد غيري تمييزها، ثم تطور الأمر. لقد استغرقت عامًا كاملاً قبل أن أدرك حقيقة الأمر، يمكنني أن أشم رائحة العنف والقتل والإيذاء، أن أشم أين حدث هذا، وأشم أثر من فعلوه. كل أثر يختلف، لذا ليس هناك احتمالية للخلط بينها. سمع اللورد (إنجتار) بالأمر فعينني في خدمته، لأخدم عدالة الملك».

قال (راند): «يمكنك أن تشم العنف؟». لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إلى أنف الرجل، كان أنفًا عاديًا، ليس كبيرًا ولا صغيرًا. «هل تقصد أنه يمكنك حقًا تعقب رجل قد قتل رجلًا آخر على سبيل المثال؟ باستخدام الرائحة؟».

«يمكنني أن أفعل هذا يا سيدي اللورد... يا (راند). إن الرائحة تتلاشى مع الوقت، ولكن في أسوأ أنواع العنف تبقى الرائحة لوقت أطول. إينعم، يمكنني أن أشتم ساحة معركة قد مضى عليها عشر سنوات، رغم

أن آثار الرجال الذين اشتركوا فيها تكون قد تلاشت. بالقرب من (البلاء العظيم) لا تتلاشى آثار (الترولوكيين) مطلقاً، (فالترولوك) لا يفعل شيئاً سوى القتل والإيذاء. ولكن شجاراً في حانة مع ذراع مكسورة مثلاً... تتلاشى الرائحة في غضون ساعات».

«يمكنني أن أرى لم لا ترغب في معرفة (الآيز سيداي) بالأمر».

«اللورد (إنجتار) محق بشأن (الآيز سيداي) يا... (راند)، فليشرق عليهن (النور). كان هناك واحدة في (كايرين) ذات يوم، من (الآجاه البنيات)، ولكنني أقسم أنني ظننت أنها (حمراء) قبل أن تسمح لي بالرحيل، لقد أبقنتني لمدة شهر وهي تحاول أن تعرف كيف أفعل هذا، لم يعجبها عدم معرفتها بالأمر. راحت تتمتم: «هل هو شيء قديم يعود، أم شيء جديد؟»، وراحت تحرق إليّ حتى لتظن أنني كنت أستخدم (القوة الواحدة). كادت أن تجعلني أشك في نفسي، ولكنني لم أجن، ولم أفعل أي شيء. أنا فقط أشم الراحة».

تذكر (راند) ما قالته (مويرين)؛ *الحواجز القديمة تضعف، هناك شيء من التفكك والتغير في زمننا، الأشياء القديمة تمشي من جديد، وأشياء جديدة تولد، قد نعيش لنرى نهاية عصر. ارتجف وقال: «إذن فسوف نتعقب هؤلاء الذين أخذوا (البوق) باستخدام أنفك».*

أوماً (إنجتار) برأسه، بينما ابتسم (هورين) بفخر وقال: «سنفعل هذا يا... (راند). لقد تعقبت قاتلاً إلى (كايرين) ذات مرة، وآخر بعيداً حتى (مارادون)، لأجلبها إلى عدالة الملك». ثم تلاشت ابتسامته وقد بدا مضطرباً. «هذه هي الأسوأ على الإطلاق. إن روائح القتل كريهة، وأثر القاتل تفوح منه رائحة عفنة، ولكن هذه...». زرأنفه وقال: «كان هناك رجال الليلة الماضية، لا شك أنهم من أصدقاء الظلام، ولكن لا يمكنك تمييز صديق الظلام بالرائحة، ما سأتعقبه هو (الترولوكيين) و(أنصاف البشر)، وشيئاً أسوأ منهم». عقد حاجبيه وهو يتمتم لنفسه، ولكن (راند) استطاع سماعه: «شيئاً أسوأ منهم، فليساعدني (النور)».

وصلوا بوابة المدينة، ووراء الأسوار رفع (هورين) نفسه تجاه النسيم. اتسعت فتحتا أنفه، ثم قال في اشمئزاز: «من هذا الطريق يا سيدي اللورد (إنجتار)». أشار ناحية الجنوب.

بدا (إنجتار) مندهشاً وهو يقول: «ليس تجاه (البلاء)؟».

«لا يا لورد (إنجتار)». ثم بصق قبل أن يمسح فمه بكفه. «أكاد أن أذوق رائحتهم، لقد اتجهوا جنوباً». قال (إنجتار) ببطء: «كانت (عرش أميرلين) محقة إذن. إنها امرأة عظيمة وحكيمة، وتستحق أن يخدمها شخص أفضل مني. تعقب الأثريا (هورين)».

التفت (راند) ونظر إلى الورا من خلال البوابات، وعبر الشوارع، إلى الحصن. كان يأمل أن تكون (إيجوين) بخير. ستعني بها (ناينيف). ربما يكون الأمر أفضل بهذه الطريقة، كبتنظيف، سريع للغاية فلا يسبب ألماً إلا بعد الانتهاء منه.

أسرع بحصانه وراء (إنجتار) وراية البومة الرمادية ناحية الجنوب، بينما الرياح تهب باردة رغم الشمس. خيّل إليه أنه يسمع ضحكة في الرياح، خافتة وساخرة.

أضاء القمر المتنامي شوارع (إليان) الرطبة والمظلمة ليلاً والتي لا تزال تضج بالاحتفالات التي خلفها ضوء النهار. لم يتبق سوى أيام قليلة على إرسال (الصيد العظيم للبوق)، في أبهة وطقوس تزعم التقاليد أنها تعود (لعصر الأساطير). كانت الاحتفالات (بالصيادين) قد امتزجت باحتفالات (عيد تيفين)، بما يتضمنه من مسابقات وجوائز عظيمة لصانعي البهجة، والجائزة الأعظم على الإطلاق - كما هو الحال دومًا - ستذهب لأفضل من يحكي حكاية (الصيد العظيم للبوق).

اليوم سيستعرض صانعو البهجة في قصور المدينة وبيوتها الفخمة، حيث يستمتع الأقوياء والعظماء بوقتهم، ويأتي (الصيادون) من كل أمة ليخرجوا للبحث عن (البوق)، أو على الأقل لتحقيق الخلود في أغنية أو حكاية. سيكون هناك موسيقى ورقص، ومراوح وثلج لتبديد أول حرارة حقيقية للعام. ولكن الاحتفالات تملأ الشوارع أيضًا، في الليل الرطب الذي يضيئه القمر. سيكون هناك احتفال كل يوم وكل ليلة حتى يبدأ (الصيد).

ركض الناس متجاوزين (بايل دومون) في أقنعة وأزياء تنكزية غريبة وخيالية، ومعظمها تُظهر من الجسد أكثر من اللازم. كانوا يصيحون ويغنون بينما يركضون، نصف دزينة معًا، ثم تفرقوا في أزواج وهم يضحكون ويتشبثون أحدهم بالآخر، ثم عشرين في حشد صاخب. فرقت الألعاب النارية في الهواء، انفجارات ذهبية وفضية في السماء السوداء. كان (المنيرون) في المدينة بنفس عدد صانعي البهجة تقريبًا. لم يعر (دومون) اهتمامًا كبيرًا للألعاب النارية أو (الصيد)، فقد كان في طريقه لمقابلة رجال يعتقد أنهم قد يحاولون قتله.

قطع (جسر الزهور) فوق إحدى قنوات المدينة الكثيرة إلى (الحي المعطر)، منطقة الميناء في (إليان). كانت تفوح من القناة رائحة الكثير من المراحض دون أدنى أثر لوجود زهور بالقرب من الجسر، وتفوح من الحي رائحة القنب والقار القادمة من أحواض بناء السفن والأرصعة وطين الميناء ذي الرائحة النفاذة. لقد صارت الرائحة أكثر شراسة بفعل الهواء الساخن الذي بدا رطبًا بما يكفي لاستخلاص الماء منه. تنفس (دومون) بصعوبة؛ في كل مرة يعود من الشمال يجد نفسه مندهشًا من حرارة الصيف المبكر في (إليان)، رغم أنه قد وُلد هنا.

كان يحمل في إحدى يديه هراوة متينة، وتستقر اليد الأخرى على مقبض السيف القصير الذي يستخدمه عادة في الدفاع عن سفينته النهرية من قطاع الطرق. كان هناك الكثير من قطاع الطرق في تلك الليالي الصاخبة حيث الفرائس الغنية ومعظمها غارق في النبذ.

ومع ذلك كان رجلًا عريضًا مفتول العضلات، ولم يعتقد هؤلاء الذين خرجوا للسرقة أنه غني بما يكفي في معطفه البسيط للمغامرة بمواجهة حجمه وهراوته. القلائل الذين لمحوه بوضوح بينما يمر عبر الضوء المتسرب من النوافذ تراجعوا إلى الوراء إلى أن يمر. كان شعره الأسود المنسدل على كتفيه ولحيته الطويلة التي

ترك شفته العليا مكشوفة يؤطران وجهه الدائري، ولكن ذلك الوجه لم يكن ناعماً على الإطلاق. وفي هذه اللحظة كان متجهماً كما لو أنه ينوي شق طريقه عبر جدار. هناك رجال سيلتقي بهم، ولم يكن مسروراً بهذا الأمر.

مر المزيد من المحتفلين راكضين من جواره، وهم يغنون بصوت نشاز بينما النيذ يجعل كلماتهم متداخلة. قال (دومون) لنفسه بوجوم: (بوق فالير)، يا للهراء! إن سفينتي هي ما أريد أن أتشبث به، وحياتي أيضاً بحق الحظ. دلف إلى حانة تحت لافتة عليها غرير كبير مخطط بخطوط بيضاء يرقص على قائمتيه الخلفيتين مع رجل يحمل مجرفة فضية. كانت تُدعى (حانة تلطيف الغرير)، رغم أنه حتى (نيادا سيدورو) صاحبة الحانة لا تعرف ما يعنيه الاسم. لطالما كان هناك حانة بهذا الاسم في (إليان).

كانت الحجرة العامة هادئة وجيدة الإضاءة، مع نشارة خشب على الأرضية، وهناك عازف يعزف برقة على آلة وترية من اثني عشر وترًا إحدى الأغاني الخزينة (لقوم البحر). لا تسمح (نيادا) بأي اضطراب في حانتها، وكان (بيلي) ابن أخيها ضخمًا بما يكفي لحمل رجل إلى الخارج بكلتا يديه. يأتي البحارة وعمال الأرصفة والمستودعات إلى (حانة الغرير) لتناول الشراب وربما القليل من الدردشة أو لعب الحجارة أو رمي النبال. كانت الحجرة نصف ممتلئة، فحتى الرجال الذين يحبون الهدوء قد جذبهم الاحتفال. كان الحديث خافتًا، ولكن (دومون) سمعهم يتحدثون عن (الصيد)، وعن (التنين الكاذب) الذي أمسك به المورنديون، و(التنين) الذي يتعقبه التيريون عبر (هادون ميرك). يبدو أنه كان هناك بعض الجدال حول إذا ما كان من الأفضل رؤية (التنين الكاذب) يموت أم التيرين.

تجهم (دومون). (تنين كاذب)! بحق الحظ، لم يعد هناك مكان آمن هذه الأيام. ولكنه لم يبال حقًا (بالتنانين الكاذبين) أكثر من اهتمامه (بالصيد).

كانت صاحبة الحانة البدينة التي تعقص شعرها وراء رأسها تمسح قدحًا وهي تُبقي عينيها على حانتها. لم تتوقف عما تفعله أو تنظر إليه حقًا، ولكنها ضيقت عينيها وهي تنظر ناحية ثلاثة رجال يجلسون على طاولة في الزاوية. كانوا هادئين حتى بالنسبة لكونهم في (حانة الغرير)، ويكادون أن يكونوا واجمين، وقد برزت قبعاتهم المخروطية المخملية ومعاطفهم الداكنة المطرزة على الصدر بأشرطة فضية وقرمزية وذهبية بين الملابس البسيطة للزبائن الآخرين.

تنهد (دومون) ثم جلس على طاولة في إحدى الزوايا بمفرده. كابيرنيون هذه المرة. أخذ قدحًا من الجعة البنية من خادمة شابة وارتشف رشفة طويلة. عندما أنزل القدح كان الرجال الثلاثة الذين يرتدون المعاطف المخططة يقفون إلى جانب طاولته. أشار بيده ناحية (نيادا) ليعلمها أنه ليس بحاجة إلى (بيلي).

«القبطان (دومون)؟». لم يكن هناك ما يميز بين الثلاثة، ولكن شيئًا ما حيال المتحدث جعل (دومون) يخمن أنه قائدهم. لم يبدُ أنهم مسلحون، فقد بدوا وكأنهم لا يحتاجون إلى سلاح رغم ثيابهم الفاخرة. كان هناك أعين صارمة في تلك الوجوه التقليدية للغاية. «(بايل دومون) قبطان سفينة (سبراي)؟».

أوماً (دومون) إيماءة قصيرة فجلس ثلاثتهم دون دعوة. تولى نفس الرجل الحديث، أما الاثنان الآخران فقد اكتفيا بالمراقبة وهما بالكاد يرمشان. خمن (دومون) أنها حارسان رغم ثيابهما الفاخرة. من يكون ليحتاج إلى حارسين لحمايته؟

«لدينا شخص يجب إحضاره من (مايين) إلى (إليان)».

قاطعته (دومون) قائلاً: «(سبراي) سفينة نهريّة، فلا تبحر إلا في المياه الضحلة، ولا يمكنها أن تتحمل المياه العميقة». لم يكن هذا صحيحاً تماماً، ولكنه قريب بما يكفي بالنسبة لرجال اليابسة. على الأقل سيكون هذا تغييراً عن (تير)، إنهم يزدادون ذكاءً.

لم يبدُ الرجل منزعجاً من المقاطعة. «لقد سمعنا أنك ستتخلي عن التجارة النهريّة».

«ربما أفعل هذا وربما لا، لم أقرر بعد». ولكنه قد قرر، لن يعود عبر النهر إلى (البلاد الحدودية) حتى لو منحوه كل الحرير الذي يُشحن في السفن التيرية، إن الفراء السالداني والفلفل الجليدي لا يستحقان كل هذا العناء. ولم يكن لهذا علاقة (بالتنين الكاذب) الذي سمع عن وجوده هناك، ولكنه تساءل كيف يمكن لأي شخص أن يعرف. إنه لم يتحدث عن الأمر مع أي شخص، ومع ذلك يعرف به الآخرون.

«يمكنك أن تبحر إلى (مايين) بكل سهولة. لا شك أنك ستكون مستعداً للإبحار على طول الشاطئ مقابل ألف مارك ذهبي أيها القبطان».

اتسعت عينا (دومون) رغمًا عنه، إنه أربعة أضعاف العرض السابق، وهذا كافٍ لإثارة ذهول أي رجل.

«من الذي ترغبون في إحضاره نظير هذا المبلغ؟ السيدة الأولى (لمايين) نفسها؟ هل أجبرتها (تير) على الخروج أخيراً إذن؟».

«لا تحتاج إلى أسماء أيها القبطان». وضع الرجل كيساً جلدياً كبيراً على الطاولة، ولفافة ورق مختومة. أصدر الكيس قعقة ثقيلة بينما الرجل يدفعهما عبر الطاولة. كانت دائرة الشمع الأحمر الكبيرة التي تبقي لفاقة الورق مغلقة تحمل شعار (كايرين)؛ الشمس المشرقة متعددة الأشعة. «متّين تحت الحساب، أعتقد أنه نظير ألف مارك فأنت لن تحتاج إلى أسماء. أعطِ هذه اللفافة دون أن تكسر الختم إلى قائد الميناء في (مايين) وسيمنحك ثلاثمئة أخرى، بالإضافة إلى الراكب. سأسلمك الباقي عندما يصل الراكب إلى هنا، ما دمت لم تبذل أي جهد لاكتشاف هوية ذلك الراكب».

أخذ (دومون) نفساً عميقاً. بحق الحظ، هذه الرحلة تستحق العناء حتى لو لم يكن هناك بنس آخر أكثر من الموجود في هذا الكيس. والألف مارك هو مال أكثر مما سيحققه في ثلاثة أعوام. خمن أنه إن تحقق من الأمر أكثر من هذا فسيجد تلميحات أخرى - مجرد تلميحات - أن الرحلة تتضمن تعاملات خفية ما بين (مجلس التسعة) في (إليان) والسيدة الأولى (لمايين). إن دولة مدينة السيدة الأولى هي مقاطعة تابعة لتير في كل شيء عدا الاسم، ولا شك أنها سترحب بمساعدة (إليان)، وهناك الكثيرون في (إليان) الذين يقولون إن الوقت قد

حان لحرب أخرى، وإن (تير) تأخذ أكثر من حصتها العادلة من التجارة في (بحر العواصف). إنها شبكة كان من المرجح أن يعلق بها إن لم يرَ ثلاثة مثلها الشهر الماضية.

مد يده لياخذ الكيس فأمسك الرجل الذي كان يتحدث بمعصمه. حدجه (دومون) ببصره ولكن الرجل بادله التحديق بهدوء.

«يجب أن تبخر في أسرع وقت ممكن أيها القبطان».

قال (دومون) متذمراً: «مع أول ضوء في الصباح». فأوماً الرجل برأسه وترك معصمه.

«مع أول ضوء في الصباح إذن أيها القبطان (دومون)، وتذكر أن التكتّم يبقّي الرجل حيّاً لكي ينفق ماله». راقب (دومون) الرجال الثلاثة يرحلون ثم حدّق بتجهّم إلى الكيس ولفافة الورق على الطاولة أمامه. شخص ما يريد أن يبحر شرقاً، إلى (تير) أو (مايين)، لا يهم، ما دام أنه سيذهب شرقاً. كان يعتقد أنه يعرف من يريد هذا، ولكنه في هذه اللحظة لم يكن لديه أدنى فكرة عن هويته. من يعرف من قد يكون من أصدقاء الظلام؟ ولكنه يعرف أن أصدقاء الظلام يسعون وراءه من قبل حتى أن يغادر (ماربون) عائداً عبر النهر. أصدقاء الظلام و(الترولوكيون)، كان واثقاً من هذا. السؤال الحقيقي الذي لم يكن لديه أدنى لمحة عن إجابته هو لماذا.

سألته (نيادا): «هل هناك مشكلة يا (بايل)؟ تبدو وكأنك قد رأيت (ترولوگا)». ضحكت بصوت يبدو من غير المحتمل أن يصدر عن امرأة بمثل حجمها، إن (نيادا) لا تؤمن (بالترولوكيين) مثل معظم الأشخاص الذين لم يذهبوا إلى (البلاد الحدودية). لقد حاول أن يخبرها بحقيقة الأمر، إنها تستمتع بحكاياته وتعتقد أن جميعها أكاذيب، إنها لا تؤمن بالثلج أيضاً.

«لا مشكلة يا (نيادا)». فك الكيس وأخرج عملة دون أن ينظر داخله، ألقي بها إليها. «مشروبات للجميع حتى تنفذ هذه العملة، وبعدها سأمنحك واحدة أخرى».

نظرت (نيادا) إلى العملة في دهشة وقالت: «مارك من (تار قالون)! هل تتاجر مع الساحرات الآن يا (بايل)؟».

قال بصوت أجش: «لا، أنا لا أفعل هذا».

عضت العملة ثم خبأتها بسرعة وراء حزامها العريض. «حسنًا، هذا ذهب حقًا، وأعتقد أن الساحرات لسن بذلك السوء كما يصورهن البعض على أي حال. أنا أعرف صرافاً يتعامل مع مثل هذه العملات. لن تحتاج إلى إعطائي عملة أخرى مع هذا العدد القليل الموجود الليلة. هل تريد المزيد من الجعة يا (بايل)؟».

أوماً برأسه في شروء، رغم أن قدحه لا يزال شبه ممتلئ، فتحرّكت مبتعدة عنه. إنها صديقة ولن تتحدث عما رآته. جلس يحدّق إلى الكيس الجلدي. وُضع قدح آخر أمامه قبل أن يتمكن من إجبار نفسه على فتح الكيس والنظر إلى العملات بداخله. راح يحرك العملات بإصبع خشنة، ماركات ذهبية تلمع في ضوء المصباح، وكل واحد منها يحمل (شعلة تار قالون) اللعينة. ربط الكيس على الفور، عملات خطيرة. قد

يتغاضى الناس عن عملة أو اثنتين، ولكن هذا العدد الكبير سيجعل الناس يعتقدون ما اعتقدته (نيادا). هناك أبناء نور في المدينة، ورغم أنه لا يوجد قانون في (إليان) يحرم التعامل مع (الآيز سيدي) فإنه لن يصل إلى القاضي إن سمع أصحاب العباءات البيضاء عن هذا الأمر. إن وجود هؤلاء الرجال هنا يجعل من الأكيد أنه لن يأخذ المال ببساطة ويبقى في (إليان).

بينما يجلس هناك قلقًا جاء (يارين مايلدان)، مساعده الكتيب الشبيه بطائر اللقلق، إلى (حانة الغرير) وهو يعقد حاجبيه على أنفه الطويل، ثم وقف عند طاولة القبطان وقال: «لقد مات (كارن) أيها القبطان».

حذق إليه (دومون) وهو يقطب جبينه. لقد قُتل ثلاثة آخرون من رجاله بالفعل، واحدًا في كل مرة يرفض فيها مهمة ستأخذه شرقًا. لم يفعل القضاة شيئًا، قالوا إن الشوارع تكون خطيرة في الليل، وإن البحارة أناس قساة متشاكسون. نادرًا ما يزعج القضاة أنفسهم بما يحدث في (الحي المعطر)، ما دام أن الأذى لم يطل مواطنًا محترمًا.

تمتم قائلاً: «ولكنني قد قبلت المهمة هذه المرة».

قال (يارين): «هذا ليس كل شيء أيها القبطان، لقد طعنوا (كارن) بالسكاكين كأننا أرادوا أن نخبرهم بشيء. وقد حاول بعض الرجال التسلل إلى (سبراي) قبل ساعة مضت، ولكن حراس الرصيف جعلوهم يهربون. المرة الثالثة خلال عشرة أيام. ولم أكن أعرف أن فئران الرصيف مثابرة إلى هذا الحد، إنهم يتركون الإنذار يخدم قبل أن يحاولوا مرة أخرى. وهناك من عبث بغرفتي في (حانة الدولفين الفضي) في الليلة الماضية، لقد أخذوا بعض الفضة لكي أعتقد أنهم لصوص، ولكنهم تركوا مشبك حزامي المرصع بالعقيق وأحجار القمر الموضوع على مرمى البصر. ما الذي يحدث أيها القبطان؟ الرجال خائفون، وأنا نفسي متوتر قليلاً».

اعتدل (دومون) واقفًا وهو يقول: «اجمع الطاقم يا (يارين)، اعثر عليهم وأخبرهم أن (سبراي) ستبحر بمجرد وجود عدد كافٍ من الرجال على متنها للتعامل معها». وضع لفافة الورق في جيب معطفه ثم أمسك بكيس الذهب ودفع مساعده ناحية الباب أمامه. «اجمعهم يا (يارين)، لأنني سأترك أي رجل لا يصل في الوقت المناسب، وسأتركه واقفًا على الرصيف حيث هو».

دفع (دومون) (يارين) ليبدأ في الركض، ثم انطلق ناحية الأرصفة. حتى قطاع الطرق الذين سمعوا قعقة الكيس الذي يحمله ظلوا بعيدين عنه، فقد كان يمشي كأنه رجل ذاهب للقتل.

كان هناك أفراد من الطاقم يسرعون للصعود على متن (سبراي) عند وصوله، والمزيد يركضون حفاة على الرصيف الحجري. لم يعرفوا ما الذي يخشى أن يلاحقه، أو حتى إن كان هناك شيء يلاحقه، ولكنهم عرفوا أنه قد حقق أرباحًا جيدة، وأنه سيعطي نصيبًا لأفراد الطاقم وفقًا للتقاليد الإليانية.

كانت (سبراي) بطول ثمانين قدمًا، ولها صاربان، وعريضة في المنتصف، مع مساحة لشحن البضائع على سطح السفينة، وكذلك في المخازن. رغم ما قاله (دومون) للكايرينيين - هذا إن كانوا كايرينيين - فإنه يعتقد

أن السفينة يمكنها الإبحار في المياه المفتوحة. إن (بحر العواصف) يكون أهدأ في الصيف.
تمتم قائلاً: «سيكون عليها أن تصمد». ثم هبط إلى مقصورته.

ألقى بكيس الذهب على فراشه، المثبت بشكل أنيق إلى هيكل السفينة ككل شيء آخر في المقصورة، ثم أخرج لفافة الورق. أشعل مصباحًا متدليًا من حلقة أعلاه، ثم تفحص الورقة المختومة وهو يقلبها كأنها يستطيع أن يقرأ ما بداخلها دون أن يفتحها. جاء صوت طرقات على الباب ف عقد حاجبيه.
«ادخل».

أطل (يارين) برأسه وقال: «إنهم جميعًا على متن السفينة أيها القبطان، ولكن هناك ثلاثة لم أتمكن من العثور عليهم، ولكنني نشرت الخبر في كل حانة ورصيف في الحي. سيكونون على متن السفينة قبل أن يكون الضوء كافيًا للإبحار عبر النهر».

«ستبحر (سبراي) الآن، ناحية البحر». تجاهل (دومون) احتجاج (يارين) بشأن الضوء والتيارات وعدم قدرة (سبراي) على تحمل البحر المفتوح وقال: «الآن! ستبحر (سبراي) مع انخفاض المد. أنت لم تنسَ كيفية الإبحار باستخدام النجوم، أليس كذلك؟ فلتبحر بها يا (يارين)، وعد إليّ عندما نتجاوز حاجز الأمواج».
تردد مساعده، لا يترك (دومون) أي جزء صعب من الإبحار دون أن يكون على سطح السفينة بنفسه لإصدار الأوامر، والإبحار (بسبراي) ليلاً سيكون صعبًا، سواء كانت المياه ضحلة أم لا. ثم أوماً برأسه واختفى.

في غضون لحظات تعالي صوت (يارين) وهو يصدر الأوامر، والأقدام العارية تضرب على سطح السفينة فوق مقصورة (دومون). تجاهل الأصوات حتى عندما بدأت السفينة تتمايل وتلحق بالمد.
وأخيرًا رفع غطاء المصباح وأدخل سكينًا في اللهب، تصاعد الدخان عندما احترق الزيت على النصل، ولكن قبل أن يتحول المعدن إلى اللون الأحمر أبعد الخرائط جانبًا ووضع الورقة على الطاولة وبدأ يحرك الفولاذ الساخن ببطء تحت شمع الختم، فارتفعت الطية العلوية.
كانت وثيقة بسيطة، ليس بها ديباجة أو تحية، وقد جعلت العرق يتصبب على جبينه.

إن حامل هذه الوثيقة صديق للظلام مطلوب في (كايرين) بسبب جرائم قتل وجرائم أخرى شنيعة، أقلها السرقة من شخصنا. نحن نطلب منكم القبض على هذا الرجل وكل الأشياء الموجودة في حوزته حتى أصغرها. سيأتي ممثلنا ليأخذ ما سرقه منا. فلتأخذ كل ما بحوزته - باستثناء ما هو ملكنا - مكافأة للقبض عليه. فلتأمر بشنق هذا الوغد الحقير على الفور، حتى لا يتدنس (النور) بشرة المولود من (الظل).

مختوم بيدنا

(جالدرين سورياتين ري)

ملك (كايرين)

حامي (جدار التنين)

في الشمع الأحمر الرقيق الموجود أسفل التوقيع طُبِع ختم الشمس المشرقة الخاص (بكايرين)، والنجوم الخمسة الخاص (بأل رياتين).

قال (دومون) في حق: «حامي (جدار التنين)، يا للهراء. لم يعد هناك رجل يستحق أن يطلق على نفسه هذا اللقب».

تفحص الختمين والتوقيع بدقة وهو يُمسك الوثيقة بالقرب من المصباح وأنفه يكاد أن يلمس الورقة. ولكنه لم يستطع أن يجد عيباً في الختمين، أما عن التوقيع فلم يكن لديه أي فكرة عما يبدو عليه خط يد (جالدرين). إن لم يكن الملك نفسه هو من وقع الورقة فإنه يعتقد أنه أياً من وقعها فقد استطاع تقليد خط يد (جالدرين) بشكل جيد. هذا لن يمثل أي فارق حقيقي على أي حال، في (تير) سيكون هذا الخطاب دليل إدانة دامعاً في يدي إيلاني، أو في (مايين) مع تأثير (تير) القوي هناك. ليس هناك حرب الآن، والرجال من أي من الميناءين يذهبون ويحيئون بحرية. ولكن الإليانيين لا يتمتعون بالحب في (تير)، كما هو الحال في الاتجاه المعاكس. وخصوصاً مع وجود عذر كهذا.

للحظة فكر في أن يضع الورقة في لهب المصباح، إنه شيء خطير أن يحوزه في (تير) أو (إليان) أو أي مكان يمكنه أن يتخيله. ولكنه أخيراً دسه بعناية في فتحة سرية صغيرة وراء مكتبه، يخفيها لوح خشبي لا أحد غيره يعرف كيف يفتحه.

«كل الأشياء الموجودة بحوزتي؟».

كان يجمع أشياء قديمة قدر ما يستطيع بالنسبة لرجل يعيش على متن سفينة، ما لا يستطيع شراءه لأنه باهظ الثمن أو كبير الحجم كان يجمعه برؤيته وتذكره. كل هذه الأشياء بقايا من أزمنة ماضية، هذه العجائب المتناثرة في أرجاء العالم التي جذبت له حياة الإبحار عندما كان صبيّاً. لقد أضاف أربعة إلى مجموعته في (مارادون) في رحلته الأخيرة، ومنذ ذلك الوقت بدأ أصدقاء الظلام في ملاحقته، و(الترولكيون) أيضاً لفترة من الوقت. لقد سمع أن (الجسر الأبيض) قد احترقت تماماً بعد أن أبحر منها، وهناك شائعات عن وجود (ميردرال) إلى جانب (الترولكيين). كان كل هذا هو ما أقنعه في البداية أنه لا يتخيل الأمر، وهو ما جعله متأهباً عندما عُرضت عليه تلك المهمة الغريبة الأولى، الكثير من المال مقابل رحلة بسيطة إلى (تير)، وكان السبب حكاية واهية.

راح يفتش في صندوقه، ثم وضع على الطاولة ما قد جلبه من (مارادون). عصا ضوء من (عصر الأساطير)، أو هذا ما قيل. بالتأكيد لم يعد أحد يعرف كيفية صنعها. باهظة الثمن وأكثر ندرة من قاضٍ نزيه. تبدو كعصا زجاجية بسيطة، أكثر سمكاً من إبهامه، وليست بطول ساعده، ولكن عندما يمسكها بيده تتوهج بسطوع كالمصباح. إن عصي الضوء تتحطم كالزجاج أيضاً، لقد كاد أن يخسر (سبراي) في حريق تسببت فيه أول واحدة امتلكها. نحت صغير من العاج الداكن، لرجل يحمل سيفاً. زعم الرجل الذي باعها له أنك إن أمسكته لوقت طويل فستشعر أنه دافئ. لم يفعل (دومون) هذا قط، ولم يسمح لأي من أفراد

الطاقم بالإمساك به، ولكنه كان قديمًا وهذا كافٍ بالنسبة (لدومون). جمجمة قط بحجم أسد، وقديمة للغاية حتى إنها قد تحولت إلى حجر، ولكن لا يوجد أسد له نابان بطول قدم. وقرص سميكة بحجم يد رجل نصفه أبيض ونصفه أسود ويفصل ما بين اللونين خط متعرج. قال صاحب المتجر في (مارادون) إنه من (عصر الأساطير)، وهو يعتقد أنه يكذب، ولكن (دومون) ساومه قليلًا قبل الدفع، لأنه أدرك ما لم يدركه صاحب المتجر، الرمز القديم (للأيز سيدي) قبل (تخطم العالم). ليس من الآمن امتلاكه، ولكنه ليس شيئًا يمكن أن يتغاضى عنه رجل مفتون بالأشياء القديمة.

كما أنه حجر قلب، لم يجرؤ صاحب المتجر على أن يضيف هذا إلى ما اعتقد أنه أكاذيب. لا يستطيع أي صاحب متجر على ضفة النهر في (مارادون) أن يشتري قطعة واحدة من الكوينديلار. بدا القرص صلبًا وأملس في يده، وليس له أي قيمة على الإطلاق باستثناء قدمه، ولكنه خشي أن هذا ما يسعى وراءه مطارده. إن عصي الضوء والمنحوتات العاجية وحتى العظام التي تتحول إلى أحجار قد رآها في أوقات أخرى وأماكن أخرى. ولكن حتى مع معرفة أن هذا ما يريدونه - إن كان يعرف هذا - ما زال لا يملك أدنى فكرة عن هوية ملاحقيه أو لماذا يلاحقونه. ماركات (تار فالون) ورمز قديم (للأيز سيدي). فرك شفتيه بيده، كان مذاق الخوف مرًا على لسانه.

تعالى صوت طرقات على الباب. وضع القرص جانبًا وجذب خريطة مفردة ليغطي الأشياء الموضوعة على الطاولة ثم قال: «ادخل».

دخل (يارين) وقال: «لقد تجاوزنا حاجز الأمواج أيها القبطان».

شعر (دومون) بومضة من الدهشة، ثم بالغضب من نفسه. ما كان عليه أن يشغل كثيرًا حتى إنه لم يشعر (بسبراي) وهي تتحرك على الأمواج. «اتجه نحو الغرب يا (يارين)».

«(إيبو دار) أيها القبطان؟».

بل أبعد من هذا، أبعد بخمسة فرسخ. «ستوقف في الميناء طويلاً بما يكفي لأن أحصل على الخرائط ونملاً براميل المياه، ثم سنبحر غربًا».

«غربًا أيها القبطان؟ (تريال كينج)؟ إن (قوم البحر) متشددون مع أي تجار غير تجارهم».

«(محيط آريث) يا (يارين)، هناك الكثير من التجارة ما بين (تارابون) و(آراد دومان). وبالكاد هناك أي سفينة تارابونية أو دومانية يمكن أن تقلق بشأنها. سمعت أنهم لا يحبون البحر، وكل هذه البلدات الصغيرة في (تومان هيد)، كل واحدة منها حرة من أي أمة على الإطلاق، يمكننا حتى أن نجلب الفراء السالداني والفلفل الجليدي إلى (باندار إيبان)».

هز (يارين) رأسه ببطء. لطالما نظر إلى الجانب المظلم، ولكنه بحار بارع. «ستكون تكلفة الفراء والفلفل هناك أكثر من الإبحار عبر النهر لجلبه أيها القبطان، وسمعت أن هناك حربًا ما، إن كانت (تارابون) و(آراد

دومان) تتقاتلان فقد لا يكون هناك تجارة. أشك أننا سنجني الكثير في البلدات في (تومان هيد) وحدها حتى لو كانت آمنة. إن (فالبي) أكبرها، وهي ليست كبيرة».

«لطالما تشاجر التارابونيون والدومانيون حول (سهل الموث) و(تومان هيد)، حتى لو وصل الأمر إلى القتال هذه المرة فإن الرجل الحذر دومًا ما يجد تجارة. إلى الغرب يا (يارين)».

عندما صعد (يارين) إلى الأعلى وضع (دومون) على الفور القرص الأبيض والأسود في الفتحة الخفية وأعاد الباقي إلى صندوقه. سواء كانوا أصدقاء ظلام أو (آيز سيداي) فلن أركض في الاتجاه الذي يريدونه. لن أفعل هذا بحق الحظ.

عندما شعر (دومون) بالأمان لأول مرة منذ أشهر صعد إلى سطح السفينة بينما (سبراي) تسرع عبر الرياح ومقدمتها تتوجه غربًا عبر البحر المظلم ليلاً.

رف 404

t.me/Rff404

الفصل العاشر

بداية الصيد

حدد (إنجتار) وتيرة السير لبداية رحلة طويلة بسرعة كافية لجعل (راند) يقلق قليلاً بشأن الخيول، هذه الأحصنة يمكنها أن تهرول لساعات، ولكن لا يزال أمامهم معظم اليوم، وعلى الأرجح سيكون هناك أيام أخرى بعد هذا. ولكن من الحزم المرتسم على وجه (إنجتار) فكر (راند) أنه ربما ينوي الإمساك بهؤلاء الذين سرقوا (البوق) في اليوم الأول، أو في الساعات الأولى. لم يتفاجأ (راند) وهو يتذكر صوته عندما أقسم أمام (عرش أميرلين)، ولكنه أبقى فمه مغلقاً، سيكون الأمر كما يأمر اللورد (إنجتار)، فرغم أنه يتصرف بشكل ودي مع (راند) فإنه لن يشعر بالامتنان إن قدم له راعي غنم نصيحة.

كان (هورين) يركض بحصانه وراء (إنجتار) بخطوة، ولكن كان المتشمم هو من يقودهم جنوباً، وهو يحدد الطريق (لإنجتار). كانت الأرض صاعدة وهابطة، تلال تغطيها غابات من أشجار التنوب والأوراق الجلدية والبلوط، ولكن المسار الذي حدده (هورين) كان مستقيماً كالسهم، فلا ينحرف إلا للالتفاف حول عدد قليل من التلال العالية، حين يكون الالتفاف حولها أسرع. كانت راية البومة الرمادية تحفك في مهب الريح.

حاول (راند) أن يمشي بمحاذاة (مات) و(بيرين)، ولكن كلما ترك حصانه يتراجع نحوهما كان (مات) يركز (بيرين) فيتقدم (بيرين) على مضض إلى مقدمة الطابور مع (مات). حينها يقول (راند) لنفسه إنه لا فائدة من البقاء في الخلف بمفرده، فيعود بحصانه إلى الأمام، فيتراجعا بحصانيهما للوراء من جديد بعد أن يحث (مات) (بيرين) مرة أخرى.

بحق (النور)، أنا فقط أريد أن أعتذر. كان يشعر بالوحدة، ولم تساعده معرفة أن كل هذا كان خطأه. فوق أحد التلال ترجل (أونو) عن حصانه ليتفحص الأرضية التي تحمل آثار حوافر. وضع إصبعه في بعض روث الخيل، ثم تنهد وقال: «إنهم يتحركون بسرعة يا سيدي اللورد». بدا صوته وكأنه يصيح، رغم أنه كان يتحدث فحسب. «إننا لم نقلص المسافة بيننا وبينهم ولو ساعة واحدة، بل ربما نكون قد فقدنا ساعة بحق (النور). إنهم على الأرجح سيقتلون خيولهم اللعينة بالسرعة التي يتحركون بها». ثم لمس بإصبعه أثر حافر وقال: «هذا ليس حصاناً بل (ترولوگا) لعيناً. يوجد هنا بعض آثار أقدام الماعز».

قال (إنجتار) بوجوم: «سنلحق بهم».

«لا فائدة من ركوب خيولنا حتى الموت يا سيدي، لن يفيدنا أن تموت قبل أن نلحق بهم يا سيدي، وحتى لو قتلوا خيولهم فإن (الترولوكين) يمكنهم المواصلة لفترة أطول من الخيل».

«سنلحق بهم. امتط حصانك يا (أونو)».

نظر (أونو) بعينه الواحدة إلى (راند)، ثم هز كتفيه وصعد إلى سرجه. اقتادهم (إنجتار) راکضاً بحصانه نحو المنحدر البعيد، وبحركة أشبه بالانزلاق وصل إلى سفح التل، ثم ركض صاعداً التل الذي يليه. تساءل (راند): لَمْ ينظر إليَّ بهذه الطريقة؟ كان (أونو) واحداً من أولئك الذين لم يظهروا الكثير من الود ناحيته، وإن لم يكن الأمر مثل كراهية (ماسيما) الصريحة. لم يكن (أونو) ودوداً مع أي شخص باستثناء المحاربين القدامى مثله. إنه بالتأكيد لا يصدق حكاية كوني لوردًا.

أمضى (أونو) وقته وهو يتفحص الريف أمامه، ولكنه عندما لمح (راند) ينظر إليه بادله التحديق دون أن يقول كلمة. هذا لا يعني الكثير، كان ليبادل (إنجتار) التحديق أيضاً، هذه هي طباع (أونو).

كان الطريق الذي اختاره أصدقاء الظلام - ومن أيضاً؟ هكذا تساءل (راند). كان (هورين) يواصل التمتمة بشأن «شيء أسوأ» - الذين قد سرقوا البوق لا يقترب من أي قرية. كان (راند) يرى القرى من فوق قمم التلال، على مسافة ميل أو أكثر من الريف الآخذ في الصعود والهبوط. ولكن لم تكن هناك أي قرية قريبة بما يكفي لتمييز الأشخاص في الشوارع، أو قرية بما يكفي لتمييز هؤلاء الأشخاص المتجهين جنوباً. كان هناك مزارع أيضاً، بها بيوت ذات أفاريز منخفضة وحظائر عالية ومداخن يتصاعد منها الدخان، على قمم التلال ومنحدراتها وسفوحها، ولكن لم تكن هناك أي مزرعة قريبة بما يكفي لأن يرى المزارعون طريدهم.

في نهاية المطاف كان على (إنجتار) أيضاً أن يدرك أن الخيول غير قادرة على المواصلة، سمعه (راند) يسب بصوت خافت، ثم ضرب (إنجتار) فخذه بقبضته المغطاة بالقفاز، ولكنه أخيراً أصدر أمراً بأن يترجل الجميع. راحوا يهرولون وهم يجذبون خيولهم، صاعدين التلال وهابطين لمسافة ميل قبل أن يمتطوا الخيول مرة أخرى. راحوا يهرولون ميلاً ويمتطون خيولهم ميلاً. يهرولون ويمتطون.

كان (راند) متفاجئاً لرؤية (لويال) يتسهم وهما يمشيان على الأرض صاعدين تلاً بمشقة. لم يكن (الأوجير) مرتاحاً لفكرة ركوب الخيل عندما التقيا للمرة الأولى، ويفضل السير على قدميه. ولكن (راند) اعتقد أنه قد تجاوز هذا منذ وقت طويل.

قال (لويال) ضاحكاً: «هل تحب الجري يا (راند)؟ أنا أحبه، لقد كنت الأسرع في (ملاذ شانجتاي). لقد سبقت حصاناً ذات مرة».

اكتفى (راند) بأن هز رأسه، لم يرغب في أن يضيع أنفاسه على الحديث. بحث عن (مات) و(بيرين) ولكنهما كانا لا يزالان في المؤخرة، وأمامهما الكثير من الرجال، فلم يستطع (راند) أن يميزهما. تساءل كيف يتحمل الشايناريون دروعهم. لم يُعطى أي منهم أو يشتك، لم يبدُ حتى على (أونو) أنه يتصبب عرقاً. ولم يخفض الرجل الذي يحمل راية البومة الرمادية رايته ولو مرة واحدة.

كانت وتيرة سريعة، ولكن الشفق بدأ يقترب دون أدنى أثر لمن يطاردونهم باستثناء آثار أقدامهم. وأخيراً على مضض أصدر (إنجتار) أمراً بالتوقف والتخيم ليلاً في الغابة. بدأ الشايناريون في إعداد النار، وتقييد الخيول بسلاسة ناجمة عن خبرة طويلة. وضع (إنجتار) ستة حراس في أزواج من أجل نوبة الحراسة الأولى.

كان أول ما فعله (راند) هو العثور على حزمته في السلال الخوصية على ظهور خيول البضائع، لم يكن الأمر صعباً فقد كان هناك عدد قليل من الحزم الشخصية بين المؤن، ولكنه عندما فتحها أصدر صيحة جعلت كل رجل في المخيم يهب واقفاً وهو يشهر سيفه.

جاء (إنجتار) راكضاً وقال: «ما الأمر؟ بحق (السلام)، هل هناك من يهاجمنا؟ لم أسمع شيئاً من الحرس». قال (راند) متذمراً بينما لا يزال يحدق إلى أمتعته: «إنها هذه المعاطف». كان هناك معطف أسود مطرز بخيوط فضية، والآخر أبيض بخيوط ذهبية، كلاهما به طيور بلشون على الياقة، ومزخرف على الأقل بنفس قدر المعطف القرمزي الذي يرتديه. «أخبرني الخدم أن لديّ معطفين جيدين سيفيان بالغرض. انظر إليهما!». غمد (إنجتار) سيفه من فوق كتفه بينما بدأ الرجال الآخرون يجلسون. «حسناً، إنهما يفيان بالغرض». «لا يمكنني أن أرتديهما، لا يمكنني أن أتجول في الأنحاء بملابس كهذه طيلة الوقت».

«يمكنك أن ترتديهما، لا فارق بين معطف وآخر. أعرف أن (مويرين سيداي) قد أشرفت بنفسها على حزم أمتعته، ربما لا تفهم (الآيز سيداي) بالضبط ما يرتديه الرجال في الميدان». ابتسم (إنجتار). «بعد أن نُمسك هؤلاء (الترولوكين) ربما سنقيم وليمة، على الأقل سترتدي الملابس المناسبة لذلك، حتى لو لم يكن بقيتنا كذلك». ثم عاد إلى حيث تتأجج نيران الطهي بالفعل.

لم يتحرك (راند) بعد أن ذكر (إنجتار) (مويرين). راح يحدق إلى معطفه. ما الذي تفعله؟ أيّ ما كان فلن أسمع باستغلالي. حزم كل شيء معاً مرة أخرى، ثم وضع الحزمة من جديد في السلة. قال لنفسه بمرارة: لا يزال لدي خيار أن أمشي عارياً.

يتبادل الشايناريون الأدوار في الطهو عندما يكونون في الميدان، وكان (ماسييا) يحرك الغلاية عندما عاد (راند) إلى النيران. كانت رائحة الحساء المعد من اللفت والبصل واللحم المجفف تعبق المخيم. قُدّم الطعام إلى (إنجتار) أولاً، ثم إلى (أونو)، ولكن كل شخص آخر وقف في طابور دون ترتيب معين. وضع (ماسييا) غُرفة كبيرة من الحساء في طبق (راند)، الذي تراجع إلى الوراء على الفور ليتفادى انسكاب الحساء على معطفه، ثم أفسح المجال للرجل التالي بينما يمتص إبهامه الذي آلمه بفعل الحرارة. حدق إليه (ماسييا) بابتسامة جامدة لا تظهر في عينيه، حتى تقدم (أونو) وضربه بخفة.

«لم نجلب ما يكفي من أجلكم لتسكبه على الأرض اللعينة». حدق الرجل ذو العين الواحدة إلى (راند) ثم ابتعد. فرك (ماسييا) أذنه ولكن نظرتة الحائقة تتبعت (راند).

ذهب (راند) لينضم إلى (إنجتار) و(لويال)، الجالسين على الأرض تحت شجرة بلوط منبسطة الأغصان. كان (إنجتار) قد خلع خوذته ووضعها على الأرض إلى جانبه، ولكنه عدا ذلك لا يزال يرتدي دروعه كاملة. كان (مات) و(بيرين) هناك بالفعل ويأكلان بنهم. نظر (مات) إلى معطف (راند) نظرة ساخرة عريضة، ولكن (بيرين) بالكاد رفع بصره وعيناه الذهبيتان تتألقان في ضوء النار، قبل أن يحني رأسه على طبقه مرة أخرى.

على الأقل لم يبتعدا هذه المرة.

جلس عاقداً ساقيه على الجانب الآخر من (إنجتار) وقال: «أتمنى لو أعرف لماذا يواصل (أونو) النظر إليّ، ربما بسبب هذا المعطف اللعين».

صمت (إنجتار) مفكراً، وفمه مليء بالحساء، ثم قال أخيراً: «لا شك أن (أونو) يتساءل إن كنت جديراً بسيف يحمل علامة البلشون». ضحك (مات) ضحكة ساخرة، ولكن (إنجتار) أكمل حديثه دون أن يلتفت إليه: «لا تدع (أونو) يحبطك، إنه سيعامل اللورد (أجيلمار) كمجند مبتدئ إن استطاع هذا. حسناً، ربما ليس (أجيلمار)، ولكن كل شخص آخر. إن له لساناً كالمبرد، ولكنه يقدم نصائح جيدة. يُفترض به هذا، فهو ينضم إلى الحملات منذ ما قبل ولادتي. استمع إلى نصيحته ولا تهتم بلسانه، وستستطيع التعامل مع (أونو) بشكل جيد».

قال (راند): «ظننت أنه مثل (ماسيما)». ثم دفع بالحساء إلى فمه، كان ساخناً للغاية ولكنه ابتلعه. إنهم لم يأكلوا منذ مغادرة (فال دارا)، وكان قلقاً للغاية فلم يتمكن من تناول الطعام هذا الصباح. قرقرت معدته كأنها لتعبر عن سعادتها لأنه تناول الطعام أخيراً. تساءل عما إن كان إخبار (ماسيما) بأن الطعام قد أعجبه سيُلطف من الأمر. «(ماسيما) يتصرف وكأنها يكرهني، وأنا لا أفهم هذا».

قال (إنجتار): «لقد خدم (ماسيما) لثلاث سنوات في (التخوم الشرقية)، في (أنكور دايبل) قبالة (الآيل)». قلب حساءه بملعقته وهو يعقد حاجبيه. «أنا لا أطرح أي أسئلة. إن رغب (لان دايشان) و(مويرين سيداي) في أن يقولوا إنك من (أندور)، من (النهرين)، فأنت كذلك. ولكن (ماسيما) لا يمكنه أن يتوقف عن التفكير في هيئة (الآيل)، وعندما يراك...». هز كتفيه. «أنا لا أطرح أي أسئلة».

وضع (راند) ملعقته في الطبق وهو يتنهد، ثم قال: «الجميع يعتقدون أنني شخص آخر، أنا من (النهرين) يا (إنجتار)، كنت أزرع الطباق مع... مع أبي، وأرعى أغنامه. هذا ما أنا عليه، مزارع وراعي غنم من (النهرين)».

قال (مات) بسخرية: «إنه من (النهرين)، لقد ترعرعت معه، رغم أنك لن تعرف هذا الآن. إن وضعت هراء (الآيل) في رأسه فوق ما هو موجود بالفعل (فالنور) وحده يعرف ما سنحصل عليه، لوردًا آييلًا ربما».

قال (لويال): «لا، إن له هيئتهم، تذكر يا (راند) أنني ظننتك واحدًا منهم ذات مرة، رغم أنني اعتقدت أن السبب هو أنني لم أكن أعرفكم جيدًا أيها البشر حينها. هل تذكر؟ «حتى تتلاشى الظلة، حتى تتلاشى المياه، سيقفون في وجه (الظل) مكشرين عن أنيابهم، يصرخون في تحدٍّ مع آخر نفس لهم، ليبصقوا في عين (عامي الأبصار) في (اليوم الأخير)»، أنت تذكر يا (راند)».

حدق (راند) إلى طبقه. فلتضع (شوفا) حول رأسك يا (راند) وستصبح صورة لرجل من (آيل). هذا ما قاله (جاوين) شقيق (إيلاين) وولية عهد (أندور). الجميع يعتقدون أنني شخص لا أكونه.

تساءل (مات): «ما هذا الذي قلته؟ أعني البصق في عين (سيد الظلام)». قال (إنجتار): «يقول (الآييل) إنهم سيقاتلون حتى ذلك الحين، ولا أشك أنهم سيفعلون هذا، فباستثناء الباعة الجائلين وصانعي البهجة يقسم (الآييل) العالم إلى قسمين؛ آييل وأعداء. لقد غيروا هذا بالنسبة (لكايرين) قبل خمسمئة عام لسبب ما لم يفهمه أحد سوى (الآييل)، ولكنني لا أعتقد أنهم سيفعلون هذا مرة أخرى».

تنهد (لويال) وقال: «لا أفترض هذا، ولكنهم يسمحون (للتواثان) - (الجوالين) - بأن يعبروا (الفلاة)، ولا يرون أن (الأوجير) أعداء أيضًا، رغم أنني أشك في أن أيًا منا قد يرغب في الذهاب إلى (الفلاة). يأتي (الآييل) إلى (ملاذ شانجتاي) أحيانًا للمقايضة نظير الخشب المغنى، ولكنهم شعب صلد». أوما (إنجتار) برأسه وقال: «أتمنى لو أن لدي رجالًا بمثل صلاتهم، أو حتى نصفها». قال (مات) ضاحكًا: «هل هذه مزحة، إذا ركضت مسافة ميل وأنا أرتدي كل هذا الحديد الذي ترتدونه لسقطت أرضًا ونمت لأسبوع، لقد فعلتم هذا ميلًا تلو الآخر طيلة اليوم».

قال (إنجتار): «(الآييل) شعب صلد، رجالًا ونساءً، لقد قاتلتهم وأعرف هذا، سيركضون مسافة خمسين ميلًا ويخوضون معركة بعدها، إنهم الموت يمشي على قدمين، وبأي سلاح أو من دون سلاح، باستثناء السيف، إنهم لن يلمسوا سيفًا لسبب ما، أو يمتطوا حصانًا، وهذا لا يعني أنهم يحتاجون إلى هذا. إن كان لديك سيف ويقاتلك رجل من (آييل) بيديه العاريتين فهو قتال متكافئ، هذا إن كنت بارعًا. إنهم يراعون الماشية والماعز حيث سنموت أنا وأنت عطشًا قبل نهاية اليوم. إنهم يحفرون قراهم في قمم صخرية ضخمة في (الفلاة). لقد كانوا هناك منذ (تحطم العالم)، أو ما يقرب من هذا. لقد حاول (أرتور هاوكوينج) أن يخرجهم من هناك فتلطخ بالدماء، وكانت الهزيمة الكبرى الوحيدة التي يتلقاها على الإطلاق. يتلأأ الهواء نهارًا في (فلاة آييل) بفعل الحرارة، ويتجمد ليلاً، وأي آييلي سينظر إليك بعينه الزرقاوين ويخبرك أنه لا يوجد مكان آخر على الأرض يفضل أن يكون فيه، ولن يكون كاذبًا أيضًا. إن حاولوا الخروج فسنعاني الأمرين لإيقافهم. لقد استمرت (حرب آييل) لثلاث سنوات، ولم يكن هناك سوى أربع عشائر من أصل ثلاث عشرة عشيرة».

قال (مات): «إن عينيه الرماديتين اللتين ورثهما عن أمه لا تجعلانه آييليًا». هز (إنجتار) كتفيه وقال: «كما قلت، أنا لا أطرح أي أسئلة». عندما استقر (راند) أخيرًا ليلاً كانت رأسه تضج بأفكار غير مرغوب فيها. صورة لرجل من (آييل). (مويرين سيدياي) ترغب في أن تقول إنك من (النهرين). (الآييل) يدمرون كل شيء على طول الطريق إلى (تار قالون). وُلد على منحدرات (جبل التنين). (التنين العائد).

تمتم قائلاً: «لن أسمح باستغلامي». ولكن النوم لم يأتِه قبل وقت طويل.

أمر (إنجتار) بفض المخيم قبل أن تشرق الشمس في الصباح. لقد تناولوا فطورهم وامتطوا أحصنتهم متوجهين جنوبًا، بينما السحب في الشرق لا تزال حمراء مع شروق الشمس، وقطرات الندى لا تزال عالقة بأوراق الشجر. هذه المرة أرسل (إنجتار) كشافة، ورغم أن الوتيرة كانت سريعة فإنها لن تقتل الخيول. فكر (راند) أن (إنجتار) ربما قد أدرك أنهم لن يستطيعوا فعل كل شيء في يوم واحد. قال (هورين) إن الأثر لا يزال يتوجه جنوبًا. بعد ساعتين من شروق الشمس عاد أحد الكشافة مسرعًا بحصانه.

«أمامنا مخيم مهجور يا سيدي، هناك فوق قمة التل، لا شك أنه كان هناك ثلاثون أو أربعون منهم الليلة الماضية يا سيدي».

حث (إنجتار) حصانه على الإسراع، كما لو أنه قد قيل له إن أصدقاء الظلام لا يزالون هناك، وكان على (راند) أن يواكب وتيرته لكيلا يدهسه الشايناريون المسرعون إلى أعلى التل من ورائه.

لم يكن هناك الكثير لرؤيته، الرماد البارد لنيران المخيم المخفي جيدًا بين الأشجار، مع ما يبدو أنه بقايا وجبة قد أُلقيت فيه. كان هناك كومة من القمامة بالقرب من النيران، والذباب يطن من حولها بالفعل.

أبقى (إنجتار) الآخرين ورائه، ثم ترجل عن حصانه ليمشي عبر موقع المخيم مع (أونو) وهو يتفحص الأرضية. راح (هورين) يدور حول محيط الموقع بحصانه وهو يتشمم الهواء. أبقى (راند) حصانه واقفًا مع الرجال الآخرين، لم يكن لديه أدنى رغبة في إلقاء نظرة فاحصة على المكان الذي خيم فيه (الترولكيون) وأصدقاء الظلام، و(عاتم)، وشيء أسوأ.

أسرع (مات) صاعدًا التل على قدميه، ثم خطا إلى موقع التخيم. «هل هذا ما يبدو عليه مخيم أصدقاء الظلام؟ رائحته سيئة قليلًا، ولكني لا أستطيع أن أقول إنه يبدو مختلفًا عن أي مخيم آخر». ركل كومة من الرماد فأسقط قطعة محترقة من العظام، انحنى ليلتقطها وهو يقول: «ما الذي يأكله أصدقاء الظلام؟ لا يبدو أنها عظمة خروف، أو بقرة».

قال (هورين) في أسى: «لقد حدثت جريمة قتل هنا». ثم مسح أنفه بمنديل وقال: «أسوأ من القتل».

قال (إنجتار) وهو ينظر ناحية (مات): «كان ثمة (ترولكيون) هنا، وأفترض أنهم قد شعروا بالجوع، وكان أصدقاء الظلام في متناول أيديهم». أسقط (مات) العظمة المتفحمة، وبدأ أنه على وشك أن يتقيأ.

قال (هورين): «يبدو أنهم توقفوا عن التوجه جنوبًا يا سيدي». جذب هذا انتباه الجميع، أشار إلى الورا ناحية الشمال الشرقي وقال: «ربما قرروا التوجه ناحية (البلاء العظيم) في نهاية المطاف، أن يلتفوا من حولنا، ربما كانوا يحاولون فقط تضليلنا بالتوجه جنوبًا». لم يبدو مقتنعًا بهذا، بل بدا متحيرًا.

قال (إنجتار) بحزم: «أيًا ما كانوا يحاولون فعله فسأنال منهم الآن. امتطوا خيولكم».

ولكن بعد ساعة تقريبًا أمسك (هورين) بلجام حصانه وقال: «لقد غيروا وجهتهم مرة أخرى يا سيدي، الجنوب مرة أخرى، وقد قتلوا شخصًا آخر هنا».

لم يكن هناك رماد في الفجوة ما بين التلين، ولكن بعد دقائق من البحث عثروا على الجثة، رجل متكوم على نفسه ومخبأ تحت بعض الشجيرات. كان الجزء الخلفي من رأسه محطماً، وعيناه جاحظتان من قوة الضربة. لم يتعرف عليه أحد رغم أنه يرتدي ثياباً شائناً.

قال (إنجتار) مزحجراً: «لن نضيع وقتاً في دفن أصدقاء الظلام، ستتوجه جنوباً». ثم بدأ يتوجه جنوباً بالفعل قبل حتى أن ينتهي من كلماته.

مضى هذا اليوم كالיום السابق، تفحص (أونو) آثار الأقدام والروث ثم قال إنهم قد اقتربوا قليلاً من طريدتهم. جاء الشفق دون رؤية أي من (الترولوكتين) أو أصدقاء الظلام، وفي الصباح التالي وصلوا إلى مخيم مهجور آخر، وجريمة قتل أخرى كما قال (هورين)، وتغير آخر في الوجهة، هذه المرة إلى الشمال الغربي. بعد أقل من ساعتين في هذا المسار عثروا على جثة أخرى؛ رجلاً قد انشقت جمجمته بضربة فأس. وتغير آخر في الاتجاه؛ الجنوب مرة أخرى. ومن جديد اقتربوا قليلاً من طريدتهم وفقاً لقراءة (أونو) لآثار الأقدام، ومرة أخرى لا يرون أي شيء في الأفق سوى المزارع البعيدة حتى حلول الظلام. وفي اليوم التالي المثل؛ تغيرات في الاتجاه وجرائم قتل وما إلى ذلك. وكذلك في اليوم التالي.

كل يوم يقتربون قليلاً من طريدتهم، ولكن (إنجتار) كان غاضباً، لقد اقترح أن يستمروا في طريقهم مباشرة عندما يتغير الاتجاه في الصباح، من المؤكد أنهم سيعودون إلى المسار المتجه جنوباً مرة أخرى، وبهذا يكسبون المزيد من الوقت، ولكن قبل أن يتحدث أي شخص قال إنها فكرة سيئة، في حال أن الرجال الذين يتعقبونهم لم يتوجهوا هذه المرة جنوباً. حث الجميع على زيادة السرعة، والبدء في وقت مبكر أكثر، والاستمرار في التحرك حتى حلول الظلام. ذكرهم بالمهمة التي كلفتهم بها (عرش أميرلين)؛ استعادة (بوق فالير)، وعدم ترك أي شيء يعترض طريقهم. تحدث عن المجد الذي سينالونه وأن أسماءهم ستذكر في القصص والتاريخ في حكايات صانعي البهجة وأغاني الشعراء، أنهم الرجال الذين عثروا على (البوق). كان يتحدث وكأنها لا يستطيع أن يتوقف، ويحدق عبر المسار الذي يتبعونه كما لو أنه يأمل أن (النور) يكمن في نهايته، حتى (أونو) بدأ ينظر إليه في ارتياب.

وهكذا وصلوا إلى (نهر إيرينين).

رأى (راند) أنها لا يمكن أن يُطلق عليها قرية على الإطلاق. كان واقفاً بحصانه بين الأشجار، ناظراً إلى ستة بيوت صغيرة، ذات أسقف خشبية، وأفاريز تكاد أن تلمس الأرض، على قمة تل يطل على النهر تحت شمس الصباح. قليل من الناس يمرون من هذا الطريق، لم يمض سوى بضع ساعات منذ أن غادروا المخيم، وكان من المفترض أن يروا بقايا ما كان استراحة أصدقاء الظلام، وفقاً للنمط الذي اعتادوا عليه، ولكنهم لم يروا شيئاً من هذا القبيل.

لم يكن النهر نفسه يشبه (نهر إيرينين) العظيم في الحكايات، هنا بعيدًا للغاية عن منبعه في (فقار العالم). ربما يفصل ما بين الصفتين ستون خطوة من المياه السريعة، وتتراص الأشجار على جانبيه، ومركب أشبه ببارجة على حبل سميك يقطع المسافة. كان المركب مستقرًا على الناحية الأخرى. لأول مرة يقودهم الأثر مباشرة إلى مكان مأهول بالبشر، مباشرة نحو البيوت على التل. ولم يكن هناك أحد يتحرك في الشارع الترابي الوحيد الذي تتراص على جانبيه البيوت. قال (أونو) بصوت خافت: «هل هو كمين يا سيدي؟».

أصدر (إنجتار) الأوامر الضرورية، فاستل الشايناريون رماحهم والتفوا في دائرة حول البيوت. مع إشارة من (إنجتار) أسرعوا بخيولهم من بين البيوت من الاتجاهات الأربعة بينما أعينهم تبحث والرماح جاهزة والغبار يتصاعد من تحت الخوافر. لم يكن هناك شيء يتحرك سواهم، فجذبوا الأجمة وبدأ الغبار في الاستقرار.

أعاد (راند) إلى جعبته السهم الذي قد وضعه في قوسه قبل أن يعلق القوس على ظهره من جديد. فعل (مات) و(بيرين) الشيء ذاته، كان (لويال) و(هورين) ينتظران هناك حيث تركهما (إنجتار)، يراقبان في توتر.

أشار (إنجتار) بيده فأسرع (راند) والبقية بالانضمام إلى الشايناريين. تتمم (بيرين) بينما يقفون بين البيوت: «لا تعجبني رائحة هذا المكان». نظر إليه (هورين) فبادله التحديق حتى خفض (هورين) عينيه. «إن رائحته مريبة».

قال (أونو) وهو يشير إلى بعض آثار الأقدام التي لم يبعثرها الشايناريون: «لقد مر أصدقاء الظلام و(الترولوكيون) من هنا مباشرة يا سيدي، نحو المركب الذي تركوه على الجانب الآخر. بحق الدماء والرماد! نحن محظوظون لأنهم لم يقطعوا الحبل ويتركوه ينجرف مع التيار». تساءل (لويال): «أين الناس؟».

كانت الأبواب مفتوحة، والستائر تخفق على نوافذ مفتوحة، ولكن لم يخرج أحد وسط كل ضجيج الخوافر.

قال (إنجتار) أمرًا: «فتشوا البيوت». فترجل الرجال وأسرعوا لتنفيذ أمره، ولكنهم عادوا وهم يهزون رؤوسهم.

قال (أونو): «لقد رحلوا يا سيدي، رحلوا فحسب، كما لو أنهم قرروا فجأة الرحيل في منتصف النهار». صمت فجأة وهو يشير بإلحاح إلى بيت وراء (إنجتار). «هناك امرأة في تلك النافذة. كيف فاتني...». ركض ناحية البيت قبل أن يتمكن أي شخص آخر من التحرك.

صاح (إنجتار): «لا تخفها! نحتاج إلى معلومات يا (أونو). فليعمك (النور) يا (أونو)، لا تخفها!». اختفى الرجل ذو العين الواحدة عبر الباب المفتوح، فرفع (إنجتار) صوته مرة أخرى: «نحن لن نؤذيك يا سيدي،

نحن رجال اللورد (أجيلمار) المخلصون من (فال دارا). لا تخافي! لن نؤذيك».

انفتحت نافذة أعلى البيت، وأطل (أونو) برأسه وهو يتلفت حوله بشكل جامح، ثم أطلق سبة قبل أن يتراجع إلى الوراء. تعالى صوت خبطات وقعقة أثناء عودته كما لو أنه يركل الأشياء في إحباط. وأخيرًا ظهر عند الباب.

«لقد اختفت يا سيدي، ولكنها كانت هناك؛ امرأة في فستان أبيض عند النافذة. لقد رأيتهما، بل أعتقد أنني رأيتهما بالداخل للحظة، ولكنها اختفت بعدها و...». أخذ نفسًا عميقًا. «هذا البيت خاو يا سيدي». لم يُطلق سبّة، وكان هذا دليلًا على انزعاجه الشديد.

تتم (مات): «لقد خدعته الستائر اللعينة». حدجه (أونو) بنظرة حادة ثم عاد إلى حصانه. سأل (راند) (لويال): «أين ذهبوا؟ هل تعتقد أنهم قد هربوا عندما جاء أصدقاء الظلام؟ و(ترولوكيون) و(ميردرال). والشيء الأسوأ الذي تحدث عنه (هورين). إنهم أناس أذكياء إن كانوا قد ركضوا بأسرع ما يستطيعون».

قال (لويال) ببطء: «أخشى أن أصدقاء الظلام قد أخذوهم يا (راند)». ثم تجهم فبدت كتكشيرة مع أنفه العريض الشبيه بالخطم. «من أجل (الترولوكيين)». ازدرد (راند) لعبه وتمنى لو أنه لم يسأل، لم يكن من المبهج قط أن يفكر كيف يتغذى (الترولوكيون).

قال (إنجتار): «أيًا كان ما حدث هنا فإن أصدقاء الظلام قد فعلوه، هل كان هناك عنف هنا يا (هورين)؟ قتل؟ (هورين)!».

جفل المتشمم في سرجه وتلفت حوله بشكل جامح، كان يحدق نحو الجانب الآخر من النهر. «عنف يا سيدي؟ أجل. أما القتل فلا، ليس بالضبط». ثم ألقي نظرة جانبية نحو (بيرين) وقال: «لم أشم رائحة ثمائل هذه الرائحة من قبل يا سيدي، ولكن هناك إيذاء قد وقع».

«هل هناك أي شك في أنهم قد قطعوا النهر؟ هل عادوا أدراجهم؟».

قال (هورين) وهو ينظر بتوتر إلى الضفة البعيدة: «لقد قطعوا النهر يا سيدي. أما ما فعلوه على الجانب الآخر...». هز كتفيه.

أوماً (إنجتار) برأسه وقال: «أريد أن يعود ذلك المركب إلى هذا الجانب يا (أونو)، وأريد استكشاف الجانب الآخر قبل أن نعبّر. إن عدم وجود كمين هنا لا يعني أنه لن يكون هناك كمين عندما يفرقنا النهر، لا يبدو هذا المركب كبيرًا بما يكفي لنقلنا جميعًا في رحلة واحدة. فلتحرص على هذا».

انحنى (أونو)، وفي لحظات كان (راجان) و(ماسيما) يساعدان أحدهما الآخر في خلع دروعهما. تجرد كل منهما من ثيابه، حتى لم يعد كلاهما يرتدي شيئًا إلا سروالًا قصيرًا مع خنجر مغمدة في أسفل الظهر، ثم أسرعوا إلى النهر ليخوضا فيه. بدأ كل منهما في تحريك يديه على الحبل السميك الذي يسير عليه المركب. كان الحبل مرتخيًا بما يكفي في منتصفه لتصل المياه إلى خصرهما، والتيار قوي بما يكفي لجذبهما في اتجاه مجرى المياه، ومع

ذلك في وقت أقل مما توقعه (راند) تمكنا من سحب نفسيهما على جانب المركب المكون من ألواح خشبية، ثم استل كل منهما خنجره واختفيا بين الأشجار.

بعد ما بدا أنه دهر ظهر الرجال من جديد وراحا يجذبان المركب ببطء إلى الجانب الآخر. اصطدم المركب بالضفة الموجودة أسفل القرية فربطه (ماسيما) بينما (راجان) يهرول صاعداً إلى حيث ينتظر (إنجتار). كان وجهه شاحباً وندبة السهم على وجنته حادة وصوته مرتجف.

«الضفة البعيدة... ليس هناك كمين على الضفة البعيدة يا سيدي، ولكن...». انحنى انحناء كبيرة وهو لا يزال مبتلاً ومرتجفاً بسبب رحلته. «يجب أن ترى بنفسك يا سيدي. شجرة البلوط الحجرية الضخمة على بعد خمسين خطوة جنوباً من موضع الهبوط، لا يمكنني أن أصف الأمر بالكلمات، يجب أن تراه بنفسك».

عقد (إنجتار) حاجبيه وهو ينقل بصره ما بين (راجان) والضفة الأخرى، وأخيراً قال: «لقد أحسنت صنعاً يا (راجان)، كلاهما قد أحسن صنعاً». ثم صار صوته أكثر حيوية وهو يقول: «فلتجلب من البيوت شيئاً ليجفف به هذان الرجال نفسيهما يا (أونو)، وانظر إن كان هناك أي شخص قد أعد ماءً للغليان من أجل الشاي، امنحهما شيئاً ساخناً ليشرباه إن كان هذا بمقدورك. ثم أحضر الطابور الثاني وخيول البضائع إلى هنا». التفت إلى (راند) وقال: «حسنًا، هل أنت مستعد لرؤية الضفة الجنوبية (لنهر إيرينين)؟». لم ينتظر جواباً وأسرع هابطاً ناحية المركب بصحبة (هورين) ونصف حاملي الرماح.

لم يتردد (راند) إلا للحظة قبل أن يلحق به، وذهب معه (لويال). لدهشته تقدمهما (بيرين) وهو يبدو متجهماً. راح بعض حاملي الرماح يطلقون نكاتٍ فظة وهم يترجلون عن خيولهم لجذب الحبل ونقل المركب إلى الجانب الآخر.

انتظر (مات) حتى اللحظة الأخيرة عندما كان أحد الشاينارين يفك المركب قبل أن يكرز حصانه ويصعد على متنه. قال لاهثاً دون أن يخاطب أحداً بعينه: «كان عليّ أن آتي عاجلاً أو آجلاً، أليس كذلك؟ يجب أن أعثر عليه».

هز (راند) رأسه، كاد أن ينسى لم جاء (مات) معهم، فهو يبدو سليماً كأني وقت مضى. لكي يعثر على الخنجر. فليأخذ (إنجتار) (البوق)، أريد فقط الخنجر من أجل (مات). «سنعثر عليه يا (مات)».

نظر إليه (مات) متجهماً ثم ألقى نظرة ساخرة على معطفه الأحمر الفاخر، قبل أن يستدير مبتعداً عنه. تنهد (راند).

قال (لويال) بهدوء: «سيصير كل شيء على ما يرام يا (راند). سيحدث هذا بطريقة ما».

كان التيار يسحب المركب أثناء جذبه من الضفة، فيصدر صريراً حاداً. بدا منظر حاملي الرماح غريباً وهم يعملون على سطح المركب بخوذاتهم ودروعهم، والسيوف على ظهورهم، ولكنهم استطاعوا أن يجعلوا المركب يعبر النهر بشكل جيد بما فيه الكفاية.

قال (بيرين) فجأة: «هكذا غادرنا الديار، في (تارين فيري). كانت أحذية عمال المركب تقع على سطحه والماء يقرقر من حول المركب. هكذا غادرنا. سيكون الأمر أسوأ هذه المرة». سأله (راند): «كيف سيكون أسوأ؟».

لم يجبه (بيرين)، راح يفتش الضفة البعيدة وعيناه الذهبيتان تبدوان وكأنها تلمعان، ولكن ليس في لهفة. بعد دقيقة سأله (مات): «كيف سيكون أسوأ؟».

كل ما قاله (بيرين) هو: «سيكون كذلك، يمكنني أن أشتم هذا». نظر (هورين) ناحيته بتوتر، ولكن يبدو أن (هورين) ينظر إلى كل شيء بتوتر منذ أن غادروا (فال دارا).

اصطدم المركب بالضفة الجنوبية بصوت ارتطام مكتوم لألواح خشبية متينة على طين صلب، تحت الأشجار التي تتدلى أغصانها على النهر. الشايناريون الذين كانوا يجذبون الحبل امتطوا خيولهم، باستثناء الاثنين اللذين أمرهما (إنجتار) بالعودة بالمركب من أجل الآخرين. البقية لحقوا (بإنجتار) صاعدين الضفة. قال (إنجتار) وهم يتوغلون بخيولهم بين الأشجار: «خمسون خطوة إلى شجرة بلوط حجرية ضخمة». بدا هادئاً أكثر من اللازم. إن لم يتمكن (راجان) من الحديث عن الأمر... غمد بعض الجنود سيوفهم وراء ظهورهم وأمسكوا برماحهم في وضع الاستعداد.

في البداية ظن (راند) أن الهيئتين المتدليتين من الأغصان الرمادية السمكية بشجرة البلوط الحجرية هما فراعتان، فزاعتان قرمزيتان. ثم تعرف على الوجهين. (تشانجو)، والرجل الآخر الذي كان في نوبة الحراسة معه؛ (نيداو). بأعين محدقة وأسنان مكشوفة في تشنج من الألم. يبدو أنهما قد عاشا هذا الألم لوقت طويل بعد بدايته.

ند صوت عن حنجرة (بيرين) أشبه بالزجاجة.

قال (هورين) بصوت خافت: «لم أر شيئاً أسوأ من هذا يا سيدي، ولم أشتم رائحة أسوأ، باستثناء السرداب في (فال دارا) في تلك الليلة».

بشكل محموم راح (راند) يبحث عن الخواء، بدا أن الشعلة تعترض طريقه، والضوء المثير للغثيان يخفق بينما يزدرد لعباه بشكل متشنج، ولكنه ثابر حتى غلف نفسه بالفراغ. ومع ذلك كان الإحساس بالغثيان ينبض في الخواء معه، ليس بالخارج مثل كل مرة، بل بالداخل. لا عجب بالنظر إلى هذا. كانت الفكرة تنزلق على الفراغ كقطرة ماء على لوح ساخن. ما الذي حدث لهما؟

سمع شخصاً من ورائه يقول: «لقد سُلخ جلدكما حين». وصوت شخص آخر يتقيأ. ظن أنه (مات)، ولكنه كان بعيداً للغاية داخل الخواء. ولكن الإحساس بالغثيان كان هناك بالداخل أيضاً. فكر أنه قد يتقيأ بدوره.

قال (إنجتار) بصوت أجش: «أنزلوهما». ثم تردد لحظة قبل أن يضيف: «ادفنوهما. لا يمكننا التيقن من أنهما كانا صديقين للظلام، ربما قد أخذنا كأسيرين، هذا محتمل. فلندعهما يعرفان الاحتضان الأخير للألم على

الأقل». تقدم الرجال بحذر حاملين السكاكين. حتى بالنسبة للشايناريين المتمرسين في القتال لم يكن هذا أمراً سهلاً؛ أن يُنزلوا جثتين مسلوختين لرجلين كانوا يعرفونهما.

قال (إنجتار): «هل أنت بخير يا (راند)؟ أنا لست معتاداً على هذا أيضاً».

«أنا... أنا بخير يا (إنجتار)». ترك (راند) الخواء يتلاشى، شعر بغثيان أقل من دونه، إن معدته لا تزال مضطربة، ولكنه شعر بالتحسن. أوماً (إنجتار) برأسه ثم استدار بحصانه ليتمكن من رؤية الرجال وهم يعملون.

كان الدفن بسيطاً؛ حفرتان في الأرض وُضعت فيهما الجثتان بينما بقية الشايناريين يراقبون في صمت. بدأ الحفارون في ردم التراب على القبرين دون أدنى انتظار.

كان (راند) مصدوماً، ولكن (لويال) فسّر الأمر بصوت خافت: «الشايناريون يعتقدون أننا جميعاً جئنا من الأرض، ويجب أن نعود إلى الأرض. إنهم لا يستخدمون التوابيت أو الأكفان، ولا يلبسون الجثث ثياباً، يجب أن تحتضن الأرض الجسد، يسمونه الاحتضان الأخير للألم. ولا يقولون أي كلمات باستثناء فليشرق عليك (النور) وليحملك (الخالق)، الاحتضان الأخير للألم يرحب بك في الديار». تنهد (لويال) ثم هز رأسه الكبير وقال: «لا أعتقد أن أحداً سيقول الكلمات هذه المرة، بغض النظر عما قاله (إنجتار) يا (راند) فما من شك أن (تشانجو) و(نيداو) قد قتلوا الحراس عند بوابة الكلاب وسمحوا لأصدقاء الظلام بالدخول إلى الحصن، لا شك أنهما المسؤولان عن كل هذا».

«إذن فمن أطلق السهم على... على (الأميرلين)؟». ازدرد (راند) لعابه. من أطلق السهم عليّ؟ لم يقل (لويال) شيئاً.

وصل (أونو) مع بقية الرجال وأحصنة البضائع، مع ردم القبرين بآخر قدر من التراب. أخبره أحدهم بما عثروا عليه فبصق الرجل ذو العين الواحدة وقال: «(الترولوكيون) الأوغاد يفعلون هذا أحياناً على طول (البلاء العظيم)، عندما يرغبون في تدمير أعصابك أو تحذيرك ألا تلحق بهم. لا أستبعد أن هذا ما يحاولون فعله هنا».

قبل أن يتحركوا بخيولهم توقف (إنجتار) بحصانه إلى جانب القبرين غير المميزين، كومتين من التربة تبدوان أصغر من أن تحويا رجلين. بعد لحظة قال: «فليشرق عليكما (النور)، وليحكما (الخالق)، الاحتضان الأخير للألم يرحب بكما في الديار». عندما رفع رأسه نظر إلى كل رجل على حدة. لم يكن هناك أي تعبير مرتسم على أي وجه، حتى وجه (إنجتار). «لقد أنقذنا اللورد (أجيلمار) في (أخدود تاروين)». أوماً عديد من حاملي الرماح برؤوسهم، فاستدار (إنجتار) بحصانه وقال: «أي طريق يا (هورين)؟».

«جنوباً يا سيدي».

«تعقب الأثر! لن يتوقف الصيد!».

سرعان ما أفسحت الغابة المجال لأرض مسطحة متموجة بلطف، أحياناً ما يقطعها جدول ضحل قد شق لنفسه قناة وخصبتين عاليتين. ولم يكن هناك تل مرتفع بما يكفي لأن يستحق وصفه بالتل. ريف مثالي للخيول. استغل (إنجتار) الفرصة بأن حدد وتيرة سريعة ثابتة. من آن لآخر يرى (راند) ما يشبه مزرعة على مسافة بعيدة، وفي إحدى المرات خُيِّل إليه أنه يرى قرية يتصاعد الدخان من مداخنها على مسافة بضعة أميال، وشيء يومض باللون الأبيض في الشمس، ولكن الأرض القريبة منهم ظلت خالية من الحياة البشرية، مساحات كبيرة من العشب تتخللها الشجيرات والأشجار المتفرقة، مع وجود أجمة صغيرة بين الحين والآخر، لا يزيد عرضها عن مئة خطوة.

أرسل (إنجتار) رجلين من الكشافة يسبقانهم فلم يكن أحد يراهما إلا عندما يصعدان مرتفعاً بين الفينة والأخرى. كان لديه صافرة فضية متدلية من عنقه لندائهما في حال أن قال (هورين) إن المسار قد انحرف. ولكن هذا لم يحدث؛ ظلوا متجهين جنوباً.

قال (إنجتار) دون أن يتوقف: «سنصل إلى ميدان (تاليدار) في غضون ثلاثة أيام أو أربعة بهذا المعدل. أعظم انتصارات (أرتور هاوكوينج)، عندما قاد (أنصاف البشر) (الترولوكيين) خارج (البلاء العظيم) ضده، وقد استمرت المعركة لستة أيام وست ليالٍ، وعندما انتهت هرب (الترولوكيون) عائدين إلى (البلاء العظيم)، ولم يجرؤوا على مواجهته مرة أخرى. لقد أقام نصباً تذكاريّاً هناك لانتصاره؛ برجاً يبلغ ارتفاعه مئة باع. لم يسمح لهم بوضع اسمه عليه، بل اسم كل رجل قد سقط في المعركة، مع شمس ذهبية بالأعلى لترمز إلى (النور) الذي انتصر على (الظل)».

قال (لويال): «سأرغب في رؤية هذا النصب التذكاري، أنا لم أسمع به من قبل».

ظل (إنجتار) صامتاً للحظة، وعندما تحدث كان صوته هادئاً: «إنه لم يعد موجوداً أيها (البَنَاء)، عندما مات (هاوكوينج) لم يتحملوا هؤلاء الذين تقاتلوا على إمبراطوريته ترك نصب تذكاري لأحد انتصاراته، حتى لو لم يذكر اسمه. لم يتبقَّ إلا التل الذي كان قائماً عليه. في غضون ثلاثة أيام أو أربعة يمكننا رؤية هذا التل على الأقل». بدا من نبرته أنه لم يعد راغباً في الحديث أكثر من هذا.

بينما الشمس الذهبية معلقة فوق رؤوسهم مروا بمبنى مربع مصنوع من الطوب المغطى بالجص، على مسافة أقل من ميل من مسارهم. لم يكن مرتفعاً، فلم يتبقَّ منه ما يزيد عن طابقين، ولكنه يغطي مساحة كبيرة من الأرض. بدا مهجوراً منذ وقت طويل، فقد اختفى السطح، باستثناء بعض المساحات من البلاط الداكن الملتصق ببعض العوارض الخشبية، فمعظم الجص الأبيض قد تساقط ليكشف عن الطوب الداكن المتآكل تحته. وسقطت الجدران لتكشف عن الأفنية والحجرات المتعفنة بالداخل. نمت الشجيرات - بل وحتى الأشجار - في شقوق ما كانت ذات يوم أفنية.

قال (إنجتار) مفسراً: «قصر أحد اللوردات». بدا أن المرح القليل الذي استعاده قد تلاشى مع رؤية المبنى. «أعتقد أن سيد هذا القصر قد زرع الأرض لمسافة فرسخ من حوله عندما كانت (هاراد داكار) لا تزال

قائمة، ربما بساتين. كان الهاردانيون يحبون البساتين».

قال (راند) متسائلاً: «(هاراد داكار)؟».

فتنهذ (إنجتار) وقال: «ألم يعد أحد يتعلم التاريخ؟ (هاراد داكار) عاصمة (هاردان)، التي كانت ذات يوم الأمة التي نعبر أراضيها الآن».

قال (راند) في ضيق: «لقد رأيت خريطة قديمة، وأعرف بشأن الأمم التي لم تعد موجودة؛ (ماريدو) و(جوابان) و(كارالين)، ولكن لم يكن هناك أي ذكر (لهاردان) في الخريطة».

قال (لويال): «كان هناك أمم أخرى قد اختفت أيضاً؛ (مار هادون) التي هي الآن (هادون ميرك)، و(الموث)، و(كينتارا). إن (حرب المئة عام) قد مزقت إمبراطورية (أرتور هاوكوينج) إلى أمم عديدة، كبيرة وصغيرة. الصغيرة قد ابتلعته الكبيرة، أو اتحدت مثل (ألتارا) و(موراندي)، أو بالأحرى قد أُجبروا على الاتحاد معاً».

تساءل (مات): «إذن ما الذي حدث لهم؟». لم يكن (راند) قد لاحظ أن (بيرين) و(مات) اقتربا للانضمام لهم، آخر ما رآه أنهما كانا في المؤخرة بعيداً عن (راند ألتور) قدر استطاعتهما.

أجاب (الأوجير): «لم يستطيعوا الصمود معاً، فشلت المحاصيل أو فشلت التجارة، أو فشل الناس في التعاون. شيء ما قد فشل في كل حالة، مما أدى إلى تضاؤل الأمم. عادة ما تبتلع الدول المجاورة الأراضي عندما تتلاشى الأمم، ولكن ضم الأراضي هذا لم يستمر طويلاً. مع الوقت هُجرت الأرض حقاً، بعض القرى ظلت موجودة هنا وهناك، ولكن معظم الأراضي قد تحولت إلى برية، لقد مضى قرابة ثلاثمئة عام منذ هجر (هاراد داكار)، ولكن حتى قبلها كانت مجرد قشرة، مع ملك لا يستطيع التحكم فيما يحدث داخل أسوار المدينة. (هاراد داكار) نفسها قد تلاشت تماماً الآن حسبما أعرف، لقد اختفت جميع بلدات ومدن (هاردان)، وقد نقل المزارعون والقرويون الأحجار بعيداً لاستخدامها في أغراضهم الخاصة، معظم المزارع والقرى التي بُنيت بهذه الأحجار قد اختفت أيضاً. هذا ما قرأته، ولم أرَ حتى الآن شيئاً يغير هذا».

قال (إنجتار) بمرارة: «كانت (هاراد داكار) محجراً عظيماً لمئة عام. لقد رحل الناس أخيراً، ثم حُمِلت المدينة بعيداً حجراً تلو الآخر. كل شيء قد تلاشى، وما لم يُخْتَفَ قد اضمحل، كل شيء في كل مكان قد اضمحل. لا تكاد توجد أمة تسيطر حقاً على الأراضي التي تزعمها على الخريطة، ولا يكاد يكون هناك أرض تزعم اليوم على خريطة ما كانت تزعمه قبل مئة عام. عندما انتهت (حرب المئة عام) كان المرء قادراً على أن يسافر من أمة إلى أخرى بلا نهاية، من (البلاء العظيم) حتى (بحر العواصف)، الآن يمكننا أن نسافر عبر برية لا تطالب بها أي أمة في أنحاء الأرض كلها تقريباً. نحن في (البلاد الحدودية) لدينا معركتنا مع (البلاء العظيم) التي تبقينا أقوياء ومتماسكين، ربما لم يكن لديهم ما يحتاجون إليه لكي يبقوا أقوياء. تقول إنهم قد فشلوا أيها (البناء)؟ أجل لقد فشلوا، وأي أمة تقف اليوم متماسكة ستفشل في الغد؟ نحن البشر نتعرض للاجتياح، كالخطام التي يحملها فيضان. كم سيمضي حتى لا يتبقى شيء سوى (البلاد الحدودية)؟»

وكم سيمضي قبل أن نغرق بدورنا ولا يتبقى شيء سوى (الترولوكيين) و(الميردرال) على طول الطريق حتى (بحر العواصف)؟».

خيم صمت نابع عن الصدمة، حتى (مات) لم يجرؤ على أن يكسره. تقدم (إنجتار) بحصانه غارقاً في أفكاره المظلمة الخاصة.

بعد فترة عاد رجلا الكشافه مسرعين بحصانيهما، كل منهما يجلس مستقيماً في سرجه، ورمحه منتصب ناحية السماء. «هناك قرية أمامنا يا سيدي، لم يرنا أحد ولكنها تقع مباشرة على خط سيرنا».

انترع (إنجتار) نفسه من أفكاره ولكنه لم يتحدث حتى وصلوا إلى قمة سلسلة من التلال الخفيضة تطل على القرية. حينها فقط أمر بالتوقف بينما يخرج منظاراً مكبراً من أكياس سرجه ويرفعه لينظر إلى القرية.

تفحص (راند) القرية باهتمام، كانت كبيرة بحجم (إيموندز فيلد)، رغم أنها لم تكن كبيرة للغاية مقارنة ببعض البلدات التي رآها منذ مغادرة (النهرين) ناهيك بالمدن. كانت البيوت كلها خفيضة ومطلية بطين أبيض، ويبدو أن العشب ينمو على أسطحها المنحدرة. كان هناك دزينة من الطواحين منتشرة في أرجاء القرية، تدور ببطء وأذرعها الطويلة المغطاة بالأقمشة تومض بضوء أبيض في الشمس. كان هناك سور منخفض يحيط بالقرية، ترابي وعشبي ويصل إلى ارتفاع الصدر، وخارجه كان هناك خندق واسع به أوتاد حادة سميكة في القاع. لم يكن هناك بوابة في الفتحة الوحيدة التي استطاع أن يراها في السور، ولكنه افترض أنه يمكن إغلاقها بسهولة كافية بعربة أو شيء من هذا القبيل. لم يستطع أن يرى أي أشخاص.

قال (إنجتار) وهو يعيد العدسة المكبرة إلى أكياس سرجه: «لا يوجد حتى كلب على مرمى البصر». ثم سأل رجلي الكشافه: «هل أنتما واثقان من أنهم لم يروكما؟».

أجابه أحد الرجلين: «لا، ما لم يكن لديهم حظ (سيد الظلام) نفسه يا سيدي. نحن لم نصعد قمة المرتفع، ولم نر أي شخص يتحرك حينها أيضاً يا سيدي».

أوماً (إنجتار) برأسه وقال: «الأثر يا (هورين)؟».

أخذ (هورين) نفساً عميقاً ثم قال: «ناحية القرية يا سيدي، نحوها مباشرة، قدر ما أستطيع أن أحدد من هنا».

قال (إنجتار) آمراً وهو يجذب لجام حصانه: «انتبهوا جيداً، ولا تصدقوا أنهم ودودون لمجرد أنهم يبتسمون، هذا إن كان يوجد أي شخص هناك».

اقتادهم هابطاً مباشرة ناحية القرية بوتيرة بطيئة، ثم مد يده ليحرر سيفه من غمده. سمع (راند) أصوات الآخرين من ورائه يفعلون الشيء ذاته، وبعد لحظة استل سيفه بدوره. قرر أن محاولة البقاء على قيد الحياة ليست مثل محاولة أن تكون بطلاً.

سأل (بيرين) (إنجتار): «هل تعتقد أن هؤلاء الناس سيساعدون أصدقاء الظلام؟».

لم يجبه الشايناري على الفور، ثم قال أخيراً: «إنهم لا يكونون للشايناريين حباً كبيراً، يعتقدون أنه يجب علينا أن نحميهم، نحن أو الكايرينيون. لقد طالبت (كايرين) بهذه الأرض بمجرد أن مات آخر ملوك (هاردان)، طالبوا بكل الأرض حتى (نهر إيرينين)، ولكنهم لم يستطيعوا التثبيت بها، لقد تخلوا عن مطالبتهم بالأرض قبل مئة عام تقريباً. عدد قليل من الناس الذين لا يزالون يعيشون هنا، ليس عليهم القلق بشأن (الترولوكيين) بعيداً إلى هذا الحد في الجنوب، ولكن هناك الكثير من قطاع الطرق من البشر، لهذا لديهم السور والخندق. كل قراهم لديها هذا. ستكون حقولهم مخفية في أغوار من حولنا، ولكن لا أحد سيعيش خارج السور، سيقسمون بالولاء لأي ملك يمنحهم حمايته، ولكننا نبذل كل جهدنا في مواجهة (الترولوكيين)، ومع ذلك فهم لا يحبوننا». عندما وصلوا إلى الفتحة في السور المنخفض قال مرة أخرى: «انتبهوا جيداً!!».

كانت كل الشوارع تؤدي إلى ساحة القرية، ولكن لم يكن هناك أحد في الشوارع أو يطل من النوافذ. لم يكن هناك حتى كلب يتحرك، أو حتى دجاجة، لا شيء حي. كانت الأبواب المفتوحة تتأرجح في مهب الريح وتصدر صريراً يتناغم مع صرير الطواحين. بدا صوت الحوافر عالياً في الشوارع الترابية الممهدة. تمتم (هورين): «ما حدث هنا يُشبه ما حدث عند المركب، ولكن بشكل مختلف». كان منحنيًا في سرجه وهو يخفض رأسه كما لو أنه يحاول أن يختبئ بين كتفيه. «لقد حدث عنف، ولكن... لا أعرف، حدث أمر سيئ هنا، رائحته سيئة».

قال (إنجتار): «خذ طابورًا يا (أونو) وفتش البيوت، إن عثرت على أي شخص فاجلبه لي في الساحة، ولكن لا تُخفهم هذه المرة، أريد إجابات وليس أشخاصًا يهربون للنجاة بحياتهم». اقتاد الجنود الآخرين ناحية منتصف القرية، بينما (أونو) يأمر رجاله العشرة بالترجل عن خيولهم.

تردد (راند) وهو يتلفت حوله. صرير الأبواب، وأنين الطواحين، وحوافر الخيول، كل شيء يصنع ضوضاء شديدة، كما لو أنه لم يعد هناك أي صوت آخر في العالم. تفحص البيوت بينما ستائر نافذة مفتوحة تصفع الجزء الخارجي من البيت. بدت جميع البيوت خالية من الحياة. تنهد وهو يترجل عن حصانه ويمشي إلى أقرب البيوت ثم توقف وهو يحدق إلى الباب.

إنه مجرد باب، ما الذي تخاف منه؟ تمنى لو أنه لا يشعر بأن هناك شيئًا ينتظره على الجانب الآخر. دفع الباب لفتحه.

بالداخل كان هناك حجرة مرتبة، أو كانت كذلك، الطاولة مهيأة من أجل وجبة، ومحاطة بالكراسي، وبعض الأطباق قد وُضعت عليها بالفعل. كان هناك بعض الذباب يصدر طنينًا فوق آنية اللفت والبازلاء، وبعضها يزحف على اللحم المشوي البارد المستقر في دهنه المتجمد. كان هناك شريحة مقطوعة من اللحم المشوي، والشوكة لا تزال مغروسة في اللحم، وسكين التقطيع ملقى في منتصف الطبق كما لو أنه قد سقط. دلف (راند) إلى الداخل.

وميض.

رجل أصلع مبتسم في ثياب خشنة يضع شريحة من اللحم على طبق تحمله امرأة بوجه متعب ولكنها تبتسم بدورها. أضافت البازلاء واللفت إلى الطبق ومررته إلى أحد الأطفال المصطفين حول الطاولة. كان هناك نصف دزينة من الأطفال، أولاد وبنات، ما بين البالغين تقريباً وحتى من هم طوال بما يكفي بالكاد للنظر من فوق الطاولة. قالت المرأة شيئاً فضحكت الفتاة التي تأخذ منها الطبق. بدأ الرجل في قطع شريحة أخرى. فجأة صرخت فتاة أخرى وهي تشير إلى الباب المؤدي إلى الشارع، أسقط الرجل سكين التقطيع وهو يدور حول نفسه، ثم صرخ بدوره ووجهه ممتقع في رعب قبل أن يحمل أحد الأطفال. أمسكت المرأة بطفل آخر وهي تشير إلى بقيتهم في يأس، وفمها يتحرك بشكل مذعور دون أن يصدر عنه صوت. أسرعوا جميعاً ناحية الباب الموجود على الناحية الأخرى من الحجرة.

انفتح الباب فجأة و...

وميض.

لم يستطع (راند) أن يتحرك، كان صوت طنين الذباب فوق الطاولة يبدو أعلى، وأنفاسه تصنع سحابة أمام فمه.

وميض.

رجل أصلع مبتسم في ثياب خشنة يضع شريحة من اللحم على طبق تحمله امرأة بوجه متعب ولكنها تبتسم بدورها. أضافت البازلاء واللفت إلى الطبق ومررته إلى أحد الأطفال المصطفين حول الطاولة. كان هناك نصف دزينة من الأطفال، أولاد وبنات، ما بين البالغين تقريباً وحتى من هم طوال بما يكفي بالكاد للنظر من فوق الطاولة. قالت المرأة شيئاً فضحكت الفتاة التي تأخذ منها الطبق. بدأ الرجل في قطع شريحة أخرى. فجأة صرخت فتاة أخرى وهي تشير إلى الباب المؤدي إلى الشارع، أسقط الرجل سكين التقطيع وهو يدور حول نفسه، ثم صرخ بدوره ووجهه ممتقع في رعب قبل أن يحمل أحد الأطفال. أمسكت المرأة بطفل آخر وهي تشير إلى بقيتهم في يأس، وفمها يتحرك بشكل مذعور دون أن يصدر عنه صوت. أسرعوا جميعاً ناحية الباب الموجود على الناحية الأخرى من الحجرة.

انفتح الباب فجأة و...

وميض.

بذل (راند) مجهوداً كبيراً لكي يتحرك، ولكن عضلاته بدت متجمدة. صارت الحجرة أكثر برودة، وأراد أن يرتجف، ولكنه لم يستطع حتى أن يتحرك هذا القدر. الذباب يزحف على كل الطاولة، تلمّس بحثاً عن الخواء، كان الضوء المثير للغثيان موجوداً هناك، ولكنه لم يبال، يجب عليه أن...

وميض.

رجل أصلع مبتسم في ثياب خشنة يضع شريحة من اللحم على طبق تحمله امرأة بوجه متعب ولكنها تبتسم بدورها. أضافت البازلاء واللفت إلى الطبق ومررته إلى أحد الأطفال المصطفين حول الطاولة. كان هناك نصف دزينة من الأطفال، أولاد وبنات، ما بين البالغين تقريباً وحتى من هم طوال بما يكفي بالكاد للنظر من فوق الطاولة. قالت المرأة شيئاً فضحكت الفتاة التي تأخذ منها الطبق. بدأ الرجل في قطع شريحة أخرى. فجأة صرخت فتاة أخرى وهي تشير إلى الباب المؤدي إلى الشارع، أسقط الرجل سكين التقطيع وهو يدور حول نفسه، ثم صرخ بدوره ووجهه ممتقع في رعب قبل أن يحمل أحد الأطفال. أمسكت المرأة بطفل آخر وهي تشير إلى بقيتهم في يأس، وفمها يتحرك بشكل مذعور دون أن يصدر عنه صوت. أسرعوا جميعاً ناحية الباب الموجود على الناحية الأخرى من الحجرة.

انفتح الباب فجأة و...

وميض.

كانت الحجرة متجمدة. باردة للغاية. الذباب الأسود يغطي سطح الطاولة. الجدران كتل متحركة من الذباب، والأرضية، والسقف. كل شيء أسود بالذباب. إنه يزحف على (راند)، يغطيه، يزحف على وجهه، على عينيه، يدخل أنفه، فمه. فليساعدي (النور). البرودة. الذباب يطن كالرعد. البرودة. إنها تخرق الخواء، تسخر من الفراغ، تغلفه بالجليد. حاول في يأس أن يصل إلى الضوء المومض. تلوت معدته ولكن الضوء كان دافئاً. دافئ. حار. أحس (راند) أنه ساخن.

فجأة صار يمزق... شيئاً ما، لم يعرف ماذا أو كيف، شبك عنكبوت مصنوعة من الفولاذ. أشعة قمر منحوتة من الحجر تنهار مع لمسته. ولكنه يعرف أن عليه ألا يلمس أي شيء. لقد ذبلت وذابت مع الحرارة التي تجتاحه بنيران ورشة حدادة، حرارة كأن العالم يحترق، حرارة كأنها...

تلاشى كل شيء. تلفت حوله بعينين متسعيتين وهو يلهث. عدد قليل من الذباب يغطي اللحم المشوي شبه المقطوع في الطبق، ذباب ميت. ست ذبابات، ست فحسب. كان هناك المزيد في الآنية، نصف دزينة من النقاط السوداء بين الخضراوات الباردة. جميعها ميتة. جر قدميه خارجاً إلى الشارع.

خرج (مات) حينها من البيت على الناحية المقابلة من الشارع وهو يهز رأسه. ثم قال مخاطباً (بيرين) الذي لا يزال على صهوة حصانه: «لا أحد هناك، يبدو أنهم جميعاً قد نهضوا بينما يتناولون طعامهم ورحلوا». تعالت صيحة من الساحة.

قال (بيرين) وهو يركز جانبي حصانه بكاحليه: «لقد عثروا على شيء ما». أسرع (مات) إلى سرجه واندفع وراءه.

صعد (راند) على صهوة (ريد) ببطء أكثر، جفل الحصان كما لو أنه يشعر بعدم الارتياح. نظر إلى البيوت بينما يتحرك ببطء ناحية الساحة ولكنه لم يستطع أن يجعل نفسه ينظر إليها لفترة طويلة. لقد دلف (مات) إلى

أحد البيوت ولم يحدث له شيء. عقد العزم على ألا تطأ قدمه أي بيت آخر في تلك القرية مهما حدث. وكز (ريد) بكاحليه ليسر من وتيرته.

كان الجميع واقفين كالتماثيل أمام مبنى كبير له باب مزدوج واسع، لم يعتقد (راند) أنه قد يكون حانة، فلم يكن هناك لافتة، ربما مكان للاجتماع في القرية. انضم إلى الدائرة الصامتة وحقق مثل البقية.

كان هناك رجل منبسط الأطراف على الباب المزدوج، مع مسامير سميكة تحترق معصميه وكتفيه، والمزيد من المسامير قد عُرسَتْ في عينيه لتثبيت رأسه إلى الأعلى. الدماء السوداء الجافة صنعت خطوطاً على وجنتيه. علامات الاحتكاك على الخشب وراء حذائه تُظهر أنه كان حياً عندما حدث هذا، أو عندما بدأ على الأقل.

حبس (راند) أنفاسه، هذا ليس رجلاً، هذه الملابس السوداء، الأسود من السواد، لم يرتدها إنسان من قبل. كان طرف العباءة العالقة وراء الجسد يخفق مع الريح، وهذا ما لم يكن يحدث دوماً، إنه يعرف هذا جيداً. لم تلمس الرياح هذه الملابس قط، ولكن لم يكن هناك عيان في ذلك الوجه الشاحب الخالي من الدماء.

قال بأنفاس لاهثة: «(ميردرال)». كما لو أن حديثه قد أطلق سراح الآخرين فقد بدأوا يتحركون من جديد ويتنفسون.

قال (مات): «من...». اضطر لأن يتوقف لكي يزدرد لعابه. «من يمكنه أن يفعل هذا (بعاتم)؟». صار صوته مبحوحاً في نهاية الجملة.

قال (إنجتار): «لا أعرف. لا أعرف». تلفت حوله وهو يتفحص الوجوه، أو ربما يحصي عددهم ليتيقن من وجود الجميع. «ولا أعتقد أننا سنعرف أي شيء هنا. يجب أن نتحرك، امتطوا خيولكم! التقط الأثر من هذا المكان يا (هورين)».

«أمرك يا سيدي، بكل سرور. من هذا الطريق يا سيدي، إنهم لا يزالون متجهين جنوباً».

تحركوا مبتعدين، تاركين (الميردرال) الميت معلقاً حيث هو، والرياح تحرك عباءته السوداء. كان (هورين) أول من اجتاز السور، فلم ينتظر تقدم (إنجتار) كما هي العادة، ولكن (راند) تقدم مقترباً منه.

الفصل الحادي عشر

لمحات من النمط

لأول مرة يأمر (إنجتار) بإيقاف مسيرة اليوم بينما الشمس لا تزال ذهبية فوق الأفق. كان الشايناريون الأشداء يشعرون بآثار ما قد رأوه في القرية، لم يتوقف (إنجتار) باكراً هكذا من قبل، وكان موقع التخيم الذي اختاره يبدو وكأنه موضع يمكن الدفاع عنه. كان غوراً عميقاً، ويكاد أن يكون دائرياً، وكبيراً بما يكفي لاستيعاب كل الرجال والخيول بشكل مريح. كان هناك أجمة متناثرة من أشجار البلوط والأوراق الجلدية تغطي المنحدرات الخارجية. الحافة نفسها كانت مرتفعة بما يكفي لإخفاء أي شخص في موقع التخيم حتى من دون الأشجار. هذا الارتفاع قد يعد تلاً في مثل هذا الريف.

سمع (أونو) يخبر الرجال بينما يترجلون: «كل ما أقوله هو إنني رأيته بحق (النور). كان هذا قبل أن نجد (نصف البشري) اللعين. المرأة اللعينة نفسها عند المركب اللعين. كانت هناك وفجأة لم تعد هناك. فلتقل ما يحلو لك، ولكن انتبه كيف تقوله، وإلا فسأسلخك بنفسي وأحرق جلدك اللعين».

توقف (راند) وهو يضع قدمًا على الأرض والأخرى لا تزال في الركاب. المرأة نفسها؟ ولكن لم يكن هناك أي نساء عند المركب، بل بعض الستائر تخفق في الرياح، ومن المستحيل أن تصل إلى القرية قبلنا، هذا إن كان هناك امرأة. القرية...

أبعد الفكرة عن رأسه، أكثر حتى من (العاتم) المصلوب على الباب، أراد أن ينسى الحجرة والذباب والناس الذين كانوا هناك ثم لم يعودوا هناك. (نصف البشري) كان حقيقياً، الجميع قد رأوه، ولكن الحجرة... ربما أصاب أخيراً بالجنون. تمنى لو أن (مويرين) موجودة لكي يتحدث معها. أتمنى وجود (آيز سيادي)؟ أنت أحمق. لقد خرجت من ذلك الأمر، والآن ابقى خارجاً. ولكن هل خرجت؟ ما الذي حدث هناك؟

قال (إنجتار) آمراً بينما حاملو الرماح يعدون المخيم: «أحصنة البضائع والمؤن في المنتصف. دلکوا الأحصنة ثم أسرجوها مرة أخرى في حال أن اضطررنا إلى التحرك بسرعة. كل رجل سينام إلى جانب حصانه، ولن تكون هناك نيران هذه الليلة. ستبديل نوبات الحراسة كل ساعتين. (أونو)، أريد أن يخرج الكشافة، ويذهبون إلى أبعد ما يستطيعون، وأن يعودوا قبل حلول الظلام. أريد أن أعرف ما الذي يوجد هناك».

قال (راند) لنفسه: إنه يشعر بذلك. لم يعد الأمر يقتصر على بعض أصدقاء الظلام و(الترولوكيين) وربما (عاتم) فحسب. تعجب من نفسه لقوله بعض أصدقاء الظلام و(الترولوكيين) وربما (عاتم) فحسب! قبل بضعة أيام لم يكن ليقول فحسب، حتى في (البلاد الحدودية)، حتى مع وجود (البلاء العظيم) على مسافة أقل من يوم، فإن أصدقاء الظلام و(الترولوكيين) و(الميردرال) كانوا كافين لإصابة المرء بكابوس حينها، قبل أن يرى (ميردرال) مصلوباً على باب. ما الذي يمكنه أن يفعل هذا بحق (النور)؟ وقبل أن يخطو إلى حجرة حيث كان

هناك أفراد عائلة يتناولون عشاءهم وتنقطع ضحكاتهم. لا شك أنني تخيلت الأمر، لا شك في هذا. حتى في رأسه لم يبدُ مقتنعًا تمامًا. إنه لم يتخيل الرياح على قمة البرج، أو (الأميرلين) وهي تقول...
«(راند)؟». جفل عندما تحدث (إنجتار) إلى جانبه. «هل ستبقى طيلة اليوم واضعًا قدمًا واحدة في الركاب؟».

وضع (راند) قدمه الأخرى على الأرض وقال: «ما الذي حدث في القرية يا (إنجتار)؟». «لقد أخذهم (الترولوكيون). الشيء ذاته قد حدث للناس عند المركب. هذا ما يحدث. (العاتم)...». هز (إنجتار) يديه ثم نظر إلى الأسفل إلى حزمة مسطحة كبيرة ومربعة مغطاة بالقماش بين ذراعيه، وراح يحرق إليها كأنها يرى أسرارًا خفية يفضل ألا يعرفها. «لقد أخذهم (الترولوكيون) من أجل الطعام. إنهم أحيانًا ما يفعلون هذا في القرى والمزارع القريبة من (البلاء العظيم) أيضًا، إن تجاوزت الغارة الأبراج الحدودية في الليل. أحيانًا نستعيد الناس، وأحيانًا لا. أحيانًا نستعيدهم ونكاد نتمنى لو لم نفعل. (الترولوكيون) يبدوون في التقطيع قبل القتل، و(أنصاف البشر) يحبون الحصول على... بعض المتعة، وهذا أسوأ مما يفعله (الترولوكيون)». كان صوته هادئًا كما لو أنه يتحدث عن شيء يحدث كل يوم، وربما الأمر هكذا، فهو جندي شيناري.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا ليهدي معدته، ثم قال: «ذلك (العاتم) هناك لم يحظَ بأي متعة يا (إنجتار). ما الذي يمكنه أن يصلب (ميردرال) حيًا؟».

تردد (إنجتار) ثم هز رأسه، قبل أن يدفع بالحزمة الكبيرة إلى (راند). «خذ، أمرتني (مويرين) أن أعطيك هذه عند أول مخيم جنوب (نهر إيرينين)، لا أعرف ما بداخلها ولكنها قالت إنك ستحتاج إليها. أخبرتني أن أقول لك أن تعني بها، فحياتك قد تعتمد عليها».

أخذها (راند) على مضض وهو يشعر بوخز في جلده مع ملمس القماش. كان هناك شيء ناعم بالداخل، ربما شيء قماشي. أمسكها بحذر. إنه لا يرغب في التفكير بشأن (الميردرال) أيضًا. ما الذي حدث في تلك الحجرة؟ فأدرك فجأة أن التفكير في (العاتم)، أو ربما في تلك الحجرة، كان أفضل بالنسبة له من التفكير فيما أرسلته له (مويرين).

«أخبرتني أن أقول لك أيضًا إنه في حالة حدوث أي شيء لي فإن حاملي الرماح سيتبعونك».
«أنا!». شهق (راند) وقد نسي الحزمة وكل شيء آخر. قابل (إنجتار) نظراته المتشككة بإيماء هادئة. «هذا جنوني! أنا لم أقُد أي شيء في حياتي سوى قطيع من الأغنام يا (إنجتار)، إنهم لن يتبعوني على أي حال، كما أن (مويرين) لا تستطيع أن تفرض عليك من يكون الشخص الثاني بعدك، إنه (أونو)».

«لقد استدعاني اللورد (أجيلمار) في الصباح الذي غادرنا فيه، كانت (مويرين سيدي) هناك، ولكن اللورد (أجيلمار) هو من أمرني. أنت الرجل الثاني من بعدي يا (راند)».

«ولكن لماذا يا (إنجتار)؟ لماذا؟». كانت يد (مويرين) ساطعة وواضحة في الأمر، يدها ويد (الأميرلين)، تدفعانه عبر المسار الذي اختارته، ولكن عليه أن يسأل.

بدا الشايناري وكأنه لا يفهم الأمر أيضًا، ولكنه جندي معتاد على تنفيذ أوامر غريبة في حرب لا نهائية على طول (البلاء العظيم). «لقد سمعت شائعات من مساكن النساء أنك حقًا...». بسط يديه المغطاتين بالقفاز. «لا يهم، أعرف أنك ستنكر الأمر، تمامًا كما تنكر ملامح وجهك. تقول (مويرين سيدي) إنك راعي غنم، ولكنني لم أر من قبل راعي غنم يحمل سيفًا بعلامة البلشون. لا يهم، لن أزعم أنني كنت سأختارك بنفسني، ولكنني أعتقد أن لديك القدرة على فعل ما هو مطلوب. ستؤدي واجبك إذا ما تحتم الأمر».

أراد (راند) أن يقول إن هذا ليس واجبه، ولكنه بدلًا من هذا قال: «أفترض أن (أونو) يعرف بشأن هذا الأمر، من غيره يا (إنجتار)؟».

«جميع حاملي الرماح، عندما نخرج نحن الشايناريون فكل رجل يعرف من سيكون التالي في تسلسل القيادة في حال أن سقط القائد، سلسلة غير منقطعة حتى آخر رجل يتبقى، حتى لو لم يعد هناك سوى الرجل الذي يعتني بالخيول. وبهذه الطريقة كما ترى فحتى لو كان هو الرجل الأخير فإنه لن يكون مجرد رجل شارد يحاول البقاء على قيد الحياة. إنه صاحب الأمر، والواجب يدعوه لفعل ما يتحتم عليه فعله. إذا ذهبت إلى الاحتضان الأخير للأمم فسيقع الواجب على عاتقك، ستعثر على (البوق) وستأخذه إلى حيث ينتمي، ستفعل هذا». كان هناك تأكيد خاص في كلمات (إنجتار) الأخيرة.

بدأت الحزمة في ذراعي (راند) بثقل عشرة أحجار. بحق (النور)، قد تكون على مسافة مئة فرسخ ولكنها لا تزال تمتد يدها وتجذب المقود. من هذا الطريق يا (راند). من ذاك الطريق. أنت (التنين العائد) يا (راند). «لا أريد هذا الواجب يا (إنجتار)، لن أقبله. بحق (النور)، أنا مجرد راعي غنم! لم لا يصدق أحد هذا؟».

«ستؤدي واجبك يا (راند)، عندما يسقط الرجل الموجود على قمة السلسلة فكل شيء من تحته يتداعى. الكثير يتداعى. الكثير بالفعل. فليبارك (السلام) سيفك يا (راند أثور)».

«(إنجتار)، أنا...». ولكن (إنجتار) كان يمشي مبتعدًا وينادي ليرى إن كان (أونو) قد أرسل الكشافه بعد.

حذر (راند) إلى الحزمة ما بين ذراعيه ولحق شفتيه؛ إنه خائف من معرفة ما بداخلها. أراد أن ينظر، وفي الوقت ذاته أراد أن يلقيها في النار دون أن يفتحها. فكر أنه قد يفعل هذا إن كان متيقنًا من أنها ستحترق دون أن يرى أحد ما بداخلها، إن كان متيقنًا أن ما بداخلها يمكن أن يحترق على الإطلاق. ولكنه لا يستطيع أن ينظر هنا، حيث قد ترى أعين أخرى غير عينيه.

تلقت حوله في أرجاء المخيم، كان الشايناريون ينزلون حمولة أحصنة البضائع، وبعضهم يوزع بالفعل عشاءً باردًا من اللحم المجفف والخبز، كان (مات) و(بيرين) يعتنيان بحصانيهما، بينما يجلس (لويال) على

حجر ويقرأ في كتاب، وغليونه الطويل بين أسنانه، وخيط من الدخان يتلوى فوق رأسه. أمسك (راند) بالحزمة كما لو أنه يخشى أن يسقطها، ثم تسلل إلى الأشجار.

جثا على ركبتيه في بقعة صغيرة تغطيها الأغصان الكثيفة الأوراق ثم وضع الحزمة على الأرض. حدق إليها لبعض الوقت. إنها لن تفعل هذا، لا يمكنها هذا. أجابه صوت في عقله: أوه، أجل، يمكنها هذا. يمكنها وستفعل. أخيرًا بدأ في فك العقد الصغيرة في الحبال التي تربطها؛ عقدًا أنيقة مربوطة بدقة تدل بوضوح على يد (مويرين). لم يفعل خادم هذا نيابة عنها، لم تكن لتجرؤ على أن تسمح لأي خادم بأن يرى.

عندما فك آخر الحبال فتح ما كان مطويًا بداخل الحزمة بيدين متخدلتين، ثم حدق إليه بغم جاف. كان كل شيء عبارة عن قطعة واحدة، ليست منسوجة ولا مصبوغة ولا ملونة. راية بيضاء كالثلج، وضخمة بما يكفي لرؤيتها من أي مكان في ساحة القتال، وعبرها يخطو شكل متموج أشبه بأفعوان ذي حراشف ذهبية وقرمزية، ولكنه أفعوان بأربع أرجل حرشفية، وكل واحدة بها خمسة مخالب ذهبية، أفعوان بعينين كالشمس، ولبدة أسد ذهبية. لقد رآها ذات مرة، وأخبرته (مويرين) عن حقيقتها، راية (ليوز ثيرين تيلامون)، (ليوز ثيرين قاتل أهله)، في (حرب الظل). راية (التنين).

«انظر إلى هذا! انظر إلى ما لديه الآن». اقتحم (مات) البقعة التي بين الأشجار، وجاء (بيرين) من ورائه بحركة أبطأ. قال (مات) ساخرًا: «في البداية معاطف فاخرة، والآن راية! لن يكف عن الحديث عن كونه لوردًا الآن مع...». اقترب (مات) بما يكفي لكي يرى الراية بوضوح، ففغرفاه ثم تراجع خطوة للوراء وهو يقول: «بحق (النور)!». لقد كان هناك أيضًا، عندما ذكرت (مويرين) اسم الراية، وكذلك كان (بيرين).

تعاظم الغضب بداخل (راند)، الغضب من (مويرين)، و(عرش أميرلين)، اللتين تدفعانه وتسحبانه. انتزع الراية بكلتا يديه وهزها أمام (مات)، والكلمات تندفع منه دون سيطرة: «هذا صحيح! راية (التنين)!». قطع (مات) خطوة أخرى للوراء. «تريد مني (مويرين) أن أكون دمية في خيوط (تار فالون)، (تينيا كاذبًا) من أجل (الآيز سيدي). ستجبرني على هذا الأمر بغض النظر عما أريده، ولكنني... لن... أسمح... باستغلالني!».

تراجع (مات) حتى التصق ظهره بجذع شجرة وقال: «(تين كاذب)؟». ازدرد لعابه. «أنت؟ هذا... هذا جنون».

لم يتراجع (بيرين)، بل جلس القرفصاء واضعًا ذراعيه السميكتين على ركبتيه وهو يتفحص (راند) بعينه الذهبيتين، لقد بدا أنها تلمعان في ظلال المساء. «إن كانت (الآيز سيدي) يردن منك أن تكون (تينيا كاذبًا)... صمت وهو يعقد حاجبيه مفكرًا في الأمر مليًا، وأخيرًا قال بهدوء: «هل يمكنك التسخير يا (راند)؟». شهق (مات) شهقة مختنقة.

ترك (راند) الراية تسقط، لم يتردد إلا للحظة، قبل أن يومئ برأسه في تعب. «أنا لم أطلب هذا، أنا لا أرغب في هذا، ولكن... ولكن لا أعتقد أنني أعرف كيف أوقفه». عادت الحجرة المليئة بالذباب إلى عقله رغمًا عنه.

«لا أعتقد أنهم سيسمحون لي بالتوقف».

قال (مات) بصوت لاهث: «بحق (النور)! بحق الدماء والرماد! سيقتلوننا جميعًا بلا شك. أنا و(بيرين) مثلك تمامًا، إن عرف (إنجتار) والآخرين بالأمر فسيقطعون أعناقنا معتقدين أننا أصدقاء ظلام. بحق (النور)، على الأرجح سيعتقدون أننا جزء من سرقة (البوق) وقتل أولئك الناس في (فال دارا)».

قال (بيرين) بهدوء: «اصمت يا (مات)».

«لا تقل لي أن أصمت، إن لم يقتلنا (إنجتار) فسيصاب (راند) بالجنون ويفعل هذا نيابة عنه. بحق (النور)! بحق (النور)!». انزلق (مات) على الشجرة ليجلس على الأرض. «لم لم يرققنك؟ إن كانت (الآيز سيدي) يعلمن فلم لم يرققنك؟ لم أسمع من قبل أنهن سمحن لرجل يمكنه استخدام (القوة الواحدة) بأن يمشي مبتعدًا بهذه البساطة».

تنهد (راند) وقال: «إنهن لا يعرفن جميعًا. (العرش أميرلين)...».

«(عرش أميرلين)! إنها تعرف؟ بحق (النور)، لا عجب أنها كانت تنظر إليّ تلك النظرة الغريبة».

«... و(مويرين)، أخبرتاني أنني (التنين العائد)، ثم قالت إن باستطاعتي أن أذهب أينما يحلو لي. ألا ترى يا (مات)؟ إنهن يحاولن استغلامي».

تتم (مات): «هذا لا يغير شيئًا من حقيقة أنك قادر على التسخير. لو أنني مكانك لكنت الآن في طريقي إلى (محيط آرث)، ولن أتوقف حتى أجد مكانًا لا يوجد فيه (آيز سيدي)، ومن غير المرجح أن تذهب إليه أي منهن، وألا يوجد فيه أناس، أعني... حسنًا...».

قال (بيرين): «اصمت يا (مات). لم أنت هنا يا (راند)؟ كلما طال بقاؤك بصحبة الناس زاد احتمال أن شخصًا ما سيعرف بالأمر ويُرسل في طلب (الآيز سيدي). (الآيز سيدي) لن يخبرنك أن تذهب وتفعل ما يحلو لك». صمت وهو يفرك رأسه مفكرًا في الأمر. «و(مات) محق بشأن (إنجتار)، لا أشك في أنه سيعتبرك من أصدقاء الظلام ويقتلك، وربما يقتلنا جميعًا. إنه يبدو معجبًا بك، ولكنني أعتقد أنه سيفعلها رغم هذا. (تنين كاذب)؟ سيفعل الآخرون هذا أيضًا، (ماسيما) لا يحتاج إلى عذر كبير لقتلك. لم لا تذهب؟».

هز (راند) كتفيه وقال: «كنت ذاهبًا، ولكن أولاً جاءت (الأميرلين)، ثم سُرِق (البوق) والخنجر، وقالت (مويرين) إن (مات) يحتضر، و... بحق (النور)، ظننت أن باستطاعتي أن أبقى معكما حتى نجد الخنجر على الأقل، ظننت أنني أستطيع المساعدة في هذا الأمر، ربما كنت مخطئًا».

قال (مات) بهدوء: «لقد جئت بسبب الخنجر؟». فرك أنفه متجهماً ثم قال: «لم أفكر في هذا قط، لم أعتقد قط أنك قد ترغب في... آآه! هل تشعر أنك بخير؟ أعني أن الجنون لم يُصِبك بالفعل، أليس كذلك؟».

التقط (راند) حصاة من على الأرض ثم ألقاها ناحيته.

فرك (مات) ذراعه وهو يقول: «هذا مؤلم! كنت أسأل فحسب. أعني كل هذه الثياب الفاخرة، وكل هذا الحديث عن كونك لوردًا، حسنًا، هذا لا يشي بعقل سليم».

«كنت أحاول التخلص منكما أيها الأحق! كنت أخشى أنني قد أصاب بالجنون وأؤذيكما». وقعت عيناه على الراية فخفض صوته وقال: «سأفعل هذا في نهاية المطاف إن لم أوقف الأمر. بحق (النور)، لا أعرف كيف أوقفه».

قال (مات) وهو يعتدل واقفًا: «هذا ما كنت أخشاه، لا أقصد الإهانة يا (راند)، ولكنني أعتقد أنني سأنام بعيدًا عنك قدر الإمكان إن كنت لا تمنع. هذا إن كنت ستبقى معنا. لقد سمعت ذات مرة عن رجل يمكنه التسخير، أخبرني بهذا أحد حرس التجار، قبل أن تجده (الآجاء الحمراء) استيقظ ذات صباح وقد تحطمت قريته بأسرها، كل البيوت، وكل الناس، وكل شيء، باستثناء الفراش الذي كان ينام عليه، كأن جبالًا قد تدحرج فوقهم».

قال (بيرين): «في هذه الحالة يا (مات) يجب عليك أن تنام ملتصقًا به».

«قد أكون أحق، ولكنني أنوي أن أكون أحق حيًا». تردد (مات) وهو ينظر نظرة جانبية إلى (راند). «اسمعني، أعرف أنك قد جئت لمساعدتي، وأنا ممتن لهذا، ممتن حقًا، ولكنك لم تعد كما كنت. أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟». انتظر كما لو أنه يتوقع جوابًا، ولكن لم يأتِهِ جواب. وأخيرًا اختفى بين الأشجار عائداً نحو المخيم.

قال (راند) متسائلًا: «وماذا عنك؟».

هز (بيرين) رأسه فتأرجحت خصلات شعره الأشعث. «لا أعرف يا (راند). أنت الشخص ذاته، ولكنك في الوقت نفسه لست كذلك. رجل قادر على التسخير، لقد اعتادت أُمِّي أن تخيفني من هذا عندما كنت صغيرًا. أنا فقط لا أعرف». مد يده ليلمس طرف الراية. «أعتقد أنني كنت سأحرق هذه أو أدفنها لو كنت مكانك، وبعدها سأركض بعيدًا، وبسرعة كبيرة، حتى لا تجدني أي واحدة من (الآيز سيدي). (مات) محق بشأن هذا». انتصب واقفًا وهو يحرق غربًا نحو السماء التي بدأت تكتسي باللون الأحمر، مع الشمس الآخذة في الغروب. «حان وقت العودة إلى المخيم. فلتفكر فيما قلته يا (راند)، كنت لأهرب، ولكن ربما لا يمكنك الهرب، فكر في هذا أيضًا». بدت عيناه الصفراوان وكأنها تنظران إلى الداخل، وقد بدا متعبًا. «أحيانًا لا يمكنك الهرب». ثم اختفى بدوره.

ظل (راند) جاثيًا على ركبتيه محققًا إلى الراية المنبسطة على الأرض، ثم تتمم: «حسنًا، في بعض الأحيان يمكنك الهرب، وربما قد أعطتني هذه لتجعلني أهرب، ربما هناك شيء ما ينتظرنني إن هربت، لن أفعل ما تريده، لن أفعل هذا، سأدفنها هنا، ولكنها قالت إن حياتي قد تعتمد عليها، و(الآيز سيدي) لا يكذب مطلقًا بطريقة واضحة...». فجأة اهتزت كتفاه مع ضحكة مكتومة. «الآن أتحدث إلى نفسي، ربما أصاب بالجنون بالفعل».

عندما عاد إلى المخيم كان يحمل الراية ملفوفة في القماش مرة أخرى، مربوطة بعقد أقل أناقة من عقد (مويرين).

لقد بدأ الضوء في التلاشي وصارت ظلال الحافة تغطي نصف الغور. كان الجنود مستلقين جميعهم إلى جانب خيولهم، والرماح في متناول أيديهم. كان (مات) و(بيرين) نائمين إلى جانب حصانتهما، فمنحهما (راند) نظرة حزينة، ثم جلب (ريد) الذي كان واقفاً حيث تركه ولجأه متدلاً، ثم ذهب إلى الجانب الآخر من الغور، حيث انضم (هورين) إلى (لويال). كان (الأوجير) قد توقف عن القراءة وراح يتفحص الحجر نصف المدفون الذي يجلس عليه، متتبّعاً شيئاً ما على الحجر بطرف غليونه الطويل.

اعتدل (هورين) واقفاً وانحنى (لراند) انحناءة طفيفة ثم قال: «أمل ألا تمنع أن أضع فراشي هنا يا لورد... آه... يا (راند). كنت فقط أصغي إلى ما يقوله (البّناء)».

قال (لويال): «ها أنت ذا يا (راند)، أتعرف؟ أعتقد أن هذا الحجر كان نحتاً ذات يوم. انظر، إنه متآكل، ولكن يبدو أنه كان عموداً من نوع ما، وهناك علامات أيضاً، لا يمكنني تمييزها، ولكنها تبدو مألوفة بطريقة ما».

قال (راند): «ربما ستمكن من رؤيتها بشكل أفضل في الصباح». ثم جذب أكياس السرج من على صهوة (ريد). «سأكون سعيداً بصحبتك يا (هورين)». أنا مسرور بصحبة أي شخص لا يخاف مني، ولكن إلى متى سيستمر هذا؟

نقل كل شيء إلى جانب واحد من أكياس السرج؛ الأقمصنة والسراويل الإضافية، والجوارب الصوفية، وعدة الخياطة، وصندوق الإشعال، وطبق وكوب من القصدير، وصندوق خشبي به سكين وشوكة وملعقة، وعلبة من اللحم المجفف والخبز من أجل حصص الطعام الطارئة، وكل الأشياء الضرورية الأخرى التي يحتاج إليها المسافر. ثم وضع الراية الملفوفة بالقماش في المساحة الفارغة. انتفخت الأكياس، وبالكاد وصلت الأربطة إلى الأباذيم، ولكن الآن صار الجانب الآخر منتفخاً بدوره. هذا سيفي بالغرض.

بدأ أن (لويال) و(هورين) يشعان بحالته المزاجية فتركا في صمته، لينزع عن (ريد) سرجه ولجأه، ويفرك الحصان الكبير بحزم من العشب انتزعها من الأرض، قبل أن يسرجه من جديد. عرضاً على (راند) الطعام، ولكنه رفض، لم يشعر أنه قادر على تناول الطعام في هذه اللحظة، حتى لو كانت أفضل وجبة يراها في حياته. وضع ثلاثتهم أفرشتهم هناك بجانب الحجر، وكان الفراش بسيطاً؛ بطانية مطوية لتصير وسادة وعباءة لاستخدامها كغطاء.

خيم الصمت على المعسكر، وقد ظل (راند) مستيقظاً إلى ما بعد حلول الظلام التام. راح عقله يتحرك جيئةً وذهاباً. الراية، ما الذي تحاول أن تجعلني أفعله؟ القرية، ما الذي يمكن أن يقتل (عاتماً) هكدا؟ والأسوأ من هذا كله البيت في القرية، هل حدث هذا حقاً؟ هل أصاب بالجنون بالفعل؟ هل أهرب أم أبقي؟ يجب عليّ أن أساعد (مات) في العثور على الخنجر.

وأخيراً راوده نوم متعب، ومع النوم جاء الخواء دون أن يطلبه ليحيط به، يومض بضوء مضطرب قد أقلق أحلامه.

حدق (بادان فاين) شمالاً عبر الليل إلى ما وراء النار الوحيدة في مخيمه، مبتسماً ابتسامة ثابتة لا يظهر أثرها في عينيه. لا يزال يعتبر نفسه (بادان فاين) - إن (بادان فاين) هو جوهره - ولكنه قد تغير ويعرف هذا جيداً، صار يعرف أشياء عديدة، أكثر مما قد يعتقده أسياده القدامى. لقد كان صديقاً للظلام لسنوات طويلة، قبل أن يستدعيه (بعلز مون) ويضعه على مسار الفتية الثلاثة من (إيمونديز فيلد)، ويستخلص منه ما يعرفه عنهم، يستخلص منه ويغذي جوهره من جديد لكي يتمكن من الإحساس بهم، واشتياهم موضعهم، وتعقبهم أينما يهربون، وخصوصاً واحداً منهم. جزء منه لا يزال ينكمش كلما تذكر ما فعله به (بعلز مون)، ولكنه جزء صغير ومخفي ومكبوت. لقد تغير. إن تعقب الثلاثة قد أخذه إلى (شادار لوجوث)، لم يرغب في الذهاب، ولكن كان عليه أن يطيع، وبعدها في (شادار لوجوث)...

أخذ (فاين) نفساً عميقاً، ثم تحسس الخنجر ذا المقبض الياقوتي في حزامه، لقد جاء هذا من (شادار لوجوث) أيضاً. إنه السلاح الوحيد الذي يحمله، والوحيد الذي يحتاج إليه، شعر كأنه جزء منه. لقد صار كاملاً بداخل نفسه، هذا هو كل ما بهم.

ألقي نظرة على جانبي نيرانه، أصدقاء الظلام الاثنا عشر الذين بقوا معه، ملابسهم التي كانت جميلة ذات يوم قد صارت رثة وقذرة، منكمشين على أنفسهم في الظلام في جانب واحد، لا يحدقون إلى النار بل إليه. على الجانب الآخر يجلس (الترولوكيون) القرفصاء؛ عددهم عشرون، وأعينهم بشرية للغاية في الوجوه البشرية المشوهة بالملامح الحيوانية، تتبع كل حركاته كفئران تراقب قطاً.

كان هناك صراع في البداية، حيث يستيقظ كل صباح ليجد نفسه ليس كاملاً تماماً، وأن (الميردرال) قد عاد إلى موضع السلطة، غاضباً ويأمر بالتوجه شمالاً إلى (البلاء العظيم)، إلى (شايول غول). ولكن شيئاً فشيئاً أصبحت أوقات الضعف هذه في الصباح أقصر، حتى... تذكر الإحساس بالمطرقة في يده، وهو يدق المسامير، فابتسم، وهذه المرة ظهرت في عينيه مع ابتهاجه بالذكرى الجميلة.

وصل إلى أذنيه البكاء من الظلام، فتلاشت ابتسامته، ما كان ينبغي أن يسمح (للترولوكيين) بأخذ هذا العدد الكبير، قرية بأسرها ستبطنهم. لو لم تكن تلك البيوت القليلة عند المركب مهجورة ربما... ولكن (الترولوكيين) جشعين بطبعهم، وفي نشوة مشاهدة (الميردرال) وهو يموت لم ينتبه كما يفترض به.

نظر إلى (الترولوكيين)، كان طول أي واحد منهم ضعف طوله تقريباً، وقوياً بما يكفي لتقطيعه إلى أشلاء بيد واحدة، ومع ذلك تراجعوا إلى الوراء وهم لا يزالون رابضين. «اقتلوهم، جميعاً. يمكنكم أن تتناولوا طعامكم، ولكن بعدها اصنعوا كومة من كل ما يتبقى لكي يعثر عليها أصدقاؤنا. ضعوا الرؤوس بالأعلى بشكل مرتب». ضحك ضحكة مقتضبة قبل أن يقول: «تحركوا!!».

أسرع (الترولوكيون) مبتعدين وهم يستلون سيوفاً كالمناجل ويشهرون فؤوساً كالأشواك. وفي غضون لحظات تعالت صرخات وخوار من حيث كان القرويون مقيدين. توسلات من أجل الرحمة، وصرخات

أطفال قد بترتها ضربات قوية، وأصوات سحق مروعة كبطيخ يتحطم.

أولى (فاين) ظهره لهذا الضجيج ليحذق إلى أصدقاء الظلام. إنهم ملكه أيضًا، جسدًا وروحًا، أو ما تبقى من أرواحهم. كل واحد منهم غارق بعمق مثله قبل أن يجد طريقه للخارج، كل واحد منهم ليس لديه مكان يذهب إليه سوى أن يتبعه. تشبثت أعينهم به في خوف وتوسل. «هل تعتقدون أنهم سيجوعون مرة أخرى قبل أن نجد قرية أو مزرعة أخرى؟ هذا محتمل. هل تعتقدون أنني سأسمح لهم بالحصول على المزيد منكم؟ حسنًا، ربما واحد أو اثنين. لم تتبقَّ خيول لإطعامهم بها».

استطاعت امرأة أن تقول بصوت مرتجف: «كان الآخرون مجرد عوام». كان الغبار يغطي وجهها فوق فستان فاخر يبين أنها تاجرة وثرية، وتلطف الأوساخ القماش الرمادي الجميل، ويشوه تنورتها تمزق طويل. «كانوا فلاحين، نحن قد خدمنا... أنا قد خدمت...».

قاطعها (فاين) بنبرة هادئة جعلت كلماته أكثر صرامة: «ماذا أنتم بالنسبة لي؟ أقل من فلاحين، ربما قطع ماشية من أجل (الترولوكيين)؟ إذا أردتم أن تعيشوا أيها الماشية فيجب أن تكونوا مفيدين».

امتقع وجه المرأة وراحت تنتحب، وفجأة صار البقية يثرثرون ويخبرونه بمدى نفعتهم. رجال ونساء كان لهم نفوذ ومناصب قبل استدعائهم للوفاء بقسمهم في (فال دارا). أفصحوا عن أسماء الأشخاص المهمين والأقوياء الذين يعرفونهم في (البلاد الحدودية) وفي (كايرين) وفي أراضٍ أخرى. راحوا يثرثرون بالمعرفة التي لديهم وحدهم عن هذه الأرض أو تلك، عن الأوضاع السياسية والتحالفات والمؤامرات وكل الأشياء التي يمكن أن يخبروه بها إن سمح لهم بخدمته. بدت ضوضاؤهم منسجمة مع أصوات مذبحه (الترولوكيين) وملائمة لها.

تجاهل (فاين) كل هذا، لم يكن يخشى أن يدير ظهره لهم، ليس بعد أن رأوا كيف تعامل مع (العاتم)، ثم ذهب إلى غنيمته. جثا على ركبتيه وهو يمرر يديه على الصندوق الذهبي المزخرف وهو يشعر بالقوة المحبوسة بالداخل. كان عليه أن يأمر (الترولوكيين) بحمله، فهو لا يثق في البشر بما يكفي لحمله على حصان. قد تكون بعض الأحلام بالسلطة قوية بما يكفي للتغلب حتى على خوفهم منه، ولكن (الترولوكيين) لا يحلمون بأي شيء سوى القتل، ولم يكتشف بعد كيفية فتحه. ولكن هذا سيتأتى لاحقًا، كل شيء سيتأتى، كل شيء.

استل الخنجر من غمده ووضعه على الصندوق قبل أن يجلس إلى جانب النار، هذا النصل حارس أفضل من (الترولوكيين) أو البشر، لقد رأوا ما حدث عندما استخدمه مرة، لن يقترب أحد لمسافة باع من هذا النصل المكشوف من دون أمره، وحتى حينها سيكون هذا على مضض.

ظل هناك مستلقيًا في بطانيته وهو يحذق شمالًا. لم يكن قادرًا في هذه اللحظة على الشعور (بألثور)، فلمسافة التي تفصل بينهما كبيرة للغاية، أو ربما يستخدم (ألثور) خدعة التلاشي، في بعض الأحيان في الحصن

كان الفتى يختفي فجأة من حواس (فاين)، لم يعرف كيف، ولكن دومًا يعود (ألثور) فجأة كما يختفي فجأة، سيعود هذه المرة أيضًا.

«هذه المرة ستأتي إليّ يا (راند ألثور)، من قبل كنت أتبعك ككلب مدفوع لتتبع الأثر، ولكن الآن أنت تتبعني». كانت ضحكته عبارة عن قهقهة يعرف هو نفسه أنها مجنونة، ولكنه لم يبال، إن الجنون جزء منه أيضًا. «تعال إليّ يا (ألثور)، الرقصة لم تبدأ بعد، سنرقص في (تومان هيد)، وسأكون حرًا منك، سأراك ميتًا أخيرًا».

الفصل الثاني عشر

منسوج في النمط

أسرعت (إيجوين) وراء (ناينيف) ناحية مجموعة (الآيز سيداي) اللاتي يحطن بهودج (عرش أميرلين) المحمول على الحصان، ورغبتها في معرفة سبب الاضطراب في (فال دارا) تفوق حتى قلقها على (راند). إنه بعيد عن تناولها في الوقت الراهن. كانت (بيلا) فرسها الشعثاء مع خيول (الآيز سيداي) وفرس (ناينيف) أيضًا.

كان (الحماة) - أيديهم على مقابض سيوفهم وأعينهم تفتش في كل مكان - يشكلون دائرة فولاذية حول (الآيز سيداي) والهودج. كان هذا يمثل جزيرة من الهدوء النسبي في الباحة، حيث لا يزال الجنود الشايناريون يركضون بين قاطني الحصن المرعويين. شقت (إيجوين) طريقها إلى جانب (ناينيف)، والجميع يتجاهلها بعد نظرة واحدة حادة من (الحماة)، فهم يعرفون أنها ستغادران مع (الأميرلين)، وقد سمعتا ما يكفي من غمغمة الحشد لتعرفا بأن سهمًا قد ومض من اللامكان على ما يبدو وأن الرامي لم يمسك بعد. توقفت (إيجوين) بعينين متسعيتين وهي مصدومة للغاية على أن تفكر حتى أنها محاطة (بالآيز سيداي). محاولة اغتيال (عرش أميرلين)، هذا أمر يتجاوز القدرة على التفكير.

كانت (الأميرلين) جالسة في هودجها وقد جذبت الستائر بينما التمزق الملطخ بالدماء في كمها يجذب كل الأنظار وهي تواجه اللورد (أجيلمار). «ستجد رامي السهم أو لن تجده يا بني، في كلتا الحالتين فإن عملي في (تار فالون) مُلحٌ للغاية كمهمة (إنجتار)، سأغادر الآن».

قال (أجيلمار) محتجًا: «ولكن محاولة اغتيالك هذه تغير كل شيء أيتها الأم، وما زلنا لا نعرف من أرسل الرجل أو لماذا. ساعة أخرى وسأحصل على الرامي والإجابات من أجلك»

ضحكت (الأميرلين) بلا مرح وقالت: «ستحتاج إلى طعم أكثر مكرًا وشباك أكثر إحكامًا لتمسك بهذه السمكة يا بني. بحلول الوقت الذي تمسك فيه بهذا الرجل سيكون الأوان قد فات على الرحيل، هناك الكثيرون ممن سيستهجون لموتي على أن أقلق كثيرًا بشأن هذا الرجل، يمكنك أن ترسل لي أخبار ما ستعثر عليه، هذا إن عثرت على أي شيء على الإطلاق». جالت عيناها عبر الأبراج المحيطة المطلة على الباحة، والحواجز وشرفات الرماة التي لا تزال مكتظة بالأشخاص رغم صمتها في هذه اللحظة. لقد جاء السهم من أحد هذه الأماكن. «أعتقد أن الرامي قد هرب بالفعل من (فال دارا)».

«ولكن أيتها الأم...»

قاطعت المرأة الجالسة في الهودج بإشارة حاسمة حادة، حتى لورد (فال دارا) لا يمكنه المبالغة في الإلحاح على (عرش أميرلين). استقرت عيناها على (إيجوين) و(ناينيف)، وقد شعرت (إيجوين) أنها عينان ثاقبتان تعرفان كل شيء ترغب في إبقائه سرًا. تراجعت (إيجوين) خطوة للوراء ثم تداركت نفسها وانحنت متسائلة

إن كان هذا لا ثقًا، لم يشرح لها أحد من قبل مراسم مقابلة (عرش أميرلين). أبقى (ناينيف) ظهرها منتصبًا وبادلت (عرش أميرلين) التحديق، ولكنها بحثت عن يد (إيجوين) وأمسكت بها بقوة، تمامًا كما فعلت (إيجوين).

قالت (الأميرلين): «إذن هاتان هما امرأتاك يا (مويرين)». أومأت (مويرين) إيماءة طفيفة للغاية، والتفتت (الآيز سيدي) الأخريات للتحديق إلى المرأتين القادمتين من (إيموندز فيلد). ازدردت (إيجوين) لعابها. إنهن جميعًا ينظرن وكأنهن يعرفن أشياء لا يعرفها الآخرون، ولم يهون عليها معرفة أنهن يعرفن حقًا. «أجل، لقد أحسست بشرة جيدة في كل واحدة منهما، ولكن ما الذي ستوقده هذه الشرارة؟ هذا هو السؤال، أليس كذلك؟».

أحست (إيجوين) أن فمها جاف، لقد رأت السيد (بادوين) - النجار في الديار - ينظر إلى أدواته كما تنظر (الأميرلين) إليها؛ هذه الأداة لهذا الغرض، وتلك لذلك.

قالت (الأميرلين) فجأة: «لقد حان وقت الذهاب. إلى أحصنتكم. أنا واللورد (أجيلمار) يمكننا أن نقول ما نحتاج إلى قوله دون أن تحذقوا جميعًا إلينا كالمبتدئات في يوم العطلة. إلى أحصنتكم!». مع كلماتها تفرق (الحماة) إلى أحصنتهم وهم لا يزالون حذرين، و(الآيز سيدي) جميعهن - باستثناء (لياني) - قد ابتعدن عن الهودج متوجّهات إلى أحصنتهن. بينما (إيجوين) و(ناينيف) تستديران لإطاعة الأمر اقتراب خادم من كتف اللورد (أجيلمار) حاملًا قدحًا فضيًّا، أخذه (أجيلمار) وقد التوى فمه في استياء.

«مع هذا القدح من يدي أيتها الأم تقبلي أمنيتي بأن تكوني بخير هذا اليوم وفي كل...».

أيًا كان الحديث الذي تبادلاه فإنه (إيجوين) لم تسمعه وهي تسرع لامتطاء (بيلا)، بحلول الوقت الذي كانت فيه تربت على الفرس الشعثاء وتهندم تنورتها كان الهودج يتحرك بالفعل ناحية البوابة المفتوحة، وحصاناه يتحركان دون لجام أو مقود. كانت (لياني) على صهوة حصانها إلى جانب الهودج وهي تستند بعصاها إلى ركابها. تحركت (إيجوين) و(ناينيف) بفرسيهما وراء بقية (الآيز سيدي).

استقبلت الحشود المترصة على جانبي شوارع البلدة الموكب بالهتافات والتهليل، ولكن كل شيء قد طغى عليه دوي الطبول ونفير الأبواق. تقدم (الحماة) الطابور، بينما الراية التي تحمل شعار (الشعلة البيضاء) تحفّق في تموجات، وهم يشكلون حراسة حول (الآيز سيدي) تُبقي حشود الناس في الوراء، وفي المؤخرة يمشي الرماة والرمّاحين في صفوف منظمة وشعار (الشعلة) يتوهج على صدورهم. صمت الأبواق بينما الطابور يشق طريقه إلى خارج البلدة ويتجه جنوبًا، ومع ذلك استمرت أصوات الهتافات من داخل البلدة. راحت (إيجوين) تنظر إلى الوراء، حتى اختفت أسوار (فال دارا) وأبراجها وراء الأشجار والتلال.

هزت (ناينيف) رأسها وهي تتحرك بحصانها إلى جانبها وقالت: «سيكون (راند) بخير، معه اللورد (إنجتار) وعشرون من حاملي الرماح، على أي حال لم يعد هناك شيء يمكنك أن تفعله حيال الأمر، لا شيء

يمكن لكلتينا فعله». نظرت ناحية (مويرين). كانت فرس (الآيز سيدي) الأنيقة البيضاء وحصان (لان) الطويل الأسود يشكلان زوجًا غريبًا على جانب واحد بمفردهما. «ليس بعد».

انحرف الطابور ناحية الغرب أثناء سفرهم، ولم يقطع الأرض بسرعة. حتى المشاة الذين لا يرتدون دروعهم كاملة لا يمكنهم أن يتحركوا بسرعة عبر التلال الشاينارية، أو أن يحافظوا على هذه الوتيرة لوقت طويل. ومع ذلك كانوا يبذلون قصارى جهدهم.

كانت المخيمات تقام في وقت متأخر كل ليلة، فلا تسمح (الأميرلين) بالتوقف إلا عندما يتبقى من الضوء ما يسمح بالكاد بنصب الخيام والقباب البيضاء المسطحة المرتفعة بما يكفي للوقوف تحتها. كان لكل زوج من (الآيز سيدي) من نفس (الآجاه) خيمة واحدة، بينما كان لدى (الأميرلين) والقيّمة خيمتان خاصتان بهما. تشاركت (مويرين) الخيمة مع أختيها (الزرقاوين). كان الجنود ينامون على الأرض في معسكراتهم الخاصة، و(الحماة) يغلفون أنفسهم بعباءاتهم بالقرب من خيام (الآيز سيدي) المرتبطتين بهن. الخيمة التي تقاسمتها الأختان (الحمراوان) بدت وحيدة بشكل غريب دون أي (حماة)، بينما بدت خيمة الأختين (الخضراوين) وكأنها احتفالية. وغالبًا ما تجلس الاثنتان (الآيز سيدي) بالخارج لوقت طويل بعد حلول الظلام للتحدث مع (الحماة) الأربعة الذين جلبوهم معهم.

جاء (لان) ذات مرة إلى الخيمة التي تشاركها (إيجوين) مع (ناينيف)، ثم اصطحب الحكيمة عبر ظلمة الليل، على مسافة قصيرة من الخيمة. أطلت (إيجوين) عبر فتحة الخيمة لتراقب، لم تستطع أن تسمع ما يقولانه، باستثناء أن (ناينيف) قد انفجرت غضبًا في النهاية، وخطت عائدة لتتدثر ببطانياتها رافضة الحديث على الإطلاق. حُيِّل (لايجوين) أن وجنتيها مبتلتان رغم أنها تخفي وجهها بطرف بطانياتها. ظل (لان) واقفًا يراقب الخيمة من الظلمة لوقت طويل قبل أن يتعد، وبعدها لم يأت مرة أخرى.

لم تقترب (مويرين) منهما، ولم تمنحهما سوى إجابة عابرة. بدا أنها تقضي معظم ساعات اليقظة في الحديث مع (الآيز سيدي) الأخريات، جميعهن باستثناء الأختين (الحمراوين)، فتتحي بكل واحدة منهن على حدة أثناء تحرك الركب. لم تسمح (الأميرلين) بالتوقف للاستراحة إلا لمرات قليلة، وكانت تلك المرات قصيرة.

قالت (إيجوين) بحزن: «ربما لم يعد لديها وقت لنا». كانت (مويرين) هي (الآيز سيدي) التي تعرفها، أو ربما الوحيدة التي يمكنها أن تثق بها، رغم أنها لم ترغب في الاعتراف بهذا. «لقد عثرت علينا، ونحن الآن في طريقنا إلى (تار فالون)، أفترض أن لديها أشياء أخرى تشغلها الآن».

قالت (ناينيف) بسخرية: «سأصدق أنها انتهت منا عندما تموت، أو نموت نحن، إن تلك المرأة مأكرة». جاءت (آيز سيدي) أخريات إلى خيمتهما. كاد قلب (إيجوين) أن يتوقف خوفًا في تلك الليلة الأولى خارج (فال دارا) عندما دُفع باب الخيمة جانبًا ودخلت (آيز سيدي) ممتلئة الجسد ومربعة الوجه بشعر رمادي ونظرة شاردة في عينيها السوداوين. نظرت إلى المصباح المتدلي من أعلى نقطة في الخيمة، فتأججت الشعلة قليلًا. حُيِّل (لايجوين) أنها قد أحست بشيء ما، وأنها تكاد أن ترى شيئًا يحيط (بالآيز سيدي) عندما

ازدادت الشعلة سطوعاً. لقد أخبرتها (مويرين) أنها ذات يوم - عندما تتلقى المزيد من التدريب - ستكون قادرة على رؤية تسخير امرأة أخرى، ومعرفة إن كانت امرأة قادرة على التسخير حتى لو لم تفعل شيئاً.

قالت المرأة مبتسمة: «أنا (فيرين ماثوين). وأنتما (إيجوين أثير) و(ناينيف أليرا)، من (النهرين)، التي كانت ذات يوم (مانثيرن). هذه دماء قوية، إنها تغني».

تبادلت (إيجوين) نظرة مع (ناينيف) بينما تنهضان واقفتين.

تساءلت (إيجوين): «هل هذا استدعاء إلى (عرش أميرلين)؟».

ضحكت (فيرين)، كان لدى (الآيز سيدي) بقعة حبر على أنفها. «أوه، لا. لدى (الأميرلين) أشياء مهمة للتعامل معها أكثر من شابتين لم تصيرا مبتدئتين بعد، على الرغم من أن أحداً لا يستطيع الجزم. أنتما الاثنتان تتمتعان بقدرات كبيرة، وخصوصاً أنت يا (ناينيف). يوماً ما...». صمتت وهي تفرك أنفها بإصبعها فوق بقعة الحبر مباشرة. «ولكن ليس اليوم. أنا هنا لأعلمك درساً يا (إيجوين)، أخشى أنك تستبقين الأمور».

نظرت (إيجوين) إلى (ناينيف) بتوتر وقالت: «ما الذي فعلته؟ لا شيء يمكنني التفكير فيه».

«أوه، ليس هناك شيء خاطئ، ليس بالضبط. خطيراً إلى حد ما ربما، ولكن ليس خاطئاً بالضبط». جلست (فيرين) على الأرضية القماشية وطوت ساقها تحتها. «فلتجلسا، لا أريد أن أرفع عنقي». تلملت حتى وجدت جلسة مريحة ثم قالت: «اجلسا».

جلست (إيجوين) قبالة (الآيز سيدي) وعقدت ساقها، وهي تبذل قصارى جهدها لكيلا تنظر إلى (ناينيف). لا حاجة لأن أبدو مذنبه حتى أعرف إذا ما كنت كذلك. ربما ليس حينها أيضاً. «ما الشيء الخطير الذي فعلته والذي ليس خاطئاً بالضبط؟».

«أنك كنتِ تسخرين (القوة الواحدة) يا طفلي».

لم تستطع (إيجوين) أن تمنع نفسها من أن تغر فمها، بينما انفجرت (ناينيف) قائلة: «هذا أمر سخيف، لم نحن ذاهبتان إلى (تار فالون) إن لم يكن من أجل هذا؟».

قالت (إيجوين): «(مويرين) قد... أعني (مويرين سيدي) قد أعطتني بعض الدروس».

رفعت (فيرين) يديها لكي تصمتا فلاذت كلتاها بالصمت. قد تبدو غامضة ولكنها (آيز سيدي) على أي حال. «هل تعتقدين يا طفلي أن (الآيز سيدي) يعلمن التسخير على الفور لأي فتاة تقول إنها ترغب في أن تصبح واحدة منا؟ حسناً، أفترض أنك لست كأى فتاة أخرى، ولكن في الوقت ذاته...». هزت رأسها في قلق بالغ.

تساءلت (ناينيف): «إذن لماذا علّمتها؟». لم يكن هناك أي دروس من أجلها، ولم تكن (إيجوين) واثقة إذا ما كان هذا قد أثار غضب (ناينيف) أم لا.

قالت (فيرين) في صمت: «لأن (إيجوين) قد سخرت بالفعل».

«وكذلك... وكذلك فعلت أنا». لم تبدُ (ناينيف) سعيدة حيال الأمر.

«إن ظروفك مختلفة يا طفلي، إن كونك لا تزالين على قيد الحياة يدل على أنك تغلبت على الأزمات المختلفة وأنت فعلت هذا بنفسك. أعتقد أنك تعرفين كم أنت محظوظة. من كل أربع نساء يجبرن على فعل ما فعلته واحدة فقط تنجو. بالطبع إن الجاححات...». بترت (فيرين) جملتها، ثم قالت بلهجة معتدرة: «اغفري لي، ولكن أخشى أن هذا هو الاسم الذي نطلقه في (البرج الأبيض) عادة على النسوة اللاتي يتمكن - دون أي تدريبات - من السيطرة بشكل بدائي عشوائي على (القوة الواحدة). بالكاد يُمكن أن نُطلق على هذا اسم سيطرة، ولكنها لا تزال سيطرة من نوع ما. صحيح أن الجاححات يواجهن صعوبات، ودائمًا ما يبين أسوارًا ليمنعن أنفسهن من معرفة حقيقة ما يفعلنه، وهذه الأسوار تتداخل مع السيطرة الواعية. كلما طال وقت بناء هذه الأسوار صار من الصعب هدمها. ولكن إن كان من الممكن هدمها... حسنًا بعض أكثر الأخوات براعة كن من الجاححات».

تململت (ناينيث) في انزعاج، ونظرت إلى المدخل كأنها تفكر في المغادرة.
قالت (إيجوين): «لا أرى ما علاقة أي من هذا بي».

نظرت إليها (فيرين) وهي ترمش بعينيها، كأنها تتساءل من أين أتت، ثم قالت: «علاقته بك؟ لا شيء بالطبع، إن مشكلتك مختلفة تمامًا. معظم الفتيات اللاتي يرغبن في أن يصرن (آيز سيداي) - حتى معظم الفتيات اللاتي لديهن البذرة بداخلهن مثلك - يخشين الأمر أيضًا، حتى بعدما يصلن إلى (البرج)، حتى بعدما يتعلمن ما الذي يفعلنه وكيف، يحتجن إلى من يوجههن لأشهر، خطوة بخطوة، على يد واحدة من الأخوات أو واحدة من (المقبولات). ولكن ليس أنت، وفقًا لما قالت لي (مويرين) فأنت قد قفزت إلى الأمر بمجرد معرفتك أن باستطاعتك فعله، وتحسست طريقك عبر الظلام دون أن تفكري إذا ما كانت هناك هوة بلا قرار تحت خطوتك التالية. أوه، كان هناك أخريات مثلك، أنت لست فريدة، كانت (مويرين) واحدة منهن، بمجرد أن عرفت ما فعلته لم يكن أمامها خيار سوى أن تبدأ في تعليمك. ألم تشرح (مويرين) أيًا من هذا لك؟».

«مطلقًا». تمت (إيجوين) لو أن صوتها لم يكن لاهثًا هكذا. «كان لديها... أمور أخرى لتتعامل معها». زفرت (ناينيث) بصوت خافت.

«حسنًا، لم تؤمن (مويرين) قط بإخبار أي شخص بأي شيء لا يحتاج إلى معرفته. إن المعرفة لا تخدم أي غرض حقيقي، ولكن في الوقت ذاته ولا عدم المعرفة. أنا نفسي لطالما فضلت المعرفة على عدم المعرفة». «هل هناك هوة حقًا؟».

قالت (فيرين) وهي تميل رأسها جانبًا: «من الواضح أنه لا توجد واحدة حتى الآن، ولكن الخطوة التالية؟». هزت كتفيها وقالت: «كما ترين يا طفلي كلما حاولت لمس (المصدر الحقيقي)، وكلما حاولت تسخير (القوة الواحدة)، صار من الأسهل فعل هذا حقًا. أجل، في البداية تمدين يدك بكل قوتك لتلمسي المصدر، وفي كثير من الأحيان سيبدو الأمر كما لو أنك تحاولين الإمساك بالهواء، أو قد تلمسين (السايدار)

بالفعل، ولكن حتى عندما تشعرين (بالقوة الواحدة) تندفق من خلاله ستجدين أنك لا تستطيعين فعل أي شيء بها، أو ستفعلين شيئاً لا تنوين فعله على الإطلاق، هذا هو مكنم الخطر، عادة مع الإرشاد والتدريب - ومع مخاوف الفتاة التي تُبطئها - فإن القدرة على لمس (المصدر الحقيقي) والقدرة على تسخير (القوة الواحدة) تأتيان مع القدرة على السيطرة على ما تفعله. ولكنك بدأتِ تحاولين التسخير دون أن يوجد شخص لتعليمك أي سيطرة على الإطلاق على ما تفعلينه. أعرف أنك لا تعتقدين أنك بعيدة للغاية، وأنتِ لستِ كذلك، ولكنكِ مثل شخص ما قد علم نفسه كيف يركض صاعداً التلال - أحياناً على الأقل - دون أن يتعلم كيف يركض هابطاً على الجانب الآخر، أو حتى كيف يمشي. عاجلاً أو آجلاً ستسقطين إن لم تتعلمي بقية الأمر. الآن أنا أتحدث عن أي شيء يشبه ما يحدث عندما يبدأ واحد من هؤلاء الرجال المساكين في التسخير - لن تصابي بالجنون ولن تموتي، ليس بينما الأخوات يعلمنك ويرشدنك - ولكن ما الذي قد تفعلينه مصادفة دون أن تقصدي هذا؟». للحظة تلاشى الغموض من عيني (فيرين)، وللحظة بدا أن نظرة (الآيز سيدي) تنتقل ما بين (إيجوين) و(ناينيف) بنفس حدة نظرة (الأميرلين). «إن قدراتك الفطرية قوية يا طفلي، وستزداد قوة. يجب أن تتعلمي السيطرة عليها قبل أن تؤذي نفسك أو تؤذي شخصاً آخر أو عددًا كبيراً من الأشخاص. هذا ما كانت (مويرين) تحاول تعليمك إياه، هذا ما سأحاول مساعدتك فيه الليلة، وما ستساعدك فيه أخت كل ليلة، حتى نضعك بين يدي (شيريام) الأكثر كفاءة، إنها (سيدة المبتدئات)».

قالت (إيجوين) لنفسها: هل يعقل أنها تعرف بشأن (راند)؟ هذا مستحيل. لم تكن لتسمح له بمغادرة (فال دارا) إن كانت تشك في الأمر. ولكنها لم تكن متيقنة إن كانت قد تخيلت ما رأيته. «شكراً لك يا (فيرين سيدي)، سأحاول».

نهضت (ناينيف) بسلاسة واقفة على قدميها وقالت: «سأذهب للجلوس إلى جانب النار وأترككم وحدكم».

قالت (فيرين): «يجب أن تبقي، يمكنك أن تستفيدي من هذا. وفقاً لما قالت لي (مويرين) فمن المفترض ألا تحتاجي إلا إلى القليل من التدريب قبل أن تترقي إلى مرتبة (مقبولة)».

ترددت (ناينيف) للحظة فحسب قبل أن تهز رأسها بحزم وتقول: «أشكرك على هذا العرض، ولكن يمكنني أن أنتظر حتى نصل إلى (تار فالون). إن احتجت إليّ يا (إيجوين) فسوف أكون...».

قاطعتها (فيرين) قائلة: «على أي حال أنتِ امرأة ناضجة يا (ناينيف)، عادة كلما كانت المبتدئة أصغر سناً كان أداؤها أفضل، ليس بسبب التدريب بالضرورة، ولكن لأن المبتدئة يكون متوقفاً منها أن تفعل ما يقال لها، ودون أي تساؤلات. لا يكون هذا مفيداً إلا عندما يصل التدريب الفعلي إلى مرحلة معينة. إن التردد في الموقع الخاطئ أو الشك فيما قيل لك أن تفعله قد يكون له عواقب مأساوية، ولكن من الأفضل اتباع الانضباط طيلة الوقت. ولكن على الجانب الآخر يكون متوقفاً من (المقبولات) أن يتساءلن عن الأشياء، فهن يشعرن أنهن يعرفن بما يكفي لمعرفة أي أسئلة يسألنها ومتى. أيهما تعتقدين أنك تفضلين؟».

شددت (ناينيث) قبضتيها على تنورتها ونظرت ناحية باب الخيمة من جديد وهي تعقد حاجبيها، وأخيرًا أومأت إيماءة مقتضبة وجلست على الأرضية مرة أخرى. قالت: «أعتقد أنه لا ضير من هذا».

قالت (فيرين): «جيد، والآن أنتِ تعرفين هذا الجزء بالفعل يا (إيجوين)، ولكن من أجل (ناينيث) سأشرح لك الأمر خطوة بخطوة. بمرور الوقت سيصير الأمر بديهيًا بالنسبة لك، ستفعلين كل شيء بشكل أسرع عندما تفكرين فيه، ولكن الآن من الأفضل فعل الأمر ببطء. أغلقي عينيك من فضلك، تسير الأمور بشكل أفضل في البداية إن لم يكن لديك أي شيء ليشترك على الإطلاق». أغلقت (إيجوين) عينيها. كان هناك لحظة من الصمت قبل أن تقول (فيرين): «أغلقي عينيك من فضلك يا (ناينيث)، سيسير الأمر حقًا على نحو أفضل». لحظة صمت أخرى. «شكرًا لك يا طفلي، والآن يجب أن تفرغي نفسك، فرغي أفكارك، هناك شيء واحد في عقلك، برعم زهرة، هذا فحسب، البرعم فحسب، يمكنك أن تريه في كل تفاصيله، يمكنك أن تسمي رائحته، يمكنك أن تشعر به، كل عرق في كل ورقة، كل انحناء لكل بتلة، يمكنك أن تشعر بالنبض وهو ينبض، اشعري به، اعرفيه، كونه، أنتِ والبرعم الشيء نفسه، أنتما واحد، أنتِ البرعم».

كان صوتها رتيبًا بشكل منوم مغناطيسي، ولكن (إيجوين) لم تعد تصغي حقًا، لقد خاضت هذه التجربة من قبل مع (مويرين)، حدث الأمر ببطء، ولكن (مويرين) قالت إنه سيحدث بسرعة أكبر مع التدريب. كان بداخلها برعم زهرة، بتلات حمراء ملتفة بإحكام، وفجأة صار هناك شيء آخر، ضوء، ضوء يضغط على البتلات، ببطء تفتحت البتلات والتفتت ناحية الضوء وامتنعت الضوء. صارت الزهرة والضوء شيئًا واحدًا، (إيجوين) والضوء شيئًا واحدًا. كان باستطاعتها أن تشعر بأدنى قطرة منه تتسلل إلى داخلها. مدت يدها من أجل المزيد. تعطشت إلى المزيد...

في لحظة تلاشى كل شيء، الزهرة والضوء. قالت (مويرين) أيضًا إن هذا شيء لا يمكن فعله بالإجبار، تنهدت وهي تفتح عينيها. كان هناك نظرة متجهمة على وجه (ناينيث)، وكانت (فيرين) هادئة كعادتها. كانت (الآيز سيداي) تقول: «لا يمكنك جعل الأمر يحدث، يجب أن تسمح له بأن يحدث، يجب أن تستسلمي (للقوة الواحدة) قبل أن تتمكني من السيطرة عليها».

تمت (ناينيث): «هذه محض حماقة. لا أشعر أنني زهرة، بل في الواقع أشعر أنني شجيرة أشواك سوداء، أعتقد أنني سأنتظر إلى جانب النار على أي حال».

قالت (فيرين): «كما تشائين. هل ذكرتُ أن المبتدئات يؤدين الأعمال المنزلية؟ إنهن يغسلن الأطباق وينظفن الأرضيات ويغسلن الملابس ويقدمن الطعام على الطاولة ومثل هذه الأشياء. أنا شخصيًا أعتقد أن الخادومات يفعلن هذه الأشياء بشكل أفضل، ولكن هناك شعورًا عامًا بأن مثل هذا العمل يبني الشخصية. أوه، هل ستبتقين؟ جيد. حسنًا يا طفلي، تذكري أنه حتى شجيرة الأشواك السوداء يكون لها زهور في بعض

الأحيان، جميلة وبيضاء بين الأشواك. فلنجرب هذا واحدة تلو الأخرى، الآن من البداية يا (إيجوين)، أغلقي عينيك».

لعدة مرات قبل أن ترحل (ثيرين) شعرت (إيجوين) بتدفق (القوة الواحدة) بداخلها، ولكنها لم تكن قط قوية للغاية، ومعظم ما استطاعت أن تفعله بها هو أن تصنع تموجًا في الهواء يجعل قماش باب الخيمة يرفرف قليلاً. كانت متيقنة من أن عطسة يمكنها أن تفعل الشيء ذاته. على الأقل كان أدواؤها أفضل مع (مويرين) في بعض الأحيان. تمت لو أن (مويرين) هي من تعلمها.

لم تشعر (ناينيث) حتى بوميض، أو هذا ما قالت. وفي النهاية كانت عيناها ثابتتين وفمها مغلق بإحكام، حتى إن (إيجوين) قد خشيت أنها ستبدأ في توييح (ثيرين) كما لو أن (الآيز سيدي) امرأة قروية قد اقتحمت خصوصيتها. ولكن (ثيرين) طلبت منها ببساطة أن تغلق عينيها هذه المرة من دون (إيجوين).

كانت (إيجوين) جالسة تراقب المرأتين الأخريين من بين ثناؤباتها. لقد صار الوقت متأخرًا في الليل، وتجاوز الموعد الذي تنام فيه عادة. كان وجه (ناينيث) شاحبًا وعيناها مغلقتان كما لو أنها لا تنوي فتحهما أبدًا، وقد ابيضت مفاصل قبضتيها في حجرها. تمت (إيجوين) ألا تفقد الحكمة أعصابها، ليس بعد أن سيطرت عليها لفترة طويلة.

قالت (ثيرين): «اشعري بالتدفق من خلالك». لم يتغير صوتها ولكن فجأة ظهر بريق في عينيها. «اشعري بالتدفق، تدفق (القوة الواحدة)، تتدفق مثل النسيم، حركة رقيقة في الهواء». انتصبت (إيجوين) في جلستها، كانت هذه هي الطريقة التي أرشدتها بها (ثيرين) في كل مرة تتدفق (القوة الواحدة) بالفعل من خلالها. «نسيم رقيق، أدنى حركة في الهواء، رقيق».

فجأة اشتعلت النيران في كومة البطانيات مثل الحطب.

فتحت (ناينيث) عينيها وهي تصيح. لم تكن (إيجوين) متيقنة إذا كانت قد صرخت أم لا، كل ما تعرفه (إيجوين) هو أنها نهضت على قدميها محاولة أن تركز البطانيات المشتعلة إلى الخارج قبل أن تشعل النار في الخيمة. قبل أن تتمكن من ركلها مرة ثانية تلاشت ألسنة اللهب تاركة خيوطًا من الدخان تتصاعد من كومة متفحمة مع رائحة الصوف المحترق.

قالت (ثيرين): «حسنًا، لم أتوقع أنني سأضطر إلى إخماد نار. لا تخافي يا طفلي، كل شيء على ما يرام الآن، لقد اعتنيت بالأمر».

«كنت... كنت غاضبة». كانت (ناينيث) تتحدث بشفتين مرتجفتين في وجه غاضت منه الدماء. «سمعتك تتحدثين عن النسيم، تخبريني بما يجب أن أفعله، ثم قفزت النيران إلى عقلي. لم... لم أقصد أن أحرق أي شيء، كانت فقط نيران صغيرة في... في عقلي». ارتجف جسدها.

«أفترض أنها كانت نيران صغيرة بالفعل». ضحكت (ثيرين) ولكنها قطعت ضحكتها وهي تنظر مرة أخرى إلى وجه (ناينيث). «هل أنت بخير يا طفلي؟ إن كنت تشعرين بأنك مريضة فيمكنني...». هزت

(ناينيف) رأسها فأومأت (فيرين) وقالت: «كل ما تحتاجين إليه هو الراحة، أنتما الاثنتان تحتاجان إلى الراحة، لقد أنهكتكما بمثل هذا المجهود الشاق، يجب أن ترتاحا. ستأمرنا (الأميرلين) بالاستيقاظ والتحرك قبل أول ضوء». نهضت واقفة ثم لمست البطانيات المتفحمة بطرف قدمها وقالت: «سأمر بجلب المزيد من البطانيات لكما، أمل أن هذا سيوضح لكما مدى أهمية السيطرة، يجب أن تتعلما كيف تفعلان ما تقصدان فعله ولا شيء آخر. بغض النظر عن إيذاء شخص آخر إن جذبتما من (القوة الواحدة) أكثر مما يمكنكما التعامل معه بأمان - ولا يمكنكما التعامل مع الكثير بعد ولكن هذا سيتطور مع الوقت - فيمكنكما أن تدمرا نفسيكما. يمكن أن تموتا، أو تحرقا نفسيكما، أو تدمرا ما لديكما من قدرات». أضافت ببهجة كما لو أنها لم تخبرهما أنها تمشيان على حافة سكين: «نومًا هنيئًا». وما إن قالت هذا حتى رحلت.

أحاطت (إيجوين) (ناينيف) بذراعيها واحتضنتها بشدة ثم قالت: «كل شيء على ما يرام يا (ناينيف)، لا حاجة لأن تشعر بالخوف، بمجرد أن تتعلمي السيطرة على...».

ضحكت (ناينيف) ضحكة متحشرة وقالت: «أنا لست خائفة». ثم ألقت نظرة جانبية على البطانيات التي يتصاعد منها الدخان قبل أن تبعد عينيها على الفور. «يتطلب الأمر أكثر من مجرد نيران صغيرة لإخافتي». ولكنها لم تنظر إلى البطانيات مرة أخرى، حتى عندما جاء أحد (الحماة) ليأخذها ويترك بدلاً منها بطانيات جديدة.

لم تأت (فيرين) مرة أخرى، كما قالت إنها لن تفعل. في الواقع بينما يسافرون جنوبًا وغربًا يومًا بعد يوم وبأقصى سرعة يمكن أن يتحرك بها المشاة لم تعر (فيرين) للمرأتين القادمتين من (إيموندز فيلد) أي اهتمام أكثر مما تفعل أي واحدة من (الآيز سيدي). لم تكن (الآيز سيدي) غير ودودات على وجه التحديد، بل بالأحرى متحفظات ومنعزلات كأن هناك ما يشغل بالهن. لقد ضاعفت برودتهن من انزعاج (إيجوين)، وعادت إليها كل الحكايات التي سمعتها وهي طفلة.

لطالما أخبرتها أمها أن الحكايات عن (الآيز سيدي) عبارة عن هراء يتفوه به الرجال الحمقى، ولكن أمها - أو أي امرأة أخرى من (إيموندز فيلد) - لم تلتق بواحدة من (الآيز سيدي) قبل مجيء (مويرين). لقد أمضت بنفسها وقتًا طويلًا مع (مويرين)، وكانت (مويرين) دليلًا على أنه ليس كل (الآيز سيدي) يشبهن الحكايات؛ متلاعبات صارمات، ومدمرات قاسيات، ومحطات للعالم. كانت تعرف على الأقل أن محطمي العالم كانوا (الآيز سيدي) الذكور، عندما كان هناك شيء كهذا، في (عصر الأساطير)، ولكن هذا لم يساعد كثيرًا. ليس كل (الآيز سيدي) مثل الحكايات، ولكن كم منهن مثلها، وأي منهن؟

(الآيز سيدي) اللاتي جنن إلى الخيمة كل ليلة كن مزيجا لم يساعدها على الإطلاق في تصفية أفكارها. كانت (ألفيارين) حازمة وعملية كتاجر قد جاء لشراء الصوف والطباق، وتفاجأت أن (ناينيف) كانت جزءًا من الدرس ولكنها قبلت بهذا، صارمة في انتقاداتها ولكنها دوماً ما تكون مستعدة للمحاولة مرة أخرى. (آلانا موسفاني) ضحكت وأمضت الكثير من الوقت في الحديث عن العالم والرجال بقدر ما أمضته في

التعليم. أظهرت (آلانا) الكثير من الاهتمام تجاه (راند) و(بيرين) و(مات)، مما جعل (إيجوين) تشعر بعدم الارتياح، وخصوصًا اهتمامها (براند). أسوأهن جميعًا كانت (لياندرين)، الوحيدة التي ترتدي شالها، الأخريات قد حزنن شالاتهن قبل مغادرة (فال دارا). جلست (لياندرين) تداعب أهدابها الحمراء بأصابعها ولم تعلمهما إلا القليل وعلى مضض. لقد استجوبت (إيجوين) و(ناينيث) كأنهما متهمتان بارتكاب جريمة، وكل أسئلتها كانت متعلقة بالفتيان الثلاثة. لقد واصلت طرح الأسئلة حتى طردتها (ناينيث) - لم تكن (إيجوين) واثقة من سبب فعل (ناينيث) لهذا - ولكنها لم ترحل قبل أن تحذرهما.

«انتبها لنفسيكما يا ابنتي، أنتم لم تعودا في قريتكما. أنتم تتحسسان بأصابع أقدامكما حيث توجد أشياء يمكنها أن تعضكما».

وأخيرًا وصل الطابور إلى قرية (ميدو) على ضفتي (نهر مورا)، الذي يمتد على طول الحدود ما بين (شايانار) و(آرافيل) ثم إلى (نهر إيرينين).

كانت (إيجوين) متيقنة من أن أسئلة (الآيز سيداي) عن (راند) هي التي جعلتها تحلم به، هذا بالإضافة إلى قلقها عليه، بشأن إذا ما كان هو والآخرين يتبعون (بوق فالير). كانت الأحلام دومًا سيئة، ولكنها في البداية كانت من النوع المعتاد من الكوابيس فحسب، ولكن بحلول الليلة التي وصلوا فيها إلى (ميدو) تغيرت الأحلام.

تساءلت (إيجوين) في تردد: «المعذرة أيتها (الآيز سيداي)، هل رأيت (مويرين سيداي)؟».

لَوَّحت (الآيز سيداي) النحيبة بيدها لتبعدها، ثم أسرعت عبر شارع القرية المزدهم المضاء بالمشاعل وهي تنادي شخصًا ما وتطلب منه أن يكون حذرًا مع حصانها. كانت المرأة من (الآجاه الصفراوات) رغم أنها لا ترتدي شالها، لم تكن (إيجوين) تعرف عنها أكثر من هذا، ولا حتى اسمها.

كانت (ميدو) قرية صغيرة، رغم أن (إيجوين) أحست بالصدمة عندما أدركت أن ما تعتبرها الآن «قرية صغيرة» هي بحجم (إيموندز فيلد)، وكانت مكتظة الآن بعدد من الغرباء يفوق عدد سكانها. امتلأت الشوارع الضيقة بالخيل والناس، المندفعين إلى الأرصفة متجاوزين القرويين الذين يجثون على ركبهم كلما أسرع من أمامهم (آيز سيداي) لا تلتفت إليهم. كانت نيران المشاعل تضيء كل شيء، يبرز الرصيفان في (نهر مورا) كأصبعين حجريين، وكل منهما يستضيف زوجًا من السفن الصغيرة ذات الصاريين. هنالك كانت الخيول تُرفع على متن السفن باستخدام الأحبال والروافع، والحوامل القماشية تحت بطونها. اكتظ النهر الذي ينعكس عليه القمر بالمزيد من السفن المثينة ذات الجوانب العالية - التي تعلو المصاييح صواربها - المَحْمَلَة أو التي تنتظر دورها. كانت زوارق التجديف تنقل الرماة والرماحين، بينما الرماح المرفوعة تجعل القوارب تبدو وكأنها حيوانات عملاقة شوكية الظهر تسبح على سطح النهر.

على الرصيف الأيسر عثرت (ناينيث) على (آنايا)، تراقب التحميل وتوبخ هؤلاء الذين لا يتحركون بسرعة كافية. رغم أن (آنايا) لم تقل سوى كلمة أو اثنتين (لإيجوين) فإنها بدت مختلفة عن الأخريات، بدت

أشبهه بامرأة من قريتها، يمكن (لإيجوين) أن تتخيلها وهي تخبز في مطبخها، لم تستطع أن تتخيل أيًا من الأخريات هكذا. «آنايا سيدي، هل رأيت (مويرين سيدي)؟».

تلقت (الآيز سيدي) حولها بعبوس شارد ثم قالت: «ماذا؟ أوه، إنها أنت يا طفلي. (مويرين) قد ذهبت، وصديقتك (ناينيث) بالفعل على متن سفينة (ملكة النهر). كان عليّ أن أضعها في القارب بنفسى، فقد راحت تصرخ أنها لن تذهب من دونك. بحق (النور)، يا له من ازدحام! كان يجب أن تكونى على متن السفينة أنت أيضًا، اعثري على قارب ذاهب إلى (ملكة النهر)، أنتما الاثنتان ستسافران مع (عرش أميرلين)، لذا انتبهي لنفسك بمجرد أن تصيري على متن السفينة، لا أريد أي فوضى أو نوبات غضب».

«على أي سفينة توجد (مويرين سيدي)؟».

«(مويرين) ليست على متن سفينة يا فتاة، لقد رحلت قبل يومين، و(الأميرلين) غاضبة بشأن هذا». تجهمت (آنايا) وهزت رأسها، رغم أن جل اهتمامها كان لا يزال منصبًا على العمال. «أولًا تخفني (مويرين) بصحبة (لان)، ثم تذهب (لياندرين) في عقبي (مويرين)، وبعدها (فيرين)، وأيًا منهن لم تقل كلمة لأحد. إن (فيرين) لم تأخذ (حاميه) حتى، و(توماس) يعرض أظافره قلقًا عليها». نظرت (الآيز سيدي) إلى السماء، كان القمر المتنامي يشع بضوئه دون سحب لتعرض طريقه. «سيكون علينا استدعاء الرياح مرة أخرى، ولن تكون (الأميرلين) سعيدة بهذا أيضًا. إنها تقول إنها تريد منا أن نكون في طريقنا إلى (تار قالون) في غضون ساعة، وإنها لن تتسامح مع أي تأخير. لن أرغب في أن أكون في موضع (مويرين) أو (لياندرين) أو (فيرين) عندما تراهن في المرة التالية، سيتمنين لو أنهن عدن مبتدئات. ما الأمر يا طفلي؟».

أخذت (إيجوين) نفسًا عميقًا. (مويرين) قد رحلت؟ هذا مستحيل! يجب أن أخبر شخصًا ما، شخصًا لن يسخر مني. تخيلت (آنايا) هنالك في (إيموندر فيلد) تصغي إلى مشكلات بناتها، فكانت المرأة مناسبة للصورة. «إن (راند) في ورطة يا (آنايا سيدي)».

تفحصتها (آنايا) ثم قالت: «هذا الفتى الطويل من قريتك؟ تفتقدينه بالفعل، أليس كذلك؟ حسنًا، لن أندش إن كان في ورطة، الشباب في مثل سنه عادة ما يتورطون في المتاعب. رغم أن الشاب الآخر - (مات)؟ - هو من كان يبدو في ورطة. لا بأس يا طفلي، لا أقصد السخرية منك أو الاستهانة بالموقف. ورطة من أي نوع؟ وكيف تعرفين هذا؟ من المفترض أنه واللورد (إنجتار) قد استعدا (البوق) وفي طريقهما إلى (فال دارا) الآن، وإلا فإنها قد تتبعاه إلى (البلاء العظيم) ولا يوجد شيء لنفعله حيال هذا».

«أنا... لا أعتقد أنهما في (البلاء العظيم) أو قد عادا إلى (فال دارا)، لقد راودني حلم». قالتها بشبه تحدّ. لقد بدا الأمر سخيًا عندما قالته، ولكنه قد بدا حقيقيًا للغاية، كابوسًا بالفعل ولكنه حقيقة. أولًا كان هناك رجل بقناع على وجهه ونيران في موضع العينين. ورغم القناع اعتقدت أنه قد اندش لرؤيتها. إن نظرتة قد أخافتها، حتى خُيِّلَ إليها أن عظامها ستتحطم من الارتجاف، ولكن فجأة اختفى ورأت (راند) ينام على الأرض ملفوفًا بعباءة. كان هناك امرأة تقف فوقه وتنظر للأسفل، وجهها في الظلام ولكن عينيها تبدوان

وكأنما تسطعان مثل القمر، وعرفت (إيجوين) أنها شريرة. ثم كان هناك وميض من الضوء وتلاشى كلاهما. ووراء كل ذلك - وكأنه شيء مختلف تمامًا - كان هناك إحساس بالخطر، كأن هناك فخًا يبدأ في الانغلاق على حمل غافل، فخًا له فكوك عديدة، كأنها الوقت قد أبطأ، وكانت قادرة على رؤية الفكوك الحديدية وهي تقترب من بعضها بعضًا. لم يتلأش الحلم مع الاستيقاظ، كما تتلاشى الأحلام، وأحسنت أن الخطر قوي للغاية حتى إنها ظلت ترغب في النظر وراءها، ولكنها بطريقة ما كانت تدرك أن الخطر موجهًا ناحية (راند) وليس ناحيتها.

تساءلت إن كانت هذه المرأة هي (مويرين)، ووبخت نفسها على هذه الفكرة، إن (لياندرين) تناسب هذا الدور بشكل أفضل، أو ربما (آلانا) فقد كانت مهمة (براند) أيضًا. لم تستطع حمل نفسها على إخبار (آنايا)، فقالت بشكل رسمي: «أعرف أن الأمر يبدو أحق يا (آنايا سيدي)، ولكنه في خطر، خطر عظيم. أعرف هذا، يمكنني الإحساس بهذا، ما زلت قادرة على الإحساس به».

ظهر التفكير على وجه (آنايا) ثم قالت بهدوء: «حسنًا، هذا احتمال أراهن أن أحدًا لم يفكر فيه، قد تكونين (حاملة)، إنه احتمال ضئيل يا طفلي، ولكن... لم يكن لدينا واحدة من هؤلاء منذ أربعمئة عام أو خمسمئة، و(الحلم) يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتنبؤ. إن كان بمقدورك (الحلم) حقًا إذن فربما بإمكانك التنبؤ أيضًا. سيكون ذلك إصبعًا في عين (الحمراوات). بالطبع قد يكون مجرد كابوس عادي، قد جلبه لك وقت متأخر من الليل، والطعام البارد، وسفرنا الشاق منذ مغادرة (فال دارا). وأنت تفتقدين هذا الشاب. هذا احتمال أكثر معقولية بكثير. أجل، أجل يا طفلي، أعرف، أنت قلقة بشأنه. هل أشار حلمك إلى نوع الخطر؟».

هزت (إيجوين) رأسها وقالت: «لقد اختفى فحسب، وأنا شعرت بالخطر، والشر، لقد شعرت بهذا قبل حتى أن يختفي». ثم ارتجفت وهي تفرك يديها معًا، قبل أن تقول: «ما زلت قادرة على الإحساس به».

«حسنًا، سنتحدث عن هذا أكثر على متن (ملكة النهر)، إن كنتِ (حاملة) فسأحرص على أن تحصلي على التدريب الذي كان من المفترض أن تكون (مويرين) هنا من أجل... أنت هناك!». صاحت (الآيز سيدي) فجأة فجفلت (إيجوين). جفل أيضًا رجل طويل القامة قد جلس للتو على برميل نبيذ. تحرك عديد من الآخرين بشكل أسرع. «هذا لتحميله على متن السفينة، وليس للاستراحة عليه. سوف نتحدث على متن السفينة يا طفلي. لا أيها الأحق! لا يمكنك أن تحمله بنفسك! هل تريد أن تؤذي نفسك؟». أسرع (آنايا) الخطى عبر الرصيف وهي تمنح القرويين التعساء الجانب الأكثر خشونة من لسانها الذي لم تظن (إيجوين) أنها تملكه.

نظرت (إيجوين) عبر الظلمة ناحية الجنوب؛ إنه هناك في مكان ما، ليس في (فال دارا) أو في (البلاء العظيم)، كانت متيقنة من هذا. فلتصمد أيها الأحق اللعين، إن تسببت في قتل نفسك قبل أن أخرجك من هنا فسأسلخك حيًا. لم يخطر ببالها أن تسأل نفسها كيف ستخرجه من أي شيء بينما هي ذاهبة إلى (تار فالون).

أحاطت نفسها بعباءتها وهي تبحث عن قارب يأخذها إلى (ملكة النهر).

الفصل الثالث عشر

من حجر إلى حجر

أيقظ ضوء الشمس المشرقة (راند) وتساءل ما إذا كان يحلم. اعتدل جالسًا ببطء وهو يحرق، كل شيء قد تغير، أو كل شيء تقريبًا. كانت الشمس والسماء كما يتوقع أن يراها، وإن كانت شاحبة وتغطيها السحب، لا يزال (لويال) و(هورين) مستلقين على جانبيه، متدثرين بعباءتيهما وهما نائمان. ولا تزال أحصنتهم تقف مقيدة على مسافة خطوة، ولكن كل شيء آخر قد اختفى؛ الجنود والأحصنة وصديقيه، كل شخص وكل شيء قد اختفى.

الغور نفسه قد تغير، لقد صاروا في منتصفه ولم يعودوا عند حافته. عند رأس (راند) تعلو أسطوانة حجرية رمادية، بارتفاع ثلاثة باعات وبعرض خطوة كاملة، وكل جزء منها مغطى بمئات أو ربما آلاف من الرسوم التخطيطية المحفورة عميقًا، وعلامات بلغة ما لم يتعرف عليها. كان الجزء السفلي من الغور مرصوفًا بحجر أبيض، مستويًا كالأرضية، ومصقولًا وناعمًا للغاية حتى يكاد أن يلعب. كان هناك درجات عالية وعريضة تعلو إلى الحافة في حلقات متحدة المركز من أحجار ذات ألوان مختلفة. وحول الحافة تنتصب الأشجار سوداء وملتوية كأن عاصفة نارية قد هبت من خلالها. كل شيء يبدو أكثر شحوبًا مما ينبغي، تمامًا مثل الشمس، وأكثر خفوتًا كما لو أنه ينظر من خلال ضباب، غير أنه لم يكن هناك ضباب. لا شيء يبدو ماديًا حقًا إلا ثلاثتهم وخيولهم. ولكن عندما لمس الحجر من تحته بدا ماديًا بما يكفي.

مد يديه ليهز (لويال) و(هورين) بينما يقول: «استيقظا! استيقظا وأخبراني أنني أحلم. أرجوكم استيقظا». قال (لويال) وهو يعتدل جالسًا: «هل حل الصباح بالفعل؟». ثم فغر فمه واتسعت عيناه الكبيرتان المستديرتان أكثر فأكثر.

استيقظ (هورين) جافلاً ثم قفز واقفًا على قدميه كذبابة على صخرة ساخنة لينظر إلى هذا الاتجاه وذاك. «أين نحن؟ ما الذي حدث؟ أين الجميع؟ أين نحن يا لورد (راند)؟». جثا على ركبتيه وهو يفرك يديه ولكن عينيه لا تزالان زائغتين. «ما الذي حدث؟».

قال (راند) ببطء: «لا أعرف، كنت آمل أنه حلم، ولكن... ربما هو حلم». كان لديه تجربة مع الأحلام التي ليست أحلامًا، تجربة لا يريد أن يكررها أو يتذكرها. اعتدل واقفًا بحذر فبقي كل شيء كما كان.

قال (لويال): «لا أعتقد هذا». كان يتفحص العمود، ولم يبدو سعيدًا. كان حاجباه الطويلان متدليين على وجنتيه، وأذناه ذاتا الخصلات تبدوان وكأنهما ذابلتان. «أعتقد أن هذا هو الحجر نفسه الذي نمنا بجانبه الليلة الماضية، أعتقد أنني أعرف ما هذا الآن». ولأول مرة يبدو تعيشًا بشأن المعرفة.

«هذا...». لا. إن كون هذا الحجر نفسه هو أكثر جنونًا مما يمكن أن يراه من حوله، اختفاء (مات) و(بيرين) والشايناريين وتغير كل شيء. ظننت أنني قد هربت ولكن الأمر بدأ من جديد، ولم يعد هناك شيء اسمه

الجنون، ما لم أكن كذلك. نظر إلى (لويال) و(هورين)، إنهما لا يتصرفان كما لو أنه مجنون، إنهما يريان هذا أيضًا. شيء حيال الدرجات قد جذب انتباهه، الألوان مختلفة، سبعة ألوان تتدرج من الأزرق إلى الأحمر. قال: «واحدًا لكل (آجاه)».

قال (هورين) متشكيًا: «لا يا لورد (راند)، لا، لن تفعل (الآيز سيدي) هذا بنا، لن يفعلن هذا! أنا أمشي في (النور)».

قال (راند): «جميعنا نمشي في (النور) يا (هورين)، (الآيز سيدي) لن يؤذيك». ما لم تعترض طريقهن. هل يعقل أن هذا من صنيع (مويرين) بطريقة ما. «قلت إنك تعرف ما هذا الحجر يا (لويال)، فما هو إذن؟».

«قلت إنني أعتقد أنني أعرف يا (راند). كان هناك جزء من كتاب قديم، بضع صفحات فحسب، وكان في إحداها رسم لهذا الحجر، هذا (الحجر)». كان هناك اختلاف واضح في الطريقة التي قالها بها يبين أهميته. «أو شيء مشابه له للغاية. وفي الأسفل كان مكتوبًا: من (حجر) إلى (حجر) تمر خطوط من «لو» ما بين العوالم التي قد تكون».

«ما الذي يعنيه هذا يا (لويال)؟ هذا لا يبدو مفهومًا على الإطلاق».

هز (الأوجير) رأسه الضخم بحزن وقال: «لقد كانت بضع صفحات فحسب، جزء منه قال إن (الآيز سيدي) في (عصر الأساطير)، بعض من هؤلاء الذين يمكنهم (الارتحال)، الأقوى من بينهم، كان بمقدورهم استخدام هذه (الأحجار). لم يبين كيف، ولكنني أعتقد، حسبما استطعت أن أفصره، أن هؤلاء (الآيز سيدي) قد استخدموا (الأحجار) بطريقة ما للسفر إلى هذه العوالم». رفع عينيه إلى الأشجار المحترقة قبل أن يخفضهما مرة أخرى على الفور، فهو لم يرغب في التفكير فيما يكمن وراء الحافة. «ومع ذلك حتى لو كان (الآيز سيدي) بمقدورهم استخدامها، أو كانوا قادرين على هذا، فلا يوجد (آيز سيدي) بيننا لتسخير القوة الواحدة)، لذا لا أفهم كيف حدث الأمر».

أحس (راند) بالوخز في جلده. (الآيز سيدي) يستغلونهم. في (عصر الأساطير) عندما كان هناك (آيز سيدي) ذكور. كان لديه ذكرى مبهمّة عن الخواء الذي انغلق عليه بينما يغرق في النوم ويملاًه بهذا الوهج المثير للاضطراب. وتذكر الحجرة في القرية والضوء الذي لمس له لكي يهرب. إن كان هذا هو النصف الذكوري من (المصدر الحقيقي)... لا، لا يمكن، ولكن ماذا لو أنه كذلك؟ بحق (النور)، كنت أتساءل إذا ما كنت سأهرب أم لا، وطيلة الوقت كان هنالك داخل رأسي، ربما أنا من جلبنا إلى هنا. لم يرغب في التفكير في الأمر. «العوالم التي قد تكون؟ لا أفهم يا (لويال)».

هز (الأوجير) كتفيه الضخمتين في توتر وقال: «ولا أنا يا (راند)، معظمه قد بدا هكذا «لو ذهبت امرأة يسارًا أو يمينًا فهل ينقسم تدفق الزمن؟ هل ستسج (العجلة) حينها (نمطين) مختلفين؟ ألفًا لكل منعطف من منعطفاتها؟ بعدد النجوم؟ هل واحد حقيقي والبقية مجرد ظلال وانعكاسات؟»، كما ترى لم يكن واضحًا للغاية، على الأغلب أسئلة، ومعظمها يبدو متناقضًا مع بعضها بعضًا. ولم يكن هناك الكثير منه». عاد

ليحرق إلى العمود ولكنه بدا وكأنه يتمنى لو أن يختفي. «من المفترض أن يكون هناك عدد كبير من هذه (الأحجار)، متناثرة في جميع أرجاء العالم، أو كان الأمر هكذا ذات يوم، ولكني لم أسمع قط عن شخص قد عثر على واحد منها، لم أسمع قط أن أي شخص قد عثر على شيء كهذا على الإطلاق».

«سيدي اللورد (راند)؟». كان (هورين) قد نهض واقفاً على قدميه، ويبدو أكثر هدوءاً ولكنه يتشبث بمعطفه عند خصره بكلتا يديه ويبدو وجهه مُلحاً. «سوف تعيدنا، أليس كذلك يا سيدي اللورد (راند)؟ ستعيدنا إلى حيث ننتمي؟ لدي زوجة يا سيدي، وأطفال. سيكون موتي فاجعة كافية بالنسبة (لميليا)، ولكن إن لم يكن لديها جثتي على الأقل لتمنحها إلى احتضان الأم فستحزن حتى آخر أيامها. أنت تفهمني يا سيدي اللورد، لا يمكن أن أتركها في حالة من عدم اليقين. أنت ستعيدنا، وإن متُّ ولم تقدر على أخذ جثتي لها فلتدعها تعرف. سيكون لديها هذا على الأقل». في نهاية حديثه لم يعد يسأل، لقد تسللت نبرة من الثقة إلى صوته.

فتح (راند) فمه ليقول مرة أخرى إنه ليس لوردًا، ولكنه أغلقه دون أن يتكلم. لم يكن هذا مهمًا بما يكفي لذكره الآن. أنت من ورطه في هذا. أراد أن ينكر، ولكنه يعرف ما يكون عليه، يعرف أنه قادر على التسخير، حتى لو بدا الأمر دومًا وكأنه يحدث من تلقاء نفسه. قال (لويال) إن (الآيز سيداي) قد استخدموا (الأحجار)، وهذا يعني (القوة الواحدة). إن (لويال) يعرف ما قاله، يمكنك أن تكون متيقنًا من هذا. لم يزعم (الأوجير) قط أنهم يعرفون شيئًا دون أن يعرفوه. ولم يكن هناك أي شخص آخر في الجوار يمكنه استخدام (القوة الواحدة). أنت من ورطه في الأمر، ويجب عليك إخراجه منه، يجب عليك أن تحاول.

«سأبذل قصارى جهدي يا (هورين)». ولأن (هورين) كان شائنا ري فقد أضاف: «أقسم بعائتي وشرفي، عائلة راعي غنم وشرف راعي غنم. ولكنني سأجعلها يفيان بالغرض كعائلة لورد وشرفه».

أرخی (هورين) قبضتيه من على معطفه، لقد وصلت الثقة إلى عينيه أيضًا. انحنى انحناء كبيرة وقال: «تشرفني خدمتك يا سيدي اللورد».

اجتاح (راند) إحساس بالذنب. إنه يعتقد أنك ستعيده إلى بيته، وهذا لأن اللوردات الشائنا ريين يفون دومًا بوعودهم. ما الذي ستفعله أيها اللورد (راند)؟ «لا تفعل أيًا من هذا يا (هورين)، لا تنحن مرة أخرى، أنا لست...». فجأة أدرك أنه لا يستطيع أن يقول للرجل مرة أخرى إنه ليس لوردًا، إن الشيء الوحيد الذي يجعل المتشتم يتمالك نفسه هو إيمانه بأحد اللوردات، ولا يستطيع أن يجرمه من هذا، ليس الآن وليس هنا. أنهى جملته في حرج قائلاً: «لا تنحن».

«كما تشاء يا لورد (راند)». كانت ابتسامة (هورين) عريضة مثلما كانت عندما التقى به (راند) لأول مرة.

تنحنح (راند) وقال: «حسنًا، هذا ما أقوله».

كانا يراقبانه، (لويال) في فضول، و(هورين) في ثقة، ينتظران ليريا ما سيفعله. لقد جلبتهما إلى هنا، لا شك في هذا، لذا يجب عليّ أن أعيدهما، وهذا يعني...

أخذ نفساً عميقاً ومشى عبر أحجار الرصف البيضاء إلى الشكل الأسطواني المغطى بالرموز، كان هناك خطوط دقيقة من لغة لا يعرفها تحيط بكل رمز، أحرف غريبة تندفق في منحنيات وحلزونات، وفجأة تتحول إلى خطاطيف حادة وزوايا ثم تندفق من جديد. على الأقل لم تكن كتابة (ترولوكية). في تردد وضع يديه على العمود، لقد بدا كأني حجر مصقول جاف، ولكنه بدا أملس بشكل غريب، كمعدن مطلي بالزيت. أغلق عينيه وشكّل الشعلة. جاء الخواء ببطء وتردد. كان يعرف أن خوفه يعيقه، خوفه مما يحاول فعله. وكلما غذى الشعلة بالخوف جاء المزيد وبنفس السرعة. لا يمكنني أن أفعلها، تسخير (القوة الواحدة)، لا أرغب في هذا، بحق (النور) يجب أن يكون هناك طريقة أخرى. في وجوم أجبر أفكاره على السكون، كان قادراً على الإحساس بالعرق يتشكل على وجهه، واصل المضي قدماً في حزم، دافعاً مخاوفه إلى الشعلة التي تلتهمها ليجعلها تنمو وتنمو. وكان الخواء هناك.

كان جوهره يطفو في الفراغ. استطاع أن يرى الضوء - (السايدين) - حتى وعيناه مغلقتان، أن يشعر بدفئه، يغلفه، ويغلف كل شيء، يغمر كل شيء. كان يتأرجح كلهب شمعة تراه من خلال ورقة ملوثة بالزيت، زيت عفن، زيت نتن.

مد يده إليه، لم يكن واثقاً كيف سيلمسه، ولكنه كان شيئاً ما، حركة، امتداداً ناحية الضوء، ناحية (السايدين). لم يمسك بشيء، كأننا يمرر يديه عبر المياه. بدت كأنها بركة لزجة، زبد يطفو فوق ماء نظيف من تحته، ولكنه لا يستطيع أن يغترف أي ماء، كان يتقاطر من بين أصابعه مراراً وتكراراً ولم تتبق ولو قطرة ماء واحدة، فقط الزبد اللزج الذي يجعل جلده يقشع.

حاول في يأس أن يشكل صورة للغور كما كان، مع (إنجتار) وحاملي الرياح النائمين إلى جانب خيولهم، و(مات) و(بيرين)، و(الحجر) مدفون باستثناء طرف واحد. لقد شكله خارج الخواء، متشبهاً بقشرة الفراغ الذي يحيط به. حاول أن يربط الصورة بالضوء، أن يجبرهما على الاندماج معاً. ظل الغور كما كان، بينما هو و(لويال) و(هورين) هناك معاً. ألمه رأسه. معاً بصحبة (مات) و(بيرين) والشايناريين. أحس باحترق في رأسه. معاً!

تحطم الخواء إلى آلاف الشظايا الحادة التي مزقت عقله.

ارتجف وهو يترنح إلى الوراء بعينين متسعيتين. كانت يدها تؤلمانه من الضغط على (الحجر)، وذراعاها وكتفاه يرتجفون من الألم، ومعدته تنقبض مع إحساس بالقذارة يغطيه، ورأسه... حاول أن يجعل أنفاسه منتظمة، هذا لم يحدث من قبل، عندما يتلاشى الخواء كان يختفي كانفجار فقاعة، يتلاشى فحسب في لمح البصر، ولم ينفجر قط كزجاج متحطم. أحس بالخدر في رأسه، كما لو أن آلاف الجروح قد حدثت بسرعة كبيرة، والألم لم يأت بعد. ولكن كل جرح بدا حقيقياً كأنها بفعل سكين. لس صدغه وتفاجأ عندما لم ير دماً على أصابعه.

كان (هورين) لا يزال واقفًا هناك يراقبه، ولا يزال واثقًا، بل إن ثقة المتشتم كانت تتزايد بمرور الوقت. اللورد (راند) يفعل شيئًا ما، هذا ما يفعله اللوردات، إنهم يحمون الأرض والناس بأجسادهم وحياتهم، وعندما يسير شيء ما على نحو خاطئ يعيدونه إلى المسار الصحيح ويحققون العدالة والإنصاف. ما دام (راند) يفعل شيئًا ما - أي شيء - فسيكون (هورين) واثقًا من أن كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية. هذا ما يفعله اللوردات.

كانت هناك نظرة مختلفة مرتسمة على وجه (لويال)، فقد عقد حاجبيه في حيرة ونظره مثبت على (راند) أيضًا. تساءل (راند) ما الذي يفكر فيه.

قال لهما: «كان الأمر يستحق المحاولة». كان الإحساس بالزيت النتن داخل رأسه - بحق (النور)، إنه بداخلي! لا أريده بداخلي! - يتلاشى ببطء، ولكنه لا يزال يعتقد أنه قد يتقيأ. «سأحاول مرة أخرى في غضون بضع دقائق».

كان يأمل أنه يبدو واثقًا، لم يكن لديه أدنى فكرة عن كيفية عمل (الأحجار)، أو إن كان ما يفعله لديه أي فرصة للنجاح. ربما هناك قواعد لاتباعها، ربما يجب عليك أن تفعل شيئًا خاصًا. بحق (النور)، ربما لا يمكنك استخدام (الحجر) نفسه مرتين، أو... بتر هذه الفكرة، لا فائدة من التفكير هكذا. يجب عليه أن يفعلها. عندما نظر إلى (لويال) و(هورين) فكر أنه يعرف ما الذي كان يعنيه بأن الواجب له حمل كالجل.

«سيدي اللورد، أعتقد...». بتر (هورين) جملته وقد بدا خجلًا للحظة. «ربما إن استطعنا أن نجد أصدقاء الظلام فيمكننا أن نجعل أحدهم يخبرنا بكيفية العودة».

قال (راند): «سأسأل صديقًا للظلام، أو (سيد الظلام) نفسه، إن ظننت أنني سأحصل منه على إجابة حقيقية. ولكن لا يوجد سوانا نحن الثلاثة هنا». أنا فحسب، أنا من يجب عليه أن يفعلها.

«يمكننا أن نلحق بأثرهم يا سيدي اللورد، إن أمسكنا بهم...».

حدق (راند) إلى المتشتم وقال: «لا يزال بإمكانك تشمهم؟».

قال (هورين) وهو يعتقد حاجبيه: «يمكنني هذا يا سيدي، إنه أثر باهت وشاحب، مثل كل شيء هنا، ولكن يمكنني أن أشم الأثر، هنالك بالأعلى». كان يشير إلى حافة الغور. «لا أفهم الأمر يا سيدي، ولكن... في الليلة الماضية كان بمقدوري أن أقسم أن الأثر يمر بجانب الغور... حيث كنا. حسنًا إنه المكان نفسه، ولكنه خافت هنا كما قلت. إنه ليس خافتًا لأنه أثر قديم، ولكن... لا أعرف يا لورد (راند) سوى أنه موجود».

فكر (راند) في الأمر، إن كان (فاين) وأصدقاء الظلام هنا - أيًا كان ما يعنيه كونهم هنا - فربما يعرفون كيفية العودة. لا شك في هذا إن كانوا وصلوا إلى هنا في المقام الأول، كما أن لديهم (البوق) والخنجر. يجب أن يحصل (مات) على الخنجر. يجب عليه أن يعثر عليهم من أجل هذا السبب، حتى لو لم يكن من أجل سبب آخر. أحس بالخجل عندما أدرك أن ما جعله يحسم أمره هو أنه يخشى المحاولة مرة أخرى، يخشى

محاولة تسخير (القوة الواحدة). إنه يشعر بخوف أقل تجاه مواجهة أصدقاء الظلام و(الترولوكيين)، بينما معه (هورين) و(لويال) فحسب.

«إذن سنسعى وراء أصدقاء الظلام». حاول أن يبدو واثقًا كما قد يبدو (لان) أو (إنجتار). «يجب استعادة (البوق). إن لم نتمكن من إيجاد طريقة لأخذه منهم فعلى الأقل سنعرف موضعهم عندما نجد (إنجتار) مرة أخرى». تمنى فقط ألا يسألًا كيف سيجدونه مرة أخرى. «فلتتيقن أن هذا هو حقًا الأثر الذي نتعقبه يا (هورين)».

قفز المتشتم إلى سرجه، متلهفًا لأن يفعل شيئًا بنفسه، أو ربما متلهفًا للابتعاد عن الغور. وأسرع بحصانه صاعدًا الدرجات الملونة العريضة. تردد دوي حوافر الحصان بصوت عالٍ على الأحجار، ولكنها لم تترك أي علامات. وضع (رانند) قيود (ريد) في أكياس سرجه، لا تزال الراية هناك، ولم يكن يمانع تركها وراءه. ثم أمسك بالقوس والجعبة وصعد على صهوة الحصان. شكّلت حزمة عباءة (توم ميريلين) كومة وراء سرجه. قرب (لويال) حصانه الكبير منه، وبينما (الأوجير) يقف على الأرض كانت رأسه تقريبًا بمحاذاة كتف (رانند) الجالس في سرجه. قال (رانند): «هل تعتقد أنه يجب علينا البقاء هنا؟ أن نحاول استخدام (الحجر) مرة أخرى؟ إن كان أصدقاء الظلام هنا في هذا المكان فيجب أن نعثر عليهم، لا يمكننا أن نترك (بوق فالير) في أيدي أصدقاء الظلام. لقد سمعت (الأميرلين)، ويجب علينا أن نستعيد ذلك الخنجر، سيموت (مات) من دونه».

أومأ (لويال) برأسه وقال: «أجل يا (رانند)، يجب أن نفعل هذا. ولكن (الأحجار) يا (رانند)...».

«سنجد واحدًا آخر، قلت إنها متناثرة في جميع الأنحاء. وإن كانت جميعًا هكذا، محاطة بكل هذه المنحوتات الحجرية، فلن يكون من الصعب العثور على واحد».

«هذا الجزء من الكتاب قال إن (الأحجار) قد جاءت من عصر أقدم من (عصر الأساطير)، وحتى (الآيز سيداي) حينها لم يفهموها، على الرغم من أنهم قد استخدموها. بعض من أقواهم قد فعل هذا. لقد استخدموها (بالقوة الواحدة) يا (رانند). كيف تعتقد أنك ستستخدم هذا (الحجر) لإعادتنا؟ أو أي (حجر) آخر نعثر عليه؟».

للحظة اكتفى (رانند) بالتحديق إلى (الأوجير) وهو يفكر بشكل أسرع من أي وقت مضى في حياته. «إن كانت أقدم من (عصر الأساطير) فربما الأشخاص الذين بنوها لم يستخدموا (القوة الواحدة)، لا شك أن هناك طريقة أخرى، أصدقاء الظلام قد وصلوا إلى هنا، وهم بالتأكيد لم يستخدموا (القوة الواحدة). مهما كانت هذه الطريقة الأخرى فسأعثر عليها، سأعيدنا يا (لويال)». نظر إلى العمود الحجري الطويل بعلاماته الغريبة وشعر بوخزة من الخوف. بحق (النور)، أتمنى لو أنني لست مضطرًا لاستخدام (القوة الواحدة) لفعلها. «أعدك يا (لويال) أنني سأفعلها، بطريقة أو بأخرى».

أوماً (الأوجير) برأسه في رابية، ثم قفز على حصانه الضخم ولحق (براند) صاعدًا الدرج لينضم إلى (هورين) بين الأشجار السوداء.

كانت الأرض ممتدة، خفيضة ومتموجة، وتتناثر فيها الأشجار هنا وهناك، وبينها أراضٍ من الحشائش، ويقطعها أكثر من جدول. على مسافة ليست ببعيدة اعتقد (راند) أنه يستطيع أن يرى بقعة محترقة أخرى. كان كل شيء شاحبًا والألوان باهتة، لم يكن هناك أدنى إشارة على أي شيء صنعه البشر، باستثناء الدائرة الحجرية من ورائهم. كانت السماء خاوية، لا دخان مداخل ولا طيور، فقط بعض السحب والشمس الصفراء الشاحبة.

فكر أن الأسوأ من هذا كله هو أن الأرض تبدو وكأنها تخدع البصر. ما هو في متناول اليد يبدو جيدًا، وكذلك ما يراه مباشرة أمامه في الأفق. ولكن كلما أدار (راند) رأسه فإن الأشياء التي تبدو بعيدة عندما يراها من طرف عينه تبدو وكأنها تندفع ناحيته لتصير أقرب عندما يحدق إليها مباشرة. أصابه هذا بالدوار، وحتى الأحصنة سهلت في توتر وزاغت أعينها. حاول أن يحرك رأسه ببطء، كانت الحركة الواضحة للأشياء التي يجب أن تكون ثابتة لا تزال موجودة، ولكن يبدو أن هذا يساعده قليلًا.

تساءل (راند): «هل ذكر ذلك الجزء من الكتاب أي شيء عن هذا؟». هز (لويال) رأسه ثم ازدرد لعابه كما لو أنه يتمنى لو أبقى رأسه ساكنًا، قبل أن يقول: «لا شيء». «أفترض أنه لا يوجد شيء لنفعله حيال الأمر. أي اتجاه يا (هورين)؟». «جنوبًا يا لورد (راند)». أبقى المتشمم عينيه على الأرض.

«الجنوب إذن». يجب أن تكون هناك طريقة أخرى للعودة غير استخدام (القوة الواحدة). ضرب (راند) جانبي (ريد) بكاحليه، حاول أن يجعل صوته مرعًا وكأنه لا يرى أي صعوبة على الإطلاق فيما هم على وشك فعله. «ما الذي قاله (إنجتار)؟ ثلاثة أيام أو أربعة حتى نصل إلى نصب (أرتور هاوكوينج) التذكاري؟ أتساءل إن كان موجودًا هنا أيضًا كما توجد (الأحجار). إن كان هذا عالمًا يمكن أن يوجد فيها لا يزال النصب التذكاري قائمًا، ألن يكون هذا شيئًا مذهلاً لرؤيته يا (لويال)؟». امتطوا أحصنتهم جنوبًا.

الفصل الرابع عشر

قرين الذئاب

قال (إنجتار) متسائلاً دون أن يخاطب شخصاً بعينه: «اختفوا؟ والحرس لم يروا شيئاً، أي شيء! من المستحيل أن يختفوا بهذه البساطة».

كان (بيرين) يُصغي بكتفين متهدلتين، وهو ينظر إلى (مات)، الذي يقف على مسافة بعيدة بعض الشيء عاقداً حاجبيه وهو يغمغم لنفسه. رأى (بيرين) أنه يتجادل مع نفسه. كانت الشمس تطل من فوق الأفق، وقد تجاوز الوقت الأوان الذي يتحركون فيه بخيولهم. كانت الظلال ممتدة عبر الغور، طويلة ونحيفة، ولكنها لا تزال تُشبه الأشجار التي صنعتها. كانت أحصنة البضائع المحملة والواقفة عند المقدمة تضرب بقوائمها في نفاذ صبر، ولكن كل شخص يقف إلى جانب حصانه وينتظر.

جاء (أونو) مسرعاً وهو يقول: «ولا أدنى أثر لعين يا سيدي». بدا أنه يشعر بالاستياء لأن مهارته قد باءت بالفشل. «بحق (النور)، ولا حتى أثر حافر لعين، لقد اختفوا فحسب».

قال (إنجتار) متذمراً: «لا يمكن أن يختفي ثلاثة رجال وثلاثة خيول بهذه البساطة. تفحص الأرض مرة أخرى يا (أونو). إن كان هناك شخص يمكنه أن يعرف إلى أين ذهبوا فهو أنت».

قال (مات): «ربما هربوا فحسب». توقف (أونو) وحقق إليه. شعر (بيرين) في تعجب أنه ينظر إليه وكأنها قد لعن (آيز سيداي).

«لم قد يهربون؟». كان صوت (إنجتار) هادئاً بشكل منذر بالخطر. «(راند) و(البناء) والمتشمم الخاص بي! لم قد يهرب أي واحد منهم، ناهيك بثلاثتهم؟».

هز (مات) كتفيه وقال: «لا أعرف، كان (راند)...». أراد (بيرين) أن يلقي شيئاً ناحيته، أو أن يضربه، أو أن يفعل أي شيء لجعله يصمت. ولكن (إنجتار) و(أونو) كانا يراقبان. ثم شعر بالارتياح يغمره عندما تردد (مات) وبسط يديه قائلاً: «لا أعرف لماذا، فكرت فقط أنهم ربما قد هربوا».

قال (إنجتار) متجهماً: «هربوا؟». لم يبدُ عليه أنه يصدق هذا البتة. «(البناء) يمكنه أن يذهب كما يحلو له، ولكن (هورين) لن يهرب، وكذلك (راند ألتور)، لن يفعلها، إنه يعرف واجبه الآن. هيا يا (أونو) افحص الأرض مرة أخرى». منحه (أونو) نصف انحناءة ثم أسرع مبتعداً ومقبض سيفه يتمايل فوق كتفه. قال (إنجتار) متذمراً: «لم قد يغادر (هورين) هكذا، في منتصف الليل، دون أن يقول كلمة؟ إنه يعرف ما نسعى إليه، كيف يمكنني أن أتبع هذه القذارة وليدة (الظل) من دونه؟ أنا في موقف يجعلني مستعداً لدفع ألف كراون ذهبي مقابل قطع من كلاب الصيد. لولا أنني أعرف أن هذا مستحيل لقلت إن أصدقاء الظلام قد فعلوا هذا حتى يتمكنوا من التسلل شرقاً أو غرباً دون أن أعرف. بحق (السلام)، لا أعرف حتى إن كان هذا مستحيلاً». أسرع ليلحق (بأونو).

تلملم (بيرين) في توتر، لا شك أن أصدقاء الظلام يتعدون أكثر مع كل دقيقة، يتعدون ومعهم (بوق قالير)، وخنجر (شادار لوجوث). لم يكن يعتقد أن (راند) - أيًا كان ما قد صار إليه، وأيًا كان ما حدث له - سيتخلى عن هذه المطاردة. ولكن أين ذهب ولماذا؟ ربما يذهب (لويال) مع (راند) من أجل صداقتهم، ولكن لماذا (هورين)؟

تمتم قائلاً: «ربما لم يهرب». ثم تلفت حوله، لم يبدُ أن أحداً قد سمعه، حتى (مات) لم يكن يُعِره أي اهتمام. مرر يده على شعره. لو أن (الآيز سيداي) يسعون وراءه ليكون (تنيًا كاذبًا) لهرب أيضًا. ولكن القلق على (راند) لن يفعل أي شيء للمساعدة في تعقب أصدقاء الظلام.

ربما هناك طريقة، إن كان مستعدًا لفعلها. لم يرغب في فعلها، كان يهرب منها، ولكن ربما الآن لم يعد بمقدوره الهرب. *أستحق هذا نظير ما قلته (لراند). أتمنى لو أن باستطاعتي الهرب.* رغم معرفته بما يمكنه أن يفعله للمساعدة - ما يجب عليه أن يفعله - فإنه قد تردد.

لا أحد ينظر ناحيته، لا أحد سيعرف ما الذي يروونه حتى لو نظروا. وأخيرًا أغلق عينيه على مضض وترك أفكاره تنجرف بعيدًا عنه.

لقد حاول أن ينكر هذا في البداية، قبل وقت طويل من تغير عينيه من البني الداكن إلى الأصفر الذهبي اللامع. في ذلك اللقاء الأول، تلك اللحظة الأولى من المعرفة. رفض أن يصدق، وكان عليه أن يهرب من المعرفة منذ ذلك الحين. لا يزال راغبًا في الهرب.

انجرفت أفكاره وهو يتحسس بحثًا عما يجب أن يكون هناك، ما كان موجودًا دومًا هناك في البرية، حيث يكون البشر قليلين أو متباعدين. تحسس بحثًا عن إخوته، لم يعجبه التفكير فيهم بهذه الطريقة، ولكنهم كذلك.

في البداية كان يخشى أن يكون ما يفعله به شيء من دنس (سيد الظلام)، أو (القوة الواحدة)، إن كليهما سيئ بنفس القدر بالنسبة لرجل لا يريد شيئًا أكثر من أن يكون حادًا وأن يعيش حياته في (النور)، وفي سلام. منذ ذلك الوقت عرف شيئًا مما يشعر به (راند)، صار يخشى نفسه، يشعر أنه غير نظيف. إنه لم يتجاوز الأمر تمامًا بعد، ولكن هذا الشيء الذي يفعله أقدم من استخدام البشر (للقوة الواحدة)، شيء منذ مولد (الزمن)، ليست (القوة الواحدة) كما أخبرته (مويرين)، شيء قد اختفى منذ زمن بعيد، وقد عاد مرة أخرى. (إيجوين) تعرف هذا أيضًا، رغم أنه يتمنى لو أنها لا تعرف، تمنى لو أن أحداً لا يعرف. كان يأمل أنها لم تخبّر أحداً.

الاتصال. لقد شعر بهم، شعر بعقولهم، شعر بإخوته، الذئاب.

جاءت أفكارهم إليه كدوامة تمزج الصور والمشاعر. في البداية لم يكن قادرًا على تمييز أي شيء باستثناء المشاعر المحضة، ولكن عقله بدأ يحولها إلى كلمات. *قرين الذئاب. مفاجأة. ذو الساقين الذي يتحدث.* صورة باهتة

تخفت مع الزمن، قديمة أكثر من القدم، عن رجال يركضون مع ذئاب، قطيعين يصيدان معًا. لقد سمعنا أن هذا يحدث مرة أخرى. هل أنت (الناب الطويل)؟

كانت صورة باهتة لرجل يرتدي ثيابًا من جلود الحيوانات، ويحمل في يده سكينًا طويلًا، ولكن تداخلت معها صورة أكثر مركزية للذئب أشعث بناب أطول من البقية، ناب فولاذي يلمع في ضوء الشمس، بينما الذئب يقود القطيع في هجوم يائس عبر الثلج العميق ناحية الغزلان، التي ستعني الحياة بدلًا من الموت البطيء بسبب الجوع، والغزلان تضرب بقوائمها لتركض عبر الثلج الذي يصل إلى بطونها، والشمس تلمع على الثلج الأبيض حتى تؤلم العين، والرياح تعوي عبر الممرات، وتجعل الثلج الناعم يحوم كالضباب، و... إن أسماء الذئاب دومًا ما تكون صورًا معقدة.

تعرف (بيرين) على الرجل، (إلياس ماتشيرا)، الذي قدمه لأول مرة للذئاب. في بعض الأحيان يتمنى لو أنه لم يقابل (إلياس) قط.

قال لنفسه: لا. وحاول أن يتخيل نفسه في عقله.

أجل لقد سمعنا بك.

لم تكن هذه هي الصورة التي رسمها؛ شاب بكتفين ضخمتين وشعر بني أشعث، يحمل فأسًا في حزامه، ويعتقد الآخرون أنه يتحرك ويفكر ببطء. كان الرجل هناك، في مكان ما في الصورة الذهنية التي تأتي من الذئاب. ولكن الأقوى منها كانت رسالة، ثور بري ضخم له قرنان مقوسان من معدن لامع، يركض عبر الليل بسرعة الشباب وحيويته، وفراؤه الأشعث يلمع في ضوء القمر، ليندفع بين أصحاب العباءات البيضاء على صهوة خيولهم، بينما الهواء لاذع وبارد ومظلم، والدماء حمراء قانية على قرنيه و... (الثور الشاب).

للحظة فقد (بيرين) الاتصال في صدمته، لم يكن يتخيل أنهم قد منحوه اسمًا. تمنى لو أنه لا يتذكر كيف اكتسبه. لمس الفأس في حزامه ونصله اللامع على هيئة نصف قمر. فليساعدني (النور)، لقد قتلت رجلين. ما كانا ليرددا في قتلي أنا و(إيجوين)، ولكن...

نحى كل هذه الأفكار جانبًا، لقد تجاوز كل هذا، وليس لديه أي رغبة في تذكر أي منه. منح الذئاب رائحة (راند) و(لويال) و(هورين)، وسألهم إن كانوا قد اشتموا رائحة الثلاثة. كان هذا شيئًا من الأشياء التي قد طرأت عليه منذ تغير عينيه، يمكنه أن يتعرف على الأشخاص من خلال رائحتهم حتى وهو لا يراهم، يمكنه أن يرى بحدة أكثر أيضًا، أن يرى في الظلام ما لم يكن ظلامًا دامسًا، ولكنه دومًا ما يحرص على إضاءة المصابيح أو الشموع، وأحيانًا قبل أن يظن أي شخص آخر أن هناك حاجة إليها.

جاءت من الذئاب صورة رجال على صهوة الخيول يقتربون من الغور في آخر النهار. كان هذا آخر ما رآه أو اشتموا رائحته من (راند) والاثنين الآخرين.

تردد (بيرين). الخطوة التالية ستكون عديمة النفع ما لم يخبر (إنجتار)، وسيموت (مات) إن لم يعثروا على ذلك الخنجر. بحق (النور)، لم كان عليك أن تأخذ المتشمم يا (راند)؟

في المرة الوحيدة التي ذهب فيها إلى السرداب مع (إيجوين) فإن رائحة (فاين) جعلت شعره ينتصب، حتى (الترولوكيون) لا تكون رائحتهم بهذه الشناعة. أراد أن يحطم قضبان الزنانة وأن يمزق الرجل إربًا إربًا. واكتشافه لهذا الشعور بداخله قد أخافه أكثر من (فاين). لإخفاء رائحة (فاين) في عقله أضاف رائحة (الترولوكيين) قبل أن يعوي بصوت عالٍ.

من الأفق جاءت صرخات قطع من الذئاب، وفي الغور بدأت الخيول تضرب بقوائمها وتسهل في خوف. بعض الجنود تحسسوا رماحهم ذات النصال الطويلة، وهم ينظرون إلى حافة الغور في توتر. داخل رأس (بيرين) كان الأمر أسوأ، شعر بغضب الذئاب وكرهيتهم. هناك شيان يكرههما الذئاب، إنهم يتحملون كل شيء لكنهم يكرهون النار و(الترولوكيين)، وسيخوضون النار لقتل (الترولوكيين).

ولكن رائحة (فاين) قد أدخلتهم في حالة من الجنون - أكثر حتى من رائحة (الترولوكيين) - كما لو أنهم يشمون شيئًا يجعل (الترولوكيين) يبدو شيئًا طبيعيًا وصحيًا.

أين؟

انجرفت السماء في عقله، ودارت الأرض، الذئاب لا يعرفون الشرق أو الغرب، بل يعرفون حركة الشمس والقمر وتبدل الفصول وتضاريس الأرض. استطاع (بيرين) أن يفسر الأمر؛ جنوبًا. وهناك شيء آخر؛ تلهف لقتل (الترولوكيين). الذئاب سيتركون (الثور الشاب) يشاركهم القتل. يمكنه أن يجلب ذوي الساقين بجلودهم الثخينة معه إن أراد. ولكن (الثور الشاب) و(الدخان) و(الغزالين) و(فجر الشتاء) وبقية القطيع سيصيدون (المشوهين) الذين جرؤوا على المجيء إلى أراضيهم. إن اللحم غير الصالح للأكل والدماء المرة سيحرقان اللسان، ولكنهم يجب أن يقتلوا. اقتلهم. اقتل (المشوهين).

أصابته عدوى غضبهم، فكشر عن أنيابه في زججرة، وقطع خطوة لينضم إليهم، ويركض معهم في الصيد، في القتل.

بذل مجهودًا كبيرًا ليقطع الاتصال، باستثناء إحساس باهت بوجود الذئاب هناك. كان قادرًا على أن يشير إلى موضعهم عبر المسافة الفاصلة. أحس بالبرودة بداخله. أنا بشري ولست ذئبًا. فليساعدني (النور)، أنا بشري!

قال (مات) وهو يقترب منه: «هل أنت بخير يا (بيرين)؟». كان عابثًا كعهده دومًا - ومؤخرًا في صوته نبرة من المرارة - ولكنه قد بدا قلقًا. «هذا كل ما أحتاج إليه؛ (راند) يهرب، ثم تصاب أنت بالمرض. لا أعرف أين سأجد حكيمة تعني بك هنا، أعتقد أن لدي بعض لحاء الصفصاف في أكياس سرجي. يمكنني أن أعد لك شاي لحاء الصفصاف إن سمح لنا (إنجتار) بالبقاء لوقت أطول، وإن جعلته أقوى من اللازم فأنت تستحق هذا».

«أنا... أنا بخير يا (مات)». تخلص من صديقه وذهب ليجد (إنجتار). كان اللورد الشايناري يتفحص الأرض عند الحافة بصحبة (أونو) و(راجان) و(ماسيا). نظر إليه الآخرون في تجههم وهو يتنحى (بإنجتار) جانبًا. حرص على أن يكون (أونو) والآخرون بعيدين لكيلا يسمعوا حديثه. «لا أعرف أين ذهب (راند) والآخرون يا (إنجتار)، ولكن (بادان فاين) و(الترولكيين) - وبقيّة أصدقاء الظلام كما أعتقد - لا يزالون متجهين جنوبًا».

قال (إنجتار): «كيف تعرف هذا؟».

أخذ (بيرين) نفسًا عميقًا ثم قال: «لقد أخبرتني الذئب». انتظر ولم يكن يعرف ما الذي ينتظره؛ الضحك، الازدراء، الاتهام بكونه صديقًا للظلام، بكونه مجنونًا. بشكل متعمد وضع إبهاميه خلف حزامه بعيدًا عن فأسه. لن أقتل، ليس مرة أخرى، إن حاول أن يقتلني معتقدًا أنني صديق للظلام فسأهرب، ولكنني لن أقتل أي شخص آخر.

بعد لحظة قال (إنجتار) ببطء: «لقد سمعت عن أشياء كهذه، شائعات، أن هناك (حامياً)، رجلاً يدعى (إلياس ماتشيرا)، يقول عنه البعض إن بمقدوره الحديث مع الذئب، لقد اختفى قبل سنوات». يبدو أنه قد لمح شيئًا في عيني (بيرين) فقال: «هل تعرفه؟».

قال (بيرين) بنبرة خالية من المشاعر: «أعرفه، كان هو من... لا أريد الحديث عن الأمر، أنا لم أطلب هذا». هنا ما قاله (راند). بحق (النور)، أتمنى لو أنني كنت في الديار أعمل في ورشة السيد (لوهان).

قال (إنجتار): «هؤلاء الذئب سيتعقبون أصدقاء الظلام و(الترولكيين) من أجلنا؟». أوماً (بيرين) برأسه. «جيد، سأحصل على (البوق)، مهما تطلب الأمر». نظر الشايناري إلى (أونو) والرجلين الآخرين اللذين يبحثان عن الآثار وقال: «ولكن من الأفضل ألا نخبر أي شخص آخر، الذئب تعد حنًا طيبًا في (البلاد الحدودية)، (فالترولكيون) يخشونها، ولكن مع ذلك من الأفضل أن نبقي الأمر بيننا مؤقتًا، بعضهم قد لا يفهم الأمر».

قال (بيرين): «سأفضل ألا يعرف أي شخص آخر بشأن الأمر أبدًا».

«سأخبرهم أنك تعتقد أن لديك موهبة (هورين)، إنهم يعرفون بشأن هذا ويتساهلون معه. بعضهم قد رآك تزر أنفك هنالك عند تلك القرية وعند المركب. لقد سمعت نكات بشأن أنفك الحساس. أجل ستبقينا على مسارهم اليوم حتى يرى (أونو) ما يكفي من آثارهم للتيقن من أنه المسار الصحيح. وقبل حلول المساء سيكون كل رجل متيقنًا من أنك متشتم. سأحصل على (البوق)». نظر إلى السماء ثم رفع صوته قائلاً: «نحن نضيق ضوء النهار! إلى خيولكم!».

لدهشة (بيرين) بدا أن الشاينارين يقبلون حكاية (إنجتار)، بعضهم قد بدا متشككًا - (ماسيا) قد تمادى إلى حد البصق - ولكن (أونو) أوماً برأسه مفكرًا وكان هذا كافيًا بالنسبة لمعظمهم. كان (مات) هو الأصعب في إقناعه.

«متششم! أنت؟ ستتعب أثر القتلة عن طريق رائجهم؟ أنت مجنون مثل (راند) يا (بيرين)، أنا العاقل الوحيد المتبقي من (إيموندز فيلد)، (فياجوين) و(ناينيف) تهرولان إلى (تار فالون) لتصير...». بتر جملته وهو ينظر في توتر إلى الشايناريين.

أخذ (بيرين) موضع (هورين) إلى جانب (إنجتار)، بينما الطابور الصغير يتقدم جنوبًا. استمر (مات) في تعليقاته المستخفة حتى عثر (أونو) على أول آثار تركها (الترولوكيون) ورجال على صهوة خيولهم، ولكن (بيرين) لم يعره اهتمامًا كبيرًا. كل ما استطاع فعله هو أن يمنع الذئب من الاندفاع إلى الأمام وقتل (الترولوكيين)، لا تبالي الذئب إلا بقتل (المشوهين)، بالنسبة لهم لا يختلف أصدقاء الظلام عن أي شخص آخر ذي ساقين. كاد (بيرين) أن يرى أصدقاء الظلام متفرقين في عشرات الاتجاهات - بينما الذئب يقتلون (الترولوكيين) - هارين (بوق فالير)، وهارين بالخنجر. وما إن يموت (الترولوكيون) لا يعتقد أنه سيكون قادرًا على إثارة اهتمام الذئب بتعقب البشر، حتى لو كان لديه أدنى فكرة أيهم يجب أن يتعقبه. كان يتجادل معهم وقد غطى العرق جبهته قبل وقت طويل من حصوله على أول وميض من الصور التي جعلت معدته تنقلب.

جذب اللجام ليوقف حصانه في موضعه. فعل الباقون مثله وهم ينظرون إليه ويتنظرون. حذق إلى الأمام مباشرة وهو يسب بصوت خافت وبمرارة.

الذئب قد يقتلون البشر، ولكن البشر ليسوا فريستهم المفضلة. الذئب يتذكرون أيام الصيد القديم معًا، كما أن مذاق ذوي الساقين سيئ. إن الذئب يولون اهتمامًا لطعامهم أكثر مما كان يعتقد. فلن يأكلوا الجيفة إلا إذا كانوا يتضورون جوعًا، وقلة منهم من يقتلون أكثر مما يمكنهم أكله. إن أفضل وصف لما شعر به (بيرين) من الذئب هو الاشمئزاز. وكان هناك صور يمكنه رؤيتها بوضوح أكثر مما يتمنى. جث رجال ونساء وأطفال مكدسة ومتكومة. الأرض المبللة بالدماء عليها آثار حوافر ومحاولات مسعورة للهرب. لحم ممزق، رؤوس مقطوعة، نسور تحفق بأجنحتها البيضاء المملخة بالدماء. رؤوسها الصلعاء الدامية تمزق وتلتهم. تحلى عن الاتصال قبل أن يفرغ ما في معدته.

من فوق بعض الأشجار وعلى مسافة بعيدة كان قادرًا على تمييز نقاط بيضاء تحوم على ارتفاع منخفض، فتنبض قبل أن ترتفع مرة أخرى. النسور تتصارع على وجبتها.

«هناك شيء سيئ أمامنا». ازدرد لعابه وهو يبادل (إنجتار) التحديق، كيف يمكن أن يتناسب هذا مع إخبارهم بقصة كونه متششمًا؟ لا أريد أن أقرب بما يكفي لرؤية هذا، ولكنهم سيرغبون في التحقق من الأمر بمجرد رؤية النسور. يجب أن أخبرهم بما يكفي لإقناعهم بالالتفاف من حول هذا المشهد. «الأناس من القرية... أعتقد أن (الترولوكيين) قد قتلوهم».

بدأ (أونو) يسب بصوت خافت، وبعض الشايناريين الآخرين راحوا يغمغمون لأنفسهم. ومع ذلك لا يبدو أن أيًا منهم قد اعتبر هذا الإعلان غريبًا. لقد قال اللورد (إنجتار) إنه متششم، والمتششمون يمكنهم شم

رائحة القتل.

قال (إنجتار): «وهناك شخص ما يتبعنا».

أدار (مات) حصانه في لهفة وقال: «ربما هو (راند). كنت أعرف أنه لن يهرب متخليًا عني».

تصاعدت سحب رقيقة ومتناثرة من الغبار ناحية الشمال، هناك حصان يركض عبر البقعة التي لا يوجد بها الكثير من الحشائش. تفرق الشايناريون ورماحهم جاهزة يراقبون في كل الاتجاهات. لم يكن هذا مكانًا يمكن التصرف فيه بشكل متساهل مع الغرباء.

ظهرت نقطة؛ حصان وراكب. رأى (بيرين) أنها امرأة قبل وقت طويل من قدرة أي شخص على تمييز الراكب، وكانت تقترب بسرعة. أبطأت عندما اقتربت منهم وهي تستخدم يدها كمروحة أمام وجهها. امرأة ممتلئة الجسد ذات شعر أشيب تعقد عباؤها وراء سرجها وتنظر إليهم جميعًا بشكل مبهم.

قال (مات) في خيبة أمل: «إنها واحدة من (الآيز سيدي)، أنا أعرفها، (فيرين)».

قال (إنجتار) بحدة: «(فيرين سيدي)».

ثم انحنى لها من على سرجه.

قالت (فيرين) بابتسامة راضية: «(مويرين سيدي) قد أرسلتني يا لورد (إنجتار)، تعتقد أنكم قد تحتاجون إليّ. كنت مضطرة للإسراع بحصاني لمسافة طويلة، اعتدت أنني قد لا أتمكن من اللحاق بكم إلا قبل (كايرين) بقليل. لقد رأيتم تلك القرية بالطبع؟ أوه، كان ذلك شيئًا مقززًا للغاية، أليس كذلك؟ وذلك (الميردرال)، كان هناك غربان على كل الأسطح، ولكن لم يقترب أحدها منه رغم كونه ميتًا. كان عليّ أن أتخلص من ذباب بقل (سيد الظلام) قبل أن أتمكن من تمييز ما يكون. من المؤسف أنني لم يكن لدي وقت لإنزاله، لم تتح لي الفرصة قط لدراسة...». فجأة ضيقت عينيها وتلاشى شرودها كالدخان. «أين (راند) ألشور؟».

تجهم (إنجتار) وقال: «اختفى يا (فيرين سيدي)، اختفى الليلة الماضية دون أثر. هو و(الأوجير)، و(هورين)؛ أحد رجالي».

«(الأوجير) يا لورد (إنجتار)؟ والمتشمم ذهب معه؟ ما الشيء المشترك بين هذين الاثنين...». نظر إليها (إنجتار) فاغترًا فاه، فزفرت وقالت ساخرة: «هل كنت تعتقد أن بإمكانك أن تبقي شيئًا كهذا سرًا؟». فزفرت مرة أخرى وقالت: «تقول إنهم قد اختفوا؟».

«أجل يا (فيرين سيدي)». بدا (إنجتار) متوترًا، لم يكن من السهل اكتشاف أن (الآيز سيدي) يعرفن الأسرار التي تحاول إخفاءها عنهن. تمنى (بيرين) أن (مويرين) لم تخبر أحدها عنه. «ولكن لدي... لدي متشممًا جديدًا». أشار اللورد الشايناري ناحية (بيرين). «يبدو أن هذا الرجل يتمتع بهذه القدرة أيضًا. لا تقلقي، سأجد (بوق فالير) كما أقسمت. سنرحب بصحبتك أيتها (الآيز سيدي) إن كنتِ ترغبين في المضي قدمًا معنا». لدهشة (بيرين) لم يبدو أنه يقصد هذا تمامًا.

نظرت (فيرين) إلى (بيرين) فتململ في توتر. «متشمم جديد، وبمجرد أن فقدت المتشمم القديم؟ يا له من... حظ سعيد. ألم تجد آثارًا؟ لا، بالطبع لا. قلت بلا أثر، غريب. الليلة الماضية». استدارت في سرجها لتنظر إلى الوراء ناحية الشمال، وخُيِّلَ لبيرين للحظة أنها ستعود أدراجها عبر الطريق الذي جاءت منه. نظر إليها (إنجتار) عاقدًا حاجبيه وقال: «هل تعتقدين أن اختفاءهم له علاقة (بالبوق) أيتها (الآيز سيداي)؟».

استقرت (فيرين) في سرجها مرة أخرى وقالت: «(البوق)؟ لا، لا، أنا... لا أعتقد هذا، ولكن هذا غريب، غريب للغاية، لا أحب الأشياء الغريبة حتى أفهمها». «يمكنني أن أمر رجلين باصطحابك إلى موضع اختفائهم يا (فيرين سيداي)، لن يجدا صعوبة في اصطحابك إلى هناك مباشرة».

«لا، إن كنت تقول إنهم اختفوا من دون أثر...». تفحصت (إنجتار) لوقت طويل بوجه مبهم ثم قالت: «سأذهب معكم، ربما سنعثر عليهم مرة أخرى، أو هم سيعثرون علينا. فلتتحدث معي بينما نتحرك يا لورد (إنجتار)، أخبرني بكل شيء تعرفه عن الشاب، كل ما فعله وكل ما قاله».

بدأوا في الحركة مع رنين الأجمة والدروع، و(فيرين) إلى جانب (إنجتار) تسأله بصوت خفيض لا يسمعه أحد. نظرت إلى (بيرين) عندما حاول أن يبقى في موضعه إلى جانب (إنجتار) فتراجع إلى الوراء. تتمم (مات): «إنها تسعى وراء (راند) لا (البوق)».

أوماً (بيرين) برأسه. حيثما ذهبت يا (راند) فلتبقَ في هذا المكان، إنه أكثر أمانًا من هنا.

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الخامس عشر

قاتل أهله

كان (راند) يشعر بالدوار من الطريقة التي بدت بها التلال البعيدة الباهتة بشكل غريب كأنها تنزلق ناحيته عندما ينظر إليها مباشرة ما لم يغلف نفسه بالخواء. أحياناً ما يتسلل إليه الفراغ دون أن يشعر به، ولكنه يتفاداه كالموت. من الأفضل أن يشعر بالدوار بدلاً من أن يتشارك الخواء مع ذلك الضوء المثير للغثيان. من الأفضل أن يحدق إلى الأرض الباهتة، ومع ذلك حاول ألا ينظر إلى أي شيء بعيد إلا إن كان أمامه مباشرة.

ظل (هورين) يحدق بشكل ثابت بينما يركز على تشمم الأثر، كأنها يحاول تجاهل الأرض التي يقطعها الأثر. وعندما يلاحظ التشمم ما يكمن من حولهم يحفل ويمسح يديه على معطفه، ثم يدفع أنفه للأمام ككلب صيد، وعينه متوهجتان وتستبعدان كل شيء آخر. كان (لويال) يجلس في سرجه متهدل الكتفين وعاقداً حاجبيه بينما يتلفت حوله وأذناه ترتعشان في توتر وهو يتمتم لنفسه.

مرة أخرى قطعوا أرضاً سوداء محترقة، حتى إن التربة كانت تنسحق تحت حوافر الأحصنة، كما لو أنها قد صارت رماًداً. كانت المساحات المحترقة أحياناً بعرض ميل، وأحياناً بضع مئات من الخطوات فحسب، تمتد جميعها شرقاً وغرباً بشكل مباشر كما لو أنه مسار سهم. رأى (راند) مرتين نهاية أرض محترقة، مرة وهم يمرون من فوقها، ومرة أثناء مرورهم بالقرب منها. تكون آثار الاحتراق مدبية في أطرافها، على الأقل النهايات التي رآها كانت هكذا، ولكنه خمن أنها جميعاً متشابهة.

ذات يوم شاهد (واتلي إلدين) يزين عربة من أجل يوم الشمس في (إيموندز فيلد). لقد رسم (وات) المشاهد بألوان زاهية، تحيط بها خطوط متداخلة، بينما (وات) يرسم حدود الرسومات كان يجعل طرف فرشته يلمس العربة، فيرسم خطاً رفيعاً يزداد سمكاً كلما ضغط بقوة أكبر، ويصبح أقل سمكاً من جديد عندما يخفف من ضغطه. هكذا بدت الأرض كما لو أن أحداً قد خط عليها بفرشاة نارية وحشية.

لم يكن هناك شيء ينمو في موضع الحروق، رغم أن بعض الحروق كانت تبدو وكأنها قد حدثت قبل وقت طويل. لم يتبق حتى لمحة من الاحتراق في الهواء، ولا نفحة حتى عندما انحنى ليقطع غصناً أسود ليشمه. لقد حدث هذا قبل وقت طويل، ومع ذلك لم يأت أحد للمطالبة بالأرض. الأسود يفسح مجاًلاً للأخضر والأخضر يفسح مجاًلاً للأسود على طول خطوط حادة كالسكين.

بطريقة ما كانت بقية الأرض ميتة مثل المناطق المحترقة، رغم أن العشب يغطي الأرض والأوراق تغطي الأشجار. كل شيء كان له هذا المظهر الباهت، كالملابس التي غُسلت مرات عديدة وتُركت لوقت طويل في الشمس. لم يكن هناك طيور أو حيوانات، لا شيء يمكن (لراند) أن يراه أو يسمعه، لا صقر يحلق في السماء ولا نباح ثعلب صيد ولا تغريد طائر. لا شيء يصدر حفيفاً في العشب، ولا شيء يحط على غصن شجرة، لا نحل ولا فراشات. عبروا جداول عدة مرات، كانت المياه ضحلة رغم أنها في كثير من الأحيان تشق لنفسها

أخذودًا عميقًا بضفاف شديدة الانحدار، حتى إن الخيول كانت تهرول في نزولها، وتصعد بمشقة على الجانب الآخر. كانت المياه تجري صافية باستثناء الطين الذي تثيره حوافر الخيول، ولم يكن هناك سمكة صغيرة أو شرغوف يتلوى مع تعكير صفو الماء، ولا حتى عنكبوت مائي يرقص على السطح، أو حتى حشرات صغيرة تحوم من فوقه.

كانت المياه صالحة للشرب، وهو أمر جيد لأن زجاجات المياه التي معهم لن تدوم إلى الأبد. تذوقها (راند) أولاً، ثم جعل (لويال) و(هورين) ينتظران ليريا إن كان هناك شيء سيحدث له قبل أن يسمح لهما بالشرب. لقد ورطهما في هذا الأمر، وهذه مسؤوليته. كانت المياه فاترة، وهذا أفضل ما يمكن أن يقال عنها. كانت عديمة المذاق، كما لو أنها قد غُليت من قبل. ظهر الامتعاض على وجه (لويال)، ولم تُعجب الخيول بها أيضًا، فهزت رؤوسها وشربت على مضض.

على الأقل كان هناك علامة واحدة على الحياة، فكر (راند) أنه يجب أن تكون كذلك، فمرتين قد رأى خطأً هشًا يزحف عبر السماء، كخط مرسوم بالسحب. كان الخطان مستقيمين للغاية على أن يكونا بفعل الطبيعة، ولكنه لم يستطع أن يتخيل ما الذي قد يصنعهما. لم يذكر الخطين للآخرين، ربما لم يرياهما. كان تركيز (هورين) منصبًا على الأثر، و(لويال) غارق في أفكاره الخاصة. لم يقولا شيئًا عن الخطين على أي حال. عندما انقضى الصباح قفز (لويال) فجأة من على حصانه الضخم دون أن ينطق بكلمة وخطا إلى مجموعة من أشجار المقشة العملاقة، حيث تنقسم جذوعها إلى عديد من الأغصان السمكية المنتصبة والمستقيمة على ارتفاع أقل من خطوة فوق الأرض. في الأعلى تنقسم جميعها مرة أخرى إلى الفرشاة المورقة التي تمنح الشجرة اسمها.

جذب (راند) لجام (ريد) وكان على وشك أن يسأله عما يفعله، ولكن شيئًا ما حيال سلوك (الأوجير) - كأنه نفسه غير متيقن - أبقى (راند) صامتًا. بعد أن حذق (لويال) إلى الشجرة وضع يديه على الجذع، وبدأ يغني في دمدمة عميقة هادئة.

لقد سمع (راند) (أغنية الأشجار) (للأوجير) من قبل، عندما غنى (لويال) إلى شجرة محتضرة وأعادها إلى الحياة، كما قد سمع عن الخشب المغني؛ أشياء قد نُحتت من الأشجار، باستخدام (أغنية الأشجار). قال (لويال) إن هذه الموهبة تتلاشى، وإنه واحد من القلائل الذين ما زالوا يمتلكون هذه القدرة، وهذا يجعل الخشب المغني له قيمة كبيرة، وعليه طلب كبير. عندما سمع (لويال) يغني من قبل بدا الأمر كما لو أن الأرض نفسها تغني، ولكن (الأوجير) في هذه اللحظة كان يتمتم بأغنيته بخجل تقريبًا، والأرض تردد صداها في همس.

لقد بدت أغنية نقية، موسيقى دون كلمات، أو على الأقل لم يكن هناك كلمات يمكن (لراند) تمييزها. إن كان هناك كلمات فقد امتزجت مع الموسيقى كماء قد صُب في نهر. فغر (هورين) فاه محققًا.

لم يكن (راند) متيقناً مما يفعله (لويال) أو كيف، فعلى الرغم من خفوت الأغنية فإنها قد استحوذت عليه بشكل منوم مغناطيسيًا، وملأت عقله تقريبًا كما يملأه الخواء. مرر (لويال) يديه الكبيرتين على طول الجذع وهو يغني، فبدأ يداعبه بصوته كما يداعبه بأصابعه. بدأ الجذع أكثر نعومة بطريقة ما، كما لو أن لمساته تعيد تشكيله. رمش (راند) بعينه. كان متيقناً من أن الجذع الذي عمل عليه (لويال) كان به أغصان في قمته مثل البقية، ولكنه الآن ينتهي بشكل مستدير فوق رأس (الأوجير) مباشرة. فتح (راند) فمه ليتحدث، ولكن الأغنية أسكتته. لقد بدت مألوفة للغاية كما لو أنه يجب أن يعرفها.

فجأة تصاعد صوت (لويال) إلى الذروة، لقد بدت كترنيمه شكر، ثم انتهت لتتلاشى كما يتلاشى النسيم. شهق (هورين) وقال: «بحق (النور)، لم أسمع شيئاً كهذا من قبل... بحق (النور)». كان (لويال) يمسك في يديه عصا بطوله، وبسبك ساعد (راند)، ناعمة ومصقولة. وفي المكان الذي كان يوجد به جذع شجرة المقشة العملاقة صار هناك برعم ينمو من جديد.

أخذ (راند) نفساً عميقاً. دوماً هناك شيء جديد، دوماً هناك شيء لا أتوقعه، وأحياناً لا يكون شيئاً فظيلاً. راقب (لويال) يمتطي حصانه ويضع العصا على سرجه أمامه. وتساءل لم قد يحتاج (الأوجير) إلى عصا ما دام أن ثلاثتهم يمتطون أحصنة. ثم رأى العصا السمكية، ليس بحجمها الحقيقي، ولكن بالمقارنة مع (الأوجير)، ولاحظ الطريقة التي يتعامل بها (لويال) مع العصا، فقال في دهشة: «عصا قتالية؟ لم أكن أعرف أن (الأوجير) يحملون أسلحة يا (لويال)».

أجابه (الأوجير) باقتضاب: «عادة لا نفعل ذلك، فلطالما كان الثمن باهظاً». ثم رفع العصا القتالية الضخمة وزر أنفه العريض في استياء. «لا شك أن الكبير (هامان) سيقول إنني أضع مقبضاً طويلاً في فأسي، ولكنني لست متسرّعاً أو متهوراً يا (راند)، هذا المكان...». ارتجف وارتعشت أذناه. قال (راند) محاولاً أن يبدو واثقاً: «سنجد طريق العودة قريباً».

تحدث (لويال) كما لو أنه لم يسمع (راند): «كل شيء... متصل يا (راند)، سواء كان حياً أم لا، سواء كان يفكر أم لا. كل الأشياء تتسق معاً. الشجرة لا تفكر ولكنها جزء من الكل، والكل له... له شعور. لا يمكنني تفسير الأمر أكثر من تفسير ماهية السعادة، ولكن... الأرض مسرورة لأن هذا السلاح قد صُنع يا (راند). مسرورة!».

تمتم (هورين) في توتر: «(النور) يشرق علينا، ويد (الخالق) تحميننا. على الرغم من أننا نذهب إلى الاحتضان الأخير للأمم فإن (النور) يضيء طريقنا». ظل يكرر الابتهاال كما لو أنه تيممة تحميه. قاوم (راند) الرغبة في التلفت حوله، وبالتأكيد لم ينظر إلى الأعلى. كل ما يتطلبه الأمر لتحطيمهم جميعاً هو خط آخر من تلك الخطوط الدخانية ليقطع السماء في هذه اللحظة. قال في حزم: «لا يوجد شيء هنا ليؤذينا، وسنبقى متيقظين ونتيقن من عدم حدوث أي شيء».

أراد أن يسخر من نفسه لأنه بدا واثقًا للغاية. لم يكن متيقنًا من أي شيء. ولكنه عندما راقب الآخرين - (لويال) بأذنيه المتهللتين و(هورين) وهو يحاول ألا ينظر إلى أي شيء - عرف أن واحدًا منهم على الأقل يجب أن يبدو واثقًا، وإلا فسيحطمهم جميعًا الخوف وعدم اليقين. (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها. نحى هذه الفكرة جانبًا. هذا شيء ليس له علاقة (بعجلة الزمن)، ولا علاقة له (بالتأثيرين)، أو (الآيز سيداي)، أو (التنين). هذا فقط ما عليه الأمر، هذا كل شيء.

«هل انتهيت مما تفعله هنا يا (لويال)؟». أو ما (الأوجير) برأسه وهو يمسح على العصا القتالية في أسف. التفت (راند) إلى (هورين) وقال: «هل ما زلت تشعر بالأثر؟». «أجل يا لورد (راند)».

«إذن فلتتعبه، بمجرد أن نعثر على (فاين) وأصدقاء الظلام سنعود إلى الديار أبطالًا، بصحبة خنجر (مات) و(بوق فالير). تقدمنا يا (هورين)». أبطالًا؟ سيكفيني أن نخرج من هنا جميعًا على قيد الحياة. قال (الأوجير) بفتور: «لا يعجبني هذا المكان». كان يمسك العصا القتالية كما لو أنه يتوقع استخدامها قريبًا.

قال (راند): «إذن فمن الجيد أننا لا ننوي البقاء هنا، أليس كذلك؟». ضحك (هورين) كما لو أنه قد قال مزحة، ولكن (لويال) منحه نظرة ثابتة. «نحن لا ننوي هذا يا (راند)».

ومع ذلك بينما يتحركون جنوبًا رأى أن افتراضه العابر بأنهم سيعودون إلى الديار قد رفع من روحهم المعنوية قليلًا. كان (هورين) يجلس أكثر استقامة في سرجه، ولم تبدُ أذنا (لويال) ذابلتين تمامًا. لم يكن هذا هو الوقت المناسب أو المكان المناسب لإخبارهما بأنه يشاركهما خوفهما، لذا احتفظ به لنفسه، وقاومه بنفسه. حافظ (هورين) على روح الدعابة طيلة الصباح وهو يتمتم: «من الجيد أننا لا ننوي البقاء هنا.» ثم يضحك، حتى شعر (راند) برغبة في إخباره بأن يصمت. قرب منتصف النهار لاذ المتشمم بالصمت وهز رأسه عابسًا فوجد (راند) نفسه يتمنى لو أن الرجل لا يزال يكرر كلماته ويضحك. سأله: «هل هناك شيء خاطئ حيال الأثر يا (هورين)؟».

هز المتشمم كتفيه وقد بدا منزعجًا ثم قال: «أجل يا لورد (راند)، ويمكنك أيضًا أن تقول لا». «إما هذا أو ذاك. هل فقدت الأثر؟ لا تحجل إن كنت قد فقدته، لقد قلت إنه كان ضعيفًا منذ البداية. إن لم نجد أصدقاء الظلام فسنجد (حجرًا) آخر ونعود بهذه الطريقة». بحق (النور)، أي شيء عدا هذا. أبقى (راند) وجهه خاليًا من المشاعر. «إن كان أصدقاء الظلام قادرين على المجيء إلى هنا والرحيل فيمكننا هذا أيضًا». «أوه، لا، لم أفقد الأثر يا لورد (راند)، ما زلت قادرًا على اشتام رائحتهم الكريهة. الأمر ليس هكذا، إنه فقط... إنه...». ثم تجهم (هورين) قبل أن ينفجر قائلًا: «الأمر وكأنني أتذكره يا لورد (راند) بدلًا من اشتامه، ولكنني لا أفعل هذا. هناك عشرات المسارات المتقاطعة طيلة الوقت، العشرات والعشرات، وجميع

أنواع العنف، بعضها يكاد أن يكون طازجاً، ولكنه باهت ككل شيء آخر. هذا الصباح بعد أن غادرنا الغور مباشرة كان بمقدوري أن أقسم أن هناك مئات القتلى تحت قدمي، قبل دقائق قليلة فحسب، ولكن لم يكن هناك أي جثث، ولا علامة على العشب سوى حوافر خيولنا. شيء كهذا لا يمكن أن يحدث دون أن تكون الأرض مبعثرة وغارقة بالدماء، ولكن لم يكن هناك علامة واحدة، كل شيء هكذا يا سيدي، ولكنني أتبع الأثر، أتبعه حقاً. هذا المكان فقط يجعلني متوتراً تماماً. هذا كل شيء، لا شك في هذا».

نظر (راند) إلى (لويال)، إن (الأوجير) يعرف أغرب الأشياء في بعض الأحيان، ولكنه بدا متحيراً مثل (هورين). أضفى (راند) على صوته ثقة أكثر مما يشعر بها وهو يقول: «أعرف أنك تبذل قصارى جهدك يا (هورين)، نحن جميعاً متوترون، فقط تعقبهم قدر استطاعتك وسنعر عليهم».

وكز (هورين) حصانه بكاحليه ليدفعه إلى الأمام وهو يقول: «كما تأمر يا لورد (راند)».

مع حلول الليل لم يكن هناك أدنى أثر لأصدقاء الظلام، وقال (هورين) إن الأثر لا يزال خافتاً، وظل المتشمم يتمتم لنفسه شيئاً عن «التذكر».

لم يكن هناك أدنى أثر حقاً. لم يكن (راند) متعباً جيداً مثل (أونو)، ولكن أي صبي في (النهرين) يكون متوقفاً منه أن يتعقب جيداً بما يكفي للعثور على خروف ضائع أو أرنب من أجل العشاء. لم ير شيئاً. بدا الأمر وكأنه لم يأت أي شيء حي إلى هذه الأرض قبل مجيئهم. كان من المفترض أن يكون هناك شيء ما إن كان أصدقاء الظلام يسبقونهم. ولكن (هورين) واصل تتبع الأثر الذي يقول إنه يشم رائحته.

بينما الشمس تلمس الأفق أقاموا مخيماً بين مجموعة من الأشجار التي لم يطلها الاحتراق، وأكلوا من الطعام الموجود في أكياس سروجهم؛ خبز ولحم مجفف ابتلعوهما بالماء الفاتر. كانت بالكاد وجبة مشبعة، قاسية وعديمة المذاق. فكر (راند) أن ما معهم قد يكفيهم لأسبوع، وبعدها... كان (هورين) يأكل ببطء وبإصرار، ولكن (لويال) كان يتلع طعامه متجهماً، ثم اضجع للوراء بصحبة غليونه والعصا القتالية في متناول يده. أشعل (راند) ناراً صغيرة أبقاها مخفية جيداً بين الأشجار. قد يكون (فاين) ومن يتبعه من أصدقاء الظلام و(الترولوكيين) قريبين بما يكفي لرؤية النار، رغم كل تخوفات (هورين) بشأن غرابة مسارهم.

بدا غريباً بالنسبة له أنه بدأ يفكر فيهم باعتبارهم أصدقاء الظلام و(الترولوكيين) التابعين (لفاين). كان (فاين) مجرد رجل مجنون. لماذا ينقدونه إذن؟ كان (فاين) جزءاً من خطة (سيد الظلام) للعثور عليه. ربما هذا له علاقة بالأمر. إذن لماذا يهرب بدلاً من ملاحقتي؟ وما الذي قتل ذلك (العاتم)؟ وما الذي حدث في تلك الحجرة المليئة بالذباب؟ وهاتان العينان اللتان كانتا تراقبانني في (فال دارا)، وتلك الرياح التي حاصرني كخنفساء في عصابة شجرة صنوبر. لا، لا، لا شك أن (بعلزمون) قد مات. لم تصدق (الآيز سيدي) هذا، لم تصدقه (مويرين) أو حتى (الأميرلين). رفض في عناد أن يفكر في الأمر أكثر من هذا، كل ما عليه أن يفكر فيه الآن هو العثور على ذلك الخنجر من أجل (مات)، أن يعثر على (فاين)، و(البوق).

لا ينتهي الأمر أبداً يا (الثور).

كان الصوت كنسيم رقيق يهمس في أعماق عقله، غمغمة خافتة ثلجية تشق طريقها إلى تجاويف عقله. كاد أن يبحث عن الخواء ليهرب منه، ولكنه تذكر ما ينتظره هناك، فنحى هذه الرغبة جانباً. في عتمة الشفق راح يتدرب على التشكيلات بسيفه كما علمه (لان)، ولكن من دون الخواء. (شق الحرير) و(طائر الطنان يقبل وردة العسل) و(خوض البلشون في القصب) من أجل التوازن. استغرق في حركاته السريعة الواثقة، متناسياً لبعض الوقت أين يكون، وراح يتدرب حتى غطاه العرق. ومع ذلك عندما انتهى عادت له كل الأفكار، لم يتغير شيء. لم يكن الطقس بارداً، ولكنه ارتجف وهو يجذب عباءته حول جسده ويجلس أمام النار. انتقلت عدوى حالته المزاجية إلى الآخرين فأنهيا طعامهما في سرعة وصمت. لم يشترك أحد عندما ركل الغبار فوق آخر ما تبقى من النار.

أخذ (راند) نوبة المراقبة الأولى، راح يمشي على حواف أجمة الأشجار، بقوسه وأحياناً ما يُرخي سيفه في غمده. كان القمر البارد مكتملاً تقريباً، عاليًا في ظلمة السماء، والليل صامتًا كالنهار وخاوياً مثله. خاوياً هي الكلمة الصحيحة، الأرض خاوية كوعاء حليب مغبر. كان من الصعب تصديق وجود أي شخص في العالم - في هذا العالم - باستثناء ثلاثتهم. من الصعب حتى تصديق أن أصدقاء الظلام في مكان ما أمامهم.

لكي يبقى نفسه منشغلاً فك عباءة (توم ميريلين) ليكشف عن القيثارة والمزمار في حقيبتيهما الجلديتين، فوق الرقع عديدة الألوان. أخرج المزمار المصنوع من الذهب والفضة من حقيبته، وهو يتذكر تعليم صانع البهجة له بينما يحرك عليه أصابعه ويعزف بعض النغمات من أغنية (الرياح التي تهز الصفصاف) بصوت خافت حتى لا يوقظ الآخرين. ورغم أن الصوت خافت فإن النغمات الحزينة بدت عالية للغاية في هذا المكان، وحقيقية للغاية. تنهد وهو يعيد المزمار إلى حقيبته ويحزم العباءة مرة أخرى.

ظل يراقب لوقت طويل في الليل تاركاً الآخرين ينامان، لم يدرك كم تأخر الوقت عندما لاحظ فجأة أن الضباب يتعالى. كان قريباً من الأرضية وكثيفاً مما يجعل هيئتي (هورين) و(لويال) غير الواضحتين تبدوان وكأنهما تبرزان من السحب. كلما ارتفع صار أقل كثافة، ولا يزال يغطي الأرض من حولهم ليخفي كل شيء باستثناء أقرب الأشجار. أحس وكأنها يرى القمر من خلال حرير مبتل. أي شيء يمكن أن يقترب منهم دون أن يراه أحد. تحسس سيفه.

«السيف لا تجدي نفعاً ضدي يا (ليوز ثيرين)، لا شك أنك تعرف هذا».

التف الضباب حول قدمي (راند) عندما دار حول نفسه وقد أشهر سيفه بين يديه ليتتصب النصل ذو علامة البلشون أمامه. قفز الخواء لأعلى بداخله، ولأول مرة لا يكاد يلاحظ ضوء (السايدين) المندس.

كانت هناك هيئة تكتنفها الظلال تقترب عبر الضباب، تمشي بعصا طويلة، ومن ورائها - كما لو أن هناك ظلاً شاسع للظل - أظلم الضباب حتى صار أكثر سواداً من الليل. اقشعر بدن (راند). اقتربت الهيئة حتى تحولت إلى شكل رجل يرتدي ملابس سوداء وقفازاً أسود ويغطي وجهه قناع حريري أسود، وجاء معه

الظل. كانت عصاه سوداء أيضًا، كما لو أن الخشب قد تفحم، ولكنها ملساء ولامعة كالماء في ضوء القمر. للحظة توهجت فتحتا العينين في القناع، كما لو أن هناك نيرانًا وراءهما لا عينين. ولكن (راند) لم يكن بحاجة إلى هذا ليعرف من يكون.

قال بأنفاس لاهثة: «(بعلمون). هذا حلم، لا شك أنه كذلك، لقد غرقت في النوم و...». ضحك (بعلمون) كتأجج تنور مفتوح وقال: «لطالما حاولت إنكار الحقيقة يا (ليوز ثيرين)، إن مددت يدي فيمكنني أن ألمسك يا (قاتل أهله). يمكنني دومًا أن ألمسك. دومًا وفي كل مكان». «أنا لست (التنين)! اسمي (راند ألد...)!». أطبق (راند) على أسنانه ليسكت نفسه. «أوه، أنا أعرف الاسم الذي تستخدمه الآن يا (ليوز ثيرين)، أعرف كل اسم قد استخدمته عصرًا بعد عصر، قبل حتى أن تُعرف باسم (قاتل أهله) لوقت طويل». بدأ صوت (بعلمون) يرتفع بحدة. في بعض الأحيان تنوهج نيران عينيه كثيرًا حتى تمكن (راند) من رؤيتها عبر الفتحتين في القناع الحريري، يراها كبحار لا نهائية من اللهب.

«أنا أعرفك وأعرف دماءك ونسلك الذي يعود إلى أول شرارة للحياة، يعود إلى (اللحظة الأولى)، لا يمكنك أبدًا أن تختبئ مني. أبدًا! نحن مرتبطان أحدهما بالآخر بشكل وثيق كوجهين للعملة ذاتها. قد يختبئ الرجال العاديون في اجتياح (النمط)، ولكن (التافيرين) يبرز كنيران منارة على تل، وأنت تبرز كأن هناك عشرة آلاف سهم لامع في السماء يشير إليك! أنت ملكي، وفي متناول يدي دومًا!».

«(أبو الأكاذيب)!». استطاع (راند) أن يقول هذا، فرغم الخواء أراد لسانه أن يلتصق بسقف حلقه. بحق (النور)، فليكن هذا حلمًا. انزلت الفكرة خارج الفراغ. حتى لو كان واحدًا من تلك الأحلام التي لا تكون أحلامًا. من المستحيل أنه يقف هناك أمامي. (سيد الظلام) مسجون في (شايول غول)، سجنه (الخالق) في لحظة الخلق... لم يساعده أنه يعرف الكثير من الحقيقة. «إن اسمك يليق بك! إن كان بمقدورك أن تأخذني فلم لم تفعل هذا؟ لأنك لا تستطيع، أنا أمشي في (النور) ولا يمكنك أن تلمسني!».

اتكأ (بعلمون) على عصاه ونظر إلى (راند) للحظة ثم تحرك ليقف إلى جانب (لويال) و(هورين) وينظر إليهما. تحرك الظل الشاسع معه، رأى (راند) أنه لم يحرك الضباب. إنه يتحرك وتتأرجح العصا مع خطواته، ولكن الضباب الرمادي لا يلتف حول قدميه مثلما يلتف حول قدمي (راند). هذا طمأنه قليلًا. ربما (بعلمون) ليس موجودًا هنا حقًا، ربما هذا بالفعل مجرد حلم.

قال (بعلمون) متعجبًا: «أنت تجد أتباعًا غرباء، لطالما فعلت هذا، هذان الاثنان، والفتاة التي تحاول أن تحرسك، إنها حارسة مسكينة وضعيفة يا (قاتل أهله). إن عاشت حياة كاملة لتكبر فلن تصير بقوة كافية لإخفائك وراءها».

فتاة؟ من؟ (مويرين) ليست فتاة بالتأكيد. «لا أعرف ما الذي تتحدث عنه يا (أبا الأكاذيب)، أنت تكذب وتكذب، وحتى عندما تقول الحقيقة فإنك تلويها لتحولها إلى كذبة».

«هل أفعل هذا يا (ليوز ثيرين)؟ أنت تعرف ما أنت، من أنت. لقد أخبرتك، وكذلك فعلت تلك النسوة من (تار فالون)». تملل (راند) فضحك (بعلمون) كصوت رعد بعيد. «إنهن يعتقدن أنهن آمانات في (برجهن الأبيض)، ولكن بعضهن من بين أتباعي. (الآيز سيدي) التي تُدعى (مويرين) قد أخبرتك من تكون، أليس كذلك؟ هل كانت تكذب؟ أم هل هي واحدة من أتباعي؟ (البرج الأبيض) ينوي استغلالك ككلب صيد في طوق، هل أكذب؟ هل أكذب عندما أقول إنك تسعى وراء (بوق فالير)؟». ضحك مرة أخرى، ورغم هدوء الخواء بذل (راند) مجهودًا لكيلا يغطي أذنيه. «في بعض الأحيان يتقاتل الأعداء القدماى لوقت طويل، حتى يصيروا حلفاء دون أن يشعروا بهذا، يظنون أنهم يضربونك ولكنهم قد صاروا مرتبطين بشكل وثيق وكأنك أنت من توجه الضربة بنفسك».

قال (راند): «أنت لا توجهني، أنا أجحد بك».

«لدي ألف خيط مربوط بك يا (قاتل أهله)، كل واحد أكثر نعومة من الحرير وأقوى من الفولاذ. لقد ربط الزمن ألف حبل بيننا. المعركة التي خضناها معًا، هل تذكر أي شيء منها؟ هل لديك أدنى لمحة أننا قد تقاتلنا من قبل، في معارك لا تحصى تعود إلى بداية (الزمان)؟ أنا أعرف الكثير الذي لا تعرفه! المعركة ستنتهي قريبًا. (المعركة الأخيرة) آتية، الأخيرة يا (ليوز ثيرين). هل تعتقد حقًا أن بإمكانك تجنبها؟ أيها الدودة المسكينة المرتجفة. ستخدمني أو ستموت! وهذه المرة لن تبدأ الدورة من جديد مع موتك، القبر ينتمي (لسيد الظلام العظيم). هذه المرة إن متَّ فستدمر تمامًا، هذه المرة ستتكسر (عجلة الزمن) مهما فعلت، وسيعاد تشكيل العالم في قالب جديد. اخدمني! اخدم (الشيطان) أو اهلك للأبد!».

مع نطق هذا الاسم بدا أن الهواء يزداد كثافة، وتعاضمت الظلمة من وراء (بعلمون) مهددة بابتلاع كل شيء. أحس (راند) بها تغمره، أبرد من الجليد وأشد سخونة من الجمر في الوقت ذاته، أكثر سوادًا من الموت. تجذبه إلى أعماقها، وتغمر العالم.

تشبث بمقبض سيفه حتى آلمته مفاصله. «أنا أجحد بك وأجحد بقوتك. أنا أمشي في (النور). (النور) يحفظنا، ونحن نحتمي في راحة يد (الخالق)». رمش بعينه، لا يزال (بعلمون) واقفًا هناك، والظلمة العميقة لا تزال كامنة وراءه. ولكن بدا الأمر وكأن كل ما تبقى مجرد وهم.

«هل تريد أن ترى وجهي؟». كان همسًا.

ازدرد (راند) لعابه وقال: «لا».

«يجب أن تراه». تحركت اليد المغطاة بالقفاز إلى القناع الأسود.

«لا!».

رُفِع القناع. كان وجه رجل محروق بشكل شنيع، ومع ذلك من بين الشقوق الحمراء ذات الحواف السوداء التي تقطع هذه الملامح بدا الجلد صحيًا وأملس. نظرت عينان مظلمتان إلى (راند)، وكشفت شفتان قاسيتان عن أسنان بيضاء في ابتسامة. «انظر إليَّ يا (قاتل أهله)، وشاهد جزءً من مئة من مصيرك». للحظة

صارت العينان والفم مداخل إلى كهوف نارية لا نهائية. «هذا لا يمكن أن تفعله (القوة) غير المقيدة، حتى لي. ولكنني أتعافى يا (ليوز ثيرين)، أعرف طرقاً لقوة أعظم، ستحرقك كعقدة تخلق إلى داخل آتون».

«لن ألسها!». شعر (راند) بالخواء من حوله، شعر (بالسايدين). «لن أفعلها».

«لا يمكنك إيقاف نفسك».

«اتركني وشأني!».

«القوة». صار صوت (بعلز مون) رقيقاً، ومغويًا. «يمكنك أن تحوز القوة مرة أخرى يا (ليوز ثيرين)، أنت مرتبط بها في هذه اللحظة، أعرف هذا، يمكنني أن أراه، فلتشعر به يا (ليوز ثيرين)، فلتشعر بالوهج بداخلك، فلتشعر بالقوة التي يمكن أن تكون ملكك. كل ما عليك فعله أن تمد يدك لها. ولكن (الظل) هناك بينك وبينها. الجنون والموت. لا يجب أن تموت يا (ليوز ثيرين)، لا يجب أن تموت مرة أخرى أبدًا».

قال (راند): «لا». ولكن الصوت استمر مخترقاً أعماقه.

«يمكنني أن أعلمك كيف تسيطر على هذه القوة لكيلا تدمرك، لا أحد غيري على قيد الحياة يمكنه أن يعلمك هذا. يستطيع (سيد الظلام العظيم) أن يحميك من الجنون، يمكن أن تكون القوة ملكك، ويمكنك أن تعيش إلى الأبد. إلى الأبد! كل ما يجب عليك فعله في المقابل هو أن تخدمني. أن تخدمني فحسب. فلتقل كلمات بسيطة – أنا ملكك أيها (السيد العظيم) – وستصير القوة ملكك، قوة تفوق أي شيء تحلم به نسوة (تار قالون). وحياة أبدية. فقط إن عرضت عليّ نفسك وخدمتني».

لعق (راند) شفثيه. ألا أصاب بالجنون. ألا أموت. قال بصوت أجش: «لن أفعل هذا أبدًا! أنا أمشي في (النور)، ولا يمكنك أن تلمسني أبدًا».

«ألمسك يا (ليوز ثيرين)? ألمسك؟ يمكنني أن ألتهمك! ذقه واعرفه كما أعرفه».

تأججت هاتان العينان المظلمتان بالنيران مرة أخرى، وذلك الفم، لهب توهج وتعاضم حتى بدا أكثر سطوعاً من شمس الصيف. راح يتعاضم وفجأة توهج سيف (راند) كما لو أنه قد أخرج له للتو من المصهر. صاح بينما المقبض يحرق يديه، ثم صرخ وأسقط السيف أرضاً. اشتعل الضباب بالنيران التي راحت تتقافز، نيران تحرق كل شيء.

صرخ (راند) وهو يضرب ثيابه، بينما يتصاعد منها الدخان وتتفحم وتسقط في رماد. يضربها بيدين تفحمتا وذبلتا، بينما اللحم العاري يتشقق ويتقشر في اللهب. راح يصرخ. كان الألم ينبض في الخواء بداخله، وحاول أن يزحف إلى عمق الفراغ. كان التوهج هناك، الضوء المندس بالكاد خارج مرمى البصر. في شبه جنون لم يعد يبالي بما هو عليه، فمد يده إلى (السايدين)، محاولاً أن يغلف نفسه به، محاولاً أن يختبئ بداخله من الاحتراق والألم.

وكما بدأت النيران فقد تلاشت فجأة. حرق (راند) بتعجب إلى اليد البارزة من كم معطفه الأحمر، لم يكن هناك أدنى احتراق في الصوف. لقد تخيلت كل هذا. تلفت حوله بشكل محموم. كان (هورين) يتململ في

نومه، لا يزال المتشمم و(لويال) مجرد كومتين تبرزان من الضباب الخفيض. لقد تخيلت كل هذا بالفعل.

قبل أن يتنامى بداخله الإحساس بالارتياح طعنه الألم في يده اليمنى، فرفعها وأدارها لينظر إليها. كان هناك أثر احتراق على هيئة طائر البلشون على راحة يده، البلشون من مقبض سيفه، غاضب وأحمر، ومرسوم بدقة كما لو أنه قد رُسم بمهارة فنان.

في عجلة أخرج من جيب معطفه ولفه حول يده. كانت يده تنبض بالألم في هذه اللحظة، سيساعده الخواء في تخفيف الألم - كان مدرّكاً للألم في الخواء وإن لم يشعر به - لكنه نحى هذه الفكرة بعيداً عن عقله. لقد حاول توجيه (القوة الواحدة) بينما هو في الخواء مرتين حتى الآن، مرة من دون علم، ومرة عن قصد. لا يمكنه أن ينسى هذا. هذا ما أراد (بعلمون) أن يغريه به، هذا ما أرادت (مويرين) و(عرش أميرلين) منه أن يفعله. لن يفعله هذا.

الفصل السادس عشر

في مرآة الظلام

«ما كان عليك أن تفعل هذا يا لورد (راند)». قالها (هورين) عندما أيقظ (راند) الآخرين مع شقشقة الفجر. لا تزال الشمس مختبئة تحت الأفق، ولكن هناك ضوءٌ كافياً للرؤية. لقد انقشع الضباب أثناء الظلمة متلاشيًا على مضض. «إن أنهكت نفسك لكي تريحنا يا سيدي فمن سيعيدنا إلى الديار؟».

قال (راند): «أنا بحاجة للتفكير». لم يكن هناك أدنى أثر على وجود الضباب أو (بعلزمون). تحسس المندبل المحيط بيده اليمنى. هنالك كان الدليل على أن (بعلزمون) كان موجودًا. أراد أن يبتعد عن هذا المكان. «حان الوقت لنمتطي الخيل إن أردنا أن نلحق بأصدقاء الظلام التابعين (لفاين). يمكننا أن نأكل الخبز أثناء تحركنا».

توقف (لويال) في موضعه بينما يتمطى، وقد وصلت ذراعه إلى أعلى ارتفاع يمكن أن يصل إليه (هورين) إن وقف على كتفي (راند). «ما الذي حدث ليدك يا (راند)؟».

«لقد جرحتها، ليس بالشيء المهم».

«لدي مرهم في أكياس سرجي...».

«ليس بالشيء المهم!». عرف (راند) أنه يبدو قاسيًا، ولكن نظرة واحدة على ذلك الوسم ستثير بالتأكيد تساؤلات لا يرغب في الإجابة عنها. «نحن نضيع الوقت، دعونا نتحرك». وضع السرج على ظهر (ريد) بصعوبة بسبب إصابة يده، وقفز (هورين) على صهوة حصانه.

تمتم (لويال): «لا حاجة لأن تكون حساسًا».

بينما ينطلقون قرر (راند) أن أي أثر سيكون شيئًا طبيعيًا في هذا العالم. ثمة الكثير من الأشياء غير الطبيعية هنا، حتى أثر حافر واحد سيكون موضع ترحيب. يجب أن يترك (فاين) وأصدقاء الظلام و(الترولكيون) أثرًا ما. ركز على الأرض التي يقطعونها محاولاً أن يميز أي أثر يمكن أن يتركه كائن حي آخر.

لم يكن هناك شيء، لا حجر مقلوب، ولا تربة مبعثرة. في إحدى المرات نظر وراءه فقط ليطمئن نفسه أن الأرض ينطبع عليها آثار الحوافر. كان العشب المكشوط والحشائش المنشية دليلًا واضحًا على مرورهم، ومع ذلك كانت الأرض أمامهم بلا أدنى أثر على مرور أي شخص. ولكن (هورين) أصر أن باستطاعته أن يشم الأثر، خافتًا وضعيفًا ولكنه لا يزال يتوجه جنوبًا.

من جديد ركز المتشمم كل اهتمامه على الأثر الذي يتبعونه، ككلب صيد يتعقب غزالًا، ومن جديد غرق (لويال) في أفكاره، بينما يتمتم لنفسه ويمسح على العصا القتالية الضخمة الموضوعة على السرج أمامه.

لم يكن قد مضى على تحركهم أكثر من ساعة عندما رأى (راند) البرج أمامهم. كان منشغلًا للغاية بالبحث عن الآثار حتى إن العمود المستدق كان ينتصب بالفعل سميكا وطويلاً فوق الأشجار على مسافة غير بعيدة

عندما لاحظته لأول مرة. «تُرى ما هذا؟». كان يقع في مسارهم مباشرة.
قال (لويال): «لا أعرف ما يكون يا (راند)».

«إن كان هذا... إن كان هذا هو عالمنا يا لورد (راند)...». تملل (هورين) في توتر في سرجه. «حسنًا، هذا هو النصب التذكاري الذي تحدث عنه اللورد (إنجتار)، النصب التذكاري لانتصار (أرتور هاوكوينج) على (الترولوكيين)، لقد كان برجًا عظيمًا، ولكنه قد تهدم قبل ألف عام، لم يبقَ منه سوى رابية كبيرة كالتل، لقد رأيتهما عندما ذهبت إلى (كايرين) من أجل اللورد (أجيلمار)».

قال (لويال): «لقد قال (إنجتار) إنه لا يزال أمامنا ثلاثة أيام أو أربعة، هذا إن كان موجودًا هنا على الإطلاق. لا أعرف لم يجب أن يوجد، لا أعتقد أنه يوجد أي أناس هنا على الإطلاق».
أعاد المتشمم عينيه إلى الأرض وقال: «هذا هو الأمر ببساطة أيها (البناء)، أليس كذلك؟ لا يوجد أناس ولكن ها هو أمامنا، ربما يجب علينا الابتعاد عن هنا يا لورد (راند)، لا أحد يعرف ما هو، أو من يوجد هناك، في مكان كهذا».

نقر (راند) بأصابعه على مقدمة سرجه وهو يفكر للحظة ثم قال أخيرًا: «يجب أن نبقي بالقرب من المسار قدر استطاعتنا، لا يبدو أننا نقرب من (فاين) كما هو الحال الآن، ولا أريد أن نضيع المزيد من الوقت إن كان بمقدورنا تجنب هذا. إن رأينا أناسًا أو أي شيء خارج عن المألوف فسنلتفت من حوله حتى نلتقط الأثر مرة أخرى، ولكن حتى ذلك الحين سنواصل المضي قدمًا».

«كما تشاء يا سيدي اللورد». بدا المتشمم غريبًا وهو يلقي على (راند) نظرة جانبية. «كما تشاء».
عقد (راند) حاجبيه للحظة قبل أن يفهم، ثم حان دوره ليتنهد. اللوردات لا يفسرون شيئًا لأتباعهم، بل للوردات الآخرين فحسب. لم أطلب منه أن يعتبرني لوردًا لعينًا. بدا أن هناك صوتًا خافتًا بداخله يجيبه: ولكنه قد فعل، وسمحت له بهذا. لقد حسمت قرارك، والآن يقع الواجب على عاتقك.
قال (راند): «تعقب الأثر يا (هورين)».

ظهر على ملامح المتشمم وميض ابتسامة ارتياح قبل أن يركز حصانه بكاحليه ويتقدم للأمام.
اعتلت الشمس الباهتة الأفق بينما يتقدمون، وبحلول الوقت الذي صارت فيه فوق رؤوسهم لم يعد يفصلهم عن البرج سوى ميل تقريبًا. وصلوا إلى أحد الجداول في مجرى بعمق خطوة، وكانت الأشجار على مسافات متباعدة. استطاع (راند) أن يرى الرابية المبني عليها، أشبه بتل دائري ذي قمة مسطحة. كان البرج الرمادي نفسه بارتفاع ما لا يقل عن ثلاثمائة باع، وصار قادرًا على أن يميز أن قمته منحوتة على هيئة طائر بجناحين مفرودين.

قال (راند): «إنه صقر، هذا هو نصب هاوكوينج⁽¹⁾. التذكاري، لا شك في هذا. كان يوجد أناس هنا، سواء موجودون الآن أم لا، هم فقط قد بنوه في مكان آخر هنا، ولم يهدموه قط. فكر في الأمر يا (هورين)،

عندما نعود ستمكن من إخبارهم كيف يبدو النصب التذكاري حقًا، لن يكون هناك في العالم بأسره من رآه سوى ثلاثتنا».

أوماً (هورين) برأسه وقال: «أجل يا سيدي، سيحب أطفال سماع تلك الحكايات، أن أباهم قد رأى برج (هاوكوينج)».

قال (لويال) في قلق: «(راند)».

قال (راند): «يمكننا أن نقطع المسافة عدوًا بخيولنا، سيكون مفيدًا لنا. قد يكون هذا المكان مبيتًا ولكننا أحياء».

قال (لويال): «(راند)، لا أعتقد أن هذا هو...».

لم ينتظر (راند) لسماع ما سيقوله، بل وكز جانبي (ريد) بكاحليه فاندفع الحصان للأمام. قطع شريط الماء الضحل في خطوتين، ثم أسرع عبر الجانب الآخر. اندفع (هورين) بحصانه وراءه مباشرة. سمع (راند) (لويال) يناديهما، ولكنه ضحك وهو يلوح بيده (للأوجير) أن يتبعهما قبل أن يواصل اندفاعه. إن أبقى عينيه على بقعة واحدة فإن الأرض لا تبدو وكأنها تنزلق وتهايل بشكل سيئ، وقد بدت الرياح لطيفة على وجهه.

كانت الرابية تغطي هكتارين من الأرض، ولكن المنحدر العشبي يرتفع بميل طفيف. كان البرج الرمادي مرتفعًا في السماء، مربعًا وعريضًا بما يكفي ليبدو هائلًا ويكاد أن يبدو قصيرًا رغم ارتفاعه. بتر (راند) ضحكته وهو يجذب لجام (ريد) وقد تجهم وجهه.

سأله (هورين) في توتر: «هل هذا هو نصب (هاوكوينج) التذكاري يا لورد (راند)؟ إنه لا يبدو صحيحًا بطريقة ما».

تعرف (راند) على الكتابة القاسية حادة الزوايا التي تغطي وجه النصب التذكاري، كما تعرف على بعض الرموز المنقوشة على امتداده، وقد نُحتت بارتفاع رجل. الجمجمة ذات القرنين الخاصة (بالترولوكيين الداقول)، والقبضة الحديدية الخاصة (بالدايمون)، والرمح الثلاثي الخاص (بالكوبال)، والدوامة الخاصة (بالأفريت). كان هناك صقر أيضًا، منقوش بالقرب من الجزء السفلي. بجناحين بعرض عشر خطوات، مستلقٍ على ظهره وتطعنه صاعقة، والغربان تنقر عينيه. بدا أن الجناحين الضخمين أعلى البرج يحجبان ضوء الشمس.

سمع (لويال) يهرول بحصانه من ورائه.

قال (لويال): «هذا ما حاولت أن أخبرك به يا (راند)، إنه غراب وليس صقرًا، كان بمقدوري أن أرى هذا بوضوح». استدار (هورين) بحصانه رافضًا حتى أن ينظر إلى البرج أكثر من هذا.

قال (راند): «ولكن كيف؟ (أرتور هاوكوينج) قد انتصر على (الترولوكيين) هنا، لقد قال (إنجتار) هذا».

قال (لويال) ببطء: «ليس هنا، من الواضح أنه ليس هنا. «من (حجر) إلى (حجر) تمر خطوط، ما بين العوالم التي قد تكون»، كنت أفكر في الأمر، وأعتقد أنني أعرف ما تعنيه «العوالم التي قد تكون»، أو ربما

أعرف، إنها العوالم التي كان عالمنا ليصير عليها إن جرت الأمور على نحو مختلف. ربما لهذا السبب يبدو كل شيء... باهتًا، لأنه مجرد «لو»، أو «ربما»، مجرد ظل للعالم الحقيقي. أعتقد أن (الترولوكيين) قد انتصروا في هذا العالم، وربما لهذا لم نر أي قرى أو أناس».

اقشعر بدن (راند). حيث انتصر (الترولوكيون) لم يتركوا بشرًا إلا من أجل الطعام. ولو أنهم قد انتصروا في جميع أنحاء العالم... «لو انتصر (الترولوكيون) لكانوا موجودين في كل مكان، كنا سنرى الآلاف منهم بحلول هذا الوقت، ما كنا لنظل أحياء بالأمس».

«لا أعرف يا (راند)، ربما بعد أن قتلوا البشر قتلوا بعضهم بعضًا، (الترولوكيون) يعيشون من أجل القتل، هذا هو كل ما يفعلونه، هذه هي طبيعتهم. أنا فقط لا أعرف».

فجأة قال (هورين): «شيء ما يتحرك هناك يا لورد (راند)».

دار (راند) بحصانه مستعدًا لرؤية (ترولوكيين) مندفعين للهجوم، ولكن (هورين) كان يشير إلى الورا من حيث أتوا، إلى اللاشيء. «ما الذي رأيته يا (هورين)؟ أين؟».

ترك المتشمم ذراعه تسقط إلى جانبه وقال: «هناك عند حافة تلك الأجمة من الأشجار، على مسافة ميل تقريبًا، حُيِّلَ إِلَيَّ أنني رأيت... امرأة... وشيئًا آخر لم أستطع تمييزه، ولكن...». ارتجف وقال: «من الصعب تمييز الأشياء التي ليست تحت أنفك مباشرة. آه، هذا المكان يجعل معدتي تنقبض. على الأرجح أتخيل أشياء يا سيدي، هذا المكان يثير خيالات غريبة». أحنى كتفيه كما لو أنه يشعر بالبرج يضغط عليها. «لا شك أنها كانت الرياح فحسب يا سيدي».

قال (لويال): «أخشى أن هناك شيئًا آخر يجب التفكير فيه أيضًا». بدا مضطربًا مرة أخرى. أشار ناحية الجنوب وقال: «ما الذي تراه هناك؟».

ضيق (راند) عينيه بسبب الطريقة التي تبدو بها الأشياء البعيدة وكأنها تنزلق ناحيته، ثم قال: «أرضًا كتلك التي كنا نقطعها، وأشجارًا، وبعض التلال والجبال، لا شيء آخر، ما الذي يُفترض أن أراه؟».

تنهد (لويال) وقال: «الجبال». تدلت خصلات الشعر على أذنيه ولمس طرفا حاجبيه وجنتيه. «لا شك أن هذا هو (خنجر قاتل أهله) يا (راند). لا يمكن أن تكون هذه الجبال أي شيء آخر، ما لم يكن هذا العالم مختلفًا تمامًا عن عالمنا، ولكن (خنجر قاتل أهله) يقع على بعد أكثر من مئة فرسخ جنوب (نهر إيرينين)، أكثر بكثير. من الصعب الحكم على المسافات في هذه المكان، ولكن... أعتقد أننا سنصل إليها قبل حلول الظلام». لم يكن بحاجة لأن يقول المزيد، من المستحيل أن يكونوا قد قطعوا أكثر من مئة فرسخ في أقل من ثلاثة أيام.

تمتم (راند) دون تفكير: «ربما يكون هذا المكان مثل (الطرق)». سمع (هورين) يتأوه، وندم على الفور على عدم سيطرته على لسانه.

لم تكن فكرة سارة، إن دخلت (بوابة طريق) - يمكن العثور عليها خارج ملاذات (الأوجير) مباشرة أو في بساتين (الأوجير) - ومشيت لمدة يوم فيمكنك أن تغادر من (بوابة طريق) أخرى على بعد مئة فرسخ من حيث بدأت. إن (الطرق) مظلمة الآن وكريهة، والسفر عبرها يعني المخاطرة بالموت أو الجنون، حتى (العواتم) يخشون السفر عبر (الطرق).

قال (لويال) ببطء: «إن كانت هكذا يا (راند) فهل يمكن لخطوة خاطئة أن تقتلنا هنا أيضًا؟ هل هناك أشياء لم نرها بعد يمكنها أن تفعل بنا ما هو أسوأ من قتلنا؟». تأوه (هورين) مرة أخرى. لقد شربوا المياه وقطعوا الأراضي كما لو أنهم لا يباليون بأي شيء في العالم. إن اللامبالاة ستقتل المرء سريعًا في (الطرق). ازدرد (راند) لعبه وهو يأمل أن تستقر معدته.

قال: «فات أو ان القلق بشأن الماضي، من الآن فصاعدًا سنراقب خطواتنا». نظر إلى (هورين)، كان رأس المتشمم قد غاص بين كتفيه، وعينه زائغتان كأنها يتساءل ما الذي سينقض عليهم ومن أين. هذا الرجل كان يطارد القتلة، ولكن هذا الآن أكثر مما كان يساوم عليه. «تمالك نفسك يا (هورين)، نحن لم نمت بعد، ولن نموت. علينا فقط أن نكون حذرين من الآن فصاعدًا، هذا كل شيء».

في هذه اللحظة سمعوا صرخة، خافتة بسبب بعدها. قال (هورين): «امرأة!». حتى هذا الشيء الذي كان طبيعيًا بدا أنه قد أفاقه قليلًا. «كنت أعرف أنني رأيت...».

جاءت صرخة أخرى أكثر يأسًا من سابقتها. قال (راند): «لا، ما لم تكن قادرة على الطيران، إنها جنوبنا». وكز (ريد) ليسرع به.

صاح (لويال) من ورائه: «قلت سنكون حذرين! تذكر يا (راند) بحق (النور)! سنكون حذرين». مال (راند) على ظهر (ريد) وترك الحصان يركض. كانت الصرخات تجذبه. من السهل القول بأن عليه أن يكون حذرًا، ولكن كان هناك رعب في صوت تلك المرأة، لم يبدُ أن لديها الوقت الكافي لأن يكون حذرًا. عند حافة جدول آخر، قناة ذات ضفاف شديدة الانحدار أكثر عمقًا من بقية القنوات، جذب اللجام فانزلق (ريد) في وابل من الأحجار والغبار. كانت الصرخات تأتي... من هناك!

استوعب كل شيء في نظرة واحدة. على مسافة مئتي خطوة تقريبًا تقف المرأة إلى جانب حصانها في الجدول وكلاهما يتراجعان إلى الضفة الأخرى. باستخدام غصن مكسور كانت تدافع عن نفسها ضد... شيء ما مزجر. ازدرد (راند) لعبه مذهولًا للحظة. إن كان هناك ضفدع كبير بحجم دب، أو دب له جلد ضفدع أخضر رمادي، فقد يبدو هكذا؛ دبًا ضخماً.

لم يسمح لنفسه بالتفكير بشأن المخلوق، فقفز على الأرض ونزع قوسه. إن استغرق وقتًا ليقرب أكثر بحصانه فقد يفوت الأوان. كانت المرأة بالكاد تبقي هذا... الشيء... عند طرف الغصن. كانت مسافة معقولة، وراح يرمش بعينه وهو يحاول قياسها، فقد بدا أن المسافة تتغير بمقدار باعات مع كل مرة يتحرك

فيها هذا الشيء، ومع ذلك كان هدفًا كبيرًا. كانت يده المغطاة بالضمادة تجعل جذب وتر القوس صعبًا، ولكنه قد أطلق سهمًا قبل أن تستقر قدماه على الأرض.

انغرس السهم في الجلد السميك لنصف طوله، فاستدار المخلوق لمواجهة (راند). تراجع (راند) خطوة للوراء رغم المسافة. لم يرَ ذلك الرأس الضخم الشبيه بالوتد على أي حيوان يمكنه أن يتخيله، ولا ذلك الفم العريض ذا الشفتين الصلبتين المسننتين المعقوفتين لتمزيق اللحم. كان له ثلاث أعين صغيرة شرسة، ومحاطة بحواف صلبة المظهر. استجمع الشيء نفسه، وأسرع ناحيته عبر التيار في قفزات كبيرة تناثر إثرها الماء. بالنسبة (لراند) بدا أن بعض القفزات تقطع ضعف المسافة التي تقطعها القفزات الأخرى، رغم أنه كان متيقنًا من أنها جميعًا متساوية.

صاحت المرأة: «إحدى الأعين». بدت هادئة بشكل مدهش، بالنظر إلى أنها كانت تصرخ. «يجب أن تصيب إحدى الأعين لكي تقتله».

جذب طرف سهم آخر حتى أذنه، وعلى مضض سعى إلى الخواء، لم يكن يريد هذا، ولكن هذا ما علمه إياه (تام)، وكان يعرف أنه لن يتمكن من التسديد من دونه. قال لنفسه: أوبي. مع إحساس بالخسارة. وملاءة الفراغ. كان ضوء (السايدين) المثير للغثيان هناك، ولكنه نَحَاه جانبًا. صار متحدًا مع القوس والسهم والشيء الوحشي الذي يقفز نحوه، متحدًا مع العين الصغيرة. ولم يشعر حتى بالسهم وهو يترك وتر القوس. ارتفع المخلوق في قفزة أخرى، وعند الذروة أصاب السهم عينه المركزية. هوى الشيء فاندفعت دفقة كبيرة أخرى من الماء والطين، انتشرت التموجات منه ولكنه لم يتحرك.

صاحت المرأة: «أحسنست التسديد، وبشجاعة». كانت على صهوة حصانها، تقترب لتقابله. أحس (راند) بدهشة مبهمة لأنه لم تهرب بمجرد أن تحول عنها انتباه الشيء. تجاوزت الجسد الضخم الذي لا يزال محاطًا بتموجات الاحتضار دون حتى أن تنظر لأسفل، وأسرت بحصانها صاعدة الضفة قبل أن تترجل. «قلة من الرجال يمكنهم مواجهة هجوم (جرولم) يا سيدي اللورد».

كانت ترتدي ثيابًا بيضاء بالكامل، وفستانها مشقوق من أجل ركوب الخيل، وبه حزام من الفضة، وحذاؤها الذي يبرز من تحت طرف فستانها مطعم بالفضة أيضًا. حتى سرجها كان أبيض، ومطعمًا بالفضة. كانت فرسها البيضاء الثلجية بعنقها المقوس وخطواتها الرشيقة تبلغ طول حصان (راند) تقريبًا، ولكن المرأة نفسها - فكر أنها ربما بعمر (ناينيث) - هي من جذبت انتباهه، فقد كانت طويلة القامة، أطول بمقدار يد تقريبًا من المرأة العادية، وتكاد أن تنظر إليه في عينيه. كما أنها جميلة، ذات بشرة عاجية شاحبة تتناقض بشكل صارخ مع شعرها الطويل الأسود كالليل وعينيها السوداوين. لقد رأى نساء جميلات من قبل. (مويرين) جميلة وإن كانت باردة، وكذلك (ناينيث) عندما لا تفقد أعصابها. و(إيجوين) و(إيلين) و(إلية عهد) (أندور) كلتاهما جميلة بما يكفي لخلب لب المرء. ولكن هذه المرأة... التصق لسانه بسقف حلقه، وشعر أن قلبه يخفق من جديد.

«أهما خادماك يا سيدي؟».

جفل وتلفت حوله. كان (لويال) و(هورين) قد انضما إليهما، و(هورين) يحدق، كما يعرف (راند) أنه نفسه يحدق، وحتى (الأوجير) بدا مبهورًا. قال: «بل صديقاى، (لويال) و(هورين)، وأنا اسمي (راند)، (راند أثور)».

قال (لويال) فجأة: «لم أفكر في هذا الأمر من قبل». بدا وكأنما يتحدث إلى نفسه. «ولكن إن كان هناك شيء اسمه الجمال البشري الكامل في الوجه والجسد، إذن فأنت...».

صاح (راند): «(لويال)!». انتصبت أذنا (الأوجير) في إحراج، وكانت أذنا (راند) هراوين، فكلمات (الأوجير) كانت قريبة للغاية مما يفكر فيه في قرارة نفسه.

ضحكت المرأة ضحكة موسيقية، ولكن في اللحظة التالية صارت ملكية بشكل رسمي كملكة على عرشها. قالت: «اسمي (سيلين). لقد خاطرت بحياتك لإنقاذ حياتي، أنا ملكك يا لورد (راند أثور)». أحس (راند) بالربع عندما جثت على ركبتيها أمامه.

على الفور ودون أن ينظر إلى (هورين) أو (لويال) جذبها لتقف على قدميها وقال: «الرجل الذي لا يقبل الموت لإنقاذ امرأة ليس رجلاً». وعلى الفور أخرج نفسه بأن احمر وجهه خجلًا. كانت مقولة شائناية، وقد عرف أنها تبدو متفاخرة قبل حتى أن تخرج من فمه، ولكن سلوكها قد أثر عليه، ولم يستطع منع نفسه. «أقصد... أن هذا كان...». أيها الأحمق، لا يمكنك أن تخبر امرأة أن إنقاذ حياتها لم يكن شيئًا. «كان شرفًا لي». لقد بدا ذلك شائناية ورسميًا إلى حد ما، كان يأمل أنه سيفي بالغرض، فقد كان عقله خاويًا من أي شيء آخر ليقوله، كما لو أنه لا يزال في الخواء.

فجأة صار مدركًا أن عينيها تتفحصانه، لم يتغير التعبير المرتسم على وجهها، ولكن عينيها السوداوين جعلته يشعر كما لو أنه عارٍ. رغمًا عنه فكر في (سيلين) من دون ثياب فصار وجهه أحمر مرة أخرى. «آاه! من أين أنت يا (سيلين)؟ لم نر إنسانًا آخر منذ أن جئنا إلى هنا. هل بلدتك قريبة؟».

نظرت إليه مفكرة ثم خطت خطوة للوراء. جعلته نظرتها يدرك مدى قربها منها.

قالت: «أنا لست من هذا العالم يا سيدي، لا يوجد أناس هنا، لا يوجد شيء حي باستثناء (الجرولم) وبعض المخلوقات الأخرى مثله. أنا من (كايرين). أما عن كيف جئت إلى هنا فلا أعرف بالضبط. كنت أمتطي فرسي وتوقفت لكي أغفو، وعندما استيقظت كنت أنا وفرسي هنا. لا يسعني إلا أن أأمل أن بمقدورك أن تنقذني مرة أخرى يا سيدي اللورد وتساعدني في العودة إلى الديار».

«(سيلين)، أنا لست... أرجوك ناديني (راند)». أحس أن أذنيه ساختان مرة أخرى. بحق (النور)، لن يضير

إن اعتقدت أنني لوردًا، هذا لن يضير في شيء.

«كما تشاء يا... (راند)». ابتسامتها جعلت حلقه يختنق. «هل ستساعدني؟».

«بالطبع سأساعدك». بحق (النور)، إنها جميلة، وتنظر إليّ كما لو أنني بطل في حكاية. هز رأسه لينفض عن نفسه الإحساس بالحماقة. «ولكن أولاً يجب أن نجد الرجال الذين نتعقبهم، سأحاول إبقاءك بعيدة عن الخطر، ولكن يجب أن نعثر عليهم. إن مجيئك معنا سيكون أفضل من بقائك وحدك».

ظلت صامتة للحظة ووجهها أملس وخالٍ من التعبيرات. لم يكن لدى (راند) أدنى فكرة عما تفكر فيه باستثناء أنها تبدو وكأنها تتفحصه من جديد. قالت أخيراً: «رجل يلبي نداء الواجب». ظهرت ابتسامة على شفيتها. «يعجبني هذا، أجل. ومن هؤلاء الأوغاد الذين تتعقبهم؟».

اندفع (هورين) قائلاً: «أصدقاء ظلام و(ترولوكيون) يا سيدي». انحنى لها بشكل أخرق من سرجه. «لقد ارتكبوا جرائم قتل في حصن (فال دارا)، وسرقوا (بوق فالير) يا سيدي. ولكن اللورد (راند) سيعيده».

حدق (راند) إلى المتشمم موبخاً، فابتسم (هورين) ابتسامة ضعيفة. لم يعد هناك مجال للسرية. افترض أن هذا لا يهم هنا، ولكن بمجرد أن يعودوا إلى عالمهم... «لا يجب أن تقولي أي شيء عن (البوق) لأي شخص يا (سيلين)، إن عُرف الأمر سيكون هناك مئة شخص في أعقابنا يحاولون الحصول على (البوق) لأنفسهم». قالت (سيلين): «لا، لن يكون من الجيد أن يقع (بوق فالير) في الأيدي الخطأ، لا أستطيع أن أخبرك كم حلمت بلمسه وحمله بين يدي، يجب أن تعذني أنك عندما تحصل عليه فستسمح لي بلمسه».

«قبل أن أتمكن من فعل هذا يجب أن أعثر عليه، من الأفضل أن نمضي قدماً». مد (راند) يده ليساعدها على امتطاء فرسها، وأسرع (هورين) مترجلاً ليمسك بركابها. «أياً كان ذلك الشيء الذي قتلته - (جرولم)؟ - فقد يكون هناك المزيد منهم حولنا». كانت يدها حازمة، وهناك قوة مفاجئة في قبضتها، وكانت بشرتها... حريرية؟ شيئاً أكثر رقة ونعومة. ارتجف (راند).

قالت (سيلين): «هناك دوماً المزيد منهم». تقافزت الفرس البيضاء برشاقة وكشفت عن أسنانها وهي تنظر إلى (ريد)، ولكنها هدأت مع جذب (سيلين) للجمام برفق.

علق (راند) قوسه على ظهره وامتطى (ريد). بحق (النور)، كيف يمكن لبشرة أي شخص أن تكون ناعمة إلى هذا الحد؟ «أين الأثر يا (هورين)؟ (هورين)؟ (هورين)؟».

جفل المتشمم وكف عن التحديق إلى (سيلين) ثم قال: «أجل يا لورد (راند)، الأثر... لا يزال جنوباً». «إذن دعونا نتحرك». ألقى (راند) نظرة متوترة على جسم (الجرولم) الرمادي الأخضر الضخم المستلقي في الجدول. تمنى لو أنهم قد عادوا إلى الاعتقاد بأنه لا يوجد مخلوق حي سواهم في هذا العالم. «تعقب الأثر يا (هورين)».

تحركت (سيلين) بجانب (راند) في البداية، متحدثة عن هذا وذاك، وهي تسأله أسئلة وتناديه لوردًا. في عدة مرات كان على وشك أن يخبرها أنه ليس لوردًا بل مجرد راعي غنم، وفي كل مرة ينظر إليها ولا يتمكن

من النطق بالكلمات. كان متيقناً من أن سيدة نبيلة مثلها لن تتحدث بالطريقة نفسها مع راعٍ، حتى لو كان راعياً قد أنقذ حياتها.

قالت له: «ستصير رجلاً عظيماً عندما تعثر على (بوق فالير)، رجلاً تنسج حوله الأساطير. إن الرجل الذي سينفخ في (البوق) سيصنع أساطيره الخاصة». «لا أريد أن أنفخ فيه، ولا أريد أن أكون جزءاً من أي أسطورة». لم يعرف إن كانت تضع عطراً أم لا، ولكن كان هناك رائحة تفوح منها، رائحة تجعله يهيم بها، توابل نفاذة وحلوة، تدغدغ أنفه وتجعله يزدرد لعابه.

«كل رجل يريد أن يكون عظيماً، يمكنك أن تصير أعظم رجل في كل العصور». كان هذا قريباً مما قالته (مويرين)، من المؤكد أن (التنين العائد) سيُخلد عبر العصور. قال بشكل محموم: «ليس أنا، أنا فقط...». فكر في الازدراء الذي ستشعر به إن أخبرها الآن أنه مجرد راعي غنم بعد أن تركها تعتقد أنه لورد، فغير ما كان على وشك أن يقوله. «أنا فقط أسعى للعثور عليه، ولمساعدة صديق». ظلت صامتة للحظة ثم قالت: «إن يدك مصابة».

«هذا لا شيء». كان على وشك أن يضع يده المصابة داخل معطفه - كانت تنبض بالألم بسبب الإمساك باللباس - ولكنها مدت يدها لتمسك بها.

باغته الأمر فلم يجد وقتاً للاعتراض، وبعدها لم يعد هناك شيء يمكن أن يفعله سوى أن يجذب يده بشكل فظ أو أن يسمح لها بفك المنديل. شعر أن لمستها باردة وواثقة. كانت راحة يده حمراء ومنتفخة في غضب، ولا يزال طائر البلشون بارزاً بوضوح.

لمست الوسم بإصبعها، ولكنها لم تعلق عليه، أو حتى تسأله كيف أصيب به. «هذا قد يؤدي إلى تصلب يدك إن لم يُعالج. لدي مرهم يمكنه أن يساعدك». أخرجت من جيب بداخل عباءتها قارورة حجرية صغيرة، فتحتها وبدأت تدهن الحرق بلطف بمرهم أبيض أثناء حركتها.

بدا المرهم بارداً في البداية، ثم بدا وكأنه يذوب بحرارة في لحمه. وقد نجح الأمر كما تنجح مراهم (ناينيث) في بعض الأحيان. راح يحدق بينما الاحمرار يتلاشى والورم يخف تحت لمسات أصابعها.

قالت دون أن ترفع عينيها عن يده: «بعض الرجال يختارون البحث عن المجد بينما يُجبر آخرون على هذا، من الأفضل دوماً أن تختار بدلاً من أن تكون مجبراً، فالرجل المجبر لا يكون سيد نفسه بشكل كامل، فهو يُضطر إلى الرقص على خيوط من يجبرونه».

جذب (راند) يده ليحررها، بدا الوسم أنه بقدم أسبوع أو أكثر، ولكنه قد شُفي تماماً. صاح: «ما الذي تقصدينه؟».

ابتسمت له فأحس بالخشجل من ثورته. قالت بهدوء وهي تضع مرهمها في جيبها: «أقصد (البوق) بالطبع». كانت فرسها التي تمشي إلى جانب (ريد) طويلة بما يكفي، حتى إن عينيها كانتا تحت عيني (راند)

بقليل. «إن وجدت (بوق قالير) فلن يكون هناك مفر من المجد، ولكن هل سيفرض عليك أم ستقبله بمحض إرادتك؟ هذا هو السؤال».

قبض يده وبسطها، كان حديثها يُشبه إلى حد كبير حديث (مويرين). «هل أنت (آيز سيداي)؟». رفعت (سيلين) حاجبيها وقد لمعت عيناها السوداوان وهي تنظر إليه، ولكن صوتها كان رقيقاً: «(آيز سيداي)؟ أنا؟ لا».

«لم أقصد الإساءة إليك. أعتذر».

«الإساءة إليّ؟ لم أشعر بأي إساءة، ولكنني لست (آيز سيداي)». كشرت عن أسنانها، وحتى في هذا التعبير بدت جميلة. «إنهن منكمشات على أنفسهن فيما يعتقدن أنه الأمان، بينما يمكنهن فعل الكثير. إنهن يخدمن بينما يمكنهن الحكم، ويتركن الرجال يخوضون الحروب بينما بمقدورهن فرض النظام على العالم. لا، لا تناديني (آيز سيداي) أبداً». ابتسمت ووضعت يدها على ذراعه لتُظهر أنها ليست غاضبة. جعلته لمستها يزدرد لعبابه، ولكنه شعر بالارتياح عندما تركت فرسها تتراجع إلى جانب (لويال). أوماً (هورين) لها برأسه كخادم قديم للعائلة.

أحس (راند) بالارتياح، ولكنه افتقد وجودها أيضاً، إنها على بعد باعين فقط منه. استدار في سرجه ليحديق إليها، وهي تمتطي فرسها إلى جانب (لويال)، وقد انحنى (الأوجير) في سرجه لكي يتمكن من الحديث إليها. ولكن هذا لم يكن مثل وجودها إلى جانبه، قريبة بما يكفي لاشتتام رائحتها المسكرة، قريبة بما يكفي للمسها. استقر في سرجه بغضب، ليس الأمر وكأنه يريد أن يلمسها، ليس بالضبط. ذكر نفسه أنه يجب (إيجوين)، فأحس بالذنب لحاجته إلى التذكير. ولكنها جميلة، وتعتقد أنه لورد، وقالت إنه قد يصير رجلاً عظيماً. كان يتجادل بمرارة مع نفسه بداخل رأسه. قالت (مويرين) أيضاً إنك قد تصير عظيماً، (التنين العائد). (سيلين) ليست (آيز سيداي)، هذا صحيح، إنها امرأة نبيلة من (كايرين)، وأنت راعي غنم. إنها لا تعرف هذا، إلى متى ستتركها تصدق الكذبة؟ فقط حتى نخرج من هذا المكان، هذا لو خرجنا. لو. جعلته هذه الفكرة يلوذ بصمت متجههم.

حاول أن يراقب المنطقة المحيطة بهم بينما يتحركون. إن كانت (سيلين) تقول إن هناك المزيد من هذه الأشياء... هؤلاء (الجرولم)... في الأنحاء فهو يصدقها. كان تركيز (هورين) منصباً على اشتتام الأثر حتى إنه لن يلاحظ أي شيء آخر، وكان (لويال) منغمساً للغاية في حديثه مع (سيلين) حتى إنه لن يرى أي شيء حتى يعضه في كاحله. ولكن المراقبة صعبة. إن إدارة رأسه بسرعة كبيرة تجعل عينيه تدمعان. وقد يبدو أي تل - أو مجموعة أشجار - على بعد ميل عندما ينظر من زاوية معينة وعلى بضع مئات الباعات فقط عندما ينظر من زاوية أخرى.

الجبال تقترب، إنه متيقن من هذا. إن (خنجر قاتل أهله) يلوح في الأفق الآن، مجموعة مسننة من قمم الجبال المغطاة بالثلج. كانت الأرض المحيطة بهم ترتفع بالفعل لتمثل سفوح التلال التي تسبق الجبال.

سيصلون إلى حافة الجبال قبل حلول الظلام بوقت طويل، ربما في غضون ساعة أو نحو ذلك. أكثر من مئة فرسخ في ثلاثة أيام. بل أسوأ من هذا، لقد أمضينا معظم يوم جنوب (نهر إيرينين) في العالم الحقيقي، أكثر من مئة فرسخ في أقل من يومين هنا.

«تقول إنك محق بشأن هذا المكان يا (راند).»

جفل (راند) قبل أن يدرك أن (لويال) قد اقترب ليمشي بمحاذاته. بحث عن (سيلين) فوجدها تتحرك إلى جانب (هورين)، وكان المتشمم يتسم ابتسامة عريضة، ويحني رأسه ويلمس جبهته بمفاصل أصابعه مع كل شيء تقوله. ألقى (راند) نظرة جانبية على (الأوجير) وقال: «أنا مندهش من أنك تمكنت من السماح لها بالابتعاد عنك نظرًا للطريقة التي كنتما تقربان بها رأسيكما. ما الذي كنت تقصده بأني محق؟».

«إنها امرأة رائعة، أليس كذلك؟ بعض الكبراء لا يعرفون قدر ما تعرفه عن التاريخ، وخصوصًا عن (عصر الأساطير)، وعن... أوه، أجل، قالت إنك كنت محقًا بشأن (الطرق) يا (راند). بعض (الآيز سيدي) قد درسوا عملاً كهذا، وكانت هذه الدراسة هي أساس كيفية إنشاءهم (للطرق). قالت إن هناك عوالم يتغير فيها الزمن وليس المسافة، إن قضيت يومًا في واحد من هذه الأماكن فقد تعود لتجد أن عامًا قد مر في العالم الحقيقي أو عشرون، أو قد يحدث العكس. تقول إن هذه العوالم - هذا العالم وكل العوالم الأخرى - انعكاسات للعالم الحقيقي. هذا العالم يبدو شاحبًا لنا لأنه انعكاس ضعيف، عالم لم يكن لديه فرصة كبيرة للوجود. البعض الآخر يكاد أن يكون محتملاً مثل عالمنا، هذه العوالم تكون واضحة كعالمنا، وبها أناس. تقول إن بها الأناس أنفسهم يا (راند)، تخيل هذا! يمكنك أن تذهب إلى أحد هذه العوالم وتلتقي بنفسك. تقول إن (النمط) لديه تنوعات لا نهائية، وكل تنوع يمكن أن يوجد فسوف يوجد».

هز (راند) رأسه، ثم تمنى لو أنه لم يفعل، لأن المشهد راح يتأرجح جيئة وذهابًا، وانقبضت معدته. أخذ نفسًا عميقًا وقال: «كيف بمقدورها أن تعرف كل هذه الأشياء؟ أنت تعرف أشياء أكثر من أي شخص قد التقيت به من قبل يا (لويال)، وكل ما تعرفه عن هذا العالم لم يكن أكثر من شائعة».

«إنها كاييرينية يا (راند)، وتعد المكتبة الملكية في (كاييرين) واحدة من أعظم المكتبات في العالم، وربما هي الأعظم خارج (تار قالون). لقد تعمّد (الآيل) ألا يدمروها عندما أحرقوا (كاييرين)، فهم لن يدمروا كتابًا. هل تعرف أنهم...».

قال (راند) بحدة: «لا أبالي بشأن الآيلين. إن كانت (سيلين) تعرف الكثير فأتمنى لو أنها قرأت عن كيفية إعادتنا إلى الديار من هنا. أتمنى أن (سيلين)...».

قالت المرأة ضاحكة وهي تنضم إليهما: «أتمنى لو أن (سيلين) ماذا؟».

حدق (راند) إليها كما لو أنها قد غابت لأشهر، هذا ما أحس به. قال: «أتمنى أن تصحبنى (سيلين) لوقت أطول». ضحك (لويال) وأحس (راند) بوجهه ساخنًا.

ابتسمت (سيلين) وقالت: «فلتركننا وحدنا من فضلك أيها (الآلاتين)».

انحنى (الأوجير) في سرجه وترك حصانه الضخم يتراجع إلى الوراء. ولكن بدا من تهدل أذنيه أنه فعل هذا على مضض.

ظل (راند) صامتاً لبعض الوقت، مستمتعاً بصحبة (سيلين)، ومن آن لآخر كان ينظر إليها من طرف عينه. تمنى لو أنه قادر على التعبير عن مشاعره تجاهها بشكل صريح. هل يعقل أنها (آيز سيداي) رغم إنكارها؟ شخص قد أرسلته (مويرين) لدفعه عبر المسار الذي من المفترض أن يسلكه في خطط (الآيز سيداي)؟ ليس من المعقول أن (مويرين) تعتقد أنه سينتقل إلى هذا العالم الغريب، ولا يعقل أن تحاول واحدة من (الآيز سيداي) صد ذلك الوحش باستخدام عصا بينما يمكنها أن تسقطه ميتاً أو ترسله هارباً باستخدام (القوة الواحدة). حسناً، بما أنها تعتقد أنه لورد ولا أحد من (كايرين) يعرف شيئاً خلاف هذا فقد يسمح لها بمواصلة اعتقاد الأمر. إنها بالتأكيد أجهل امرأة قد رآها، ذكية ومتعلمة، كما تعتقد أنه شجاع، أي شيء آخر قد يطلبه المرء من زوجته؟ هذا جنون أيضاً، سأتزوج (إيجوين) إن كان بمقدوري أن أتزوج أي امرأة، ولكني لا أستطيع أن أطلب من امرأة أن تتزوج رجلاً سيصاب بالجنون وربما سيؤذيها. ولكن (سيلين) جميلة للغاية.

رأى أنها تتفحص سيفه، فأعد الكلمات في عقله. لا، إنه ليس سيافاً، ولكن أباه قد منحه السيف. (تام). بحق (النور)، لم لا يمكنك أن تكون أبي حقاً؟ سحق هذه الفكرة بقسوة. قالت (سيلين): «كان ذلك تصويماً رائعاً».

بدأ (راند) الحديث قائلاً: «لا، أنا لست...». ثم رمش بعينه وقال: «تصويب؟». «أجل، كانت تلك العين هدفاً ضئيلاً متحركاً على بعد مئة خطوة. إن يدك رائعة في استخدام هذا القوس».

تململ (راند) في إحراج وقال: «آه... شكراً لك، إنها خدعة قد علمها لي أبي». أخبرها عن الخواء وكيف علمه (تام) استخدامه مع القوس، بل إنه وجد نفسه يخبرها عن (لان) ودروسه في استخدام السيف. قالت: «(الوَحدة)». بدا عليها أنها تشعر بالرضا. لقد رأت السؤال في عينيه فأضافت: «هذا ما يُطلق على الأمر... في بعض الأماكن؛ (الوحدة)، لتتعلم الاستفادة الكاملة منها فمن الأفضل أن تغلف نفسك بها باستمرار، وأن تسكن فيها طيلة الوقت، أو هذا ما سمعته».

لم يكن عليه حتى أن يفكر فيما ينتظره في الخواء ليعرف ما يجب به عن هذا، ولكن ما قاله هو: «سأفكر في الأمر».

«غلف نفسك بهذا الخواء طيلة الوقت يا (راند ألثور) وستتعلم استخدامات لم تكن تتخيلها قط».

«قلت سأفكر في الأمر». فتحت فمها لتحدث مرة أخرى ولكنه قاطعها قائلاً: «أنتِ تعرفين كل هذه الأشياء، عن الخواء... (الوحدة) كما تسميها... عن هذا العالم. (لويال) يقرأ الكتب طيلة الوقت، لقد قرأ كتباً أكثر مما رأيت في حياتي، ولم يرَ أي شيء يتحدث عن (الأحجار) سوى جزء صغير من كتاب».

نصبت (سيلين) قامتها في سرجها وفجأة ذكرته (بمويرين) والملكة (مورجيز) عندما تكونان غاضبتين.

قالت باقتضاب: «هناك كتاب قد كُتب عن هذه العوالم، اسمه (مرايا العجلة)، إن (الآلاتين) لم يقرأ كل الكتب الموجودة كما ترى».

«ما هذا (الآلاتين) الذي تنادينه به؟ أنا لم أسمع قط...».

قالت (سيلين) وهي تشير إلى الجبال الواقعة شرق طريقهم: «إن (حجر البوابة) الذي استيقظت بجانبه هناك». وجد (راند) نفسه يتوق إلى دفئها وابتسامتها مرة أخرى. «إن أخذتني إلى هناك فيمكنك أن تعيدني إلى الديار كما وعدت. يمكننا أن نصل إليه في غضون ساعة».

بالكاد نظر (راند) إلى حيث تشير. إن استخدام (الحجر) - (حجر البوابة) كما أسمته - يعني استخدام (القوة الواحدة). إن كان يريد أن يعيدها إلى العالم الحقيقي. «كيف هو الأثر يا (هورين)؟».

«أكثر خفوتًا عن ذي قبل يا لورد (راند)، ولكنه لا يزال موجودًا». ابتسم المتشمم ابتسامة سريعة وأومأ برأسه إلى (سيلين). «أعتقد أنه قد بدأ يتجه غربًا، توجد بعض الممرات الأيسر هناك، ناحية طرف (الخنجر)، كما أتذكر من المرة التي ذهبت فيها إلى (كايرين)».

تنهد (راند). لا شك أن (فاين) أو أحد أصدقاء الظلام التابعين له يعرف طريقة لاستخدام (الأحجار)، من المستحيل أن يتمكن أحد أصدقاء الظلام من استخدام (القوة الواحدة). «يجب أن أتبع (البوق) يا (سيلين)».

«كيف تعرف حتى أن (بوقك) العزيز موجود في هذا العالم؟ تعالَ معي يا (راند)، أعدك أنك ستجد أسطورتك. تعالَ معي».

قال في غضب: «يمكنك أن تستخدم (الحجر)، (حجر البوابة) هذا، بنفسك». قبل أن تخرج الكلمات من فمه أراد استعادتها. لم تواصل الحديث عن الأساطير؟ في عناد أجبر نفسه على مواصلة الحديث. «إن (حجر البوابة) لم يجلبك إلى هنا بنفسه، أنت من فعلت هذا يا (سيلين). إن كنت قد جعلت الحجر يجلبك إلى هنا فيمكنك أن تجعله يعيدك. سأخذك إليه، ولكن بعدها يجب أن أسعى وراء (البوق)».

«أنا لا أعرف شيئًا عن استخدام (أحجار البوابة) يا (راند)، إن كنت قد فعلت شيئًا فأنا لا أعرف ما هو». تفحصها (راند)، كانت تجلس في سرجها مستقيمة الظهر وطويلة، وتبدو ملكية كذي قبل. ولكن بشكل ما أكثر رقة أيضًا، فخورة ولكن ضعيفة، وتحتاج إليه. كان قد خمن أنها بعمر (ناينيف) - أكبر منه ببضع سنوات - ولكنه أدرك أنه كان مخطئًا، إنها أكبر من العمر الذي تبدو عليه، وهي جميلة، وتحتاج إليه. ثم ومضت فكرة - مجرد فكرة - عن الخواء بعقله، وعن الضوء، (السايدين). لكي يستخدم (حجر البوابة) يجب عليه أن يغمس نفسه مرة أخرى في هذا الدنس.

قال: «ابقي معي يا (سيلين)، سنجد (البوق)، وخنجر (مات)، وبعدها سنجد طريقة للعودة. أعدك بهذا. فقط ابقي معي».

«أنت دومًا...». أخذت (سيلين) نفسًا عميقًا كأنها لتهدئ نفسها. «أنت دومًا ما تكون عنيدًا للغاية، حسنًا، يمكنني أن أعجب بالعناد في الرجل. إن الرجل الطيع لا يثير الإعجاب». احمر وجه (راند)، كان هذا يشبه إلى حد كبير الأشياء التي قد تقوها (إيجوين) أحيانًا، وقد وُعدا بالزواج منذ أن كانا طفلين. كانت الكلمات من (سيلين) ونظرتها المباشرة المصاحبة لها مثيرة للصدمة. التفت ليخبر (هورين) بملاحظة الأثر.

من ورائهما جاء صوت بعيد، أشبه بسعال متحشرج. قبل أن يستطيع (راند) أن يدير (ريد) لينظر تعالت صيحة أخرى أجابتها ثلاث صيحات. في البداية لم يستطع أن يميز شيئًا، حيث بدا أن الأرض تتمايل في عينيه، ثم رآهم من بين أجمات الأشجار المتفرقة على قمة أحد التلال؛ بدا أنهم خمسة أشكال، على مسافة نصف ميل فقط. ألف خطوة فقط على الأكثر، وهم يتقدمون في قفزات، كل قفزة تقطع ثلاثين قدمًا.

قالت (سيلين) بهدوء: «(جرولم)، قطع صغير ولكن يبدو أنهم قد التقطوا رائحتنا».

1 هاوكوينج: تعني جناح الصقر.

الفصل السابع عشر

الاختيارات

قال (راند): «سنركض هربًا. هل يمكنك تعقب الأثر بينما تركض بحصانك يا (هورين)؟».

«أجل يا لورد (راند)».

«إذن فلتمضِ قدمًا، نحن سوف...».

قالت (سيلين): «هذا لن يجدي نفعًا». كانت فرسها البيضاء هي الوحيدة من بين خيولهم التي لم تتراقص مع النباح الأجش القادم من (الجرولم). «إنهم لا يستسلمون مطلقًا، بمجرد أن يشتم (الجرولم) رائحتكم فإنهم يواصلون المطاردة ليلاً نهارًا، حتى ينالوا منكم. يجب أن تقتلوهم جميعًا أو أن تجدوا طريقة للذهاب إلى مكان آخر. يمكن أن يأخذنا (حجر البوابة) إلى مكان آخر يا (راند)».

«لا! يمكننا أن نقتلهم، يمكنني هذا، لقد قتلت واحدًا بالفعل، إنهم خمسة فحسب. إن استطعت فقط أن أجد...». تلفت حوله بحثًا عن البقعة التي يحتاج إليها حتى عثر عليها. «اتبعوني!». وكز (ريد) بكاحليه فانطلق راكضًا واثقًا أن الآخرين سيتبعونه قبل حتى أن يسمع حوافرهم.

كان المكان الذي اختاره تلاً مستديرًا منخفضًا خاليًا من الأشجار. لا شيء يمكن أن يقترب دون أن يراه. قفز من سرجه ونزع قوسه الطويل. ترجل (لويال) و(هورين) بدورهما وانضبا إليه، ورفع (الأوجير) عصاه القتالية الضخمة بينما أمسك المتشمم بسيفه القصير في قبضته. لن تكون للعصا القتالية أو السيف فائدة كبيرة إن اقترب (الجرولم) منهم. لن أسمح لهم بالاقتراب.

قالت (سيلين): «هذه المخاطرة ليست ضرورية». بالكاد نظرت ناحية (الجرولم) وهي منحنية من سرجهها لترتكز على (راند). «يمكننا بسهولة أن نسبقهم ونصل إلى (حجر البوابة)».

«سوف أوقفهم». في عجالة راح (راند) يحصي السهام المتبقية في جعبته؛ ثمانية عشر، وكل واحد بطول ذراعه. عشرة منها برؤوس مثل الأزاميل، مصممة لاختراق الدروع (الترولوكية). ستفي بالغرض مع (الجرولم) كما هو الحال مع (الترولوكيين). غرس أربعة منها منتصبه في الأرض أمامه، ووضع خامسًا في قوسه. «(لويال)، (هورين)، لا يمكنكما أن تفعلًا شيئًا ذا فائدة هنا، فليمتط كل منكما حصانه، وكونا مستعدين لأخذ (سيلين) إلى (الحجر) إن استطاع أي منهم أن يقترب». تساءل إن كان سيستطيع قتل أحد هذه الأشياء بسيفه إن وصل الأمر إلى هذا الحد. أنت مجنون! حتى (القوة الواحدة) ليست بهذا السوء.

قال (لويال) شيئًا ما، ولكنه لم يسمعه، كان يبحث عن الخواء بالفعل، هربًا من أفكاره بقدر ما يبحث عن حاجته. أنت تعرف ما ينتظرك. ولكنني بهذه الطريقة لست مضطرًا للمس. كان الوهج هناك، الضوء خارج نطاق الرؤية، بدا أنه يتدفق ناحيته، ولكن الفراغ كان كل شيء. كانت الأفكار تنزلق على سطح الخواء، مرئية في

الضوء المدنس؛ (السايدين)، (القوة الواحدة)، الجنون، الموت. أفكار غير ضرورية. كان واحدًا مع القوس، مع السهم، مع الأشياء التي تعلو المرتفع التالي.

جاء (الجرولم) متجاوزين أحدهم الآخر في قفزاتهم؛ خمسة أشكال جلدية ضخمة، بثلاث أعين، فاعرة أفواهاً كالمناكير. كانت صيحاتهم الحلقية ترتد من على الخواء، بالكاد مسموعة.

لم يكن (راند) مدرّكاً لرفع قوسه أو جذب السهم على وجنته حتى أذنه. كان واحدًا مع الوحوش، واحدًا مع العين المركزية لأولهم. ثم انطلق السهم. مات أول (جرولم). قفز أحد رفاقه عليه بينما يسقط، ومنقاره يمزق قطع اللحم. زجر في وجه الآخرين فداروا بعيداً عنه. ولكنهم تقدموا فترك وجبته وكأنه مجبر وقفز وراءهم، وفمه الشبيه بالمنقار دام بالفعل.

عمل (راند) بسلاسة ودون وعي؛ يجذب سهمًا ويطلقه، يجذب سهمًا ويطلقه.

ترك السهم الخامس قوسه، فخفضه وهو لا يزال عميقاً في الخواء. بينما (الجرولم) الرابع يسقط كدمية ضخمة قد قُطعت خيوطها. رغم أن السهم الأخير لا يزال يخلق فإنه بطريقة ما عرف أنه لن يحتاج إلى ضربة أخرى. انهار آخر الوحوش كأن عظامه قد ذابت، وبرز السهم من عينه المركزية. دوّمَا العين المركزية.

قال (هورين): «هذا مذهل يا لورد (راند)، أنا... لم أر من قبل تصويباً كهذا».

تشبث الخواء (براند)، ناداه الضوء، و... مديده... ناحيته. أحاط به، وملاؤه. ض

«لورد (راند)؟». لمس (هورين) ذراعه، فجفل (راند)، وامتلاً الفراغ بها كان من حوله. «هل أنت بخير يا

سيدي؟».

مسح (راند) جبهته بأنامله، كانت جافة، شعر كما لو أنها يجب أن تكون مغطاة بالعرق. «أنا... أنا بخير يا

(هورين)».

قالت (سيلين): «سمعت أن الأمر يزداد سهولة مع كل مرة تفعل فيها هذا، كلما عشت في (الوحدة) صارت أسهل».

نظر (راند) إليها وقال: «حسنًا، لن أحتاج إليها مرة أخرى لفترة من الوقت». ماذا حدث؟ لقد أردت أن...

أدرك في رعب أنه لا يزال يريد هذا، يريد أن يعود إلى الخواء، يريد أن يشعر بذلك الضوء يملأه من جديد.

لقد شعر كما لو أنه على قيد الحياة حقًا حينها، رغم الغثيان وكل شيء. والآن هو مجرد محاكاة. لا، بل أسوأ.

لقد كاد أن يكون حيًا، أن يعرف ما يعنيه أن يكون «حيًا». كل ما عليه فعله هو أن يمد يده إلى (السايدين)...

تمتم: «ليس مرة أخرى». حلق إلى (الجرولم) الميتين، خمسة أشكال وحشية هادمة على الأرض، لم تعد

خطيرة. «الآن يمكننا أن نمضي...».

صراخ متحشرج مألوف للغاية تردد من وراء (الجرولم) الميتين، من وراء التل التالي، وأجابته صرخات

مماثلة. سوف يأتي المزيد، من الشرق، ومن الغرب.

رفع (راند) قوسه.

سألته (سيلين): «كم تبقى معك من أسهم؟ هل يمكنك أن تقتل عشرين (جرولم)؟ ثلاثين؟ مئة؟ يجب أن نذهب إلى (حجر البوابة)».

قال (لويال) ببطء: «إنها محقة يا (راند)، لم يعد لديك خيار». كان (هورين) ينظر إلى (راند) بترقب قلق. تعالت صيحات (الجرولم)، مجموعة من الصرخات المتداخلة. وافق (راند) على مضمض: «إلى (الحجر)». قفز إلى سرجه في غضب وهو يعلق قوسه على ظهره. «خذينا إلى (الحجر) يا (سيلين)».

أومأت برأسها ثم استدارت بفرسها ووكزتها بكاحليها لتدفعها إلى الركض. تبعها (راند) والآخرون. هما في لهفة، وهو في إحجام. لاحقتهم صيحات (الجرولم)، بدا أن هناك المئات منهم، وبدا كما لو أن (الجرولم) يحيطون بهم في نصف دائرة، تنغلق عليهم من كل الاتجاهات عدا من أمامهم. بسرعة وثبات اقتادتهم (سيلين) عبر التلال. ارتفعت الأرض في بداية الجبال، وكانت شديدة الانحدار، فاضطرت الخيول إلى التسلق فوق التتواءات الصخرية الباهتة، والشجيرات المتفرقة الشاحبة. صار الطريق أكثر صعوبة، والأرض تميل أكثر وأكثر لأعلى.

في المرة الخامسة التي انزلق فيها (ريد) إلى الوراء في وابل من الأحجار قال (راند) لنفسه: لن ننجح. ألقى (لويال) بعضه القتالية، لن تكون ذات فائدة ضد (الجرولم)، ولا تفعل شيئاً سوى إبطائه. لقد ترجل (الأوجير) عن حصانه، واستخدم يداً لرفع نفسه، واليد الأخرى لسحب حصانه الطويل من ورائه. كان الحصان ذو القوائم المشعرة يتقدم بصعوبة، ولكن صار الأمر أسهل مما كان عليه مع وجود (لويال) على ظهره. نبج (الجرولم) من ورائهم، لقد اقتربوا أكثر.

جذبت (سيلين) لجامها وأشارت إلى تجويف يقع تحتهم في الجرائيت. كان كل شيء هناك، درجات السلم السبع العريضة الملونة حول أرضية شاحبة، والعمود الحجري الطويل في المنتصف. ترجلت عن فرسها واقتادتها إلى الغور، هابطة الدرجات نحو العمود. كان سامقاً من فوقها. التفتت لتنظر وراءها ناحية (راند) والآخرين. أطلق (الجرولم) صرخاتهم الحلقية، العشرات منها، بصوت عالٍ. لقد اقتربوا. قالت: «سيصلون إلينا قريباً، يجب أن تستخدم (الحجر) يا (راند)، وإلا سيكون عليك أن تجد طريقة لقتل (الجرولم)».

تنهد (راند) وهو يترجل عن سرجه ويقتاد (ريد) إلى الغور. تبعه (لويال) و(هورين) على عجالة. حلق إلى العمود المغطى بالرموز - (حجر البوابة) - في توتر. لا شك أنها قادرة على التسخير، حتى لو لم تكن تعرف هذا، وإلا ما كانت لتقدر على جلب نفسها إلى هنا. (القوة الواحدة) لا تؤذي النساء. قال: «إن كان هذا قد جلبك إلى هنا...».

قاطعته قائلة في حزم: «أنا أعرف ماذا يكون، ولكنني لا أعرف كيفية استخدامه. يجب عليك أن تفعل ما يتوجب فعله». مررت إصبعها على رمز أكبر بعض الشيء من الرموز الأخرى، مثلث يستقر على نقطته

داخل دائرة. «هذا يرمز إلى العالم الحقيقي، عالمنا. أعتقد أنه سيساعدنا إن تشبثت به في عقلك بينما أنت...». بسطت يديها كما لو أنها غير واثقة بالضبط مما يفترض به فعله.

قال (هورين) في توجس: «آه... سيدي؟ ليس هناك الكثير من الوقت». نظر وراءه إلى حافة الغور. صار النباح أعلى. «هذه الأشياء ستصل إلى هنا في غضون دقائق». أوماً (لويال) برأسه.

أخذ (راند) نفساً عميقاً، ثم وضع يده على الرمز الذي أشارت إليه (سيلين). نظر إليها ليرى إن كان يفعل الأمر بشكل صحيح، ولكنها اكتفت بالمراقبة. دون حتى أدنى تقطعية قلق على جبينها الأبيض. إنها واثقة من قدرتك على إنقاذها. يجب عليك أن تنقذها. ملأت روائحها أنفه.

«آه... سيدي؟».

ازدرد (راند) لعابه وبحث عن الخواء، لقد جاء بسهولة، ليغلفه دون مجهود. الفراغ إلا من الضوء، الذي ينبض بطريقة جعلت معدته تنقلب، الفراغ باستثناء (السايدين). ولكن حتى هذا الإحساس بالغثيان كان بعيداً. صار واحداً مع (حجر البوابة). أحس أن العمود أملس وزيتياً بعض الشيء تحت يده، ولكن رمز المثلث والدائرة بدا دافئاً تحت الوسم على راحة يده. يجب عليّ أن أعيدهم إلى الأمان، يجب عليّ أن أعيدهم إلى الديار. انجرف الضوء ناحيته، وبدا أنه يحيط به، وهو... قد... عانقه.

ملأه الضوء، ملأته الحرارة، كان قادراً على رؤية (الحجر)، رؤية الآخرين يراقبونه - (لويال) و(هورين) في قلق، و(سيلين) لا يظهر عليها أدنى شك في قدرته على إنقاذهم - ولكنه أحس في الوقت ذاته كما لو أنهم ليسوا هناك، كان الضوء هو كل شيء، الحرارة والضوء، يغمران أطرافه كالماء الذي يغوص في رمال جافة، ويملأه. احترق الرمز على جلده، حاول أن يمتص كل شيء، كل الحرارة وكل الضوء، كل شيء. الرمز...

فجأة ومض العالم كأن الشمس قد غابت لغمضة عين، ومن جديد صار الرمز جمرة تنبض بالحياة تحت يده. امتص الضوء. ومض العالم، ومض مرة أخرى. جعله هذا يشعر بالغثيان، ذلك الضوء، إنه أشبه بالماء لرجل يموت عطشاً. وميض، امتصه، جعله يرغب في أن يتقيأ، أرادته كله. وميض. رمز المثلث والدائرة يحرقه، يمكنه أن يشعر به يحرق يده، وميض. أرادته كله! يصرخ. يعوي من الألم، يعوي ويريد المزيد.

وميض... وميض... وميض وميض وميض.

يدان تجذبانها. كان مدرگاً لهما بشكل مبهم فحسب. ترنح إلى الوراء، كان الخواء ينزلق بعيداً، الضوء والغثيان الذي اعتصره. الضوء، راقبه يذهب في أسى. بحق (النور)، من الجنون أن أرغب فيه. ولكني كنت ممتلئاً للغاية به! كنت... حذق إلى (سيلين) في دوار، كانت هي من يُمسك بكتفيه، وتحذق إلى عينيه بتعجب. رفع يده أمام وجهه، كان وشم البلشون هناك، ولكن لا شيء آخر، لا يوجد رمز مثلث ودائرة محترق في لحمه.

قالت (سيلين) ببطء: «هذا مدهش». نظرت إلى (لويال) و(هورين)، بدا (الأوجير) مذهولاً، وعيناه متسعتان للغاية، بينما المتشمم يجلس القرفصاء وإحدى يديه على الأرض، كما لو أنه غير واثق من قدرته على دعم نفسه بطريقة أخرى. «نحن جميعاً هنا، وجميع خيولنا، وأنت لا تعرف حتى ما فعلته. هذا مدهش».

قال (راند) بصوت مبحوح: «هل نحن...؟». اضطر للتوقف لكي يزدرد لعابه.

قالت (سيلين): «انظر حولك، لقد أعدتنا إلى الديار». ثم ضحكت فجأة. «لقد أعدتنا جميعًا إلى الديار».

للمرة الأولى يصير (راند) مدرّكًا لما يحيط به من جديد. كان الغور المحيط بهم دون أي درجات، رغم أن قطع حجارة ملساء ملقاة هنا وهناك بشكل مثير للريبة، حمراء أو زرقاء. العمود مستلقيًا على جانب الجبل، نصف مدفون في صخور متساقطة، كانت الرموز غير واضحة هنا، فقد أثرت فيها عوامل التعرية من رياح وماء لوقت طويل. وكل شيء آخر بدا حقيقيًا، الألوان واضحة، والجرانيت بلون رمادي واضح، والشجيرات خضراء وبنية. بعد ذلك المكان الآخر بدا كل شيء زاهيًا للغاية.

قال (راند) في دهشة: «الديار». وبعدها راح يضحك بدوره. «لقد عدنا إلى الديار». بدت ضحكة (لويال) وكأنها خوار ثور، وراح (هورين) يرقص بمرح.

قالت (سيلين) وهي تميل مقتربة منه حتى ملأ وجهها عيني (راند): «لقد فعلتها، كنت أعرف أنك قادر على هذا».

تلاشت ضحكة (راند) ثم قال: «أنا... أفترض أنني قد فعلتها». نظر إلى (حجر البوابة) الساقط ثم ضحك ضحكة ضعيفة بصعوبة قبل أن يقول: «ولكنني أتمنى أن أعرف ما الذي فعلته».

نظرت (سيلين) عميقًا في عينيه ثم قالت برقة: «ربما ستعرف يومًا ما. هناك أشياء عظيمة مقدرة لك بالتأكيد».

بدت عيناها داكنتين وعميقتين كالليل، وناعمتين كالمخمل، وفمها... إن قبلتها... رمش بعينه، ثم خطا على الفور إلى الوراء وهو يتنحج.

«أرجوك لا تخبري أي شخص عن هذا يا (سيلين)، عن (حجر البوابة) وعني. أنا لا أفهم الأمر، ولن يفهمه أي شخص آخر. أنتِ تعرفين كيف يتعامل الناس مع الأشياء التي لا يفهمونها».

لم يبدُ على وجهها أي تعبير على الإطلاق. فجأة تمنى بشدة لو أن (مات) و(بيرين) معه. يعرف (بيرين) كيف يتحدث مع الفتيات، ويستطيع (مات) أن يكذب دون أن يطرف له جفن. لا يمكنه أن يفعل هذا أو ذاك بشكل جيد.

فجأة ابتسمت (سيلين) وانحنت في انحناء شبه مازحة وقالت: «سأحتفظ بسرك يا سيدي اللورد (راند ألتور)».

نظر (راند) إليها ثم تنحج مرة أخرى. هل هي غاضبة مني؟ ستكون غاضبة بالتأكيد إن حاولت تقبيلها، أعتقد هذا. تمنى لو أنها لم تنظر إليه بهذه الطريقة، كما لو أنها تعرف ما يفكر فيه. «هل هناك احتمال أن أصدقاء الظلام قد استخدموا هذا (الحجر) قبلنا يا (هورين)؟».

هز المتشمم رأسه في أسى وقال: «لقد كانوا يتجهون غربًا يا لورد (راند)، ما لم تكن (أحجار البوابة) هذه أكثر شيوعًا مما رأيت، فسأقول إنهم لا يزالون في ذلك العالم الآخر. ولكن لن يستغرق الأمر مني أكثر من

ساعة للتحقق. الأرض هي نفسها هنا وهناك. يمكنني أن أجد هنا المكان الذي فقدت فيه أثرهم هناك، إن فهمت ما أعنيه، وأعرف إذا ما كانوا قد مروا من هناك بالفعل».

نظر (راند) إلى السماء، كانت الشمس - شمس رائعة ساطعة وليست شاحبة على الإطلاق - منخفضة ناحية الغرب، وتمتد ظلها عبر الغور. إن الشفق سيحل بشكل كامل بعد ساعة أخرى. قال: «في الصباح، ولكنني أخشى أننا قد فقدنا أثرهم». لا يمكننا أن نفقد ذلك الخنجر! لا يمكننا هذا! «إن كان الأمر هكذا فسنأخذك إلى بيتك في الصباح يا (سيلين). هل هو في مدينة (كايرين) نفسها أم...؟».

قالت (سيلين) ببطء: «ربما لم تفقد (بوق قالير) بعد، فأنا أعرف بعض الأشياء عن تلك العوالم كما تعرف».

قال (لويال): «(مرايا العجلة)».

نظرت إليه ثم أومأت برأسها وقالت: «أجل، بالضبط، هذه العوالم مرايا حقًا بطريقة ما، وخصوصًا تلك العوالم التي لا يوجد بها أناس، بعضها لا يعكس إلا الأحداث العظيمة في العالم الحقيقي، ولكن بعضها يكون به ظل لهذا الانعكاس قبل حتى وقوع الحدث. إن الطريق إلى (بوق قالير) سيكون حقًا حدثًا عظيمًا. إن انعكاسات ما سيحدث تكون أكثر خفوتًا من انعكاسات ما يحدث أو ما حدث، تمامًا كما قال (هورين) إن الأثر الذي يتبعه كان خافتًا».

رمش (هورين) بعينه في عدم تصديق وقال: «هل تقصدين يا سيدتي أنني كنت أشم رائحة المكان الذي سيكون فيه أصدقاء الظلام؟ لا يعجبني هذا بحق (النور)، من السيئ بما يكفي اشتتام موضع العنف دون اشتتام أين سيكون أيضًا. من المستحيل أن يكون هناك بقع عديدة لا يوجد فيها عنف من نوع ما في وقت ما. هذا من شأنه أن يصيبني بالجنون على الأرجح. هذا المكان الذي غادرناه للتو كاد أن يفعل هذا. يمكنني اشتتام رائحة القتل والإيذاء هناك طيلة الوقت، وأبشع الشرور التي يمكنك تخيلها. يمكنني حتى أن أشتم الرائحة عالقة بنا جميعًا، حتى أنت يا سيدتي، إن كنت ستغفرين لي قولي هذا. لقد كان هذا المكان يشوشني تمامًا كما قد شوش أعينكم». هز رأسه وقال: «أنا مسرور لأننا خرجنا من هناك. ما زلت لا أستطيع أن أخرج الرائحة من أنفي تمامًا».

في شروود فرك (راند) الوسم على راحة يده وقال: «ما رأيك يا (لويال)؟ هل يُعقل حقًا أننا نسبق (فاين) وأصدقاء الظلام؟».

هز (الأوجير) كتفيه، ثم عقد حاجبيه وقال: «لا أعرف يا (راند)، لا أعرف أي شيء من هذا، أعتقد أننا قد عدنا إلى عالمنا، أعتقد أننا في (خنجر قاتل أهله). أما أي شيء عدا هذا...». هز كتفيه مرة أخرى.

قال (راند): «يجب أن أعيدك إلى الديار يا (سيلين)، لا شك أن أهلك قلقون عليك».

قالت في نفاذ صبر: «بضعة أيام أخرى ستثبت أنني على حق. إن (هورين) قادر على إيجاد المكان الذي فقد فيه الأثر كما قال. يمكننا أن نراقب هذا المكان. لن يمضي وقت طويل قبل أن يصل (بوق قالير) إلى هنا،

(بوق فالير) يا (راند)، فكر في الأمر، الرجل الذي ينفخ في البوق سيعيش في أسطورة إلى الأبد». قال بحدة: «لا أريد أي شيء له علاقة بالأساطير». ولكن إن نجح أصدقاء الظلام في تجاوزك... ماذا لو فقد (إنجتار) أثرهم؟ حينها سيكون لدى أصدقاء الظلام (بوق فالير) إلى الأبد، و(مات) سيموت. «حسنًا، بضعة أيام أخرى. في أسوأ الأحوال سنلتقي (إنجتار) والآخرين على الأرجح. لا أستطيع أن أتخيل أنهم سيتوقفون أو سيعودون إلى الوراء فقط لأننا... اختفينا».

قالت (سيلين): «قرار حكيم يا (راند)، ومدرّوس جيداً». لمست ذراعه وابتسمت، فوجد نفسه يفكر مرة أخرى في تقبيلها.

«آه... يجب أن نقرب من الموضع الذي سيأتون منه، هذا إن أتوا. هل يمكنك أن تجد لنا مخيماً قبل الظلام يا (هورين)؟ مكاناً ما يمكننا أن نراقب منه الموضع الذي فقدت فيه الأثر؟». نظر إلى (حجر البوابة) كما لو أنه ينفر من فكرة النوم بالقرب منه، وقد فكر في الطريقة التي تسلل بها الخواء إليه أثناء نومه في المرة السابقة، والضوء في الخواء. «مكاناً ما بعيداً عن هنا».

«اترك هذا الأمر لي يا لورد (راند)». أسرع المتشمم إلى سرجه. «أقسم أنني لن أنام مرة أخرى قبل أن أرى أولاً نوع (الحجر) الموجود بالقرب منا».

بينما (راند) يخرج من الغور على صهوة (ريد) وجد نفسه يراقب (سيلين) أكثر مما يراقب (هورين)، لقد بدت هادئة للغاية ورابطة الجأش. ليست أكبر منه، ومع ذلك تبدو ملكة، ولكن عندما تبتسم له كما ابتسمت حينها... لم تكن (إيجوين) لتقول إنه حكيم، كانت (إيجوين) ستصفه بالعنيد. في انزعاج وكز جانبي (ريد) بكاحليه.

الفصل الثامن عشر

إلى البرج الأبيض

توازنت (إيجوين) على سطح سفينة (ملكة النهر) التي تسرع عبر (نهر إيرينين) الواسع تحت سماء ملبدة بالغيوم، والأشرعة منتفخة بينما راية (الشعلة البيضاء) تحفق بعنف في الصاري الرئيسي. لقد هبت الرياح بمجرد أن اعتلى آخرهم سطح السفينة في (ميدو)، ولم تهدأ الرياح لحظة واحدة منذ ذلك الحين ليلاً أو نهاراً. كان النهر قد بدأ يتدفق في فيضان، ولا يزال يفعل، فيصنع السفينة وهو يدفعها إلى الأمام. لم تبطئ الرياح أو النهر، أو أي من السفن المحتشدة معاً، تتقدمهم (ملكة النهر)، وهو اسم يليق بالسفينة التي تحمل (عرش أميرلين).

كان قائد الدفة يمسك بذراع الدفة متجهماً، وقد ثبت قدميه وباعد فيما بينهما، بينما البحارة يتحركون حفاة لتأدية عملهم، وقد انصب تركيزهم على ما يفعلونه، وعندما ينظرون إلى السماء والنهر كانوا يعدون أعينهم بتمتمات خفيفة. كان هناك قرية تتلاشى عن الأنظار من ورائهم، وصبي يركض على طول الضفة وقد جرى السفن لمسافة قصيرة، ولكنهم في هذه اللحظة يتركونه وراءهم. عندما اختفى شقت (إيجوين) طريقها للأسفل.

في المقصورة الصغيرة التي تشاركها مع (ناينيف) حدثت الأخيرة إليها من سريرها الضيق. «يقولون إننا سنصل إلى (تار فالون) اليوم. بحق (النور) سأكون مسرورة لوضع قدمي على الأرض مرة أخرى حتى لو كان هذا في (تار فالون)». ترنحت السفينة بفعل الرياح والتيار فازدردت (ناينيف) لعبائها. قالت بأنفاس لاهثة: «لن أصعد على متن سفينة مرة أخرى أبداً».

نفضت (إيجوين) رذاذ النهر عن عباءتها، ثم علقتها على مشجب بجانب الباب. لم تكن مقصورة كبيرة، ولم يكن هناك مقصورات كبيرة على متن السفينة كما يبدو، ولا حتى تلك التي استولت عليها (الأميرلين) من القبطان، رغم أن هذه كانت أكبر من البقية. كان كل شيء في متناول اليد، مع وجود سريرين مثبتين إلى الجدران، وأرفف تحتها وخزائن فوقها.

لم تزعجها حركات السفينة - باستثناء محاولة الحفاظ على توازنها - كما أزعجت (ناينيف)، وقد تخلت عن تقديم الطعام إلى (ناينيف) بعد المرة الثالثة التي ألقت فيها الحكمة بالطبق ناحيتها. قالت: «أنا قلقة بشأن (راند)».

أجابتها (ناينيف) بوجوم: «أنا قلقة بشأنهم جميعاً». بعد لحظة قالت: «هل راودك حلم آخر الليلة الماضية؟ الطريقة التي تحديق بها إلى اللاشيء منذ أن استيقظت...».

أومأت (إيجوين) برأسها. لم تكن بارعة في إخفاء الأمور عن (ناينيف)، ولم تحاول أن تخفي عنها أحلامها. لقد حاولت (ناينيف) أن تعطيها علاجاً في البداية، حتى سمعت أن واحدة من (الآيز سيدي) مهمة

بالأمر، وحينها بدأت تصدق. «كان كالأحلام الأخرى، مختلفًا ولكنه الشيء ذاته؛ (راند) في خطر من نوع ما، أنا أعرف هذا، والأمر يزداد سوءًا، لقد فعل شيئًا، أو سيفعل شيئًا، يضعه في...». جلست على الفراش وانحنت ناحية المرأة الأخرى. «أتمنى فقط لو أن باستطاعتي تفسير الأمر».

قالت (ناينيث) بصوت خافت: «التسخير؟».

رغمًا عنها تلفتت (إيجوين) لترى إن كان هناك من يمكنه استراق السمع، كانتا وحدهما والباب مغلق، ولكنها تحدثت بصوت خافت بدورها: «لا أعرف، ربما». لا أحد يمكنه أن يعرف ما يمكن أن تفعله (الآيز سيداي). لقد رأت ما يكفي لجعلها تصدق كل حكاية عن قوتهم، ولن تخاطر بأن يكون هناك من يسترق السمع. لن أخاطر (براند). ربما يكون الصواب أن أخبرهن، ولكن (مويرين) تعرف ولم تقل أي شيء، وهذا (راند)! لا أستطيع. «لا أعرف ما يجب فعله».

«هل قالت (آنايا) أي شيء آخر عن هذه الأحلام؟». بدت (ناينيث) حريصة على ألا تضيف كلمة سيداي الشرفية أبدًا حتى عندما تكونان وحدهما. لم يبدو أن معظم (الآيز سيداي) يبالين بالأمر، ولكن هذه العادة قد أكسبتها عددًا من النظرات الغريبة، وبعض النظرات الصارمة. إنها ستتدرب في (البرج الأبيض) على كل حال.

قالت (إيجوين) مقتبسة ما قالته (آنايا): «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، الفتى بعيد يا طفلي، وليس هناك ما يمكننا فعله حتى نعرف المزيد. سأختبرك بنفسك بمجرد أن نصل إلى (البرج الأبيض) يا طفلي». ثم قالت: «آه! إنها تعرف أن هناك شيئًا في تلك الأحلام، أنا أعرف هذا. تعجبني هذه المرأة يا (ناينيث) حقًا، ولكنها لم تخبرني بما أريد أن أعرفه، ولا يمكنني أن أخبرها بكل شيء. ربما إن استطعت...».

«الرجل ذو القناع مرة أخرى؟».

أومأت (إيجوين) برأسها، بطريقة ما كانت متيقنة أنه من الأفضل ألا تخبر (آنايا) بشأنه، لم تستطع أن تتخيل السبب، ولكنها كانت متيقنة. لقد ظهر هذا الرجل ذو العينين الناريين في أحلامها ثلاث مرات منذ أن حلمت حلمًا أقنعها أن (راند) في خطر. دومًا ما يرتدي قناعًا على وجهه، وأحيانًا تستطيع أن ترى عينيه وأحيانًا لا يمكنها أن ترى إلا نيرانًا في موضعهما. «لقد ضحك ساخرًا مني، كما أنه كان... مزدريًا، كما لو أنني جرو يريد أن يدفعه بعيدًا عن طريقه بقدمه. الأمر يخيفني. هو يخيفني».

«هل أنت واثقة من أن الأمر له علاقة بالأحلام الأخرى المتعلقة (براند)؟ أحيانًا يكون الحلم مجرد حلم».

لوحث (إيجوين) بيديها وقالت: «وأحيانًا يا (ناينيث) تبدين كما لو أنك مثل (آنايا سيداي) بالضبط!».

لقد أكدت بشكل خاص على اللقب، وكانت مسرورة لرؤية (ناينيث) تتجهم.

«إن استطعت أن أنهض من هذا السرير يا (إيجوين) فسوف...».

تعالى صوت طرقات على الباب قاطع ما كانت (ناينيث) على وشك قوله. قبل أن تتكلم (إيجوين) أو تتحرك دخلت (الأميرلين) بنفسها وأغلقت الباب وراءها. العجيب أنها كانت وحدها، فنادرًا ما تغادر

مقصورتها، ودومًا ما تكون بصحبة (لياني) أو واحدة أخرى من (الآيز سيداي).

اعتدلت (إيجوين) واقفة على الفور. صارت المقصورة مزدحمة بعض الشيء مع وجود ثلاثتهن بداخلها. قالت (الأميرلين) بمرح: «هل كلتاكما على ما يرام؟». ثم أمالت رأسها ناحية (ناينيث) وقالت: «آمل أنك تأكلين جيدًا أيضًا، وأنت في حالة مزاجية جيدة». بذلت (ناينيث) مجهودًا لكي تجلس متكئة بظهرها إلى الحائط، ثم قالت: «حالي المزاجية لا بأس بها، شكرًا لك».

قالت (إيجوين): «أنت تشرفيننا أيتها الأم». ولكن (الأميرلين) لوحت بيدها لإسكاتها. «من الجيد أن نكون في الماء مرة أخرى، ولكن الأمر يصبح مملاً كبركة في مزرعة بعد مرور وقت بلا شيء لنفعه». مالت السفينة فتحركت قليلًا لتحافظ على توازنها دون أن يبدو عليها أنها قد لاحظت هذا. «أنا من سأعلمكما درس اليوم». جلست على طرف سرير (إيجوين) وهي تطوي قدميها تحتها، ثم قالت: «اجلسي يا طفلي».

جلست (إيجوين) ولكن (ناينيث) بدأت تحاول دفع نفسها للوقوف على قدميها وهي تقول: «أعتقد أنني سأصعد إلى سطح السفينة».

«قلت اجلسي!». كان صوت (الأميرلين) كفرقة السوط، ولكن (ناينيث) واصلت النهوض مترنحة. كانت لا تزال تضع كلتا يديها على الفراش، ولكنها كادت أن تنصب قامتها. تأهبت (إيجوين) للإمسك بها في حال أن سقطت.

أغلقت (ناينيث) عينيها وهي تخفض نفسها ببطء لتجلس من جديد على الفراش. «أعتقد أنني سوف أبقى، لا شك أن الرياح شديدة بالأعلى».

ضحكت (الأميرلين) وقالت: «أخبروني أن لديك حالة مزاجية كطائر صيادٍ بشوكة في حلقه. تقول بعضهن يا طفلي إنه من الأفضل أن تكوني مبتدئة لبعض الوقت، بغض النظر عن عمرك، ولكني أقول إنه إن كنتِ تتمتعين بالقدرات التي سمعت عنها فأنت تستحقين أن تكوني واحدة من (المقبولات)». ضحكت مرة أخرى. «لطالما آمنتُ بإعطاء الناس ما يستحقون. أجل، أعتقد أنك ستتعلمين الكثير بمجرد أن تصلي إلى (البرج الأبيض)».

قالت (ناينيث) متذمرة: «أفضل أن يعلمني أحد (الحماة) كيف أستخدم سيفًا». ازدردت لعابها في تشنج ثم فتحت عينيها وقالت: «هناك شخص أود أن أستخدمه ضده». نظرت إليها (إيجوين) بحدة، هل تقصد (ناينيث) (الأميرلين) - وهو ما سيكون غبيًا وخطيرًا أيضًا - أم (لان)؟ كانت تحتد على (إيجوين) في كل مرة تذكر فيها (لان).

قالت (الأميرلين): «سيفًا؟ لم أعتقد يومًا أن السيوف ذات نفع كبير، حتى إن كنتِ تتمتعين بالمهارة يا طفلي فهناك دومًا رجال يتمتعون بنفس القوة وأكثر بكثير. ولكن إن أردت سيفًا...». ثم رفعت يدها،

فشهقت (إيجوين) وجحظت عينا (ناينيث)، كان هناك سيف في يدها، له نصل ومقبض بلون أبيض يميل للزرقة، وقد بدا بطريقة ما... باردًا. «مصنوع من الهواء يا طفلي، وباستخدام الهواء. إنه جيد كمعظم السيوف الفولاذية، بل أفضل من معظمها، ولكنه لا يزال غير ذي نفع كبير». تحول السيف إلى سكين تقشير، لم يكن هناك انكماش، بل فقط كان شيئًا ثم صار الآخر. «أما هذا فهو مفيد». تحول سكين التقشير إلى ضباب، ثم تلاشى الضباب. أعادت (الأميرلين) يدها الفارغة إلى حجرها. «ولكن كليهما يتطلب مجهودًا أكثر مما يستحق، من الأفضل ببساطة أن تحملي معك سكينًا جيدًا. يجب عليك أن تتعلمي متى تستخدمين قدراتك، كما تتعلمين كيف، ومتى يكون من الأفضل فعل الأشياء كما قد تفعلها أي امرأة أخرى. دعي الحداد يصنع سكاكين لتقطيع السمك. إن استخدمتِ (القوة الواحدة) كثيرًا وتساهل فقد تعجبك كثيرًا، وهذا مكن الخطر. سترغبين في المزيد منها، وعاجلاً أو آجلاً ستغامرين باعتراف أكثر مما يمكنك التعامل معه. وهذا يمكن أن يخنقك كشمعة ذائبة أو...».

قاطعتها (ناينيث) بصرامة قائلة: «إن كان يجب عليّ أن أتعلم كل هذا فمن الأفضل أن أتعلم شيئًا مفيدًا. كل هذا... هذا... اجعلي الهواء يتحرك يا (ناينيث)، أشعلي الشمعة يا (ناينيث)، والآن أطفئها، أشعلها مرة أخرى. هذا كله هراء!».

أغلقت (إيجوين) عينيها للحظة. أرجوك يا (ناينيث)، أرجوك تمالكي أعصابك. عضت على شفتها لتمنع نفسها من قولها بصوت عالٍ.

لاذت (الأميرلين) بالصمت للحظة ثم قالت أخيرًا: «شيئًا مفيدًا؟ تريدين سيفًا؟ فلنفترض أن رجلًا انقض عليّ بسيف، ما الذي يمكنني أن أفعله؟ فلتكوني متيقنة أنني سأفعل شيئًا مفيدًا. هذا على سبيل المثال».

للحظة خُيِّلَ (لإيجوين) أنها ترى توهجًا حول المرأة الجالسة على الطرف الآخر من سريرها، ثم بدا أن الهواء يزداد كثافة. لم يتغير شيء يمكن أن تراه (إيجوين)، ولكنها بالتأكيد أحست به. حاولت أن ترفع ذراعها ولكنها لم تتحرك قيد أنملة، كما لو أنها مدفونة حتى عنقها في هلام سميك. لم تستطع أن تحرك شيئًا باستثناء رأسها.

قالت (ناينيث) وهي تجز على أسنانها: «أطلقني سراحى!». برقت عيناها وراحت تحرك رأسها بعنف من جانب لآخر، ولكن بقية جسدها ظل جامدًا كالتمثال. أدركت (إيجوين) أنها لم تكن محتجزة وحدها. «أطلقني سراحى!».

«هذا شيء مفيد، ألا ترين هذا؟ ولم أستخدم شيئًا سوى الهواء». كانت (الأميرلين) تتحدث بلهجة ودية، كما لو أنهن يتبادلن الحديث بينما يتناولن الشاي. «رجل ضخم بعضلاته وسيفه، ولا يكون السيف مفيدًا أكثر من الشعر الموجود على صدره».

«قلت أطلقني سراحى!».

«وإن لم يعجبني مكانه فيمكنني أن أرفعه». صرخت (ناينيث) في شراسة بينما ترتفع ببطء وهي لا تزال في وضعية الجلوس، حتى كاد رأسها أن يلمس السقف. ابتسمت (الأميرلين) وقالت: «كثيراً ما تمنيت لو أن بمقدوري استخدام هذا للطيران. تقول السجلات إن (الآيز سيدي) كان بمقدورهم الطيران في (عصر الأساطير)، ولكن ليس واضحاً كيف تمكنوا من فعل هذا بالضبط. إلا أنه لم يكن بهذه الطريقة. يمكنك أن تمدي يديك وتحمل صندوقاً بمثل وزنك تقريباً. أنت تبدين قوية، ولكن إن أمسكت بنفسك فلن تتمكني من رفع نفسك مهما حاولت».

هزت (ناينيث) رأسها بعنف، ولكن لم تتحرك أي عضلة أخرى منها قيد أنملة. «فليحرقك (النور)، أطلقني سراحى!».

ازدردت (إيجوين) لعابها وهي تأمل ألا تُرفع بدورها.

واصلت (الأميرلين) حديثها: «إذن رجل ضخّم مشعر وما إلى ذلك، لا يمكنه أن يفعل بي شيئاً، بينما يمكنني أن أفعل به أي شيء على الإطلاق. وإن راودتني فكرة...». مالت إلى الأمام وهي تنظر إلى (ناينيث) بتركيز، وفجأة لم تعد ابتسامتها تبدو ودية للغاية. «... فيمكنني أن أقلبه رأساً على عقب، وأضربه بالعصا على مؤخرته...». فجأة اندفعت (الأميرلين) إلى الوراء بقوة شديدة حتى إن رأسها ارتطم بالجدار، وظلت هناك كأن شيئاً ما يضغط عليها.

حدقت (إيجوين) وهي تشعر أن حلقها جاف. هذا لا يحدث، مستحيل.

قالت (الأميرلين): «لقد كانوا محقين». بدا صوتها متعباً كما لو أنها تبذل مجهوداً للتنفس. «قالوا إنك تتعلمين بسرعة، وقالوا إن كل ما نحتاج إليه هو جعلك تفقدين أعصابك لنصل إلى جوهر ما يمكنك فعله». راحت تتنفس بمشقة. «هل نطلق سراح أحداً الآخر معاً يا طفلي؟».

راحت (ناينيث) تطفو في الهواء وعيناها متقدتان بينما تقول: «فلتطلقني سراحى الآن وإلا...». فجأة ظهرت الدهشة على وجهها ممتزجة بالإحساس بالخسارة، وراح فمها يتحرك في صمت.

اعتدلت (الأميرلين) في جلستها وهي تحرك كتفيها، ثم قالت: «أنت لا تعرفين كل شيء بعد، أليس كذلك يا طفلي؟ ولا حتى جزء من المئة من كل شيء. لم تعتقدي أنني أستطيع عزلك عن (المصدر الحقيقي). ما زلت قادرة على الإحساس به هناك، ولكن لا يمكنك لمسه أكثر من قدرة سمكة على لمس القمر. عندما تتعلمين بما يكفي لترتقي إلى مستوى الأختية الكاملة فلن تقدر امرأة على فعل هذا بك. كلما ازدادت قوتك احتاج الأمر لعدد أكبر من (الآيز سيدي) لعزلك رغماً عنك. هل تعتقدين الآن أنك ترغبين في التعلم؟». أطبقت (ناينيث) فمها وهي تحرق إلى عينيها بتجهم، فتنهدت (الأميرلين) وقالت: «لو كان لديك قدرات أقل بمقدار شعرة مما تملكين يا طفلي لأرسلتك إلى (سيدة المبتدئات) وأخبرتها أن تحتفظ بك لبقية حياتك، ولكنك ستحصلين على ما تستحقينه».

اتسعت عينا (ناينيث)، وبالكاد كان لديها وقت لتصرخ قبل أن تسقط وترتطم بالسرير بقوة. جفلت (إيجوين)، كانت المرتبة نحيفة والخشب من تحتها صلب. ظل وجه (ناينيث) متجمداً بينما تعدل من وضعية جلوسها قليلاً.

قالت (الأميرلين) بحزم: «والآن - ما لم تكوني راغبة في مزيد من الإيضاح - فلنبدأ درسك، أو بالأحرى فلنكمل درسك».

قالت (إيجوين) بضعف: «أيتها الأم؟». لا تزال غير قادرة على تحريك أي شيء تحت ذقنها. نظرت إليها (الأميرلين) في تساؤل، ثم ابتسمت وقالت: «أوه، المعذرة يا طفلي، أخشى أن صديقتك قد شغلت انتباهي». فجأة صارت (إيجوين) قادرة على الحركة مرة أخرى، رفعت ذراعيها فقط لتقنع نفسها أنها قادرة على هذا. «هل أنتما الاثنتان مستعدتان للتعلم؟».

قالت (إيجوين) على الفور: «أجل أيتها الأم».

نظرت (الأميرلين) إلى (ناينيث) وهي ترفع حاجباً.

بعد لحظة قالت (ناينيث) بصوت صارم: «أجل أيتها الأم».

تنفست (إيجوين) الصعداء.

«جيد. عليكما الآن إذن أن تفرغا أفكاركما من كل شيء عدا برعم زهرة».

كانت (إيجوين) تنصب عرقاً بحلول الوقت الذي غادرت فيه (الأميرلين). لقد اعتقدت أن بعض (الآيز سيداي) الأخريات كانوا معلمات صارمات، ولكن هذه المرأة ذات الوجه البسيط المبتسم قد استنفدت منها كل قطرة مجهود، وعندما يبدو أنه لا يتبقى شيء تمد يدها وتستخرج المزيد. ولكن الأمر سار على نحو جيد. بينما الباب ينغلق وراء (الأميرلين) رفعت (إيجوين) يدها فظهرت شعلة صغيرة نابضة بالحياة تعلو فوق سبابتها بمقدار شعرة، ثم تراقصت من أنملة إلى أخرى. لم يكن من المفترض أن تفعل هذا دون وجود معلمة - واحدة من (المقبولات) على الأقل - لتراقبها، ولكنها كانت متحمسة للغاية بسبب تقدمها حتى إنها لم تهتم بهذا.

قفزت (ناينيث) واقفة على قدميها، وألقت بوسادتها ناحية الباب المغلق. «تلك الشمطاء الدنيئة الحقيبة البائسة! فليحرقها (النور)! أود أن أطعمها للأسماك. أود أن أعطيها دواءً يجعلها خضراء ما تبقى من حياتها! لا أبالي إن كانت تبلغ من العمر ما يكفي لتكون أُمي، لو أنها في (إيموندز فيلد) فما كانت لتجلس مسترخية لكي...». جزت على أسنانها بصوت عالٍ حتى إن (إيجوين) جفلت.

تركت (إيجوين) اللهب يتلاشى، وصوبت عينيها بنبات تجاه حجرها. تمت لو أن باستطاعتها أن تفكر في طريقة للتسلل خارج المقصورة دون أن تشعر (ناينيث) بها.

لم يسر الدرس على نحو جيد بالنسبة (لناينيث)، لأنها كانت تبذل قصارى جهدها لتمالك أعصابها، حتى رحلت (الأميرلين). لم تتمكن قط من فعل أي شيء ما لم تكن غاضبة، وحينها ينفجر كل شيء منها. بعد

فشل تلو الآخر بذلت (الأميرلين) كل ما بوسعها لإثارة غضبها مرة أخرى. تمت (إيجوين) لو أن (ناينيف) قادرة على نسيان أنها كانت هنا لترى أو تسمع أي شيء من هذا.

مشّت (ناينيف) بتيس إلى سريرها ووقفت تحديق إلى الجدار وراءه وهي تضم قبضتها إلى جانبها. نظرت (إيجوين) باشتياق إلى الباب.

قالت (ناينيف): «لم يكن هذا خطأك». فجفلت (إيجوين).
«(ناينيف)، أنا...».

التفتت (ناينيف) لتنظر إليها وقالت مرة أخرى: «لم يكن هذا خطأك». بدت غير مقتنعة. «ولكن إن نطقت بكلمة واحدة فسوف... سوف...».

قالت (إيجوين) على الفور: «ولا كلمة واحدة، أنا لا أتذكر أي شيء لأنطق بكلمة عنه». حدقت إليها (ناينيف) للحظة أخرى، ثم أومأت برأسها. وفجأة تجهمت وقالت: «بحق (النور)، لم أعتقد أن هناك شيئاً مذاقه أسوأ من جذر نبتة لسان الغنم. سأذكر هذا في المرة التالية التي تتصرفين فيها بحماقة، لذا احترسي لنفسك».

تجهمت (إيجوين)، كان هذا أول شيء فعلته (الأميرلين) لمحاولة إثارة غضب (ناينيف)؛ ظهرت فجأة كرة سوداء من شيء يلعب كالدهن ورائحته كريهة، بينما (الأميرلين) تثبت (ناينيف) باستخدام (القوة الواحدة)، ثم دفعت بها إلى داخل فم الحكيمة وأمسكت بأنفها لتجبرها على ابتلاعها. و(ناينيف) تتذكر الأشياء إن رأت كيفية فعلها لمرة واحدة، ولم تعتقد أن هناك أي طريقة لمنعها إن فكرت في فعل هذا، فرغم نجاحها في صنع هب راقص فإنها لم تتمكن من تثبيت (الأميرلين) على الجدار. قالت: «على الأقل وجودك على متن السفينة لم يعد يجعلك تشعرين بالغثيان».

زفرت (ناينيف)، ثم ضحكت ضحكة قصيرة حادة وقالت: «أنا غاضبة للغاية على أن أشعر بالغثيان». ثم ضحكت ضحكة أخرى غير مرحة وهي تهز رأسها قبل أن تقول: «أنا بائسة للغاية على أن أشعر بالغثيان. بحق (النور)، أشعر وكأنني قد سُحبت للوراء من خلال فجوة في شجرة. إن كان هذا هو تدريب المبتدئات فسيكون لديك حافز للتعلم بسرعة».

نظرت (إيجوين) إلى ركبتيها عابسة، بالمقارنة مع (ناينيف) لم تفعل (الأميرلين) شيئاً سوى مدحها والابتسام لنجاحاتها والتعاطف مع إخفاقاتها، ثم مدحها مرة أخرى. ولكن كل (الآيز سيداي) قد قلن إن الأمور ستكون مختلفة في (البرج الأبيض)، ستكون أصعب، رغم أنهم لم يقلن كيف. إن كان عليها أن تمر بما قد مرت به (ناينيف) يوماً تلو الآخر فلا تعتقد أنها ستتحمل الأمر.

تغير شيء في حركة السفينة، خف التمايل وراحت الأقدام تضرب على سطح السفينة فوق رؤوسهم. صاح رجل بشيء لم تستطع (إيجوين) تمييزه.

نظرت إلى (ناينيف) وقالت: «هل تعتقدين... (تار فالون)؟».

أجابتها (ناينيث): «هناك طريقة واحدة للمعرفة». وفي حزم جذبت عباؤها من مشجبها. عندما وصلتا إلى السطح كان البحارة يركضون في كل اتجاه، فيجذبون الحبال ويرفعون الأشرعة، ويجهزون المجاديف الطويلة. لقد هدأت الرياح فصارت نسيماً، وبدأت الغيوم تنقشع. اندفعت (إيجوين) إلى سور السفينة وقالت: «إنها هي! إنها (تار قالون)!». انضمت إليها (ناينيث) بوجه خالٍ من التعبيرات.

كانت الجزيرة ضخمة للغاية، فيبدو وكأن النهر قد انقسم إلى قسمين، بدلاً من احتوائه على قطعة من الأرض. الجسور التي تبدو وكأنها مصنوعة من الدانتيل تمتد من كلتا الضفتين إلى الجزيرة، وتعبّر الأراضي المغطاة بالمستنقعات وكذلك النهر. كانت أسوار المدينة، (أسوار تار قالون اللامعة)، تتلألأ بيضاء كالشمس تبرز من بين السحب. على الضفة الغربية يظهر (جبل التنين) بلونه الأسود في مواجهة السماء، ومن قمته المكسورة يتعالى خيط رقيق من الدخان. جبل واحد بين أراضي مسطحة وتلال متموجة. (جبل التنين)، حيث مات (التنين). (جبل التنين) الذي صنعه احتضار (التنين).

تمنت (إيجوين) لو أنها لم تفكر في (راند) عندما نظرت إلى الجبل. رجل يمكنه التسخير. فليكن (النور) في عونته. مرت (ملكة النهر) عبر فتحة واسعة في سور دائري طويل يقطع النهر، وبداخله كان هناك رصيف طويل يحيط بمرفأً دائري. جذب البحارة آخر الأشرعة، واستخدموا المجاديف وحدها في تحريك مؤخرة السفينة ناحية الرصيف. من حول الرصيف الطويل كانت السفن الأخرى التي جاءت عبر النهر تستقر في مراسيها، بين السفن الموجودة هناك بالفعل. إن راية (الشعلة البيضاء) جعلت العمال يهرعون عبر الرصيف المزدحم بالفعل.

صعدت (الأميرلين) إلى سطح السفينة قبل أن تُربط حبال الرسو، ولكن عمال الرصيف وضعوا لوحاً خشبياً للهبوط بمجرد أن ظهرت. كانت (لياني) تمشي إلى جانبها وفي يدها العصا التي تعلوها الشعلة، ولحقت بهما (الآيز سيدي) الأخريات على متن السفينة إلى الشاطئ. لم تُلقِ أي منهن ولو نظرة واحدة على (ناينيث) أو (إيجوين). كان هناك وفد على الرصيف لاستقبال (الأميرلين)، (آيز سيدي) يرتدين الشالات وكل منهن تنحني بشكل رسمي وتقبل خاتم (الأميرلين). كان الرصيف مزدحماً ما بين تفريغ السفن ووصول (عرش أميرلين). تشكّل الجنود عند النزول ووضع الرجال أذرعاً لتنزيل البضائع، وتعالى نفيير الأبواق من الأسوار، لينافس هتافات المتفرجين.

تنهدت (ناينيث) بصوت مرتفع وقالت: «يبدو أنهم قد نسوا بشأننا. تعالي، سنهتم بنفسينا». ترددت (إيجوين) في ترك أول نظرة لها على (تار قالون)، ولكنها تبعت (ناينيث) إلى الأسفل لجمع متعلقاتها. عندما عادتا إلى السطح وكل منهما تحمل حزمة بين ذراعيها كان الجنود ونافخو الأبواق قد اختفوا وكذلك (الآيز سيدي). كان الرجال يفتحون فتحات على طول السطح وينزلون حبالاً في مخازن البضائع.

على سطح السفينة أمسكت (ناينيث) بذراع أحد عمال الرصيف، رجل قوي البنية يرتدي قميصاً بنيّاً خشناً بلا أكمام. قالت: «نريد حصانينا».

قال متذمراً وهو يجذب ذراعه: «أنا منشغل. ستنقل جميع الخيول إلى (البرج الأبيض)». ثم نظر إليهما نظرة متفحصة وقال: «إن كنتما ذاهبتين إلى (البرج) فمن الأفضل أن تتحركا، (فالآيز سيداي) لا يتسامحن مع تلكؤ الجدييدات». صرخ فيه رجل آخر يتصارع مع حزمة ثقيلة معلقة في حبل، فترك المرأتين دون أن ينظر إليهما.

تبادلت (إيجوين) نظرة مع (ناينيث)، يبدو أنهما ستعتمدان على نفسيهما حقاً. ترجلت (ناينيث) عن السفينة وقد ارتسم على وجهها التجهم والإصرار، ولكن (إيجوين) شقت طريقها في وجوم عبر اللوح الخشبي، ومن خلال رائحة القطران المخيمة على الرصيف. لقد تحدثن كثيراً عن أنهن يردننا هنا، والآن لا يبدو عليهن أنهن يبالين.

كان هناك درجات عريضة تؤدي من الرصيف إلى قنطرة واسعة من حجر أحمر داكن، عندما وصلت (ناينيث) و(إيجوين) إليها توقفتا لتحققا.

كان كل مبنى يبدو وكأنه قصر، رغم أن معظم المباني القريبة من القنطرة بدت أنها تحتوي على حانات أو متاجر وفقاً للفتحات التي تعلو الأبواب. كانت التصميمات المعمارية الرائعة في كل مكان، وبدأ أن خطوط المباني مصممة لتتوافق مع بعضها بعضاً، مما يجعل كل شيء يبدو وكأنه تصميم واحد شاسع. بعض المباني لم تبد أنها مبانٍ على الإطلاق، بل أشبه بأمواج عملاقة متكسرة، أو أصداف ضخمة، أو منحدرات رائعة نحتتها الرياح. أمام القنطرة مباشرة توجد ساحة واسعة بها نافورة وأشجار، واستطاعت (ناينيث) أن ترى ساحة أخرى على مسافة أبعد، وفوق كل شيء تعلو الأبراج العالية الأنيقة. بعضها يربط بينها جسور عالية في السماء، وفوق كل شيء يعلو برج واحد، أكثر ارتفاعاً واتساعاً من البقية، وأبيض (كالأسوار اللامعة) ذاتها.

جاء صوت امرأة من ورائهما تقول: «جمال يحبس الأنفاس في النظرة الأولى. بل وفي النظرة العاشرة أيضاً. وفي النظرة المئة».

التفتت (إيجوين). كانت متيقنة أن المرأة من (الآيز سيداي)، رغم أنها لا ترتدي شالاً. لا أحد غيرهن يكون له هذه الهيئة التي لا تشي بعمر محدد، كما أنها تتمتع بهالة من الثقة والطمأنينة تؤكد الأمر. نظرت إلى يدها فرأت خاتماً ذهبياً على هيئة أفعوان يعض ذيله. كانت (الآيز سيداي) ممتلئة الجسد بعض الشيء، ولها ابتسامة دافئة، ومظهر غريب كأغرب ما رآته (إيجوين) على الإطلاق. إن امتلاء جسدها لم يخف عظام وجنتيها البارزتين، وكانت عيناها مائلتين وصافيتين بلون أخضر شاحب، وشعرها بلون النار تقريباً. بالكاد منعت (إيجوين) نفسها من التحديق إلى هذا الشعر وهاتين العينين المائلتين قليلاً.

أكملت (الآيز سيدي) حديثها قائلة: «لقد بناها (الأوجير) بالطبع، ويقول البعض إنها من أفضل أعمالهم على الإطلاق، من أولى المدن التي بُنيت بعد (تخطم العالم). كان يوجد أقل من خمسمئة شخص هنا في ذلك الوقت، وليس أكثر من عشرين أختًا، ولكنهم بنوها من أجل ما ستتطلبه الحاجة لاحقًا».

قالت (ناينيث): «إنها مدينة جميلة، من المفترض أن نذهب إلى (البرج الأبيض)، لقد جئنا إلى هنا من أجل التدريب، ولكن لا يبدو أن أحدًا يبالي إن ذهبنا أو بقينا».

قالت المرأة مبتسمة: «إنهن يبالين. لقد جئت إلى هنا للقائكما، ولكنني تأخرت بسبب حديثي مع (الأميرلين). أنا (شيريام)، (سيدة المبتدئات)».

قالت (ناينيث) بصوت حازم، ولكن في شيء من العجالة: «أنا لست مبتدئة. قالت (الأميرلين) بنفسها إنني سأكون واحدة من (المقبولات)».

قالت (شيريام) وقد بدت متعجبة: «هذا ما قيل لي، لم أسمع من قبل عن فعل شيء كهذا، ولكنهم يقولون إنك... استثنائية. ولكن تذكر أنه يمكنني أن أstdعي واحدة من (المقبولات) إلى مكنتي، هذا يتطلب خرقًا للقواعد أكثر مما يحدث مع المبتدئات، ولكن من المعروف أن هذا قد حدث من قبل». التفتت إلى (إيجوين) كأنها لم ترَ عبوس (ناينيث). «وأنتِ مبتدئتنا الجديدة، من الجيد أن تأتي مبتدئة، لا يأتي إلا عدد قليل للغاية هذه الأيام. أنتِ ستجعلينهن أربعين، أربعين فحسب، ولن يرتقي إلى مرتبة (المقبولات) إلا ثمانية أو تسعة منهن. ولكنني لا أعتقد أنك ستكونين بحاجة للقلق بشأن هذا كثيرًا إن عملتِ بجِد واجتهاد. العمل شاق، ولن يكون الأمر أسهل حتى بالنسبة لواحدة تتمتع بقدرات كتلك التي يقولون إنك تتمتعين بها. إن لم تتمكني من الالتزام بالأمر مهما كان صعبًا أو إن تحطمتِ تحت الضغط فمن الأفضل أن نعرف هذا الآن، وأن نتركك تمضين في طريقك بدلًا من الانتظار حتى تصيري أختًا كاملة وتعتمد الأخريات عليك. حياة (الآيز سيدي) ليست سهلة، هنا سنعدك لهذا، إن كنتِ تتمتعين بها يتطلبه الأمر».

ازدردت (إيجوين) لعابها. *التحطم تحت الضغط؟* قالت بصوت خافت: «سأحاول يا (شيريام سيدي)». *وأنا لن أتحطم.*

نظرت إليها (ناينيث) في قلق وقالت: «(شيريام)...». صمتت وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت: «(شيريام سيدي)...». بدت وكأنها تجبر نفسها على النطق باللقب الشرفي. «هل يجب أن يكون الأمر صعبًا عليها إلى هذا الحد؟ هناك حدود لما قد يتحملة اللحم والدم، أنا أعرف... شيئًا... مما يجب على المبتدئات تحمله. بالتأكيد ليست هناك حاجة لمحاولة تحطيمها لمعرفة مدى قوتها».

«تقصدين ما فعلته (الأميرلين) معك اليوم؟». تيسر ظهر (ناينيث). بدا أن (شيريام) تحاول إخفاء نظرة الجذل من ملامحها. «قلت لكِ إنني تحدثت مع (الأميرلين)، لا تقلقي بشأن صديقتك، إن تدريب المبتدئات صعب ولكنه ليس بهذه الصعوبة. هذا من أجل الأسابيع الأولى لكونك واحدة من (المقبولات)». فغرت (ناينيث) فمها، وفكرت (إيجوين) أن عينيَّ الحكيمة على وشك أن تخرجا من محجريها. «لمعرفة القلة اللاتي

ربما قد تسللن من تدريب المبتدئات بينما لا يُفترض بهن هذا. لا يمكننا المغامرة بوجود واحدة منهن بيننا - (آيز سيداي) كاملة - قد تتحطم تحت ضغط العالم بالخارج». وضعت (الآيز سيداي) ذراعًا حول كتف كل واحدة منهما، بالكاد بدا على (ناينيف) أنها تدرك إلى أين تتجه. قالت (شيريام): «تعاليا، سأحرص على أن تستقر كل واحدة منكما في غرفتها. (البرج الأبيض) ينتظركما».

الفصل التاسع عشر

تحت الخنجر

كان الليل على حافة (خنجر قاتل أهله) باردًا، كما تكون الليالي في الجبال دومًا باردة. كانت الرياح تهب من القمم العليا حاملة معها صقيع القمم الثلجية. تلملم (راند) على الأرضية الصلبة وهو يجذب عباءته وبطانيته نصف غارق في النوم فقط. امتدت يده إلى سيفه الموضوع بجانبه، قال لنفسه في نعاس: يوم آخر فحسب وبعدها سندهب، إن لم يأت أحد في الغد - (إنجتار) أو أصدقاء الظلام - فسأخذ (سيلين) إلى (كايرين).

لقد قال هذا لنفسه من قبل، كل يوم قد قضوه هناك على جانب التل يراقبون الموضع الذي قال (هورين) إن الأثر كان فيه في ذلك العالم الآخر - حيث قالت (سيلين) إن أصدقاء الظلام سيظهرون بالتأكيد في ذلك العالم - كان يخبر نفسه إن الوقت قد حان للرحيل، ثم تتحدث (سيلين) عن (بوق ثالير) وتلمس ذراعه وتنظر في عينيه، فيوافق دون تفكير على البقاء ليوم آخر قبل الرحيل.

ارتجف في برودة الرياح وهو يفكر في (سيلين) تلمس ذراعه وتنظر في عينيه. إن رأت (إيجوين) هذا فستجز شعري كما تجز فروة خروف، وكذلك شعر (سيلين). ربما تكون (إيجوين) بالفعل في (تار فالون) تتعلم لكي تصير (آيز سيداي). في المرة التالية التي تراني فيها ستحاول على الأرجح ترقيتي.

بينما يتململ انزلقت يده متجاوزة السيف لتلمس الحزمة التي تضم قيثاره (توم ميريلين) ومزمارة. بشكل لا إرادي شدد أصابعه على عباءة صانع البهجة. أعتقد أنني كنت سعيدًا حينها رغم أنني كنت أهرب للنجاة بحياتي، وأعزف المزمارة من أجل عشائي. كنت جاهلًا للغاية على أن أعرف ما الذي يحدث. لم يعد هناك مجال للتراجع.

ارتجف وفتح عينيه، كان الضوء الوحيد قادمًا من القمر المتضائل، شبه المكتمل، الخفيض في السماء. إن النيران ستُفصح عن موضعهم لهؤلاء الذين يترقبون مجيئهم. غمغم (لويال) أثناء نومه في دمدمة خفيفة. ضرب أحد الخيول الأرض بحافره. كان (هورين) قد تولى نوبة المراقبة الأولى جالسًا على نتوء حجري، مرتفعًا قليلًا عبر الجبل. قريبًا سيأتي لإيقاظ (راند) من أجل دوره في الحراسة.

تقلّب (راند)... ثم توقف. في ضوء القمر كان قادرًا على رؤية هيئة (سيلين)، منحنية على أكياس سرجه ويدها على الأ بازيم. كان الضوء الخافت ينعكس على فستانها الأبيض. «هل تحتاجين إلى شيء؟». جفلت ثم حدثت إليه وقالت: «أنت... لقد أخفنتي».

اعتدل واقفًا على قدميه، متخليًا عن بطانيته قبل أن يلف نفسه بعباءته ثم اقترب منها. كان متيقنًا من أنه قد ترك أكياس سرجه إلى جانبه عندما استلقى. دومًا ما يبقئها بالقرب منه. أخذها منها. كانت جميع الأ بازيم مغلقة، حتى تلك على الجانب الذي يضم الراية اللعينة. كيف يمكن لحياتي أن تعتمد على الاحتفاظ بها؟ إن رآها أي شخص يعرف ما تكون فسأموث لا متلاكى إياها. حذق إليها في ريبة.

بقيت (سيلين) حيث هي تنظر إليه. لمعت عيناها السوداءوان في ضوء القمر. قالت: «خطر لي أنني قد ارتديت هذ الفستان لفترة طويلة للغاية، يمكنني أن أنظفه على الأقل إن كان لدي شيء آخر لأرتديه بينما أفعل هذا، ربما أحد قمصانك».

أوماً (راند) برأسه وقد شعر فجأة بالارتياح. رأى أن فستانها نظيف مثلما كان عندما رآها لأول مرة، ولكنه يعرف أنه إن ظهرت بقعة على فستان (إيجوين) فلن يرضيها إلا أن تنظفه على الفور. قال لها: «بالطبع». ثم فتح الجيب الواسع الذي يحشو فيه كل شيء باستثناء الراية، وأخرج أحد قمصانه البيضاء. «شكرًا لك». وضعت يديها وراء ظهرها، أدرك أن هذا لكي تفك أزرارها.

اتسعت عيناه ثم دار على عقبه لينظر بعيدًا عنها.

«إن كان بمقدورك أن تساعدني فسيكون الأمر أسهل».

تنحج (راند) ثم قال: «هذا لن يكون لائقًا، ليس الأمر كما لو أنه بيننا وعد بالزواج أو...». كُف عن التفكير في هذا الأمر! لا يمكنك أن تتزوج أبدًا من أي امرأة. «هذا فقط لن يكون لائقًا».

ضحكتها الرقيقة جعلته يشعر بالقشعريرة، كما لو أنها قد مررت إصبعًا على عموده الفقري. حاول ألا يصغي إلى صوت حفيف الفستان من ورائه. قال: «آه... في الغد... في الغد يمكننا أن نغادر إلى (كايرين)». «وماذا عن (بوق فالير)؟».

«ربما كنا مخطئين، ربما لن يأتوا إلى هنا على الإطلاق». قال (هورين) إن هناك عددًا من الممرات عبر (خنجر قاتل أهله)، وإن ذهبوا غربًا قليلًا فلن يكونوا مضطرين إلى المجيء إلى الجبال على الإطلاق». «ولكن الأثر الذي تتبعناه قد جاء إلى هنا. سيأتون إلى هنا. (البوق) سيأتي إلى هنا. يمكنك أن تستدير الآن».

«أنتِ تقولين هذا ولكننا لا نعرف...». استدار فاختنقت الكلمات في حلقه. كان فستانها موضوعًا على ذراعها وترتدي قميصه المنسدل في طيات فضفاضة عليها. كان قميصًا طويلًا قد حيك ليتناسب مع طوله، ولكنها طويلة بالنسبة لكونها امرأة. كان الجزء السفلي منه يصل إلى منتصف فخذيها. ليس الأمر وكأنه لم يرَ ساقى فتاة من قبل، فالفتيات في (النهرين) دومًا ما يعقدن تنانيرهن ليخضن في برك غابة الماء، ولكنهن يتوقفن عن فعل هذا قبل أن يبلغن من العمر ما يكفي لتضفير شعرهن. ولم يفعلن هذا إلا في الظلام أيضًا. لقد قد بدا وكأن ضوء القمر يجعل بشرتها تتوهج.

«ما هذا الذي لا تعرفه يا (راند)؟».

أعاد صوتها الحركة إلى أوصاله المتجمدة، فسعل بصوت عالٍ، واستدار لينظر إلى الاتجاه الآخر، ثم قال: «آه... أعتقد... آه... أنا... آه...».

«فكر في المجدي يا (راند)». لمست ظهره بيدها، فكاد أن يخرج نفسه بأن يصدر صريرًا حادًا. «فكر في المجدي الذي سيحظى به من يجد (بوق فالير)، والفخر الذي سأشعر به بالوقوف إلى جانب من يحمل (البوق)».

ليس لديك أدنى فكرة عن العظمة التي سنبلغها معًا أنا وأنت، مع (بوق فالير) بين يديك يمكنك أن تصير ملكًا. يمكنك أن تصير (أرتور هاوكوينج) آخر. يمكنك...».

«لورد (راند)!». جاء (هورين) إلى المخيم لاهثًا. «سيدي، إنهم...». توقف فجأة في موضعه وقد اختنقت الكلمات في حلقه. أطرق بعينه وراح يفرك يديه ثم قال: «اغفري لي يا سيدي، لم أقصد أن... أنا... اغفري لي».

اعتدل (لويال) جالسًا فسقطت بطانيته وعباءته. «ما الذي يحدث؟ هل حان دوري للمراقبة بالفعل؟». نظر ناحية (راند) و(سيلين)، وحتى في ضوء القمر كان اتساع عينيه واضحًا.

سمع (راند) (سيلين) تتنهد من ورائه، فخطا مبتعدًا عنها دون أن ينظر إليها. *إن ساقها بيضاوان للغاية وناعمتان للغاية*. «ما الأمر يا (هورين)؟». حاول أن يجعل صوته معتدلًا، هل هو غاضب من (هورين) أم من نفسه أم من (سيلين)؟ لا يوجد سبب للغضب منها. «هل رأيت شيئًا يا (هورين)؟».

تحدث المتشمم دون أن يرفع عينيه: «نيران يا سيدي، بالأسفل في التلال. لم أرها في البداية، فقد جعلوها صغيرة للغاية وأخفوها، ولكنهم يخفونها من شخص يتبعهم وليس شخصًا يسبقهم. إنهم على بعد ميلين يا لورد (راند)، أقل من ثلاثة بالتأكيد».

قال (راند): «إنه (فاين)، لن يكون (إنجتار) خائفًا من شخص يتبعه، لا شك أنه (فاين)». فجأة أدرك أنه غير متيقن مما يجب أن يفعله الآن. كانوا في انتظار (فاين)، ولكن الآن والرجل على بعد قرابة ميل فإنه غير متيقن. «في الصباح... في الصباح سنتعقبهم. عندما يلحق (إنجتار) والآخرين بنا فسنكون قادرين على الإشارة ناحيتهم مباشرة».

قالت (سيلين): «إذن ستترك (إنجتار) هذا يأخذ (بوق فالير)، والمجد». «أنا لا أريد...». دون تفكير التفت لينظر إليها، كانت ساقها بيضاوين في ضوء القمر، وغير مبالية كما لو أنها وحدها. قال لنفسه: *كما لو أننا وحدنا. إنها تريد الرجل الذي سيجد البوق*. «لا يمكن لثلاثتنا أن نأخذه منهم، إن (إنجتار) معه عشرون من حاملي الرماح».

«أنت لا تعرف إن كنت لا تستطيع أخذه. كم عدد أتباع ذلك الرجل؟ أنت لا تعرف هذا أيضًا». كان صوتها هادئًا ولكن حازمًا. «أنت لا تعرف حتى إن كان هؤلاء الرجال المخيمون هناك لديهم (البوق) أم لا. الطريقة الوحيدة للتيقن هي أن تهبط بنفسك وترى. خذ (الآلاتين)، إن بني جنسه لديهم أعين حادة حتى في ضوء القمر، كما أن لديه القوة لحمل (البوق) في صندوقه. إن كنت ستأخذ القرار الصحيح».

إنها محقة، أنت لا تعرف على وجه اليقين أنه (فاين). سيكون من الحماقة أن يبحث (هورين) عن أثر غير موجود ويكونون جميعًا في العراء إن جاء أصدقاء الظلام الحقيقيون في النهاية. قال: «سأذهب وحدي، سيبقى (هورين) و(لويال) لحمايتك».

ضحكت (سيلين) وهي تقترب منه برشاقة فكادت أن تبدو وكأنها ترقص. غطت ظلال القمر وجهها بالغموض بينما تنظر إليه وقد جعلها الغموض تبدو أكثر جمالاً. «أنا قادرة على حماية نفسي حتى تعود لتحميني. خذ (الآلانتين)».

قال (لويال) وهو ينهض: «إنها محقة يا (راند)، يمكنني أن أرى في ضوء القمر بشكل أفضل منك. باستخدام عيني لن نحتاج إلى الاقتراب كثيراً كما ستفعل لو كنت وحدك».

«لا بأس». خطأ (راند) ناحية سيفه، ثم ربطه على خصره. ترك القوس والجبعة حيث هما، فلن يكون القوس ذا نفع كبير في الظلام، وهو ينوي أن يلقي نظرة لا أن يقاتل. «فلتري هذه النار يا (هورين)».

اقتاده المتشمم وهو يسرع صاعداً المنحدر إلى النتوء الصخري الذي يبدو كإبهام حجري ضخمة يبرز من الجبل. كانت النار مجرد نقطة صغيرة، وقد فاتته عندما أشار إليها (هورين) في المرة الأولى. أياً كان من أشعلها فلم يرغب في أن يراها أحد. تذكر موضعها في عقله.

بحلول الوقت الذي عاد فيه إلى المخيم كان (لويال) قد أسرج (ريد) وحصانه. عندما امتطى (راند) ظهر الحصان أمسكت (سيلين) بيده وقالت برقة: «تذكر المجد». بدا أن القميص يناسبها بشكل أفضل مما يتذكر، وقد تكيف مع جسمها.

أخذ نفساً عميقاً ثم جذب يده وقال: «احرسها بحياتك يا (هورين). (لويال)؟». وكز جانبي (ريد) بكاحليه برفق. تحرك حصان (الأوجير) الضخم ببطء من ورائه.

لم يحاول أن يتحركاً بسرعة، كان الليل مخيماً على جانب الجبل، والظلال التي يلقيها القمر تجعل من الصعب رؤية موطئ القدم. لم يعد (راند) قادراً على رؤية النار، لا شك أنها مخفية بشكل أفضل عن الأعين التي تنظر من نفس المستوى، ولكنه يتذكر موقعها جيداً. بالنسبة لشخص قد تعلم الصيد في الغابة الغربية المتشابكة في (النهرين) فإن العثور على النار لن يكون صعباً للغاية. وماذا بعد؟ ارتسم وجه (سيلين) في ذهنه. كم سأشعر بالفخر بوقوفني إلى جانب من يحمل (البوق).

قال فجأة محاولاً تصفية ذهنه: «ما هذا (الآلانتين) الذي تناديك به يا (لويال)؟».

«إنها كلمة باللغة القديمة يا (راند)». كان حصان (الأوجير) يتقدم بشكل متردد، ولكنه يرشده بيقين كأنها الوقت نهائياً. «إنها تعني الأخ، وهي اختصار (تيا أفندي آلانتين)، (أخو الأشجار). إنها طريقة رسمية للغاية في الحديث، ولكنني قد سمعت أن الكايرينيين رسميون، أو العائلات النبيلة على الأقل. العوام الذين رأيتهم هناك لم يكونوا رسميين على الإطلاق».

عقد (راند) حاجبيه، إن راعي الغنم لن يكون مقبولاً للغاية بالنسبة لعائلة كايرينية نبيلة رسمية. بحق (النور)، إن (مات) محق بشأنك، أنت مجنون. ومتعجرف للغاية أيضاً. إن كنت قادراً على الزواج...

تمنى لو أنه يمكنه التوقف عن التفكير. وقبل أن يدرك الأمر تشكل الخواء بداخله، مما جعل أفكاره بعيدة، كأنها جزء من شخص آخر. تألق (السايدين) وراح يناديه، جز على أسنانه وتجاهله، كان الأمر أشبه بتجاهل

جمرة متقدة داخل رأسه. ولكنه على الأقل قادر على كبح جماحه، بالكاد. كاد أن يترك الخواء ولكن أصدقاء الظلام هناك في الليل، وقد صاروا أقرب، و(الترولوكيين) أيضًا. إنه بحاجة إلى الفراغ، بل بحاجة أيضًا إلى هدوء الخواء المضطرب. لست مضطراً إلى لمسه.

بعد مرور بعض الوقت جذب لجام (ريد). وقفا عند سفح تل، والأشجار المتناثرة على منحدراته سوداء في الليل. قال بصوت خافت: «أعتقد أننا قد اقتربنا بلا شك، من الأفضل أن نقطع بقية الطريق سيراً على الأقدام». قفز من فوق السرج وقيد لجام الحصان إلى غصن شجرة. همس (لويال) وهو يترجل: «هل أنت بخير؟ تبدو غريباً».

«أنا بخير». أدرك أن صوته يبدو متوترًا. مد يده، (السايدين) يناديه. لا! «كن حذرًا، أنا لست متيقناً من المسافة بالضبط، ولكن من المفترض أن تكون تلك النار في مكان ما أمامنا، أعتقد أنها على قمة التل». أوماً (الأوجير) برأسه.

ببطء انتقل (راند) من شجرة إلى شجرة، وهو يخطو كل خطوة بحذر شديد. ممسكاً بسيفه بقوة لكيلا يرتطم بجذع شجرة. كان ممتناً لأنه لا توجد شجيرات. لحق به (لويال) كظل كبير. لم يستطع (راند) أن يرى منه أكثر من هذا، كل شيء كان ظلالاً وظلاماً.

فجأة في ضوء القمر اتخذت الظلال أمامه هيئة واضحة، فتجمد في موضعه وهو يلمس الجذع الخشن لشجرة أوراق جلدية. اتضح أن الأشكال المتكومة على الأرض هي رجال متدثرون ببطانيات إلى جانب أكوام أكبر؛ (ترولوكيون) نائمون. لقد أخذوا النار. تحرك شعاع قمر من بين الأغصان فانعكس على شيء ذهبي وفضي على الأرض، في منتصف الطريق ما بين المجموعتين. بدا أن ضوء القمر يزداد سطوعاً وللحظة استطاع أن يرى بوضوح. لم يكن ما لفت نظره هو هيئة الرجل النائم بالقرب من البريق، بل الصندوق، (البوق)، وفوقه شيء ما به نقطة حمراء تلمع في شعاع القمر؛ الخنجر! لم قد يضع (فاين)...؟

وضع (لويال) يده الضخمة على فم (راند) وجزء كبير من وجهه. التفت لينظر إلى (الأوجير)، أشار (لويال) إلى يمينه ببطء، كما لو أن الحركة قد تجذب الانتباه.

في البداية لم يستطع (راند) أن يرى شيئاً، ثم تحرك ظل على مسافة لا تزيد عن عشر خطوات، ظل طويل القامة وضخم وله خطم. حبس (راند) أنفاسه، إنه (ترولوك). رفع خطمه كما لو أنه يتشمم الهواء. بعضهم يصطادون باستخدام الرائحة.

للحظة ارتجف الخواء. تملل شخص ما في معسكر أصدقاء الظلام فارتجف (الترولوك) ليحذق إلى ذلك الاتجاه.

تجمد (راند) في موضعه وترك هدوء الخواء يغلفه، وضع يده على سيفه، ولكنه لم يفكر في الأمر، كان الخواء هو كل شيء. أيّاً ما حدث فقد حدث. راح يراقب (الترولوك) دون أن يرمش بعينه.

للحظة طويلة راح الظل ذو الخطم يراقب مخيم أصدقاء الظلام، وبعدها، كما لو أنه قد شعر بالرضا، استلقى إلى جانب شجرة، وعلى الفور تقريبًا انبعث منه صوت خفيض أشبه بتمزق قماش خشن. قَرَّب (لويال) فمه من أذن (راند) وهمس في تعجب: «إنه نائم».

أوماً (راند) برأسه، لقد أخبره (تام) أن (الترولوكيين) كسالى، ويميلون إلى التخلي عن أي مهمة باستثناء القتل ما لم يمنعهم الخوف من هذا. التفت من جديد إلى المخيم.

خيم السكون والصمت على المكان مرة أخرى، لم يعد شعاع القمر ينعكس من على الصندوق، ولكنه يعرف الآن أي ظل هو. كان قادرًا على رؤيته في ذهنه، يطفو وراء الخواء، متلاًئلاً بالذهب ومطعمًا بالفضة في وهج (السايدين). إنه يحتاج إلى (بوق فالير) وخنجر (مات)، وكلاهما في متناول يده. راح وجه (سيلين) يطفو مع الصندوق. يمكنهم تعقب مجموعة (فاين) في الصباح، والانتظار حتى ينضم (إنجتار) إليهم. هذا إن جاء (إنجتار)، إن كان لا يزال يتبع الأثر من دون المتشمم. لا، لن يكون هناك فرصة أفضل، كل شيء في متناول يده. إن (سيلين) تنتظره على الجبل.

أشار (راند) إلى (لويال) أن يلحق به، وهو يربض على معدته ويزحف ناحية الصندوق. سمع شهقة (الأوجير) المكتومة، ولكن عينيه كانتا مثبتتين على الكومة المظلمة أمامه.

كان أصدقاء الظلام و(الترولوكيون) مستقلين على يساره ويمينه، ولكنه ذات مرة رأى (تام) يزحف مقتربًا من غزال بما يكفي لأن يضع يده على جانبه قبل أن يقفز هاربًا. لقد حاول أن يتعلم من (تام). هذا جنون! راودته الفكرة بشكل خافت، وبعيدًا عن متناوله تقريبًا. هذا جنون! أنت تصاب بالجنون! أفكار خافتة، أفكار شخص آخر.

ببطء وبصمت زحف إلى ذلك الظل الاستثنائي، ثم مد يده فلمس الزخارف الذهبية، إنه الصندوق الذي يحوي (بوق فالير). لمست يده شيئًا آخر فوق الغطاء؛ الخنجر عاري النصل. اتسعت عيناه في الظلام، وتذكر ما فعله هذا (بمات)، فجذب يده إلى الوراء على الفور، وقد ارتجف الخواء مع هياجه.

الرجل النائم بالقرب من الصندوق - لا يبعد عنه أكثر من خطوتين، ولم يكن هناك شخص آخر يرقد بهذا القرب على مسافة باعات - تأوه في نومه، وضرب بطانيته. سمح (راند) للخواء بأن يجرف أفكاره وخوفه بعيدًا. تتمم الرجل بقلق في نومه ثم سكن.

ترك (راند) يده تعود إلى الخنجر، دون أن يلمسه. إنه لم يؤذ (مات) في البداية، ليس كثيرًا على الأقل، وليس بسرعة. في حركة واحدة سريعة رفع الخنجر ووضعه وراء حزامه، ثم سحب يده بعيدًا كما لو أن هذا سيساعد في تقليل الوقت الذي لمس فيه الخنجر جلده العاري. ربما هذا سيساعده، كما أن (مات) سيموت من دون الخنجر. كان قادرًا على الإحساس به، يكاد أن يكون ثقلاً يجذبه للأسفل، ويضغط عليه. ولكن في الخواء كان هذا الإحساس بعيدًا كأفكاره، وسرعان ما تلاشى إحساسه بالخنجر ليصير شيئًا معتادًا عليه.

لم يُضع إلا لحظة واحدة وهو يحدق إلى الصندوق المغلف بالظلال - لا شك أن (البوق) موجود بداخله، ولكنه لا يعرف كيف يفتحه، ولا يمكن أن يحمله بنفسه - ثم تلفت بحثاً عن (لويال). وجد (الأوجير) رابضاً على مسافة غير بعيدة من ورائه، ورأسه الضخم يتحرك، وهو ينقل بصره ما بين أصدقاء الظلام البشريين النائمين و(الترولكيين) النائمين. حتى في الليل كان من الواضح أن عيني (لويال) متسعتان قدر استطاعته، وتبدوان كبيرتين كصحنين في ضوء القمر. مد (راند) يده وأمسك بيد (لويال).

جفل (الأوجير) وشهق، وضع (راند) سبابته على شفثيه، ثم وضع يد (لويال) على الصندوق وهو يحاكي عملية الرفع. راح (لويال) يحدق للحظة بدت دهرًا في الليل، بينما أصدقاء الظلام و(الترولكيون) في كل مكان من حولهما. لم تكن أكثر من لحظة عابرة، وبعدها وضع (لويال) ذراعيه ببطء حول الصندوق الذهبي، واعتدل واقفًا. لقد جعل الأمر يبدو سهلاً.

بحذر شديد أكثر من حذره في المجيء بدأ (راند) يمشي مبتعدًا عن المخيم، ومن ورائه (لويال) والصندوق. وضع يديه على سيفه وهو يراقب أصدقاء الظلام النائمين والأشكال الساكنة (للترولكيين). بدا أن الظلام يبتلع كل هذه الظلال بينما يبتعدان، يكادان أن يكونا حرين. لقد فعلناها!

فجأة نهض الرجل الذي كان نائمًا بالقرب من الصندوق وهو يصرخ، ثم قفز واقفًا على قدميه وصاح: «لقد اختفى! استيقظوا أيها الحثالة! لقد اختفى!». كان صوت (فاين)، حتى في الخواء كان باستطاعة (راند) التعرف عليه. انتصب الآخرون واقفين على الفور، أصدقاء الظلام و(الترولكيون)، وهم ينادون لمعرفة ما حدث، بينما يدمدمون ويزمجرون. تعالى صوت (فاين) ليتحول إلى عواء: «أعرف أنه أنت يا (ألثور)! أنت تختبئ مني ولكنني أعرف أنك هناك! اعثروا عليه! اعثروا عليه! (ألثوووور)!». تفرق الرجال و(الترولكيون) في كل الاتجاهات.

واصل (راند) الحركة مغلفًا بالفراغ. راح (السايدين) ينبض بينما يناديه، وقد كاد أن ينسى بشأنه أثناء دخوله المخيم.

همس (لويال) بصوت خفيض: «لا يمكنه أن يرانا. بمجرد أن نصل إلى حصانينا...».

قفز (ترولك) من الظلام منقضًا عليهما، بمنقار عقاب وحشي في وجه رجل حيث ينبغي أن يكون هناك أنف وفم، وسيف أشبه بالمنجل يشق الهواء بالفعل.

تحرك (راند) دون تفكير، لقد صار واحدًا مع السيف. (قط يرقص على الجدار). صرخ (الترولك) بينما يسقط أرضًا وصرخ مرة أخرى بينما يموت.

قال (راند) أمرًا: «اركض يا (لويال)!». (السايدين) يناديه. «اركض!».

كان مدرغًا بشكل خافت أن (لويال) يركض بشكل متثاقل، ولكن (ترولكًا) آخر قفز من الليل بخطم خنزير ونايين وهو يشهر فأسًا مسننًا. انزلق (راند) بسلاسة ما بين (الترولك) و(الأوجير)، يجب أن يهرب (لويال) (بالبوق). كان (الترولك) أطول من (راند) بمقدار رأس وكتفين، وأعرض منه مرة ونصف، وقد

انقض عليه بزجرة صامته. (الأرستقراطي يلوح بمروحته). لم يكن هناك صرخات هذه المرة. مشى إلى الوراء متتبّعاً (لويال)، وهو يراقب الليل. راح (السايدين) يغني له أغنية عذبة؛ يمكن (بالقوة الواحدة) أن تحرقهم جميعاً، أن تحرق (فاين) والجميع وتحولهم إلى رماد. لا!

(ترولوكيان) آخران؛ ذئب وكبش، بأنياب لامعة وقرنين ملتوين. (السحلية في شجرة الشوك). اعتدل واقفاً بسلاسة من انحناءته على ركبة واحدة، بينما (الترولوك) الثاني يتعثر، وكاد القرنان أن يلمسا كتفيه. أغنية (السايدين) تداعبه بإغراء، تجذبه بألف خيط حريري؛ احرقهم جميعاً (بالقوة الواحدة). لا، لا! أفضل الموت على هذا. لو مت لانتهى كل هذا.

ظهرت مجموعة من (الترولوكيين) في مرمى البصر، وهم يبحثون في تردد. ثلاثة منهم، أربعة. فجأة أشار أحدهم ناحية (راند) وهو يعوي، فأجاب البقية عواءه بينما ينقضون. صاح (راند): «فلننه هذا الأمر!». ثم قفز ليواجههم.

للحظة أبطأتهم المفاجأة، ثم تعالت صيحات حلقيه مبتهجة متعطشة للدماء وهم يشهرون سيوفهم وفؤوسهم. رقص بينهم على أغنية (السايدين). (طائر الطنان يُقبّل زهرة العسل). كانت تلك الأغنية مأكرة للغاية، وقد ملأته. (قط على رمال ساخنة). بدا السيف في يديه نابضاً بالحياة، كما لم يكن من قبل، وقاتل كما لو أن سيفاً بعلامة البلشون يمكنه أن يبقى (السايدين) بعيداً عنه. (طائر البلشون يسط جناحيه).

حدق (راند) إلى الأشكال الهامدة على الأرض من حوله، ثم تتم: «أفضل الموت». رفع عينيه لينظر إلى أعلى التل، حيث المكان الذي يوجد فيه المخيم. إن (فاين) هناك، وأصدقاء الظلام، والمزيد من (الترولوكيين). عدداً كبيراً للغاية على أن يقاتلهم، عدداً كبيراً للغاية على أن يواجههم ويبقى حياً. قطع خطوة في هذا الاتجاه، ثم خطوة أخرى.

«هيا بنا يا (راند)!». جاء همس (لويال) المُلحّ منجرفاً عبر الفراغ. «بحق الحياة و(النور) يا (راند)، هيا بنا!». «يا (راند)!».

بحرص انحنى (راند) ليمسح نصله في معطف (ترولوك)، ثم أعاده إلى غمده بشكل رسمي كما لو أن (لان) يراقبه وهو يتدرب. «(راند)!».

كما لو أنه لا يوجد أي داع للعجلة على الإطلاق انضم (راند) إلى (لويال) عند الحصانين. كان (الأوجير) يربط الصندوق الذهبي فوق سرجه بأشرطة من أكياس سرجه، كانت عباءته محشورة تحت الصندوق لتساعد على توازنه فوق مقعد السرج المستدير.

لم يعد (السايدين) يغني. إنه لا يزال هناك، ذلك التوهج المثير للغثيان، ولكنه محجم كما لو أنه قد ردعه حقاً. في تعجب ترك الخواء يتلاشى. قال: «أعتقد أنني أصاب بالجنون». فجأة أدرك أين هو، فنظر إلى الوراء

عبر الطريق الذي جاء منه. كانت أصوات الصياح والعواء تأتي من عدة اتجاهات. دلائل على البحث، ولكن لا شيء يدل على المطاردة. ليس بعد. قفز على ظهر (ريد).

قال (لويال): «أحياناً لا أفهم نصف ما تقوله، إن كان يجب أن تصاب بالجنون فهل يمكنك على الأقل أن تنتظر حتى نعود إلى السيدة (سيلين) و(هورين)؟».

«كيف ستمتطي حصانك بينما تضع هذا في سرجك؟».

«سأركض!». أكد (الأوجير) على كلمته بأن بدأ في الركض بسرعة وهو يجذب الحصان من ورائه من لجامه، فلحق به (راند).

كانت وتيرة (لويال) سريعة كهرولة حصان. وكان (راند) متيقناً من أن (الأوجير) لن يتمكن من الحفاظ على هذه الوتيرة لوقت طويل، ولكن لم تضعف قدما (لويال). فكر (راند) أن تفاخره بالتفوق على حصان ذات مرة في العدو قد يكون حقيقياً. بين الحين والآخر كان (لويال) ينظر وراءهما بينما يركض، ولكن أصوات صياح أصدقاء الظلام وعواء (الترولوكين) كانت تتلاشى شيئاً فشيئاً.

حتى عندما بدأت الأرض تنحدر لأعلى بشكل أكثر حدة لم تتباطأ وتيرة (لويال) إلا قليلاً، فهرول إلى مخيمهم على جانب الجبل وهو لا يكاد يجد صعوبة في التنفس.

«لقد حصلت عليه». كان صوت (سيلين) مبتهجاً بينما يستقر بصرها على الصندوق المزخرف فوق سرج (لويال). لقد ارتدت فستانها من جديد، وقد بدا أبيض كالثلج كما يرى (راند). «كنت أعلم أنك ستأخذ القرار الصحيح. هل يمكنني... أن أنظر إليه؟».

سأله (هورين) في قلق: «هل لحق بك أي منهم يا سيدي؟». كان يحدق إلى الصندوق برهبة، ولكن عينيه انجرفت إلى الليل عبر جانب الجبل. «إن لحقوا بنا فسيكون علينا أن نتحرك بسرعة».

قال (راند): «لا أعتقد أنهم قد فعلوا هذا، اذهب إلى التواء الحجري، لتبين إن كان بمقدورك رؤية أي شيء». ثم ترجل من على سرجه بينما (هورين) يسرع صاعداً الجبل. «لا أعرف كيف أفتح الصندوق يا (سيلين)، هل تعرف أنت يا (لويال)؟». هز (الأوجير) رأسه.

«دعني أحاول...». حتى بالنسبة لامرأة بطول (سيلين) كان سرج (لويال) مرتفعاً عن الأرض. مدت يديها لأعلى لتلمس الزخارف المشغولة بدقة على الصندوق، ومررت يديها عليها، ثم ضغطت. كان هناك صوت تكة قبل أن تدفع الغطاء لأعلى وتتركه يسقط مفتوحاً.

بينما تقف على أطراف أصابعها وتمد يديها إلى الداخل مد (راند) يده من فوق كتفها ورفع (بوق فالير). لقد رآه مرة من قبل، ولكنه لم يلمسه قط. رغم جماله فإنه لم يبدُ شيئاً قديماً للغاية أو قوياً للغاية. بوق ذهبي ملتوٍ يلمع في الضوء الخافت، مطعم بكتابة فضية حول فتحة البوق. لمس الأحرف الغريبة بإصبعه، شعر كأنه أمسك بالقمر.

قالت (سيلين): «تيا مي أفين موريدين إيسايند فادين؛ القبر لن يكون عائقاً أمام ندائي. ستكون أعظم مما كان عليه (أرتور هاوكوينج)».

«سأخذه إلى (شاينار)، إلى اللورد (أجيلمار)». قال لنفسه: من المفترض أن آخذه إلى (تار فالون)، ولكنني اكتفيت من (الآيز سيداي). فلأخذه لهن (أجيلمار) أو (إنجتار). أعاد (البوق) إلى الصندوق، فراح يعكس ضوء القمر، ويجذب الأنظار.

قالت (سيلين): «هذا جنون».

جفل (راند) مع الكلمة ثم قال: «جنون أو لا، هذا ما سأفعله. قلت لك يا (سيلين) إنني لا أريد أي مجد. عندما كنت هناك فكرت أنني أريد هذا، فكرت للحظة أنني أريد أشياء...». بحق (النور)، إنها جميلة. (إيجوين). (سيلين). أنا لست جديراً بأي منهما. «أشعر أن هناك شيئاً يستولي عليّ». لقد جاء (السايدين) إليّ ولكنني صددته بسيف. أم أن هذا جنون أيضاً؟ أخذ نفساً عميقاً ثم قال: «إن (شاينار) هي المكان الذي ينتمي إليه (بوق فالير)، وإن لم يكن الأمر هكذا فسيعرف اللورد (أجيلمار) ما الذي سيفعله به».

هبط (هورين) عبر جانب الجبل وقال: «لقد اشتعلت النيران مرة أخرى يا لورد (راند)، أكبر من ذي قبل، وخيّل إليّ أنني أسمع صيحات. كان كل شيء بالأسفل في التلال، لا أعتقد أنهم وصلوا إلى الجبل بعد».

قالت (سيلين): «لقد أسأت فهمي يا (راند)، لا يمكنك العودة الآن، لقد صرت ملزماً بالأمر. إن أصدقاء الظلام هؤلاء لن يذهبوا ببساطة لأنك أخذت (البوق) منهم، بل على النقيض تماماً. ما لم تكن تعرف طريقة لقتلهم جميعاً فسيطاردونك الآن كما كنت تطاردهم من قبل».

«لا!». بدا (لويال) و(هورين) مندهشين من حدة (راند)، فقال خففاً من حدته: «لا أعرف أي طريقة لقتلهم جميعاً، ولا أبالي إن عاشوا إلى الأبد».

تموج شعر (سيلين) الطويل وهي تهز رأسها ثم قالت: «إذن لا يمكنك العودة، بل التقدم للأمام فحسب. يمكنك أن تصل إلى الأمان وراء أسوار (كايرين) في وقت أقل بكثير مما ستقطعه لعودتك إلى (شاينار). هل فكرة قضاء بضعة أيام أخرى بصحبتني تبدو مفضية إلى هذا الحد؟».

حذق (راند) إلى الصندوق. لم تكن صحبة (سيلين) مرهقة على الإطلاق، ولكن عندما يكون بالقرب منها لا يمكنه منع نفسه من التفكير في أشياء لا ينبغي له أن يفكر فيها. ومع ذلك فإن محاولة العودة إلى الشمال تعني المخاطرة بمواجهة (فاين) وأتباعه. إنها محقة في هذا الصدد، لن يستسلم (فاين) أبداً، وأيضاً لن يستسلم (إنجتار). إن استمر (إنجتار) في التقدم جنوباً - ولا يعرف (راند) سبباً يجعله يسلك اتجاهًا آخر - فسيصل إلى (كايرين) عاجلاً أو آجلاً.

قال موافقاً: «سندهب إلى (كايرين). سيكون عليك أن تريني أين تعيشين يا (سيلين)، لم أذهب من قبل إلى (كايرين)». ثم مديده ليغلق الصندوق.

قالت (سيلين): «هل أخذت شيئاً آخر من أصدقاء الظلام؟ لقد تحدثت باكراً عن خنجر». كيف نسيت هذا؟ ترك الصندوق كما هو وجذب الخنجر من حزامه. كان النصل العاري مقوساً كأنه بوق، والكُلاب على هيئة أفعوانين ذهبيين، مثبتاً في المقبض ياقوتة بحجم ظفر إبهامه، تلمع في ضوء القمر كعين شريرة. رغم أنه كان مزخرفاً - ومدنساً كما يعرف - فإنه لا يبدو مختلفاً عن أي خنجر آخر. قالت (سيلين): «كن حذراً، لا تجرح نفسك».

شعر (راند) بقشعريرة بداخله، إن مجرد حمله كان أمراً خطيراً، لذا لا يريد أن يعرف ما قد يفعله جرح بهذا الخنجر. قال مخاطباً الآخرين: «هذا من (شادار لوجوث). سيشوه أي شخص يحمله لفترة طويلة، سيدنسه حتى العظام، كما تدنس (شادار لوجوث). ومن دون شفاء (الآيز سيداي) فإن هذا الدنس سيقتل في نهاية المطاف».

قال (لويال) بصوت خافت: «إذن هذا ما يعاني منه (مات)، لم أشك في هذا قط». حدق (هورين) إلى الخنجر في يد (راند)، ثم مسح يديه في الجزء الأمامي من معطفه، لم يبدُ المتشتم سعيداً. أكمل (راند) حديثه قائلاً: «لا ينبغي لأحد منا أن يتعامل معه لأكثر مما هو ضروري، سأجد طريقة ما لحمله...».

«إنه خطير». عقدت (سيلين) حاجبيها وهي تحدق إلى الخنجر كما لو أن الأفعوانين حقيقيان وسامان. «ألقي به بعيداً. اتركه، أو ادفنه إن كنت ترغب في أن يبقى بعيداً عن أيدي الآخرين، ولكن تخلص منه». قال (راند) بحزم: «(مات) يحتاج إليه». «إنه خطير للغاية، لقد قلت هذا بنفسك».

«إنه بحاجة إليه. (الأم)... (الآيز سيداي) يقلن إنه سيموت من دون استخدامه لشفائه». لا يزلن يربطنه بخيط، ولكنه سيقطعه بهذا النصل. حتى أتخلص منه، ومن (البوق)، سيظل هذا الخيط يربطني. ولكنني لن أرقص مهما جلدن.

وضع الخنجر في الصندوق، داخل انحناءة (البوق)، بالكاد كان هناك مساحة له، ثم جذب الغطاء للأسفل، فانغلق بصوت حاد. «من المفترض أن يحميننا هذا منه». كان يأمل أن هذا سيحميهم. قال (لان) إن الوقت الذي تبدو فيه أكثر ثقة هو عندما تكون أقل يقيناً. قالت (سيلين) بصوت حازم: «سيحمينا الصندوق بالتأكيد. والآن أريد أن أنهي ما تبقى من نومي لهذا الليل».

هز (راند) رأسه وقال: «نحن قريبون للغاية، يبدو أن (فاين) قادر على العثور عليّ في بعض الأحيان». قالت (سيلين): «ابحث عن (الوحدة) إن كنت خائفاً». «أريد أن يأتي الصباح وأنا بعيد قدر الإمكان عن أصدقاء الظلام هؤلاء. سأسرج فرسك».

«يا لك من عنيد!». لقد بدت غاضبة، وعندما نظر إليها كان فمها متقوسًا في ابتسامة لم تظهر في عينيها السوداوين. «إن عناد الرجل يكون جيدًا في بعض الأحيان، ولكن...». بترت جملتها وهذا ما أفلقه، يبدو أن النساء عادة ما يكتمن أشياء، وبخبرته المحدودة فإن ما لا يقلنه هو ما يسبب المتاعب الأكبر. راقبته بصمت وهو يضع سرجها على ظهر الفرس البيضاء وينحني ليربط الأحزمة.

قال (فاين) مزيجًا: «اجمعهم كلهم!». فتراجع (الترولوك) ذو خطم الماعز بعيدًا عنه. كانت النيران المتأججة عاليًا بفعل الحطب تضيء قمة التل بظلال متراقصة. كان أتباعه البشريون منكمشين على أنفسهم بالقرب من النار، خائفين من الخروج إلى الظلام مع بقية (الترولوكيين). «اجمعهم، كل من لا يزال حيًا. وإن فكر أي شخص في الهرب فليعلم أنه سينال ما ناله هذا (الترولوك)». أشار إلى أول (ترولوك) قد جلب له خبرًا بأنه لم يُعثَر على (ألثور). كان لا يزال منكفئًا على وجهه، غارقًا في دمائه، وحافراه يحفران الأرض بينما ينتفضان. همس (فاين): «اذهب». فركض (الترولوك) ذو خطم الماعز إلى الليل.

نظر (فاين) بازدراء إلى البشر الآخرين - لا يزال يمكنه استخدامهم - ثم التفت ليحرق إلى الليل، ناحية (خنجر قاتل أهله). إن (ألثور) هناك بالأعلى، في مكان ما في الجبال، ومعه (البوق). جز على أسنانه بصوت مسموع مع هذه الفكرة، إنه لا يعرف أين بالضبط، ولكن شيئًا ما يجذبه ناحية الجبال، ناحية (ألثور). هذا القدر من... هبة... (سيد الظلام)، قد بقي معه. بالكاد كان يفكر في الأمر، كان يحاول ألا يفكر فيه، وفجأة بعد اختفاء (البوق) - اختفائه! - صار (ألثور) هناك، يجذبه كما يجذب اللحم كلبًا جائعًا.

«أنا لم أعد كلبًا. لم أعد كلبًا!». سمع الآخرون يتمللملون بتوتر حول النار ولكنه تجاهلهم. «ستدفع ثمن ما فعلته بي يا (ألثور)! سيدفع العالم الثمن!». ثم قهقه في الليل بضحكة مجنونة. «سيدفع العالم الثمن!».

رف 404

t.me/Rff404

الفصل العشرون

السايدين

جعلهم (راند) يواصلون الحركة طوال الليل، ولم يسمح لهم بالتوقف إلا فترة قصيرة عند الفجر، لإراحة الخيول ولمنح (لويال) فرصة للراحة، فبينما (بوق فالير) في صندوقه الذهبي والفضي يحتل سرجه كان (الأوجير) يمشي أو يهرول أمام حصانه الكبير دون أن يشتكي أو أن يُعطئهم مطلقاً. في وقت ما خلال الليل عبروا حدود (كايرين).

قالت (سيلين) عندما توقفوا: «أريد أن أراه مرة أخرى». ترجلت وخطت نحو حصان (لويال). كانت ظلالهم الطويلة والرفيعة تشير إلى الغرب، بينما الشمس تطل من فوق الأفق. «أنزله من أجلي أيها (الآلانين). (بوق فالير)». فبدأ (لويال) في فك الأربطة.

قال (راند) وهو يترجل من على ظهر (ريد): «لا يا (لويال)». نقل (الأوجير) بصره ما بين (راند) و(سيلين)، وأذناه ترتعشان في تردد، ولكنه أبعد يديه.

قالت (سيلين): «أريد أن أرى (البوق)». كان (راند) متيقناً من أنها ليست أكبر منه عمراً، ولكنها في هذه اللحظة بدت فجأة عجوزاً وباردة كالجبال، وأكثر ملكية من الملكة (مورجيز) في أكثر حالاتها تغطرساً.

قال (راند): «أعتقد أننا يجب أن نبقى الخنجر محمياً، فنحن لا نعرف إن كان النظر إليه بنفس سوء لمسه. فلندعه يبقى حيث هو، حتى أتمكن من وضعه في يدي (مات). يمكنه... يمكنه أن يأخذه إلى (الآيز سيداي)». وما الثمن الذي سيطلبه نظير شفائه؟ ولكن ليس لديه خيار. شعر بالقليل من الذنب بسبب إحساسه بالارتياح لأنه قد انتهى من (الآيز سيداي). لقد انتهت منهن بطريقة أو بأخرى.

«الخنجر! يبدو أن كل ما يهكم هو ذلك الخنجر، قلت لك أن تتخلص منه، المهم هو (بوق فالير) يا (راند)».

«لا».

اقتربت منه وهي تتمايل في مشيتها مما جعله يشعر بغصة في حلقه. قالت: «كل ما أريده هو أن أراه في ضوء النهار، لن ألمسه حتى، أنت من سيعمله. سيكون شيئاً أتذكره، أن تحمل (بوق فالير) بين يديك». أمسكت بيديه بينما تقول هذا، فجعلته لمستها يشعر بقشعريرة في جسمه وأن حلقه جاف.

شيء لتذكره... بعدما تذهب... يمكنه أن يغلق الصندوق على الخنجر بمجرد أن يُخرج البوق منه، سيكون شيئاً رائعاً أن يحمل البوق بين يديه بينما يمكنه أن يراه في ضوء النهار.

تمنى لو أنه يعرف المزيد عن (نبوءات التنين). المرة الوحيدة التي سمع فيها أحد حراس التجار يخبره بجزء منها في (إيموندز فيلد) كسرت (ناينيف) مكنسة على كتفي الرجل. لا يتذكر أيّاً من الأشياء القليلة التي سمعها عن (بوق فالير).

(آيز سيداي) يحاولن أن يجعلنني أفعل ما يردنه. كانت (سيلين) لا تزال تحدد بحددة إلى عينيه، ووجهها يانع للغاية وجميل للغاية، حتى إنه أراد تقبيلها رغم ما يفكر فيه. لم يسبق له أن رأى (آيز سيداي) تتصرف مثلها، كما أنها تبدو شابة، وليست امرأة لا يمكن تحديد عمرها. إن فتاة في مثل عمري لا يمكن أن تكون (آيز سيداي)، ولكن...

قال بصوت خافت: «هل أنتِ (آيز سيداي) يا (سيلين)؟».

«(آيز سيداي)!». كادت أن تبصق وهي تلوح بيديها. «(آيز سيداي)! دوّمًا ما تتهمني بهذا!». أخذت نفسًا عميقًا وهي تهدم فستانها بينما تستجمع شتات نفسها. «أنا لا شيء غير ما أكونه ومن أكونه، وأنا لست (آيز سيداي)!». غلفت نفسها بصمت بارد حتى إنها كادت أن تجعل شمس الصباح تبدو باردة. تحمل (لويال) و(هورين) كل هذا بأكبر قدر من اللباقة، محاولين إجراء محادثة وإخفاء حرجهما عندما جمدتهما بنظرة، ثم واصلوا المضي قدمًا.

بحلول الوقت الذي أقاموا فيه مخيمًا - بجانب جدول جبلي وفر لهم السمك من أجل عشاءهم - بدا أن (سيلين) قد سيطرت بعض الشيء على أعصابها، وبدأت تثرثر مع (الأوجير) عن الكتب، وتحدث بلطف مع (هورين).

ولكنها بالكاد كانت تتحدث مع (راند) ما لم يتحدث هو أولاً، سواء في ذلك المساء أو في اليوم التالي بينما يتحركون عبر الجبال التي تعلو على الجانبين كأسوار ضخمة رمادية مسننة، كأنها ترتفع بلا نهاية. ولكن كلما نظر إليها كانت تحدد إلىه وتبتسم، أحيانًا تكون ابتسامة من النوع الذي يجعله يبادلها الابتسام، وأحيانًا تكون من النوع الذي يجعله يتنحرج ويحمر خجلًا بسبب أفكاره، وأحيانًا تكون الابتسامة الغامضة العارفة التي تبسمها (إيجوين) أحيانًا. ابتسامة من النوع الذي يجعله يشعر دوّمًا بالتوتر، ولكنها على الأقل كانت ابتسامة.

من المستحيل أن تكون (آيز سيداي).

بدأ الطريق ينحدر لأسفل، بينما الوقت يميل للشفق، وقد أفسح (خنجر قاتل أهله) الطريق أخيرًا للتلال المستديرة والمتوجة، مع شجيرات أكثر من الأشجار وأجمات أكثر من الغابات. لم يكن هناك طريق، بل مجرد درب ترابي كالذي قد تستخدمه بعض العربات من آن لآخر. كانت الحقول تقسم بعض التلال إلى مدرجات، حقول مليئة بالمحاصيل، ولكنها خالية من البشر في هذه الساعة. لم تكن أي من البيوت الريفية المتناثرة قريبة بما يكفي من الدرب الذي يمشون فيه ليميز (راند) أكثر من كونها جميعًا مبنية من الحجر.

عندما رأى القرية أمامهم كانت الأضواء تتلألأ بالفعل في بعض النوافذ مع مجيء الليل.

قال: «سننام في أسرة الليلة».

قال (هورين) ضاحكًا: «سأستمتع بهذا يا لورد (راند)». أوّمأ (لويال) برأسه موافقًا.

قالت (سيلين) في استياء: «حانة قرية؟ ستكون قدرة بلا شك، ومليئة بالرجال غير المغتسلين الذين يشربون الجعة. لم لا يمكننا النوم تحت النجوم مرة أخرى؟ أعتقد أنني سأستمتع بالنوم تحت النجوم».

قال (راند): «لن تستمتعي بهذا إن لحق بنا (فاين) بينما نحن نيام، هو وأولئك (الترولكيون). إنه يسعى ورائي يا (سيلين)، ويسعى وراء (البوق) أيضًا، ولكنني أنا من يمكنه أن يعثر عليه. لماذا كنت متيقظًا للغاية في الليالي الماضية في رأيك؟».

«إن لحق (فاين) بنا فستتعامل معه». كان صوتها هادئًا وواثقًا. «وقد يكون هناك أصدقاء ظلام في القرية أيضًا».

«ولكن حتى إن عرفوا من نكون فلن يتمكنوا من فعل شيء بينما بقية القرويين من حولنا، ما لم تعتقدي أن كل شخص في القرية صديق للظلام».

«وإن اكتشفوا أنك تحمل (البوق)؟ سواء كنت تريد المجد أو لا فإن كل شخص يحلم به حتى المزارعون».

قال (لويال): «إنها محقة يا (راند)، أخشى أنه حتى المزارعون قد يرغبون في أخذه».

«ضع بطانيتك على الصندوق يا (لويال) وأبقه مغطى». أطاعه (لويال) فأومأ (راند) برأسه. كان من الواضح أن هناك صندوقًا تحت بطانية (الأوجير)، ولكن لا شيء يشي بأنه أكثر من صندوق سفر. قال (راند) وهو يتنسم وينحني: «صندوق ثياب سيدي».

حدقت إليه (سيلين) بصمت بنظرة مبهمة، وبعد لحظة واصلوا الحركة من جديد.

على الفور تقريبًا، على يسار (راند)، انعكس ضوء الشمس الغاربة على شيء ما على الأرض، شيء كبير، شيء كبير للغاية بالحكم على الضوء الذي يعكسه. في فضول أدار حصانه في هذا الاتجاه.

قال (هورين): «سيدي؟ القرية؟».

قال (راند): «أريد فقط أن أرى هذا أولاً». إنه أكثر سطوعًا من ضوء الشمس على الماء. ماذا يمكن أن يكون؟

بينما يركز على الانعكاس فاجأه توقف (ريد) المباغت. وبينما هو على وشك أن يحث الحصان على التقدم إلى الأمام أدرك أنهم واقفون على حافة جرف طيني، فوق حفرة ضخمة. لقد حُفر معظم التل إلى عمق يزيد عن مئة خطوة، لقد اختفى أكثر من تل بالتأكيد، وربما بعض حقول المزارعين، فقد كانت الحفرة باتساع يزيد عشر مرات عن عمقها. بدا أن الجانب البعيد قد ضُغط ليصير منحدرًا، وكان هناك رجال في القاع، عشرات منهم، يشعلون نارًا. هناك بالأسفل كان الليل قد حل بالفعل، وهنا وهناك فيما بينهم كانت الدروع تعكس الضوء، والسيوف تتأرجح على جوانبهم. بالكاد ألقى عليهم نظرة.

من قاع الحفرة الطينية تبرز يد حجرية عملاقة تُمسك بكرة بلورية، وهذه هي التي كانت تلمع بآخر ضوء للشمس. فغر (راند) فمه دهشة من حجمها. كانت كرة ملساء - كان متيقنًا من أنه لا يشوب سطحها خدش واحد - بقطر لا يقل عن عشرين خطوة.

على مسافة من اليد كُشف عن وجه حجري يتناسب في الحجم معها، وجه رجل ملتجٍ يبرز من التربة، بوقار سنوات عديدة، وملامحه العريضة بدت كأنها تحوي حكمة ومعرفة.

تشكّل الخواء دون أن يستدعيه تأمناً وكاملاً في لحظة، و(السايدين) يتوهج ويناديه. كان تركيزه منصباً على الوجه واليد، حتى إنه لم يلاحظ ما حدث. لقد سمع ذات مرة قبطان سفينة يتحدث عن يد عملاقة تمسك بكرة بلورية، لقد زعم (بايل دومون) أنها تبرز من تل على جزيرة (تريمالكينج). قالت (سيلين): «هذا خطير، فلنبعد عن هنا يا (راند)».

قال في شرود: «أعتقد أنه بمقدوري أن أجِد طريقاً للهبوط للأسفل». غنى له (السايدين). بدت الكرة الضخمة وكأنها تتوهج باللون الأبيض مع ضوء الشمس الغاربة، بدا له أنه في أعماق الكرة البلورية يحوم الضوء ويتراقص في إيقاع يتناغم مع أغنية (السايدين). تساءل لم لا يبدو أن الرجال بالأسفل يلاحظون هذا.

اقتربت (سيلين) بفرسها منه وأمسكت بذراعه ثم قالت: «أرجوك يا (راند)، يجب أن تبعد». نظر إلى يدها في حيرة، ثم تتبع ذراعها حتى وصل إلى وجهها. لقد بدت قلقة حقاً، بل وربما خائفة. «إن لم يتهاو هذا الجرف تحت خيولنا لتتكسر أعناقنا مع السقطة فإن هؤلاء الرجال حراس، ولا أحد يضع حراساً على شيء يرغب في أن يتفحصه كل عابر. ما فائدة تجنب (فاين) إن قبض علينا حراس لورد ما؟ فلنبعد».

فجأة - بفكرة منجرفة بعيدة - أدرك أن الخواء يحيط به. (السايدين) يغني والكرة تنبض - حتى دون أن ينظر كان قادراً على الإحساس بها - وخطرت له فكرة أنه إن غنى الأغنية التي يغنيها (السايدين) فإن ذلك الوجه الحجري سيفتح فمه ويغني معه. معه ومع (السايدين). جميعهم في وقت واحد.

قالت (سيلين): «أرجوك يا (راند)، سأذهب إلى القرية معك، لن أذكر (البوق) مرة أخرى. فقط فلنبعد!».

أطلق سراح الخواء... ولكنه لم يذهب. دندن (السايدين) فنبض الضوء في الكرة كالقلب. كقلبه. كان (لويال) و(هورين) و(سيلين) يحدقون جميعاً إليه، ولكنهم بدوا غير متبهيين إلى التوهج العظيم المنبعث عن الكرة البلورية. حاول أن يدفع الخواء بعيداً، ولكنه كان ثابتاً كالجرانيت، يطفو في الفراغ صلباً كالحجر. أغنية (السايدين)، أغنية الكرة، كان يشعر بهما ترتجفان في عظامه. في تجهم رفض أن يستسلم، ومد يده إلى أعماقه... أنا لن...

«(راند)». لم يعرف صوت من هذا.

... مد يده إلى جوهر من يكون، جوهر ما يكون...

... أنا لن...

«(راند)». ملأته الأغنية، ملأت الفراغ.

... لمس الحجر؛ حاراً بفعل شمس لا تشفق، بارداً بفعل ليل لا يرحم...

...لن...

ملأه الضوء، أعماه.

تمتم قائلاً: «حتى تتلاشى الظلة، حتى تتلاشى المياه...».

ملأته القوة، صار واحداً مع الكرة.

«... في وجه (الظل) مكشرين عن أنيابهم...».

القوة له. (القوة الواحدة) له.

«... ليصقوا في عين (عامي الأبصار)...».

قوة (لتحطيم العالم).

«... في (اليوم الأخير)!». خرجت على شكل صيحة فتلاشى الخواء. جفل (ريد) مع صرخته، وتفتت

الطين تحت حافري الحصان ليسقط في الحفرة. سقط الحصان الكبير على ركبتيه فمال (راند) للأمام وهو يجذب اللجام فاندفع (ريد) إلى مكان آمن بعيداً عن الحافة.

رأى أنهم جميعاً يحدقون إليه. (سيلين)، (لويال)، (هورين)، جميعهم. «ماذا حدث؟». الخواء... لمس جبهته، لم يذهب الخواء عندما أطلق سراحه، وقد ازداد توهج (السايدين) قوة، و... لم يستطع أن يتذكر أي شيء آخر. (السايدين). شعر بالبرودة. «هل... فعلتُ شيئاً ما؟». عقد حاجبيه محاولاً أن يتذكر. «هل قلتُ شيئاً ما؟».

قال (لويال): «كنت واقفاً هناك متصلباً كالتمثال، تتمتم لنفسك، متجاهلاً كل ما يقال لك. لم أتمكن من فهم ما تقوله حتى صحت «الأخير!» بصوت عالٍ بما يكفي لإيقاظ الموتى، وكدت أن تجعل حصانك يسقط من فوق الحافة. هل أنت مريض؟ إن تصرفاتك تزداد غرابة كل يوم».

قال (راند) بقسوة: «أنا لست مريضاً». ثم لان صوته وهو يقول: «أنا بخير يا (لويال)». كانت (سيلين) تنظر إليه بحذر.

جاء من الحفرة صوت رجال يتصايحون، بكلمات مبهمه.

قال (هورين): «أعتقد أن هؤلاء الحراس قد لاحظونا أخيراً يا لورد (راند)، إن كانوا يعرفون طريقة للصعود على هذا الجانب فقد يأتون إلى هنا في أي لحظة».

قالت (سيلين): «أجل، دعونا نبتعد عن هنا بسرعة».

ألقي (راند) نظرة أخرى على الحفرة ثم أشاح بنظره على الفور. لم تكن الكرة البلورية العظيمة تحوي شيئاً إلا انعكاس ضوء شمس المساء، ولكنه لم يرغب في النظر إليها. يكاد أن يتذكر... شيئاً ما حيال الكرة. «لا أرى أي سبب لانتظارهم، نحن لم نفعل شيئاً، دعونا نجد حانة». استدار بحصانه ناحية القرية، وسرعان ما تركوا الحفرة وصيحات الحرس من ورائهم.

مثل العديد من القرى كانت (تريمونسين) تغطي قمة تل، ولكن مثل المزارع التي مروا بها كان هذا التل منحوتًا على هيئة مدرجات بأسوار حجرية. كانت البيوت الحجرية المربعة تقع على قطع محددة من الأرض، وخلفها حدائق متشابهة، على طول بضعة شوارع مستقيمة تتقاطع مع بعضها بعضًا بزوايا قائمة. بدا وكأن ضرورة انحناء الشوارع حول التل شيئًا قد فعل على مريض.

ومع ذلك بدا الناس منفتحين وودودين بما يكفي، فيتوقفون للإيماء برؤوسهم لبعضهم بعضًا قبل أن يسرعوا لإنجاز آخر مهامهم قبل حلول الليل. كانوا قومًا قصار القامة، لا يزيد طول أي واحد منهم عن كتف (راند)، وقليل منهم كانوا بطول (هورين)، بأعين سوداء ووجوه نحيلة شاحبة، ويرتدون ثيابًا داكنة باستثناء قلة منهم يرتدون أشرطة ملونة على صدورهم. كان الهواء معبًا بروائح الطهو - بدت التوابل غريبة في أنف (راند) - رغم أن عددًا من الزوجات الصالحات لا يزلن واقفات عند أبواب بيوتهن لتبادل الحديث. كانت الأبواب مقسومة إلى قسمين، فيمكن إغلاق الجزء السفلي بينما يظل الجزء العلوي مفتوحًا. كان الناس ينظرون إلى الوافدين الجدد بفضول، دون أي بادرة عدا، بعضهم حدقوا للحظة أطول تجاه (لويال)؛ (أوجير) يمشي إلى جانب حصان ضخم كأنه حصان (دوراني)، ولكن هذا التحديق لم يدم أكثر من لحظة عابرة.

كانت الحانة الواقعة على التل حجرية ككل مبنى آخر في البلدة، ومميزة بوضوح باللافتة المتدلية فوق الأبواب الواسعة. (حانة الخواتم التسعة). ترجل (راند) عن حصانه مبتسمًا، ثم قيد (ريد) إلى أحد أعمدة الربط أمام الحانة. كانت «الخواتم التسعة» واحدة من أفضل حكايات المغامرات لديه عندما كان صبيًا، ويفترض أنها لا تزال كذلك.

كانت (سيلين) لا تزال تبدو متوترة وهو يساعدها على الترجل، فسألها: «هل أنت بخير؟ أنا لم أخفك هناك، أليس كذلك؟ ما كان (ريد) ليسقط من فوق الجرف معي». تساءل عما حدث هناك حقًا. قالت بصوت متوتر: «لقد أخفنتني، وأنا لا أخاف بسهولة. كنت قد تقتل نفسك، قد تقتل...». هندمت فستانها ثم قالت: «تعال معي. الليلة. اجلب (البوق) وسأبقى بجانبك إلى الأبد. فكر في الأمر. أنا إلى جانبك و(بوق قالير) بين يديك، وأعدك أن هذه ستكون البداية فحسب. ما الذي يمكن أن تطلبه أكثر من هذا؟».

هز (راند) رأسه وقال: «لا أستطيع يا (سيلين)، (البوق)...». تلفت حوله، كان هناك رجل ينظر من نافذته في الجهة المقابلة من الطريق. ثم أغلق الستائر. خيم ظلام المساء على الشارع، ولم يعد هناك أحد في مرمى البصر باستثناء (لويال) و(هورين). «(البوق) ليس ملكي، قلت لك هذا». أولته ظهرها، وكانت عباءتها البيضاء كأنها جدار من الطوب يفصل بينهما.

الفصل الحادي والعشرون

حانة الخواتم التسعة

لقد توقع (راند) أن تكون الحجرة العامة فارغة، حيث كان وقت العشاء قد اقترب، ولكن كان هناك ستة من الرجال جالسين على طاولة يلعبون النرد مع أكواب الجعة، ورجل آخر يجلس بمفرده يتناول وجبة. رغم أن لاعبي النرد لا يحملون أسلحة ظاهرة، ولا يرتدون دروعاً بل معاطف بسيطة وسراويل زرقاء داكنة، فإن شيئاً حيال سلوكهم جعل (راند) يعتقد أنهم جنود. انتقلت عيناه إلى الرجل الذي يجلس بمفرده، كان ضابطاً، حيث كان الجزء العلوي من حذائه الطويل منشياً لأسفل، وسيفه موضوعاً على الطاولة بجانب كرسيه. كان هناك خط أحمر وآخر أصفر يقطعان صدر المعطف الأزرق للضابط من الكتف إلى الكتف، والجزء الأمامي من رأسه حليق، رغم أن شعره الأسود ينسدل طويلاً على ظهره. كان شعر الجنود قصيراً ومتماثلاً في الطول، كما لو أنه قد قُصَّ تحت نفس الوعاء. التفت السبعة لينظروا إلى (راند) والآخرين بمجرد دخولهم.

كانت صاحبة الحانة امرأة نحيفة بأنف طويل وشعر رمادي، ولكن تجاعيد وجهها بدت جزءاً من ابتسامتها الدائمة أكثر من أي شيء آخر. جاءت بسرعة وهي تمسح يديها في منزر أبيض نظيف. «طاب مساؤكم...». انتقلت عينها بسرعة ما بين معطف (راند) الأحمر المطرز بالذهب وستان (سيلين) الأبيض الفاخر. «... يا سيدي اللورد، ويا سيدي النبيلة. أنا (ماجلين مادوين) يا سيدي، مرحباً بكم في (حانة الخواتم التسعة). ومعكم (أوجير)، لا يأتي الكثير من بني جنسك من هذا الطريق يا صديقي (الأوجير). هل أنت قادم من (ملاذ تسوفو) إذن؟».

استطاع (لويال) أن ينحني نصف انحناء بشكل حرج تحت ثقل الصندوق، ثم قال: «لا يا صاحبة الحانة الطيبة، أنا قادم من الاتجاه الآخر، من (البلاد الحدودية)».

«تقول من (البلاد الحدودية). حسناً، وأنت يا سيدي؟ اغفر لي سؤالي ولكنك لا تبدو من (البلاد الحدودية)، إن لم تمنع قولي هذا».

«أنا من (النهرين) يا سيدة (مادوين)، في (أندور)». نظر إلى (سيلين)، لم يبدو أنها تلاحظه، بل بدا من نظرتها الخالية من المشاعر أنها لا تلاحظ الحجرة أو أي شخص فيها. «السيدة (سيلين) من (كايرين)، من العاصمة، وأنا من (أندور)».

«حسناً يا سيدي». نظرت السيدة (مادوين) إلى سيف (راند)، كان البلشون البرونزي واضحاً على الغمد والمقبض. عقدت حاجبها قليلاً ولكن وجهها لان مرة أخرى على الفور. «لا شك أنك سترغب في تناول وجبة أنت وسيدتك الجميلة وتابعاك، وأعتقد أنكم ستحتاجون إلى غرف أيضاً. سآمر بالاعتناء بخيولكم».

لدي طاولة جيدة من أجلكم. من هذا الطريق. ولحم الخنزير مع الفلفل الأصفر على النار. هل تسعى وراء صيد (بوق فالير) إذن يا سيدي، وأنت يا سيدي؟».

كاد (راند) أن يتعثر وهو يلحق بها، ثم قال: «لا! لم قد تعتقدين أننا كذلك؟».

«لم أقصد الإهانة يا سيدي، لقد مر شخصان من هنا الشهر الماضي متأنقين ويبدوان كأنهما بطلان، لا أشير إلى أي شيء من هذا القبيل حيالك يا سيدي. لا يأتي الكثير من الغرباء إلى هنا، باستثناء التجار القادمين من العاصمة لشراء الشوفان والشعير. لا أعتقد أن (الصيد) قد خرج من (إليان) بعد. ولكن ربما يعتقد البعض أنهم لا يحتاجون إلى المباركة، وسيسبقون الآخرين بتفويتها».

«نحن لا نسعى وراء (البوق) يا سيدي». حاول (راند) ألا ينظر إلى الحزمة بين ذراعي (لويال). كانت البطانية بأشرطتها الملونة متدلّية من فوق ذراعي (الأوجير) السميكتين، وتخبيء الصندوق جيدًا. «نحن لا نسعى وراءه بالتأكيد، بل نحن في طريقنا إلى العاصمة».

«حسنًا يا سيدي. اغفر لي سؤال، ولكن هل السيدة النبيلة بخير؟».

نظرت إليها (سيلين) وتحدثت لأول مرة: «أنا في خير حال». ترك صوتها برودة في الهواء خنقت الحديث للحظة.

قال (هورين) فجأة: «أنت لست كاييرنية يا سيدة (مادوين)». كان مثقلًا بأكياس السرج وحزمة (راند)، فبدأ كأنه عربة أمتعة تمشي على قدمين. «اغفري لي، ولكن هذا لا يبدو على صوتك».

رفعت السيدة (مادوين) حاجبيها، ثم نظرت ناحية (راند) وابتسمت قائلة: «كان يجب أن أعرف أنك ستسمح لرجلك بالتحدث بحرية، ولكني قد اعتدت...». نظرت إلى الضابط الذي عاد لتناول وجبته. «بحق (النور)، لا، أنا لست كاييرنية. ولكن من أجل ذنوبي تزوجت واحدًا. لقد عشت معه لثلاثة وعشرين عامًا، وعندما مات - فليشرق عليه (النور) - كنت مستعدة للعودة إلى (لوجارد)، ولكن كانت له الضحكة الأخيرة، لقد ترك لي الحانة، ولأخيه المال، بينما كنت متيقنة من أن الأمر سيكون معكوسًا. كان (بارين) محتالًا وماكرًا، ككل رجل قد عرفته في حياتي وفي (كاييرين) في المقام الأول. هل ستجلس يا سيدي؟ سيدي؟».

رمشت صاحبة الحانة بعينيها في دهشة عندما جلس (هورين) إلى الطاولة معها. قد تتقبل جلوس (الأوجير) معها، ولكن من وجهة نظرها بدا من الواضح أن (هورين) خادم. ألقت نظرة سريعة أخرى على (راند)، ثم أسرع إلى المطبخ. وسرعان ما جاءت الخادومات بوجبتهم، وهن يضحكن ويحدقن إلى اللورد والسيدة النبيلة و(الأوجير)، حتى جاءت السيدة (مادوين) لتأمرهن بالعودة إلى عملهن.

في البداية حذق (راند) إلى طعامه في ريبة، كان لحم الخنزير مقطّعًا إلى قطع صغيرة، وممزجًا بشرائح طويلة من الفلفل الأصفر، والبازلاء، وعدد من الخضراوات، وأشياء لم يتعرف عليها، وكلها في صلصة سمكية من نوع ما. كانت الرائحة حلوة ونفاذة في الوقت ذاته. بدأت (سيلين) تأكل من طعامها لقيات صغيرة، ولكن

(لويال) راح يأكل بنهم. نظر (هورين) إلى (راند) مبتسماً من فوق شوكتته وقال: «إن الكايرينيين يضعون توابل غريبة في طعامهم يا لورد (راند)، ولكنه ليس سيئاً رغم ذلك». أضاف (لويال): «الطعام لن يعضك يا (راند)».

أخذ (راند) لقمة مترددة وكاد أن يشهق. كان طعمه مثل رائحته، حلواً ونفاذاً في الوقت ذاته، فكان لحم الخنزير مقرمشاً من الخارج، وليناً من الداخل، مع عشرات النكهات المختلفة والتوابل، جميعها ممتزجة ومتنافرة. لم يكن يشبه أي شيء قد تذوقه في حياته من قبل، كان مذاقه رائعاً. أكل كل الطعام الموجود في طبقه، وعندما عادت صاحبة الحانة مع الخادومات لأخذ الأطباق كاد أن يطلب المزيد مثلما فعل (لويال). كان طبق (سيلين) لا يزال نصف ممتلئ، ولكنها أشارت بيدها بلا اكتراث لإحدى الخادومات لكي تأخذه. قالت صاحبة الحانة مبتسمة: «بكل سرور يا صديقي (الأوجير). يحتاج الواحد منكم إلى الكثير من الطعام لكي يشبع. اجلسي طبقاً آخر يا (كاترين)، وبسرعة». أسرع إحدى الفتيات مبتعدة. ثم نظرت السيدة (مادوين) بابتسامتها إلى (راند) وقالت: «سيدي اللورد، كان لدي رجل هنا يعزف على آلة الباز، ولكنه تزوج فتاة من المزارع، والآن يعمل على محراث. لم أستطع منع نفسي من ملاحظة أن لديك ما يبدو كصندوق مزمار يبرز من حزمة رجلك. نظراً لغياب عازفي هل يمكنك أن تجعل رجلك يتفضل علينا ببعض الموسيقى؟».

بدا (هورين) محرجاً.

قال (راند) مفسراً: «إنه لا يعزف، بل أنا».

رمشت المرأة بعينها في دهشة، من الواضح أن اللوردات لا يعزفون على المزمار، على الأقل ليس في (كايرين). «أنا أسحب طلبي يا سيدي، أقسم (بالنور) أنني لم أقصد أي إهانة، لن أطلب أبداً من شخص مثلك أن يعزف في حجرة عامة».

لم يتردد (راند) إلا للحظة، لقد مضى وقت طويل منذ أن تدرب على المزمار بدلاً من السيف، والعملات في كيسه لن تدوم إلى الأبد. بمجرد أن يتخلص من ثيابه الفاخرة - بمجرد أن يسلم (البوق) إلى (إنجتار) والخنجر إلى (مات) - سيحتاج إلى المزمار ليحصل على عشاءه مرة أخرى بينما يبحث عن مكان آمن من (الآيز سيداي). وآمن من نفسي؟ شيء ما قد حدث هناك. ما هو؟

قال: «أنا لا أمانع، أعطني الحقيبة يا (هورين)، فقط اجذبها من الحزمة». لم يكن هناك حاجة لإظهار عباءة صانع البهجة، كان هناك ما يكفي من الأسئلة غير المعلنة في عيني السيدة (مادوين) السوداوين.

كانت الآلة الموسيقية المشغولة من الذهب والمطعمة بالفضة تبدو شيئاً يمكن أن يعزف عليه لورد، إن كان اللوردات في أي مكان يعزفون على المزمار. وسم البلشون على راحة يده اليمنى لم يُعق حركة أصابعه. لقد عمل مرهم (سيلين) بشكل جيد، حتى إنه بالكاد يفكر في الوسم ما لم يره. ومع ذلك استحوذ على أفكاره في هذه اللحظة، ومن دون وعي بدأ في عزف «طائر البلشون في الجو».

راح رأس (هورين) يتمايل مع اللحن، و(لويال) يضرب بأصابعه الغليظة على الطاولة مع الإيقاع. نظرت (سيلين) إلى (راند) كأنها تتساءل من يكون - أنا لست لوردًا يا سيدتي، أنا راعي غنم وأعزف المزمار في الحجرات العامة - ولكن الجنود توقفوا عن الحديث وراحوا يصغون السمع، وأغلق الضابط الغطاء الخشبي للكتاب الذي بدأ يقرأه. أشعلت نظرة (سيلين) الثابتة شرارة من العناد بداخل (راند)، فتجنب بإصرار أي أغنية قد تتلاءم مع قصر أو بيت لورد. لقد عزف «دلو واحد من الماء» و«ورقة شجر قديمة في النهرين» و«جاك العجوز فوق الشجرة» و«غليون الرجل الطيب بريكت».

مع الأغنية الأخيرة بدأ الجنود الستة في الغناء بنغمات صاخبة، ولكنها لم تكن الكلمات التي يعرفها (راند).

«لقد ذهبنا إلى (نهر إيراليل)

فقط لنرى مجيء التيريين

وقفنا على ضفة النهر

مع شروق الشمس

وقد غطت خيولهم السهل

وأظلمت السماء براياتهم

ولكننا صمدنا على ضفاف (نهر إيراليل)

أوه لقد صمدنا

نعم لقد صمدنا

صمدنا على ضفة النهر في الصباح».

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يكتشف فيها (راند) أن بعض الألحان لها كلمات مختلفة وأسماء مختلفة في أراضٍ مختلفة وأحيانًا في قرى في نفس الأرض. راح يعزف مع غنائهم حتى كفوا عن الغناء وهم يضربون أكتاف بعضهم بعضًا ويعلقون بفضافة على غناء بعضهم بعضًا.

عندما أنزل (راند) مزماره نهض الضابط وأشار بشكل حاد. لاذ الجنود بالصمت وانقطعت ضحكاتهم، ثم اعتدلوا واقفين لينحنوا للضابط وكل منهم يضع يده على صدره - وانحنوا (لراند) - ثم غادروا دون أن ينظروا وراءهم.

اقترب الضابط من طاولة (راند) ثم انحنى واضعًا يده على قلبه. بدا الجزء الأمامي الحليق من رأسه وكأنه مغطى بمسحوق أبيض. «فلتباركك (النعمة) يا سيدي اللورد، أمل أنهم لم يزعجوك بغنائهم، إنهم من العوام ولكنني أؤكد لك أنهم لم يقصدوا أي إهانة. أنا (ألدرين كالدثوين)، قائد في خدمة جلالته، فليشرق عليه (النور)». نظر إلى سيف (راند)، وكان لدى (راند) شعور بأن (كالدثوين) قد لاحظ طائر البلشون بمجرد دخوله.

«لم أشعر بأي إهانة». إن لكمة الضابط قد ذكرته بلكنة (مويرين) الدقيقة حيث تنطق كل كلمة بشكل كامل. هل تركتني أذهب حقًا؟ أتساءل إن كانت تلحق بي أم تنتظرني. «اجلس من فضلك أيها القائد». جذب (كالدثوين) كرسيًا من طاولة أخرى. «إن كنت لا تمنع أيها القائد، أخبرني هل رأيت أي غرباء آخرين مؤخرًا؟ سيدة نبيلة قصيرة ونحيفة، ورجل مقاتل بعينين زرقاوين، إنه طويل وأحيانًا ما يضع سيفه على ظهره».

قال وهو يجلس متكلفًا على كرسيه: «لم أر أي غرباء باستثناءك أنت وسيدتك النبيلة أيها اللورد. قليل من النبلاء يأتون إلى هنا». انتقلت عيناه إلى (لويال) عاقدًا حاجبيه بشكل طفيف، وقد تجاهل (هورين) باعتباره خادمًا.

«لقد كانت مجرد فكرة».

«أقسم (بالنور) يا سيدي أنني لا أقصد أي إهانة، ولكن هل يمكنني أن أعرف اسمك؟ قليل من الغرباء يأتون إلى هنا، حتى إنني أرغب في معرفة كل واحد».

أخبره (راند) باسمه - لم يزعم أي ألقاب ولكن لم يبدُ أن الضابط قد لاحظ هذا - وقال له ما قاله لصاحبة الحانة: «من (النهرين) في (أندور)».

«سمعت أنه مكان رائع يا لورد (راند) - هل يمكنني أن أناديك هكذا؟ - وأن الأندوريين رجال صالحون. لم يسبق أن حمل أي كايبريني سيف سياف في سن صغير مثلك. لقد التقيت ذات مرة ببعض الأندوريين، وكان من بينهم القائد العام لحرس الملكة، أشعر بالحرج لأنني لا أذكر اسمه، ربما يمكنك أن تتفضل بتذكيري».

كان (راند) مدرّكًا للخدمات في الخلفية وهن يبدأن في التنظيف والكنس. لقد بدا (كالدثوين) وكأنه يجري محادثة ودية فحسب، ولكن نظرت كانت تتسم بطابع التحقيق. «(جاريث براين)».

«بالطبع. إنه صغير السن على تحمل مثل هذه المسؤولية».

أبقى (راند) صوته معتدلًا وهو يقول: «إن (جاريث براين) لديه ما يكفي من الشعر الرمادي ليكون أباك أيها القائد».

«اغفر لي يا لورد (راند)، قصدت أن أقول إنه وصل إلى هذا المنصب شابًا». التفت (كالدثوين) إلى (سيلين) وللحظة اكتفى بالتحديق. وأخيرًا هز رأسه كأنها يستيقظ من حلم وقال: «اغفري لي التحديق إليك هكذا يا سيدي، واغفري لي حديثي هكذا، ولكن (النعمة) تباركك بالتأكيد. هل يمكنك أن تخبريني باسم هذا الجمال؟».

عندما فتحت (سيلين) فمها صرخت إحدى الخدمات وهي تسقط مصباحًا كانت تنزله من على أحد الرفوف. تناثر الزيت وتحول إلى بركة من اللهب على الأرضية. قفز (راند) واقفًا على قدميه مع بقية الجالسين حول الطاولة، ولكن قبل أن يتحرك أحدهم جاءت السيدة (مادوين) وأخذت النار هي والفتاة بمئزرهما.

قالت صاحبة الحانة وهي تهز مئزرها الذي صار متسخًا بالسخام تحت أنف الفتاة: «أخبرتكَ أن تكوني حذرة يا (كاترين). ستحرقين هذه الحانة وتحرقين نفسك معها».

بدأت الفتاة على وشك البكاء وهي تقول: «لقد كنت حذرة يا سيدتي، ولكنني شعرت بوخز في ذراعي». لوحت السيدة (مادوين) بيديها وهي تقول: «دومًا ما يكون لديك عذر، ومع ذلك تكسرين أطباقًا أكثر من أي شخص آخر. حسنًا، لا بأس، نظفي هذه الفوضى ولا تحرقِي نفسك». التفتت صاحبة الحانة إلى (راند) والبقية وهم لا يزالون واقفين حول الطاولة وقالت: «أمل أنكم لم تشعروا بالاستياء من هذا، هذه الفتاة لن تحرق الحانة حقًا، إنها تتعامل بحماسة مع الأطباق عندما تبدأ في تأمل أحد الشبان، ولكنها لم تتعامل بشكل أخرق مع مصباح من قبل».

«أرغب في أن يريني أحد غرفتي، فأنا لا أشعر بأنني على ما يرام». قالتها (سيلين) بتؤدة كما لو أنها تشعر بتوعك في معدتها، ولكنها مع ذلك بدت هادئة ورابطة الجأش كعادتها. «بسبب الرحلة الطويلة وهذه النيران».

طقطقت صاحبة الحانة بلسانها كالدجاجة وقالت: «بالطبع يا سيدتي، لدي غرفة رائعة من أجلك ومن أجل اللورد. هل يجب أن أجلب (الأم كاردوين)؟ إنها بارعة في استخدام الأعشاب المهدئة». احتد صوت (سيلين) وهي تقول: «لا، وأريد غرفة بمفردي».

نظرت السيدة (مادوين) إلى (راند)، ولكنها في اللحظة التالية انحنت (لسيلين) بلطف وهي تشير ناحية السلم قائلة: «كما تشائين يا سيدتي. (ليدان)، كوني فتاة صالحة واجلبي أغراض السيدة النبيلة». ركضت إحدى الخادومات لتأخذ أكياس سرج (سيلين) من (هورين)، ثم اختفت المرأتين في الطابق العلوي بينما (سيلين) صامتة ومنتصبة الظهر.

حدق (كالدثوين) إليهما حتى اختفيا ثم هز رأسه مرة أخرى. انتظر حتى جلس (راند) قبل أن يستوي على كرسيه من جديد. «اغفر لي التحديق إلى سيدتك يا لورد (راند)، ولكن من المؤكد أن (النعمة) تباركك بها. لم أقصد أي إهانة».

قال (راند): «لم أشعر بأي إهانة». تساءل إن كان كل رجل يشعر كما يشعر عندما ينظر إلى (سيلين). «بينما أنا في طريقي إلى القرية أيها القائد رأيت كرة كبيرة تبدو بلورية، ما هذه؟».

لمعت عينا الكايريني ثم قال ببطء: «إنها جزء من التمثال يا لورد (راند)». ثم التفت إلى (لويال) وبدأ للحظة وكأنه يعيد التفكير في شيء ما.

«تمثال؟ لقد رأيت يدًا، ووجهًا أيضًا. لا شك أنه ضخمة».

قال (كالدثوين): «بالفعل يا لورد (راند)، وقديم». ثم صمت لحظة وقال: «قيل لي إنه من (عصر الأساطير)».

انتابت (راند) قشعريرة، (عصر الأساطير)، عندما كانت (القوة الواحدة) مستخدمة في كل مكان، إن كانت الحكايات صادقة. ما الذي حدث هناك؟ أعرف أن شيئاً ما قد حدث.

قال (لويال): «(عصر الأساطير)، أجل، لا شك أنه كذلك. لم يصنع أحد عملاً بهذه الضخامة منذ ذلك الحين. إنكم تنقبون عن قطعة فنية عظيمة أيها القائد». كان (هورين) يجلس صامتاً، ليس وكأنه لا يستمع فحسب، بل وكأنه غير موجود على الإطلاق.

أوماً (كالدثوين) برأسه على مضض وقال: «لدي خمسمئة عامل في المخيم وراء الحفر، ومع ذلك سينتهي الصيف قبل أن ينتهي العمل. هناك رجال من (فورجيت). إن نصف عملي هو إبقاؤهم يحفرون، والنصف الآخر هو إبعادهم عن هذه القرية. إن الفورجيتيين لديهم ولع بالإفراط في الشراب كما تعرف، وهؤلاء الناس يحبون حياة هادئة». بدا من لهجته أنه يتعاطف تماماً مع القرويين.

أوماً (راند) برأسه، لم يكن لديه أدنى اهتمام بالفورجيتيين، أيّاً من كانوا. «ما الذي ستفعلونه به؟». تردد القائد، ولكن (راند) اكتفى بالنظر إليه حتى تحدث.

«(جالدريان) بنفسه قد أمر بنقله إلى العاصمة».

رمش (لويال) بعينه وقال: «إنها قطعة فنية عظيمة للغاية. لست متيقناً من كيفية نقل شيء بهذه الضخامة بعيداً إلى هذا الحد».

قال (كالدثوين) بحدة: «لقد أمر جلالته بهذا، سيُنصب خارج المدينة كنصب تذكاري لعظمة (كايرين)، وعائلة (رياتين). ليس (الأوجير) وحدهم من يعرفون كيفية نقل الحجر». بدا (لويال) محرجاً فتمالك القائد نفسه بشكل واضح وقال: «المعذرة يا صديقي (الأوجير)، لقد تحدثت بتعجل وفضاظة». لا يزال يبدو فظاً بعض الشيء. «هل ستبقى في (تريمونسين) لوقت طويل يا لورد (راند)؟».

قال (راند): «سنغادر في الصباح، نحن ذاهبون إلى (كايرين)».

«يتصادف أنني سأعيد بعض رجالي إلى المدينة في الغد، يجب عليّ تبديلهم فهم يشعرون بالسأم بعد وقت طويل من مراقبة الرجال وهم يعملون بالمعاول والمجارف. لن تمنع إن ذهبوا في صحبتك؟». لقد طرحها كسؤال، ولكن بدا كأن القبول أمر مفروغ منه. ظهرت السيدة (مادوين) عند السلم فاعتدل واقفاً وقال: «إذا سمحت لي يا لورد (راند)، يجب أن أستيظ باكرًا. أراك في الصباح إذن. فلتباركك (النعمة)». انحنى (لراند) ثم أوماً برأسه إلى (لويال) وغادر.

بينما الباب ينغلق وراء الكايريني جاءت صاحبة الحانة إلى الطاولة.

«لقد حرصت على أن تستقر سيدتك في غرفتها يا سيدي، وقد أعددت غرفاً من أجلك ومن أجل رجلك وصديقك (الأوجير)». صمتت لحظة وهي تتفحص (راند) ثم قالت: «اغفر لي إن تجاوزت حدودي يا سيدي ولكني أعتقد أنني أستطيع التحدث بحرية إلى لورد يسمح لرجله بالحديث. إن كنت مخطئة... حسناً لا أقصد إهانة. لثلاثة وعشرين عاماً كنت أنا و(بارين مادوين) نتجادل عندما لا نتبادل القبلات إن جاز

التعبير. ما أريد قوله هو أن لديّ بعض الخبرة، أنت تعتقد الآن أن سيدتك لن ترغب في رؤيتك مرة أخرى، ولكن ما أعتقد هو أنك إن طرقت بابها الليلة فسوف تستقبلك، ابتسم لها وقل إنه كان خطأك، سواء كان كذلك أو لا».

تنحنح و(راند) وهو يأمل أن وجهه لم يحتقن بالدماء. بحق (النور)، ستقتلني (إيجوين) إن عرفت أنني فكرت حتى في الأمر، وستقتلني (سيلين) إن فعلتها. هل ستفعل حقًا؟ هذا جعل وجنتيه تتوردان خجلًا. «أنا... شكرًا لاقتراحك يا سيدة (مادوين). الغرف...». تحاشى النظر إلى الصندوق المغطى بالبطانية إلى جانب كرسي (لويال)، لن يجرؤ على تركه دون أن يكون هناك شخص ما ليحرسه. «سننام نحن الثلاثة في الغرفة نفسها». بدت صاحبة الحانة مذهولة، ولكنها تماكنت نفسها على الفور وقالت: «كما تشاء يا سيدي. من هذا الطريق إذا سمحت».

لحق بها (راند) صاعدًا السلم. كان (لويال) يحمل الصندوق تحت بطانيته - أصدر الدرج صريرًا تحت ثقله وثقل الصندوق معًا، ولكن يبدو أن صاحبة الحانة اعتقدت أن هذا فقط بسبب حجم (الأوجير) - و(هورين) لا يزال يحمل كل أكياس السرج، وحزمة العباءة مع القيثارة والمزمار.

أحضرت السيدة (مادوين) سريرًا ثالثًا ثم جمعته ونصبته على عجالة، كان أحد السريرين الموجودين بالفعل يمتد طوله من الجدار إلى الجدار، ومن الواضح أنه كان مخصصًا (للويال) منذ البداية. بالكاد كان هناك مساحة للمشبي بين الأسرّة. بمجرد رحيل صاحبة الحانة التفت (راند) إلى الآخرين. كان (لويال) قد دفع الصندوق الذي لا يزال مغطى تحت سريره وراح يجرب المرتبة، بينما (هورين) يُنزل أكياس السرج. «هل أي منكما يعرف لماذا كان القائد يرتاب فينا؟ كان كذلك، أنا متيقن من هذا». ثم هز رأسه وقال: «أكاد أعتقد من الطريقة التي تحدث بها أنه يفكر أننا قد نسرق التمثال».

قال (هورين): «(دايس دايمار) يا لورد (راند)، (اللعبة الكبرى)، يسميها البعض (لعبة العائلات). يفكر (كالدثوين) أنك بلا شك تفعل شيئًا لمصلحتك، وإلا لما جئت إلى هنا، وأي شيء تفعله قد لا يكون في صالحه، لذا يجب عليه أن يكون حذرًا».

هز (راند) رأسه وقال: «(اللعبة الكبرى)؟ أي لعبة؟».

قال (لويال) وهو مستلقٍ على سريره: «إنها ليست لعبة على الإطلاق يا (راند)». كان قد أخرج كتابًا من جيبه ولكنه وضعه مغلقًا على صدره. «لا أعرف كثيرًا عنها - (الأوجير) لا يفعلون مثل هذه الأشياء - ولكنني قد سمعت عنها. النبلاء والعائلات النبيلة يناورون لتحقيق الأفضلية، يفعلون أشياء يعتقدون أنها ستساعدهم أو ستؤذي أعداءهم أو الأمران معًا. عادة ما يحدث كل ذلك في سرية، وإن لم يكن كذلك فإنهم يحاولون أن يجعلوه يبدو وكأنه شيء آخر خلاف ما هو عليه». حك أذنه المشعرة في حيرة وقال: «رغم أنني أعرف الأمر فإنني لا أفهمه، دومًا ما يقول الكبير (هامان) إن فهم الأشياء التي يفعلها البشر يتطلب عقلًا أكبر من عقله، وأنا لا أعرف الكثير من الأشخاص بمثل ذكاء الكبير (هامان). أنتم البشر غرباء الأطوار».

نظر (هورين) إلى (الأوجير) بطرف عينه، ولكنه قال: «إن لديه الحق في لعب (الدائيس دايمار) يا لورد (راند)، الكايرينيون يلعبونها أكثر من غيرهم، رغم أن معظم الجنوبيين يلعبونها».

قال (راند): «هؤلاء الجنود في الصباح، هل هم جزء من لعب (كالدثوين) (للعبة الكبرى)؟ لا يمكننا تحمل التورط في شيء كهذا». لم يكن هناك حاجة لذكر (البوق)، فجميعهم على علم بوجوده.

هز (لويال) رأسه وقال: «لا أعرف يا (راند)، إنه بشري، لذا فإن هذا قد يعني أي شيء».

«(هورين)؟».

«لا أعرف أيضًا». بدا (هورين) قلقًا مثلما يبدو (الأوجير). «ربما يفعل ما يقوله، أو هذه هي طبيعة (لعبة العائلات)، أنت لا تعرف أبدًا. لقد قضيت معظم وقتي في (كايرين) في (فورجيت) يا لورد (راند)، ولا أعرف الكثير عن نبلاء (كايرين)، ولكن... حسنًا، يمكن أن تكون (الدائيس دايمار) خطيرة في أي مكان، ولكنني سمعت أنها خطيرة على وجه الخصوص في (كايرين)». ثم تهللت أساريره فجأة وقال: «السيدة (سيلين) يا لورد (راند)، إنها ستعرف أفضل مني أو من (البناء)، يمكنك أن تسألها في الصباح».

ولكن في الصباح كانت (سيلين) قد رحلت، عندما هبط (راند) إلى الحجرة العامة أعطته السيدة (مادوين) لفافة مختومة. «اغفر لي يا سيدي، ولكن كان عليك أن تُنصت لي، كان عليك أن تطرق باب سيدتك».

انتظر (راند) حتى ذهبت قبل أن يكسر ختم الشمع الأبيض. كان الشمع مختومًا بهلال ونجوم.

يجب أن أتركك لبعض الوقت، يوجد الكثير من الناس هنا، وأنا لا أحب (كالدثوين)، سأنتظرك في (كايرين). لا تعتقد أنني بعيدة عنك للغاية، ستكون في أفكاري دومًا، كما أعرف أنني سأكون في أفكارك.

لم تكن موقعة، ولكن هذا الخط الأنيق المتدفق يبدو وكأن (سيلين) هي من كتبه.

طوى اللفافة ووضعها في جيبه قبل أن يخرج، حيث ينتظر (هورين) مع الخيل.

كان القائد (كالدثوين) هناك أيضًا، مع ضابط أصغر سنًا وخمسين جنديًا على صهوات خيولهم محتشدين في الشارع. كان الضابطان حاسري الرأس، ولكن كل منهما يرتدي قفازًا مدعمًا بالفولاذ، ودرع صدر مطعّم بالذهب، مربوطًا فوق معطفه الأزرق. كان هناك عصا قصيرة مثبتة على ظهر كل ضابط وتحمل راية زرقاء صغيرة فوق رأسه. كانت راية (كالدثوين) بها نجمة بيضاء واحدة، في حين كانت راية الرجل الأصغر سنًا يقطعها خطان أبيضان. كان على النقيض تمامًا من الجنود الذين يرتدون دروعًا بسيطة وخوذات تبدو أشبه بأجراس معدنية قد قُطع منها جزء ليكشف عن وجوههم.

انحنى (كالدثوين) عندما خرج (راند) من الحانة وقال: «طاب صباحك يا لورد (راند)، هذا (إلريكين تافولين)، الذي سيقود رِفَقَتك إن جاز لي قول هذا». انحنى الضابط الآخر، كان رأسه مخلوقًا كرأس (كالدثوين)، ولكنه لم يتكلم.

قال (راند) وقد استطاع أن يبدو مسترخياً: «سأرحب بالرفقة أيها القائد». لن يحاول (فاين) أن يفعل شيئاً ضد خمسين جندياً، ولكن (راند) كان يتمنى لو أنه متيقن من كونهم مجرد رفقة.

نظر القائد إلى (لويال) وهو في طريقه إلى حصانه بينما يحمل الصندوق المغطى بالبطانية وقال: «حمل ثقيل أيها (الأوجير)».

كاد (لويال) أن يتعثر ثم قال: «لا أحب أن أكون بعيداً عن كتبي مطلقاً أيها القائد». ابتسم ابتسامة واسعة متكلفة كشفت عن أسنانه ثم أسرع ليربط الصندوق في سرجه.

تلقت (كالدثوين) حوله ثم عقد حاجبيه وقال: «إن سيدتك لم تهبط بعد، وفرسها الجميلة ليست هنا».

قال له (راند): «لقد غادرت بالفعل، كان عليها أن تذهب إلى (كايرين) بسرعة أثناء الليل».

رفع (كالدثوين) حاجبيه وقال: «أثناء الليل؟ ولكن رجالي... اغفر لي يا لورد (راند)». تنحى بالضابط الأصغر سناً جانباً وراح يهمس في غضب.

همس (هورين): «لقد أمر بمراقبة الحانة يا لورد (راند)، لا شك أن السيدة (سيلين) قد تجاوزتهم دون أن يروها بطريقة ما».

اعتلى (راند) سرج (ريد) متجهماً، إن كان هناك أي فرصة أن (كالدثوين) لم يشك في شيء فإن (سيلين) قد قضت على هذه الفرصة. تتمم قائلاً: «قالت إن هناك الكثير من الناس، سيكون هناك عدد أكبر بكثير في (كايرين)».

«هل قلت شيئاً يا سيدي؟».

رفع (راند) عينيه بينما (تاثولين) ينضم إليهم، ممتطياً حصاناً طويلاً بلون الغبار. كان (هورين) في سرجه بدوره، و(لويال) يقف إلى جانب رأس حصانه الكبير. تشكل الجنود في صفوف ولم يستطع أن يرى (كالدثوين) في أي مكان.

قال (راند): «لا شيء يحدث كما أتوقع».

ابتسم (تاثولين) ابتسامة مقتضبة، مجرد انثناء طفيفة في شفثيه، ثم قال: «هلاً تحركنا يا سيدي؟».

توجه الموكب الغريب نحو الطريق الممهّد الذي يؤدي إلى مدينة (كايرين).

الفصل الثاني والعشرون

المراقبون

«لا شيء يحدث كما أتوقعه». تمت بها (مويرين) دون أن تنتظر إجابة من (لان). كانت الطاولة الطويلة المصقولة أمامها مليئة بالكتب والأوراق واللفافات والمخطوطات، معظمها مغبر بسبب التخزين لوقت طويل وبإلّا بفعل الزمن، وبعضها مجرد قصاصات. بدت الغرفة وكأنها مكونة من الكتب والمخطوطات التي تملأ الأرفف، باستثناء موضع الأبواب أو النوافذ أو المدفأة. كانت الكراسي عالية الظهر ومبطنة جيدًا، ولكن نصفها ومعظم الطاولة الصغيرة موضوع عليه كتب، وبعضها موضوع تحتها كتب ولفافات، ولكن الفوضى أمام (مويرين) كانت فقط ما يشغل بالها.

اعتدلت واقفة واقتربت من النافذة، ثم نظرت عبر الليل إلى أضواء القرية التي لا تبعد كثيرًا. ليس هناك خطر أن يلاحقها أحد هنا، لا أحد سيتوقع مجيئها إلى هنا. قالت لنفسها: سأصفي ذهني وأبدأ من جديد، هذا هو كل ما يجب عليّ فعله.

لم يشك أي من القرويين في أن الأختين العجوزين اللتين تعيشان في هذا البيت المريح هما من (الآيز سيداي). لا أحد يشك في مثل هذه الأشياء في مكان صغير مثل (تيفانز ويل)، وهو مجتمع زراعي يقع في عمق سهول (آرافيل) العشبية. يأتي القرويون إلى الأختين من أجل المشورة بشأن مشكلاتهم وعلاج أمراضهم، ويعدونها امرأتين مباركتين من (النور) لا أكثر. لقد اختارت (أدلياس) و(فاندين) الخلو طوعية قبل وقت طويل، حتى إن قلة في (البرج الأبيض) يذكرون أنهما لا تزالان على قيد الحياة.

لقد عاشتا بهدوء مع (حام) يماثلهما عمرًا قد بقي معهما عازمتين على كتابة تاريخ العالم منذ (التحطم)، وقدر ما يمكنهما كتابته منذ ما قبل ذلك. يومًا ما سنتهيان من كتابة كل هذا. وفي هذه الأثناء كان هناك الكثير من المعلومات لجمعها والكثير من الألغاز لحلها. كان بيتها هو المكان المثالي لكي تجد فيه (مويرين) المعلومات التي تحتاج إليها، ولكنها لم تجد ما كانت تتوقعه.

جذب انتباهها حركة ما فالتفتت. كان (لان) مسترخيًا أمام المدفأة المصنوعة من القرميد الأصفر، ساكنًا كجلمود من الصخر. قالت: «هل تتذكر أول مرة التقينا فيها يا (لان)؟».

كانت تمنع النظر بحثًا عن أي دلائل وإلا لما رأت الارتعاشة الطفيفة لحاجبه. نادرًا ما تتمكن من مفاجأته، لم يكن هذا موضوعًا يذكره أي منهما على الإطلاق، لقد أخبرته قبل عشرين عامًا - بكل كبرياء الشباب - بأنها لن تتحدث عن هذا الأمر مرة أخرى، وأنها تتوقع منه الصمت نفسه.

كل ما قاله هو: «أتذكر».

«وأفترض أنك لن تعتذر أيضًا؟ لقد ألقيت بي في بركة». لم تبسم رغم أنها كانت تشعر بالمرح. «كنت مبتلة تمامًا أثناء ما تسمونه أنتم في (البلاد الحدودية) الربيع. لقد كدت أن أتجمد».

«أتذكر أنني أشعلت نارًا أيضًا، ووضعت بطانيات كبيرة لتتمكني من تدفئة نفسك في خصوصية». قلب الحطب المشتعل بالمحرك ثم أعاده مرة أخرى إلى خطافه. حتى ليالي الصيف تكون باردة في (البلاد الحدودية). «أتذكر أيضًا أنه أثناء نومي ألقى نصف البركة. كنا سنوفر قدرًا كبيرًا من الارتعاش من الجانبين لو أخبرني ببساطة أنك (آيز سيدي) بدلًا من استعراض ذلك، بدلًا من محاولة فصلي عن سيفي. ليست طريقة جيدة لتقديم نفسك إلى رجل من (البلاد الحدودية)، حتى بالنسبة لشابة».

«لقد كنت شابة بالفعل، ووحيدة، وأنت كنت ضخمًا كما أنت الآن، وأكثر ضراوة. لم أرغب في أن تعرف أنني (آيز سيدي). بدا لي حينها أنك قد تجيب عن أسئلتني بحرية أكثر إن لم تعرف». صمتت للحظة وهي تفكر في السنوات التي مرت منذ ذلك اللقاء. كان من الرائع أن تجد رفيقًا يشاركها مسعاها. «في الأسابيع التي تلت ذلك هل خمنت أنني سأطلب منك أن ترتبط بي؟ لقد قررت أنك الشخص المناسب منذ اليوم الأول».

قال بسخرية: «لم أحن هذا قط. كنت مشغولًا للغاية بالتساؤل ما إذا كان بمقدوري اصطحابك إلى (تشاتشين) والبقاء سليمًا. كان لديك مفاجأة مختلفة من أجلي كل ليلة، أتذكر النمل على وجه الخصوص. لا أعتقد أنني قد حظيت بنوم هانئ ليلة واحدة طيلة تلك الرحلة».

سمحت لنفسها أن تبتسم ابتسامة صغيرة وهي تتذكر، قبل أن تكرر: «كنت شابة. وهل تزعجك الرابطة بعد كل تلك السنوات؟ أنت لست رجلًا يمكنه أن يقبل القيد بسهولة، حتى لو كان قيدًا خفيفًا مثل قيدي». كان تعليقًا لاذعًا وقد قصدت هذا.

«لا». كان صوته باردًا. ثم أمسك بالمحرك مرة أخرى ومنح الجمر توهجًا عنيفًا لم يكن بحاجة إليه. تصاعد الشرر إلى المدخنة. «لقد اخترت بحرية وأنا أعلم ما ينطوي عليه الأمر». علّق المحرك الحديدي مرة أخرى في خطافه ثم انحنى انحناء رسمية وقال: «تشرفني خدمتك يا (مويرين آيز سيدي). لطالما كان الأمر هكذا، وسيكون دومًا هكذا».

تنهدت (مويرين) ثم قالت: «لطالما كان تواضعك يا (لان جايدن) متغطرًا أكثر من غطرسة الملوك الذين يتقدمون جيوشهم. لقد كان هكذا منذ اليوم الأول الذي التقيتك فيه».

«لم كل هذا الحديث عن الأيام الخوالي يا (مويرين)؟».

للمرة المئة - أو هكذا بدا لها - فكرت في الكلمات التي يجب عليها قولها. «قبل أن نغادر (تار فالون) اتخذت الترتيبات اللازمة أن تنتقل رابطتك إلى (آيز سيدي) أخرى في حال حدوث شيء لي». حلق إليها في صمت. «عندما تشعر بموت ستجد نفسك مضطرًا للبحث عنها على الفور، لا أريدك أن تتفاجأ بهذا».

«مضطرًا». قال الكلمة بغضب بصوت خافت. «لم تستخدم رابطتي قط لإجباري، كنت أعتقد أنك ترفضين هذا».

«لو لم أفعل هذا لتحررت من رابطتك عند موتي، وحتى أقوى أوامري لن تكون قادرة على منعك، لن أسمح لك بالموت في محاولة غير مجدية للانتقام لي، ولن أسمح لك بالعودة إلى حربك الخاصة في (البلاء العظيم) التي هي غير مجدية بالقدر نفسه. إن الحرب التي نخوضها هي الحرب نفسها، إن كنت تستطيع أن تراها هكذا، وسأحرص على أن أخوضها لتحقيق هدف ما. لن ينفك الانتقام، أو الموت دون أن تُدفن في (البلاء العظيم)».

«وأنتِ تنبئين أن موتك قريب؟». كان صوته هادئاً ووجهه خالياً من التعبيرات، كحجر في عاصفة ثلجية شتوية. لقد رآته في هذه الهيئة مرات عديدة، عادة عندما يكون على وشك أن يصير عنيفاً. «هل خططت لشيء ما من دوني سيؤدي إلى موتك؟».

تمتمت: «أنا مسرورة فجأة لأنه لا يوجد بركة في هذه الغرفة». ثم رفعت يديها عندما تيسر جسده استياءً من لهجتها المرحية. «أنا أرى موتي كل يوم كما تراه، كيف لا أرى هذا مع المهمة التي نسعى لتحقيقها طيلة هذه السنوات، والآن مع وصول كل شيء إلى ذروته يجب أن أرى أن الأمر أكثر احتمالاً من ذي قبل».

للحظة تفحص يديه الكبيرتين المربعتين ثم قال ببطء: «لم أفكر قط أنني قد لا أكون أول من يموت فينا، بطريقة ما حتى في أسوأ الاحتمالات يبدو دوماً...». فجأة فرك يديه معاً وقال: «إن كان هناك احتمال أن أُنح لشخص آخر ككلب أليف فعلى الأقل أريد أن أعرف إلى من ستمنحيني».

قالت (مويرين) بحدة: «لم أرك قط كحيوان أليف، ولن تراك (ميريل) هكذا».

قال متجهماً: «(ميريل). نعم، يجب أن تكون (خضراء)، وإلا فستكون فتاة عديمة الخبرة قد ارتقت للتو إلى مرتبة الأختية الكاملة».

«إن كانت (ميريل) قادرة على إبقاء (الجايدن) الثلاثة لديها منضبطين فربما يكون لديها فرصة في السيطرة عليك. وعلى الرغم من أنني أعرف أنها سترغب في الاحتفاظ بك فإنها وعدتني أن تمرر رابطتك عندما تجد (الآيز سيدي) التي تناسبك بشكل أفضل».

«إذن ليس حيواناً أليفاً، بل طرداً. سيكون على (ميريل) أن تكون... مشرفة! حتى (الخضراوات) لا يعاملن (حُماتهن) بهذه الطريقة يا (مويرين). لم تمرر (آيز سيدي) رابطة (حاميتها) إلى (آيز سيدي) أخرى منذ أربعمئة عام، ولكنك تنوين فعل هذا بي، ليس مرة واحدة، بل مرتين!».

«لقد حُسم الأمر، ولن أراجع فيه».

«فليعومني (النور)، إن كنت سأنتقل من يد إلى يد، هل لديك فكرة على الأقل في يد من سينتهي بي المطاف؟».

«ما أفعله هو من أجل مصلحتك، وربما من أجل مصلحة شخص آخر أيضاً. قد تجد (ميريل) فتاة عديمة الخبرة قد ارتقت للتو إلى مرتبة الأختية الكاملة - أليس هذا ما قلته؟ - تحتاج إلى (حام) متمرس في القتال وحكيم في أمور العالم، فتاة قليلة الخبرة تحتاج إلى شخص يرميها في بركة. لديك الكثير لتقدمه يا (لان)،

وإهدار هذا في قبر غير مميز أو تركه للغربان بينما يُمكن أن يذهب إلى امرأة تحتاج إليه سيكون أسوأ من الخطيئة التي يثرثر بشأنها أصحاب العباءات البيضاء. أعتقد أنها ستكون بحاجة إليك».

اتسعت عينا (لان) قليلاً، بالنسبة له كان هذا أشبه بأن يشهق رجل آخر في صدمة. نادراً ما تتمكن من إفقاده توازنه. فتح فمه مرتين قبل أن يتكلم. «ومن تفكرين فيها من أجل هذا...».

قاطعته قائلة: «هل أنت متيقن من أن الرابطة لا تزعجك يا (لان جايدن)؟ هل تدرك لأول مرة - الآن فقط - مدى قوة الرابطة وعمقها؟ يمكن أن ينتهي بك الأمر مع واحدة من (البعضاوات) المبتدئات، لا تفكر إلا بالمنطق وبلا قلب، أو مع شابة من (البنيات)، لا ترى فيك أكثر من مجرد يدين تحملان كتبها ورسوماتها. يمكنني أن أمنحك لمن أشاء، كطرد - أو كلب أليف - ولا يمكنك أن تفعل شيئاً أكثر من الذهاب. هل أنت متيقن من أنها لا تزعجك؟».

قال وهو يجز على أسنانه: «هل هذا ما كنت عليه طيلة ذلك الوقت؟». تأججت عيناه كيران زرقاء والتوى فمه. إنه غاضب، لأول مرة ترى الغضب مرتسماً بوضوح على وجهه. «هل كان كل هذا الحديث مجرد اختبار - اختبار! - لثري إن كان بمقدورك أن تجعلني رابطة تعضبني؟ بعد كل هذا الوقت؟ منذ اليوم الأول الذي قدمْتُ فيه الولاء لك ذهبتُ حيث تشائين، حتى عندما اعتقدت أن الأمر حماقة، حتى عندما كان لدي سبب للذهاب في اتجاه آخر. لم تحتاجني إلى رابطة قط لإجباري. كما قلتِ بنفسك؛ لقد رأيتكِ تمشين إلى الخطر وأبقيت يديَّ إلى جانبيَّ عندما لم أرغب في شيء سوى أن أشهر سيفي وأشق طريقاً من أجلك نحو الأمان. بعد كل هذا تختبريني؟».

«لم يكن اختباراً يا (لان)، لقد تحدثت بصراحة ودون مواربة، وقد فعلت ما قلته، ولكن في (فال دارا) بدأت أتساءل إن كنت لا تزال معي بشكل كامل». ظهر حذر في عينيه. اغفر لي يا (لان)، لم أرغب في هدم الأسوار التي تحافظ عليها بقوة، ولكن يجب أن أعرف. «لماذا فعلت ما فعلته مع (رانند)؟». رمش بعينه، من الواضح أن هذا ليس ما كان يتوقعه، إنها تعرف ما كان يتوقعه، ولن تتوقف الآن بعد أن أفقدته توازنه. «لقد جئتُ به إلى (الأميرلين) ليتحدث ويتصرف كأنه لورد من (البلاد الحدودية) قد وُلد جندياً. هذا يتناسب بطريقة ما مع ما كنت تخطط له من أجله، ولكن أنا وأنت لم نتحدث عن تعليمه أي من هذا. لماذا يا (لان)؟».

«لقد بدا هذا... صواباً. يجب على كلب الصيد الشاب أن يلتقي بذئبه الأول يوماً ما، ولكن إن رآه الذئب جرواً، إن تصرف كجرو، فإن الذئب سيقتله بالتأكيد. إن كلب الصيد يجب أن يكون كلب صيد في عيني الذئب، أكثر من كونه هكذا في عينيه هو، إن أراد أن ينجو».

«هل هكذا ترى (الآيز سيداي)؟ هل هكذا ترى (الأميرلين)؟ هل هكذا تراني؟ ذئاباً ستلتهم كلبك الشاب؟». هز (لان) رأسه. «أنت تعرف حقيقته يا (لان)، تعرف ما يجب أن يصير عليه. تعرف ما عملت عليه منذ اليوم الأول الذي التقينا فيه أنا وأنت، وما كنت أعمل عليه قبلها. هل تشك الآن فيما أفعله؟».

«لا، لا، ولكن...». إنه يستعيد توازنه ويبنى أسواره من جديد، ولكنه لم ينته من بنائها بعد. «كم مرة قلت إن (التاثيرين) يجذبون من حولهم كأغصان في دوامة؟ ربما قد جذبت أيضًا، أعرف فقط أنني شعرت أنني أفعل الصواب. هؤلاء القرويون كانوا بحاجة إلى شخص ما إلى جانبهم. كان (راند) بحاجة إلى هذا على الأقل. أنا أو من بما تفعلينه يا (مويرين)، حتى الآن بينما لا أعرف نصفه، أو من به كما أو من بك. لم أطلب منك أن تحرريني من رابطتي، ولن أطلب هذا. أيًا كانت خططك من أجل الموت والحرص على سلامتي - التخلص مني - فسيسعدني إبقائك على قيد الحياة، وأن أرى تلك الخطط تذهب هباءً».

تنهدت (مويرين) وقالت: «(تاثيرين). ربما الأمر هكذا، بدلاً من توجيه قشة تطفو عبر جدول أحاول توجيه جذع شجرة عبر فيضان. كل مرة أدفعه يدفعني، والجذع يكبر في الحجم كلما مضينا، ومع ذلك يجب أن أستمّر في الأمر حتى النهاية». ضحكت ضحكة مقتضبة وقالت: «لن أكون تعيسة يا صديقي العزيز إن تمكنت من إفشال هذه الخطط، والآن اتركني من فضلك، أحتاج إلى أن أكون وحدي لكي أفكر». تردد للحظة قبل أن يلتفت ناحية الباب، ولكن في اللحظة الأخيرة لم تستطع أن تتركه يذهب دون سؤال أخير: «هل حلمت يوماً بشيء مختلف يا (لان)؟».

«كل الرجال يلمون، ولكنني أعرف الأحلام عندما تكون أحلامًا، هذا...». لمس مقبض سيفه. «هذا واقع». لقد عادت الأسوار، عالية وصلبة كذي قبل.

لوقت بعد رحيله اتكأت (مويرين) في كرسيها إلى الوراء وهي تنظر إلى النار. فكرت في (ناينيف) وشقوق في الأسوار؛ دون أن تحاول ودون أن تفكر فيما تفعله صنعت هذه المرأة شقوقًا في أسوار (لان)، وزرعت في الشقوق نباتات متسلقة. لقد ظن (لان) أنه آمن، مسجون في قلعة بالقدر وأمنيته الخاصة، ولكن ببطء وصبر تهدم النباتات المتسلقة الأسوار لتكشف عن الرجل بالداخل. إنه بالفعل يشارك (ناينيف) بعض ولاءاتها. في البداية لم يكن يبالي بقاطني (إيموندز فيلد)، باستثناء الأشخاص الذين تهتم بهم (مويرين). لقد غيرت (ناينيف) هذا كما غيرت (لان).

لدهشتها أحست (مويرين) بشيء من الغيرة، إنها لم تشعر بهذا من قبل، وبالتأكيد ليس من أي من النسوة اللاتي قد ألقين قلوبهن عند قدميه، أو هؤلاء اللاتي قد شاركنه الفراش. في الواقع لم تعده قط موضعًا للغيرة، ولم تفكر هكذا تجاه أي رجل. إنها متزوجة من معركتها، وهو متزوج من معركته، ولكنها كانا رفيقين في هاتين المعركتين لوقت طويل. لقد امتطى حصانًا حتى أماته، وركض حتى كاد أن يموت، حاملًا إياها بين ذراعيه إلى (آنايا) من أجل الشفاء. لقد اعتنت بجروحه أكثر من مرة، مستخدمة فنونها للحفاظ على حياة كان مستعدًا للتخلي عنها لإنقاذها. لطالما قال إنه متزوج من الموت. الآن هناك عروس جديدة قد أسرت عينيه. رغم أنه أعمى عن الأمر. إنه يعتقد أنه لا يزال صامدًا وراء أسواره، ولكن (ناينيف) قد وضعت زهور الزفاف في شعره. هل سيظل قادرًا على مغازلة الموت بكل سرور؟ تساءلت (مويرين) متى سيطلب منها تحريره من رابطتها، وماذا ستفعل عندما يطلب منها هذا.

تجهمت وهي تعتدل واقفة على قدميها، هناك أمور أكثر أهمية، أكثر أهمية بكثير. مرت عيناها على الكتب المفتوحة والأوراق المحتشدة في الغرفة، الكثير من التلميحات ولكن لا يوجد إجابات.

جاءت (فاندين) وهي تحمل صحيفة عليها إبريق شاي وأكواب. كانت نحيفة ورشيقة ذات ظهر مستقيم، والشعر المجتمع بعناية في مؤخرة رقبتها أبيض تقريبًا. كانت ملامح وجهها الناعمة التي لا تشيخ تعكس سنوات طويلة من العمر. قالت: «كنت سأطلب من (جايم) أن يجلب هذه وألا أزعجك بنفسى، ولكنه بالخارج في الحظيرة يتدرب بسيفه». طقطقت بلسانها وهي تدفع مخطوطة بالية إلى الجانب لتضع الصحيفة على الطاولة. «إن وجود (لان) هنا جعله يتذكر أنه أكثر من مجرد بستاني وعامل ماهر. إن (الجايدن) صلبو المراس. ظننت أنني سأجد (لان) هنا، لهذا جلبت كوبًا إضافيًا. هل وجدت ما تبحثين عنه؟».

«أنا لست واثقة حتى ما الذي أبحث عنه». عقدت (مويرين) حاجبيها وهي تتفحص المرأة الأخرى. كانت (فاندين) من (الآجاء الخضراوات)، وليست من (البنيات) مثل أختها، ومع ذلك فقد درستًا معًا لوقت طويل حتى إنها تعرف الكثير عن التاريخ مثل (أدلياس).

«أيًا ما كان فيبدو أنك لا تعرفين حتى أين تبحثين». حركت (فاندين) بعض الكتب والمخطوطات على الطاولة وهي تهز رأسها، ثم قالت: «الكثير من الموضوعات، (الحروب الترولوكية)، (مراقبو الأمواج)، (أسطورة العودة)، (أطروحتان عن (بوق فالير)، ثلاثة عن النبوة المظلمة، وبعق (النور)، ها هو كتاب (سانثرا) عن (الملعونين). إنه موضوع كرهه، تمامًا مثل ذلك الكتاب عن (شادار لوجوث). و(نبوءات التنين) في ثلاث ترجمات والأصل. ما الذي تسعين وراءه يا (مويرين)؟ يمكنني أن أفهم أنك تسعين وراء (النبوءات)، فنحن نسمع بعض الأخبار هنا رغم أننا في مكان ناءٍ. نسمع بعض ما يحدث في (إليان)، حتى إنه هناك شائعة في القرية أن أحدهم قد عثر على (البوق) بالفعل». لوحت بمخطوطة تتحدث عن (البوق) ثم سعلت بفعل الغبار الذي تصاعد منها. «أنا أستبعد هذا بالطبع، ستكون هناك شائعات ولكن ماذا...؟ لا، قلت إنك تريدين الخصوصية، وسأمنحك إياها».

قالت (مويرين): «انتظري لحظة». لتوقف (الآيز سيدي) الأخرى عند الباب. «ربما يمكنك الإجابة عن بعض أسئلتي».

«سأحاول». ابتسمت (فاندين) فجأة. «تزعّم (أدلياس) أنه كان يجب أن أختار (البنيات). أسألي». صبّت كوين من الشاي وأعطت واحدًا (لمويرين) ثم جلست على كرسي بجانب النار.

تصاعد البخار من الكويين بينما (مويرين) تختار أسئلتها بعناية. لكي أجد الإجابات ولا أكشف عن الكثير. «(بوق فالير) ليس مذكورًا في (النبوءات)، ولكن هل هو مرتبط (بالثنين) بطريقة ما؟».

«لا، لا يوجد أي رابط بينهما على الإطلاق، باستثناء أنه يجب العثور على (البوق) قبل (تارمون جايدون)، وأن (الثنين العائد) من المفترض أن يخوض (المعركة الأخيرة)». ارتشفت المرأة ذات الشعر الأبيض من كوابها وانتظرت.

«هل هناك أي شيء يربط (التنين) (بتومان هيد)؟».

ترددت (فاندين) ثم قالت: «نعم ولا. هذه نقطة خلاف بيني وبين (أدلياس)». اتخذ صوتها نبرة من يلقي محاضرة، ولفترة من الوقت بدت كأنها (بنية). «هناك جملة في النص الأصلي تُترجم حرفياً إلى «خمس سيخرجون وأربعة سيعودون. فوق المراقبين سيعلن عن نفسه، راية تقطع السماء في نيران...»، حسناً، إلى آخر الجملة. المقصد هو كلمة (مافرون)، أقول إنه لا يجب ترجمتها ببساطة إلى «المراقبين» فهذه تكون (أفرون). إن (مافرون) لها أهمية أكبر. أقول إنها تعني (مراقبي الأمواج)، رغم أنهم يسمون أنفسهم (الدو ميري أفرون)، وليس (مافرون). تقول (أدلياس) إنني أجادل، ولكنني أعتقد أن هذا يعني أن (التنين العائد) سيظهر في مكان ما فوق (تومان هيد) في (آراد دومان) أو (سالدايا). قد تعتقد (أدلياس) أنني حمقاء، ولكنني أستمتع إلى كل قصاصة تأتي من (سالدايا) هذه الأيام. لقد سمعت أن (مازريم تايم) قادر على التسخير، وأن أخواتنا لم يتمكن من محاصرته بعد. إن عاد (التنين) وعُثر على (بوق فالير)، إذن فإن (المعركة الأخيرة) باتت وشيكة. قد لا نتمكن أبداً من إنهاء تاريخنا». ارتجفت ثم ضحكت فجأة. «شيء غريب للقلق حياله. أعتقد أنني صرت أقرب (للبنيات). شيء فظيع للتفكير فيه. أسألي سؤالك التالي».

قالت (مويرين) في شرود: «لا أعتقد أنك بحاجة للقلق بشأن (تايم)». هناك رابط بينه وبين (تومان هيد)، مهما كان صغيراً وهشاً. «سيتعاملن معه مثلما تعاملن مع (لوجاين). ماذا عن (شادار لوجوث)؟».

زفرت (فاندين) وقالت: «(شادار لوجوث)! باختصار لقد تدمرت المدينة بسبب كراهيتها، كل شيء حي باستثناء (مورديث) المستشار الذي بدأ كل شيء باستخدام أساليب أصدقاء الظلام ضد أصدقاء الظلام، والآن هو محتجز هناك في انتظار أن يسرق روحاً. ليس من الآمن دخول المدينة ولا يوجد بها شيء من الآمن لمسه. ولكن كل مبتدئة قريبة من أن تصير (مقبولة) تعرف هذا القدر. لمعرفة كل شيء بالتفصيل سيكون عليك أن تبقي هنا شهراً للإنصات إلى محاضرة (أدلياس) - إن لديها المعرفة الحقيقية عن الأمر - ولكن حتى أنا يمكنني أن أخبرك أنه لا يوجد شيء حيالها له علاقة (بالتنين). لقد مات المكان قبل مئة عام من صعود (يوريان ستونبو) من رماد (الحروب الترولوكية)، وهو الأقرب لها في تاريخ كل (التنانين الكاذبين)».

رفعت (مويرين) يدها وقالت: «أنا لم أتحدث بوضوح، ولا أتحدث الآن عن (التنين)، سواء كان (عائداً) أو (كاذباً). هل يمكنك أن تفكري في أي سبب قد يجعل (عائداً) يأخذ شيئاً قد جاء من (شادار لوجوث)؟». «ليس إن كان يعرف الشيء على حقيقته، كانت الكراهية التي قتلت (شادار لوجوث) هي الكراهية التي فكروا في استخدامها ضد (سيد الظلام)، إنها ستدمر كيانات (الظل)، تماماً كما ستدمر أولئك الذين يمشون في (النور). إنهم يخافون (شادار لوجوث) مثلنا تماماً».

«وما الذي يمكن أن تخبريني به عن (الملعونين)؟».

«أنتِ تقفزين من موضوع لآخر. يمكنني أن أخبرك أكثر بقليل مما تعلمته كمبتدئة. لا أحد يعرف عن (عديمي الاسم) أكثر من هذا. هل تتوقعين مني أن أخبرك بما تعلمته كلتانا عندما كنا صغيرتين؟».

لاذت (مويرين) بالصمت للحظة، إنها لم ترغب في قول الكثير، ولكن (فاندين) و(أدلياس) لديها معرفة في تناول أيديهما أكثر من الموجودة في أي مكان آخر باستثناء (البرج الأبيض). والكثير من التعقيدات تنتظرها هناك، أكثر مما ترغب في التعامل معه الآن. تركت الاسم يخرج من بين شفيتها كما لو أنه يهرب منها: «(لانفير)».

تنهدت المرأة الأخرى وقالت: «هذا الأمر لا أعرف عنه مثقال ذرة أكثر مما كنت أعرفه كمبتدئة، إن (ابنة الليل) تظل لغزًا كما لو أنها قد غلّفت نفسها حقًا بالظلام». صمتت للحظة وهي تنظر إلى كوبها، وعندما رفعت بصرها كانت عيناها حادتين وهي تحديق إلى وجه (مويرين). «هناك ما يربط ما بين (لانفير) و(التنين)، بينها وبين (ليوز ثيرين تيلامون). هل لديك أدنى فكرة عن المكان الذي سيولد فيه (التنين) من جديد يا (مويرين)؟ أو قد وُلد فيه بالفعل؟ هل عاد بالفعل؟».

أجابتها (مويرين) ببساطة: «إن كان قد عاد فهل كنت سآتي إلى هنا بدلاً من الذهاب إلى (البرج الأبيض)؟ أقسم أن (الأميرلين) تعرف قدر ما أعرفه. هل تلقيتما استدعاءً منها؟».

«لا، ولكنني أعتقد أننا سنتلقى استدعاءً. عندما يأتي الوقت الذي يجب أن نواجه فيه (التنين العائد) ستحتاج (الأميرلين) كل أخت، كل (مقبولة)، وكل مبتدئة يمكنها أن تشعل شمعة دون إرشاد». خفضت (فاندين) صوتها وقالت متعجبة: «مع هذا القدر من القوة الذي سيستخدمه فيجب أن نتغلب عليه قبل أن يستخدمها ضدنا، قبل أن يصاب بالجنون ويدمر العالم. ولكن أولاً يجب أن نتركه يواجه (سيد الظلام)». ضحكت بلا مرح مع النظرة التي ارتسمت على وجه (مويرين). «أنا لست (حمراء)، لقد درست (النبوءات) بما يكفي لمعرفة أننا لا نجرؤ على ترقيقه أولاً، هذا إن كنا قادرات على ترقيقه. أعرف هذا جيداً مثلك، مثل أي أخت تبالي بالمعرفة، أن الأختام التي تسجن (سيد الظلام) في (شايول غول) تضعف. إن الإليانيين ينادون من أجل (الصيد العظيم للبق)، هناك عدد كبير من (التنانين الكاذبين)، واثنان منهم - (لوجاين) وذلك الرجل الآخر في (سالدايا) - قادران على التسخير. متى كانت آخر مرة وجدت فيها (الحمراوات) رجلين قادرين على التسخير في أقل من عام؟ متى كانت آخر مرة عثرن فيها على واحد في خمسة أعوام؟ ليس في حياتي، وأنا أكبر منك بكثير. الدلائل في كل مكان، (تارمون جايدون) قادمة، و(سيد الظلام) سيتحرر، و(التنين) سيولد من جديد». ارتجف كوبها وهي تضعه جانباً. «أفترض أن هذا هو سبب خشيتي من أنك قد رأيت إشارة ما على عودته».

قالت (مويرين) ببساطة: «سيعود، وسيفعل ما يجب عليه فعله».

«إن اعتقدت أن هذا سيجدي نفعا لجذبت أنف (أدلياس) من كتبها وذهبنا إلى (البرج الأبيض)، ولكنني أجد أنني سعيدة بوجودي هنا حيث أنا. ربما سيتاح لنا الوقت لإنهاء تاريخنا». «أمل هذا يا أختاه».

اعتدلت (فاندين) واقفة على قدميها وقالت: «حسنًا، لدي مهام لأؤديها قبل النوم، إن لم يكن لديك المزيد من الأسئلة فسأتركك لدراستك». ولكنها توقفت، وأثبتت أنها مهما قرأت من الكتب فلا تزال من (الآجاء الخضراوات) بأن قالت: «يجب أن تفعل شيئًا حيال (لان) يا (مويرين)، إن الرجل يغلي بداخله أسوأ من (جبل التين)، وعاجلاً أو آجلاً سيثور. لقد عرفت ما يكفي من الرجال لأرى أنه مضطرب بشأن امرأة. لقد أمضيتما معًا وقتًا طويلاً، ربما قد أدرك أخيرًا أنك امرأة مثلما أنك (آيز سيداي)».

«(لان) يراني كما أنا يا (فاندين)؛ (آيز سيداي). ولا يزال يراني صديقة كما أمل».

«أنتن (الزرقاوات) دومًا ما تكن مستعدات لإنقاذ العالم حتى إنكن تحسرن أنفسكن».

بعد أن رحلت (الآيز سيداي) ذات الشعر الأبيض جذبت (مويرين) عباءتها على نفسها وتمتدلت لنفسها قبل أن تذهب إلى الحديقة. كان هناك شيء فيما قالته (فاندين) يداعب ذهنها، ولكنها لم تستطع أن تتذكر ما هو. إجابة أو تلميح لإجابة عن سؤال لم تطرحه، ولم تستطع أن تستحضر السؤال إلى ذهنها.

كانت الحديقة صغيرة كالبيت، ولكنها أنيقة حتى في ضوء القمر الذي يعزز منه الوهج الأصفر المنبعث من نوافذ الكوخ، مع ممرات رملية بين أحواض من الزهور موضوعة بعناية. تركت عباءتها تنسدل على كتفيها في مواجهة برودة الليل الناعمة. ماذا كانت الإجابة، وماذا كان السؤال؟

سمعت صوت أقدام على الرمال من ورائها فالتفتت معتقدة أنه (لان).

لاح ظل بشكل خافت على بعد خطوات قليلة منها، ظل يبدو أنه رجل طويل متشح بعباءة، ولكن الوجه قد ظهر في ضوء القمر، بوجنتين نحيلتين شاحبتين، مع عينيْن سوداوين كبيرتين للغاية، فوق فم مزوم أحمر الشفتين. انفتحت العباءة وانسطت لتتحول إلى جناحين عظيمين كجناحي خفاش.

أدركت أن الألوان قد فاتت ففتحت نفسها (للسايدار) ولكن (الدراكار) بدأ في الدندنة، وملأها همهمات الناعمة لتشطي إرادتها. انزلق (السايدار) بعيدًا، لم تشعر إلا بحزن مبهم وهي تخطو ناحية المخلوق. الدندنة العميقة التي جذبتها نحو المخلوق تكبت المشاعر. امتدت ناحيتها يدان بيضاوان - كأيدي البشر ولكنها مزودتان بمخالب - وتقوست شفتان بلون الدم في ابتسامة ساخرة كشفت عن أنياب حادة، ولكنها بشكل مبهم للغاية عرفت أنها لن تعض أو تمزق. عليها أن تحشى قبلة (الدراكار). بمجرد أن تلمس هاتان الشفتان شفتيها ستكون في عداد الموتى، ستستنزف روحها ثم حياتها. من سيعثر عليها - حتى لو جاء بينها (الدراكار) يتركها تسقط - سيجد جثة بدون علامات وباردة كأنها ميتة منذ يومين. وإن جاء قبل موتها فما سيجده سيكون أسوأ. ولن تكون هي حقًا على الإطلاق. جذبتها الدندنة إلى تناول هاتين اليدين الشاحبتين، وأحنى (الدراكار) رأسه ببطء ناحيتها.

لم تشعر إلا بدهشة بسيطة للغاية عندما لمص نصل سيف من فوق كتفها ليخترق صدر (الدراكار)، ودهشة أكثر بقليل عندما عبر نصل ثانٍ من فوق كتفها الآخر لينغرس بجانب الأول.

ترنحت في دوار وهي تشاهد كأنها من مسافة عظيمة بينما المخلوق يُدفع للوراء بعيداً عنها. ظهر (لان) أمامها، ثم (جايم)؛ (الحامي) ذو الشعر الرمادي والذراعين النحيلتين، ممسكاً بسيفه بشكل مستقيم وصحيح كالرجل الأصغر سنًا. تلطخت يدا (الدراكار) الشاحبتان بالدماء، وهو يحاول انتزاع الفولاذ الحاد، بينما جناحاه يضربان الرجلين بصفعات رعدية. فجأة بينما هو جريح وينزف بدأ يدندن مرة أخرى، (للحاميين).

بمجهود كبير استجمعت (مويرين) شتات نفسها، لقد شعرت أنها مستنزفة، كما لو أن هذا الشيء قد تمكن من تقبيلها. لا يوجد وقت للضعف. على الفور فتحت نفسها (للسايدار)، وعندما ملأتهما (القوة الواحدة) عززت نفسها لتلمس مخلوق (الظل) مباشرة. كان الرجلان قرييين للغاية، أي شيء آخر سيؤذيها أيضًا. حتى باستخدام (القوة الواحدة) عرفت أنها ستشعر بالدنس بسبب (الدراكار).

ولكن بينما تبدأ صرخ (لان): «احتضن الموت!». وردد (جايم) بثبات: «احتضن الموت!». خطا الرجلان إلى متناول (الدراكار) وغرس كل منهما سيفه حتى المقبض.

أمال (الدراكار) رأسه إلى الوراء وراح يصرخ صرخة بدا أنها تخرق رأس (مويرين) بالإبر، لقد أحست بها رغم أنها كانت مغلفة (بالسايدار). سقط (الدراكار) كشجرة تنهار، وقد جعل أحد جناحيه (جايم) يسقط على ركبتيه، وتهدل جسد (لان) كما لو أنه يشعر بالإرهاك.

جاءت (فاندين) و(أدلياس) مسرعتين من البيت وكل منهما تحمل مصباحًا. قالت (أدلياس): «ما هذه الضوضاء؟». كانت صورة طبق الأصل تقريبًا من أختها. «هل ذهب (جايم) و...». وقع ضوء المصباح على (الدراكار) فاختنقت الكلمات في حلقها.

أمسكت (فاندين) بيدي (مويرين) وقالت: «إنه لم...؟». لم تكمل سؤالها، بينما بدت في عيني (مويرين) وكأن هناك هالة تحيط بها. أحست (مويرين) بالقوة تندفق إليها من المرأة الأخرى، وتمنت - ليس للمرة الأولى - لو أن (الآيز سيداي) قادرات على فعل هذا لأنفسهن كما يفعلنه للآخرين.

قالت بامتنان: «لا لم يفعل. اعتني (بالجايدن)». نظر (لان) إليها مطبقًا فمه ثم قال: «لو لم تجعليني غاضبًا للغاية حتى إنني ذهبت لأتدرب على التشكيلات مع (جايم)، غاضبًا للغاية حتى إنني تخليت عنها للعودة إلى البيت...».

قالت: «ولكنني قد فعلت، (النمط) يضع كل شيء في النسيج». كان (جايم) يتمتم، ولكنه سمح (لفاندين) بالاعتناء بكتفه. كان نحيلاً للغاية حتى تبرز عظامه، ولكنه بدا صلبًا كالجذور العتيقة. تساءلت (أدلياس): «كيف يمكن لأي مخلوق من مخلوقات (الظل) أن يقترب إلى هذا الحد دون أن نشعر به؟».

قالت (مويرين): «لقد كان محميًا بتعويدة حماية».

قالت (أدلياس) بحدة: «مستحيل، فقط واحدة من الأخوات يمكنها...». بترت جملتها فنقلت (فاندين) بصرها من (جايم) إلى (مويرين).

قالت (مويرين) الكلمات التي لم يرغب أي منهم في سماعها: «(الآجاه السوداء)». تعالت صيحات من القرية. «من الأفضل أن نخبئ هذا...». أشارت إلى (الدراكار) المتمدد على أحد أحواض الزهور. «بسرعة. سيأتون ليسألوا إن كنتما بحاجة إلى المساعدة، ولكن رؤية هذا سيثير حديثاً لن يعجبكما».

قالت (أدلياس): «أجل بالطبع. اذهب وقابلهم يا (جايم)، أخبرهم أنك لا تعرف سبب الضوضاء ولكن كل شيء على ما يرام هنا. عليك أن تُبطئهم». أسرع (الحامي) ذو الشعر الرمادي عبر الليل ناحية صوت القرويين المقترين. التفتت (أدلياس) لتتفحص (الدراكار) كما لو أنه مقطع محير في أحد كتبها. «سواء كن (الآيز سيداي) متورطات أم لا فما الذي قد جلبه إلى هنا؟». نظرت (فاندين) إلى (مويرين) في صمت.

قالت (مويرين): «أخشى أنني يجب أن أغادر الآن، هل يمكنك أن تجهز الحصان والفرس يا (لان)؟». بينما يغادر قالت: «سأترك معكما خطابات لإرسالها إلى (البرج الأبيض)، إن كنتما سترتبان هذا الأمر». أومأت (أدلياس) برأسها في شرود فقد كان انتباهها لا يزال منصّباً على الشيء الموجود على الأرض. سألتها (فاندين): «وهل ستجدين إجاباتك حيث أنت ذاهبة؟».

«ربما أكون قد وجدت إجابة لم أكن أعرف أنني أسعى وراءها. آمل فقط أنني لم أتأخر كثيراً. سأحتاج إلى قلم وورق». جذبت (فاندين) ناحية البيت تاركة (أدلياس) للتعامل مع (الدراكار).

الفصل الثالث والعشرون

الاختبار

بحذر تفحصت (ناينيث) القاعة الواسعة الواقعة عميقًا تحت (البرج الأبيض)، ثم نظرت إلى (شيريام) التي بجانبها بالحذر نفسه. لقد بدت (سيدة المبتدئات) مترقبة، بل وربما نافذة الصبر بعض الشيء. في الأيام القليلة التي قضتها (ناينيث) في تار قالون لم تر سوى السكينة في (الآيز سيداي)، وابتساماتهن وهن يتقبلن أن الأحداث ستقع في وقتها المناسب.

كانت الحجرة المقببة منحوتة من القاعدة الحجرية للجزيرة، وأضواء المصابيح على الأعمدة الطويلة تنعكس على الجدران الصخرية البيضاء الملساء. في المنتصف تحت القبة كان هناك شيء مصنوع من ثلاثة أقواس فضية دائرية - كل قوس منها طويل بما يكفي للسير من تحته - مستقرة على حلقة فضية سميكة، ونهاياتها تلمس بعضها بعضًا. كانت الأقواس والحلقة قطعة واحدة. لم تستطع أن ترى الشيء المستقر بالداخل. كان هناك أضواء تومض بشكل غريب، وتجعل معدتها تخفق معها إن نظرت لوقت طويل. حيث يلمس كل قوس الحلقة تجلس (آيز سيداي) معقودة الساقين على الأرضية الحجرية العارية، تحديقًا إلى البناء الفضي. كان هناك (آيز سيداي) أخرى تقف بالقرب منهن إلى جانب طاولة بسيطة موضوع عليها ثلاثة أقذاح فضية كبيرة. كانت (ناينيث) تعرف أن كل قذح مليء بالمياه الصافية، أو على الأقل هذا ما قيل لها. كانت (الآيز سيداي) الأربعة يرتدين شالاتهن مثل (شيريام)؛ الأهداب الزرقاء (لشيريام)، والحمراء للمرأة السمراء بجانب الطاولة، والخضراء والبيضاء والرمادية للثلاثة حول الأقواس. لا تزال (ناينيث) ترتدي أحد الفساتين التي مُنحت لها في فال دارا؛ فستانًا بلون أخضر شاحب، مطرًا بأزهار بيضاء صغيرة. تمتمت (ناينيث): «أولًا تركيني أحرق إلى إبهامي من الصباح وحتى المساء، والآن كل شيء يحدث بعجالة».

أجابتها (شيريام): «الساعة لا تنتظر أي امرأة، (عجلة الزمن) تنسج كما تشاء، ومتى تشاء. الصبر فضيلة يجب أن تتعلمها، ولكن يجب علينا جميعًا أن نكون مستعدين للتغير في أي لحظة». حاولت (ناينيث) ألا تحرق، إن أكثر شيء مزعج قد اكتشفته حتى الآن بشأن (الآيز سيداي) ذات الشعر الناري هو أنها أحيانًا ما تبدو وكأنها تقتبس أقوالًا بينما هي لا تفعل هذا حقًا. «ما هذا الشيء؟».

«تيرانجريال».

«حسنًا، هذا لا يخبرني بشيء. ما الذي يفعله؟».

«التيرانجريال يفعل أشياء عديدة يا طفلي، مثل الأنجريال والسانجريال، بقايا من (عصر الأساطير) تستخدم (القوة الواحدة)، ولكنه ليس نادرًا للغاية مثل الاثنين الآخرين. في حين أن بعض التيرانجريال يجب أن يعمل بواسطة (الآيز سيداي) مثل هذا الذي أماننا، فإن الآخرين سيعملون ببساطة بوجود أي

امرأة يمكنها استخدام (القوة الواحدة)، وهناك من يعتقد أنها قد تعمل مع أي شخص على الإطلاق. على عكس الأنجريال والسانجريال فإنها قد صُنعت لفعل أشياء محددة. هناك واحد آخر في (البرج) يجعل القسم ملزمًا، عندما ترتقي إلى مرتبة الأخية الكاملة فسوف تقطعين عهدك النهائية ممسكة بذلك التيرانجريال، ألا تنطقي بأي كلمة غير حقيقية، وألا تصنعي سلاحًا من أجل رجل ليقتل به رجلًا آخر، وألا تستخدم (القوة الواحدة) كسلاح إلا ضد أصدقاء الظلام أو مخلوقات (الظل) أو في أقصى حالات الدفاع عن حياتك أو حياة (حاميك) أو حياة أخت أخرى».

هزت (ناينيف) رأسها، لقد بدا الأمر وكأنها تقسم على الكثير للغاية، أو القليل للغاية، وقد قالت هذا. «ذات يوم لم يكن مطلوبًا من (الآيز سيدي) أن يقسم على هذا، كان معروفًا من هن (الآيز سيدي) وما الذي يمثلنه، ولم يكن هناك حاجة لأكثر من هذا. الكثير منا يتمنين لو أن الأمر لا يزال هكذا، ولكن (عجلة الزمن) تدور والأوقات تتغير. إن قسمنا بهذا، ومعرفة أننا ملتزمات به، يجعل الأمم تتعامل معنا دون خوف من أننا قد نستخدم قوتنا - (القوة الواحدة) - ضدهم. لقد اتخذنا هذه القرارات ما بين (الحروب الترولوكية) و(حرب المئة عام)، وبسببها لا يزال (البرج الأبيض) قائمًا، ولا يزال بمقدورنا أن نفعل ما بوسعنا ضد (الظل)». أخذت (شيريام) نفسًا عميقًا ثم قالت: «بحق (النور) يا طفلي، أنا أحاول أن أعلمك ما كانت ستتعلمه أي امرأة ستقف في موضعك على مدار سنوات، من الصعب تحقيق هذا. التيرانجريال هي ما يجب أن تشغل بالك الآن، نحن لا نعرف لم صُنعت ولم نجرؤ على استخدام إلا عددًا قليلًا، والطرق التي نجرؤ على استخدامها بها قد لا تكون هي الأغراض التي قصدها صانعوها. لقد تعلمنا بضمن باهظ أن نتجنب معظمها، على مر السنوات قُتلت بعض (الآيز سيدي)، أو أُحرقت مواهبهن، أثناء تعلم هذا».

ارتجفت (ناينيف) وقالت: «وأنتِ تريدين مني أن أمشي إلى داخل هذا التيرانجريال؟». صار الضوء بداخل الأقواس يومض بشكل أقل، ولكنها لم تتمكن من رؤية ما بداخلها بشكل أفضل. «نحن نعرف ما يفعله هذا التيرانجريال، سيجعلك تواجهين أعظم مخاوفك». ابتسمت (شيريام) بلطف. «لا أحد سيسألك عما واجهته، ليس هناك حاجة لأن تقولي أكثر مما تريدين. إن مخاوف كل امرأة هي شأنها الخاص».

بشكل مبهم فكرت (ناينيف) بشأن توترها تجاه العناكب، وخصوصًا في الظلام، ولكنها لم تعتقد أن هذا ما قصده (شيريام). «عليّ فقط أن أمشي عبر قوس وأخرج من آخر؟ ثلاث مرات وينتهي الأمر؟». عدلت (الآيز سيدي) من شالها بحركة منزعجة من كتفها ثم قالت بفتور: «إن كنتِ تريدين تبسيط الأمور إلى هذا الحد فنعم، لقد أخبرتك في طريقنا إلى هنا ما يجب أن تعرفيه عن هذه المراسم، قدر ما هو مسموح لأي شخص بأن يعرفه مسبقًا. إن كنتِ مبتدئة قد وصلت إلى هذا الحد فكنت ستعرفين الأمر عن ظهر قلب، ولكن لا تقلقي بشأن ارتكاب الأخطاء، سأذكرك إن لزم الأمر. هل أنتِ متيقنة أنك مستعدة لمواجهة؟ إن كنتِ تريدين التوقف الآن فلا يزال بمقدوري كتابة اسمك في كتاب المبتدئات».

«لا!».

«حسنًا إذن، سأخبرك الآن بشيئين لا تعرفهما أي امرأة حتى تصل إلى هذه الحجرة. أولاً بمجرد أن تبدئي يجب أن تستمري حتى النهاية، إن رفضت الاستمرار - وبغض النظر عن إمكانياتك - فسنخرجك من (البرج) بكل لطف مع ما يكفي من الفضة لدعمك لمدة عام، ولن يُسمح لك بالعودة أبدًا». فتحت (ناينيث) فمها لتقول إنها لن ترفض، ولكن (شيريام) قاطعتها بإشارة حادة من يدها. «اسمعي، وتحديثي عندما تعرفي ما يجب عليك أن تقوله. ثانيًا إن السعي والاجتهاد يعنيان معرفة الخطر، ستعرفين الخطر هنا، بعض النسوة قد دخلن ولم يخرجن قط. عندما سُمح للثيرانجリアル بأن يهدأ لم يكن هناك، ولم يُرَيْن مرة أخرى أبدًا. إن كنتِ تريدين النجاة فيجب أن تكوني ثابتة، إن تعثرتِ أو فشلتِ فسوف...». كان صمتها أبلغ من أي كلام. «هذه هي فرصتك الأخيرة يا طفليتي، يمكنك أن تعودى أدراجك الآن وسأضع اسمك في كتاب المبتدئات، ولن يكون هناك سوى علامة واحدة ضدك، سيُسمح لك بالمجيء إلى هنا مرتين، وفي الرفض الثالث سنُخرجك من (البرج). لا يوجد عار في الرفض، الكثيرات يفعلن هذا. أنا نفسي لم أستطع أن أفعلها في مرقي الأولى هنا. والآن يمكنك أن تتحدثي».

ألقت (ناينيث) نظرة جانبية ناحية الأقواس الفضية، لم يعد الضوء بداخلها يومض، بل صارت مليئة بوهج أبيض ناعم. لكي تتعلم ما تريد أن تتعلمه كانت بحاجة إلى حرية السؤال التي تتمتع بها (المقبولات)، وأن تدرس بمفردها، بلا أي توجيه أكثر مما تطلبه. يجب أن أجعل (مويرين) تدفع ثمن ما فعلته بنا، يجب عليّ هذا. «أنا مستعدة».

خطت (شيريام) ببطء إلى داخل القاعة، فمشت (ناينيث) إلى جانبها. وكأنها كانت هذه إشارة، فقد تحدثت الأخت الحمراء بنبرة رسمية عالية: «من تحضرين معك يا أختاه؟». (الآيز سيدي) الثلاثة حول التيرانجリアル واصلن إبداء اهتمامهن به. أجابت (شيريام) بشكل رسمي أيضًا: «واحدة قد جاءت لترشيحها من أجل (القبول) يا أختاه». «هل هي مستعدة؟».

«إنها مستعدة لأن تترك وراءها ما كانت عليه، وأن تتجاوز مخاوفها، وأن تنال (القبول)».

«هل تعرف مخاوفها؟».

«إنها لم تواجه مخاوفها قط، ولكنها مستعدة الآن».

«إذن فلتواجه ما تخاف».

توقفت (شيريام) على بعد خطوتين من الأقواس فتوقفت (ناينيث) معها. همست (شيريام) دون أن تنظر إليها: «فستانك».

توردت وجنتا (ناينيث) عندما أدركت أنها قد نسيت ما قالته لها (شيريام) أثناء نزولها من غرفتها. على عجل خلعت ملابسها وحذاءها وجورها. للحظة كادت أن تنسى الأقواس بينما تطوي ملابسها وتضعها

بشكل مرتب إلى جانبها. لقد دست خاتم (لان) بعناية تحت فستانها، فلم تكن راغبة في أن يحدق أحد إليه. ثم انتهت من الأمر وكان التيرانجリアル لا يزال هناك، لا يزال منتظرًا.

بدا الحجر باردًا تحت قدميها الحافيتين، فأحست بقشعريرة في جسدها، ولكنها ظلت واقفة منتصبه وهي تتنفس ببطء. لن تسمح لأي منهن بأن ترى أنها خائفة.

قالت (شيريام): «المرة الأولى من أجل ما كان. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة». ترددت (ناينيف)، ثم خطت للأمام عبر القوس إلى التوهج، لقد أحاط بها كما لو أن الهواء نفسه يضيء، كما لو أنها غارقة في الضوء. كان الضوء في كل مكان، كان الضوء هو كل شيء.

جفلت (ناينيف) عندما أدركت أنها عارية، ثم حدثت في دهشة، كان هناك جدار حجري منتصب على يمينها وآخر على يسارها، بضعف طولها، وأملس كما لو أنه منحوت. راحت أصابع قدميها تتلوى على أحجار الرصف المغبرة غير المستوية. بدت السماء من فوقها مسطحة وداكنة رغم أنها لم تكن غائمة، والشمس فوق رأسها منتفخة وحمراء. في كلا الاتجاهين كان هناك فتحات في الجدار، بوابات تميزها أعمدة مربعة قصيرة. كانت الجدران تضيق مجال رؤيتها، ولكن الأرض تنحدر للأسفل من حيث تقف، من أمامها ومن خلفها. عبر الأبواب استطاعت أن ترى المزيد من الجدران السمكية، وممرات فيما بينها، إنها في متاهة عملاقة.

أين هذا المكان؟ كيف جئت إلى هنا؟ جاءت الفكرة كأنها هو صوت مختلف. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. هزت رأسها وتمتمت: «إن كان هناك مخرج واحد فلن أجده بالوقوف هنا». على الأقل كان الهواء دافئًا وجافًا. «أمل أنني سأجد بعض الملابس قبل أن أجد بعض الأشخاص».

تذكرت بشكل خافت أنها كانت تلعب متاهات على الورق عندما كانت طفلة، كان هناك حيلة بإيجاد المخرج ولكنها لم تستطع أن تتذكرها. كل شيء في الماضي يبدو مبهمًا، كما لو أنه قد حدث لشخص آخر. مررت يدها على الجدار، ثم بدأت في الحركة، فتصاعد الغبار في نفثات تحت قدميها الحافيتين.

عند أول فتحة في الجدار وجدت نفسها تحديق عبر ممر آخر، بدا أنه لا يمكن تمييزه عن الممر الذي توجد فيه بالفعل. أخذت نفسًا عميقًا ومشيت في خط مستقيم، عبر المزيد من الممرات التي تبدو متشابهة تمامًا. ثم وصلت إلى شيء مختلف، طريق متشعب. انعطفت يسارًا حتى وصلت في النهاية إلى تشعب آخر، ومرة أخرى انعطفت يسارًا. ولكن عند التشعب الثالث أخذها الممر الأيسر إلى جدار مسدود.

عادت في وجوم إلى التشعب الأخير ثم انعطفت يمينًا. هذه المرة انعطفت يمينًا أربع مرات حتى وصلت إلى طريق مسدود. حدثت إليه للحظة ثم قالت بصوت عالٍ: «كيف جئت إلى هنا؟ أين هذا المكان؟». لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة.

من جديد عادت إلى الوراء، كانت متيقنة من أنه هناك حيلة في هذه المتاهة. في الشعب الأخير انعطفت يسارًا، ثم يمينًا في الشعب التالي. واصلت المضي قدمًا في تصميم. يسارًا ثم يمينًا، ثم بشكل مستقيم، حتى تصل إلى شعب. يسارًا ثم يمينًا.

بدا لها أن الأمر ينجح، على الأقل تجاوزت أكثر من عشرة تشعبات هذه المرة دون أن تجد طريقًا مسدودًا. ثم وصلت إلى شعب آخر.

لمحت حركة سريعة بطرف عينها، وعندما التفتت لتتأمل لم يكن هناك سوى الممر المغبر بين الجدارين الأملسين. تحركت لتنعطف يسارًا... ثم التفتت إلى الوراء مع لمحة لحركة أخرى. لم يكن هناك شيء، ولكنها كانت متيقنة هذه المرة، كان هناك شخص ما وراءها. هرولت في توتر في الاتجاه المعاكس. مرارًا وتكرارًا ترى شيئًا يتحرك عند حافة رؤيتها عبر هذا الممر الجانبي أو ذاك، بسرعة كبيرة على أن تميزه، ويختفي قبل أن تدير رأسها لترى بوضوح. بدأت تركض، كان هناك عدد قليل من الأولاد قادرين على أن يسبقوها في الركض عندما كانت فتاة في (النهرين). (النهرين)؟ ما هذا؟

خرج رجل من فتحة أمامها. كانت ثيابه الداكنة لها مظهر متعفن، ونصف مهترئة، كما كان عجوزًا، عجوزًا للغاية. كان جلده كرق مشدود يغطي جسمته بإحكام شديد، كأنها لا يوجد لحم من تحته. كان هناك خصلات من الشعر الجاف تغطي رأسه الأجرد، وعيناه غائرتان للغاية، حتى تبدوان وكأنهما تطلان من كهفين.

انزلقت وهي تتوقف في موضعها فجأة، وقد أحست بأحجار الرصف غير المستوية خشنة تحت قدميها. قال مبتسمًا: «أنا (أجينور)، وقد جئت من أجلك».

خفق قلبها في صدرها؛ واحد من (الملعونين). «لا، لا، هذا مستحيل».

«أنت جميلة يا فتاة، سأستمتع بك».

فجأة تذكرت (ناينيف) أنها لا ترتدي شيئًا على الإطلاق، فصرخت وقد احمر وجهها في مزيج من الخجل والغضب، ثم اندفعت مبتعدة عبر أقرب الممرات المتقاطعة. تبعها قهقهة عالية، وصوت خطوات راكضة تبدو أنها تضاهي سرعتها القصوى، وعود لاهثة بالأشياء التي سيفعلها عندما يمسك بها؛ وعود جعلت معدتها تتلوى رغم أنها لم تسمع سوى نصفها.

راحت في يأس تبحث عن مخرج وهي تتلفت حولها بشكل محموم بينما تركض بقبضتين مضمومتين. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة. لم يكن هناك شيء سوى المتاهة اللامتناهية، ومهما بذلت من جهد في الركض كانت كلماته القذرة دومًا وراءها تمامًا. ببطء تحول الخوف إلى غضب.

قالت باكية: «فليحرقه (النور) هذا ليس من حقه!». أحست داخلها بازدهار، وانفتاح، وانكشاف للضوء.

كشرت عن أسنانها وهي تستدير لمواجهة مطاردها عندما ظهر (أجينور) ضاحكًا وهو يركض مترنحًا.

«هذا ليس من حقلك!». أشارت بقبضتها ناحيته وفتحت أصابعها كأنها تلقي شيئاً ما. كانت نصف مندهشة فقط لرؤية كرة من النار تنطلق من يدها.

لقد انفجرت على صدر (أجينور)، لتسقطه أرضاً. للحظة ظل متمدداً هناك، ثم نهض مترنحاً. بدا غير مدرك أن معطفه مشتعل. «كيف تجرئين؟ كيف تجرئين!». ارتجف وقد سال اللعاب على ذقنه. فجأة ظهرت غيوم في السماء، كأمواج رمادية وسوداء. اندفعت صاعقة من الغيمة ناحية قلب (ناينيف) مباشرة. خُيِّلَ إليها للحظة أن الزمن قد تباطأ فجأة، وبدأت كأن هذه اللحظة قد استمرت دهرًا، شعرت بالتدفق بداخلها - جاءت فكرة بعيدة؛ إنه (السايدار) - وأجابها تدفق مقابل في الصاعقة، كما لو أنها غيرت اتجاه التدفق. قفز الزمن إلى الأمام.

بدويٌّ مرتفع حطم البرق الصخر فوق رأس (أجينور). اتسعت عينا (الملعون) الغائرتان وهو يترنح إلى الوراء. «لا يمكنك هذا! هذا مستحيل!». قفز إلى الوراء بينما البرق يضرب حيث كان يقف، ويفجر الصخر في نافورة من الشظايا.

خطت (ناينيف) ناحيته في وجوم فهرب (أجينور).

كان (السايدار) سيلاً متدفقاً من خلالها، كان باستطاعتها أن تشعر بالصخور من حولها، والهواء، أن تشعر بالأجزاء الصغيرة المتدفقة من (القوة الواحدة)، التي تتخللهم وتصنعهم. وكان باستطاعتها أن تشعر (بأجينور) وهو... يفعل شيئاً ما أيضاً. لقد شعرت به بشكل خافت، وضعيف للغاية، كما لو أنه شيء لا يمكنها أن تعرفه حقاً، ولكنها رأت التأثيرات من حولها، وعرفت على حقيقتها.

ارتجفت الأرض وتموجت تحت قدميها، انهارت الجدران في أكوام من الأحجار تعيق طريقها. أسرع من فوقها غير عابئة بالصخور الحادة التي تجرح يديها وقدميها، مبقية (أجينور) دوماً في مرمى بصرها. هبَّت الرياح وهي تعوي عبر الممرات لتصفعها بقوة - حتى احمرت وجنتها ودمعت عيناها - محاولة أن تسقطها. غيَّرت اتجاه التدفق فسقط (أجينور) في الممر كشجيرة إقْتُلِعَت من جذورها. لمست التدفق في الأرض، وأعادت توجيهه، فانهارت الجدران الحجرية حول (أجينور) لتحبسه. سقط البرق مع توهج عينيها ليضرب من حوله فتفجرت الأحجار أقرب وأقرب. كان بمقدورها أن تشعر به وهو يكافح من أجل صدها، ولكن الصواعق المبهرة كانت تقترب من (الملعون) قدماً تلو الأخرى.

كان هناك شيء ما يلمع عن يمينها، شيء قد كشفته الجدران المنهارة.

كان بمقدور (ناينيف) أن تشعر بأن (أجينور) يضعف، وأن جهوده لضربها تزداد ضعفاً ويأساً. ومع ذلك كانت تعرف بطريقة ما أنه لن يستسلم، إن تركته يذهب الآن فسوف يطاردها بقوة كذي قبل، مقتنعا بأنها أضعف من أن تهزمه رغم كل شيء، أضعف من أن تمنعه من أن يفعل بها ما يريد.

كان هناك قوس فضي منتصب في الموضع الذي كان فيه الحجر، قوس مليء بضوء فضي ناعم. المخرج...

كانت تعرف أن اللحظة التي سيتخلى فيها (الملعون) عن هجومه هي اللحظة التي سيبدل فيها كل جهده لردعها، ولم تكن قوته كافية، لم يعد بمقدوره صد ضرباتها. الآن كان عليه أن يرمي نفسه بعيداً عن شظايا الأحجار التي يقذفها برقها، قبل أن تجعله الانفجارات يسقط مرة أخرى.

لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة.

لم يعد البرق يتساقط. استدارت (ناينيف) مبتعدة عن (أجينور) المتخبط لتتفرق إلى القوس. نظرت مرة أخرى إلى (أجينور) في الوقت المناسب ليراه يزحف مبتعداً عن الأنظار فوق الأحجار المتراكمة ويختفي. أصدرت فحيحاً غاضباً، لا يزال معظم المتأهات قائماً، ومئات من أماكن الاختباء الجديدة بين أكوام الركام التي صنعتها هي و(الملعون). سيستغرق الأمر بعض الوقت للعثور عليه مرة أخرى. كانت متيقنة من أنها لو لم تجده هي أولاً فسيجدها هو، بكامل قوته، وسيباغتتها من حيث لا تتوقعه على الإطلاق.

لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة.

نظرت في خوف، ثم أحست بالارتياح لرؤية أن القوس لا يزال موجوداً. إن تمكنت من العثور على (أجينور) بسرعة...

كوني ثابتة.

مع صرخة غضب وإحباط صعدت الأحجار المتهمة نحو القوس. تمت: «أياً من كان المسئول عن وجودي هنا فسأجعله يتمنى لو نال ما ناله (أجينور). أنا سوف...». خطت عبر القوس فغمرها الضوء.

«أنا سوف...». خطت (ناينيف) خارجة من القوس وتوقفت لتحقق. كان كل شيء كما تتذكره؛ التيرانجريال الفضي، و(الآيز سيداي)، والقاعة. ولكن التذكر كان مثل ضربة، حيث عادت الذكريات الغائبة بقوة إلى رأسها، لقد خرجت من القوس نفسه الذي دخلت منه.

رفعت الأخت (الحمراء) أحد الأقداح الفضية عالياً وسكبت تياراً من الماء البارد فوق رأس (ناينيف). قالت (الآيز سيداي) مترنمة: «لقد غُسلت من الخطايا التي ربما قد ارتكبتها، ومن الخطايا التي ارتكبت ضدك. لقد غُسلت من الجرائم التي ربما قد ارتكبتها، ومن الجرائم التي ارتكبت ضدك. لقد جئت إلينا نظيفة ونقية، قلباً وروحاً».

ارتجفت (ناينيف) بينما الماء ينساب على جسدها ويقطر على الأرضية.

أمسكت (شيريام) بذراعها وهي تبسم في ارتياح، ولكن صوت (سيدة المبتدئات) لم يعبر عن أي قلق سابق. «لقد أبلت حسناً حتى الآن، لقد أبلت حسناً بالعودة. تذكرني هدفك وستستمرين في الإبلاء حسناً». قادتها ذات الشعر الأحمر حول التيرانجريال إلى قوس آخر.

همست (ناينيف): «لقد كان الأمر حقيقياً للغاية». كان باستطاعتها أن تتذكر كل شيء، أن تتذكر تسخير (القوة الواحدة) بسهولة كأنها ترفع يدها. باستطاعتها أن تتذكر (أجينور)، والأشياء التي أراد (الملعون) أن

يفعلها بها. ارتجفت مرة أخرى وقالت: «هل كان هذا حقيقياً؟».

أجابتها (شيريام): «لا أحد يعرف، إنه يبدو حقيقياً في الذاكرة، وبعضهن قد خرجن وهن يحملن جراحاً حقيقية لإصابات قد تلقينها بالداخل، بينما هناك أخريات قد جرحن حتى العظام بالداخل وعدن دون علامة. الأمر برمته يختلف في كل مرة بالنسبة لكل امرأة تدخل. قال القدماء إن هناك عوالم عديدة، ربما يأخذك التيرانجリアル إليها. ومع ذلك إن كان الأمر هكذا فهو يفعل هذا بموجب قواعد صارمة للغاية بالنسبة لشيء يهدف فقط لنقلك من مكان لآخر. أعتقد أنه ليس حقيقياً، ولكن تذكري، سواء كان ما يحدث حقيقياً أم لا فإن الخطر حقيقي مثل سكين يُغرس في قلبك».

«لقد سخرتُ (القوة الواحدة)، كان الأمر سهلاً للغاية».

تعثرت (شيريام) خطوة وقالت: «لا يُفترض أن يكون هذا ممكناً، من المفترض ألا تتذكري حتى قدرتك على التسخير». تفحصت (ناينيف) ثم قالت: «ومع ذلك لم تتعرضي لأي أذى، ما زلت أشعر بالقدرة على التسخير بداخلك قوية كعهدها».

قالت (ناينيف) ببطء: «تحدثين وكأن الأمر خطير».

ترددت (شيريام) قبل أن تجيب: «ليس من الضروري منح تحذير بما أنه من المفترض ألا تكوني قادرة على تذكر الأمر، ولكن... لقد عُثر على هذا التيرانجリアル أثناء (الحروب الترولوكية). لدينا سجلات فحصه في الأرشيف. الأخت الأولى التي دخلت كانت محمية بأقوى ما يمكن، بما أنه لا أحد يعرف ماذا سيفعلون. لقد احتفظ بذاكراتها وقد سخرت (القوة الواحدة) عندما تعرضت للتهديد، وخرجت وقد تلاشت قدرتها تماماً، غير قادرة على التسخير أو حتى الإحساس (بالمصدر الحقيقي). الأخت الثانية التي دخلت كانت محمية بدورها، وقد تدمرت أيضاً بالطريقة نفسها. الأخت الثالثة كانت غير محمية، ولم تتذكر شيئاً بمجرد أن صارت بالداخل، وعادت غير محمية. هذا هو أحد الأسباب التي تجعلنا نرسلك دون حماية على الإطلاق. يجب ألا تسخري بداخل التيرانجリアル مرة أخرى يا (ناينيف). أعرف أنه من الصعب تذكر أي شيء، ولكن حاولي».

ازدردت (ناينيف) لعابها، كانت قادرة على تذكر كل شيء، يمكنها أن تتذكر أنها لم تتذكر. قالت: «لن أُسخر». إن كنت قادرة على أن أتذكر ألا أفعل هذا. أرادت أن تضحك بشكل هستيري.

وصلتا إلى القوس التالي، كان الوهج لا يزال يملأ الأقواس الثلاثة. نظرت (شيريام) إلى (ناينيف) نظرة تحذيرية أخيرة ثم تركتها واقفة بمفردها.

«المرة الثانية من أجل ما هو كائن. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة».

حدقت (ناينيف) إلى القوس الفضي المتألق. ماذا يوجد بالداخل هذه المرة؟ الأخريات كن ينتظرن ويراقبن. خطت بحزم عبر الضوء.

حدقت (ناينيث) إلى الفستان البني البسيط الذي ترتديه في دهشة، ثم جفلت. لماذا تحديق إلى فستانها؟ لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة.

تلفتت حولها ثم ابتسمت. كانت تقف على حافة (الساحة الخضراء) في (إيموندز فيلد)، حيث البيوت المسقوفة بالقش من حولها، و(حانة واينسبرينج) أمامها مباشرة. كان (نبح واينسبرينج) نفسه يتدفق من التتواء الحجري الذي يبرز من حشائش (الساحة الخضراء)، وتتدفق مياه (واينسبرينج) شرقاً تحت أشجار الصفصاف بجانب الحانة. كانت الشوارع خاوية، ولكن من المفترض أن يؤدي معظم الناس مهامهم في ذلك الوقت من الصباح.

نظرت إلى الحانة وتلاشت ابتسامتها، كان هناك جو من الإهمال مخيم عليها، فقد أصبح الطلاء الأبيض باهتاً، وتدلّى مصراع نافذة، وظهرت النهاية المتعفنة للعارضة الخشبية عند فجوة في بلاط السقف. ما الذي يفكر فيه (بران)؟ هل يقضي الكثير من الوقت في منصب العمدة حتى إنه ينسى الاعتناء بحافته؟

انفتح باب الحانة وخرج (سين بوي) ثم توقف في موضعه عندما رآها. كان عامل القش العجوز متغضناً كجذر شجرة بلوط، والنظرة التي رمقها بها لم تكن ودية على الإطلاق. «إذن لقد عُدتِ، أليس كذلك؟ حسناً، من الأفضل أن ترحلي مرة أخرى».

عقدت حاجبيها عندما بصق عند قدميها قبل أن يُسرع ليتجاوزها. لم يكن (سين) رجلاً لطيفاً، ولكنه نادراً ما يكون فظاً بشكل صريح، ولم يكن فظاً تجاهها قط على الأقل، ليس في وجهها. تتبعته بعينيها، فرأت علامات الإهمال في كل أنحاء القرية؛ القش الذي يجب إصلاحه، والأعشاب الضارة التي تملأ الباحات. كان باب بيت السيدة (ألكار) يتدلّى بشكل مائل من مفصل مكسور. هزت (ناينيث) رأسها ثم دلفت إلى الحانة. سيكون عليّ تقرير (بران) بشأن كل هذا.

كانت الحجرة العامة خالية إلا من امرأة وحيدة، تنسدل جديدة شعرها الرمادية على كتفها، كانت تمسح طاولة، ولكن من الطريقة التي كانت تحديق بها إلى سطح الطاولة لم تعتقد (ناينيث) أنها تدرك ما تفعل. بدت الحجرة مغبرة.

«(مارين)؟».

جفلت (مارين أثير) وقد رفعت يدها إلى حلقها وهي تحديق. لقد بدت أكبر بسنوات مما تتذكره (ناينيث)، بدت هيئتها رثة. «(ناينيث)؟ (ناينيث)؟ أوه إنها أنت. (إيجوين)؟ هل أعدتِ (إيجوين)؟ قولي إنك قد فعلتِ هذا».

«أنا...». وضعت (ناينيث) يدها على رأسها. أين (إيجوين)؟ لقد بدا أنها من المفترض أن تتذكر. «لا، لم أعدّها». لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة.

هوت السيدة (أثير) بجسدها على كرسي بظهر مستقيم وقالت: «كنت آمل للغاية، منذ أن مات (بران)».

«(بران) قد مات؟». لم تستطع (ناينيف) أن تتخيل الأمر، لقد بدا وكأن ذلك الرجل البدين المبتسم سيعيش إلى الأبد. «كان يجب أن أكون هنا».

قفزت المرأة الأخرى واقفة على قدميها وأسرت لتتأمل بقلق عبر النافذة إلى (الساحة الخضراء) والقرية. «إن عرفت (مالينا) أنك هنا سيكون هناك متاعب. أعرف أن (سين) قد ذهب مسرعاً للعثور عليها، إنه العمدة الآن».

«(سين)؟ كيف يمكن لهؤلاء الرجال الحمقى أن يختاروا (سين)؟».

«إنها (مالينا). لقد جعلت (دائرة النساء) يجبرن أزواجهن على اختياره». ضغطت (مارين) بوجهها على النافذة محاولة أن تنظر في كل الاتجاهات في وقت واحد. «هؤلاء الرجال الحمقى لا يتحدثون عن الاسم الذي سيضعونه في الصندوق مسبقاً، أفترض أن كل رجل قد صوّت لصالح (سين) مفترضاً أنه الوحيد الذي أرغمته زوجته على هذا، معتقداً أن صوتاً واحداً لن يصنع فرقاً. حسناً لقد تعلموا الدرس، جميعنا قد تعلمناه».

«من (مالينا) هذه التي تجعل (دائرة النساء) تنفذ أوامرها؟ لم أسمع عنها قط».

«إنها من (واتش هيل)، إنها الحكيمة...». أبعدت (مارين) وجهها عن النافذة وهي تفرك يديها. «(مالينا آيلار) هي الحكيمة يا (ناينيف). عندما لم تعودى... بحق (النور) آمل ألا تكتشف وجودك هنا».

هزّت (ناينيف) رأسها في تعجب وقالت: «أنت خائفة منها يا (مارين)، أنتِ ترتجفين. أي نوع من النساء هي؟ لم اختارت (دائرة النساء) شخصاً مثلها؟».

ضحكت السيدة (ألفير) ضحكة مريرة وقالت: «لا شك أننا جميعاً قد جُئنا، لقد جاءت (مالينا) لرؤية (ماقرا مالين) في اليوم السابق لعودة (ماقرا) إلى (ديفن رايد). وفي تلك الليلة مرض بعض الأطفال، فبقيت (مالينا) لتعتني بهم، ثم بدأت الأغنام بالموت، فاعتنت (مالينا) بهذا أيضاً. لقد بدا اختيارها طبيعياً، ولكن... إنها متنمرة يا (ناينيف)، إنها تجبرك على فعل ما تريده، تواصل الضغط عليك مراراً وتكراراً، حتى شعري بالتعب الشديد من قول لا، والأسوأ أنها قد أسقطت (ألسبيت لوهان)».

ومضت صورة في ذهن (ناينيف) عن (ألسبيت لوهان) وزوجها (هارال) الحداد، لقد كانت بنفس طوله تقريباً وقوية البنية رغم جملها. «إن (ألسبيت) بقوة (هارال) تقريباً، لا أصدق...».

«(مالينا) ليست امرأة ضخمة ولكنها... إنها شرسة يا (ناينيف). لقد ضربت (ألسبيت) بعضاً في (الساحة الخضراء) ولم يكن لدى أي منا الشجاعة لمحاولة إيقافها. عندما اكتشف (بران) و(هارال) الأمر قالوا إن عليها الرحيل، حتى لو أنها بهذا يتدخلان في شئون (دائرة النساء). أعتقد أن بعض النسوة في (الدائرة) كن سيصغين إليهما، ولكن (بران) و(هارال) مرضا في الليلة نفسها، وماتا هما الاثنان في غضون يومين». عضت (مارين) على شفرتها وتلفتت حولها في أرجاء الغرفة، كما لو أنها تعتقد أن شخصاً ما قد يكون مختبئاً هناك.

خففت صوتها وقالت: «لقد قدمت (مالينا) لهما الدواء، قالت إن هذا واجبها حتى لو أنها قد انتقدها. لقد رأيت... الشمر الرمادي فيما أخذته معها».

شهقت (ناينيث) وقالت: «ولكن... هل أنت واثقة يا (مارين)؟ هل أنت متيقنة؟». أو مأت المرأة الأخرى برأسها، وبدت على وشك البكاء. «(مارين)، إن كنت تشكين أن هذه المرأة قد سممت (بران) فلم لم تتمكني من الذهاب إلى (الدائرة)؟».

تمتمت (مارين) قائلة: «لقد قالت إن (بران) و(هارال) لم يمشيا في (النور) لانتقادهما الحكيمة بهذه الطريقة. قالت إن هذا سبب موتها، إن (النور) قد تخلى عنهما. كانت تتحدث عن الخطيئة طيلة الوقت. قالت إن (بايت ألكار) قد ارتكب خطيئة بانتقادهما بعد موت (بران) و(هارال)، كل ما قاله هو إنها لا تنتهج في الشفاء نفس نهجك، ولكنها رسمت (ناب التين) على بابها، بينما يمكن للجميع رؤيتها وهي تحمل الفحم في يدها. لقد مات كلا ولديه قبل انقضاء أسبوع، كانا ميتين عندما ذهبت أمهما لإيقاظهما؛ (نيلا) المسكينة. لقد رأيناها تتجول وهي تضحك وتبكي في الوقت ذاته، وتصرخ قائلة إن (بايت) هو (سيد الظلام)، وإنه قد قتل ابنيها. شتى (بايت) نفسه في اليوم التالي». ارتجفت وصار صوتها خافتاً للغاية حتى إن (ناينيث) بالكاد قد سمعتها: «لا يزال لدي أربع بنات على قيد الحياة تحت سقف بيتي، على قيد الحياة يا (ناينيث)، هل تفهمين ما أقوله؟ إنهن لا يزلن على قيد الحياة، وأنا أرغب في إبقائهن على قيد الحياة».

أحست (ناينيث) بالبرودة حتى النخاع. «لا يمكنك أن تسمحني بهذا يا (مارين)». لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة. نحّت الفكرة جانباً. «إن اتحدت (دائرة النساء) معاً فيمكنكن التخلص منها».

«الاتحاد معاً ضد (مالينا)؟». كانت ضحكة (مارين) أشبه بالبكاء. «نحن جميعاً خائفون منها، ولكنها جيدة مع الأطفال، يبدو أن هناك دوماً أطفالاً مرضى هذه الأيام، ولكن (مالينا) تبذل قصارى جهدها. لم يمت أحد تقريباً بسبب المرض عندما كنت الحكيمة».

«اسمعيني يا (مارين)، هل تقولين إن هناك دوماً أطفالاً مرضى؟ إن لم تستطع أن تجعلك خائفة منها فإنها ستجعلك تعتقدين أنك بحاجة إليها من أجل الأطفال. إن هذا صنيعها يا (مارين)، تماماً كما فعلت مع (بران)».

شهقت (مارين) وقالت: «لا يمكنها، لن تفعل، ليس مع الصغار».

«إنها تفعل هذا يا (مارين)». لن يأتي المخرج... قمعت (ناينيث) الفكرة بقسوة. «هل هناك أي واحدة في (الدائرة) لا تخاف؟ هل هناك واحدة قد تستمع إليّ؟».

قالت المرأة الأخرى: «ليس هناك من لا يشعر بالخوف، ولكن (كورين آيلين) قد تُصغي إليك. إن فعلت هذا فقد تجلب اثنتين أو ثلاثاً أخريات. إن أصغى إليك عدد كافٍ من (الدائرة) فهل ستعودين الحكيمة؟ أعتقد أنك قد تكونين الوحيدة التي لن تراجع أمام (مالينا)، حتى لو كنا جميعاً نعرف. أنت لا تعرفين حقيقتها».

«سأفعل». لن يأتي المخرج... لا! هؤلاء هم قومي! «ارتدي عباة تك وسنذهب إلى (كورين)».

ترددت (مارين) بشأن مغادرة الحانة، ولكن ما إن جذبتها (ناينيف) إلى الخارج حتى راحت تتسلل من عتبة باب إلى أخرى، منحنية وهي تتلفت حولها.

قبل أن تقطعا منتصف الطريق إلى بيت (كورين آيلين) رأت (ناينيف) امرأة طويلة نحيلة تخطو عبر الجانب الآخر من (الساحة الخضراء) نحو الحانة، وتقطع قمم الأعشاب الضارة بعصا سميكة من الصفصاف. على الرغم من نحافتها كان لديها مظهر قوي ومتين، وهي تطبق فمها في عزيمة وتصميم. كان (سين بوي) يتبعها على عجل.

«(مالينا)». جذبت (مارين) (ناينيف) إلى مساحة ما بين بيتين وهمست كأنها تخشى أن المرأة قد تسمعها من الجانب الآخر للمساحة الخضراء. «كنت أعرف أن (سين) سيذهب إليها».

شيء ما جعل (ناينيف) تنظر من فوق كتفها، من ورائها ينتصب قوس فضي يمتد من بيت إلى بيت، ويتوهج بضوء أبيض. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة.

صرخت (مارين) صرخة خافتة وقالت: «لقد رأتنا، فليساعدنا (النور)، إنها قادمة نحونا».

استدارت المرأة الطويلة عبر (الساحة الخضراء) تاركة (سين) يقف في تردد. لم يكن هناك أي تردد على وجه (مالينا)، كانت تمشي ببطء كأنه لا أمل في الهرب، وابتسامتها القاسية تتسع مع كل خطوة.

جذبت (مارين) كم (ناينيف) وقالت: «يجب علينا أن نركض، يجب علينا أن نختبي، هيا بنا يا (ناينيف). لا شك أن (سين) قد أخبرها بمن تكونين. إنها تكره حتى من يتحدث عنك».

جذب القوس الفضي نظر (ناينيف). لن يأتي المخرج... هزت رأسها محاولة أن تتذكر. هذا ليس حقيقياً.

نظرت إلى (مارين)، كان وجهها متلوّ في رعب صارخ. إن أردت النجاة فيجب أن تكوني ثابتة.

«أرجوك يا (ناينيف)، لقد رأيتني معك. لقد رأيتني! أرجوك يا (ناينيف)!».

اقتربت (مالينا) في حزم. إنهم قومي. تألق القوس. المخرج... هذا ليس حقيقياً.

بكت (ناينيف) وهي تجذب ذراعها من قبضة (مارين) وتندفع ناحية التوهج الفضي.

طاردها صرخة (مارين): «بحق (النور) يا (ناينيف)، ساعديني! ساعديني!».

غمرها الضوء.

حدقت (ناينيف) وهي تخرج من القوس مترنحة، بالكاد تعي القاعة أو (الآيز سيداي). كانت صرخة (مارين) الأخيرة لا تزال تتردد في أذنيها، لم تجفل عندما سُكب الماء البارد فجأة على رأسها.

«لقد غُسلت من الكبرياء الزائف، غُسلت من الطموح الزائف. لقد جئت إلينا نظيفة، قلباً وروحاً». بينما (الآيز سيداي الحمراء) تخطو للوراء جاءت (شيريام) لتمسك بذراع (ناينيف).

جفلت (ناينيف) ثم أدركت من تكون، فأمسكت بياقة فستان (شيريام) بكلتا يديها. «أخبريني أن هذا ليس حقيقياً. أخبريني!».

نزعت (شيريام) يديها كما لو أنها معتادة على رد الفعل هذا. «هل كان سيئاً؟ دوماً ما يكون الأمر أسوأ. والثالث هو الأسوأ على الإطلاق».

«لقد تركت صديقتي... تركت قومي... في (هاوية الهلاك)، لكي أعود». أتمنى بحق (النور) ألا يكون هذا حقيقياً. أنا حقاً لم... يجب عليّ أن أجعل (مويرين) تدفع الثمن. يجب عليّ هذا!

«هناك دوماً سبب ما لثلا تعودني، شيء يمنعك أو يشتت انتباهك. هذا التيرانجريال ينصب لك فخاخاً من عقلك، ينسجها بإحكام وقوة، أصلب من الفولاذ وأكثر فتكاً من السم، ولهذا السبب نستخدمه كاختبار، يجب أن ترغبني في أن تكوني (آيز سيدي) أكثر من أي شيء آخر في العالم بأسره، بما يكفي لمواجهة أي شيء، والقتال للتحرر من أي شيء لتحقيق هذا الأمر. لن يقبل (البرج الأبيض) أقل من هذا، نحن نطلب هذا منك».

«أنتم تطلبون الكثير». حدقت (ناينيف) إلى القوس الثالث بينما (الآيز سيدي) ذات الشعر الأحمر تأخذها ناحيته. همست: «أنا خائفة». ما الذي يمكن أن يكون أسوأ مما فعلته للتو؟

قالت (شيريام): «جيد، أنتِ تسعين لأن تكوني (آيز سيدي)، لتسخير (القوة الواحدة)، لا يجب لأحد أن يسعى إلى هذا دون خوف ورهبة. الخوف سيقيلك حذرة، والحذر سيقيلك على قيد الحياة». أدارت (ناينيف) لتواجه القوس، ولكنها لم تخطُ إلى الوراء على الفور. «لا أحد سيجبرك على الدخول للمرة الثالثة يا طفلي». لعقت (ناينيف) شفيتها ثم قالت: «إن رفضت ستخرجني من (البرج) ولن تسمح لي بالعودة». أومأت (شيريام) برأسها. «وهذا هو الأسوأ». أومأت (شيريام) برأسها مرة أخرى. أخذت (ناينيف) نفساً عميقاً ثم قالت: «أنا مستعدة».

قالت (شيريام) مترنمة بشكل رسمي: «المرة الثالثة من أجل ما سيكون. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة».

اندفعت (ناينيف) راكضة نحو القوس.

ضحكت وهي تركض عبر سحب من الفراشات التي تتصاعد من زهور برية تغطي مرج بأعلى التل بغطاء من الألوان بارتفاع يصل إلى الركبة. تراقصت فرسها الرمادية في توتر ولجامها متدل عند حافة المرج، فتوقفت (ناينيف) عن الركض حتى لا تخيف الفرس أكثر من هذا. كانت بعض الفراشات تستقر على فستانها، على تطريزات الزهور واللالئ، أو تحلق حول الياقوتات وأحجار القمر، في شعرها المنسدل على كتفيها.

أسفل التل يمتد عقد (البحيرات الألف) عبر مدينة (مالكير). لتعكس (الأبراج السبعة) التي تخرق السحب، وتحقق رايات الكركي الذهبي في ارتفاعها بين الضباب. كان هناك ألف حديقة في المدينة، ولكنها فضلت هذه الحديقة البرية على قمة التل. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة.

جعلها صوت حوافر تلتفت.

قفز (الآن ماندراجوران)، ملك (مالكير)، من على صهوة حصانه ومشى ناحيتها بين الفراشات وهو يضحك. كانت قسبات وجهه صارمة، ولكن ابتسامته لها قد ألانت القسبات الحجرية.

نظرت إليه فافرة فمها، وتفاجأت عندما حملها بين ذراعيه وقبلها. للحظة تشبثت به، هائمة وهي تبادل القبلات. تدلت قدمها في الهواء، ولكنها لم تبال.

فجأة دفعته وهي ترجع وجهها إلى الوراء. «لا». دفعته بشكل أقوى. «دعني أذهب. أنزلي». في حيرة أنزلها حتى لمست قدمها الأرض. تراجعت إلى الوراء وهي تقول: «ليس هذا، لا يمكنني مواجهة هذا، أي شيء عدا هذا». أرجوك دعني أواجه (أجنيور) مرة أخرى. تموجت الذكريات. (أجنيور)؟ لم تعرف من أين جاءت هذه الفكرة. كانت الذكريات تترنح وتتمايل وتبديل كشظايا من جليد متكسر في فيضان نهر. حاولت أن تجمع القطع، أن تتشبث بأي شيء.

سألها (لان) في قلق: «هل أنت بخير يا حبيبتى؟».

«لا تناديني هكذا! أنا لست حبيبتك! لا يمكنني أن أتزوجك!».

جفلت عندما أمال رأسه إلى الوراء وهو يضحك بصوت عالٍ. «إن تلميحك إلى أننا لسنا متزوجين سيزعج أطفالنا يا زوجتي. وكيف لا تكونين حبيبتى؟ ليس لدي حبيبة غيرك، ولن يكون لدي حبيبة غيرك».

«يجب أن أعود». بحثت في يأس عن القوس، لم تجد إلا المرج والسماء. أصلب من الفولاذ وأكثر فتكًا من السم. (لان). أطفال (لان). فليساعدني (النور)! «يجب أن أعود الآن».

«تعودين؟ إلى أين؟ إلى (إيموندز فيلد)؟ إن كنت تريدين هذا فسأرسل خطابًا إلى (مورجيز) وأمر حرسًا باصطحابك».

تمتمت: «وحدى». بينما لا تزال تبحث. أين هو؟ يجب علي أن أجده. «لن أتورط في هذا الأمر، لا يمكنني تحمله، ليس هذا، يجب علي الذهاب الآن!».

«تتورطين في ماذا يا (ناينيف)؟ ما هذا الذي لا يمكنك تحمله؟ لا يا (ناينيف)، يمكنك أن تذهبي إلى أي مكان هنا وحدك كما تشائين، ولكن إن ذهبت ملكة (مالكير) إلى (أندور) دون موكب ملائم فستشعر (مورجيز) بالعار إن لم يكن بالإهانة. أنت لا ترغيبين في إهانتها، أليس كذلك؟ ظننت أنكما صديقتان».

أحست (ناينيف) وكأنها قد ضربت على رأسها، ضربة مثيرة للدوار تلو الأخرى. قالت في تردد: «ملكة؟ لدينا أطفال؟».

«هل أنت واثقة من أنك بخير؟ أعتقد أنه من الأفضل أن آخذك إلى (شارينا سيدي)».

«لا». تراجعت مبتعدة عنه مرة أخرى. «ليس (الآيز سيدي)». هذا ليس حقيقياً. لن أنجذب إليه هذه المرة. لن أفعل!

قال ببطء: «لا بأس، بصفتك زوجتي فكيف يمكن ألا تكوني الملكة؟ نحن مالكيرون هنا ولسنا جنوبيين. لقد توجت في (الأبراج السبعة) في الوقت نفسه الذي تبادلنا فيه الخاتمين». حرك يده اليسرى تلقائياً، كان هناك حلقة ذهبية تحيط بسبابته. حدثت إلى يدها، إلى الخاتم الذي تعرف أنه سيكون هناك، ثم ضمت يدها الأخرى عليه، ولكنها لم تعرف إن كانت تفعل هذا لتنكر وجوده بإخفائه أم لتمسك به. استمر في الحديث قائلاً: «هل تذكرين الآن؟». مد يده كأنها ليمسد وجنتها، فتراجعت إلى الوراء ست خطوات أخرى. تنهد وقال: «كما تشائين يا حبيبتي. لدينا ثلاثة أبناء، ولكن واحداً منهم فقط يمكن أن نسميه طفلاً؛ (ماريك) يكاد أن يصل إلى طول كتفك، ولا يمكنه أن يقرر إن كان يجب الخيل أم الكتب أكثر. (النور) تتدرب بالفعل على كيفية استمالة رؤوس الفتيان، عندما لا تزعج (شارينا) بشأن الوقت الذي ستبلغ فيه العمر المناسب للذهاب إلى (البرج الأبيض)».

قالت بصوت خافت: «(النور) هو اسم أمي».

«هذا ما قلته عندما اخترت الاسم. (ناينيف)».

«لا، لن أنجذب إليه هذه المرة، ليس هذا، لن أفعل!». من ورائه بين الأشجار إلى جانب المرج رأت القوس الفضي، كانت الأشجار تخفيه من قبل. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. بدأت تمشي ناحيته وهي تقول: «يجب أن أذهب». أمسك بيدها فشعرت وكأن قدميها قد غرستا في حجر، لم تستطع أن تجذب نفسها مبتعدة.

«أنا لا أعرف ما الذي يزعجك يا زوجتي، ولكن أيًا ما كان، أخبريني وسأصحح الأمر. أعرف أنني لست أفضل زوج، لقد كنت صارماً عندما عثرت عليك، ولكنك قد جعلتني ليناً بطريقة ما على الأقل».

تمتمت: «أنت أفضل زوج». ما أثار رعبها هو أنها وجدت نفسها تتذكره باعتباره زوجها، تتذكر ضحكاته ودموعه، تتذكر الجدالات المريرة والمداعبات الحلوة. كانت ذكريات خافتة، ولكنها استطاعت أن تشعر بها تزداد قوة ودفئاً. «لا يمكنني». كان القوس هناك، على بعد بضع خطوات فحسب. لن يأتي المخرج إلا مرة واحدة. كوني ثابتة.

«لا أعرف ما الذي حدث يا (ناينيف) ولكنني أشعر وكأنني أخسرك، لا يمكنني تحمل هذا». وضع يده على شعرها فأغلقت عينيها وهي تضغط بوجنتها على أصابعه. «ابقي معي، إلى الأبد».

قالت بصوت خافت: «أريد البقاء. أريد البقاء معك». عندما فتحت عينيها كان القوس قد اختفى... لن يأتي إلا مرة واحدة. «لا، لا!».

جذب (لان) وجهها ناحيته وقال: «ما الذي يزعجك؟ يجب أن تخبريني إن أردت أن أساعدك».

«هذا ليس حقيقياً».

«ليس حقيقياً؟ قبل أن ألتقي بك لم أعتقد أن هناك شيئاً حقيقياً سوى السيف. انظري حولك يا (ناينيث)، هذا حقيقي، أي شيء تريد أن يكون حقيقياً فيمكننا أن نجعله حقيقياً معاً، أنا وأنت».

راحت تنظر حولها في تعجب، كان المرج لا يزال هناك، (الأبراج السبعة) قائمة فوق (البحيرات الألف). لقد اختفى القوس، ولكن لم يتغير أي شيء آخر. يمكنني البقاء هنا، مع (لان)، لا شيء قد تغير. راحت تفكر في الأمر. لا شيء قد تغير. (إيجوين) وحدها في (البرج الأبيض)، (راند) سيسخر (القوة الواحدة) ويصاب بالجنون، وماذا عن (مات) و(بيرين)؟ هل يمكنهما استعادة أي جزء من حياتهما؟ و(مويرين) التي مرّت حياتنا جميعاً ستفقد من العقاب.

همست: «يجب أن أعود». لم تكن قادرة على تحمل الألم في وجهه، فجذبت نفسها لتتحرر منه. بشكل متعمد شكلت برعم زهرة في عقلها، برعمًا أبيض في غصن شجرة أشواك سوداء، جعلت الأشواك حادة وقاسية، وتمنت لو أنها قادرة على اختراق جسدها. شعرت كما لو أنها متدلية بالفعل من أغصان الأشواك السوداء. كان صوت (شيريام سيداي) يتراقص على مسافة بعيدة من مسمعها، يخبرها أنه من الخطير محاولة تسخير (القوة الواحدة). تفتّح البرعم، وملأها (السايدار) بالنور. «أخبريني ما الأمر يا (ناينيث)».

انزلق صوت (لان) عبر تركيزها، رفضت أن تسمح لنفسها بسماحه، لا شك أنه لا يزال هناك مخرج. حدثت إلى حيث كان القوس الفضي موجوداً، وحاولت أن تجد أثرًا له. لم يكن هناك شيء. «(ناينيث)...».

حاولت أن تتخيل القوس في عقلها، أن تشكله بكل تفاصيله، قوسًا من معدن لامع ممتلئًا بوهج كنيان ثلجية. بدا أنه يتذبذب هناك أمامها، أو لا يكون هناك بينها وبين الأشجار، ثم لا يوجد، ثم يوجد. «... أنا أحبك...».

جذبت (السايدار)، تجرعت تدفق (القوة الواحدة) حتى ظنت أنها ستنفجر. ملأها الوهج وتألّق من حولها، وآلم عينيها. بدا أن الحرارة ستلتهمها. القوس المتذبذب صار ثابتًا، ومنتصبًا بشكل كامل أمامها. أحست أن النار والألم يملآنها، أحست كأن عظامها ستحترق، وأن جمجمتها تنور متأجج. «... من أعماق قلبي».

ركضت ناحية القوس الفضي، دون أن تسمح لنفسها بالنظر إلى الوراء. كانت تعتقد أن أكثر شيء مؤلم ستسمعه هو صرخة (مارين ألفير) وهي تطلب المساعدة بينما (ناينيث) تتخلى عنها، ولكن ذلك كان حلًا إلى جانب صوت (لان) المليء بالألم وهو يلاحقها. «أرجوك يا (ناينيث) لا تتركيني». غمرها الضوء الأبيض.

خطت (ناينيف) عارية ومترنحة عبر القوس، ثم سقطت على ركبتيها مرتخية الفم، وهي تبكي والدموع تنهمر على وجنتيها. جثت (شيريام) على ركبتيها إلى جانبها. حدقت إلى (الآيز سيدي) ذات الشعر الأحمر واستطاعت أن تقول بشراسة من بين دموعها: «أنا أكرهكم! أكره كل (الآيز سيدي)».

تنهدت (شيريام) تنهيدة صغيرة، ثم جذبت (ناينيف) لتقف على قدميها وقالت: «كل امرأة تفعل هذا تقول الشيء نفسه تقريباً يا طفلي. ليس من الهين إجبارك على مواجهة مخاوفك». ثم قالت بحدة وهي ترفع راحتي (ناينيف) لأعلى: «ما هذا؟».

ارتجفت يدا (ناينيف) في ألم مفاجئ لم تشعر به من قبل. في راحة كل يد في المنتصف بالضبط كان هناك شوكة سوداء طويلة. أخرجهما (شيريام) بعناية، ثم شعرت (ناينيف) بالشفاء البارد مع لمسة (الآيز سيدي). مع تحرر كل شوكة لم تترك سوى ندبة صغيرة في راحة يدها وظهرها.

عقدت (شيريام) حاجبيها وقالت: «لم يكن من المفترض أن يكون هناك أي ندوب، وكيف حصلت على اثنتين فقط، وكلتاهما في موضع دقيق؟ إن علقَت نفسك في شجرة الأشواك السوداء فيجب أن تكوني مغطاة بالخدوش والأشواك».

وافقتها (ناينيف) قائلة بمرارة: «كان يجب أن يحدث هذا. ربما ظننت أنني دفعت ثمناً كافياً بالفعل». وافقتها (الآيز سيدي) قائلة: «هناك دوماً ثمن. هيا بنا الآن، لقد دفعتِ الثمن الأول. خذي ما دفعتِ ثمنه». ثم دفعت (ناينيف) برفق إلى الأمام.

أدركت (ناينيف) أن هناك المزيد من (الآيز سيدي) في القاعة. كانت (الأميرلين) في دثارها المخطط، وأخت ترتدي شالاً من كل (آجاه)، مصطفات على جانبيها. وجميعهن يراقبن (ناينيف). تذكرت (ناينيف) تعليمات (شيريام) فتقدمت للأمام وجثت على ركبتيها أمام (الأميرلين). كانت هي من تحمل القدح الأخير، ثم قلبته ببطء على رأس (ناينيف).

«لقد غُسلت من (ناينيف ألميرا) من (إيموندز فيلد). لقد غُسلت من كل ما يربطك بالعالم. لقد جئت إلينا نظيفة قلباً وروحاً. أنتِ (ناينيف ألميرا) (المقبولة) من (البرج الأبيض)». أعطت (الأميرلين) القدح لإحدى الأخوات، ثم جذبت (ناينيف) لتقف على قدميها. «أنتِ مرتبطة بنا الآن».

بدا أن عيني (الأميرلين) تتوهجان بوهج مظلم، ولم تكن ارتجافة (ناينيف) لها علاقة بكونها عارية ومبتلة.

الفصل الرابع والعشرون

أصدقاء جدد وأعداء قدامى

كانت (إيجوين) تتبع (المقبولة) عبر أروقة (البرج الأبيض). كانت المفروشات واللوحات تغطي الجدران البيضاء كالجُزء الخارجي من (البرج)، والبلاط يصنع أنماطاً على الأرضية. كان فستان (المقبولة) الأبيض يشبه فستانها تماماً، باستثناء سبعة أشرطة رفيعة ملونة، عند الحافة والسوارين. عقدت (إيجوين) حاجبها وهي تنظر إلى هذا الفستان. إن (ناينيف) ترتدي فستان (المقبولة) منذ الأمس، ولا يبدو أنها مبتهجة بالأمر، ولا بالخاتم الذهبي - ثعبان يلتهم ذيله - الذي يبين رتبته. في المرات القليلة التي تمكنت فيها (إيجوين) من رؤية الحكيم بدت عينا (ناينيف) مظلمتين، كما لو أنها قد رأت أشياء تتمنى من أعماق قلبها ألا تراها.

قالت (المقبولة) باقتضاب وهي تشير إلى الباب: «من هنا». اسمها (بيدرا)، وكانت امرأة قصيرة ونحيفة، وأكبر عمراً بقليل من (ناينيف)، ودوماً هناك حيوية في صوتها. «ستُعين هذه المرة لأنه يومك الأول، ولكني سأنتظرك في غرفة غسل الأطباق عندما يدق جرس منتصف النهار، دون أن تتأخري لحظة واحدة».

انحنت (إيجوين)، ثم أخرجت لسانها عندما أولت (المقبولة) لها ظهرها وهي تتراجع. بالأمس فقط وضعت (شيريام) اسمها أخيراً في كتاب المبتدئات، ولكنها تعرف بالفعل أنها لا تحب (بيدرا). دفعت الباب ودلفت إلى الداخل.

كانت الغرفة بسيطة وصغيرة، بجدران بيضاء، وكان هناك امرأة شابة بشعر ذهبي مائل إلى الحمرة منسدل على كتفها تجلس على أحد المقعدين الصليين. كانت الأرضية عارية، فالمبتدئات لا يستخدمن كثيراً الغرف ذات السجاد. فكرت (إيجوين) أن الفتاة في مثل عمرها تقريباً، ولكن هناك كبرياء ورباطة جأش حيالها جعلها تبدو أكبر عمراً. كان فستان المبتدئات البسيط يبدو أكثر أناقة عليها بطريقة ما.

قالت: «اسمي (إيلين)». ثم أمالت رأسها جانباً لتتفحص (إيجوين). «وأنت (إيجوين)، من (إيموندز فيلد)، في (النهرين)». قالت هذا كما لو أنه مهم بطريقة ما، ولكنها أكملت حديثها على أي حال: «من تمضي هنا بعض الوقت تُكَلَّف بمساعدة مبتدئة جديدة لبعض الأيام حتى تعتاد على المكان. اجلسي من فضلك».

جلست (إيجوين) على المقعد الآخر في مواجهة (إيلين). «ظننت أن (الآيز سيداي) سيعلمني الآن بعد أن صرت مبتدئة أخيراً، ولكن كل ما حدث هو أن (بيدرا) قد أيقظتني قبل أول ضوء بساعتين وجعلتني أكنس الأروقة، وتقول إن عليّ المساعدة في غسل الأطباق بعد الغداء أيضاً».

قالت (إيلين) متجهمة: «أنا أكره غسل الأطباق، لم أضطر قط إلى... حسناً هذا لا يهم، سيكون عليك أن تتدربي، من الآن فصاعداً سيكون التدريب في هذه الساعة كل يوم، من الإفطار وحتى جرس منتصف النهار، وبعدها من الغداء وحتى جرس المساء. إن كنتِ سريعة على نحو خاص أو بطيئة على نحو خاص فقد يجعلونك تتدربين مرة أخرى من العشاء وحتى جرس منتصف الليل. ولكن هذا الوقت مخصص عادة

للمزيد من المهام المنزلية». ظهر التفكير في عيني (إيلان) الزرقاوين، ثم قالت: «لقد وُلدت بهذا الأمر، أليس كذلك؟». أومأت (إيجوين) برأسها. «أجل، أعتقد أنني شعرت بهذا، وكذلك أنا قد وُلدت به. لا شعري بخيبة الأمل إن كنت لا تعرفين، ستتعلمين الإحساس بالقدرة في النساء الأخريات. لقد حظيت بميزة أن تكون هناك (آيز سيداي) بجانبني أثناء نشأتي».

أرادت (إيجوين) أن تسألها عن الأمر - من ينشأ ويجانبه (آيز سيداي)؟ - ولكن (إيلان) أكملت حديثها. «وأيضًا لا شعري بخيبة الأمل إن استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تتمكني من تحقيق أي شيء، أقصد باستخدام (القوة الواحدة). حتى أبسط الأشياء تستغرق بعض الوقت. الصبر فضيلة يجب على المرء أن يتعلمها». زرت أنفها وقالت: «دومًا ما تقول (شيريام سيداي) هذا، كما أنها تبذل قصارى جهدها لجعلنا نتعلم هذا. حاولي أن تركضي عندما تقول لكِ امشي، وستجدين نفسك في مكتبها قبل أن ترمشي بعينيك». قالت (إيجوين) محاولة أن تبدو متواضعة: «لقد تلقيت بعض الدروس بالفعل». فتحت نفسها (للسايدار) - هذا الجزء قد صار أسهل - وشعرت بالدفء يغمر جسدها. قررت أن تجرب أكبر شيء قد تعلمت كيفية فعله؛ مدت يدها فتشكلت فوقها كرة متوهجة من ضوء صافٍ. لقد تذبذبت - لا تزال غير قادرة على جعلها ثابتة - ولكنها كانت هناك.

بهدوء مدت (إيلان) يدها، فظهرت فوق راحتها كرة من الضوء. كانت متذبذبة أيضًا. بعد لحظة ظهر ضوء خافت حول جسد (إيلان) كله. شهقت (إيجوين) واختفت كرتها. ضحكت (إيلان) واختفى ضوءها، كلٌّ من الكرة والضوء المحيط بها. ثم قالت بحماس: «هل رأيته من حولي؟ لقد رأيته من حولك». قالت (شيريام سيداي) إنني سأتمكن من فعل هذا في نهاية المطاف. كانت هذه هي المرة الأولى، هل هي المرة الأولى بالنسبة لك أيضًا؟». أومأت (إيجوين) برأسها وضحكت مع الفتاة الأخرى ثم قالت: «أنا معجبة بك يا (إيلان)، أعتقد أننا سنصير صديقتين».

«أعتقد هذا أيضًا يا (إيجوين). أنتِ من (النهرين)، من (إيموندز فيلد)، هل تعرفين فتى يدعى (راند ألثور)؟».

«أجل أعرفه». فجأة وجدت (إيجوين) نفسها تتذكر حكاية قد حكاها (راند)، حكاية لم تصدقها، عن سقوطه من على سور في حديقة والتقاءه ب... شهقت وقالت: «أنتِ ولية عهد (أندور)؟».

قالت (إيلان) ببساطة: «أجل. إن سمعت (شيريام سيداي) أنني قد ذكرت هذا فأعتقد أنها ستستدعيني إلى مكتبها قبل أن أنتهي من الحديث».

«الجميع يتحدثون عن الاستدعاء إلى مكتب (شيريام)، حتى (المقبولات). هل توبخ بشدة؟ إنها تبدو لطيفة بالنسبة لي».

ترددت (إيلان) ثم تحدثت ببطء دون أن تنظر إلى عيني (إيجوين): «إنها تحتفظ بسوط من الصنصناف على مكتبها. تقول إنك إن لم تتمكني من تعلم القواعد بطريقة متحضرة فستعلمك بطريقة أخرى. هناك الكثير من القواعد بالنسبة للمبتدئات، ومن الصعب للغاية ألا تحرق بعضها».

«ولكن هذا... هذا فظيع! أنا لست طفلة، ولا أنت. لن أقبل معاملتي كطفلة».

«ولكننا أطفال. (الآيز سيدي) - الأخوات الكاملات - هن نساء كاملات. (المقبولات) نساء شابات، قد بلغن من العمر ما يكفي للوثوق بهن دون أن يحتجن لمن يعتني بهن في كل لحظة. والمبتدئات أطفال، يجب حمايتهن ورعايتهن وإرشادهن إلى الطريق الذي يجب أن يسلكنه، ومعاقبتهن عندما يفعلن ما لا يجب عليهن فعله. هكذا فسرت (شيريام سيدي) الأمر. لن يعاقبك أحد على دروسك، ما لم تفعل شيئا قد قيل لك ألا تفعله. من الصعب ألا تحاولي، في بعض الأحيان ستجدين نفسك راغبة في التسخير بقدر ما أنت راغبة في التنفس. إن كسرت الكثير من الأطباق، لأنك غارقة في أحلام اليقظة بينما كان يجب عليك غسلها، أو إن أسأت إلى إحدى (المقبولات)، أو إن غادرت (البرج) دون إذن، أو إن تحدثت إلى (آيز سيدي) قبل أن تتحدث إليك، أو... إن الشيء الوحيد الذي يجب عليك فعله هو أن تبذلي قصارى جهدك، لا يوجد شيء آخر لفعله».

قالت (إيجوين): «يبدو الأمر وكأنهن يحاولن جعلنا نرغب في الرحيل».

«إنهن لا يحاولن هذا، ولكن في الوقت ذاته يحاولن هذا. هناك أربعون مبتدئة فحسب في (البرج). أربعون فحسب، وسبع أو ثمانٍ منهن لا أكثر سيصرن (مقبولات). تقول (شيريام سيدي) إن هذا ليس كافياً، تقول إنه لا يوجد من (الآيز سيدي) الآن ما يكفي لفعل ما يجب فعله. ولكن (البرج) لن... لا يمكنه... أن يخفض معاييرها. لا يمكن (للآيز سيدي) أن يقبلن امرأة باعتبارها أختاً إن لم يكن لديها القدرة والقوة والرغبة، لا يمكنهن أن يمنحن الخاتم والशल لامرأة لا يمكنها تسخير (القوة الواحدة) جيداً بما يكفي، أو امرأة ستسمح لنفسها بأن تشعر بالرهبة، أو امرأة ستعود أدراجها عندما يصير الطريق وعراً. التدريب والاختبار يعتنيان بالتسخير، أما بالنسبة للقوة والرغبة... حسناً، إن أردت الرحيل فسيسمحن لك بذلك. بمجرد أن تعرفي ما يكفي لحمايتك من الموت بسبب الجهل».

قالت (إيجوين) ببطء: «أفترض أن (شيريام) قد أخبرتنا شيئاً عن هذا. ولكني لم أفكر من قبل بشأن عدم وجود عدد كافٍ من (الآيز سيدي)».

«إن لديها نظرية، تقول إننا نُصَفِّي البشرية، هل تعرفين عن التصفية؟ أن تستبعدي من القطيع الحيوانات التي تمتلك الصفات التي لا تحببها؟». أو مأت (إيجوين) برأسها، لا يمكن لأحد أن يترعرع بجانب الخراف دون أن يعرف بشأن تصفية القطيع. «تقول (شيريام) إنه مع اصطيد (الآجاه الحمراء) للرجال الذين يمكنهم التسخير لثلاثة آلاف عام فنحن نصفي القدرة على التسخير منا جميعاً. لا أنصحك بذكر هذا

بالقرب من واحدة من (الحمراوات). لقد تورطت (شيريام سيداي) في أكثر من مشاجرة كلامية حيال هذا الأمر ونحن مجرد مبتدئات».

«لن أفعل هذا».

صمتت (إيلين) ثم قالت: «هل (راند) بخير؟».

شعرت (إيجوين) بطعنة مفاجئة من الغيرة - إن (إيلين) جميلة للغاية - ولكنها شعرت بطعنة خوف أقوى منها. استرجعت القليل الذي عرفته عن لقاء (راند) الوحيد مع ولية العهد، ثم طمأنت نفسها؛ من المستحيل أن تعرف (إيلين) أن (راند) قادر على التسخير.

«(إيجوين)؟».

«إنه بخير قدر المستطاع». آمل أنه كذلك، ذلك الأحقق العنيد. «آخر مرة رأيته كان ذاهبًا مع بعض الجنود الشايناريين».

«شايناريون! لقد قال لي إنه راعي غنم». هزت رأسها وقالت: «أجد نفسي أفكر فيه في أوقات غريبة. تعتقد (إيليدا) أنه مهم بطريقة ما، لم تقل هذا صراحة، ولكنها أمرت بالبحث عنه، وقد شعرت بالغضب عندما عرفت أنه رحل عن (كايملين)».

«(إيليدا)؟».

«(إيليدا سيداي)، مستشارة أمي. إنها من (الآجاه الحمراوات)، ولكن يبدو أن أمي تحبها رغم هذا».

شعرت (إيجوين) أن حلقها جاف. من (الآجاه الحمراوات) ومهتمة (براند). «أنا... لا أعرف أين هو الآن، لقد رحل عن (شاينار)، ولا أعتقد أنه سيعود».

نظرت إليها (إيلين) نظرة هادئة ثم قالت: «لن أخبر (إيليدا) أين تجده إن كنت أعرف يا (إيجوين)، إنه لم يفعل شيئًا خاطئًا حسبما أعرف، وأخشى أنها ترغب في استغلاله بطريقة أو أخرى. على أي حال لم أرها منذ مجيئنا، حيث كان أصحاب العباءات البيضاء يتعقبوننا. إنهم لا يزالون مخيمين على جانب (جبل التنين)».

فجأة اعتدلت واقفة على قدميها وقالت: «دعينا نتحدث عن أشياء أكثر بهجة. ثمة اثنتان أخريان هنا تعرفان (راند)، وأود أن تلتقي بإحدهما». أمسكت بيد (إيجوين) وجذبتها إلى خارج الغرفة.

«فتاتان؟ يبدو أن (راند) قد عرف الكثير من الفتيات».

«أهم؟». راحت (إيلين) تتفحص (إيجوين) وهي لا تزال تجذبها عبر الممر. «أجل، حسنًا، واحدة منهما كسول ثرثرة اسمها (إيلس جرينويل)، لا أعتقد أنها ستظل هنا لوقت طويل، إنها تتهرب من مهامها المنزلية، ودومًا ما تتسلل لمراقبة (الحماة) وهم يتدربون بسيوفهم. تقول إن (راند) قد جاء إلى مزرعة أبيها بصحبة صديق له يُدعى (مات)، يبدو أنها قد وضعا في رأسها أفكارًا عن العالم الواقع وراء القرية التالية، فهربت لتصير (آيز سيداي)».

تمتتم (إيجوين): «يا للرجال. أرقص بضع مرات مع شاب لطيف، فيتجول (راند) في الأنحاء ككلب يعاني من ألم في أنيابه، ولكنه...». بترت كلامها عندما خطا رجل إلى الرواق أمامها. توقفت (إيلان) أيضًا إلى جانبها وشدت قبضتها على يد (إيجوين).

لم يكن هناك ما يدعو للقلق حياله باستثناء ظهوره المفاجئ. كان طويلًا ووسيمًا وأقل بقليل من منتصف العمر، مع شعر أسود طويل متموج. ولكن كتفيه متهدلتان وهناك حزن في عينيه. لم يتحرك ناحية (إيجوين) و(إيلان)، بل اكتفى بالوقوف والنظر إليهما، حتى ظهرت واحدة من (المقبولات) عند كتفه. قالت له بلطف: «لا ينبغي أن تكون هنا».

«لقد أردت الحديث». كان صوته عميقًا كالحزن الذي في عينيه.

«يمكنك أن تتمشى في الحديقة حيث يجب أن تكون. ستفيدك أشعة الشمس».

ضحك الرجل ضحكة مريرة وقال: «مع اثنتين أو ثلاث منكن يراقبن كل تحركاتي؟ أنت فقط خائفة من أنني سأجد سكينًا». ضحك مرة أخرى من النظرة التي في عيني (المقبولة) وقال: «من أجل نفسي يا امرأة. من أجل نفسي. خذيني إلى حديقتك وأعينكن المراقبة».

لمست (المقبولة) ذراعه برفق واقتادته بعيدًا.

قالت (إيلان) بعدما رحل: «(لوجاين)».

«(النتين الكاذب)؟».

«لقد رُقق يا (إيجوين). لم يعد أكثر خطورة من أي رجل آخر. أتذكر رؤيته من قبل، عندما تطلب الأمر ستة من (الآيز سيدي) لمنع من استخدام (القوة الواحدة) وتدميرنا جميعًا». ارتجفت.

ارتجفت (إيجوين) أيضًا. هذا ما ستفعله (الآجاه الحمراءوات) (براند).

سألتها: «هل دومًا ما يُرَقَّقون؟». حدقت إليها (إيلان) فاغرة فمها، فأضافت على الفور: «كل ما في الأمر هو أنني أعتقد أن (الآيز سيدي) سيجدن طريقة أخرى للتعامل معهم. لقد قالت (آنايا) و(مويرين) إن أعظم إنجازات (عصر الأساطير) قد تطلبت أن يعمل الرجال والنساء معًا باستخدام (القوة الواحدة). فكرتُ فقط أنهم سيحاولون إيجاد طريقة».

«حسنًا، لا تدعي أيًا من الأخوات (الحمراوات) تسمعك تفكرين في هذا بصوت عالٍ. لقد حاولن يا (إيجوين)، لقد حاولن لثلاثمئة عام بعد بناء (البرج الأبيض). لقد استسلمن لأنهن لم يجدن طريقة أخرى. تعالي معي، أريدك أن تقابلي (مين). ليس في الحديقة التي سيذهب إليها (لوجاين) حمدًا (للنور)».

شعرت (إيجوين) أن الاسم مألوف بشكل مبهم، وعندما رأت الشابة عرفت لماذا. كان هناك جدار ضيق في الحديقة، يعلوه جسر حجري منخفض، وتجلس (مين) معقودة الساقين أعلى سور الجسر. كانت ترتدي سروالًا رجاليًا ضيقًا وقميصًا فضفاضًا، وبشرها الداكن القصير كنت تبدو وكأنها فتى، رغم أنه سيكون جميلًا بشكل غير معتاد. كان هناك معطف رمادي موضوع بجانبها فوق السور.

قالت (إيجوين): «أنا أعرفك، كنتِ تعملين في حانة في (بايرلون)». هب نسيم خفيف حرك سطح الماء تحت الجسر، وغردت طيور الأجنحة الرمادية في أشجار الحديقة.

ابتسمت (مين) وقالت: «وأنتِ كنتِ واحدة من هؤلاء الذين جلبوا أصدقاء الظلام إلينا ليحرقوها. لا، لا تقلقي، الرسول الذي جاء لأخذي قد جلب معه ما يكفي من الذهب ليبنى السيد (فيتش) حانته مرة أخرى وبضعف الحجم. طاب صباحك يا (إيلين)، ألا تعملين بجد على دروسك؟ أو بعض الآنية؟». قالتها بلهجة مزاح، كما هو الحال بين صديقتين، وقد أثبتت ابتسامتها (إيلين) هذا.

«أرى أن (شيريام) لم تتمكن من جعلك ترتدين فستاناً بعد».

ضحكت (مين) ضحكة خبيثة وقالت: «أنا لست مبتدئة». ثم جعلت صوتها رفيعاً وهي تقول: «نعم أيتها (الآيز سيداي). لا أيتها (الآيز سيداي). هل يمكنني أن أكنس أرضية أخرى أيتها (الآيز سيداي)؟». ثم استعادت صوتها الطبيعي وقالت: «أنا أرتدي ما يحلو لي». التفتت إلى (إيجوين) وقالت: «هل (راند) بخير؟».

جزت (إيجوين) على أسنانها وهي تقول لنفسها بغضب: «عليه أن يرتدي قرني كبش (كالترولك)». «لقد شعرتُ بالأسف عندما اشتعلت حانتكم، وأنا مسرورة أن السيد (فيتش) كان قادراً على إعادة بنائها. لماذا جئتِ إلى (تار قالون)؟ من الواضح أنك لا ترغبين في أن تصبحي (آيز سيداي)». رفعت (مين) حاجباً، فيما كانت (إيجوين) متيقنة من أنه استمتع بالأمر.

قالت (إيلين) مفسرة: «إنها معجبة به».

«أعرف». نظرت (مين) إلى (إيجوين)، وبعد لحظة خُيِّلَ (لإيجوين) أنها ترى الحزن - أو الندم؟ - في عينيها.

قالت (مين) بحذر: «أنا هنا لأنهن أرسلن في طلبي، وقد خُيِّرَت ما بين المجيء إلى هنا بمحض إرادتي، أو أن آتي مقيدة في جوال».

قالت (إيلين): «أنتِ دوماً تبالغين، لقد رأيت (شيريام سيداي) الخطاب، وقالت إنه كان طلباً. (مين) ترى أشياء يا (إيجوين)، لهذا السبب هي هنا، لكي تتمكن (الآيز سيداي) من دراسة كيفية فعلها لهذا. الأمر لا يتعلق (بالقوة الواحدة)».

قالت (مين) ساخرة: «طلب؟ عندما تطلب (الآيز سيداي) حضورك فإنه يكون في منزلة أمر من ملكة يدعمه مئة جندي».

قالت (إيجوين): «الجميع يرون أشياء».

هزت (إيلين) رأسها وقالت: «ليس مثل (مين)، إنها ترى... هالات حول الناس، وصوراً».

أضافت (مين): «ليس طيلة الوقت، وليس حول كل الناس».

«ويمكنها أن تقرأ أشياء عنك من خلالها. رغم أنني لست متيقنة أنها دوماً ما تقول الحقيقة. قالت إنني سأضطر إلى مشاركة زوجي مع امرأتين أخريين، ولم أستطع تحمل ذلك. لقد ضحكت وقالت إنها ليس لديها

فكرة كيف تجري الأمور أيضًا ولكنها قالت إنني سأصير ملكة قبل أن تعرف من أكون، قالت إنها رأت تاجًا وكان (تاج أندور الزهري)».

رغمًا عنها تساءلت (إيجوين): «ما الذي تريه عندما تنظرين إليّ؟».

نظرت (مين) إليها وقالت: «شعلة بيضاء و... أوه، أشياء عديدة مختلفة، لا أعرف ما الذي تعنيه».

قالت (إيلان) بفتور: «إنها تقول هذا كثيرًا، أحد الأشياء التي قالت إنها قد رأتها عندما نظرت إليّ هي يد مقطوعة، وتقول إنها ليست يدي، تزعم أنها لا تعرف ما يعنيه هذا أيضًا».

قالت (مين): «لأنني لا أعرف، لا أعرف ما تعنيه نصف هذه الأشياء».

تعالى صوت خطوات على الممشى، فالتفتن ليرين شاين يحمل كل منهما على ذراعه قميصًا ومعطفًا، تاركًا صدره المغطى بالعرق عاريًا، وفي يده سيف موضوع في غمده. وجدت (إيجوين) نفسها تحدق إلى أوسم رجل قد رآته في حياتها، طويلًا ونحيلًا ولكنه قوي البنية، ويتحرك برشاقة قط. أدركت فجأة أنه ينحني على يدها - لم تشعر به حتى وهو يمسك يدها في يده - وراحت تفتش في عقلها عن الاسم الذي قد سمعته.

تمتمت: «(جالاد)». حدقت عيناه السوداوان إلى عينيها. كان أكبر منها، وأكبر من (راند). عند التفكير في (راند) جفلت واستعادت رشدها.

قال الشاب الآخر مبتسمًا: «وأنا (جاوين)، لأنني لا أعتقد أنك سمعت هذا في المرة الأولى». كانت (مين) مبتسمة أيضًا، ووحدها (إيلان) تقطب جبينها.

فجأة تذكرت (إيجوين) يدها التي لا يزال (جالاد) ممسكًا بها، فحررتها.

قال (جالاد): «إن سمحت واجباتك فأود أن أراك مرة أخرى يا (إيجوين)، يمكننا أن نتمشى أو - إن حصلت على الإذن بمغادرة (البرج) - يمكننا الذهاب في نزهة خارج المدينة».

«هذا... هذا سيكون لطيفًا». كانت تشعر بالحرج وهي مدركة لوجود الآخرين، ولا تزال (مين) و(جاوين) مبتسمين باستمتاع، ولا تزال (إيلان) متجهمة. حاولت أن تتمالك نفسها، أن تفكر في (راند). إنه... جميل للغاية. جفلت وقد خشيت أن تكون قد تحدثت بصوت عالٍ.

«إلى أن نلتقي إذن». وأخيرًا أبعد (جالاد) عينيه عن (إيجوين)، وانحنى لإيلان قائلاً: «أختاه». كان رشيقيًا كنصل سيف وهو يمشي عبر الجسر.

تمتمت (مين) وهي تلاحقه ببصرها: «هذا الشخص سيفعل دومًا ما هو صواب بغض النظر عن من سيتأذى».

قالت (إيجوين): «أختاه؟». لم يلن عبوس (إيلان) إلا قليلًا. «ظننت أنه... أعني من الطريقة التي تجهمت بها...». لقد ظنت أن (إيلان) تشعر بالغيرة، ولا تزال غير متيقنة.

قالت (إيلان) بحزم: «أنا لست أخته. أرفض أن أكون أخته».

قال (جاوين) بفتور: «كان أبونا أباه، لا يمكنك إنكار هذا، إلا إن كنتَ تريدان نعت أملك بالكاذبة، وهذا سيثير توترًا أكبر مما بيننا بالفعل».

لأول مرة تدرك (إيجوين) أن لديه نفس الشعر الذهبي المائل للحمرة مثل (إيلين)، رغم أنه قد صار داكنًا ومتلبدًا بفعل العرق.

قالت (إيلين): «(مين) محقة، لا يملك (جالاد) أدنى جزء من الإنسانية بداخله، إنه يهتم بالحق فوق الرحمة أو الشفقة أو... إنه ليس أكثر إنسانية من (ترولوك)».

عادت ابتسامة (جاوين) وهو يقول: «لست متيقنًا بشأن هذا، ليس من الطريقة التي كان ينظر بها إلى (إيجوين)». رأى النظرة المرتسمة على وجهها، ثم النظرة المرتسمة على وجه أخته، فرفع يديه كأنها يرغب في صدّها بسيفه الموضوع في غمده. «كما أنه أفضل من رأيته يتعامل بالسيف، لا يحتاج (الحماة) أن يرينه شيئًا إلا مرة واحدة فيتعلمه. لقد أنهكوني حتى الموت تقريبًا لأتعلّم نصف ما تعلمه (جالاد) من دون محاولة».

قالت (إيلين) باستياء: «وهل يكفي أن يكون المرء بارعًا في استخدام السيف؟ يا للرجال! كما خمنت يا (إيجوين)، إن هذا الأخرق العاري بشكل مخزٍ هو أخي. إن (إيجوين) تعرف (راند ألثور) يا (جاوين)، إنها من القرية نفسها».

«حقًا؟ هل وُلد في (النهرين) حقًا يا (إيجوين)؟».

جعلت (إيجوين) نفسها تومئ بهدوء. ما الذي يعرفه؟ «بالطبع قد وُلد هناك، لقد ترعرعت معه».

قال (جاوين) ببطء: «بالطبع، يا له من شاب غريب. قال إنه راعي غنم رغم أنه لم يبدُ أو يتصرف كأبي راعي غنم قد رأيته. غريب حقًا. لقد التقيت بجميع أصناف البشر، وقد التقوا (براند ألثور). بعضهم لا يعرفون اسمه، ولكن أوصافه لا يمكن أن تنطبق على أي شخص آخر. لقد غيّر حياة كل واحد منهم. كان هناك مزارع عجوز قد جاء إلى (كايملين) فقط لرؤية (لوجاين)، عندما كانوا يجلبون (لوجاين) إلى هنا، ومع ذلك فقد بقي المزارع ليقف في صف أمي عندما بدأت أعمال الشغب، لأن هناك شابًا قد خرج ليرى العالم قد جعله يعتقد أن هناك في الحياة ما هو أهم من مزرعته. (راند ألثور). يكاد المرء أن يعتقد أنه (تافيرين). إن (إيليدا) مهتمة به بكل تأكيد، تُرى إن التقينا به فهل ستتغير حياتنا في (النمط)؟».

نظرت (إيجوين) إلى (إيلين) و(مين). كانت متيقنة من أنها لا تمتلكان أي فكرة عن كون (راند) (تافيرين) بالفعل. لم تفكر حقًا في هذا الجزء من الأمر من قبل. إنه (راند)، وهو ملعون بالقدرة على التسخير. ولكن (التافيرين) يحرك الناس حقًا، سواء أرادوا تحريكهم أم لا. قالت فجأة مخاطبة الفتاتين: «أنا حقًا معجبة بكما، أريد أن أصبح صديقتكما».

قالت (إيلين): «وأنا أريد أن أكون صديقتكما». من دون تفكير عانقتها (إيجوين)، ثم قفزت (مين) إلى الأسفل، ووقفن ثلاثتهن معًا على الجسر يعانقن بعضهن بعضًا.

قالت (مين): «نحن الثلاثة مرتبطات معًا، ولا يمكن أن نسمح لأي رجل أن يعترض طريق هذا، ولا حتى هو».

سألهن (جاوين) بلطف: «هل تمنع إحداكن في إخباري عن سبب كل هذا؟».

قالت أخته: «لن تفهم». ثم ضحكت الفتيات الثلاثة في مرج.

حك (جاوين) رأسه ثم هزه وقال: «حسنًا، إن كان هذا له أي علاقة (براند ألثور) فاحرصن على ألا تسمع (إيليدا) شيئًا عن الأمر. لقد حققت معي ثلاث مرات منذ مجئنا إلى هنا كأنها (مستجوب) من أصحاب العباءات البيضاء. لا تعتقد أنها تضمهر له...». جفل وهو ينظر إلى امرأة تقطع الحديقة، امرأة ترتدي شالًا بأهداب حمراء. قال مقتبسًا: «إن ذكرت اسم (سيد الظلام) فسوف يظهر». ثم قال: «لا أريد محاضرة أخرى عن ارتداء قميصي عندما أكون خارج ساحات التدريب. طاب صباحكن جميعًا».

ألقت (إيليدا) نظرة عابرة ناحية (جاوين) وهو يمشي مبتعدًا، بينما تقترب من الجسر. فكرت (إيجوين) أنها امرأة جذابة أكثر من كونها جميلة، ولكن ذلك المظهر الذي لا يمكن تحديد عمره يميزها بشكل أكيد مثل شالها. فقط الأخوات الجديديات يفتقرن لهذا المنظر. عندما وقع بصرها على (إيجوين) توقفت للحظة، ورأت (إيجوين) فجأة صرامة في (الآيز سيداي). لطالما اعتقدت أن (مويرين) قوية كفولاذ تحت حرير، ولكن (إيليدا) كانت فولاذًا فقط دون حرير.

قالت (إيلين): «هذه (إيجوين) يا (إيليدا). لقد وُلدت وبدخلها البذرة أيضًا، كما أنها قد تلقت بعض الدروس بالفعل، لذا فهي قد قطعت الشوط نفسه الذي قطعتُه. (إيليدا)؟».

كان وجه (الآيز سيداي) خاليًا من التعبيرات ولا يمكن سبر أغواره. (في (كايملين) أنا مستشارة أمك الملكة يا طفلي، ولكن هذا هو (البرج الأبيض)، وأنتِ مبتدئة». تحركت (مين) وكأنها على وشك الرحيل، ولكن (إيليدا) أوقفها بأن قالت بحدة: «ابقي يا فتاة، أريد أن أتحدث معك».

قالت (إيلين) في عدم تصديق: «ولكني قد عرفتكِ طيلة حياتي يا (إيليدا)، لقد راقبتني وأنا أكبر، وجعلتِ الحداثق تزهر في الشتاء لكي أتمكن من اللعب».

«هناك كنتِ ولية العهد يا طفلي، هنا أنتِ مبتدئة، يجب أن تتعلمي هذا. ستكونين عظيمة يومًا ما ولكنك يجب أن تتعلمي!».

«أجل أيتها (الآيز سيداي)».

كانت (إيجوين) مندهشة، لو أن أحدًا قد عاملها بازدراء هكذا أمام الآخرين لشعرت بغضب شديد. «والآن اذهبا أنتما الاثنتان». بدأ الجرس يقرع عميقًا ورنانًا، فأمالت (إيليدا) رأسها جانبًا. كانت الشمس في منتصف الطريق إلى ذروتها. قالت (إيليدا): «جرس منتصف النهار. يجب عليكما أن تسرعا إن لم ترغبا في المزيد من التوبيخ. اذهبي لمقابلة سيده المستجدات في مكتبها بعد الانتهاء من واجباتك يا (إيلين). المبتدئة لا يجب أن تتحدث إلى (الآيز سيداي) ما لم يُطلب منها هذا. أسرعا أنتما الاثنتان، ستتأخران، أسرعا!».

أسرعتا راكضتين وكل منهما تمسك بتنورتها. نظرت (إيجوين) إلى (إيلين)، كانت وجنتاها متوردتين وقد ارتسم التصميم على وجهها.

قالت (إيلين) بصوت خافت: «سأصير (آيز سيداي)». ولكنه بدا كأنه وعد. من ورائهما سمعت (إيجوين) (الآيز سيداي) تقول: «لقد تنامى إلى علمي أن (مويرين سيداي) هي من جلبتك إلى هنا يا فتاة».

أرادت أن تبقى لتصغي السمع، لتعرف ما إذا كانت (إيليدا) ستسأل عن (راند)، ولكن جرس منتصف النهار كان يتردد عبر (البرج الأبيض)، وقد استدعيت لتأدية مهامها المنزلية. لقد ركضت بأسرع ما تستطيع كما أمرت.

قالت مزجرة: «سأصير (آيز سيداي)». ومض وجه (إيلين) بابتسامة تفهم ثم ركضتا بشكل أسرع.

كان قميص (مين) ملتصقاً بها عندما تركت الجسر أخيراً، لم يكن العرق بفعل الشمس، بل من حرارة أسئلة (إيليدا). نظرت ورائها لتتقن من أن (الآيز سيداي) لا تلحق بها، ولكن (إيليدا) لم تكن في مرمى البصر.

كيف عرفت (إيليدا) أن (مويرين) قد استدعتها؟ كانت (مين) متيقنة من أن هذا السر لا يعرفها سواها هي و(مويرين) و(شيريام). وكل هذه الأسئلة عن (راند)، لم يكن من السهل إبقاء وجهها هادئاً وعينيها ثابتتين بينما تخبر (الآيز سيداي) في وجهها إنها لم تسمع من قبل عنه ولا تعرف أي شيء عنه. ما الذي تريده منه؟ بحق (النور) ما الذي تريده (مويرين) منه؟ بحق (النور) لا أرغب في أن أقع في حب رجل التقيت به مرة واحدة، بالإضافة إلى كونه مزارعاً.

تمتمت: «فليعملك (النور) يا (مويرين). أياً كان السبب الذي أحضرني إلى هنا من أجله فاخرجي من المكان الذي تحتبئين فيه وأخبريني به حتى أتمكن من الرحيل!».

لم يجبها سوى التغريدات العذبة لطيور الأجنحة الرمادية. تجهمت وهي ذاهبة للبحث عن مكان لتهدأ فيه.

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الخامس والعشرون

كايرين

كانت مدينة (كايرين) ممتدة على التلال المقابلة (لنهر ألجوينيا)، وقد رآها (راند) لأول مرة من التلال الواقعة شمالاً على ضوء شمس منتصف النهار. كان (إلريكين تافولين) والجنود الكايرينيون الخمسون يبدون كأنها هم حرسه، خاصة منذ عبور الجسر عند (نهر جايلين). إنهم يزدادون صرامة كلما اتجهوا جنوباً، ولكن لم يبدو أن (لويال) أو (هورين) يباليان بهذا، لذا حاول ألا يباليا. تفحص المدينة، الضخمة كأى مدينة قد رآها. كانت السفن الكبيرة والبوارج العريضة تملأ النهر، ومخازن الغلال العالية ممتدة على الضفة البعيدة، ولكن بدا أن (كايرين) ممتدة في شبكة دقيقة وراء أسوارها الرمادية العالية. هذه الأسوار ذاتها تشكل مربعاً مثاليًا، ويمتد أحد جوانبه على طول النهر، وبالنمط نفسه ترتفع الأبراج داخل الأسوار، ويصل ارتفاعها إلى عشرين ضعف ارتفاع السور. ومع ذلك، حتى من التلال، استطاع (راند) أن يرى أن كل برج ينتهي بقمة مسننة.

كان هناك شبكة من الشوارع خارج أسوار المدينة، وتحيط بها من ضفة إلى ضفة، وتتقاطع في جميع الزوايا، ومكتظة بالناس. عرف (راند) من (هورين) أنها تُدعى (فورجيت). في السابق كان هناك قرية سوق لكل بوابة مدينة، ولكن على مدار السنوات تنامت كلها لتتحول إلى قرية واحدة، مزيج من الشوارع والأزقة ينمو في كل الاتجاهات.

بينما (راند) والآخرين يقطعون هذه الشوارع الترابية طلب (تافولين) من بعض جنوده إفساح طريق عبر الحشد وهم يصرخون ويحثون خيولهم على التقدم كما لو أنهم سيدهسون أى شخص لا يبتعد عن طريقهم بسرعة. تحرك الناس جانباً دون أن يلقوا أكثر من نظرة عابرة، كأن هذا يحدث كل يوم، ومع ذلك وجد (راند) نفسه يبتسم.

كانت ثياب قاطني (فورجيت) رثة في أغلب الأحيان، ولكن جزءاً كبيراً منها كان ملوئاً، وكان صخب الحياة في كل مكان. الباعة الجائلون ينادون على سلعهم وأصحاب المتاجر ينادون الناس لتفحص بضائعهم المعروضة على الطاولات أمام متاجرهم. وكان الحلاقون، وبائعو الفاكهة، وشاحذو السكاكين، والرجال والنساء الذي يعرضون عشرات الخدمات ومئات الأشياء لبيعها، يتجولون عبر الحشد. انجرفت الموسيقى عبر الصخب من أكثر من مبنى، في البداية ظن (راند) أنها حانات، ولكن اللافتات أمامها كانت تُظهر رجالاً يعزفون المزامير والقيثارات، أو يتشقلبون ويلعبون بالكرات، ورغم ضخامة المباني لم يكن بها أى نوافذ. بدا أن معظم المباني في (فورجيت) مبنية من الخشب، مهما كانت ضخمتها، وعدد كبير منها يبدو جديداً وإن كان مبنياً بشكل سيئ. حذق (راند) فاعراً فمه إلى عدد من المباني التي تتألف من سبعة طوابق أو

أكثر، كانت تتمايل قليلاً رغم أنه لم يبدُ على معظم الناس الذين يسرعون داخلين أو خارجين أنهم يلاحظون هذا.

تتم (تافولين) وهو يحدق أمامه في ازدراء: «يا للفلاحين، انظر إليهم، لقد أفسدتم طرق الغرباء، لا يُفترض بهم أن يكونوا هنا».

سأله (راند): «أين يُفترض بهم أن يكونوا؟».

حدق إليه الضابط الكايريني ثم وكز حصانه بمهمازيه ليتقدم إلى الأمام، وهو يضرب الحشد بسوطه. لمس (هورين) ذراع (راند) وقال: «لقد كانت (حرب آيل) يا لورد (راند)». تلفت حوله ليتيقن من أن أيًا من الجنود لم يكن قريبًا لسماعه. «العديد من المزارعين كانوا خائفين من العودة إلى أراضيهم بالقرب من (فقار العالم)، وقد جاؤوا جميعًا إلى هنا، قريبًا بما يكفي. لهذا السبب يملأ (جالدرين) النهر ببوارج الحبوب من (أندور) إلى (تير). لا توجد محاصيل تأتي من المزارع في الشرق، لأنه لم يعد هناك أي مزارع. ولكن من الأفضل عدم قول هذا لأحد الكايرينيين يا سيدي، إنهم يحبون التظاهر بأن الحرب لم تحدث، أو على الأقل أنهم انتصروا فيها».

على الرغم من صوت (تافولين) فقد اضطروا إلى التوقف بينما موكب غريب يمر من أمامهم. نصف دزينة من الرجال يضربون الدفوف ويرقصون، يتقدمون سلسلة من الدمى، وكل دمية طولها يساوي مرة ونصف طول الرجال الذين يحركونها بعصي طويلة. هيئات عملاقة متوجة لرجال ونساء، في أبواب طويلة مزخرفة، انحنا للحشد بين هيئات وحوش خيالية؛ أسد بجناحين، ماعز يمشي على قائمته الخلفيتين وله رأسان كلاهما يبدو وكأنه من المفترض أن ينفث نارًا، وفقًا للأشرطة القرمزية المتدلّية من الفمين، شيء يبدو كأنه نصف قطعة ونصف عقاب، وآخر برأس دب وجسد إنسان، وخن (راند) أن هذا من المفترض أن يُمثّل (ترولوكا). هلل الحشد وضحكوا أثناء مرورهم.

قال (هورين) متذمرًا: «الرجل الذي صنع هذا لم يرَ (ترولوكا) في حياته، الرأس كبير للغاية، والجسد نحيل للغاية. على الأرجح هم لا يؤمنون بوجودهم أيضًا يا سيدي أكثر مما يؤمنون بوجود الأشياء الأخرى. الوحوش الوحيدة التي يؤمن بها قوم (فورجيت) هم (الآيل)».

سأله (راند): «هل لديهم احتفال؟». لم يرَ أي أثر له سوى هذا الموكب، ولكنه فكر أن هناك بلا شك سببًا لوجوده. أمر (تافولين) جنوده بالتقدم مرة أخرى.

قال (لويال): «هذا ما يفعلونه كل يوم يا (راند)». كان يمشي إلى جانب حصانه، والصندوق المغطى بالبطانية لا يزال مربوطًا إلى سرجه، وقد جذب (الأوجير) من الأنظار قدر ما تجذبه الدمى. بل إن بعضهم راحوا يضحكون ويصفقون كما يفعلون مع الدمى. «أخشى أن (جالدرين) يبقي قومه هادئين بتسليتهم، إنه يمنح صانعي البهجة والموسيقيين (هبة الملك)، وهي مقدار من الفضة، للاستعراض هنا في (فورجيت)، ويدعم بماله مسابقات الخيول بجانب النهر كل يوم. وهناك ألعاب نارية في عديد من الليالي أيضًا». بدا

صوته مشمئزًا. «يقول الكبير (هامان) إن ما يفعله (جالديان) مخزٍ». رمش بعينه وقد أدرك ما قاله فتلفت حوله على الفور ليرى إن كان أحد من الجنود قد سمعه، لم يبدُ أن أحدًا قد سمعه.

قال (هورين) وهو يومئ برأسه: «ألعاب نارية. لقد أسس (المنبيرون) مقرًا لهم هنا كما سمعت، كما هو الحال في (تانتشيكو). لم أمانع رؤية الألعاب النارية عندما جئت إلى هنا من قبل». هز (راند) رأسه، لم يسبق له أن رأى ألعابًا نارية معقدة بما يكفي لتتطلب حتى (منيرًا) واحدًا. لقد سمع أنهم لا يتركون (تانتشيكو) إلا للاستعراض أمام الحكام. يا له من مكان غريب هذا الذي جاء إليه. عند بوابة المدينة الطويلة المربعة أمر (تافولين) بالتوقف والترجل إلى جانب مبنى حجري قصير بعد الأسوار مباشرة. كان به فتحات أسهم بدلاً من النوافذ وباب ثقيل مدعوم بالحديد.

قال الضابط: «لحظة واحدة يا سيدي اللورد (راند)». ثم ألقى بلجامه إلى أحد جنوده قبل أن يختفي بالداخل.

وضع الجنود خيولهم في صفين طويلين، فنظر إليهم (راند) بحذر وهو يتساءل عما سيفعلونه إن حاول هو و(لويال) و(هورين) المغادرة، ثم انتهز الفرصة ليتفحص المدينة الواقعة أمامه.

كانت أجواء (كايرين) متناقضة بشكل صارخ مع الصخب الفوضوي في (فورجيت). كانت الشوارع الواسعة والمرصوفة والعريضة بما يكفي لجعل الناس فيها يبدون أقل عددًا من حقيقتهم تتقاطع مع بعضها بعضًا بزوايا قائمة. كانت التلال قد نُحِتت وتحولت إلى مدرجات مستقيمة تمامًا كما هو الحال في (تريمونسين). كانت الكراسي المحمولة باليد - بعضها يحمل شارات بها شعار عائلة معينة - تهادي في الشوارع، والعربات تتحرك ببطء. بعض الناس كانوا يمشون بصمت، بملابس داكنة، بلا أي ألوان زاهية، إلا بعض الأشرطة هنا وهناك، على صدر معطف أو فستان. وكلما ازداد عدد الأشرطة كان الشخص يتحرك بفخر أكبر. ولكن لا أحد يضحك أو حتى يتسّم. كانت المباني في المدرجات كلها من الحجر، والزخارف عبارة عن خطوط مستقيمة وزوايا حادة. لم يكن هناك باعة جائلون في الشوارع، وحتى المتاجر بدت هادئة، مع لافتات صغيرة، ودون أي بضائع معروضة بالخارج.

صار قادرًا على رؤية الأبراج العظيمة بشكل أوضح. كان هناك سقالات من أعمدة مربوطة تحيط بها، والعمال يصعدون بالسقالات ليضعوا أحجارًا جديدة لترتفع الأبراج أكثر.

تمتم (لويال) بحزن: «(أبراج كايرين الشاهقة). حسنًا، لقد كانت ذات يوم مرتفعة بما يكفي لأن تستحق الاسم. عندما استولى (الآيل) على (كايرين) - في الوقت الذي وُلدت فيه أنت تقريبًا - احترقت الأبراج وتصدعت وتساقت. لا يمكنني أن أرى أي (أوجير) بين عمال البناء، لا يمكن لأي (أوجير) أن يعمل هنا، فالكايرينيون يريدون ما يريدونه دون أي تجميل، ولكن كان هناك بعض (الأوجير) عندما جئت إلى هنا من قبل».

خرج (تافولين)، ومن ورائه ضابط آخر وكاتبان، أحدهما يحمل دفترًا كبيرًا مجلدًا بالخشب، والآخر يحمل صحيفة عليها أدوات للكتابة. كان الجزء الأمامي من رأس الضابط مخلوقًا مثل (تافولين)، ولكن يبدو أن الصلح قد أخذ من الشعر أكثر مما أخذه الموس. نظر كلا الضابطين إلى (راند) ثم إلى الصندوق المغطى ببطانية (لويال) قبل أن ينظرا إلى (راند) مرة أخرى. لم يسأل أي منهما عما يوجد تحت البطانية. لقد نظر إليها (تافولين) كثيرًا في طريقهم من (تريمونسين)، ولكنه لم يطرح أي سؤال حينها أيضًا. نظر الرجل الأصلح إلى سيف (راند) أيضًا، وزم شفتيه للحظة.

قال (تافولين) إن اسم الضابط الآخر هو (أسان ساندير)، ثم أعلن بصوت عالٍ: «اللورد (راند) من (آل ألثور) في (أندور)، ورجله المسمى (هورين)، مع (لويال)؛ (أوجير) من (ملاذ شانجتاي)». فتح الكاتب الدفتر على ذراعيه، وكتب (ساندير) الأسماء بخط واضح.

قال (ساندير) تاركًا مهمة صقل الكلمات للكاتب الثاني: «يجب أن تعود إلى هذا المخفر غدًا في الساعة نفسها يا سيدي، وأن تترك اسم الحانة التي تقيم فيها».

نظر (راند) إلى شوارع (كايرين) الهادئة وهو يتذكر حيوية شوارع (فورجيت) قبل أن يقول: «هل يمكنك أن تخبرني باسم حانة جيدة هناك في الخارج». كان يومئذ مشيرًا إلى (فورجيت).

اقترب منه (هورين) وقال هامسًا بشكل محموم: «هذا لن يكون لائقًا يا لورد (راند)، إن بقيت في (فورجيت) مع كونك لوردًا وما إلى ذلك فسيكونون متيقنين من أنك تضمّر شيئًا ما».

رأى (راند) أن المتشمم محق. كان (ساندير) قد فغر فمه، ورفع (تافولين) حاجبيه في تساؤل، وهما ينظران إليه في اهتمام. أراد أن يخبرهما أنه لا يلعب (لعبتهم الكبرى)، ولكنه بدلًا من هذا قال: «سنأخذ غرّفًا في المدينة، هل يمكننا الذهاب الآن؟».

انحنى (ساندير) وقال: «بالطبع يا سيدي اللورد (راند)، ولكن... الحانة؟».

«سنعلمك عندما نجد واحدة». التفت (راند) إلى (ريد) ثم توقف. لقد أصدرت رسالة (سيلين) طقطة في جيبه. «أحتاج إلى العثور على امرأة شابة من (كايرين)، السيدة النبيلة (سيلين)، إنها في مثل عمري، وجميلة. لا أعرف عائلتها».

تبادل (ساندير) و(تافولين) النظرات ثم قال (ساندير): «سوف أستفسر عن الأمر يا سيدي، ربما سأكون قادرًا على إخبارك بشيء عندما تعود في الغد».

أومأ (راند) برأسه ثم تقدم (لويال) و(هورين) إلى المدينة، لم يجذبوا قدرًا كبيرًا من الاهتمام، على الرغم من وجود عدد قليل من الأشخاص يمتطون الخيل. حتى (لويال) لم يجذب أي اهتمام تقريبًا، بدا أن الناس يتباهون باهتمامهم بشؤونهم الخاصة.

سأل (راند) (هورين): «هل سيفهمون سؤالي عن (سيلين) على نحو خاطئ؟».

«من يمكنه أن يجزم بشيء مع الكايرينيين يا لورد (راند)؟ يبدو أنهم يعتقدون أن كل شيء له علاقة (بالدايس دايمار)».

هز (راند) كتفيه، أحس كما لو أن الناس ينظرون إليه، لا يطبق انتظاراً حتى يرتدي معطفاً بسيطاً مرة أخرى، ويتوقف عن التظاهر بكونه شخصاً يختلف عن حقيقة.

كان (هورين) يعرف العديد من الحانات في المدينة، على الرغم من أن الوقت الذي أمضاه في (كايرين) كان يقضيه بشكل أساسي في (فورجيت). اقتادهم المتشمم إلى حانة تدعى (المدافع عن جدار التنين)، وكانت اللافتة بها رجل متوج يضع قدمه على صدر رجل آخر، وسيفه على حلق الرجل، وكان الشخص المستلقي على ظهره له شعر أحمر.

جاء سائس ليأخذ خيولهم ملقياً نظرة سريعة على (راند) و(لويال) عندما ظن أن أحداً لا يراه. قال (راند) لنفسه أن يكف عن التخيل، لا يُعقل أن كل شخص في المدينة يلعب (لعبتهم) هذه، وإن كانوا هكذا فإنه ليس جزءاً منها.

كانت الحجرة العامة مرتبة والطاولات موضوعة بنظام دقيق مثل المدينة، ولا يجلس عليها إلا عدد قليل من الأشخاص. ألقوا نظرة سريعة على الوافدين الجدد ثم عادوا إلى نبيذهم على الفور. كان لديه إحساس بأنهم ما زالوا يراقبون وينصتون. كان هناك نيران صغيرة تتأجج في المدفأة الكبيرة، على الرغم من أن النهار كان دافئاً.

كان صاحب الحانة رجلاً دهنياً ممتلئاً الجسد، له شريط واحد أخضر على معطفه الرمادي الداكن. لقد جفل عند رؤيتهم لأول مرة، ولم يتفاجأ (راند). كان (لويال) الذي يحمل الصندوق بين ذراعيه تحت البطانية المغطاة مضطرباً لأن ينجني رأسه لكي يعبر عبر الباب، بينما كان (هورين) مثقلاً بكل أكياس سروجهم، وحزمهم، ومعطفه الأحمر يتناقض بشكل صارخ مع الألوان الكئيبة التي يرتديها الناس على الطاولات.

نظر صاحب الحانة إلى معطف (راند) وسيفه، ثم عادت إليه ابتسامته الزيتية. انحنى وهو يمسح يديه الناعمتين قائلاً: «اغفر لي يا سيدي اللورد، لقد ظننت للحظة واحدة أنك... اغفر لي، لم يعد عقلي كما كان. هل تريد غرفاً يا سيدي؟». ثم انحنى انحناءة أخرى أقل (لويال) قبل أن يقول: «اسمي (كوال) يا سيدي». قال (راند) لنفسه بمرارة: *لقد ظن أنني آييلي*. أراد أن يرحل عن (كايرين)، ولكنه المكان الوحيد الذي يمكن أن يجدهم فيه (إنجتار)، وقالت (سيلين) إنها ستنتظره في (كايرين).

استغرق تجهيز غرفهم بعض الوقت، وقد شرح (كوال) - مع الكثير من الابتسامات والانحناءات - أنه من الضروري نقل سرير من أجل (لويال). أراد (راند) أن يتشاركوا جميعاً غرفة واحدة مرة أخرى، ولكن ما بين نظرات صاحب الحانة المصدومة وإصرار (هورين) - «يجب أن تُري هؤلاء الكايرينيين أننا نعرف الصواب كما يعرفونه يا لورد (راند)» - انتهى بهم المطاف بغرفتين، واحدة من أجله وحده، مع باب يصل بينهما.

كانت الغرفتان متشابهتين باستثناء أن غرفتهما بها سريران، واحد بحجم ملائم (لأوجير)، بينما غرفته بها سرير واحد كبير بحجم السريرين الآخرين تقريبًا، مع أعمدة ضخمة مربعة تكاد أن تصل إلى السقف. كان كرسيه المبطن عالي الظهر ومنضدة الاغتسال مربعين وضخمين أيضًا، وخزانة الملابس الملتصقة بالجدار منحوتة بأسلوب ثقيل صلب يجعل هذا الشيء كأنها سيسقط عليه. كان هناك نافذتان إلى جانب سريره تطلان على الشارع الواقع على بعد طابقين بالأسفل. ما إن رحل صاحب الحانة حتى فتح (راند) الباب وأدخل (لويال) و(هورين) إلى غرفته. قال لهما: «هذا المكان يثير أعصابي، الجميع ينظرون إليك كما لو أنهم يعتقدون أنك تفعل شيئًا ما، سأعود إلى (فورجيت) لساعة على أي حال، على الأقل الناس يضحكون هناك، من منكم يرغب في أخذ النوبة الأولى في مراقبة (البوق)؟».

قال (لويال) على الفور: «أنا سأبقى، أود أن أحصل على فرصة لأقرأ قليلًا. إن عدم رؤيتي لأي (أوجير) لا يعني أنه لا يوجد أي عمال بناء من (ملاذ تسوفو)، إنه ليس بعيدًا عن المدينة». «ظننت أنك قد ترغب في مقابلتهم».

«آه... لا يا (راند)، لقد طرحوا ما يكفي من الأسئلة في المرة السابقة عن وجودي (بالعالم الخارجي) وحدي. إن كان لديهم خبر من (ملاذ شانجتاي)... حسنًا، أعتقد أنني سأستريح هنا وأقرأ». هز (راند) رأسه، عادة ما ينسى أن (لويال) في الواقع قد هرب من دياره ليرى العالم. «ماذا عنك يا (هورين)؟ هناك موسيقى في (فورجيت) وأناس يضحكون. أراهن أنه لا أحد منهم يلعب (الدائس دايمار)».

«لست متيقنًا من هذا يا لورد (راند)، على أي حال أشكرك على الدعوة، ولكنني أعتقد أنني لن أذهب، هناك الكثير من المشاجرات - والقتل أيضًا - في (فورجيت)، حتى إنه تفوح منها رائحة كريهة، إن كنت تفهم ما أعنيه. ليس من المحتمل بالطبع أن يزعمجوا لوردًا، سينقض عليهم الجنود على الفور إن فعلوا هذا، ولكنني سأتناول مشروبًا في الحجرة العامة إن كان هذا يرضيك».

«لا تحتاج إلى إذني لفعل أي شيء يا (هورين)، أنت تعرف هذا».

«كما تشاء يا سيدي». بدا على المتشتم أنه على وشك الانحناء.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا، إن لم يغادروا (كايرين) قريبًا فسيبدأ (هورين) في الانحناء والتذلل يمينًا ويسارًا. إن رأى (مات) و(بيرين) هذا فلن يسمحا له بنسيانه أبدًا. «أمل ألا يتأخر (إنجتار)، إن لم يأت بسرعة فسيكون علينا أن نعيد (البوق) إلى (فال دارا) بأنفسنا». لمس رسالة (سيلين) من خلال معطفه وقال: «سيكون علينا هذا. سأعود لكي تتمكن من رؤية شيئًا من المدينة يا (لويال)».

قال (لويال): «أفضل ألا أغامر بهذا».

رافق (هورين) (راند) إلى الطابق السفلي، وبمجرد أن وصلا إلى الحجرة العامة انحنى (كوال) أمام (راند) ودفع إليه بصحفة عليها ثلاث أوراق مطوية ومختومة. أخذها (راند) لأنه كان من الواضح أن هذا ما يريد

منه صاحب الحانة أن يفعله. كان ورقًا من النوع الفاخر، ملمسه ناعم وأملس، ويبدو باهظ الثمن. سأله: «ما هذه؟».

انحنى (كوال) مرة أخرى وقال: «إنها دعوات بالطبع يا سيدي، من ثلاث عائلات نبيلة». ثم انحنى قبل أن يتعد.

قال (راند) وهو يُقلِّبهم في يده: «من سيرسل إليَّ دعوات؟». لم يبدُ أن أيًا من الرجال الجالسين على الطاولة ينظر إليه، ولكن في الوقت ذاته كان لديه إحساس بأنهم يراقبونه. لم يتعرف على الأختام، ولم يكن أي منهم ختم الهلال والنجوم الذي استخدمته (سيلين). «من سيعرف أنني هنا؟».

قال (هورين) بصوت خافت: «الجميع يعرفون الآن يا لورد (راند)». بدا أنه يشعر بالأعين المراقبة أيضًا. «الحرس في البوابة لن يصمتوا بشأن لورد غريب قد جاء إلى (كايرين). السائس، صاحب الحانة... الجميع سيتحدثون عما يعرفونه عندما يعتقدون أن هذا سينفعهم يا سيدي».

تجههم (راند) وهو يخطو ناحية المدفأة ويلقي بالدعوات في النار، فاشتعلت على الفور. قال بصوت عالٍ لكي يسمعه الجميع: «أنا لا أَلعب (الدائس دايمار)». لم ينظر إليه أحد، ولا حتى (كوال). «ليس لي علاقة (بلعبتكم الكبرى)، أنا هنا فقط أنتظر بعض الأصدقاء».

أمسك (هورين) بذراعه وقال بهمس ملح: «أرجوك يا لورد (راند)، أرجوك لا تفعل هذا مرة أخرى». «مرة أخرى؟ هل تعتقد أنني سأتلقي المزيد؟».

«أنا متيقن. بحق (النور)، أنت تذكرني بالمرّة التي شعر فيها (تيثا) بالغضب من دبور يطن حول أذنيه فركل العش. أنت على الأرجح قد أقنعت جميع من في الحجرة أنك في جزء عميق من (اللعبة)، سيرون أنه بلا شك جزء عميق للغاية إن كنت تنكر (اللعبة) على الإطلاق، كل لورد وكل سيدة نبيلة في (كايرين) يلعبونها». نظر المششم إلى الدعوات التي تتلوى وتَسوَدُّ في النار فتجههم وقال: «كما أنك بالتأكيد قد اكتسبت عداء العائلات الثلاثة، ليست عائلات عظيمة إن كانوا قد تحركوا بمثل هذه السرعة، ولكنهم يظلون نبلاء. يجب عليك أن تجيب أي دعوات تتلقاها يا سيدي، فلترفض إن شئت، ولكنهم سيستنتجون أشياء من تلك الدعوات التي ترفضها، ومن تلك التي تقبلها. بالطبع إن رفضتها جميعًا أو قبلتها جميعًا...».

قال (راند) بصوت خافت: «لن أشارك في الأمر، سنغادر (كايرين) في أقرب وقت ممكن». وضع قبضتيه في جيبي معطفه وشعر برسالة (سيلين) تتجدد، فأخرجها وبسطها على مقدمة معطفه، ثم تمتم وهو يعيدها إلى جيبيه: «في أقرب وقت ممكن. تناول مشروبك يا (هورين)».

أسرع خارجًا في غضب، لم يكن متيقنًا إذا ما كان غاضبًا من نفسه أو من (كايرين) و(لعبتها الكبرى)، أم من (سيلين) لاختفائها، أم من (مويرين). إنها من بدأت كل هذا، بسرقة معطفه وإعطائه ثياب لورد بدلًا منها. حتى الآن وهو يزعم أنه تحرر منهن فإن (الآيز سيداي) لا يزلن يتدخلن في حياته، حتى من دون وجودهن.

عاد عبر البوابة نفسها التي دخل المدينة منها، بما أن هذا هو الطريق الوحيد الذي يعرفه. كان هناك رجل يقف أمام المخفر قد لاحظته. كان معطفه اللامع يميزه وكذلك طوله بين الكايرينيين. ثم أسرع إلى الداخل، ولكن (راند) لم يلاحظ هذا. كان صوت الضحك والموسيقى في (فورجيت) يجذبه. كان عليه أن يتوقف، من أجل موكب آخر من الدمى العملاقة، بينما قارعو الطبول يضربون بدفوفهم ويرقصون، وكان هناك (ترولوك) بوجه خنزير وأنياب يقاتل رجلاً يرتدي تاجاً، وبعد بعض الضربات العشوائية انهار (ترولوك) مع ضحكات المتفرجين وهتافتهم. تنهد (راند). *إنهم لا يموتون بهذه السهولة.*

نظر إلى أحد المباني الكبيرة الخالية من النوافذ، وتوقف لينظر عبر بابه. لدهشته بدت أنها مجرد غرفة واحدة ضخمة، مفتوحة على السماء في المنتصف ومحاطة بالشرفات، مع منصة ضخمة في أحد الأطراف. لم يسبق له أن رأى شيئاً كهذا أو سمع عنه. كان الناس متزاحين في الشرفات وعلى الأرضية يراقبون أشخاصاً يستعرضون على المنصة. اختلس النظر إلى مباني أخرى أثناء مروره فرأى متلاعبين بالكرات وعازفي موسيقى وعدداً من البهلوانات، بل وحتى صانع بهجة بعباءته المكونة من رقع، يحكي حكاية عن (الصيد العظيم للبوق)، بصوت رنان بترنيم عالٍ.

هذا جعله يفكر في (توم ميريلين)، فأسرع في المضي قدماً. دوماً ما تكون ذكرياته عن (توم) حزينة، لقد كان (توم) صديقاً، صديقاً قد مات من أجله. بينما أهرب مبتعداً وأتركه يموت.

في مبنى آخر من المباني الضخمة كان هناك امرأة ترتدي روباً أبيض فضفاضاً تجعل الأشياء تختفي من سلة وتظهر في أخرى، ثم تختفي من بين يديها في نفثات كبيرة من الدخان. كان الحشد الذين يراقبونها يصدرون أصوات تأوهات عالية في انبهار.

قال رجل ضئيل الجسد نحيل الوجه يقف عند المدخل: «عملتين نحاسيتين يا سيدي اللورد، عملتين نحاسيتين لترى (الآيز سيداي)».

«لا أعتقد هذا». نظر (راند) مرة أخرى إلى المرأة. ظهرت حمامة بيضاء بين يديها. (آيز سيداي)؟ «لا». انحنى للرجل نحيل الوجه انحناء صغيرة ثم مضى في طريقه.

كان يشق طريقه عبر الحشد متسائلاً عما سيراه بعد ذلك، عندما جاءه صوت عميق مصحوب بالعزف على أوتار قيثاره، عبر مدخل يحمل لافتة عليها رجل يتلاعب بالكرات.

«... تهب الرياح باردة عبر (ممر شارا)، والقبور المجهولة تكمن باردة، ومع ذلك في كل عام في (يوم الشمس) تظهر على تلك الأحجار المقدسة زهرة واحدة، وقطرة بلورية واحدة كالندى على البتلات، تضعها يد (دنسينين) الجميلة، فهي التي تلتزم بالمساومة التي عقدها (روجوش عين العقاب)».

جذب الصوت (راند) كالحبل، فاندفع عبر المدخل، بينما يتعالى صوت التصفيق بالداخل.

قال الرجل نحيل الوجه الذي يبدو كأنه توأم للرجل الآخر: «عملتين نحاسيتين يا سيدي اللورد، عملتين نحاسيتين لرؤية...».

أخرج (راند) بعض العملات النحاسية ودفع بها إلى الرجل، ثم دلف في دھول وهو يحرق إلى الرجل الذي ينحني على المنصة وسط تصفيق مستمعيه، وهو يمسك قيثارته بذراعه ويبسط عباءته المغطاة بالرقع بذراعه الأخرى، كأنها ليحتجز كل الأصوات التي يصدرونها، كان رجلاً طويلاً نحيلًا وليس شابًا، بشارب طويل أبيض كالشعر على رأسه، وعندما انتصب رأى (راند) فاتسعت عيناه الزرقاوان في حدة.

«(توم)». ضاعت همسة (راند) وسط ضوضاء الحشد.

حرق (توم ميريلين) إلى عيني (راند) ثم أوما برأسه إيماة طفيفة ناحية باب صغير إلى جانب المنصة، وبعدها راح ينحني مرة أخرى ويتسمم ويستمتع بالتصفيق.

شق (راند) طريقه إلى الباب ودلف من خلاله، كان مجرد ممر صغير بثلاث درجات تؤدي إلى المنصة، وفي الاتجاه الآخر من المنصة استطاع (راند) أن يرى متلاعبًا بالكرات يتدرب باستخدام كرات ملونة، وستة بهلوانات يتمرنون.

ظهر (توم) على الدرجات وهو يعرج كما لو أن ساقه اليمنى لم تعد تنثني جيدًا. نظر إلى المتلاعب بالكرات والبهلوانات، ثم نفخ شاربه في استياء قبل أن يلتفت إلى (راند) قائلاً: «كل ما يريدون سماعه هو (الصيد العظيم للبوق). كنت أظن أنه مع الأخبار من (هادون ميرك) و(سالدايا) سيطلب أحدهم سماع حكايات كاراينون. حسنًا، ربما ليس هذه، ولكنني كنت سأدفع لنفسي لأحكي شيئًا آخر». تفحص (راند) من رأسه حتى أخمص قدميه ثم قال: «تبدو وكأنك تبلي حسنًا يا فتى». ثم أمسك بياقة (راند) وهو يزم شفثيه قبل أن يقول: «حسنًا للغاية».

لم استطع (راند) منع نفسه من الضحك، ثم قال: «لقد تركت (الجسر الأبيض) وأنا متيقن من كونك ميتًا. قالت (مويرين) إنك لا تزال على قيد الحياة، ولكنني... بحق (النور) يا (توم)، تسعدني رؤيتك مرة أخرى! كان يجب أن أعود لمساعدتك».

«كنت ستكون أحمق للغاية لو فعلت هذا يا فتى. ذلك (العالم)...». تلفت حوله، لم يكن هناك أحد قريب بما يكفي لكي يسمعه، ولكنه قد خفض صوته على أي حال. «... لم يكن مهمًا بي. لقد ترك لي هدية صغيرة، عبارة عن ساق متيبسة، ثم أسرع وراءك أنت و(مات). كل ما كنت ستقدر على فعله هو أن تموت». صمت للحظة وقد بدا غارقًا في التفكير ثم قال: «قالت (مويرين) إنني لا أزال على قيد الحياة، أليس كذلك؟ هل هي معك إذن؟».

هز (راند) رأسه، ولدهشته بدا على (توم) خيبة الأمل.

«هذا سيئ للغاية، إنها امرأة رائعة، حتى لو كانت...». لم يقلها. «إذن فقد كانت تسعى وراء (مات) أو (بيرين)، لن أسأل أيهما، لقد كانا فتيتين صالحين، وأنا لا أريد أن أعرف». تلملم (راند) في توتر وجفل عندما

أمسكه (توم) بأصابعه النحيلة. «ما أريد أن أعرفه هو هل لا يزال معك قيثارتي ومزمماري؟ أريد استعادتهما يا فتى. ما لدي الآن لا يصلح إلا لأن يعزف عليه خنزير».

«إنهما معي يا (توم)، أعدك أنني سأجلبهما لك. لا أصدق أنك لا تزال على قيد الحياة، ولا أصدق أنك لست في (إليان)، سينطلق (الصيد العظيم)، وهناك جائزة لأفضل سرد لحكاية (الصيد العظيم للبوق). كنت تتحرق شوقاً للذهاب إلى هناك».

قال (توم) في سخرية: «بعد ما حدث في (الجرس الأبيض)؟ على الأرجح سأموت إن ذهبتُ إلى هناك. حتى لو استطعت أن أصل إلى القارب قبل إبحاره فإن (دومون) وطاقمه سينشرون حكاية كوني مطارداً من (الترولوكيين) في جميع أنحاء (إليان). إن رأوا (العاتم) أو سمعوا عنه قبل أن يبحر (دومون) بقاربه... معظم الإليانيين يعتقدون أن (الترولوكيين) و(العواتم) مجرد خرافات، ولكن هناك عدداً كافياً منهم قد يرغب في معرفة سبب ملاحقتهم لي، مما سيجعل وجودي في (إليان) حرجاً».

«لدي الكثير لأحكيه لك يا (توم)».

قال صانع البهجة: «لاحقاً يا فتى». كان يتبادل نظرات مع الرجل نحيل الوجه الواقف عند الباب على الجانب الآخر من القاعة. «إن لم أعد وأحك حكاية أخرى فإنه بلا شك سيرسل المتلاعب بالكرات، وهذا الحشد سيهدم القاعة على رؤوسنا. تعال إلى (حانة عناقيد العنب) بعد (بوابة چانجاي) بقليل، لدي غرفة هناك، يمكن لأي شخص أن يخبرك أين تعثر عليها، سأكون هناك في غضون ساعة. لا شك أن حكاية أخرى سترضيهم». بدأ يصعد الدرجات، وهو يرمي عباءته على كتفه قائلاً: «وأحضر لي قيثارتي ومزمماري».

الفصل السادس والعشرون

الشقاق

اندفع (راند) عبر الحجرة العامة (لحانة المدافع عن جدار التين)، وأسرع صاعدًا الدرج إلى الطابق العلوي، مبتسمًا للنظرة المندهشة التي منحها له صاحب الحانة. أراد (راند) أن يتسم لكل شيء. (توم) على قيد الحياة! فتح باب غرفته وتوجه إلى خزانة الملابس مباشرة.

أطل (لويال) و(هورين) برأسيهما من الغرفة الأخرى، كل منهما يرتدي قميصًا بلا سترة، ويضع بين أسنانه غليونًا يتصاعد منه خيط رفيع من الدخان.

سأله (هورين) في قلق: «هل حدث شيء يا لورد (راند)؟».

علق (راند) على كتفه حزمة عباءة (توم) وقال: «أفضل شيء يمكن أن يحدث إلى جانب مجيء (إنجتار)؛ (توم ميريلين) على قيد الحياة، وهو هنا في (كايرين)».

قال (لويال): «صانع البهجة الذي أخبرتني عنه؟ هذا رائع يا (راند)، سأود لقاءه».

«إذن تعالَ معي، إن كان (هورين) مستعدًا للبقاء من أجل الحراسة لبعض الوقت».

أخرج (هورين) الغليون من فمه وقال: «بكل سرور يا لورد (راند). هؤلاء الموجودون في الحجرة العامة يحاولون استدراجي - دون أن يُظهروا ما يفعلونه بالطبع - لمعرفة من أنت يا سيدي ولماذا نحن هنا في (كايرين). أخبرتهم أننا ننتظر هنا للقاء بعض الأصدقاء، ولكن بما أنهم كايرينيون فقد اعتقدوا أنني أخفي شيئًا أعمق».

«دعهم يعتقدون ما يشاءون. تعالَ يا (لويال)».

تنهد (الأوجير) وقال: «لا أعتقد هذا، أنا حقًا أفضل البقاء هنا». ثم رفع كتابًا وهو يستخدم إصبعًا غليظة كفاصل بين الصفحات وقال: «يمكنني أن ألتقي (توم ميريلين) في وقت آخر».

«لا يمكنك البقاء محبوسًا هنا للأبد يا (لويال)، نحن لا نعرف حتى إلى متى سنبقى في (كايرين). على أي حال نحن لم نلتق بأي (أوجير)، وحتى إن فعلنا فإنهم لن يطاردوك، أليس كذلك؟».

«لن يطاردوني بالضبط، ولكن... ربما كنت متسرعًا يا (راند) في الطريقة التي تركت بها (ملاذ شانجتاي)، قد أكون في ورطة كبيرة عندما أعود إلى الديار». تهدلت أذناه وقال: «حتى لو انتظرت إلى أن أصير عجوزًا مثل الكبير (هامان). ربما أستطيع أن أجد ملاذًا مهجورًا لأبقى فيه حتى ذلك الحين».

«حتى لو لم يسمح لك الكبير (هامان) بالعودة فيمكنك أن تعيش في (إيموندز فيلد)، إنه مكان جميل».

مكان رائع.

«أنا واثق من هذا يا (راند)، ولكنه لن يجدي نفعًا. كما ترى...».

«ستحدث في هذا الأمر عندما يحين وقته يا (لويال)، الآن ستأتي لرؤية (توم)».

كان طول (الأوجير) يساوي مرة ونصف طول (راند)، ولكن (راند) دفعه ليرتدي سترته الطويلة وعباءته ثم إلى الأسفل عبر السلم. عندما وصلا إلى الحجرة العامة غمز (راند) لصاحب الحانة، ثم ضحك مع نظرتة المندهشة. فليعتقد أنني ألعب (لعبته الكبرى) اللعينة. فليعتقد ما يشاء. (توم) على قيد الحياة. بمجرد العبور من (بوابة چانجاي) في سور المدينة الشرقي بدا أن الجميع يعرفون (حانة عناقيد العنب)، وسرعان ما وجد (راند) و(لويال) نفسيهما هناك، في شارع هادئ بالنسبة لكونه في (فورجيت). وكانت الشمس في منتصف الطريق عبر سماء ما بعد الظهر.

كان مبنى قديماً مكوناً من ثلاثة طوابق، خشبياً ومتداعياً، ولكن الحجرة العامة نظيفة ومليئة بالناس. بعض الرجال كان يلعبون بأحجار النرد في إحدى الزوايا، وبعض النساء يلعبن رمي النبال في زاوية أخرى. كان نصفهم بمظهر كايبريني نحيل وشاحب، ولكن (راند) قد سمع لكنت أندورية كما سمع لكنت أخرى لا يعرفها. ولكنهم جميعاً يرتدون ثياب (فورجيت)؛ مزيجاً من أنماط نصف دزينة من البلدان. التفت بعضهم عندما دخل هو و(لويال)، ولكنهم جميعاً أولوا اهتمامهم من جديد إلى ما كانوا يفعلونه.

كانت صاحبة الحانة امرأة بشعر أبيض كشعر (توم)، وبعينين حادتين تفحصتا (لويال) كما تفحصتا (راند). لم تكن كايبرينية بالحكم على بشرتها الداكنة وطريقتها في الحديث. قالت: «(توم ميريلين)؟ أجل، إن له غرفة هنا، في الطابق العلوي، أول باب على اليمين. على الأرجح ستترك (دينا) تنتظره هناك». تفحصت معطف (راند) الأحمر، مع طيور البلشون على الياقة العالية، وأزهار العليق الذهبية المطرزة على الكمين، وسيفه، ثم أضافت: «يا سيدي اللورد».

أصدرت درجات السلم صريراً تحت حذاء (راند)، ناهيك بحذاء (لويال). لم يكن (راند) متيقناً إذا ما كان المبنى سيصمد لفترة أطول. وجد الباب فطرق عليه وهو يتساءل من تكون (دينا). جاء صوت امرأة من الداخل تقول: «ادخل، لا يمكنني أن أفتح لك».

فتح (راند) الباب في تردد، وأطل برأسه إلى الداخل. كان هناك سرير كبير غير مرتب ملتصق بأحد الجدران، ويحتل بقية الغرفة خزانة ملابس، وعدد من الحقائب المدعمة بالنحاس، وصناديق، وطاولة ومقعدان خشبيان. كان هناك امرأة نحيلة تجلس معقودة الساقين على السرير، وقد دست تنورتها تحتها، وهي تبقي ست كرات ملونة تدور في الهواء في دائرة بين يديها.

قالت وهي لا تزال تنظر إلى الكرات التي تتلاعب بها: «أياً ما كان هذا الذي معك اتركه على الطاولة وسيدفع لك (توم) عندما يعود».

سألها (راند): «هل أنت (دينا)؟».

انزعجت الكرات من الهواء والتفتت لتفحصه. لم تكن أكبر منه إلا ببضع سنوات، ولها بشرة كايبرينية فاتحة، وشعر أسود ينسدل على كتفيها. «أنا لا أعرفك، هذه غرفتي أنا و(توم ميريلين)».

قال (راند): «قالت صاحبة الحانة إنك قد تسمحين لنا بانتظار (توم) هنا، هذا إن كنتِ (دينا)». «لكما؟». دخل (راند) الغرفة لكي يتمكن (لويال) من أن يحني رأسه ويدخل، فرفعت الشابة حاجبيها وقالت: «إذن فإن (الأوجير) قد عادوا. أنا (دينا)، ما الذي تريدانه؟». نظرت إلى معطف (راند) نظرة واضحة فبدأ أنها تعمدت ألا تضيف «يا سيدي اللورد»، رغم أنها قد رفعت حاجبيها مرة أخرى مع رؤية طائر البلشون على غمده ومقبض سيفه.

رفع (راند) الحزمة التي يحملها وقال: «لقد جلبت (لتوم) قيثارته ومزماره». ثم أضاف بسرعة عندما بدا أنها على وشك أن تطلب منه تركهما: «كما أنني أرغب في قضاء بعض الوقت معه، فأنا لم أره منذ وقت طويل».

نظرت إلى الحزمة وقالت: «لطالما اشتكى (توم) من فقدانه لأفضل مزار وأفضل قيثارة قد امتلكها على الإطلاق، تكاد أن تظن أنه شاعر في البلاط الملكي من الطريقة التي يتحدث بها. لا بأس، يمكنكما انتظاره، ولكن يجب عليّ أن أتدرب. يقول (توم) إنه سيسمح لي بالاستعراض في القاعات الأسبوع المقبل». اعتدلت واقفة برشاقة وجلست على أحد الكرسيين وهي تشير إلى (لويال) أن يجلس على السرير. «إن (زيرا) ستجعل (توم) يدفع ثمن ستة كراسي إن كسرت أحد هذين الكرسيين يا صديقي (الأوجير)». أخبرها (راند) باسميهما وهو يجلس على الكرسي الآخر، الذي أصدر صريراً مقلقاً تحت ثقله، ثم سألها في ريبة: «هل أنت متدربة لدى (توم)؟».

ابتسمت (دينا) ابتسامة طفيفة وقالت: «يمكنك أن تقول هذا». عادت إلى التلاعب بالكرات، وقد انصب اهتمامها على الكرات وهي تدور في الهواء. قال (لويال): «لم أسمع من قبل عن صانع بهجة امرأة».

«سأكون الأولى». تحولت الدائرة الكبيرة إلى دائرتين صغيرتين متداخلتين. «سأرى العالم كله قبل أن أنني مسيرتي. قال (توم) ذات مرة إنه بمجرد أن يصير لدينا ما يكفي من المال سنذهب إلى (تير)». صارت تتلاعب بثلاث كرات في كل يد. «وربما نذهب بعد ذلك إلى جزر (قوم البحر). إن (الآثان مير) يجزلون العطاء لصانعي البهجة».

تفحص (راند) الغرفة وكل ما تحويه من صناديق وحقائب، لم تبدُ كغرفة شخص ينوي الرحيل قريباً، بل كان هناك زهرة تنمو في إناء على حافة النافذة. وقع بصره على السرير الكبير الوحيد الموجود بالغرفة، الذي يجلس عليه (لويال). هذه غرفتي أنا و(توم ميريلين). نظرت إليه (دينا) بتحدٍ من بين الدائرة الكبيرة التي قد عادت لصنعها. احمر وجه (راند).

تنحنع وقال: «ربما ينبغي أن ننتظر بالأسفل». عندها انفتح الباب ودخل (توم) وعباءته ترفرف حول كاحليه، وتحقق الرقع. كان يحمل على ظهره حقيبتَي مزار وقيثارة، وكانت الحقيبتان من خشب مصقول مائل إلى الحمرة.

جعلت (دينا) الكرات تختفي داخل فستانها، ثم ركضت لتضع ذراعيها حول عنق (توم)، وقد وقفت على أطراف أصابعها لكي تفعل هذا. قالت: «لقد اشتقت إليك». ثم قبّلتها.

استمرت القبلة لوقت طويل حتى إن (راند) بدأ يتساءل إن كان عليه أن يغادر هو و(لويال)، ولكن (دينا) تركت كاحليها يلمسان الأرض وهي تتنهد.

قال (توم) وهو ينظر إليها: «هل تعرفين ما الذي فعله (سيجان) الأحمق الآن يا فتاة؟ لقد أخذ مجموعة من الأغبياء الذين يطلقون على أنفسهم لقب لاعبين، وتجولوا في الأنحاء متظاهرين بأنهم (روجوش عين العقاب) و(بلايس) و(جايدال كاين) و... آه! لقد وضعوا لوحة قماشية وراءهم، ومن المفترض أن تجعل الجمهور يعتقد أن هؤلاء الحمقى في (قاعة ماتوشين)، أو الممرات العليا (لجبال دهوم). أنا أجعل المستمعين يرون كل راية وكل معركة صغيرة ويشعرون بكل عاطفة، أجعلهم يعتقدون أنهم (جايدال كاين). سيتسبب (سيجان) في تهدم قاعته من حوله إن جعل مجموعته من الحمقى يستعرضون من بعدي».

«لدينا زائران يا (توم). (لويال ابن آرنت ابن هالان)، وفتى يطلق على نفسه اسم (راند ألتور)». نظر (توم) من فوق رأسها ناحية (راند)، ثم عقد حاجبيه وقال: «اتركينا وحدنا لبعض الوقت يا (دينا). خذي هذه». وضع بعض العملات الفضية في يدها وقال: «إن سكاكينك جاهزة، لم لا تذهبين وتمنحين (آيثون) ثمنها؟». مسد وجنتها الناعمة بمفاصل أصابعه الخشنة وقال: «فلتذهبي، سأعوضك عن هذا». منحته نظرة متجهمة ولكنها وضعت عباءتها على كتفها وهي تغغم: «من مصلحة (آيثون) أن يكون قد حافظ على التوازن الصحيح».

بعد أن رحلت قال (توم) بنبرة فخر: «ستكون شاعرة ذات يوم، إنها تصغي إلى الحكاية مرة - مرة واحدة! - وترددها بشكل صحيح. ليس فقط الكلمات، بل كل تعبير مجازي وكل قافية. إنها بارعة في استخدام القيثارة، وقد عزفت على المزمار عندما أمسكت به لأول مرة أفضل مما عزفت عليه أنت على الإطلاق». وضع حقيبتَي الأداتين الموسيقيتين على أحد الصناديق الكبيرة ثم جلس على الكرسي الذي تركته. «عندما مررت عبر (كايملين) في طريقي إلى هنا أخبرني (باسيل جيل) أنك غادرت بصحبة (أوجير) وأشخاص آخرين». أحنى رأسه ناحية (لويال)، بل وتمكن من جعل عباءته ترفرف رغم أنه جالس عليها. «تسعدني مقابلتك يا (لويال ابن آرنت ابن هالان)».

«وتسعدني مقابلتك يا (توم ميريلين)». اعتدل (لويال) واقفًا لكي ينحني بدوره، وعندما انتصب كاد رأسه أن يلمس السقف فجلس مرة أخرى على الفور. «قالت الشابة إنها تريد أن تصبح صانع بهجة».

هز (توم) رأسه في استياء وقال: «هذه ليست حياة مناسبة لامرأة، بل يمكن القول إنها ليست مناسبة لرجل، التجول من بلدة إلى بلدة، ومن قرية إلى قرية، وأنت تتساءل كيف سيحاولون خداعك هذه المرة، وتتساءل معظم الوقت كيف ستحصل على وجبتك التالية. لا، سأتحادث معها حيال هذا الأمر، ستصير

شاعرة بلاط لملك أو ملكة قبل أن تنتهي مسيرتها. آه، أنت لم تأتِ إلى هنا للحديث عن (دينا). آلتاي الموسيقيتان يا فتى، هل جلبتهما؟».

دفع (راند) الحزمة عبر الطاولة، فتحها (توم) في عجالة، ثم رمش عندما رأى أنها عباءته القديمة، مغطاة برقع ملونة كالعباءة التي يرتديها. ثم فتح حقيبة المزمار الجلدية الصلبة، وأوماً برأسه مع رؤية المزمار المطعم بالذهب والفضة الموضوع بالداخل.

قال (راند): «كنت أكسب سريري وطعامي باستخدام هذا بعد أن افترقنا».

أجابه صانع البهجة بجمود: «أعرف، لقد توقفت في بعض من هذه الحانات، ولكن كان عليّ أن أكتفي بالتلاعب بالكرات وبعض الحكايات البسيطة بما أنك تمتلك... ألم تلمس القيثارة؟». فتح الحقيبة الجلدية الداكنة الأخرى وأخرج قيثارة مطعمة بالذهب والفضة مثل المزمار، وضمها بين يديه كطفل رضيع، ثم قال: «إن أصابع راعي الغنم الخرقاء لديك لم تُخلق لاستخدام القيثارة».

طمأنه (راند) قائلاً: «أنا لم ألمسها».

داعب (توم) وترين ثم قال متجهماً: «على الأقل لم تكن أحق بما يكفي لتحاول ضبط أوتارها. كان من الممكن أن تفسدها».

مال (راند) على الطاولة ناحيته وقال: «لقد أردت الذهاب إلى (إليان) يا (توم)، لرؤية خروج (الصيد العظيم)، وأن تكون واحداً من أول من ينسجون حكايات جيدة عنه، ولكنك لم تستطع. ماذا لو أخبرتك أنه لا يزال بإمكانك أن تكون جزءاً من الأمر، جزءاً كبيراً؟».

تململ (لويال) في توتر وقال: «(راند)، هل أنت واثق...؟». أشار إليه (راند) بيده أن يصمت، وعينه مصوبتان نحو (توم).

نظر (توم) إلى (الأوجير) عاقداً حاجبيه ثم قال: «هذا يعتمد على طبيعة الجزء وكيفيته، إن كان لديك سبب للاعتقاد بأن أحد (الصيادين) سيأتي من هذا الطريق... أفترض أنه ربما قد غادر بعضهم (إليان) بالفعل، ولكنه سيستغرق أسابيع للوصول إلى هنا، حتى لو جاء مباشرة. ولم قد يأتي؟ هل هو واحد من هؤلاء الذين لم يذهبوا إلى (إليان)؟ لن تُنسج حوله الحكايات دون مباركة مهما فعل».

«لا يهم إن كان (الصيد) قد خرج من (إليان) أم لا». سمع (راند) (لويال) وهو يحبس أنفاسه. «إن (بوق قالير) معنا يا (توم)».

للحظة خيم صمت مطبق. ثم كسره (توم) بضحكة مجلجلة. «أنتما الاثنان معكما (البوق)؟ راعي غنم و(أوجير) بلا حية معهما (بوق...)». ثم انثنى على نفسه وضرب ركبته. «(بوق قالير)؟».

قال (لويال) بجدية: «ولكنه معنا».

أخذ (توم) نفساً عميقاً وجسده لا يزال يرتجف من أثر الضحك، ثم قال: «لا أعرف ما الذي عثرتما عليه، ولكن يمكنني أن آخذكما إلى عشر حانات حيث سيخبركما شخص ما أنه يعرف رجل يعرف الرجل الذي

عثر على (البوق) بالفعل، وسيخبركما كيف عُثر عليه أيضًا، ما دتما ستشتريان له الجعة. يمكنني أن آخذكما إلى ثلاثة رجال سيبيعون لكم (البوق) وسيقسمون بأرواحهم تحت (النور) أنه الحقيقي والأصلي. بل إن هناك لوردًا في المدينة يزعم أن معه (البوق)، محميًا داخل قصره، يقول إنه كنز توارثته عائلته منذ (تخطم العالم). لا أعرف إن كان (الصيادون) سيجدون (البوق)، ولكنهم سيطاردون عشرة آلاف كذبة على طول الطريق».

قال (راند): «قالت (مويرين) إنه (البوق)».

تلاشى مرح (توم) وهو يقول: «هل قالت هذا حقًا؟ ظننت أنك قلت إنها ليست معك».

«إنها ليست معي يا (توم)، لم أرها منذ أن تركت (فال دارا) في (شايانار). وقبل ذلك بشهر لم تتحدث معي أكثر من كلمتين في المرة». لم يستطع أن يُبعد المرارة عن صوته. وعندما تحدثت تمنيت لو أنها استمرت في تجاهلي، لن أرقص على لحنها مرة أخرى، فليحرقها (النور) هي وكل (آيز سيداي) أخرى. لا، ليس (إيجوين)، ليس (ناينيغ). أدرك أن (توم) يحدق إليه بتمعن فقال: «إنها ليست هنا يا (توم)، لا أعرف أين هي ولا أبالي بهذا».

«حسنًا، على الأقل لديك ما يكفي من العقل لإبقاء الأمر سرًا، لو لم تفعل لكان الأمر قد انتشر في جميع أنحاء (فورجيت) بحلول هذا الوقت، وسيكون نصف سكان (كايرين) متربصين لأخذه منك، بل نصف سكان العالم».

«أوه، لقد أبقينا الأمر سرًا يا (توم)، ويجب أن أعيده إلى (فال دارا) دون أن يأخذه أصدقاء الظلام أو أي شخص آخر. هذه حكاية كافية بالنسبة لك، أليس كذلك؟ يمكنني الاستعانة بصديق يعرف العالم. لقد ذهبت إلى كل مكان، وتعرف أشياء لا يمكنني حتى أن أتصورها. (لويال) و(هورين) يعرفان أكثر مني، ولكن نحن الثلاثة نتخبط في مياه عميقة».

«(هورين)...؟ لا، لا تخبرني كيف، لا أريد أن أعرف». دفع صانع البهجة كرسيه إلى الورااء وذهب ليحرق عبر النافذة. «(بوق فالير)، هذا يعني أن (المعركة الأخيرة) آتية، من سيلاحظ؟ هل رأيت الناس يضحكون في الشوارع بالخارج؟ لن يضحكوا إن توقفت بوارع الغلال لأسبوع. سيعتقد (جالدرين) أنهم جميعًا قد أصبحوا آيليين. يلعب النبلاء (لعبة العائلات)، ويتآمرون للاقتراب من الملك، يتآمرون للحصول على قوة أكبر من الملك، يتآمرون لإسقاط (جالدرين)، وأن يكون أحدهم هو الملك الثاني أو الملكة. سيعتقدون أن (تارمون جايدون) مجرد مناورة في (اللعبة)». التفت بعيدًا عن النافذة وقال: «لا أفترض أنك تتحدث عن الذهاب ببساطة إلى (شايانار) وإعطاء (البوق) ل... من؟ الملك؟ لماذا (شايانار)؟ كل الأساطير تربط (البوق) (بإليان)».

نظر (راند) إلى (لويال)، كانت أذنا (الأوجير) متهدلتين. قال: «(شايانار) لأنني أعرف من سأعطيه (البوق) هناك، كما أن هناك (ترولوكين) وأصدقاء ظلام يتعقبوننا».

«لم لا يفاجئني هذا؟ لا، قد أكون عجوزًا أحمق، ولكنني سأكون عجوزًا أحمق بطريقتي، فلتحظ أنت بالمجد يا فتى».

«(توم)...».

«لا!».

خيم صمت لا يقطعه إلا صرير السرير بينما (لويال) يتململ، وأخيرًا قال (راند): «(لويال)، هل تمنع أن تتركنا أن و(توم) بمفردنا لبعض الوقت؟ من فضلك؟».

بدا (لويال) مندهشًا، وقد انتصبت خصلات الشعر على أذنيه، ولكنه أومأ برأسه واعتدل واقفًا. «إن لعبة النرد تلك في الحجرة العامة كانت تبدو مثيرة للاهتمام، ربما يسمحون لي باللعب». نظر (توم) إلى (راند) في ريبة بينما الباب ينغلق وراء (الأوجير).

تردد (راند)، كان هناك أشياء يحتاج إلى معرفتها، أشياء كان متيقنًا من أن (توم) يعرفها. لقد بدا أن صانع البهجة يعرف الكثير عن عدد مدهش من الأشياء، ولكنه لم يكن متيقنًا كيف يسأله. قال أخيرًا: «هل هناك كتب تحتوي على حكايات كارايتون يا (توم)؟». كان هذا أسهل من تسميتها (نبوءات التنين).

قال (توم) ببطء: «في المكتبات الكبرى، أي عدد من الترجمات، بل وحتى باللغة القديمة، هنا وهناك». كان (راند) على وشك أن يسأله إذا ما كان هناك طريقة للعثور على واحدة، ولكن صانع البهجة أكمل حديثه قائلاً: «إن اللغة القديمة لها موسيقى، ولكن الكثير من الناس حتى النبلاء منهم ينفذ صبرهم من الإصغاء إليها هذه الأيام. يكون من المتوقع أن يعرف جميع النبلاء اللغة القديمة، ولكن معظمهم لا يتعلم منها إلا ما يكفي لإثارة إعجاب الناس الذين لا يعرفونها. الترجمات لا يكون لها نفس الوقع ما لم تكن بالترنيم العالي، وأحيانًا يؤدي هذا إلى تغيير المعاني أكثر من معظم الترجمات. هناك أبيات في (الحكايات) - لا تكون موزونة عند ترجمتها كلمة بكلمة، ولكنها لم تفقد شيئًا من معناها - تجري على هذا النحو.

مرتين ومرتين سيحمل الوسم،

مرتين للحياة ومرتين للموت.

مرة البلشون ليحدد مساره.

مرتين البلشون ليسميه باسمه.

مرة (التنين) لتذكر ما ضاع.

مرتين (التنين) للثمن الذي يجب أن يدفعه».

مد يده ليلمس طائري البلشون المطرزين على ياقة (راند) العالية.

للحظة لم يستطع (راند) أن يفعل شيئًا سوى أن يحدق إليه فاغراً فمه، وعندما تمكن من الحديث كان صوته مرتجفًا: «السيف يجعلهم خمسة، المقبض والعمد والنصل». قلب يده على الطاولة ليخفي الوسم على راحته. لأول مرة منذ أن عاجله مرهم (سيلين) استطاع أن يشعر به. لم يكن يؤلمه، ولكنه يعرف أنه هناك.

قال (توم) ضاحكًا: «إنهم هكذا بالفعل. هناك أبيات أخرى تتبادر إلى ذهني.

مرتين يبرز فجر النهار عندما يُسفك دمه.

مرة من أجل الرثاء ومرة من أجل الميلاد.

أحمر على أسود دم (التنين) يلطخ صخر (شايبول غول).

في (هاوية الهلاك) سيحرر دمه البشر من (الظل)».

هز (راند) رأسه في إنكار، ولكن لم يبدُ أن (توم) قد لاحظ هذا وهو يقول: «لا أعرف كيف يمكن أن يبرز فجر النهار مرتين، ولكن هناك كثيرًا من الأشياء عديمة المعنى، إن (حجر تير) لن يسقط حتى يحمل (التنين العائد) سيف (كالاندور)، ولكن (السيف الذي لا يمكن لمسه) يكمن في (قلب الحجر)، لذا كيف يمكن أن يحمله أولًا؟ حسنًا، أيًا ما كان الأمر، أعتقد أن (الآيز سيدي) سيرغب في جعل الأحداث تتناسب مع (النبوءات) قدر المستطاع. إن الموت في مكان ما من (الأراضي الخربة) سيكون ثمنًا باهظًا نظير مجاراتهن في هذا الأمر».

بذل (راند) مجهودًا كبيرًا لجعل صوته هادئًا، ولكنه نجح في هذا: «لا يوجد (آيز سيدي) يستغللني في أي شيء. أخبرتك أن آخر مرة رأيت فيها (مويرين) كانت في (شاينار)، قالت إن بإمكانني أن أذهب إلى حيث أريد، ومن ثم غادرتُ».

«ولا يوجد أي (آيز سيدي) معك الآن؟ ولا واحدة؟».

«لا».

راح (توم) يمسد شاربهِ الأبيض بمفاصل أصابعه، وقد بدا راضيًا وفي الوقت نفسه متحيرًا. «إذن لماذا تسأل عن (النبوءات)؟ ولماذا أرسلت (الأوجير) خارج الغرفة؟».

«أنا... لا أريد أن أزعجه. إنه متوتر بما يكفي حيال (البوق). هذا ما أردت أن أسألك عنه. هل هناك أي ذكر (للبوق) في... (النبوءات)؟». لا يزال غير قادر على إجبار نفسه على النطق بها كاملة. «مع كل هؤلاء (التنانين الكاذبين)، ومع العثور على (البوق) الآن، يعتقد الجميع أن (بوق فالير) من المفترض أن يستدعي الأبطال الموتى لقتال (سيد الظلام) في (المعركة الأخيرة)، وال... (التنين العائد)... من المفترض أن يقاتل (سيد الظلام) في (المعركة الأخيرة). لقد بدا من البديهي السؤال عن هذا».

«أفترض هذا، لا يعرف الكثيرون أن (التنين العائد) سيقا تل في (المعركة الأخيرة)، وإن اعتقدوا هذا فسيظنون أنه سيقا تل إلى جانب (سيد الظلام)، لا يقرأ الكثيرون (النبوءات) لمعرفة الأمر. ما هذا الذي قلته عن (البوق)؟ من المفترض؟».

«لقد عرفت بعض الأشياء منذ افتراقنا يا (توم). سيأتون لتلبية نداء من سينفخ في (البوق)، حتى لو كان صديقًا للظلام».

رفع (توم) حاجبيه الكثين وقال: «هذا شيء لم أكن أعرفه. لقد تعلمت بضعة أشياء».

«هذا لا يعني أنني سأسمح (للبرج الأبيض) أن يستخدمني باعتباري (تينا كاذبًا)، لا أريد أن يكون لي أي علاقة (بالآيز سيدي) أو (التنانين الكاذبين) أو (القوة الواحدة) أو...». عض (راند) على لسانه. تغضب فتبدأ في الشرقة. أيها الأحمق!

«لبعض الوقت يا فتى ظننت أنك الشخص الذي تريده (مويرين)، بل اعتقدت أنني أعرف السبب. كما تعرف لا يوجد رجل يختار أن يسخر (القوة الواحدة)، هذا شيء يحدث له كالمريض، لا يمكنك أن تلوم رجلًا على مرضه، حتى لو كان هذا سيقنتك أيضًا».

«كان ابن أخيك قادرًا على التسخير، أليس كذلك؟ أخبرتني أن هذا هو سبب مساعدتك لنا، لأن ابن أخيك واجه مشكلة مع (البرج الأبيض)، ولم يكن هناك من يساعده. هناك نوع واحد من المشكلات التي يمكن أن يتورط فيها رجل مع (الآيز سيدي)».

تفحص (توم) سطح الطاولة وهو يزم شففيه ثم قال: «لا أعتقد أن هناك فائدة من الإنكار، كما تفهم هذا ليس شيئًا يمكن للرجل أن يتحدث بشأنه، أن يكون أحد أقربائك الذكور قادرًا على التسخير. آه! (الآجاء الحمراء) لم يمنحن (أوين) فرصة قط، لقد رققته ثم مات. لقد تخلى عن الرغبة في الحياة...». زفر بحزن. ارتجف (راند). لم لم تفعل (مويرين) هذا بي؟ «فرصة يا (توم)؟ هل تقصد أن هناك طريقة ما للتعامل مع الأمر؟ من دون الإصابة بالجنون؟ من دون موت؟».

«لقد استطاع (أوين) مقاومة الأمر لثلاث سنوات تقريبًا، لم يؤذ أحدًا، ولم يستخدم (القوة الواحدة) ما لم يكن مضطرًا لهذا، ولم يفعل هذا إلا لمساعدة قريته. إنه...». لَوَّح (توم) بيديه وقال: «أفترض أنه لم يكن هناك خيار، أخبرني الناس الذين عاشوا بالقرب منه أنه كان يتصرف بغرابة طيلة ذلك العام الأخير، إنهم لم يرغبوا في الحديث عن الأمر، وكادوا أن يرهقوني عندما اكتشفوا أنني عمه. أفترض أنه قد أصيب بالجنون. ولكنه كان قريبي يا فتى. لا يمكنني أن أحب (الآيز سيدي) بسبب ما فعله معه، حتى إن كن مضطرات لهذا. إن سمحت لك (مويرين) بالرحيل فهذا يعني أنك خارج الأمر تمامًا».

للحظة ظل (راند) صامتًا. أيها الأحمق! بالطبع لا يوجد أي طريقة للتعامل مع الأمر، ستصاب بالجنون وتموت مهما فعلت، ولكن (بعلزمون) قال... «لا!». احمر وجهه مع نظرة (توم) المتفحصة. «أعني... أنا خارج الأمر يا (توم)، ولكن لا يزال لدي (بوق فالير). فكر في الأمر يا (توم)، (بوق فالير)، صانعو البهجة الآخرون قد يروون حكايات عنه، ولكن أنت يمكنك القول إنه كان بين يديك». أدرك أنه يتحدث مثل (سيلين)، ولكن كل ما فعله هذا هو أن جعله يتساءل أين هي. «لا يوجد شخص عداك أفضل لو كان معنا يا (توم)».

عقد (توم) حاجبيه كما لو أنه يفكر في الأمر، ولكنه في النهاية هز رأسه وقال: «أنا أحبك يا فتى، ولكنك تعرف جيدًا أنني لم أساعدك من قبل إلا بسبب تدخل واحدة من (الآيز سيدي) في الأمر. لا يحاول (سيجان) أن يغشني أكثر مما أتوقع، هذا بالإضافة إلى (هبة الملك)، لا يمكنني أن أربح أكثر من هذا في القرى. ولدهشتي الكبيرة يبدو أن (دينا) تحبني، وبدهشة مماثلة أجد نفسي أبادلها الحب. لم يجب علي الآن أن

أترك هذا وأذهب ليلاحقني (الترولوكيون) وأصدقاء الظلام؟ من أجل (بوق فالير)؟ سأعترف أن الأمر مغرٍ، ولكن لا، لن أتورط في هذا مرة أخرى».

مال للأمام ليلتقط حقيبة طويلة ورفيعة من حقيبتَي الآلتين الموسيقيتين، وعندما فتحها كان هناك زممار بالداخل، مصنوع بشكل بسيط ولكنه مطعم بالفضة. أغلق الحقيبة مرة أخرى ثم دفعها عبر الطاولة. «قد تحتاج لأن تكسب عشاءك مرة أخرى يومًا ما يا فتى».

قال (راند): «ربما أحتاج إلى هذا. على الأقل يمكننا أن نتحدث، سأكون في...».

هز صانع البهجة رأسه وقال: «من الأفضل أن نفرق يا فتى. إن ظللت تأتي إلى هنا حتى لو لم تذكر الأمر فلن أستطيع إبعاد (البوق) عن عقلي، وأنا لن أتورط في الأمر، لن يحدث هذا».

بعد رحيل (راند) ألقى (توم) عباءته على السرير واتكأ بمرفقيه إلى الطاولة. (بوق فالير)، كيف استطاع هذا الفتى القروي أن يعثر على... نحى هذه الفكرة جانبًا على الفور، إن فكر بشأن (البوق) طويلًا سيجد نفسه يركض إلى (راند) ليحمله إلى (شاينار). إن حمل (بوق فالير) إلى (البلاد الحدودية) بينما (الترولوكيون) وأصدقاء الظلام يلاحقونهم سيصنع حكاية جيدة. تجهم وهو يذكر نفسه (بدينا)، حتى لو لم تكن تحبه فإن موهبة كموهبتها لا يمكن العثور عليها كل يوم. ولكنها تحبه، حتى لو لم يستطع أن يتخيل السبب. تتمم قائلًا: «أيها الأحق عجوز».

قالت (زيرا) من عند الباب: «أجل، أحق عجوز». جفل، فقد كان مستغرقًا في أفكاره حتى إنه لم يسمع صوت فتح الباب. إنه يعرف (زيرا) منذ سنوات، فقد كان يلتقي بها من آن لآخر أثناء تجواله، ودومًا ما تستغل صداقتهما لتقول رأيها بصراحة. «أحق عجوز يلعب (لعبة العائلات) مرة أخرى. ما لم تُخطئ أذناي فإن هذا اللورد الشاب يتحدث بلكنة (أندور)، إنه ليس كايرينيًا، هذا أمر مؤكد. إن (الدائس دايمار) خطيرة بما يكفي دون السماح للورد أجني أن يورطك في مخططاته».

رمش (توم) بعينه، ثم فكر في هيئة (راند)، من المؤكد أن ذلك المعطف باهظ بما يكفي لأن يرتديه لورد، إنه يتقدم في السن ويترك مثل هذه الأشياء تفلت منه. أدرك في أسى أنه يفكر إن كان عليه أن يُخبر (زيرا) بالحقيقة أم يتركها تعتقد ما تعتقده. كل ما يتطلبه الأمر هو التفكير في (اللعبة الكبرى) وبعدها سابدأ في لعبها. «الفتى راعي غنم من (النهرين) يا (زيرا)».

ضحكت في سخرية وقالت: «وأنا ملكة (غيلدان). أقول لك إن (اللعبة) أصبحت خطيرة في (كايرين) في الأعوام القليلة الماضية، لا شيء مثلما تعرفه في (كايملين)، هناك جرائم قتل تحدث الآن. ستسبب في قطع عنقك إن لم تنتبه».

«قلت لك إنني لم أعد في (اللعبة الكبرى)، كان هذا قبل عشرين عامًا مضت».

«أجل». لم يبدُ أنها تصدقه. «ولكن مهما كان الأمر وبغض النظر عن اللوردات الأجانب فأنت بدأت تستعرض في قصور اللوردات».

«إنهم يدفعون جيداً».

«وسيورطونك في مخططاتهم بمجرد أن يجدوا طريقة لهذا. إنهم يرون رجالاً يفكرون كيف يستغلونه. إنهم يفعلون هذا بشكل غريزي كالتنفس. هذا اللورد الشاب لن يساعدك، سيأكلونك حياً».

تخلى عن محاولة إقناعها بأنه خارج الأمر وقال: «هل هذا ما جئت لقوله يا (زيرا)؟».

«أجل، فلتنس بشأن (العبة الكبرى) يا (توم). تزوج (دينا)، إنها حمقاء بما يكفي لأن تقبل الزواج منك رغم شعرك الأبيض وجسدك النحيف، تزوجها وانس ذلك اللورد الشاب و(الدائس دايمار)».

قال بفتور: «أشكرك على نصيحتك». «أتزوجها؟ أثقلها بعبء زوج عجوز؟ إنها لن تصير شاعرة بينما أعباء حياتي الماضية معلقة حول رقبتها». «إن كنت لا تمانعين يا (زيرا) فأنا أريد أن أكون بمفردي لبعض الوقت، سأقدم عرضاً الليلة من أجل السيدة (آريلين) وضيوفها، وأحتاج لأن أستعد».

نظرت إليه في استياء، ثم هزت رأسها قبل أن تصفق الباب وراءها.

نقر (توم) بأصابعه على الطاولة. سواء كان (راند) يرتدي معطفاً أم لا فإنه لا يزال مجرد راعي غنم. لو كان أكثر من هذا، لو كان كما ارتاب (توم) ذات يوم - أنه رجل يمكنه التسخير - فما كانت (مويرين) أو (الآيز سيدي) الأخريات ليسمحن له بالرحيل دون ترفيقه. سواء معه (البوق) أم لا فإن الفتى لا يزال راعي غنم.

قال بصوت عالٍ: «إنه خارج الأمر، وأنا كذلك».

الفصل السابع والعشرون

الظل في الليل

قال (لويال): «أنا لا أفهم الأمر، كنت أربح معظم الوقت، ثم جاءت (دينا) وانضمت إلى اللعبة، وربحت كل شيء، كل رمية. لقد قالت إن هذا درس صغير، ما الذي قصده بهذا؟».

كان (راند) و(الأوجير) يشقان طريقهما عبر (فورجيت)، تاركين وراءهما (حانة عناقيد العنب). كانت الشمس خفيفة في الغرب، كرة حمراء نصفها تحت خط الأفق، تلقي بظلال طويلة من ورائها. كان الشارع خاوياً إلا من إحدى الدمى الكبيرة؛ (ترولوك) بقرني ماعز وسيف في حزامه يقترب منهما، بينما خمسة رجال يحركون العصي، ولكن أصوات المرح كانت تأتي من أجزاء أخرى من (فورجيت)، حيث توجد قاعات الترفيه والحانات. هنا كانت الأبواب موصدة بالمزاييح والنوافذ مغلقة.

توقف (راند) عن تحسس حقيبة المزمارة الخشبية وعلقها على ظهره. افترض أنني لم أتوقع منه أن يتخلى عن كل شيء ويأتي معنا، ولكن على الأقل كان يمكنه أن يتحدث معي. بحق (النور)، أتمنى أن يأتي (إنجتار). وضع يديه في جيبه فلمس رسالة (سيلين).

«أنت لا تفترض أنها...». صمت (لويال) بتوتر ثم أكمل: «أنت لا تفترض أنها قد غشت، أليس كذلك؟ كان الجميع يبتسمون كما لو أنها تفعل شيئاً بارعاً».

هز (راند) كتفيه. يجب عليّ أن آخذ البوق وأرحل. إن انتظرت مجيء (إنجتار) فيمكن أن يحدث أي شيء. سيأتي (فاين) عاجلاً أو آجلاً. يجب أن أبقى متقدماً عنه. كان الرجال الذين يحركون الدمية قد اقتربوا منها.

فجأة قال (لويال): «(راند)، لا أعتقد أن هذا...».

على حين غرة ترك الرجال عصيهم تسقط في الشارع الممهّد بالتراب، وبدلاً من أن يسقط (ترولوك) قفز ناحية (راند) وهو يمد يديه.

لم يكن هناك وقت للتفكير، بشكل غريزي استل سيفه من غمده ولوح به في قوس وامض. (القمر يشرق فوق البحيرات). تعثر (ترولوك) للوراء وهو يصرخ صرخة مختنقة، مزجراً حتى وهو يسقط.

للحظة تجمد الجميع، ثم نقل الرجال -أصدقاء ظلام بلا شك- بصرهم من (ترولوك) المستلقي أرضاً إلى (راند) والسيف في يديه و(لويال) إلى جانبه. داروا على أعقابهم وركضوا.

كان (راند) يحدق إلى (ترولوك) أيضاً، لقد أحاط به الخواء قبل أن تلمس يدها المقبض، وتوهج (السايدين) في عقله، مثيراً للغثيان وهو يدعو للاقتراب. بمجهود كبير جعل الخواء يتلاشى ثم لعق شفثيه. من دون الفراغ زحف الخوف على جلده.

«يجب أن نعود إلى الحانة يا (لويال)، إن (هورين) وحده، وهم...». تأوه بينما ذراع غليظة ترفعه في الهواء، وتثبت كلتا يديه إلى صدره. أمسكت يد مشعرة بحلقه. رأى خطأً ذا ناين فوق رأسه مباشرة. ملأت رائحة

كريمة أنفه، مزيج من رائحة عرق مقززة ورائحة حظيرة.

ابتعدت اليد عن حلقه بنفس السرعة التي أمسكت بها. حلق (راند) في دهشة إلى أصابع (الأوجير) الغليظة التي تمسك بمعصم (الترولوك).

«اصمد يا (راند)». كان صوت (لويال) متوترًا. جاءت يد (الأوجير) الأخرى وأمسكت بالذراع التي ترفع (راند) عن الأرض. «اصمد».

كان جسد (راند) يرتجف بينما (الأوجير) و(الترولوك) يتصارعان. فجأة سقط على قدميه حراً، تعثر وهو يقطع خطوتين لابتعد عنهما، ثم التفت من جديد وهو يشهر سيفه. كان (لويال) يقف وراء (الترولوك) ذي خطم الخنزير وهو يمسك بمعصمه وساعده ويباعد ما بين ذراعيه بينما يتنفس بقوة مع الجهد المبذول. زجر (الترولوك) بصوت حلقي باللغة (الترولوكية) الفظة، وهو يلقي برأسه إلى الوراء في محاولة لأن يصيب (لويال) بأحد نابيه. كان حذاءهما يحتكان بأرضية الشارع الترابية.

حاول (راند) أن يجد موضعاً لأن يغرس نصله في (الترولوك) دون أن يؤذي (لويال)، ولكن (الأوجير) و(الترولوك) كانا يدوران في رقصتهما العنيفة حتى إنه لم يجد ثغرة ينفذ منها.

زجر (الترولوك) وهو يحرر ذراعه اليسرى، ولكن قبل أن يتمكن من تحرير نفسه تمامًا أحاط (لويال) عنقه بذراعه، وهو يضم المخلوق إليه. حاول (الترولوك) أن يصل إلى سيفه، كان النصل الذي يشبه المنجل معلقاً على الجانب الخاطئ فلا يمكن ليد اليسرى أن تستخدمه. ولكن بوصة تلو الأخرى بدأ الفولاذ الداكن ينزلق من الغمد. كان لا يزالان يتصارعان، فلم يكن (راند) قادراً على الهجوم دون أن يغامر بإصابة (لويال).

(القوة الواحدة). هذا سيفي بالعرض. لا يعرف كيف، ولكنه لا يعرف شيئاً آخر يمكن أن يجربه. كان (الترولوك) قد استل نصف سيفه، عندما يتحرر النصل المقوس فإنه سيقتل (لويال).

على مضض شكّل (راند) الخواء، سطع (السايدين) وهو يناديه، ويجذبه إليه. بدا أنه يتذكر بشكل خافت وقتاً كان (السايدين) يغني له، ولكنه الآن فقط يجذبه إليه، كما يجذب عطر الزهرة النحلة، وكما تجذب رائحة القمامة الكريهة الذباب. استعد لاستقباله وهو يمد يده إليه. لم يكن هناك شيء، كما لو أنه يحاول أن يلمس ضوءاً بالفعل. تسلل الدنس إليه، ليلوئه، ولكن لم يكن هناك أي تدفق للضوء بداخله، مدفوعاً بيأس بعيد حاول مراراً وتكراراً، ومرة أخرى لم يكن هناك سوى الدنس.

بحركة مفاجئة ألقي (لويال) (الترولوك) جانباً، بقوة شديدة حتى إن الشيء تدرج ليصطدم بجانب المبنى. لقد ارتطم رأسه أولاً، فتعالى صوت تكسر عظام مرتفع، ثم انزلق على الحائط ليستقر أرضاً، وعنقه ملتو بزواية مستحيلة. ظل (لويال) يحلق إليه وصدره يعلو ويهبط.

نظر (راند) خارج الفراغ للحظة قبل أن يدرك ما حدث. وبمجرد أن أدرك هذا ترك الخواء والضوء المدنس يتلاشيان وأسرع إلى جانب (لويال).

أخذ (لويال) نفسًا مرتجفًا ثم قال: «أنا... لم أقتل من قبل يا (راند)».

قال له (راند): «كان سيقتلك لو لم تقتله». في توتر نظر إلى الأزقة والنوافذ المغلقة والأبواب الموصدة بالمزليج. حيث يوجد (ترولوكيان) سيوجد المزيد. «يؤسفني أنك اضطررت لفعل هذا يا (لويال)، ولكنه كان سيقتل كلينا، أو ما هو أسوأ».

«أعرف، ولكن لا يمكنني حمل نفسي على تقبل الأمر، حتى لو كان (ترولوكا)». أشار (الأوجير) ناحية الشمس الغاربة وهو يمسك بذراع (راند) قائلاً: «هناك المزيد منهم».

لم يستطع (راند) أن يميز التفاصيل وهو ينظر جهة الشمس، ولكن يبدو أن هناك مجموعة أخرى من الرجال مع دمية ضخمة يتقدمون ناحيته هو و(لويال)، باستثناء أنه الآن يعرف ما الذي ينظر إليه؛ كانت «الدمية» تحرك ساقيها بشكل طبيعي للغاية، والخطم مرتفع ليتشمم الهواء دون أن يرفع أي شخص عصاه. لم يعتقد أن (ترولوك) وأصدقاء الظلام يمكنهم رؤيته بين ظلال المساء، أو ما يكمن في الشارع من حوله. كانوا يتحركون ببطء شديد، ومع ذلك كان من الواضح أنهم يتعقبون، ويقتربون.

قال وهو يمسح نصله بعجالة في معطف (ترولوك) الميت: «(فاين) يعرف أنني هنا في مكان ما، لقد أرسلهم للعثور عليّ، ولكنه يخشى أن يرى أحد (ترولوكيين)، وإلا لما جعلهم يتنكرون. إن تمكنا من الوصول إلى شارع فيه أناس فسنكون آمنين. يجب علينا أن نعود إلى (هورين)، إن عثر عليه (فاين) وحيداً مع (البوق)....».

جذب (لويال) عند الناصية التالية وانعطف نحو أقرب أصوات الضحك والموسيقى. ولكن قبل أن يصل إليه ظهرت مجموعة أخرى من الرجال أمامهما في الشارع الخاوي ومعهم دمية ليست بدمية. انعطف (راند) و(لويال) عند الناصية التالية، فأخذتها شرقاً.

كل مرة يحاول (راند) فيها أن يصل إلى الموسيقى والضحك يكون هناك (ترولوك) في طريقهما، وفي الغالب يتشمم الهواء بحثاً عن رائحة. بعض (ترولوكيين) يتعقبون بالرائحة، في بعض الأحيان عندما لا يكون هناك أعين لترى يتسلل (ترولوك) وحيداً، أكثر من مرة يكون متيقناً من أنه قد رأى نفس (ترولوك) من قبل. إنهم يضيقون الخناق، ويحرصون على ألا يغادر هو و(لويال) الشوارع المهجورة ذات النوافذ المغلقة. ببطء كانا يُجبران على التوجه شرقاً، بعيداً عن المدينة و(هورين)، بعيداً عن الأناس الآخرين، عبر شوارع ضيقة آخذة في الإظلام، تمتد في كل الاتجاهات صعوداً وهبوطاً عبر التل. نظر (راند) إلى البيوت التي يمران بها، المباني الطويلة التي تُغلق أبوابها مساءً، وهو يشعر بشيء من الندم. حتى لو طرق على باب لكي يفتح شخص ما، حتى لو قبلوه هو و(لويال)، فلم يكن أي من الأبواب التي رآها قادراً على إيقاف (ترولوك)، كل ما سيفعله هو أن يقدم مزيداً من الضحايا بالإضافة إليه هو (لويال).

أخيراً قال (لويال): «لا يوجد مكان للذهاب إليه يا (راند)».

وصلا إلى حافة (فورجيت) الشرقية، وكانت المباني الشاهقة على جانبيها هي الأخيرة. كانت الأضواء في نوافذ الطوابق العليا تسخر منه، ولكن الطوابق السفلية كانت مغلقة بإحكام. أمامها تمتد التلال، التي يغلفها الشفق، ولا يوجد بها حتى بيت ريفي. ولكنها لم تكن خاوية تمامًا، كان بمقدوره أن يميز أسوارًا شاحبة تحيط بأحد التلال الكبيرة، ربما على بعد ميل، وهناك مبانٍ بداخلها.

قال (لويال): «بمجرد أن يدفعونا إلى الخارج لن يضطروا إلى القلق حيال أن يراهم أحد».

أشار (راند) إلى الأسوار التي تحيط بالتل وقال: «هذه ستوقف (ترولوكًا)، لا شك أنه قصر لورد ما، ربما سيسمحون لنا بالدخول. (أوجير) ولورد أجني؟ يجب أن يكون لهذا المعطف نفع ما عاجلاً أو آجلاً». نظر وراءه عبر الشارع، لم يكن هناك أي (ترولوكيين) في مرمى البصر بعد، ولكنه جذب (لويال) منعطفًا عند ناصية المبنى على أي حال.

«أعتقد أن هذا مقر (المنيرين) يا (راند)، و(المنيرون) يحرسون أسرارهم بشدة. لا أعتقد أنهم سيسمحون (لجالدرين) نفسه بالدخول».

«أي متاعب ورطت نفسك فيها الآن؟». قالها صوت أنثوي مألوف، وفجأة صار هناك رائحة عطر نفاذة في الهواء.

حدق (راند) ليجد (سيلين) تخطو عبر الناصية التي انعطفا عندها للتو، وفستانها الأبيض يلمع في ضوء المساء الخافت. «كيف جئتِ إلى هنا؟ ما الذي تفعلينه هنا؟ يجب عليك أن ترحلي على الفور، اهربي! هناك (ترولوكيون) يتعقبوننا».

«لقد رأيت هذا». كان صوتها جافًا ولكنها كانت هادئة ورابطة الجأش. «لقد جئت للعثور عليك، ورأيت أنك سمحت (للترولكيين) باقتيادك كقطيع من الأغنام. كيف يمكن لرجل يحوز (بوق فالير) بأن يسمح لنفسه بأن يعامل على هذا النحو؟».

قال بحدة: «إنه ليس معي، وأنا لا أعرف كيف سيساعدني حتى لو كان معي. ليس من المفترض أن يعود الأبطال الموتى لإنقاذ من (الترولكيين)، يجب أن تتعدي عن هنا الآن يا (سيلين)!». اختلس النظر من عند الناصية.

على مسافة لا تزيد عن مئة خطوة كان هناك (ترولوك) يطل برأسه ذي القرنين بحذر عبر الشارع وهو يتشمم هواء الليل. كان الظل الكبير إلى جانبه (ترولوكًا) آخر، وكان هناك ظلال أصغر حجمًا؛ أصدقاء ظلام.

تمتم (راند): «فات الأوان». حرَّك حقيبة المزمар ليخلع عباءته ويدثرها بها، كانت طويلة بما يكفي لإخفاء فستانها الأبيض بالكامل، وأن تُجرَّ على الأرض بجانبها. قال لها: «سيكون عليك أن تتشبهي بهذه بينما تركضين. إن لم يسمحوا لنا بالدخول يا (لويال) فسيتعين علينا إيجاد طريقة للتسلل إلى الداخل».

«ولكن يا (راند)...».

«هل تفضل انتظار (الترولوكيين)؟». دفع (لويال) ليبدأ في الحركة ثم أمسك بيد (سيلين) ليلحق به مهرولاً. «فلتجد لنا طريقاً لا يكسر أعناقنا يا (لويال)».

قالت (سيلين): «أنت تسمح لنفسك بأن تُدفع مذعوراً». بدا أنها تواجه صعوبة أقل من (راند) في تتبع (لويال) في الضوء الضعيف. «فلتبحث عن (الوحدة)، وكن هادئاً. الشخص الذي يريد أن يكون عظيماً يجب أن يكون دوماً هادئاً».

قال لها: «قد يسمعك (الترولوكيون). أنا لا أريد العظمة». خيّل إليه أنه يسمع زجاجة غاضبة منها. كانت الأحجار أحياناً ما تنقلب تحت أقدامهم، ولكن الطريق الذي يقطعونه عبر التلال لم يكن وعراً باستثناء ظلال الشفق. كانت الأشجار بل وحتى الشجيرات قد إقتطعت من التلال قبل وقت طويل من أجل الحطب. لم يكن هناك شيء ينمو سوى عشب يصل إلى ارتفاع الركبة، يصدر حفيفاً خافتاً حول سيقانهم. هب نسيم هادئ عبر الليل. أحس (راند) بالقلق من أنه قد يحمل رائحتهم إلى (الترولوكيين). توقف (لويال) قبل أن يصل إلى السور، كان ارتفاعه ضعف طول (الأوجير)، ومُغطى بجص أبيض. نظر (راند) إلى الورا ناحية (فورجيت)، كان هناك صفوف من النوافذ المضيئة تمتد من أسوار المدينة كمحاور عجلة.

قال بصوت خافت: «هل يمكنك أن تراهم يا (لويال)؟ هل يلحقون بنا؟». نظر (الأوجير) ناحية (فورجيت) ثم أوماً برأسه في حزن وقال: «أرى فقط بعض (الترولوكيين)، ولكنهم يأتون في طريقنا راكضين. لا أعتقد حقاً يا (راند)».

قاطعته (سيلين) قائلة: «إن أراد الدخول يا (آلانتين) فإنه يحتاج إلى باب مثل هذا الباب». أشارت إلى بقعة مظلمة على مسافة بعيدة بعض الشيء عبر السور. حتى مع قولها بأنه باب فإن (راند) لم يكن متيقناً من أنه كذلك، ولكنها خطت ناحيته وجذبتته فانفتح.

قال (لويال): «(راند)».

دفعه (راند) عبر الباب وهو يقول: «لاحقاً يا (لويال)». وتحدث بصوت خافت، هل نسيت أننا مختبئون؟». ما إن دلفا إلى الداخل حتى أغلق الباب وراءهم. كان هناك حوامل لمزلاج، ولكن لم يكن هناك أي مزلاج. هذا الباب لن يوقف أحداً، ولكن ربما يتردد (الترولوكيون) في الولوج إلى داخل الأسوار.

كانوا في زقاق يؤدي إلى أعلى التل، ما بين مبنيين طويلين خاليين من النوافذ. اعتقد في البداية أنها مباني حجرية، ولكن سرعان ما أدرك أن الجص الأبيض قد وُضع فوق الخشب. كان الظلام قد حلّ بما يكفي لأن تنعكس أشعة القمر من على الجدران مبددة الظلمة بشيء من الضوء.

تمتم قائلاً وهو يصعد التل: «من الأفضل أن يقبض علينا (المنثرون) بدلاً من أن يقبض علينا (الترولوكيون)».

قال (لويال) محتجًا: «ولكن هذا ما كنت أحاول أن أقوله لك، لقد سمعت أن (المنيرين) يقتلون المتسللين، إنهم يحافظون على أسرارهم بحزم وصرامة يا (راند)».

توقف (راند) في موضعه وحقق إلى الوراء ناحية الباب، لا يزال (الترولوكيون) هناك بالخارج. في أسوأ الأحوال سيكون التعامل مع البشر أفضل من التعامل مع (الترولوكيين). قد يكون قادرًا على إقناع (المنيرين) بالسماح لهم بالرحيل، (الترولوكيون) لا يستمعون لأحد قبل أن يقتلوا. «أعتذر لأنني ورطتك في هذا يا (سيلين)».

قالت بهدوء: «الخطر يضيف شيئًا من الإثارة إلى الأمر، كما أنك تتعامل معه بشكل جيد حتى الآن. دعنا نرى ما سنعثر عليه». تجاوزته متقدمة عبر الزقاق، فلحق بها (راند) ورائحتها النفاذة تملأ أنفه.

أعلى التل انفتح الزقاق على مساحة واسعة من الطين الممهد بسلاسة ويكاد أن يكون أبيض كالجلس، ومحاط بالمزيد من المباني البيضاء عديمة النوافذ، مع ظلال أزقة ضيقة فيما بينها. ولكن على يمين (راند) كان أحد المباني به نوافذ، ينسكب منها الضوء على الطين الأبيض. تراجع إلى ظلال الزقاق بينما رجل وامرأة يظهران ويمشيان ببطء عبر المساحة المفتوحة.

لم تكن ملابسهما كإيرينية بالتأكيد، فالرجل يرتدي سروالاً فضفاضاً مثل قميصه مع تطريز على ساقي سرواله وصدر قميصه. كان فستان المرأة - المطرز بشكل بارع على الصدر- يبدو بلون أخضر باهت، وشعرها مجدول في عدد من الجداول القصيرة.

تساءلت المرأة: «تقول إن كل شيء جاهز؟ هل أنت واثق يا (تاموز)؟ كل شيء؟».

بسط الرجل يديه وقال: «دومًا ما تراجعني ورائي يا (ألودرا). كل شيء جاهز، يمكن تقديم الاستعراض في هذه اللحظة».

«هل كل البوابات والأبواب موصدة بالمزاليج؟ كل ال...؟». تلاشى صوتها وهما ينتقلان إلى الطرف البعيد من المبنى المضاء.

تفحص (راند) المساحة المفتوحة ولم يتعرف على أي شيء تقريبًا. في منتصفها كان هناك عشرات من الأنابيب المنتصبة، كل أنبوب بطوله تقريبًا، وأعرض منه بقدم أو أكثر، وموضوع على قاعدة خشبية. ومن كل أنبوب يمتد حبل أسود مجدول عبر الأرض إلى ما وراء جدار خفيض -ربما بارتفاع ثلاث خطوات - على الجانب البعيد. في جميع أرجاء المساحة المفتوحة كان هناك فوضى من الأرفف الخشبية، مع أحواض وأنابيب وعصي متشعبة وعشرات من الأشياء الأخرى.

كل الألعاب النارية التي رآها في حياته يمكن حملها في يد واحدة، وكان هذا قدر ما يعرفه، باستثناء أنها ستفجر في دوي عظيم أو ستنتلق على الأرض في حلزونات من الشرر وأحيانًا ما تندفع في الهواء. دومًا ما تأتي مع تحذيرات من (المنيرين) بأن فتح إحداها قد يؤدي إلى انفجارها. على أي حال كانت الألعاب النارية باهظة للغاية بالنسبة (لمجلس القرية) على أن يسمحوا لأي واحد غير ماهر بفتح واحدة. يمكنه أن يتذكر

المرة التي حاول فيها (مات) أن يفعل هذا، لقد مر أسبوع دون أن يتحدث معه أحد باستثناء أمه. الشيء الذي يجده (راند) مألوفاً هو الحبال، الفتائل. يعرف أن هذا هو الموضع الذي تُشعل فيه النار.

نظر وراه إلى الباب غير الموصد، ثم أشار إلى الآخرين أن يتبعوه وبدأ يدور حول الأنابيب. إن كانوا سيجدون مكان الاختباء فإنه يريد أن يكون بعيداً عن ذلك الباب قدر الإمكان. كان هذا يعني أن يشقوا طريقهم بين الرفوف، وكان (راند) يحبس أنفاسه في كل مرة يلمس واحداً. كانت الأشياء بداخلها تتحرك مع أدنى لمسة وتُصدر صوت قعقعة. بدا أن كل شيء مصنوع من الخشب، دون قطعة معدنية واحدة. استطاع أن يتخيل الضجيج الذي سيحدث إن سقط أحد الأنابيب. كان ينظر إلى الأنابيب الطويلة بحذر، متذكراً الانفجار الذي أحدثه أنبوب بحجم إصبعه. إن كانت هذه الأشياء ألعاباً نارية فإنه لا يرغب في أن يكون بالقرب منها إلى هذا الحد.

كان (لويال) يتمتم لنفسه بلا انقطاع، وخصوصاً عندما يصطدم بأحد الرفوف فيترجع بسرعة حتى إنه يصطدم بآخر، كان (الأوجير) يتسلل في سحابة من القعقعة والتمتمة.

لم تكن (سيلين) أقل إثارة للتوتر، كانت تخطو ببساطة كما لو أنها في أحد شوارع المدينة، لم تصطدم بأي شيء ولم يند عنها أدنى صوت، ولكنها في الوقت ذاته لم تبذل أي مجهود لإبقاء العباءة حول جسدها. كان بياض فستانها يبدو أكثر سطوعاً من كل الجدران مجتمعة. نظر ناحية النوافذ المضيئة منتظراً أن يظهر أي شخص. كل ما يتطلبه الأمر هو شخص واحد لإطلاق الإنذار، فلم يكن من الصعب رؤية (سيلين).

ولكن النوافذ ظلت خاوية. كان (راند) على وشك أن يتنفس الصعداء عندما وصلوا إلى الجدار الخفيض، والأزقة والمباني من ورائه، عندما اصطدم برف آخر إلى جانب الجدار مباشرة. كان يحمل عشر عصي ذات المظهر الهش، بطول ذراع (راند)، يتصاعد من أطرافها خيوط رفيعة من الدخان. بالكاد أصدر الرف أدنى صوت عند سقوطه، وقد تناثرت العصي المشتعلة على أحد الفتائل. اشتعل اللهب في الفتيل مع صوت طقطقة وأسرع اللهب ناحية أحد الأنابيب الطويلة.

اتسعت عينا (راند) للحظة، ثم حاول أن يهمس بصيحة: «وراء الجدار!».

أصدرت (سيلين) صوتاً غاضباً عندما حملها إلى الأرض وراء الجدار، ولكنه لم يبال. حاول أن يحميها بجسده بينما (لويال) ينضم إليهما. انتظر أن انفجر الأنبوب وهو يتساءل إن كان هناك أي شيء سيبقى من الجدار. أحس بدوي أجوف عبر الأرض بقدر ما سمعه. رفع نفسه بحذر عن (سيلين) لينظر من وراء حافة الجدار. لكمته في ضلوعه بقوة وتلوت من تحته وهي تسب بلغة لم يتعرف عليها، ولكنه لم يلاحظ هذا.

كان هناك خيط من الدخان يتصاعد من أعلى أحد الأنابيب، كان هذا كل شيء. هز رأسه في تعجب، إن كان هذا كل ما في الأمر...

بدوي كالرعد ازدهرت زهرة ضخمة من اللونين الأحمر والأبيض عالياً في السماء المظلمة، ثم بدأت تتلاشى ببطء في شرارات.

بينما يحدق إلى ما حدث بعينين متسعيتين تعالت ضوضاء من المبنى المضاء، صيحات رجال ونساء يملؤون النوافذ وهم يحدقون ويشيرون.

نظر (راند) باشتياق إلى الزقاق المظلم على بعد عشر خطوات فحسب، ستكون الخطوة الأولى على مرمى بصر الواقفين في النوافذ. تعالى صوت خطوات أقدام من المبنى. دفع (لويال) و(سيلين) إلى ما وراء الجدار وهو يأمل أن يبدوا مجرد ظل آخر. قال هامسًا: «ابقيا صامتتين وساكنين، هذا هو أملنا الوحيد».

قالت (سيلين) بصوت خافت: «أحيانًا إن كنت ساكنًا للغاية فلن يتمكن أحد من رؤيتك على الإطلاق». لم تبدُ قلقة مقدار ذرة.

راحت الأحذية تضرب الأرض جيئةً وذهابًا على الجانب الآخر من الجدار، وقد تعالت الأصوات في غضب، وخصوصًا الصوت الذي تعرف (راند) عليه بأنه صوت (ألودرا).

«أيها الأحمق الكبير (تاموز)! أيها الخنزير الكبير! كانت أمك عنزة يا (تاموز)! يومًا ما ستقتلنا جميعًا». قال الرجل محتجًا: «أنا لست الملام على هذا يا (ألودرا)، لقد تيقنت من وضع كل شيء في مكانه الصحيح، والمتفجرات الصغيرة كانت...».

«لا تتحدث إليّ يا (تاموز)! الخنزير الكبير لا يستحق أن يتحدث كالإنسان!». تغير صوت (ألودرا) لتجيب عن سؤال رجل آخر: «لا يوجد وقت لإعداد واحد آخر، لا شك أن (جالدرين) سيكون راضيًا بما تبقى لهذه الليلة، حتى مع انفجار واحد قبل الأوان. وأنت يا (تاموز)! ستحرص على أن يكون كل شيء في موضعه الصحيح الليلة، وغدًا ستغادر مع العربات لشراء السباد، إن حدث أي شيء آخر هذه الليلة فلن أثق بك مرة أخرى حتى لتولي أمر شيء بسيط كالسباد».

تلاشت خطوات الأقدام عائدة نحو المبنى تصحبها تهمات (ألودرا)، بينما بقي (تاموز) حيث هو يتذمر بصوت خافت من الظلم الذي تعرض له.

توقف (راند) عن التنفس بينما الرجل يقترب ليعدل الرف المقلوب. تراجع إلى الوراء عبر الظلال ليلتصق بالجدار وقد تمكن من رؤية ظهر (تاموز) وكتفيه. كل ما يجب على الرجل فعله هو أن يدير رأسه وسيتمكن من رؤية (راند) والآخرين. بينما (تاموز) لا يزال يتذمر متحدًا لنفسه راح يرتب العصي التي يتصاعد منها الدخان في الرف، قبل أن يسرع مبتعدًا ناحية المبنى الذي ذهب إليه الجميع.

سمح (راند) لنفسه أن يتنفس، ثم ألقى نظرة سريعة ناحية الرجل قبل أن يتراجع إلى الظلال. كان هناك بعض الأشخاص لا يزالون واقفين في النوافذ. همس قائلًا: «لا يمكننا أن نتوقع المزيد من الحظ هذه الليلة».

قالت (سيلين) بصوت خافت: «يُقال إن الرجال العظماء هم من يصنعون حظهم».

قال لها بتعب: «هلا توقفت عن هذا؟». تمنى لو أن رائحتها لم تملأ رأسه هكذا، لقد جعلت من الصعب التفكير بوضوح. كان يتذكر إحساسه بجسدها عندما دفعها للأسفل؛ كان لينًا ومتينًا في مزيج مزعج، وهذا

لم يساعده أيّصًا.

«(راند)؟». كان (لويال) لا يزال يطل من وراء حافة الجدار، بعيدًا عن المبنى المضاء. «أعتقد أننا نحتاج إلى المزيد من الحظ يا (راند)».

تحرك (راند) لينظر من فوق كتف (الأوجير)، وراء المساحة المفتوحة في الزقاق الذي يؤدي إلى الباب غير الموصد كان هناك ثلاثة من (الترولوكيين) يحدقون بحذر من الظلال ناحية النوافذ المضيئة. كان هناك امرأة تقف في نافذة ولم يبد أنها لاحظت (الترولوكيين).

قالت (سيلين) بهدوء: «إذن فقد صار هذا فخًا، هؤلاء الأشخاص قد يقتلونك إن عثروا عليك، و(الترولوكيون) سيقتلونك بالتأكيد. ولكن ربما يمكنك أن تقتل (الترولوكيين) بسرعة كبيرة قبل أن يتمكنوا من إثارة أي ضجة، ربما يمكنك أن تمنع هؤلاء الناس من قتلك للحفاظ على أسرارهم الصغيرة. ربما لا ترغب في العظمة، ولكن الأمر سيتطلب رجلًا عظيمًا لفعل هذه الأشياء».

قال (راند): «ليس عليك أن تبدي سعادة حيال هذا الأمر». حاول أن يتوقف عن التفكير بشأن رائحتها وملمسها، فكاد الخواء أن يغلفه. أبعدته عنه. لم يبد أن (الترولوكيين) قد حددوا موضعهم بعد. تراجع إلى الوراء محققًا إلى أقرب الأزقة المظلمة. بمجرد أن يتحركوا ناحيته فإن (الترولوكيين) سيلاحظونهم بالتأكيد، وكذلك المرأة الواقفة في النافذة. سيكون سباقًا أيهما سيصل إليه أولاً، (الترولوكيون) أم (المنبيرون).

«إن عظمتك ستجعلني سعيدة». رغم كلماتها بدت (سيلين) غاضبة. «ربما يجب أن أتركك لتجد طريقك بنفسك هذه المرة، إن لم تقبل العظمة عندما تكون في متناول يدك فربما تستحق الموت».

رفض (راند) أن ينظر ناحيتها. «هل يمكنك أن ترى إذا ما كان هناك باب آخر عبر هذا الزقاق يا (لويال)؟».

هز (الأوجير) رأسه وقال: «يوجد الكثير من الضوء هنا، والكثير من الظلام هناك. لو كنت في الزقاق لرأيت».

تحسس (راند) مقبض سيفه. «خذ (سيلين)، بمجرد أن تجد بابًا - إن وجدت واحدًا - نادني وسألحق بكما. إن لم يكن هناك باب في نهاية الزقاق فسيكون عليك أن ترفعها حتى تصل إلى قمة السور وتتسلل من فوقه».

قال (لويال) وقد بدا قلقًا: «حسنًا يا (راند)، ولكن عندما نتحرك سيلاحقنا هؤلاء (الترولوكيون)، بغض النظر عمن يراقبنا، حتى إن كان هناك باب فإنهم سيكونون في أعقابنا».

«دعني أنا أقلق بشأن (الترولوكيين)». ثلاثة منهم. ربما أفعليها باستخدام الخواء. إن التفكير في (السايدين) قد حسم قراره. لقد حدثت أشياء غريبة كثيرة عندما سمح للنصف الذكوري من (المصدر الحقيقي) أن يقترب منه. «سألحق بكما في أقرب فرصة ممكنة. اذهبا». التفت ليحديق من وراء الجدار ناحية (الترولوكيين).

من طرف عينه لاحظ هيئة (لويال) الضخمة وهي تتحرك، وستان (سيلين) الأبيض نصف مغطى بعباءته. أشار أحد (الترولوكيين) من وراء الأنايب ناحيتها في حماس، ولكن مع ذلك تردد ثلاثتهم وهم

يحدقون إلى الأعلى ناحية النافذة حيث لا تزال المرأة تراقب. ثلاثة منهم. يجب أن يكون هناك طريقة ما. ليس الخواء. ليس (السايدين).

جاء نداء صوت (لويال) الخافت: «هناك باب!». قطع أحد (الترولوكيين) خطوة خارج الظلام فلاحق به الآخرون وتأهبوا للهجوم. من مسافة بعيدة سمع (راند) المرأة عند النافذة تصرخ، وصاح (لويال) بشيء ما. من دون تفكير قفز (راند) واقفًا على قدميه، عليه أن يوقف (الترولوكيين) بطريقة ما وإلا فإنهم سيدهسونه هو و(لويال) و(سيلين). انتزع إحدى العصي التي يتصاعد منها الدخان وألقى بنفسه ناحية أقرب الأنابيب. مال وبدأ في السقوط فأمسك بقاعدته الخشبية المربعة، ووجّه طرف الأنبوب ناحية (الترولوكيين) مباشرة. ظهر عليهم التردد. صرخت المرأة عند النافذة بينما (راند) يقرب طرف العصا الذي يتصاعد منه الدخان من الفتيل حيث يتصل بالأنبوب.

تعالى الدوي الأجوف على الفور، وارتطمت به القاعدة الخشبية السميكة لتسقطه أرضًا. كان الهدير كقصف الرعد شق سكون الليل، وتعالى ضوء ساطع يعمي الأبصار في الظلام. رمش (راند) بعينه وهو يقف مترنحًا على قدميه ويسعل في الدخان الكثيف اللاذع وهناك طنين في أذنيه. حلق في دهشة، كانت نصف الأنابيب وكل الأرفف ملقاة على جانبها، وقد اختفى أحد أركان المبنى بجانبه حيث كان يقف (الترولوكيون)، وألسنة اللهب تتصاعد من أطراف الألواح والعوارض الخشبية. لم يكن هناك أدنى أثر (للترولوكيين).

من بين الطنين في أذنيه سمع (راند) صيحات (المنيرين) من المبنى، فاندفع مهوولًا ناحية الزقاق. في منتصف الطريق تعثر بشيء ما وأدرك أنها عباءته، انتزعها دون أن يتوقف ومن ورائه كانت صيحات (المنيرين) تملأ الليل.

كان (لويال) يتقافز في نفاذ صبر على قدميه بجانب الباب المفتوح، وكان وحيدًا. سأله (راند): «أين (سيلين)؟».

«لقد عادت يا (راند)، حاولت أن أمسك بها ولكنها انسلت من بين يدي».

نظر (راند) إلى الورا ناحية الضوضاء، من بين الطنين المتواصل في أذنيه كانت بعض الصرخات يمكن تمييزها بالكاد. صار هناك ضوء من ألسنة اللهب.

«دلاء الرمال! اجلبوا دلاء الرمال بسرعة!».

«هذه كارثة! كارثة!».

«بعضهم قد ذهبوا من هذا الاتجاه!».

جذب (لويال) كتف (راند) وقال: «لا يمكنك مساعدتها يا (راند)، ليس بالسماح لهم بالقبض عليك، يجب أن نذهب». ظهر شخص ما عند طرف الزقاق، ظل يحده وهج النيران من ورائه، وهو يشير ناحيتهما. «هيا بنا يا (راند)!».

سمح له (راند) أن يجذبه عبر الباب إلى الظلمة بالخارج، تلاشت النيران من ورائها حتى لم تعد سوى وهج في الليل، واقتربت أضواء (فورجيت) أكثر. كاد (راند) أن يتمنى ظهور المزيد من (الترولوكين)، شيئاً يمكنه أن يقاقله، ولكن لم يكن هناك سوى نسيم الليل الذي يداعب العشب. قال (لويال): «لقد حاولت أن أوقفها». كان هناك صمت طويل. «لم يكن بمقدورنا حقاً أن نفعل أي شيء. كانوا سيأخذوننا أيضاً».

تنهد (راند) وقال: «أعرف يا (لويال)، لقد فعلت ما يمكنك فعله». مشى إلى الورا بضع خطوات وحقق إلى الوهج. بدا أن النيران قد صارت أقل، لا شك أن (المنيرين) يطفئون ألسنة اللهب. «يجب عليّ أن أساعدها بطريقة ما». كيف؟ (السايدين)؟ (القوة الواحدة)؟ ارتجف جسده. «يجب عليّ هذا».

سارا عبر (فورجيت)، قاطعين الشوارع المضاءة، يغلفهما الصمت الذي يحجب البهجة من حولهما. عندما دلفا إلى (حانة المدافع عن جدار التنين) قدم لهما صاحب الحانة صحيفة عليها لفافة مختومة. أخذها (راند) وحقق إلى الختم الأبيض؛ هلال ونجوم. «من ترك هذه؟ ومتى؟». «امرأة عجوز يا سيدي اللورد، قبل ربع ساعة تقريباً. إنها خادمة ولكنها لم تقل من أي عائلة». ابتسم (كوال) كما لو أنه يوحى (لراند) أنه مصدر ثقة ويمكن (لراند) أن يشاركه أسرارها.

قال (راند) وهو لا يزال يحدق إلى الختم: «شكراً لك». راقبهما صاحب الحانة بنظرة متأمله وهما يصعدان إلى الطابق العلوي.

أخرج (هورين) غليون من فمه عندما دلف (راند) و(لويال) إلى الغرفة. كان سيفه القصير وخنجره المسنن على الطاولة يمسحهما بخرقه زيتية. «لقد قضيت وقتاً طويلاً مع صانع البهجة يا سيدي اللورد، هل هو بخير؟».

جفل (راند) ثم قال: «ماذا؟ (توم)؟ أجل، إنه...». فك الختم بإبهامه وقرأ الورقة. عندما اعتقد أنني أعرف ما الذي ستفعله تفعل شيئاً آخر. أنت رجل خطير. ربما لن يمضي وقت طويل قبل أن نلتقي مرة أخرى. فكّر في (البوق). فكّر في المجد. فكّر في، لأنك دوماً ملكٌ لي.

مرة أخرى لم يكن هناك أي تعليق، ولكن الخط المتدفق الأنيق هو نفسه. تساءل (راند) وهو يحدق إلى السقف: «هل كل النساء مجانين؟». هز (هورين) كتفيه. ألقى (راند) بجسده على الكرسي الآخر المناسب لحجم (أوجير)، فتدلت قدماه أعلى الأرضية، ولكنه لم يُبال. حقق إلى الصندوق المغطى بالبطانية تحت حافة سرير (لويال). فكّر في المجد. «أتمنى أن يأتي (إنجتار)».

الفصل الثامن والعشرون

خيط جديد في النمط

كان (بيرين) يراقب جبال (خنجر قاتل أهله) في توتر بينما يسير بحصانه. لا يزال الطريق منحدرًا لأعلى، ويبدو كما لو أنه سيصعد بلا نهاية، رغم أن قمة الممر لا يفترض أن تكون أبعد من هذا بكثير. على أحد جانبي الطريق كانت الأرض منحدرية بحدة لأسفل، نحو جدول جبلي ضحل يندفع ليصير زبدًا فوق الصخور الحادة. على الجانب الآخر تعلو الجبال في سلسلة من المنحدرات المسننة، كشلال حجري متجمد. كان الطريق نفسه يمر عبر حقول من الجلاميد، بعضها بحجم رأس رجل، وبعض آخر كبير بحجم عربة. لن يتطلب الأمر مهارة كبيرة للاختباء في مكان كهذا.

تقول الذئاب إن هناك أناسًا في الجبال، تساءل (بيرين) إذا ما كانوا أصدقاء الظلام التابعين (لفاين). لا تعرف الذئاب ولا تبالي، الشيء الوحيد الذي يعرفونه هو أن (المشوهين) في مكان ما أمامهم. ما زالوا يسبقونهم بمسافة كبيرة، رغم أن (إنجتار) يجبر الطابور على التقدم بسرعة. لاحظ (بيرين) أن (أونو) يراقب الجبال من حولهم مثلما يفعل هو.

كان (مات) يسير بحصانه وقوسه متدللًا على ظهره ويبدو غير مبالي، يتلاعب بثلاث كرات ملونة، ومع ذلك بدا أكثر شحوبًا عن ذي قبل. صارت (فيرين) تتفحصه مرتين أو ثلاث مرات كل يوم، وكان (بيرين) متيقنًا من أنها قد جربت الشفاء مرة واحدة على الأقل، ولكن لم يصنع هذا أي اختلاف يمكن أن يراه (بيرين). على أي حال بدت أكثر انشغالًا بشيء ما لم تتحدث عنه.

(راند). قالها (بيرين) لنفسه وهو ينظر إلى ظهر (الآيز سيدي). دومًا ما تتقدم الطابور بصحبة (إنجتار)، ودومًا ما ترغب في أن يتحركوا بوتيرة أسرع مما يسمح به اللورد الشايناري. إنها تعرف بشأن (راند) بطريقة ما. ومضت صور من الذئاب في عقله؛ بيوت ريفية حجرية، وقرى مسيجة، جميعها وراء قمم الجبال. لم ترَ الذئاب أنها تختلف عن التلال أو المروج، إلا بإحساسهم أنها أراضٍ فاسدة. للحظة وجد نفسه يشاركهم هذا الأسف، وهو يتذكر أماكن قد هجرها ذوي الساقين قبل وقت طويل. يتذكر الاندفاع السريع بين الأشجار، وانطباق فكيه بينما غزال يحاول الفرار، و... بذل مجهودًا ليدفع الذئاب خارج عقله. أولئك (الآيز سيدي) سيدمرنا جميعًا.

ترك (إنجتار) حصانه يتراجع إلى جانب حصان (بيرين). أحيانًا يشعر (بيرين) أن الهلال الذي يعلو خوذة الشايناري يبدو أشبه بقرني (ترولوك). قال (إنجتار) بصوت خافت: «أخبرني مرة أخرى ما الذي قالته الذئاب».

تمتم (بيرين): «لقد أخبرتك عشر مرات».

«أخبرني مرة أخرى! ربما قد فاتني شيء سيساعدني على إيجاد (البوق)...». أخذ (إنجتار) نفسًا عميقًا ثم زفره ببطء قبل أن يقول: «يجب أن أجد (بوق فالير) يا (بيرين). أخبرني مرة أخرى».

لم يكن هناك حاجة لأن يصدر (بيرين) الأمر في عقله، ليس بعد الكثير من التكرار. قال بصوت رتيب: «هناك شخص ما - أو شيء ما - قد هاجم أصدقاء الظلام في الليل، وقاتل هؤلاء (الترولوكيين) الذين عثرنا عليهم». لم تعد معدته تنقبض مع تذكره لهذا، إن الغربان والنسور آكلات جيفة فوضوية. «تُطلق الذئاب على هذا الشخص - أو هذا الشيء - لقب (قاتل الظلال)، أعتقد أنه كان رجلًا، ولكنهم لم يقتربوا بما يكفي لرؤيته بوضوح. إنهم لا يخشون (قاتل الظلال) هذا، بل بالأحرى يشعرون بالرهبة منه. يقولون إن (الترولوكيين) يتعقبون الآن (قاتل الظلال)، ويقولون إن (فاين) معهم». حتى بعد مرور وقت طويل فإن تذكر رائحة (فاين) ولمسه يجعل فمه يلتوي. «لذا لا شك أن بقية أصدقاء الظلام معه».

تمتم (إنجتار): «(قاتل الظلال)، أهو شيء من صنيع (سيد الظلام) مثل (الميردرال)؟ لقد رأيت أشياء في (البلاء العظيم) يمكن تسميتها (قتلة ظلال)، ولكن... ألم يروا أي شيء آخر؟».

«إنهم يرفضون الاقتراب منه. لم يكن (عائمًا)، قلت لك إنهم سيقتلون (عائمًا) بأسرع من قتلهم (ترولوك)، حتى إن خسروا نصف القطيع. الذئاب الذين قد رأوه مروا هذا للآخرين يا (إنجتار)، وآخرين من بعدهم، قبل أن يصل الأمر إليّ. لا أستطيع أن أخبرك إلا بما مروا به، وبعد كثير من الروايات...». بتر حديثه عندما انضم (أونو) إليهما.

قال الرجل ذو العين الواحدة بهدوء: «رجل آييلي في الصخور».

قال (إنجتار) في دهشة: «بعيدًا إلى هذا الحد عن (الفلاة)؟». تمكن (أونو) بطريقة ما من أن يبدو مستاءً دون أن يتغير التعبير المرتسم على وجهه، فأضاف (إنجتار): «لا، أنا لا أشكك في كلامك، أنا متفاجئ فحسب».

«لقد أراد اللعين أن أراه، وإلا فما كنت لأراه على الأرجح». بدا (أونو) مستاءً لاعترافه بهذا. «ووجهه اللعين لم يكن مثلًا، لذا فإنه لم يخرج للقتل. ولكن عندما ترى آييليًا لعينًا واحدًا فهناك دومًا المزيد ممن لا تراه». اتسعت عينه فجأة وقال: «فليحرقني (النور) إن لم يبدُ وكأنه يريد أن يراه أحد». أشار بيده، كان هناك رجل يخطو عبر الطريق أمامهم.

فجأة وضع (ماسيما) رمحًا على سرجه وركز حصانه بكاحليه ليتحول إلى العدو في ثلاث خطوات. لم يكن وحده من فعل هذا، لقد اندفعت أربع نقاط فولاذية ناحية الرجل الواقف على الأرض.

صاح (إنجتار): «توقفوا! قلت توقفوا! سأقطع أذني أي رجل لا يتوقف في موضعه!».

جذب (ماسيما) لجام حصانه بقوة، وتوقف الآخرون أيضًا في سحابة من الغبار على مسافة عشر خطوات من الرجل، وهم يصوبون رماحهم ناحية صدره. لَوَّح بيده ليعبد الغبار الذي تطاير ناحيته، كانت هذه هي أول حركة يفعلها.

كان رجلاً طويلاً ببشرة سمراء بفعل الشمس وشعر أحمر قصير باستثناء ذيل في مؤخرة رأسه يتدلى حتى كتفيه. كانت ثيابه كلها بظلال من اللونين البني والرمادي بشكل يمتزج مع الصخور والتربة، من حذائه الناعم المزود بأربطة، الذي يصل إلى ركبتيه، وحتى القطعة القماشية الملفوفة حول عنقه. كان يبرز من فوق كتفه طرف قوس قصير، وتتدلى من حزامه على جانبه جعبة مليئة بالسهام، ومن الجانب الآخر يتدلى سكين طويل. كان يمسك في يده اليسرى بترس جلدي دائري، وثلاثة رماح قصيرة لا يزيد طول الواحد منها عن نصف طوله، وبنصال تماثل في الطول نصال الرماح الشاينارية.

قال الرجل مبتسماً: «ليس لدي مزامير لأعزف اللحن، ولكن إن أردتم الرقص...». لم تتغير وقفته، ولكن (بيرين) شعر فجأة بهالة من الاستعداد. «اسمي (يورين)، من (سبط البرجين)، من عشيرة (راين آيل). أنا (درع أحمر). تذكروني».

ترجل (إنجتار) عن حصانه ومشى للأمام وهو ينتزع خوذته، لم يتردد (بيرين) إلا للحظة قبل أن يترجل بدوره ليلحق به، لا يمكن أن تفوته فرصة رؤية آييلي عن قرب. التصرف كرجل بلثام أسود من (آيل). في حكاية تلو الأخرى كان الآيليون مميتين وخطيرين مثل (الترولوكيين)، بل إن البعض يقول إنهم جميعاً من أصدقاء الظلام، ولكن ابتسامة (يورين) لم تكن خطيرة بطريقة ما، رغم حقيقة أنه كان مستعداً للقتال. كانت عيناه زرقاوين.

«إنه يبدو مثل (راند)». التففت (بيرين) وراءه فرأى أن (مات) قد لحق بهما أيضاً. أضاف (مات) بهدوء: «ربما (إنجتار) محق، ربما (راند) آييلي».

أوماً (بيرين) برأسه وقال: «ولكن هذا لا يغير شيئاً».

«لا، لا يغير شيئاً». بدا وكأن (مات) يقصد شيئاً آخر غير الذي قصده (بيرين).

قال (إنجتار) مخاطباً الآييلي: «إن كلينا بعيد عن دياره، ولكننا على الأقل قد جئنا من أجل أشياء أخرى غير القتال».

غيرَ (بيرين) رأيه في ابتسامة (يورين)، لقد بدا الرجل بالفعل خائب الأمل.

«كما تشاء أيها الشايناري». التففت (يورين) إلى (فيرين) التي ترجلت للتو عن حصانها، وانحنى انحناء غريبة، فانغrust رؤوس رماحه في الأرض، ومد يده اليمنى رافعاً راحته للأعلى، واكتسى صوته بالاحترام وهو يقول: «إن مائي ماؤك أيتها (العارفة)».

مدت (فيرين) لجامها إلى أحد الجنود، ثم تفحصت الآييلي بينما تقترب. «لم تناديني بهذا اللقب؟ هل تعتقد أنني آييلية؟».

«لا أيتها (العارفة)، ولكن لديك مظهر أولئك اللائي قطعن الرحلة إلى (ريوديان) ونجون منها. إن السنوات لا تمس (العارفات) كما تفعل مع النساء الأخريات، أو كما تمس الرجال».

ظهر الحماس على وجه (الآيز سيدي)، ولكن (إنجتار) تحدث في نفاذ صبر: «نحن نتعقب أصدقاء ظلام و(ترولوكيون) يا (يورين)، هل رأيت أي أثر لهم؟».

«(ترولوكيون)؟ هنا؟». لمعت عينا (يورين). «هذه إحدى العلامات التي تتحدث عنها النبوءات، عندما يأتي (الترولوكيون) من (البلاء العظيم) مرة أخرى سنغادر (الأرض ثلاثية الأوجه)، ونستعيد أماكننا القديمة». تتم الشايناريون من على صهوة خيولهم، فنظر إليهم (يورين) في فخر جعله يبدو كأنها ينظر إليهم من علٍ.

تساءل (مات): «(الأرض ثلاثية الأوجه)؟».

فكر (يورين) أنه يبدو أكثر شحوبًا، ليس مريضًا بالضبط ولكن كما لو أنه لم يتعرض للشمس لوقت طويل.

قال (يورين): «أنتم تسمونها (الفلاة)، بالنسبة لنا هي (الأرض ثلاثية الأوجه)؛ حجر ليشكلنا، وأرض لتختبر جدارتنا، وعقاب للخطيئة».

تساءل (مات): «أي خطيئة؟». حبس (يورين) أنفاسه منتظرًا أن تلمع الريح في يد (يورين).

هز الآيلي كتفيه وقال: «كان هذا قبل وقت طويل، حتى إن أحدًا لم يعد يتذكره، باستثناء (العارفات) وزعماء العشائر، وهم لا يتحدثون عن الأمر. لا شك أنها كانت خطيئة عظيمة للغاية إن كانوا لا يقدرّون على حمل أنفسهم على إخبارنا بها، ولكن (الخالق) يعاقبنا حق العقاب».

قال (إنجتار) بإلحاح: «(الترولوكيون)، هل رأيت (الترولوكيون)؟».

هز (يورين) رأسه وقال: «كنت سأقتلهم إن رأيتهم، ولكني لم أر شيئًا سوى الصخور والسماء».

هز (إنجتار) رأسه وقد فقد اهتمامه، ولكن (فيرين) تحدثت بتركيز حاد في صوتها: «هذا (الريوديان)، ما هو؟ أين هو؟ كيف يقع الاختيار على الفتيات للذهاب؟».

صار وجه (يورين) خاليًا من التعبيرات، واختفى البريق من عينيه وهو يقول: «لا يمكنني الحديث عن الأمر أيتها (العارفة)».

رغمًا عنه امتدت يد (يورين) إلى فأسه. كان هناك شيء ما في صوت (يورين). كما تأهب (إنجتار) أيضًا، مستعدًا لاستلال سيفه، وحدث اضطراب بين راكبي الخيول، ولكن (فيرين) خطت مقربة من الآيلي حتى كادت أن تلمس صدره، ثم رفعت بصرها لتحقق إلى وجهه.

قالت بإصرار: «أنا لست (عارفة) مثل أولئك اللاتي تعرفهن يا (يورين)، أنا (آيز سيدي). أخبرني بما يمكنك قوله عن (ريوديان)».

الرجل الذي بدا وكأنه مستعد لمواجهة عشرين رجلًا صار يبدو وكأنه راغب في الهرب من هذه المرأة الممتلئة ذات الشعر الرمادي. «أنا... لا يمكنني أن أخبرك إلا بما يعرفه الجميع. تقع (ريوديان) في أراضي (الجن آيل)، العشيرة الثالثة عشرة، لا يمكنني أن أتحدث عنهم بأكثر من ذكر اسمهم. لا يمكن لأحد أن

يذهب إلى هناك باستثناء النسوة اللاتي يرغبن في أن يصرن (عارفات)، أو الرجال الذين يرغبون في أن يصيروا زعماء عشائر. ربما (الجن آيل) يختارون من بينهم، لا أعرف، الكثير يذهبون والقليل يعودون، وهؤلاء الذين يعودون يصيرون (عارفات) أو زعماء عشائر. لا يمكنني أن أقول أكثر من هذا أيتها (الآيز سيداي)».

واصلت (فيرين) التحديق إليه وهي تزم شفيتها.

رفع (يورين) بصره إلى السماء كأنها يحاول أن يتذكرها، ثم قال: «هل ستقتليني الآن أيتها (الآيز سيداي)؟».

رمرت بعينها وقالت: «ماذا؟».

«هل ستقتليني الآن؟ إحدى النبوءات القديمة تقول إننا إن خذلنا (الآيز سيداي) مرة أخرى فسيقتلنا. أنا أعرف أن قوتك أعظم من قوة (العارفات)». ضحك الآيلي فجأة بلا مرح، وكان هناك بريق جامح في عينيه. «فلتجلبى صواعقك أيتها (الآيز سيداي)، سأرقص معها».

إن الآيلي يعتقد أنه على وشك الموت ومع ذلك لم يكن خائفًا. أدرك (بيرين) أن فمه مفتوح فأغلقه بقوة. تمتعت (فيرين) وهي تحديق إلى (يورين): «سأدفع أي ثمن لأجعلك تأتي إلى (البرج الأبيض)، أو على الأقل لأن تكون مستعدًا للحديث. كف عن التملل يا رجل، أنا لن أؤذيك، ما لم تكن تنوي إيذائي بحديثك عن الرقص».

بدا (يورين) مذهولًا، نظر إلى الشايناريين الجالسين على صهوات أحصنتهم من حوله كما لو أنه يتوقع خدعة ما. قال ببطء: «أنت لست من (عذاروات الرمح). كيف يمكنني أن أضرب امرأة لم تتزوج الرمح؟ هذا محرم إلا للدفاع عن النفس، وسأقبل إصابتي بالجروح لتفادي هذا».

سألته: «لم أنت هنا بعيدًا غاية البعد عن أراضيك؟ لم جئت إلينا؟ كان بوسعك أن تبقى في الصخور وما كنا لنعرف بوجودك». تردد الآيلي فأضافت: «أخبرني فقط بما أنت راغب في قوله. أنا لا أعرف ما قد تفعله (عارفاتكم)، ولكنني لن أؤذيك، أو أحاول إجبارك».

قال (يورين) ساخرًا: «هذا ما تقوله (العارفات)، ولكن حتى زعماء العشائر يجب أن يكون لديهم إرادة قوية لتفادي فعل ما يردنه (العارفات)». بدا أنه ينتقي كلماته بحرص. «أنا أبحث عن... شخص ما، رجل». مرر بصره على (بيرين) و(مات) والشايناريين، ولكن يبدو أنه لم يجد بينهم من يبحث عنه. «(هذا الذي يأتي مع الفجر). يُقال إنه سيكون هناك إشارات عظيمة وتُذَر على مجيئه. لقد رأيت أنكم من (شاينار)، بناءً على دروع الجنود المرافقين لك. وكان لك مظهر (العارفة)، لذا فكرت أنه قد يكون لديك أخبار عن أحداث عظيمة، الأحداث التي قد تُنذر بمجيئه».

«رجل؟». كان صوت (فيرين) هادئًا، ولكن عينها كانتا حادتين كالخناجر. «ما هذه الإشارات؟».

هز (يورين) رأسه وقال: «يُقال إننا سنعرفها عندما نسمع بها، كما سنعرفه عندما نراه، فسوف يحمل العلامة. سيأتي من الغرب من وراء (فقار العالم)، ولكنه سيكون من دماثنا. سيذهب إلى (ريوديان)، ويقودنا خارج (الأرض ثلاثية الأوجه)». أخذ رجلاً من يده اليمنى فتعالى صرير الجلد والمعادن بينما الجنود يمدون أيديهم إلى سيوفهم، وأدرك (بيرين) أنه أمسك بفأسه مرة أخرى. ولكن (فيرين) أشارت لهم جميعاً أن يلزموا الصمت بنظرة منزعة. رسم (يورين) دائرة في التراب بنصل رحمة، ثم رسم عليها خط متعرج. «يُقال إنه سوف ينتصر تحت هذه العلامة».

عقد (إنجتار) حاجبيه وهو ينظر إلى الرمز، ولم يبدُ على وجهه أنه قد تعرف عليه، ولكن (مات) تتم بسبة هامة وشعر (بيرين) بحلقه جاف. الرمز القديم (للآيز سيدي).
محت (فيرين) العلامة بقدمها وقالت: «لا يمكنني أن أخبرك أين هو يا (يورين)، ولم أسمع عن أي إشارات أو نُذر قد ترشدك إليه».

«إذن فسوف أواصل بحثي». لم يكن سؤالاً، ومع ذلك انتظر (يورين) حتى أوامات برأسها قبل أن ينظر إلى الشاينارين بفخر وتحدّ، ثم أولاهم ظهره. مشى مبتعداً بسلاسة ثم اختفى بين الصخور دون أن ينظر ورائه.

بدأ بعض الجنود يتمتمون. قال (أونو) شيئاً من قبيل «آييلي لعين مجنون»، وقال (ماسيبا) متذمراً إنهم كان يتوجب عليهم أن يتركوا الآييلي للغربان.

قال (إنجتار) بصوت عالٍ: «لقد أضعنا وقتاً ثميناً. يجب أن نتحرك بوتيرة أسرع لتعويضه».

قالت (فيرين): «أجل، يجب أن نتحرك بوتيرة أسرع».

حدق (إنجتار) إليها، ولكن (الآيز سيدي) كانت تنظر إلى الأرض المبعثرة، حيث طمست قدمها الرمز. قال أمراً: «ترجلوا عن خيولكم، وضعوا الدروع على أحصنة البضائع، لقد صرنا بداخل (كايرين)، ولا نريد أن يظن الكايرينيون أننا جئنا لمحاربتهم. تحركوا بسرعة!».

انحنى (مات) ناحية (بيرين) وقال: «هل تعتقد...؟ هل تعتقد أنه كان يتحدث عن (راند)؟ أعرف أن هذا جنوني، ولكن حتى (إنجتار) يعتقد أنه آييلي».

قال (بيرين): «لا أعرف، كل شيء صار جنونياً منذ أن تورطنا مع (الآيز سيدي)».

تحدثت (فيرين) بصوت خافت كما لو أنها تحدثت نفسها وهي لا تزال تحديق إلى الأرض: «لا شك أن هذا جزء ولكن كيف؟ هل تنسج (عجلة الزمن) خيوطاً في (النمط) لا نعرف عنها شيئاً؟ أم أن (سيد الظلام) يلمس (النمط) مرة أخرى؟».

أحس (بيرين) بقشعريرة باردة.

نظرت (فيرين) إلى الجنود وهم يخلعون دروعهم، ثم قالت أمرة بحدة أكثر من حدة (إنجتار) وأونو مجتمعين: «أسرعوا! يجب أن نُسرع!».

الفصل التاسع والعشرون

شوننتشان

تجاهل (جيو فرام بورنهالد) رائحة البيوت المحترقة والجثث الملقاة في الشارع الترابي، ومن ورائه دخل القرية (بيار) وحرس يرتدون العباءات البيضاء قوامهم مئة رجل؛ نصف الرجال الذين كانوا معه. لقد تفرق فيلقه بشكل لا يعجبه، مع تعليمات (المستجوبين) الكثيرة. ولكن أوامره كانت واضحة؛ أطع (المستجوبين).

لم يواجههم هنا إلا مقاومة طفيفة، فلم تكن أعمدة الدخان تتصاعد إلا من ستة بيوت. رأى أن الحانة لا تزال منتصبة، أحجار تلمع بجص أبيض ككل المباني في (سهل ألوث).

جذب لجام حصانه أمام الحانة، ونقل عينيه من السجناء الذين يحتجزهم جنوده بالقرب من بئر القرية إلى المشنقة الطويلة التي تشوه ساحة القرية الخضراء. لقد صُنعت على عجلة، فلم تكن سوى عمود طويل على دعامات، ولكنه يحمل ثلاثين جثة، والنسيم يحرك ملابسهم. كان هناك جثث صغيرة متدلّية بين جثث الأكبر سنًا، حتى إن (بيار) حذر إلى هذا بعدم تصديق.

صاح: «(معاذ)!». ركض رجل أشيب مبتعدًا عن هؤلاء الذين يحتجزون السجناء. كان (معاذ) قد سقط في أيدي أصدقاء الظلام ذات مرة، لذا فإن وجهه المليء بالندوب يجعل حتى أشجع الشجعان يشعرون بالرهبة. «هل هذا صنيعةك يا (معاذ)، أم صنيع (الشوننتشان)؟».

«لا هذا ولا ذاك يا سيدي القائد». كان صوت (معاذ) عبارة عن همس أجش؛ أثر آخر من آثار أصدقاء الظلام. لم يقل أكثر من هذا.

عقد (بورنهالد) حاجبيه ثم قال وهو يشير إلى السجناء: «إنه بالتأكيد ليس من صنيع هؤلاء». لم يبدُ أبناء (النور) بنفس أنافتهم عندما جلبهم عبر (تارابون)، ولكنهم بالتأكيد بدوا مستعدين لتقديم موكب استعراضى مقارنة بالرعاع الرابضين تحت أعينهم المراقبة؛ رجال في أسمال بالية وقطع من الدروع بوجوه عابسة، بقايا الجيش الذي أرسلته (تارابون) ضد الغزاة في (تومان هيد).

تردد (معاذ) ثم قال بحذر: «يقول القرويون إنهم كانوا يرتدون عباءات تارابونية يا سيدي القائد. كان من بينهم رجل ضخم الجثة بعينين رماديتين وشارب طويل، يبدو كأنه توأم للابن (إيروين)، وشاب صغير يحاول أن يخفي وجهًا جميلًا وراء لحية صفراء، كان يقاتل بيده اليسرى ويبدو شبيهًا بالابن (وان) يا سيدي القائد».

قال (بورنهالد) بحدة: «(المستجوبون)!». كان (إيروين) و(وان) بين هؤلاء الذين كان عليه أن يسلمهم لإمرة (المستجوبين). لقد رأى أساليب (المستجوبين) من قبل، ولكن هذه هي المرة الأولى التي يضطر فيها لمواجهة جثث أطفال.

«إن كنت ترى هذا يا سيدي القائد». حاول (معاذ) أن يجعلها تبدو وكأنها موافقة محمومة.

قال (بورنهالد) في تعب: «أنزلوهم، وتيقنوا من أن يعرف القرويون أنه لن يكون هناك المزيد من القتل». ما لم يقرر أحمق أن يكون شجاعاً لأن امرأته تراقبه، وحينها سيكون عليّ أن أجعل منه عبرة لمن يعتبر. ترجل عن حصانه ونظر إلى السجناء مرة أخرى، بينما (معاذ) يسرع ليأمر بجلب السلام والسكاكين. كان لديه ما يجب أن يفكر فيه أكثر من حماسة (المستجوبين) الدينية المفرطة، تمنى لو أن بمقدوره أن يتوقف تمامًا عن التفكير في (المستجوبين).

قال (بيار): «إنهم لا يقاومون كثيرًا يا سيدي، سواء هؤلاء التارابونيون أو ما تبقى من الدومانين. إنهم يهاجمون كفئران محاصرة، ولكنهم يهربون بمجرد أن يهاجمهم أي شيء».

«دعنا نرى كيف سنبلي نحن ضد الغزاة يا (بيار) قبل أن ننظر بازدراء إلى هؤلاء الرجال، حسنًا؟». كانت أوجه السجناء تحمل نظرة مهزومة، مرتسمة من قبل مجيء رجاله. «دع (معاذ) يختار لي واحدًا منهم». كان وجه (معاذ) كافيًا لجعل عزيمة معظم الرجال تلين. «يُفضّل أن يكون ضابطًا، شخصًا ذكيًا بما يكفي ليخبرني بما رآه دون تجميل، وفي الوقت ذاته صغير السن بما يكفي لثلاثي يكون صعب المراس. أخبر (معاذ) ألا يكون رقيقًا حيال الأمر، حسنًا؟ دع الرجل يعتقد أنني سأفعل به ما يفوق كوابيسه بشاعة، ما لم يقنعني بعكس هذا». ألقى باللجام إلى أحد (الأبناء) وخطا إلى داخل الحانة.

على نحو عجيب كان صاحب الحانة لا يزال بالداخل، رجل متذلل يتصبب عرقًا وقميصه القذر مشدود على بطنه، حتى بدا أن التطريز الأحمر على وشك أن يتمزق. أشار (بورنهالد) إلى الرجل أن ينصرف، وكان مدرّكًا بشكل عابر لوجود امرأة وبعض الأطفال المنكمشين عند المدخل، حتى أخرجهم صاحب الحانة البدين.

انتزع (بورنهالد) قفازه وجلس إلى إحدى الطاولات. كان يعرف القليل عن الغزاة، الغرباء، هذا ما يطلقه عليهم الجميع، أو على الأقل هؤلاء الذين لا يثرثرون بشأن (أرتور هاوكوينج). كان يعرف أنهم يُطلقون على أنفسهم اسم (الشونتشان) و(الهايلين)، كان يعرف ما يكفي من اللغة القديمة ليعرف أن الكلمة الأخيرة تعني «هؤلاء الذين يأتون أولاً» أو «السابقين». إنهم يطلقون على أنفسهم أيضًا (الرياجيل)؛ «العائدين إلى الوطن»، ويتحدثون عن (الكورين)، أي «العودة»: يكاد هذا أن يكون كافيًا لجعله يصدق الحكايات عن عودة جيوش (أرتور هاوكوينج). لا أحد يعرف من أين جاء (الشونتشان)، باستثناء أنهم جاؤوا في سفن. إن طلب (بورنهالد) للحصول على معلومات من (قوم البحر) قد قوبل بالصمت، فلم تكن العلاقة جيدة بين (أمدور) و(الآثان مير). كل ما يعرفه عن (الشونتشان) قد سمعه من رجال مثل أولئك الذين في الخارج، رجال محطمين مهزومين يتحدثون بأعين متسعة وهم يتصببون عرقًا، عن رجال يخوضون المعارك وهم يمتطون الوحوش بقدر ما يمتطون الخيول، ويقاثلون إلى جانب الوحوش، وقد جلبوا (الآيز سيدي) لتمزيق الأرض تحت أقدام أعدائهم.

جاء صوت خطوات أقدام عند المدخل، فابتسم ابتسامة وحشية، ولكن (بيار) لم يكن بصحبة (معاذ). كان (ابن النور) الذي يقف إلى جانبه بظهر منتصب والخذوة تحت ذراعه المشني هو (جيرال)، الذي كان (بورنهالد) يتوقع أن يكون على بعد مئة ميل. كان الشاب يرتدي فوق عباءته عباءة على الطراز الدوماني، مزينة باللون الأزرق، وليست عباءة (أبناء النور) البيضاء.

قال (بيار): «(معاذ) يتحدث إلى شاب الآن يا سيدي، لقد جاء الابن (جيرال) للتو حاملاً رسالة». أشار (بورنهالد) إلى (جيرال) أن يتحدث.

لم يرتخ الشاب في وقفته، وتحدث وهو ينظر أمامه مباشرة: «التحيات من (جايتشيم كاريدين)، الذي يرشد (يد النور) في...».

قال (بورنهالد) مزجراً: «لا أحتاج إلى تحيات (المستجوب)». فرأى نظرة الشاب المدهشة. لا يزال (جيرال) صغيراً، ومع ذلك بدا (بيار) غير مرتاح أيضاً. «أنت هنا لتخبرني برسالتك، صحيح؟ لا داعي لأن تذكرها كلمة بكلمة ما لم أطلب هذا. أخبرني ببساطة ما الذي يريده».

(الابن) الذي كان على وشك أن يردد الرسالة ازدرد لعابه وقال: «سيدي القائد، إنه... يقول إنك تحرك عدداً كبيراً من الرجال بالقرب من (تومان هيد)، يقول إنه يجب استئصال أصدقاء الظلام في (سهل الموت)، وإن عليك - اغفر لي يا سيدي القائد - أن تعود في الحال وتتوجه إلى قلب السهل». ظل واقفاً منتصب الظهر وهو ينتظر.

تفحصه (بورنهالد)، كان غبار السهل يلطخ وجه (جيرال)، كما يلطخ عباءته وحذاءه. قال له (بورنهالد): «اذهب وكُل شيئاً. من المفترض أن يكون هناك ماء للاغتسال في أحد هذه البيوت، إن أردت هذا. عد إليّ بعد ساعة، لدي رسائل لكي تحملها». ثم أشار للشاب أن ينصرف.

قال (بيار) بعد رحيل (جيرال): «قد يكون (المستجوبون) محقين يا سيدي القائد، هناك الكثير من القرى المتناثرة في السهل، وأصدقاء الظلام...».

قاطعه (بورنهالد) بأن ضرب بيده على الطاولة ثم قال: «أي أصدقاء ظلام؟ لم أر أي شيء في أي قرية قد أمرنا بالاستيلاء عليها سوى المزارعين والحرفيين القلقين من أننا سنحرق سُبُل عيشهم، وعدد قليل من العجائز الذين يعتنن بالمرضى». كان وجه (بيار) نموذجاً مثاليّاً للوجه الخالي من التعبيرات، لطالما كان أكثر استعداداً من (بورنهالد) لرؤية أصدقاء الظلام. «الأطفال يا (بيار)، هل الأطفال هنا يصيرون أصدقاء ظلام؟».

قال (بيار) مقتبساً: «إن خطايا الأم يتحمل عواقبها خمسة أجيال، وخطايا الأب يتحمل عواقبها عشرة أجيال». ولكنه مع ذلك بدا غير مرتاح. حتى (بيار) لم يقتل طفلاً.

«ألم يخطر ببالك من قبل يا (بيار) أن تتساءل لم أمر (كاريدين) بإزالة رايتنا، وعباءات الرجال الذين يقودهم (المستجوبون)؟ حتى (المستجوبون) أنفسهم قد تخلوا عن اللون الأبيض، هذا يوحي بشيء ما،

صحيح؟».

قال (بيار) ببطء: «لا شك أن لديه أسبابه أيها القائد، لطالما كان لدى (المستجوبين) أسبابهم الخاصة، حتى لو لم يخبروا بقيتنا بها».

ذَكَرَ (بورنهالد) نفسه أن (بيار) جندي صالح. «(الأبناء) الذاهيين إلى الشمال يرتدون العباءات التارابونية يا (بيار)، وهؤلاء الذاهبون جنوبًا يرتدون العباءات الدومانية. لا يعجبني ما يوحي به هذا بالنسبة لي، أصدقاء الظلام موجودون هنا، ولكنهم في (فالبي) وليس في السهل. عندما يرحل (جيرال) فلن يرحل وحده، ستذهب الرسائل إلى كل مجموعة أعرف كيف أجدها من (أبناء النور). أنا أنوي أن آخذ الفيلق إلى (تومان هيد) يا (بيار)، لكي أرى ما الذي ينوي فعله أصدقاء الظلام الحقيقيون، هؤلاء (الشوننتشان)».

بدا (بيار) مضطربًا، ولكن قبل أن يتمكن من الحديث ظهر (معاذ) مع أحد السجناء. كان الشاب الذي يتصبب عرقًا ويرتدي درع صدر مزخرفًا باليًا ينظر بخوف إلى وجه (معاذ) البشع.

استل (بورنهالد) خنجره وبدأ في تقليم أظافره. لم يفهم قط لم يجعل هذا بعض الرجال يتوترون، ولكنه مع ذلك يستخدم هذا الأسلوب. حتى ابتسامته التي تشبه ابتسامه جد طيب جعلت وجه السجين القذر يمتنع. «الآن أيها الشاب ستخبرني بكل ما تعرفه عن هؤلاء الغرباء، أليس كذلك؟ إن كنت بحاجة للتفكير فيما ستقوله فسأعيدك مع الابن (معاذ) لكي تفكر في الأمر».

نظر السجين بعينين متسعيتين إلى (معاذ) ثم بدأت الكلمات تتدفق من فمه.

كانت الأمواج العالية في (محيط آريث) تجعل (سبراي) تتمايل، ولكن (دومون) باعد ما بين قدميه ليوازن نفسه، بينما يضع على عينه منظارًا مقربًا طويلًا وهو يتفحص السفينة الضخمة التي تلاحقهم وتقرب منهم ببطء. لم تكن الرياح حيث تجري (سبراي) هي الأفضل أو الأقوى، ولكن حيث تضرب السفينة الأخرى الأمواج مقدمتها الشاخمة وتحولها إلى جبال من الزبد لم تكن الرياح لتهب بشكل أفضل. كان الخط الساحلي (لتومان هيد) يلوح في الأفق شرقًا. منحدرات داكنة وشرائط ضيقة من الرمل. لم يكن يبالي بأن يأخذ (سبراي) بعيدًا إلى هذا الحد، ولكنه الآن يخشى أنه قد يدفع ثمن هذا.

قال (يارين) وهو يتصبب عرقًا: «أهم الغرباء أيها القبطان؟ هل هذه هي سفينة الغرباء؟».

أنزل (دومون) المنظار المقرب، ولكن عينه لا تزال مليئة بتلك السفينة الطويلة مربعة الشكل، بأشرعتها المضلعة الغريبة. قال: «(الشوننتشان)». فسمع (يارين) يتأوه. ضرب بأصابعه الغليظة على سور السفينة ثم قال لقائد الدفة: «خذ السفينة بالقرب من الساحل، هذه السفينة لن تجرؤ على دخول المياه الضحلة التي تقدر (سبراي) على الإبحار فيها».

صاح (يارين) بالأوامر، فركض أفراد الطاقم لجذب الروافع، بينما قائد الدفة يجذب ذراع الدفة ليووجه مقدمة السفينة ناحية الخط الساحلي. تحركت (سبراي) ببطء أكثر وهي تصير في مواجهة الرياح، ولكن

(دومون) كان متيقناً من أنه قادر على الوصول إلى المياه الضحلة، قبل أن تصل إليه السفينة الأخرى. حتى ومخازن البضائع بالسفينة ممتلئة لا تزال قادرة على الإبحار في مياه أكثر ضحالة مما يمكن أن تحمله تلك السفينة الضخمة.

كانت سفينته مرتفعة في الماء أكثر مما كانت عليه أثناء الإبحار من (تانتشيكو)، لقد اختفى ثلث حمولة الألعاب النارية التي أخذها هناك، فقد بيعت في قرى الصيد في (تومان هيد)، ولكن مع الفضة التي تدفقت من بيع الألعاب النارية جاءت تقارير مثيرة للاضطراب، الناس يتحدثون عن سفن غزاة طويلة مكعبة الشكل. عندما رست سفن (الشوننتشان) قبالة الساحل فإن القرويين الذين هياؤوا أنفسهم للدفاع عن ديارهم مزقتهم صواعق السماء، بينما القوارب الصغيرة لا تزال تأخذ الغزاة إلى الشاطئ، وانفجرت الأرض بالنيران من تحت أقدامهم. ظن (دومون) أن ما سمعه هراء، حتى رأى الأرض المسودة، وقد رآها في قرى عديدة بما لم يدع مجالاً للشك. قال القرويون إن الوحوش كانت تقاتل إلى جانب جنود (الشوننتشان)، رغم أنه لم يتبق الكثير من المقاومة، بل ادعى البعض أن (الشوننتشان) أنفسهم وحوش برؤوس كحشرات ضخمة.

في (تانتشيكو) لم يكن أحد يعرف حتى ما الذي يطلقونه على أنفسهم، وتحدث التارابونيون بثقة عن جنودهم الذين يدفعون الغزاة إلى البحر، ولكن الأمر كان مختلفاً في كل بلدة ساحلية. أخبر (الشوننتشان) الأناس المذهولين بأن عليهم أن يُقسموا من جديد بالعهد التي هجروها، رغم أنهم لم يشرحوا متى قد تخلوا عنها أو ما كانت تعنيه هذه العهود. لقد أخذوا الشابات واحدة تلو الأخرى لفحصهن، وبعضهن قد حملن على متن السفن ولم يرهن أحد مرة أخرى. بعض النسوة العجائز قد اختفين أيضاً، بعض من (المرشدات) و(الشافيات). لقد اختار (الشوننتشان) عمداً جدد و(مجالس) جديدة، وأياً كان من يحتاج على اختفاء النسوة أو أنه ليس له صوت في الاختيار فقد يُشنق أو يشتعل فجأة باللهب أو يُنحى جانباً ككلب نابح، ولم يكن هناك طريقة لمعرفة ما سيحدث له إلا بعد فوات الأوان.

وعندما صار الناس خائفين تماماً، عندما أُجبروا على الركوع والقسم، وهم في حيرة من أمرهم، لإطاعة (السابقين) وانتظار (العودة) وخدمة (العائدين إلى الوطن) بحياتهم، أبحر (الشوننتشان) بعيداً، وعادة لا يعودون مرة أخرى. قيل إن (فالمي) هي البلدة الوحيدة التي صمدت.

في بعض القرى التي تركوها كان الرجال والنساء يعودون إلى حياتهم السابقة ببطء، إلى حد الحديث عن انتخاب (مجالسهم) مرة أخرى، ولكن معظمهم كانوا ينظرون إلى البحر في توتر، ويحتجون بوجه ممتنع بأن عليهم الالتزام بالعهد التي أقسموا عليها حتى لو لم يفهموها.

لم يكن لدى (دومون) أي نية لمقابلة أي واحد من (الشوننتشان) إن كان قادراً على تجنب هذا. رفع المنظار ليرى ما يمكنه تمييزه من سطح سفينة (الشوننتشان) المقتربة، عندما انفجر سطح البحر في نافورة من الماء بصوت زئير، وتصاعد اللهب على بعد مئة خطوة من الجانب الأيسر. قبل حتى أن يفغر فمه

شقَّ البحر عمود آخر من اللهب على الجانب الأيمن. كانت الانفجارات تُحمد بالسرعة نفسها التي تولد بها، ويتناثر منها الرذاذ على سطح السفينة. وفي الموضع التي كانت فيه يبقب البحر ويتصاعد منه البخار كما لو أنه يغلي.

قال (يارين) ببطء: «نحن... سنصل إلى المياه الضحلة قبل أن يتمكنوا من اللحاق بنا». بدا أنه يحاول ألا ينظر إلى الماء الذي يموج تحت سحب من الضباب.

هز (دومون) رأسه وقال: «أيًا كان ما فعلوه فيمكنهم تخطيطنا حتى لو أخذت السفينة إلى الشاطئ». ارتجف وهو يفكر في اللهب بداخل نوافير المياه، ومخازنه المليئة بالألعاب النارية. «بحق الحظ، ربما لن نضل على قيد الحياة حتى نغرق». جذب لحيته وفرك شفته العليا الحليقة مترددًا في إعطاء الأوامر - السفينة وما تحويه هي كل ما يملكه في العالم - ولكنه أخيرًا أجبر نفسه على الحديث: «خذ السفينة إلى الرياح يا (يارين)، وأنزل الأشرعة. بسرعة يا رجل، بسرعة! قبل أن يعتقدوا أننا ما زلنا نحاول الهرب».

بينما أفراد الطاقم يسرعون لإنزال الأشرعة المثلثة استدار (دومون) ليراقب سفينة (الشوننتشان) وهي تقترب. تباطأت سرعة (سبراي) وتمايلت في الأمواج. كانت السفينة الأخرى تعلو فوق الماء أكثر من سفينة (دومون)، بأبراج خشبية في المقدمة والمؤخرة. كان هناك رجال يجذبون الحبال لرفع تلك الأشرعة الغربية، وأشخاص يرتدون الدروع ويقفون فوق الأبراج. أنزل قارب طويل من الجانب، وأسرع متوجهًا نحو (سبراي) باستخدام عشرة مجاديف. كان يحمل أشخاصًا مدرعين، ثم عقد (دومون) حاجبيه في دهشة عندما رأى امرأتين جالستين في المؤخرة. ارتطم القارب الطويل بهيكل (سبراي).

كان أول من تسلق واحدًا من الأفراد المدرعين، فعرف (دومون) على الفور لم يزعم بعض القرويين أن (الشوننتشان) أنفسمهم وحوش. كانت الخوذة تشبه إلى حد كبير رأس حشرة وحشية، مع ريش أحمر رفيع أشبه بقرون استشعار، ويبدو مرتدي الخوذة وكأنه ينظر من بين فكي هذه الحشرة. كانت مطلية ومذهبة لمضاعفة التأثير، وبقية دروع الرجل أيضًا مطلية ومذهبة. يغطي صدره صفائح معدنية متداخلة باللونين الأسود والأحمر، ومحددة بالذهب، وتمتد إلى الجزء الخارجي من ذراعيه ومقدمة فخذه. حتى ظهرها قفازيه الفولاذيين كانا حمراوين وذهبيين. ورغم أنه لم يكن يرتدي المعدن فإن ملابسه كانت من الجلد الداكن، وعلى ظهره سيف يُمسك بيدين بنصل منحني وموضوعًا في غمده، والمقبض مغطى بجلد أسود وأحمر.

انتزع المدرع خوذته فحذق (دومون)، كانت امرأة، شعرها الأسود قصير ووجهها حاد القسبات، ولكن لا شك في الأمر. لم يسمع عن شيء مثل هذا من قبل إلا بين الآيليين، والآيليون معروفون بأنهم مجانيين. والمقلق بنفس القدر هو حقيقة أن وجهها لم يكن مختلفًا كما توقع من واحدة من (الشوننتشان). صحيح أن عينيها زرقاوان وبشرتها بيضاء بشكل استثنائي ولكنه قد رأى هذين الأمرين من قبل. إن ارتدت هذه المرأة فستأنا فلن يلتفت إليها أحد. نظر إليها مرة أخرى ثم غير رأيه، هذه النظرة الباردة وهاتان الوجتتان الصارمتان ستجعلانها لافتة للأنظار في أي مكان.

لحق الجنود الآخرين بالمرأة إلى سطح السفينة، وقد شعر (دومون) بالارتياح عندما رأى أن بعضهم على الأقل - عندما خلعوا خوذاتهم الغريبة - كانوا رجالاً، رجالاً بأعين سوداء أو بنية يمكن ألا يلاحظهم أحد في (تانتشيكو) أو (إليان). راودته رؤية عن جيوش من نسوة بأعين زرقاء يحملن سيوفاً. فكّر في (آيز سيدي) يحملن سيوفاً وهو يتذكر انفجار البحر.

تفحصت المرأة الشونتشانية السفينة بغطسة ثم اختارت (دومون) باعتباره قبطان، لا شك أنه هو القبطان أو (يارين)، بالحكم على ملابسها. ولكن الطريقة التي كان يغلق بها (يارين) عينيه وهو يتمتم بصلوات خافتة جعلتها تستبعده، فحدقت إلى (دومون) بنظرة ثاقبة.

«هل هناك أي نساء بين أفراد طاقمك أو الركاب؟». كانت تتحدث بكلمات مدغمة بعض الشيء، مما يجعل من الصعب فهمها، ولكن كان هناك حدة في صوتها تشي بأنها معتادة على تلقي الإجابات. «تحدث أيها الرجل إن كنت القبطان، إن لم تكن فأيقظ ذلك الأحمق الآخر وأخبره أن يتكلم».

قال (دومون) بحذر: «أنا القبطان يا سيدي». لم يكن لديه أدنى فكرة كيف يخاطبها، ولم يرغب في أن يخمن بشكل خاطئ. «ليس لديّ ركاب، ولا يوجد نساء في طاقمي». فكر في الفتيات والنساء اللاتي قد اختطفن، وتساءل - كما تساءل مراراً من قبل - عما يريده أولئك القوم منهن.

جاءت المرأتان اللتان ترتديان ثياباً أنثوية من القارب الطويل، ثم رمش (دومون) بعينه عندما أدرك أن إحداهما تجر الأخرى بلجام من معدن فضي، بينما تصعدان على متن السفينة. كان اللجام يمتد من سوار ترتديه المرأة الأولى إلى طوق حول عنق الثانية. لم يستطع أن يعرف إذا ما كان منسوجاً أم موصولاً بعضه ببعض - لقد بدا أنه الأمران على نحو ما - ولكنه بدا من نفس معدن السوار والطوق. جمعت المرأة الأولى اللجام في حلقات، بينما الأخرى تصعد على سطح السفينة. كانت المرأة التي يحيط الطوق بعنقها ترتدي ملابس رمادية بسيطة، وتقف بيدين مطويتين وعيناها على ألواح السفينة تحت قدميها، أما الأخرى فترتدي فستاناً أزرق به أجزاء حمراء عليها صواعق فضية متشعبة على صدرها وجانبي تنورتها التي تصل إلى ما قبل كاحلي حذائها. راح (دومون) ينظر إلى المرأتين في قلق.

قالت المرأة ذات العينين الزرقاوين ولكنها المدغمة: «تحدث ببطء يا رجل». لقد صعدت على سطح السفينة لتواجهه، وحدقت لأعلى لتنظر إلى عينيه، ولكنها بطريقة ما بدت أطول وأضخم منه. «إن فهمك أصعب حتى من فهم بقية الناس في تلك الأرض التي هجرها (النور). لا أزعم أنني من (الدماء)، ليس بعد، ولكن بعد (الكورين)... أنا القبطان (إيجانين)».

كرر (دومون) ما قاله محاولاً أن يتحدث ببطء، ثم أضاف: «أنا مجرد تاجر مسالم أيتها القبطان، لا أقصد إيذاءك ولست جزءاً من حربكم». لم يستطع منع نفسه من النظر مرة أخرى إلى المرأتين اللتين يربطهما اللجام.

قالت (إيجانين) مفكرة: «تاجر مسلم؟ في هذه الحالة سيكون لك الحرية في الذهاب بمجرد أن تقسم بالولاء مرة أخرى». لاحظت نظراته فالتفتت لتتأمل إلى المرأتين مبتسمة بفخر الملكية. «هل تعجبك (الداماني) الخاصة بي؟ لقد كلفتني ثروة باهظة، ولكنها تستحق كل عملة دفعتها. قليل من النبلاء يمتلكون (داماني)، ومعظمهم ملك للعرش. إنها قوية أيها التاجر، كان بمقدورها أن تحطم سفيتك إلى شظايا لو أنني أردت هذا».

حدق (دومون) إلى المرأة واللجام الفضي. كان قد ربط ما بين المرأة التي ترتدي الصواعق بالنوافير النارية في البحر، وافترض أنها (آيز سيدي). ولكن (إيجانين) جعلت رأسه يدور. لا يمكن لأحد أن يفعل هذا... «إنها (آيز سيدي)؟». قالها في عدم تصديق.

لم يرَ صفتها بظهر يدها وهي تهوي عليه. تعثر عندما شق قفازها الفولاذي شفته. قالت (إيجانين) بهدوء خطير: «هذا الاسم لا يجب النطق به أبدًا، إنهن (الداماني) فحسب، (الملجومات)، وهن الآن يخدمن حقيقة لا اسمًا فقط». جعلت عيناها الجليد يبدو دافئًا.

ابتلع (دومون) الدماء وأبقى قبضتيه مضمومتين على جانبيه. لو كان يحمل سيفًا في يده لما قاد طاقمه في مذبحه ضد دزينة من الجنود المدرعين، ولكنه بذل مجهودًا لجعل صوته متواضعًا. «أنا لم أقصد إهانة أيتها القبطان، أنا لا أعرف شيئًا عنكم أو عن عاداتكم، إن كان هناك أي إهانة فهي عن جهل لا عن عمد».

نظرت إليه ثم قالت: «أنتم جميعًا جهلاء أيها القبطان، ولكنكم ستسدون دين أسلافكم. هذه الأرض كانت ملكًا لنا، وستصير ملكًا لنا مرة أخرى مع (العودة)». لم يعرف (دومون) ماذا يجب أن يقول - إنها بالتأكيد لا تعني أن هذه الثروة بشأن (أرتور هاوكوينج) حقيقة؟ - لذا أبقى فمه مغلقًا. «ستبحر بسفيتك إلى (فالمي)». حاول أن يعترض ولكن نظرتها أخرسته. «حيث ستفحص أنت وسفيتك، إن لم تكن أكثر من تاجر مسلم كما تزعم فسيُسمح لك بالذهاب حرًا بعد أن تقسم بالعهود».

«العهود أيتها القبطان؟ أي عهود؟».

«أن تطيع، وأن تنتظر، وأن تخدم. كان يجب على أسلافك أن يتذكروا هذا».

جمعت كل تابعيها - باستثناء رجل في درع بسيط مميّزه بأنه ذو رتبة منخفضة تمامًا قدر انخفاض انحناءته للقبطان (إيجانين) - وأبحر بهم قاربهم الطويل ناحية سفينتهم الضخمة. لم يُصدر الشوننتشاني المتبقي أي أوامر، بل جلس معقود الساقين على سطح السفينة، وبدأ يشحذ سيفه بينما أفراد الطاقم يجذبون الأشرعة وينطلقون في طريقهم. يبدو أنه لا يخشى كونه وحيدًا، و(دومون) بنفسه سيُلقي في البحر أي فرد من أفراد الطاقم يحاول أن يمد يده عليه، فيينا (سبراي) تبحر على طول الساحل كانت السفينة الشوننتشانية تلحق بهم في المياه الأعماق. كان هناك مسافة ميل بين السفينتين، ولكن (دومون) يعرف أنه لا أمل في الهرب، وكان ينوي أن يعيد الرجل إلى القبطان (إيجانين) بأمان كما لو أنه كان مُهددًا بين ذراعي أمه.

كان الطريق طويلاً إلى (فالبي)، وأخيراً استطاع (دومون) أن يقنع الشونتشاني بالحديث قليلاً. كان رجلاً بعينين سوداوين في منتصف العمر بندية قديمة فوق عينيه وأخرى على ذقنه، وكان اسمه (كابان)، ولا يشعر سوى بالازدراء تجاه أي شخص على هذا الجانب من (محيط آريث). هذا جعل (دومون) يفكر للحظة؛ ربما يكونون حقاً... لا، هذا جنون. كان حديث (كابان) مدغماً مثل (إيجانين)، ولكن في حين كان حديثها مثل حرير ينزلق على معدن كان حديثه جلدًا يحتك بصخر، وكان يرغب معظم الوقت في أن يتحدث عن المعارك والشراب والنسوة اللاتي عرفهن. معظم الوقت لم يكن (دومون) متيقناً إذا كان يتحدث عما يحدث في الوقت الحاضر أم عن المكان الذي جاء منه أينما كان. من المؤكد أن الرجل لم يكن صريحاً بشأن أي شيء يريد (دومون) معرفته.

ذات مرة سأله (دومون) عن (الداماني). مد (كابان) يده من حيث يجلس أمام قائد الدفة ووضع ذباب سيفه على حلق (دومون). «انتبه لما يلمسه لسانك وإلا فستفقدته، هذا شأن (الدماء)، وليس شأن بني جنسك، ولا شأني». ابتسم بينما يقول هذا وحالما انتهى عاد ليمرر الحجر على نصله الثقيل المنحني. لمس (دومون) نقطة الدماء التي تتشكل فوق ياقته وقرر أنه على الأقل لن يسأل عن هذا مرة أخرى. مع اقتراب السفينتين من (فالبي) ازداد عدد السفن الشونتشانية مكعبة الشكل التي يمرون بها، بعضها كان مبحراً، وبعضها راسية، ولكن جميعها كانت بمقدمة منتفخة وذات أبراج، وأكبر من أي سفينة قد رآها (دومون) من قبل حتى بين (قوم البحر). رأى عدداً قليلاً من المراكب المحلية بمقدماتها الحادة، وأشرعتها المائلة، تندفع عبر الأمواج الخضراء. منحه هذا المشهد بعض الثقة في أن (إيجانين) قد أصدقته القول بشأن تركه يذهب حرّاً.

عندما وصلت (سبراي) إلى لسان اليابسة المقامة عليه (فالبي) فغر (دومون) فمه وهو يحدق إلى أعداد السفن الشونتشانية الراسية في الميناء. حاول أن يحصي عددها، واستسلم عند المئة، بعدما أحصى أقل من نصفها. لقد رأى مثل هذا العدد الكبير من السفن في مكان واحد من قبل - في (إليان) و(تير) وحتى (تانتشيكو) - ولكن هذه السفن كانت تضم عدداً كبيراً من المركبات الأصغر حجماً. راح يغمغم في وجوم بينما (سبراي) ترسو في الميناء، تحت توجيه السفينة الشونتشانية العظيمة.

كانت (فالبي) مقامة على قطعة من اليابسة عند طرف (تومان هيد)، فلم يكن هناك أي شيء غربها سوى (محيط آريث). تمتد المنحدرات العالية عند مدخل الميناء على كلا الجانبين. وفوق كل واحدة من هذه المنحدرات تنتصب أبراج (مراقبي الأمواج)، حيث يكون على كل سفينة تدخل الميناء أن تمر من تحتها. كان هناك قفص معلق على جانب أحد الأبراج، يجلس فيه رجل يائس، وتتدلى ساقاه من بين القضبان. تساءل (دومون): «من هذا؟».

تحلى (كابان) أخيراً عن شحذ سيفه بعد أن بدأ (دومون) يتساءل إذا ما كان ينوي أن يخلق ذقنه به. نظر الشونتشاني إلى حيث يشير (دومون) ثم قال: «أوه، هذا هو (المراقب الأول)، ليس الشخص الذي كان

يجلس في الكرسي عندما جئنا بالطبع، في كل مرة يموت يختارون واحدًا آخر فنضعه في القفص». سأله (دومون): «ولكن لماذا؟».

أظهرت ابتسامة (كابان) العديد من الأسنان ثم قال: «إنهم يراقبون محترزين من الأشياء الخاطئة، ونسوا ما كان عليهم أن يتذكروه».

أبعد (دومون) عينيه عن الشونتشاني. انزلقت (سبراي) متجاوزة آخر الأمواج البحرية إلى مياه الميناء الأكثر هدوءًا. أنا تاجر وهذا ليس من شأني.

تبرز (فالمي) من الموانئ الحجرية إلى المنحدرات أعلى سفوح الغور الذي يشكل الميناء، لم يستطع (دومون) أن يقرر إذا ما كانت البيوت الحجرية الداكنة تشكل بلدة كبيرة أم مدينة صغيرة. ومن المؤكد أنه لم يرَ فيها أي مبنى ينافس أصغر قصر في (إليان).

وجّه (سبراي) إلى مكان في أحد الأرصفة، وبينما أفراد طاقمه يربطون حبال رسو السفينة بسرعة تساءل إذا ما كان (الشونتشان) قد يشترى بعض الألعاب النارية التي في حوزته. هذا ليس من شأني.

لدهشته رأى (إيجانين) تذهب إلى الرصيف في قارب بصحبة (الداماني) الخاصة بها، كان هناك امرأة أخرى ترتدي السوار هذه المرة، مع نفس الأجزاء الحمراء والبرق المتشعب على فستانها، ولكن (الداماني) كانت نفس المرأة ذات الوجه الحزين التي لا ترفع بصرها ما لم يتحدث أحد إليها. أمرت (إيجانين) (دومون) بأن يهبط هو وطاقمه من السفينة ليجلسوا على الرصيف تحت رقابة اثنين من جنودها. يبدو أنها لم تعتقد أنها بحاجة إلى المزيد، ولم يكن (دومون) ليجادل بشأن الأمر - بينما الآخرون يفتشون (سبراي) تحت توجيهاتها. كانت (الداماني) جزءًا من فريق التفتيش.

بالأسفل على الرصيف ظهر شيء ما، لم يستطع (دومون) أن يجد طريقة أخرى لوصفه؛ مخلوق ضخمة، بجلد أخضر رمادي، وفم شبيه بالمنقار على رأس شبيه بالوتد، وله ثلاث أعين. إلى جانبه يمشي رجل يرتدي درعًا مرسوم عليه ثلاث أعين، تمامًا مثل أعين المخلوق. كان السكان المحليون وعمال الرصيف والبحارة في قمصان مطرزة وسترات طويلة تصل إلى ركبهم يتعدون عندما يمر الرجل والمخلوق، ولكن لم يبال أي شونتشاني بالنظر إليهما. بدا أن الرجل يوجه الوحش بإشارات اليد.

انعطف الرجل والمخلوق بين المباني، تاركين (دومون) يحرق وأفراد طاقمه يتمتمون لأنفسهم. نظر إليهم الحارسان الشونتشانيان في سخرية وصمت. ذكر (دومون) نفسه؛ هذا ليس من شأني. إن شأنه هو سفينته. كان الهواء به رائحة القار والماء المالح المألوفة. تملل في توتر على الحجر الساخن بفعل الشمس، وتساءل ما الذي يبحث عنه (الشونتشان)، ما الذي تبحث عنه (الداماني)، تساءل عن طبيعة ذلك الشيء. صرخت النوارس وهي تحوم فوق الميناء. فكر في الأصوات التي قد يصدرها رجل محبوس في قفص. هذا ليس من شأني.

في النهاية اقتادت (إيجانين) الآخرين عائدة إلى الرصيف. لاحظ (دومون) بحذر أن القبطان الشونتشاني يحمل شيئًا ملفوفًا بقطعة من الحرير الأصفر، شيئًا صغيرًا بما يكفي لأن تحمله بيد واحدة، ولكنها تحمله

بعناية بكلتا يديها. نهض واقفاً على قدميه ببطء لكيلا يثير حفيظة الجنديين، رغم أن أعينها تحمل الازدراء نفسه الذي يحمله (كابان). «هل رأيت أيتها القبطان؟ أنا مجرد تاجر مسالم، ربما قد يرغب قومك في شراء بعض الألعاب النارية».

«ربما أيها التاجر». كان هناك هالة حياها من الإثارة المكبوتة، مما جعله يشعر بعدم الارتياح، وكلماتها التالية ضاعفت من هذا الشعور. «سوف تأتي معي».

أخبرت الجنديين أن يصحباها فدفعا أحدهما (دومون) لكي يبدأ في المشي. لم تكن ضربة قاسية، ولكن (دومون) قد رأى مزارعين يدفعون بقرة بالطريقة نفسها لكي تبدأ في الحركة. جز على أسنانه وهو يلحق (بإيجانين).

كان الشارع المرصوف بالحجر يصعد المنحدر تاركاً رائحة الميناء وراءه. صارت البيوت ذات الأسطح الأردوازية أكبر وأطول مع التقدم عبر الشارع. من المدهش بالنسبة لبلدة قد استولى عليها الغزاة أن الشوارع كان بها عدد من السكان المحليين أكثر من الجنود (الشوننتشان)، ومن آن لآخر يمر هودج يحمله رجال عراة الصدور. يبدو أن الفالمين يعيشون حياتهم كما لو أن (الشوننتشان) غير موجودين، أو كانوا هكذا بالكاد. عندما يمر الهودج أو الجنود فإن الفقراء الذين لديهم خط أو اثنين فقط من التطريز على ملابسهم المتسخة والأغنياء بستراتهم وقمصانهم وفساتينهم المطرزة من الكتف إلى الخصر بأنماط معقدة يقفون منحنيين على حد سواء حتى ينصرف الشوننتشانيون. لقد فعلوا الشيء ذاته مع (دومون) وحرسه، ولم تبال (إيجانين) أو جندياها حتى بالالتفات إليهم.

أدرك (دومون) في صدمة أن بعض السكان المحليين الذي مروا بهم يضعون خناجر في أحزمتهم، وفي حالات قليلة سيوفاً. كان مندهشاً للغاية حتى إنه تحدث من دون تفكير: «هل بعضهم إلى جانبكم؟». عقدت (إيجانين) حاجبها وهي تنظر إليه من فوق كتفها وقد بدت عليها الحيرة بوضوح، ودون أن تُبطئ نظرت إلى الناس ثم أومأت برأسها إلى نفسها وقالت: «أنت تقصد السيوف. إنهم أناسنا الآن أيها التاجر، لقد أقسموا بالعهود». توقفت فجأة، وأشارت إلى رجل طويل القامة عريض المنكبين يرتدي سترة مطرزة بكثافة، ويتدلى سيف من حزامه الجلدي البسيط. «أنت».

توقف الرجل في موضعه وإحدى قدميه لا تزال في الهواء، وقد ارتسمت نظرة خائفة فجأة على وجهه، لقد كان وجهه صارماً ولكنه بدا كما لو أنه يرغب في الهرب، وبدلاً من ذلك التفت إليها وانحنى واضعاً يديه على ركبتيه، ومثبتاً عينيه على حذاءها. سأها بصوت متوتر: «كيف يمكنني أن أخدمك أيتها القبطان؟».

قالت (إيجانين): «أنت تاجر؟ هل أقسمت بالعهود؟».

«أجل أيتها القبطان، أجل». لم يبعد عينيه عن قدميها.

«ماذا ستقول للناس عندما تأخذ عرباتك إلى الأراضي الداخلية؟».

«أن عليهم إطاعة (السابقين) أيتها القبطان، وأن ينتظروا (العودة)، وأن يخدموا (العائدين إلى الوطن)».

«ولا تفكر مطلقاً في استخدام هذا السيف ضدنا؟».

ابيضت مفاصل يدي الرجل وهو قابض على ركبتيه وتحدث كما لو أنه يتصبب عرقاً: «لقد أقسمت بالعهود أيتها القبطان، أنا أطيع وأنتظر وأخدم».

قالت (إيجانين) وهي تلتفت إلى (دومون): «هل رأيت؟ لا حاجة لحرمانهم من الأسلحة. يجب أن يكون هناك تجارة، ويجب على التجار حماية أنفسهم من قطاع الطرق. نحن نسمح للناس بأن يذهبوا ويحيثوا كما يحلو لهم، ما دام أنهم يطيعون وينتظرون ويخدمون. لقد حث أسلافهم بالعهود، ولكن هؤلاء قد تعلموا الدرس بشكل أفضل». واصلت السير صاعدة التل، فدفع الجنديان (دومون) من ورائها.

نظر إلى الوراء ناحية التاجر، ظل الرجل منحنياً حتى قطعت (إيجانين) عشر خطوات عبر الشارع، ثم نصب قامته وأسرع في الاتجاه الآخر وهو يقفز عبر الشارع المنحدر. لم تبال (إيجانين) وحرسه بالنظر حولهم أيضاً عندما مرت بهم فرقة من (الشوننتشان) صاعدين الشارع. كان الجنود يمتطون مخلوقات تبدو أشبه بقطط بحجم خيول، ولكن لها حراشف كحراشف العظايا تلمع بلون برونزي من تحت سروجها. كانت مخالب أقدامها تشبث بأحجار الرصف. التفت رأس بثلاث أعين لينظر إلى (دومون) بينما الفرقة تصعد الشارع إلى جانبه. وباستثناء كل شيء آخر بدت أنها تسبر أغواره، مما جعل (دومون) يشعر بالاضطراب. تعثر وكاد أن يسقط. على طول الشارع كان الفالميون يلصقون أجسادهم بمقدمات المباني، وبعضهم قد أغلقوا أعينهم. لم يُعرهم (الشوننتشان) أدنى انتباه.

فهم (دومون) لم يسمح (الشوننتشان) للناس بهذا القدر من الحرية. تساءل إن كان سيملك ما يكفي من الشجاعة للمقاومة. (الداماني). الوحوش. تساءل إن كان هناك شيء يمكن أن يمنع (الشوننتشان) من الزحف على طول الطريق إلى (فقار العالم). ذكر نفسه بقسوة؛ هذا ليس من شأني. وفكر إذا ما كان هناك أي طريقة لتجنب (الشوننتشان) في تجارته المستقبلية.

وصلوا إلى أعلى المنحدر حيث تُفسح البلدة المجال للتلال. لم يكن هناك أي أسوار للبلدة. أمامهم كانت الحانات التي تخدم التجار الذين يتاجرون مع الأراضي الداخلية، وساحات للعربات وإسطبلات. كانت البيوت هنا لتمثل قصوراً معقولة لصغار اللوردات في (إليان)، ويتمتع أكبرها بشرف وجود حرس من الجنود (الشوننتشان) في المقدمة، ومن فوقه تحفق راية بحواف زرقاء تحمل صقراً ذهبياً يسط جناحيه. سلّمت (إيجانين) سيفها وخنجرها قبل أن تأخذ (دومون) إلى الداخل. بقي الجنديان في الشارع. بدأ (دومون) يتصبب عرقاً، لقد اشتم رائحة لورد في هذا الأمر، لم يكن من الجيد التعامل مع لورد على أرضه.

في البهو الأمامي تركت (إيجانين) (دومون) عند الباب وتحدثت مع خادم، رجل محلي بالحكم على الكُمّين الكاملين لقميصه والتطريز اللولبي على صدره. خُيّل إليه أنه سمع كلمتي «السيد السامي». أسرع الخادم مبتعداً قبل أن يعود أخيراً ليصطحبها إلى ما كان بالتأكيد أكبر حجرة في البيت. لقد أزيلت منها كل قطع

الأثاث حتى السجاد وُصِّقلت الأرضية الحجرية حتى صارت تبرق بشكل لامع. كان هناك ألواح قابلة للطي، مرسوم عليها مشاهد لطيور غريبة، تخفي الجدران والنوافذ.

خطت (إيجانين) إلى داخل الحجر. عندما حاول (دومون) أن يسأل أين هما ولماذا أخرسته بنظرة وحشية وزمجرة خافتة. لم تتحرك ولكنها بدت متأهبة للوقوف على أطراف أصابعها. كانت تحمل أيًا كان ما أخذته من السفينة كما لو أنه شيء ثمين. حاول أن يتخيل ماهيته.

فجأة تردد دوي جرس فهوت المرأة الشوننشانية على ركبتها واضعة الشيء المغلف بالحرير بحذر إلى جانبها، وبنظرة منها جثا (دومون) على ركبتها أيضًا. إن اللوردات لهم عادات غريبة، وحنَّ أن لوردات (شوننشان) قد يكون لهم عادات أكثر غرابة مما يعرف.

ظهر رجلان عند مدخل على الجانب الآخر من الحجر، أحدهما قد حلق الجانب الأيسر من فروة رأسه، وكان شعره الذهبي الفاتح المتبقي مجدولًا وينسدل فوق أذنه ليصل إلى كتفه. كان روبه الأصفر الداكن طويلًا بما يكفي بالكاد لأن تظهر مقدمة نعله الأصفر عندما يمشي. كان الآخر يرتدي روبًا حريريًا أزرق، مزينًا بالطيور، وطويلًا بما يكفي لأن يجره على الأرضية وراءه بمقدار باع. كان رأسه حليقًا تمامًا، وأظافره يبلغ طولها بوصة على الأقل. وكانت أظافر أول إصبعين من كل يد مطلية باللون الأزرق. فغر (دومون) فمه.

قال الرجل ذو الشعر الأصفر مترنًا: «أنت في حضرة (السيد السامي توراك)، الذي يقود (هؤلاء الذين يأتون أولًا)، والذي يُعين على (العودة)».

سجدت (إيجانين) على الأرض وهي تبسط يديها على جانبيها. فقلدها (دومون) على الفور، وهو يفكر أنه حتى (سادة تير النبلاء) لن يطالبوا بهذا. رأى بطرف عينه (إيجانين) وهي تقبل الأرض، فقرّر متجهًا أن هناك حدودًا للتقليد. لا يمكنهم على أي حال أن يروا إن كنت فعلت هذا أم لا.

فجأة اعتدلت (إيجانين) واقفة، فبدأ في الاعتدال بدوره، ولكنه ما كاد أن يعتدل على ركبة واحدة حتى سمع زمجرة من حلقها، ورأى نظرة مصدومة على وجه الرجل ذي الضفيرة، مما جعله ينخفض مرة أخرى ووجهه على الأرض وهو يغمغم بصوت خافت. لن أفعل هذا من أجل ملك (إليان) و(مجلس التسعة) مجتمعين. «اسمك (إيجانين)؟». لا شك أن هذا صوت الرجل ذي الرداء الأزرق. كان لحديثه المدغم إيقاع يشبه الغناء.

أجابت بتواضع: «هكذا سُمِّيتُ في يوم سيفي يا (سيدي السامي)».

«هذه عينة رائعة يا (إيجانين)، نادرة للغاية، هل تريدان ثمنًا لها؟».

«إن سرور (السيد السامي) ثمن كافٍ، أنا أعيش لأخدم يا (سيدي السامي)».

«سأذكر اسمك للإمبراطورة يا (إيجانين). بعد (العودة) ستُضاف أسماء جديدة إلى (الدماء). أثبتني

جدارتك وقد تتخلين عن اسم (إيجانين) من أجل شيء أسمى».

«أنت تسبغ عليَّ شرفاً يا (سيدي السامي)».
«أجل . يمكنك أن تغادري».

لم يستطع (دومون) أن يرى شيئاً سوى حذائها وهي تتراجع إلى الوراء عبر الحجرة، وتتوقف من آن لآخر لكي تنحني . انغلق الباب وراءها وخيم صمت طويل . كان يشاهد العرق يتساقط من جبهته على الأرض، قبل أن يتحدث (توراك) مرة أخرى .
«يمكنك أن تنهض أيها التاجر».

اعتدل (دومون) واقفاً على قدميه، فرأى ما يمسك به (توراك) بين أصابعه ذات الأظافر الطويلة . قرص الكوينديلار المشكّل على هيئة ختم (الآيز سيدي) القديم . تذكر (دومون) رد فعل (إيجانين) عندما ذكر (الآيز سيدي)، فبدأ يتصبب عرقاً بشدة . لم يكن هناك أي عدائية في عيني (السيد السامي) السوداوين، بل مجرد فضول طفيف، ولكن (دومون) لا يثق في اللوردات .
«هل تعرف ما هذا أيها التاجر؟».

«لا يا (سيدي السامي)» . كان رد (دومون) ثابتاً كالصخر، لا يمكن لتاجر أن يصمد لوقت طويل إن كان لا يستطيع الكذب بوجه جامد وصوت هادئ .
«ومع ذلك أخفيته في مكان سري» .

«أنا أجمع الأشياء القديمة من العصور الماضية يا (سيدي السامي) . هناك من قد يسرقون مثل هذه الأشياء إن وُضعت في متناول اليد» .

تأمل (توراك) القرص الأسود والأبيض للحظة ثم قال: «هذا كوينديلار أيها التاجر - هل تعرف هذا الاسم؟ - وأقدم حتى مما تعتقد . تعالَ معي» .

لحق (دومون) بالرجل في حذر وهو يشعر بأنه قد استعاد بعض الثقة في نفسه . مع أي لورد في الأراضي التي عرفها إن كان هناك حرس لاستدعائهم لكانوا قد جاؤوا بالفعل، ولكن القليل الذي رآه من (الشوننتشان) أخبره أنهم لا يفعلون الأشياء كما يفعلها بقية البشر . أجبر وجهه على السكون .

إِصْطُحِب إلى حجرة أخرى . فكّر أن الأثاث هنا قد جلبه (توراك) بلا شك، بدا أنه مصنوع من المنحنيات بلا أي خطوط مستقيمة على الإطلاق، وكان الخشب مصقولاً بما يكفي لإظهار تموجات غريبة . كان هناك كرسي واحد على سجادة حريرية منسوجة بصور طيور وزهور، وخزانة واحدة كبيرة مصنوعة على هيئة دائرة، وكان هناك ألواح قابلة للطي تمثل جدراناً جديدة .

فتح الرجل ذو الجديلة باب الخزانة ليكشف عن رفوف تحمل مجموعة غريبة من التماثيل والأكواب والأوعية والمزهريات وخمسين شيئاً مختلفاً، لا يوجد اثنان متماثلان في الحجم أو الشكل . حبس (دومون) أنفاسه عندما وضع (توراك) القرص بحذر إلى جانب توأمه المماثل .

قال (توراك): «كوينديلار، هذا ما أجمعه أيها التاجر. لا أحد يمتلك مجموعة أرقى من هذه سوى الإمبراطورة».

جحظت عينا (دومون)، إن كان كل شيء في هذه الرفوف هو كوينديلار حقاً فإنه كافٍ لشراء مملكة، أو على الأقل لتأسيس عائلة عظيمة. حتى الملك قد ينفق ثروته بأسرها لشراء هذا القدر من الكوينديلار، هذا إن كان يعرف أين يجد هذا القدر.

أجبر نفسه على الابتسام وقال: «أرجوك اقبل هذه القطعة كهدية يا (سيدي السامي)». لم يكن راغباً في التخلي عنها، ولكن كان هذا أفضل من إغضاب هذا الشونتشاني. ربما سيلاحقه أصدقاء الظلام الآن. «أنا مجرد تاجر بسيط، ولا يعنيني سوى التجارة. دعني أبحر وأعدك بأن...».

لم يتغير التعبير المرتسم على وجه (توراك)، ولكن الرجل ذا الجديلة قاطع (دومون) بحدة قائلاً: «أيها الكلب غير الحليق! أنت تتحدث عن منح (السيد السامي) ما قد منحته له بالفعل القبطان (إيجانين). أنت تساوم كما لو أن (السيد السامي) مجرد... مجرد تاجر! ستُسلخ حياً على مدار تسعة أيام أيها الكلب و...». أسكتته حركة طفيفة للغاية من إصبع (توراك).

قال (السيد السامي): «لا يمكنني أن أسمح لك بالرحيل أيها التاجر، ففي هذه الأرض التي يُحيم عليها ظل الحائنين بالقسم لا يمكنني أن أجد رجلاً عقلاً نياً أبادل معه الحديث، ولكنك جامع، وربما ستكون المحادثة معك مثيرة للاهتمام». جلس على الكرسي واسترخى للوراء وهو يتفحص (دومون).

رسم (دومون) ما يأمل أنه ابتسامة متملقة وقال: «أنا مجرد تاجر بسيط يا (سيدي السامي)، مجرد رجل بسيط، لا أعرف كيفية الحديث مع السادة العظماء».

حدجه الرجل ذو الجديلة بنظره، ولكن (توراك) بدا كأنها لم يسمعه. من وراء أحد الألواح جاءت امرأة شابة نحيلة جميلة بخطوات سريعة لتجثو على ركبتيها إلى جانب (السيد السامي) وهي تقدم صحيفة مطلية تحمل كوباً واحداً رفيعاً وبلا مقبض، به سائل أسود يتصاعد منه البخار. وجهها الداكن المستدير قد ذكره بشكل مبهم (بقوم البحر). أخذ (توراك) الكوب بحذر بين أصابعه ذات الأظافر الطويلة دون أن ينظر إلى الشابة قبل أن يستنشق الأبخرة. ألقى (دومون) نظرة واحدة على الفتاة قبل أن يُبعد عينيه وهو يكتم شهيقه؛ كان روبها الأبيض الحريري مطرزاً بالزهور، ولكنه شفاف للغاية حتى إنه استطاع أن يرى من خلاله كل شيء، ولم يكن هناك شيء تحته سوى جسدها النحيل.

قال (توراك): «إن رائحة (الكاف) ممتعة تماماً مثل مذاقه. والآن أيها التاجر، لقد سمعت أن الكوينديلار أكثر ندرة هنا منه في (شونتشان). أخبرني كيف حصل تاجر بسيط على قطعة منه». أخذ رشفة من (الكاف) وانتظر.

أخذ (دومون) نفساً عميقاً وبدأ يكذب محاولاً أن يجد طريقة للخروج من (فالمى).

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الثلاثون

الدائيس دايمار

في الغرفة التي يتشاركها (هورين) و(لويال) أطل (راند) عبر النافذة إلى شوارع (كايرين) وشرفاتها المنتظمة، إلى المباني الحجرية والأسطح الأردوازية. لم يستطع أن يرى مقر (المنيرين)، حتى لو لم تكن الأبراج الضخمة وبيوت اللوردات العظماء تعترض طريقه فستمنعه الأسوار من رؤيته. كان كل من في المدينة يتحدثون عن (المنيرين)، حتى بعد مرور أيام على تلك الليلة التي أطلقوا فيها زهرة ليلية واحدة في السماء بشكل مبكر. كان هناك عشرات النسخ المختلفة من الحكايات، وحتى مع استبعاد التغيرات الطفيفة لم تكن أي منها قريبة من الحقيقة.

أشاح (راند) ببصره، كان يأمل ألا يكون أحد قد أصيب بأذى في الحريق، ولكن (المنيرين) لم يعترفوا حتى الآن بحدوث حريق، إنهم متكتمون للغاية بشأن ما حدث في مقرهم. قال (لهورين): «سأخذ نوبة المراقبة التالية بمجرد عودتي».

انحنى (هورين) بعمق كأي كايريني وقال: «لا حاجة لهذا يا سيدي اللورد، يمكنني أن أواصل المراقبة، صدقًا يا سيدي لا حاجة لأن تُزعج نفسك».

أخذ (راند) نفسًا عميقًا وتبادل نظرة مع (لويال)، فاكتفى (الأوجير) بأن هز كتفيه، إن المتشتم يصير أكثر رسمية مع كل يوم يمضيه في (كايرين)، وقد علق (الأوجير) ببساطة بأن البشر عادة ما يتصرفون بغرابة. قال (راند): «لقد كنت معتادًا على مناداتي باللورد (راند) يا (هورين)، ولم تكن معتادًا على الانحناء في كل مرة أنظر فيها إليك». قال لنفسه في تعجب: أريده ألا ينحني، وأن يناديني باللورد (راند) مرة أخرى. لورد (راند)! بحق (النور)! يجب علينا أن نخرج من هنا قبل أن أجده نفسي أطلب منه أن ينحني. «هل يمكنك أن تجلس من فضلك؟ أنت تجعلني أشعر بالتعب من النظر إليك».

ظل (هورين) واقفًا بظهر منتصب ومع ذلك بدا مستعدًا للوثب لتأدية أي مهمة قد يطلبها (راند)، لم يجلس أو يسترخ. «لن يكون هذا لائقًا يا سيدي اللورد، يجب أن نظهر هؤلاء الكايرينيين أننا نعرف كيف نتصرف بلباقة في كل شيء، تمامًا مثل...».

صاح (راند): «هلا توقفت عن قول هذا!!».

«كما تشاء يا سيدي اللورد».

بذل (راند) مجهودًا لكيلًا يتنهد مرة أخرى. «المعذرة يا (هورين)، ما كان ينبغي أن أصبح في وجهك».

قال (هورين) ببساطة: «هذا من حقك يا سيدي اللورد، إن لم أتصرف كما تشاء فمن حقك أن تصيح».

خطأ (راند) ناحية المتشتم وهو ينوي أن يمسك الرجل من ياقته ويهزه.

تعالى صوت طرقات على الباب المتصل بحجرة (راند) مما جعلهم جميعاً يتجمدون، ولكن (راند) كان مسروراً لرؤية أن (هورين) لم ينتظر ليطلب الإذن قبل أن يشهر سيفه. كان السيف ذو علامة البلشون على خصر (راند)، فلمس مقبضه. انتظر حتى جلس (لويال) على سرير الطويل، وهو يباعد ما بين ساقيه ليسمح لذيل معطفه بأن يخفي الصندوق المغطى بالبطانية تحت السرير، ثم فتح الباب.

كان صاحب الحانة واقفاً هناك، يتململ في لهفة ويدفع بصحفته ناحية (راند). كان هناك لفافتان مختومتان على الصفحة. قال (كوال) بأنفاس لاهثة: «فلتغفر لي يا سيدي اللورد، فلم أُطِق انتظاراً حتى تهبط، وعندما لم أجدك في غرفتك و... و... اغفر لي ولكن...». راح يهز الصفحة.

انتزع (راند) اللفافتين - لقد تلقى الكثير من الدعوات - دون أن ينظر إليهما، ثم أمسك بذراع صاحب الحانة وأداره ناحية الباب المؤدي إلى الردهة وقال: «شكراً لك يا سيد (كوال) على تكبد هذا العناء، والآن من فضلك فلتتركنا وشأننا...».

قال (كوال) محتججاً: «ولكن يا سيدي اللورد، هاتان من...».

«شكراً لك». دفع (راند) الرجل إلى الردهة ثم أغلق الباب بحزم. ألقى اللفافتين على الطاولة وقال: «إنه لم يفعل هذا من قبل، هل تعتقد يا (لويال) أنه كان يسترق السمع عند الباب قبل أن يطرقه؟».

«أنت تبدأ في التفكير مثل هؤلاء الكايرينيين». ضحك (الأوجير)، ولكن أذنيه ارتعشتا في تفكير قبل أن يضيف: «ولكنه كايريني، لذا فإن الأمر ليس مستبعداً. لا أعتقد أننا قلنا أي شيء سيضيرنا أن يسمعه».

حاول (راند) أن يتذكر؛ لم يذكر أي منهم (بوق فالير) أو (الترولوكيين) أو أصدقاء الظلام. عندما وجد نفسه يتساءل عما يمكن أن يستنتجه (كوال) مما قالوه بالفعل هز رأسه وقال لنفسه: «هذا المكان يؤثر عليك أيضاً».

«سيدي اللورد؟». كان (هورين) قد التقط اللفافتين ويحدق بعينين متسعيتين إلى الختمين. «هاتان الدعوتان، واحدة من اللورد (بارثانيس) يا سيدي اللورد، (كبير آل دامودريد). والأخرى من...». خفض صوته في رهبة. «... الملك».

لَوَّح (راند) بيده بلا اكتراث وقال: «ومع ذلك سيذهبان إلى النار مثل البقية، دون أن يُفتحا».

«ولكن يا سيدي اللورد!».

قال (راند) في صبر: «أنت و(لويال) قد شرحتما لي هذه (اللعبة الكبرى) يا (هورين)، إن ذهبت إلى أي مكان يدعوني إليه فإن الكايرينيين سيستتجون شيئاً من الأمر، ويعتقدون أنني جزء من مؤامرة شخص ما، وإن لم أذهب فسيستتجون شيئاً من الأمر أيضاً. إن أرسلت ردّاً فسيبحثون عن معنى فيه، وكذلك إن لم أرد. وبما أنه من الواضح أن نصف الكايرينيين يتجسسون على النصف الآخر فسيعرف الجميع ما أفعله. لقد أحرقت أول اثنتين وسأحرق هاتين أيضاً مثل البقية». في أحد الأيام كان هناك اثنتا عشرة دعوة في الكومة

التي ألقاها في مدفأة الحجرة العامة دون أن يفيض الأختام. «أيًا كان ما يعتقدونه من الأمر فعلى الأقل سيكون الشيء نفسه بالنسبة للجميع. أنا لست مع أي شخص في (كايرين)، ولست ضد أي شخص».

قال (لويال): «لقد حاولت أن أخبرك، لا أعتقد أن الأمر يسير على هذا النحو، أيًا كان ما تفعله فسيرى فيه الكايرينيون مؤامرة ما، على الأقل هذا ما اعتاد أن يقوله الكبير (هامان) دومًا».

قدّم (هورين) اللفافتين المختومتين إلى (راند) كما لو أنه يعرض عليه ذهبًا وقال: «يا سيدي اللورد، هذه تحمل ختم (جالدرين) الشخصي. ختمه الشخصي يا سيدي. وهذه تحمل الختم الشخصي للورد (بارثانيس)، الذي يلي الملك في السلطة. إن أحرقت هاتين يا سيدي فستكتسب أقوى أعداء يمكن اكتسابهم. لقد نجح حرق اللفافات حتى الآن لأن العائلات الأخرى تنتظر لرؤية ما الذي تخطط له، ويعتقدون أنك بلا شك تمتلك حلفاء أقوى لكى تغامر بإهانتهم. ولكن اللورد (بارثانيس)... والملك! إن أهنتهما فسيكون لهما رد فعل بالتأكيد».

مرر (راند) يديه على شعره ثم قال: «ماذا إن رفضت كليهما؟».

«لن ينجح الأمر يا سيدي، لقد أرسلت لك كل عائلة دعوة حتى الآن، إن رفضت هاتين... حسنًا، بالتأكيد ستعتقد عائلة واحدة على الأقل من العائلات الأخرى أنك لست حليفًا للملك واللورد (بارثانيس)، وحينها يمكنهم الرد على إهانتك لهم بحرق دعواتهم. لقد سمعت أن العائلات في (كايرين) تستخدم القتل الآن يا سيدي؛ خنجرًا في الشارع، سهمًا من على سطح مبنى، سُمًا يوضع في نبذك».

قال (لويال) مقترحًا: «يمكنك أن تقبل كليهما، أعرف أنك لا ترغب في هذا يا (راند)، ولكن قد يكون الأمر ممتعًا؛ أمسية في قصر لورد أو حتى في القصر الملكي. لقد آمن بك الشايناريون يا (راند)».

تجهّم (راند)، كان يعتقد أنه من قبيل الصدفة أن الشايناريين قد اعتقدوا أنه لورد، صدفة بسبب تشابه الأسماء، وشائعة بين الخدم، وما أثارته (مويرين) و(الأميرلين). ولكن (سيلين) قد صدقت هذا أيضًا. ربما ستكون في واحدة من هاتين.

ولكن (هورين) هز رأسه بقوة وقال: «أنت لا تعرف (الدائيس دايمار) جيدًا كما تعتقد أيها (البناء)، هذه ليست الطريقة التي يلعبون بها في (كايرين)، ليس الآن. لن يكون هذا مهمًا مع معظم العائلات، حتى عندما يتآمرون بعضهم ضد بعض باستخدام الخنجر فإنهم يتصرفون في العلن وكأنهم لا يفعلون هذا. ولكن (آل دامودريد) كانوا مستحوزين على العرش حتى فقده (لامان)، وهم راغبون في استعادته. كان الملك ليسحقهم لولا أنهم يتمتعون بسلطة تماثل سلطته. لا يمكنك أن تجد متنافسين أكثر شراسة من (آل رايتين) و(آل دامودريد). إن قبل سيدي كليهما فستعرف كلتا العائلتين بالأمر بمجرد أن يرسل إجابتيه، وستعتقد كلتاهما أنه جزء من مؤامرة يحكيها الطرف الآخر ضدهم، سيستخدمون الخنجر والسهم بمجرد النظر إليك».

قال (راند) متذمرًا: «وأفترض أنني إن قبلت واحدة فإن الآخر سيفترض أنني متحالف مع تلك العائلة».

أومأ (هورين) برأسه. «وعلى الأرجح سيحاولون قتلي لإيقاف أيًا كان ما أنا متورط فيه». أومأ (هورين)

برأسه مرة أخرى. «إذن هل لديك أي اقتراح لكيفية تجنب رغبة أي منهما في رؤيتي ميتًا؟». هز (هورين) رأسه. «أتمنى لو أنني لم أحرق أول اثنتين».

«أجل يا سيدي، ولكن هذا لن يصنع فرقًا كبيرًا كما أعتقد. أيًا كان من تقبله أو ترفضه فإن الكايرينيين سيستتجون شيئًا من الأمر».

مد (راند) يده فوضع (هورين) اللفافتين فيها، واحدة منهما كانت مختومة، ليس بشعار الشجرة والتاج الخاص (بآل دامودريد)، بل بشعار الخنزير المهاجم الخاص (ببارثانيس). الأخرى كانت تحمل شعار الأيل الخاص (بجالدرين). ختمان شخصيان. من الواضح أنه نجح في إثارة اهتمام أهم الشخصيات بعدم فعله لأي شيء على الإطلاق.

قال وهو يحاول أن يفكر في مخرج من الأمر: «هؤلاء الأناس مجانين».

«أجل يا سيدي».

قال ببطء: «سأسمح لهم برؤيتي مع هاتين في الحجرة العامة». كل ما يُرى في الحجرة العامة في منتصف النهار يكون معروفًا لعشرة عائلات قبل حلول الليل، ولجميع العائلات بحلول الصباح التالي. «لن أفض الختمين، بهذه الطريقة سيعرفون أنني لم أُجب عن أي منهما بعد، ما دام أنهم ينتظرون لمعرفة أي الدعوتين سأجيب فربما يمكنني اكتساب بضعة أيام أخرى. سيأتي (إنجتار) قريبًا، لا شك في هذا».

قال (هورين) مبتسمًا: «الآن أنت تفكر كأنك كايريني يا سيدي».

نظر إليه (راند) متجهًا ثم وضع اللفافتين في جيبه فوق رسالتي (سيلين)، قبل أن يقول: «هيا بنا يا (لويال)، ربما (إنجتار) قد وصل».

عندما وصل هو و(لويال) إلى الحجرة العامة لم ينظر أي رجل أو امرأة فيها إلى (راند). كان (كوال) يلمع صحيفة فضية كأن حياته تعتمد على بريقها. أسرعت الخادومات بين الطاولات كأن (راند) و(الأوجير) غير موجودين. كل شخص على الطاولات كان يحدق إلى قدحه كما لو أن أسرار السلطة تكمن في النبيذ أو الجعة. لم يقل أي منهم كلمة.

بعد لحظة أخرج الدعوتين من جيبه وتفحص الختمين قبل أن يعيدهما. جفل (كوال) قليلًا عندما توجه (راند) ناحية الباب، وقبل أن يغلقه وراءه سمع المحادثات تدور مرة أخرى.

خطا (راند) مسرعًا عبر الشارع حتى إن (لويال) لم يضطر إلى تقصير خطواته لمجاراته. «يجب علينا أن نجد طريقة للخروج من المدينة يا (لويال)، لا يمكن لهذه الحيلة مع الدعوتين أن تعمل لأكثر من يومين أو ثلاثة. إن لم يأت (إنجتار) بحلول ذلك الوقت فسيكون علينا المغادرة على أي حال».

قال (لويال): «أنفق معك».

«ولكن كيف؟».

بدأ (لويال) يحصي النقاط على أصابعه الغليظة وهو يقول: «(فاين) هناك بالخارج، وإلا لما وجدنا ترولوكيين في (فورجيت). إن خرجنا فسينقضون علينا بمجرد أن نبتعد عن أنظار المدينة. إن خرجنا مع قافلة تجارية فسيهاجمونها بالتأكيد». لا يخرج تاجر بصحبة أكثر من خمسة حراس أو ستة، وهم سيهربون بالتأكيد بمجرد رؤية (ترولوك). «أتمنى لو أننا نعرف عدد (الترولوكيين) مع (فاين) وعدد أصدقاء الظلام. لقد قلّصت الأعداد التابعة لهم». لم يذكر (الترولوك) الذي قتله، ولكن بدا من عبوس وجهه وتدلي حاجبيه على وجهه أنه يفكر في الأمر.

قال (راند): «لا يهم عددهم، إن عشرة سيكونون سيئين كمئة. إن هاجمنا عشرة (ترولوكيين) فلا أعتقد أننا سننجو مرة أخرى». تحاشى التفكير في الطريقة التي قد يتعامل بها مع عشرة (ترولوكيين). لم ينجح الأمر عندما حاول مساعدة (لويال) على أي حال.

«لا أعتقد أنه يمكننا هذا أيضًا. لا أعتقد أن لدينا المال الكافي لأخذ سفينة إلى مكان بعيد، ولكن مع ذلك حتى لو حاولنا الوصول إلى أرصفة (فورجيت)... حسنًا لا شك أن (فاين) قد أمر أصدقاء الظلام بمراقبتها. إن ظن أننا قد نحاول أن نأخذ سفينة فلا أعتقد أنه سيبالي بمن سيرى (الترولوكيين)، حتى لو قاتلناهم للتخلص منهم بطريقة ما فسيكون علينا أن نفسر موقفنا لحرس المدينة، وهم بالتأكيد لن يصدقوا أننا لا نستطيع فتح الصندوق، لذا...».

«لن نسمح لأي كايبريني بأن يرى ذلك الصندوق يا (لويال)».

أوماً (الأوجير) برأسه وقال: «وأرصفة المدينة ليست خيارًا جيدًا أيضًا». كانت أرصفة المدينة مخصصة لبوارج الغلال، والمراكب الترفيهية الخاصة باللوردات والسيدات النبيلات. لا يمكن لأحد أن يصل إليها دون تصريح. يمكن للمرء أن ينظر إليها من فوق السور، ولكن هذه السقطة ستكسر حتى عنق (لويال). راح (لويال) يهز إبهامه كما لو أنه يحاول أن يفكر في نقطة يعدها عليه. «أفترض أنه من السيئ أننا لا نستطيع الوصول إلى (ملاذ تسوفو). لن يدخل (الترولوكيون) أي ملاذ، ولكني لا أفترض أنهم سيسمحون لنا بالوصول إلى هذا الحد دون أن يهجموا علينا».

لم يُجبه (راند). كان قد وصل إلى مخفر الحرس الواقع داخل البوابة، التي دخلوا منها (كايبرين) أول مرة. بالخارج كانت (فورجيت) تعج بالحركة والضجيج، وكان هناك اثنان من الحرس يراقبانها. خُيِّلَ إلى (راند) أنه رأى رجلًا يرتدي ما كان فيما سبق ملابس شايينارية جيدة، يتراجع مختفيًا بين الحشد عند رؤيته، ولكنه لم يكن متيقنًا من هذا. كان هناك أشخاص بملابس من أراضٍ عديدة، وجميعهم في عجلة من أمرهم. صعد الدرجات المؤدية إلى مخفر الحرس، متجاوزًا الحارسين اللذين يرتديان دروع الصدر على جانبي الباب.

كانت حجرة الانتظار الكبيرة بها مقاعد خشبية صلبة، من أجل الأشخاص الذين يقضون شئونهم هناك. معظمهم أشخاص ينتظرون بصبر متواضع، ويرتدون الملابس البسيطة الداكنة التي تميز الفقراء من العامة.

كان هناك بعض الفورجيتيين من بينهم، تميزهم الثياب الرثة والألوان الزاهية. لا شك أنهم يأملون في الحصول على تصريح بالبحث عن عمل داخل الأسوار.

توجه (راند) مباشرة إلى منضدة طويلة في آخر الحجرة. كان هناك رجل واحد يجلس وراءها، ليس جنديًا، ولديه شريط أخضر واحد يقطع معطفه. رجل ممتلئ الجسد بدا جلده مشدودًا للغاية، قد عدل المستندات الموضوعة على الطاولة، وغير موضع المحبرة مرتين، قبل أن ينظر إلى (راند) و(لويال) بابتسامة مصطنعة. «كيف يمكنني أن أساعدك يا سيدي اللورد؟».

قال (راند) بصبر أكبر مما كان يشعر به: «بالطريقة نفسها التي كنت آمل أن تساعدني بها بالأمس، وفي اليوم الذي يسبقه، وفي اليوم الذي يسبق ذلك. هل جاء اللورد (إنجتار)؟».

«اللورد (إنجتار) يا سيدي؟».

أخذ (راند) نفسًا عميقًا قبل أن يزفره ببطء. «اللورد (إنجتار) من (آل شينوا) من (شايانار)، الرجل الذي أسأل عنه كل يوم منذ أن جئت إلى هنا».

«لا أحد بهذا الاسم قد دخل المدينة يا سيدي».

«هل أنت متيقن؟ ألا تحتاج إلى تفحص قوائمك هذه على الأقل؟».

«إن قوائم الأجانب الذين جاؤوا إلى (كايرين) تتبادلها المخافر عند شروق الشمس وعند الغروب، وأنا أتفحصها بمجرد أن تأتي إليّ، لم يدخل لورد شاياناري (كايرين) منذ وقت طويل».

«والسيدة (سيلين)؟ وقبل أن تسأل مرة أخرى لا أعرف عائلتها، ولكنني قد ذكرت لك اسمها ووصفتها لك ثلاث مرات، أليس هذا كافيًا؟».

بسط الرجل يديه وقال: «المعذرة يا سيدي، إن عدم معرفة عائلتها يجعل الأمر صعبًا». كان وجهه قناعًا جامدًا مما جعل (راند) يتساءل إن كان الرجل سيخبره حتى لو كان يعلم.

جذبت انتباه (راند) حركة عند أحد الأبواب وراء المكتب؛ رجل يخطو إلى حجرة الانتظار قبل أن يستدير مبتعدًا في عجالة. قال (راند) للكاتب: «ربما يستطيع القائد (كالدقوين) مساعدتي».

«القائد (كالدقوين) يا سيدي؟».

«لقد رأيته للتو ورائي».

«المعذرة يا سيدي، ولكن إن كان هناك شخص باسم القائد (كالدقوين) في المخفر لعرفته».

حدق (راند) إليه حتى لمس (لويال) كتفه وقال: «أعتقد أنه يجب أن نذهب أيضًا يا (راند)».

قال (راند) بحدة: «شكرًا لك على مساعدتك، سأعود في الغد».

قال الرجل بابتسامته المصطنعة: «من دواعي سروري أن أفعل ما بوسعي».

خطا (راند) خارجًا من المخفر بسرعة كبيرة، حتى إن (لويال) كان مضطرًا للإسراع للحاق به في الشارع. «أنت تعرف أنه كان يكذب يا (لويال)». لم يُعطى من حركته، بل أسرع في خطاه كما لو أنه يستطيع أن يحرق

بعضًا من إحباطه ببذل مجهود بدني. «كان (كالدثوين) هناك، ربما يكذب بشأن كل شيء. ربما (إنجتار) هنا بالفعل ويبحث عنا. أراهن أنه يعرف من تكون (سيلين) أيضًا». «ربما يا (راند). (الدائس دايبار)...».

«بحق (النور)، لقد سئمت من السماع بشأن (اللعبة الكبرى)، لا أريد أن ألعبها، لا أريد أن أكون جزءًا منها بأي شكل من الأشكال». كان (لويال) يمشي إلى جوراه دون أن يقول شيئًا. قال (راند) أخيرًا: «أعرف أنهم يعتقدون أنني لورد، وأنه في (كايرين) حتى اللوردات الغرباء يكونون جزءًا من (اللعبة)، أتمنى لو أنني لم أرتد هذا المعطف قط». فكّر في (مويرين) بمرارة؛ إنها لا تزال تسبب لي المتاعب. ولكن على الفور تقريبًا اعترف على مضض أنها بالكاد يمكن لومها على هذا. لطالما كان هناك سبب للتظاهر بأنه شخص على غير حقيقته، أولًا لرفع روح (هورين) المعنوية، وبعدها في محاول لإثارة إعجاب (سيلين)، وبعده (سيلين) لم يبدُ أن هناك أي طريقة للتملص من الأمر. تباطأت خطواته حتى توقف. «عندما سمحت لي (مويرين) بالرحيل ظننت أن الأمور ستكون بسيطة مرة أخرى، حتى مع مطاردة (البوق)، حتى مع... مع كل شيء ظننت أن الأمر سيكون بسيطًا». حتى مع وجود (السايدين) بداخل رأسك؟ «بحق (النور)، سأدفع أي ثمن ليصير كل شيء بسيطًا مرة أخرى».

قال (لويال): «(نافيرين)».

«لا أريد أن أسمع أي شيء عن هذا أيضًا». بدأ (راند) يمشي مرة أخرى بسرعة كبيرة. «كل ما أريده هو أن أعطي الخنجر (لمات) و(البوق) (لإنجتار)». وبعدها ماذا؟ تُصاب بالجنون؟ تموت؟ إن متُّ قبل أن أُصاب بالجنون فعلى الأقل لن أُؤذي أي شخص آخر. ولكنني لا أريد أن أموت أيضًا. يمكن أن يتحدث (لان) عن (غمد السيف)، ولكنني راعي غنم ولست (حاميًا). تتمم قائلًا: «لو استطعت فقط ألا ألمسه فربما يمكنني... لقد كاد (أوين) أن ينجح في الأمر».

«ماذا قلت يا (راند)؟ لم أسمع هذا».

قال (راند) في تعب: «لا شيء، أتمنى أن يأتي (إنجتار) إلى هنا، و(مات)، و(بيرين)». راحا يمشيان جنبًا إلى جنب في صمت لبعض الوقت بينما (راند) غارق في أفكاره. لقد استطاع (أوين)؛ ابن أخي (توم)، أن ينجو لثلاثة أعوم بالتسخير فقط عندما كان مضطّرًا لهذا. إن كان (أوين) قد تمكّن من الحد من عدد المرات التي يسخر فيها فلا شك أنه من الممكن عدم التسخير على الإطلاق، مهما كان (السايدين) مغريًا.

قال (لويال): «هناك حريق أمامنا يا (راند)».

تخلص (راند) من أفكاره غير المرغوب فيها ونظر إلى المدينة متجهًا. كان هناك عمود كثيف من دخان أسود يتصاعد من فوق الأسطح، لم يستطع أن يرى ما يكمن في قاعدته ولكنه كان قريبًا للغاية من الحانة. قال وهو يحدّق إلى الدخان: «أصدقاء الظلام. لا يمكن أن يأتي (الترولوكيون) إلى داخل الأسوار دون أن يراهم أحد، ولكن أصدقاء الظلام... (هورين)!». أسرع راكضًا بينما (لويال) يواكبه بسهولة.

كلما اقتربا ازداد تيقنهما من الأمر، حتى انعطفا عند آخر زاوية شرفة حجرية، وهنالك كانت (حانة المدافع عن جدار التنين)، والدخان يتصاعد من نوافذها العلوية، وألسنة اللهب تخرق السقف. كان هناك حشد أمام الحانة؛ (كوال) يقفز ويصرخ هنا وهناك يوجه الرجال الذين يحملون الأثاث إلى الشارع، صفان من الرجال الذين يمررون دلاءً مملوءة بالماء من بئر في آخر الشارع، ويعيدون الدلاء الفارغة، بينما يكتفي معظم الناس بالوقوف والمشاهدة. انفجر لسان جديد من اللهب عبر السقف الأردوازي، فصاحوا جميعاً بصوت عالٍ: «آآه».

شق (راند) طريقه عبر الحشد إلى صاحب الحانة وسأله: «أين (هورين)؟». صاح (كوال): «كن حذرًا مع هذه الطاولة! لا تخذلها!». نظر إلى (راند) ورمش بعينه، كان وجهه ملطخًا بالسخام. «سيدي اللورد؟ من؟ خادمك؟ لا أتذكر أنني رأيته يا سيدي، لا شك أنه قد خرج. لا تُسقط هذه الشمعدانات أيها الأحمق! إنها من الفضة!». أسرع (كوال) ليوجه الرجال الذين يحملون متعلقاته إلى خارج الحانة.

قال (لويال): «ما كان (هورين) ليخرج، ما كان ليترك...». تلفت حوله ولم يقلها. يبدو أن بعض المتفرجين يجدون (الأوجير) مثيرًا للاهتمام مثل الحريق. قال (راند): «أعرف». ثم اندفع إلى داخل الحانة.

لم يبدُ على الحجرة العامة أن المبنى يتعرض للاحتراق، كان صف الرجال المزدوج يمتد لأعلى السلم، وهم يمررون الدلاء، وآخرون يسرعون لحمل ما تبقى من الأثاث، ولكن لم يكن هناك دخان بالأسفل إلا بقدر ما يشي بأن هناك شيئًا يحترق في المطبخ. بينما (راند) يصعد السلم كان الدخان يزداد كثافة. راح يسعل وهو يركض صاعدًا الدرج. توقف الصفان عند البسطة الثانية للسلم، إذ كان الرجال يصعدون الدرج ويلقون بالماء في الردهة المليئة بالدخان. كانت ألسنة اللهب تلتهم الجدران وتومض بضوء أحمر من بين الدخان الأسود.

أمسك أحد الرجال بذراع (راند) وقال: «لا يمكن أن تصعد يا سيدي اللورد، لقد التهمت النيران كل شيء بالأعلى. قل له شيئًا أيها (الأوجير)».

حينها أدرك (راند) أن (لويال) قد لحق به، فقال: «عد يا (لويال)، أنا سأخرجه». هز (الأوجير) كتفيه وقال: «لا يمكنك أن تحمل (هورين) والصندوق معًا يا (راند)، كما أنني لن أترك كتبي تحترق».

«إذن أبقِ رأسك منخفضًا تحت الدخان». جثا (راند) على يديه وركبتيه على الدرج ثم أسرع صاعدًا، هنالك كان الهواء أكثر نقاءً بالقرب من الأرضية. لا يزال به من الدخان ما يجعله يسعل، ولكنه كان صالحًا للتنفس. ومع ذلك حتى الهواء بدا أنه ساخن للغاية. لم يستطع أن يستنشق منه ما يكفي من خلال أنفه فراح يستنشق من فمه، فشعر أن لسانه يجف.

سقط عليه بعض الماء الذي يُلقى به الرجال، فابتلت ملابسه. لم تُشعره البرودة بالراحة إلا للحظة واحدة فقد عادت الحرارة على الفور. راح يزحف بإصرار، ولم يُدرك أن (لويال) وراءه إلا من سعال (الأوجير). كان أحد جدران الردهة مشتعلًا باللهب تمامًا تقريبًا، والأرضية بالقرب منه قد بدأت بالفعل في إضافة خيوط من الدخان إلى السحابة المعلقة فوق رأسه. كان سعيدًا لأنه لا يرى ما يكمن فوق الدخان، ولكن صوت الطقطقة كان مخيفًا بما يكفي.

لم يكن الباب المؤدي إلى غرفة (هورين) قد اشتعل بالنيران بعد، ولكنه كان ساخنًا بما يكفي حتى إنه اضطر إلى المحاولة مرتين قبل أن يتمكن من فتحه. أول شيء وقعت عليه عيناه هو (هورين)، ممددًا على الأرضية. زحف (راند) إلى المتشمم وحمله، كان هناك تورم في جانب رأسه بحجم ثمرة برقوق. فتح (هورين) عينين زائغتين وتمتم في ضعف: «لورد (راند)... طَرَّقُ على الباب... ظننت أنها المزيد من الدعوا...». تراجعت عيناه إلى الوراء في محجريهما ليظهر بياض حدقتيه. تحسس (راند) بحثًا عن نبضات قلبه، وشعر بالارتياح عندما وجدها.

«(راند)...». سعل (لويال)، كان إلى جانب سريره، وقد رفع الغطاء ليكشف عن الألواح العارية من تحتها، لقد اختفى الصندوق.

من فوق الدخان أصدر السقف صريرًا، وتساقط قطع مشتعلة على الأرضية. قال (راند): «اجلب كتبك، سأحمل (هورين)، أسرع». كان يحاول وضع جسد المتشمم المرتخي على كتفيه، ولكن (لويال) أخذ (هورين) منه.

«سيكون على الكتب أن تحترق، لا يمكنك أن تحمله وتزحف، وإن وقفت فلن تصل إلى السلم». سحب (الأوجير) (هورين) على ظهره العريض، فتدلت ذراعه وساقاه على جانبيه. أصدر السقف صوت تصدع مرتفعًا. «يجب أن نسرع يا (راند)».

«اذهب يا (لويال)، اذهب وسألحق بك».

زحف (الأوجير) إلى الردهة حاملًا عبئه على ظهره، ثم لحق به (راند)، قبل أن يتوقف ويحدق إلى الوراء ناحية الباب المتصل بغرفته، لا تزال الراية هناك؛ راية (التنين). قال لنفسه: دعها تحترق. فجاءته الإجابة وكأنه يسمع (مويرين) تقولها: حياتك قد تعتمد عليها. إنها لا تزال تحاول استغلالني. حياتك قد تعتمد عليها. (الآيز سيداي) لا يكذبن مطلقًا.

أطلق زجرة ثم زحف عبر الأرضية وركل الباب المؤدي إلى غرفته.

كانت الغرفة الأخرى كتلة من اللهب. كان السرير مشتعلًا بالنيران، وألسنة اللهب تقطع الأرضية بالفعل. لن يتمكن من الزحف عبر هذا. اعتدل واقفًا على قدميه ثم ركض منحنيًا إلى غرفته وهو يتنفّس من الحرارة ويسعل ويختنق. تصاعد البخار من معطفه الرطب. كان أحد جانبي خزانة الملابس محترقًا بالفعل.

فتح الباب بحركة سريعة، كانت أكياس سرجه موضوعة بالداخل، لا تزال محمية من النيران، وأحد جوانبها متنفخاً براية (ليوز ثيرين تيلامون)، وإلى جانبها حقيبة المزمارة الخشبية. تردد للحظة. لا يمكن أن أتركه يحترق. أن السقف من فوقه، فجذب أكياس السرج وحقيبة المزمارة وألقى بنفسه إلى الوراء عبر الباب، فهوى على ركبتيه بينما الأخشاب المحترقة تتحطم حيث يقف. جذب حمله وهو يزحف إلى الردهة. ارتجفت الأرضية مع تساقط المزيد من العوارض الخشبية.

كان الرجال الذين يحملون الدلاء قد اختفوا عندما وصل إلى السلم، فانزلق عبر الدرجات إلى بسطة السلم التالية، قبل أن يُسرع واقفاً على قدميه ويركض عبر المبنى الذي صار خاوياً، ومنه إلى الشارع. حذر إليه المتفرجون بوجهه المسود ومعطفه المغطى بالسخام، ولكنه جر قدميه إلى حيث يقف (لويال) وهو يسند (هورين) إلى جدار أحد البيوت على الناحية المقابلة من الشارع. كان هناك امرأة من الحشد تمسح وجه (هورين) بقطعة قماشية، ولكن عينيه لا تزالان مغلقتين وأنفاسه شاقة.

تساءل (راند): «هل هناك أي حكيمة في مكان قريب؟ إنه بحاجة إلى المساعدة». نظرت إليه المرأة في حيرة فحاول أن يتذكر الأسماء الأخرى التي سمع الناس يطلقونها على النسوة اللاتي قد يكن حكيما في (النهرين). قال: «(امرأة عارفة)؟ امرأة يمكنك تسميتها بالأم؟ امرأة تعرف الأعشاب والشفاء؟».

قالت المرأة: «أنا (قارئة)، إن كان هذا ما تعنيه. ولكن كل ما أستطيع فعله حسب معرفتي من أجل هذا الرجل هو أن أجعله مرتاحاً، أخشى أن شيئاً ما قد انكسر بداخل رأسه».

«(راند)! هذا أنت حقاً!».

حذر (راند). كان (مات) يقود حصانه عبر الحشد وقوسه متدلاً على ظهره. كان وجهه شاحباً ومشدوداً، ولكنه لا يزال (مات)، وكان مبتسماً حتى لو كانت ابتسامة ضعيفة. ومن ورائه جاء (بيرين)، عيناه الصفراوان تلمعان في النيران، مما جعل الناس ينظرون إليه كما ينظرون إلى الحريق. و(إنجتار) مترجل عن حصانه في معطف بياقة عالية بدلاً من الدروع، ولكن مقبض سيفه لا يزال بارزاً من فوق كتفه.

شعر (راند) بقشعريرة تحتاج جسده، ثم قال لهم: «لقد فات الأوان. لقد جئتم متأخرين للغاية». ثم جلس في الشارع وبدأ يضحك.

الفصل الحادي والثلاثون

تَعَقُّبُ الرَّاحَةِ

لم يُدرك (راند) أن (فيرين) هناك، حتى أمسكت (الآيز سيدي) برأسه بين يديها. للحظة استطاع أن يرى القلق في وجهها، بل وربما الخوف. وفجأة شعر كما لو أنه قد غُمر بالماء البارد، ليس من حيث البلل، بل الوحز. ارتجف فجأة وتوقف عن الضحك، فتركته لتنحني فوق (هورين). راقبتها (القارئة) بحذر، وكذلك فعل (راند). ما الذي تفعله هنا؟ كما لو أنني لا أعرف.

سأله (مات) بصوت مبسوح: «أين ذهبت؟ لقد اختفيتم جميعًا فجأة والآن أنتم في (كايرين) أمامنا. (لويال)؟». هز (الأوجير) كتفيه في تردد بينما ينظر إلى الحشد وأذناه ترتعشان. كان نصف الناس قد تخلوا عن مراقبة الحريق وراحوا يراقبون الوافدين الجدد، وقد اقترب عدد منهم في محاولة لاستراق السمع. ترك (راند) (بيرين) يساعده على الوقوف وهو يقول: «كيف عثرتم على الحانة؟». ثم نظر إلى (فيرين) الجاثية على ركبتيها وهي تضع يديها على رأس المتشمم. «هي؟».

قال (بيرين): «بطريقة ما. لقد أراد الحرس عند البوابة أن يعرفوا أسماءنا، وخرج شخص ما من المخفر وقد جفل عندما سمع اسم (إنجتار). قال إنه لا يعرف الاسم، ولكن كان لديه ابتسامة تشي بأنه يكذب». قال (راند): «أعتقد أنني أعرف الرجل الذي تقصده، إنه يتسم هكذا طيلة الوقت».

قال (مات): «لقد أرتته (فيرين) خاتمها، وهمست في أذنه». بدا على صوته وهيئته أنه مريض. كانت وجنتاه محقتين ومشدودتين، ولكنه استطاع أن يتسم. لم يلاحظ (راند) عظام وجنتيه من قبل. «لم أستطع سماع ما قالته، ولكنني لم أعرف إن كانت عيناه ستخرجان من محجريها أم أنه سيتلع لسانه أولاً. وفجأة صار راغبًا في أن يفعل كل ما بوسعه من أجلنا، قال لنا إنك تنتظرننا، وأخبرنا بالمكان الذي تمكث فيه. لقد عرض علينا أن يرشدنا بنفسه، ولكنه بدا مرتاحًا حقًا عندما رفضت (فيرين) هذا». ثم أضاف ساخرًا: «اللورد (راند) من (آل ألثور)».

قال (راند): «إنها حكاية طويلة لا يمكن شرحها الآن. أين (أونو) والبقية؟ سنحتاج إليهم». قال (مات): «في (فورجيت)». ثم عقد حاجبيه وهو ينظر إليه قائلاً ببطء: «قال (أونو) إنه يفضل البقاء هناك على أن يكون بداخل الأسوار، وحسبما يمكنني رؤيته فأنا أفضل أن أكون معه. لم سنحتاج إلى (أونو) يا (راند)؟ هل عثرت... عليهم؟».

في هذه اللحظة أدرك (راند) فجأة ما كان يتجنبه، أخذ نفسًا عميقًا ثم نظر إلى صديقه في عينيه وقال: «لقد كان معي الخنجر يا (مات) وأضعته، لقد استعاده أصدقاء الظلام». سمع شهقات من الكايرينيين الذين يسترقون السمع ولكنه لم يبال، يمكنهم أن يلعبوا (لعبتهم الكبرى) كما يشاؤون، لقد جاء (إنجتار) وانتهى منها أخيرًا. «ولكنهم بالتأكيد لم يتعدوا كثيرًا».

كان (إنجتار) صامتًا، ولكنه في هذه اللحظة تقدم إلى الأمام وأمسك بذراع (راند). «كان معك؟ وماذا عن...». تلفت حوله لينظر إلى المتفرجين. «ماذا عن الشيء الآخر؟».

قال (راند) بصوت خافت: «لقد استعادوه أيضًا». ضرب (إنجتار) راحة يده بقبضته وأشاح بنظره. تراجع بعض الكايرينيين بسبب النظرة المرتسمة على وجهه.

عض (مات) شفته، ثم هز رأسه وقال: «لم أكن أعرف أنك قد عثرت عليه، لذا لا أشعر وكأنك قد فقدته مرة أخرى، إنه فقط لا يزال مفقودًا». كان من الواضح أنه يتحدث عن الخنجر وليس (بوق فالير). «سنعثر عليه مرة أخرى، لدينا متشمهان الآن، (بيرين) واحد أيضًا، لقد تعقب الأثر على طول الطريق حتى (فورجيت)، بعد أن اختفيت بصحبة (هورين) و(لويال). ظننت أنك ربما قد هربت... حسنًا أنت تعرف ما أعنيه. أين ذهبت؟ ما زلت لا أفهم كيف سبقتنا إلى هذا الحد. قال ذلك الرجل إنك هنا منذ أيام».

نظر (راند) إلى (بيرين) - إنه متشم؟ - فوجده يتفحصه. خُيِّل إليه أن (بيرين) قد غمغم بشيء ما. (قاتل الظلال)؟ لا شك أنني سمعته بشكل خاطئ. حذق إليه (بيرين) بعينه الصفراوين لل لحظة، وقد بدا أنه يخفي فيهما أسرارًا. أخبر نفسه أنه يتخيل الأمر - أنا لست مجنونًا، ليس بعد - ثم أشاح ببصره بعيدًا.

كانت (ثيرين) تساعد (هورين) الذي لا يزال يرتجف لكي يقف على قدميه. كان يقول: «أنا أشعر أنني على ما يرام، ما زلت متعبًا بعض الشيء ولكن...». بتر جملته وقد بدا كأنها يراها للمرة الأولى، كأنها قد أدرك ما حدث للتو.

قالت له: «سيستمر التعب لبضع ساعات، يجب على الجسد أن يُجهد نفسه لكي يتعافى سريعًا». اعتدلت (القارئة) الكايرينية واقفة وقالت بصوت خافت: «(آيز سيداي)؟». أومأت (ثيرين) برأسها فانحنت (القارئة) انحناءة كاملة.

رغم أن كلمتي «(آيز سيداي)» كانتا بصوت خافت فإنهما ترددتا بين الحشد في نبرات تتراوح ما بين الرهبة والخوف والغضب. كان الجميع يراقبون في هذه اللحظة - حتى (كوال) لم يعد يبد أي اهتمام بحانته المحترقة - وفكر (راند) أن القليل من الحذر سيكون مفيدًا.

قال متسائلًا: «هل وجدتم مكانًا تمكثون فيه بعد؟ نحن بحاجة إلى الحديث، ولا يمكننا أن نفعل هذا هنا».

قالت (ثيرين): «فكرة جيدة، لقد أقمت هنا من قبل في (حانة الشجرة العظيمة). سنذهب إلى هناك». ذهب (لويال) ليجلب الخيول. كان سقف الحانة قد سقط تمامًا، ولكن الإسطبلات لم يُصبها أذى. وسرعان ما شقوا طريقهم عبر الشارع، جميعهم يمتطون الخيول، باستثناء (لويال) الذي زعم أنه قد اعتاد على المشي مرة أخرى. كان (بيرين) يُمسك بلجام أحد أحصنة البضائع التي جلبوها معهم جنوبًا.

قال (راند): «متى ستكون مستعدًا لتتبع أثرهم مرة أخرى يا (هورين)؟ هل يمكنك تتبعه؟ الرجال الذين ضربوك وبدأوا الحريق قد تركوا أثرًا، أليس كذلك؟».

«يمكنني أن أتبعه الآن يا سيدي، ويمكنني أن أشتد رائحتهم في الشارع، ولكنه لن يستمر لوقت طويل، لم يكن هناك أي (ترولوكين)، وهم لم يقتلوا أحداً، كانوا رجالاً فحسب يا سيدي. أفترض أنهم أصدقاء ظلام، ولكن لا يمكنك دوماً أن تكون متيقناً من هذا بناءً على الرائحة فحسب. ربما يمضي يوم واحد قبل أن تتلاشى».

قال (لويال): «لا أعتقد أنهم سيكونون قادرين على فتح الصندوق أيضاً يا (راند)، وإلا لاكتفوا بأخذ (البوق)، سيكون من الأسهل أخذ هذا إن استطاعوا بدلاً من حمل الصندوق كله».

أوماً (راند) برأسه وقال: «لا شك أنهم قد وضعوه في عربة أو على ظهر حصان. بمجرد أن يتجاوزوا (فورجيت) سينضمون إلى (ترولوكين) مرة أخرى بالتأكيد. ستكون قادراً على تعقب ذلك الأثر يا (هورين)».

«سأفعل يا سيدي».

قال له (راند): «إذن ستستريح حتى تكون في حالة لائقة». بدا المتشتم أكثر اتزاناً، ولكنه كان متهدلاً وهو يمتطي حصانه، ووجهه متعباً. «في أحسن الأحوال سيسبقوننا ببضع ساعات فقط. إن تحركنا بسرعة...». فجأة لاحظ أن الآخرين ينظرون إليه، (فيرين) و(إنجتار)، (مات) و(بيرين). أدرك ما كان يفعله فاحمر وجهه خجلاً وقال: «المعذرة يا (إنجتار)، أفترض أنني فقط قد صرت معتاداً على تولي المسؤولية، لا أحاول أن آخذ مكانك».

أوماً (إنجتار) برأسه ببطء وقال: «لقد أحسنت (مويرين) الاختيار عندما أخبرت اللورد (أجيلمار) أن يجعلك الرجل الثاني بعدي. ربما كان من الأفضل أن تكلفك (عرش أميرلين) بالمهمة». ثم ضحك الشايناري وقال: «على الأقل قد استطعت حقاً أن تلمس (البوق)».

بعد ذلك خيم عليهم الصمت لبقية الطريق.

ربما كانت (حانة الشجرة العظيمة) توأماً (لحانة المدافع عن جدار التنين)؛ مبنى حجري مكعب طويل به حجرة عامة مغطاة بألواح خشبية داكنة، ومزينة بالفضة، بها ساعة كبيرة مصقولة على الرف فوق المدفأة. وربما كانت صاحبة الحانة أخت (كوال). كان للسيدة (تايدرا) نفس الجسم الممتلئ بعض الشيء، ونفس الأسلوب اللطيف، ونفس العينين الحادتين، ويبدو عليها أيضاً أنها تصغي إلى ما وراء الكلمات التي يتحدث بها المرء. ولكن (تايدرا) تعرف (فيرين)، وقد رحبت (بالايز سيدي) بابتسامة دافئة. لم تذكر كلمتي «آيز سيدي» بصوت عالٍ، ولكن (راند) كان متيقناً من أنها تعرف.

اعتنت (تايدرا) وحشد من الخدم بخيولهم وتسكينهم في غرفهم. كانت غرفة (راند) فاخرة كتلك التي احترقت، ولكنه كان مهتماً أكثر بحوض الاستحمام النحاسي الكبير، الذي يحاول خادمان إدخاله عبر الباب، ودلاء المياه التي يتصاعد منها البخار والتي جلبتها الخادومات من المطبخ. نظرة واحدة إلى المرأة فوق منصة

الاجتسال أظهرت له أن وجهه يبدو كما لو أنه قد فُرك بالفحم، وعلى معطفه كان هناك بقع سوداء على الصوف الأحمر.

خلع ثيابه وجلس في الحوض، ولكنه كان يفكر بقدر ما يغتسل. (ثيرين) هنا، واحدة من (الآيز سيدي) الثلاثة اللائي لا يمكن أن يثق في أنهم قد لا يحاولن ترقيقه بأنفسهن، أو تسليمه لمن قد يفعلن. أو هذا ما يبدو على الأقل. واحدة من الثلاثة اللائي أردن منه أن يعتقد أنه (التنين العائد)، لاستغلاله باعتباره (تنينًا كاذبًا). إنها عينا (مويرين) اللتان تراقبانني، ويد (مويرين) التي تحاول جذب خيوطي، ولكن يجب عليّ أن أقطع هذه الخيوط.

كانت أكياس سرجه قد جُلبت لأعلى، وحزمة من حصان البضائع تحتوي على ملابس جديدة. جفف نفسه بالمنشفة، وفتح الحزمة ثم تنهد. لقد نسي أن كلا المعطفين اللذين يمتلكهما مزخرف مثل المعطف الذي ألقاه على ظهر كرسي لكي تنظفه إحدى الخادومات. بعد لحظة اختار المعطف الأسود لكي يلائم حالته المزاجية. كان هناك طيور بلشون فضية على الياقة العالية، وشلالات فضية تمتد على كميته؛ مياه ترتطم بالصخور المسننة فتصير زبدًا.

بينما ينقل الأشياء من معطفه القديم إلى معطفه الجديد وجد اللفافتين، في شرود وضع الدعوتين في جيبه بينما يتفحص رسالتي (سيلين). تساءل كيف يمكن أن يكون بمثل هذه الحماقة، إنها شابة جميلة من عائلة نبيلة، وهو راعي غنم تحاول (الآيز سيدي) استغلاله، رجل قد حُكم عليه بالجنون إن لم يمت أولاً. ومع ذلك لا يزال يشعر بجاذبيتها بمجرد النظر إلى كتابتها، وكاد أن يشتم رائحة عطرها.

قال مخاطبًا الرسالتين: «أنا راعي غنم ولست رجلاً عظيمًا، وإن استطعت أن أتزوج امرأة فستكون (إيجوين)، ولكنها تريد أن تصير (آيز سيدي)، وكيف يمكنني أن أتزوج أي امرأة أو أن أحب أي امرأة إن كنت سأصاب بالجنون وربما سأقتلها».

ولكن الكلمات لم تخفف من ذكرى جمال (سيلين)، أو الطريقة التي تجعل بها دمه يصير دافئًا بمجرد النظرها إليه. لقد كاد أن يشعر أنها في الغرفة معه، وأنه يستطيع أن يشتم عطرها، حتى إنه تلفت حوله ثم ضحك عندما وجد نفسه وحيدًا.

تمتم: «تتابني الخيالات كما لو أنني مشوش الذهن بالفعل».

فجأة رفع غطاء المصباح الموضوع على الطاولة المجاورة للسريير وأشعله قبل أن يضع الرسالتين في اللهب. خارج الحانة هبَّ الرياح بعنف، وتسالت عبر النافذة، فأججت النيران لتلتهم الورقتين. على الفور ألقى بالرسالتين المحترقتين في المدفأة الباردة قبل أن تصل النار إلى أصابعه. انتظر حتى انطفأ آخر جزء محترق من الرسالتين، قبل أن يضع سيفه في حزامه ويغادر الغرفة.

كانت (فيرين) قد أخذت غرفة طعام خاصة، حيث الرفوف على الجدران الداكنة تحتوي على فضة أكثر من تلك التي في الحجرة العامة. كان (مات) يتلاعب بثلاث بيضات مسلوقة، ويحاول أن يبدو غير مبالٍ. راح (إنجتار) يحدق إلى المدفأة المطفأة عاكداً حاجبيه. كان لدى (لويال) بعض الكتب من (فال دارا) لا تزال في جيوبه، وكان يقرأ أحدها إلى جانب أحد المصابيح.

كان (بيرين) يجلس مسترخياً وهو يتفحص يديه المشبوكتين على سطح الطاولة. بالنسبة لأنفه كانت الغرفة مشبعة برائحة شمع العسل المستخدم في تلميع الألواح الخشبية. قال لنفسه: لقد كان هو؛ (راند) هو (قاتل الظلال). بحق (النور)، ما الذي حدث لنا جميعاً؟ ضم يديه في قبضتين كبيرتين مربعتين. هاتان اليدان كان من المفترض أن تمسكا بمطرقة حداد لا فأس.

رفع بصره عندما دخل (راند). فكّر (بيرين) أنه يبدو عازماً ومستعداً لفعل شيء ما. أشارت (الآيز سيداي) إلى (راند) أن يجلس قبالتها على كرسي بظهر مرتفع.

سألها (راند) بينما يعدل من وضع سيفه لكي يتمكن من الجلوس: «كيف حال (هورين)؟ هل يستريح؟». أجابه (إنجتار): «كان مصرّاً على الخروج. أخبرته أن يتتبع الأثر، فقط حتى يشم رائحة (الترولووكين). يمكننا أن نتبعهم من هناك غداً. أم هل ترغب في ملاحقتهم الليلة؟».

قال (راند) بتوتر: «أنا حقاً لم أكن أحاول أن أتولى القيادة يا (إنجتار)، أنا فقط لم أفكر». قال (بيرين) لنفسه: ولكنه لا يبدو متوتراً كما كان من قبل. (قاتل الظلال). نحن جميعاً نغير.

لم يُجبه (إنجتار)، بل واصل التحديق إلى المدفأة.

قالت (فيرين) بهدوء: «هناك بعض الأشياء التي تثير اهتمامي إلى حد كبير يا (راند)؛ أولاً كيف اختفيت من مخيم (إنجتار) بدون أثر، ثانياً كيف وصلت إلى (كايرين) قبلنا بأسبوع، ذلك الكاتب كان واضحاً حيال هذا الأمر. كان عليك أن تطير لكي تفعل هذا».

ارتطمت إحدى بيضات (مات) بالأرض فتشقت، ولكنه لم ينظر إليها، كان ينظر إلى (راند) وقد التفت (إنجتار) بدوره. تظاهر (لويال) بأنه لا يزال يقرأ ولكن القلق ارتسم على وجهه، وقد انتصبت أذناه المشعرتان.

أدرك (بيرين) أنه يحدق بدوره، فقال: «حسناً، إنه لم يطّر، لا أرى أي أجنحة. ربما لديه أشياء أكثر أهمية ليخبرنا بها». حوّلت (فيرين) انتباهها إليه للحظة، واستطاع أن يبادلها التحديق، ولكنه كان أول من أشاح ببصره. (آيز سيداي). بحق (النور)، لم كنا حمقى بما يكفي لكي نتبع (آيز سيداي)؟ نظر إليه (راند) بامتنان فابتسم له (بيرين). لم يكن (راند) الذي يعرفه، يبدو أنه قد صار معتاداً على ارتداء هذا المعطف الفاخر. إنه يبدو مناسباً له الآن، ولكنه لا يزال الفتى الذي ترعرع معه (بيرين). (قاتل الظلال)، رجل تهابه الذئاب، رجل يمكنه التسخير.

قال (راند): «أنا لا أمانع». ثم حكى حكايته ببساطة.

وجد (بيرين) نفسه يفغر فمه؛ (أحجار بوابة)، عوالم أخرى، حيث يبدو أن الأرض تتبدل. (هورين) يتتبع الأثر الذي سيكون فيه أصدقاء الظلام، وامرأة جميلة في محنة، تمامًا مثل حكاية من حكايات صانعي البهجة.

أطلق (مات) صفيراً متعجباً خافتاً وقال: «وهي من أعادتكم باستخدام واحدة من هذه الـ... هذه (الأحجار)؟».

تردد (راند) للحظة ثم قال: «لا شك أنها هي من أعادتنا، إذن كما ترون هكذا استطعنا أن نسبقكم إلى هذا الحد. عندما جاء (فاين) استطعت أنا و(لويال) أن نسرق (بوق فالير) في الليل، ثم توجهنا إلى (كايرين) لأننا لم نعتقد أننا سنقدر على تجاوزهم بمجرد استيقاظهم، وكنت أعلم أن (إنجتار) سيواصل السير جنوباً وراءهم وسيصل إلى (كايرين) في نهاية المطاف».

(قاتل الظلال). نظر إليه (راند) مضيقاً عينيه فأدرك (بيرين) أنه نطق الاسم بصوت عالٍ، ولكن من الواضح أنه لم يكن عالياً بما يكفي لأن يسمعه أي شخص آخر. ولم ينظر إليه شخص آخر. وجد نفسه راغباً في إخبار (راند) بشأن الذئب. أنا أعرف بشأنك، من العدل أن تعرف سري أيضاً. ولكن (فيرين) كانت هناك، لا يمكنه أن يتحدث عن الأمر أمامها.

قالت (الآيز سيداي) وقد ارتسم على وجهها التفكير العميق: «هذا مثير للاهتمام، أود حقاً أن ألتقي بهذه الفتاة، إن كانت قادرة على استخدام (حجر بوابة)... حتى هذا الاسم ليس معروفاً لكثير من الناس». هزت رأسها وقالت: «حسناً، فلندع هذا لوقت آخر، لن يكون من الصعب العثور على فتاة طويلة بين العائلات الكايرينية. آه، ها هي وجبتنا».

اشتتم (بيرين) رائحة لحم الضأن، قبل حتى أن تتقدم السيدة (تايدرا) موكباً يحمل صحفاً من الطعام. سال لعبه من أجل اللحم، أكثر من البازلاء والقرع والجزر والكرنب المصاحبين له، أو اللفافات الساخنة المقرمشة. لا يزال يجد الخضراوات لذيذة ولكنه أحياناً في الآونة الأخيرة يجد نفسه يحلم باللحوم الحمراء، دون حتى أن تكون مطهوة. كان من المقلق أن يجد نفسه يفكر في أن شرائح لحم الضأن الوردية الجميلة التي قطعتها صاحبة الحانة مطهوة أكثر من اللازم. بحزم أخذ حصة من كل نوع وحصتين من لحم الضأن.

تناولوا طعامهم في صمت وكل واحد منهم غارق في أفكاره الخاصة. وجد (بيرين) أنه من المؤلم مشاهدة (مات) وهو يتناول طعامه. كانت شهية (مات) صحية كأى وقت مضى، رغم أن احتقان وجهه بشكل محموم والطريقة التي يلتهم بها الطعام في نهم جعلها هذه الوجبة تبدو وجبته الأخيرة قبل الموت. أبقى (بيرين) عينيه على طبقه قدر الإمكان وهو يتمنى لو أنهم لم يغادروا (إيموندز فيلد) قط.

بعد أن نظفت الخادومات الطاولة وغادرن مرة أخرى أصرت (فيرين) على البقاء معاً حتى يعود (هورين). «قد يجلب خبراً بأن علينا التحرك على الفور».

عاد (مات) إلى تلاعبه بالبيضات و(لويال) إلى قراءته. سأل (راند) صاحبة الحانة إن كان هناك المزيد من الكتب فجلبت له (رحلات جين فارسترايدر). يحب (بيرين) هذا الكتاب أيضًا وقصصه عن المغامرات بين (قوم البحر)، ورحلاته إلى الأراضي الواقعة وراء (فلاة آيل) من حيث يأتي الحرير. ولكنه لم يشعر برغبة في القراءة، لذا وضع لوح أحجار على الطاولة ليلعب مع (إنجتار). لعب الشايناري بأسلوب جريء مهاجم. لطالما لعب (بيرين) بشكل دفاعي، متراجعًا على مضض. ولكنه وجد نفسه يضع الأحجار بتهور مثل (إنجتار). انتهت معظم المباريات بالتعادل ولكنه استطاع أن يفوز بعدد المباريات نفسه الذي فاز به (إنجتار). صار الشايناري ينظر إليه باحترام شديد بحلول الوقت المبكر من المساء، عندما عاد المتشمم. كانت ابتسامة (هورين) منتصرة ومتحيرة في الوقت نفسه. «لقد عثرت عليهم يا لورد (إنجتار)، يا لورد (راند). لقد تعقبتهم إلى مخبئهم».

سأله (إنجتار) بحدة: «مخبئهم؟ هل تقصد أنهم يختبئون في مكان ما قريب؟». «أجل يا لورد (إنجتار)، هؤلاء الذين أخذوا (البوق)، لقد تتبعتهم مباشرة إلى هناك، وكانت رائحة (الترولوكيين) في جميع أنحاء المكان. على الرغم من تسللهم فإنهم لا يريدون بأن يغامروا بأن يراهم أحد حتى هناك، ولا عجب في هذا». أخذ المتشمم نفسًا عميقًا. «إنه القصر العظيم الذي انتهى اللورد (بارثانيس) من بنائه للتو».

صاح (إنجتار): «اللورد (بارثانيس)! ولكنه... إنه... إنه...». قالت (فيرين) ببساطة: «هناك أصدقاء ظلام بين النبلاء والعامّة على حد سواء. والأقوياء يمنحون أرواحهم (للظل)، كما يفعل الضعفاء». عبس (إنجتار) كما لو أنه لا يرغب في التفكير في الأمر. أكمل (هورين): «كان هناك حرس. لن نستطيع الدخول بعشرين رجلًا، ليس إن كنا نريد الخروج مرة أخرى. يمكن لمئة أن يفعلوها، ولكن مئتين سيكون أفضل. هذا ما أعتقد يا سيدي». تساءل (مات): «ماذا عن الملك؟ إن كان (بارثانيس) صديقًا للظلام فسيساعدنا الملك».

قالت (فيرين) بهدوء: «أنا واثقة أن (جالدرين رايتين) سيتحرك ضد (بارثانيس دامودريد) إن سمع مجرد شائعة أن (بارثانيس) صديق للظلام، وستساعده هذه الذريعة. أنا واثقة أيضًا أن (جالدرين) لن يتخلى عن (بوق فالير) بمجرد أن يضع يده عليه، سيُخرجه في الأعياد ليريه للناس ويحدثهم عن قوة (كايرين) وعظمتها، ولن يراه أحد عدا هذا».

رمش (بيرين) بعينه في صدمة وقال: «ولكن (بوق فالير) يجب أن يكون موجودًا عند خوض (المعركة الأخيرة)، لا يمكنه فقط أن يحتفظ به».

قال له (إنجتار): «أنا أعرف القليل عن الكايرينيين، ولكنني سمعت ما يكفي عن (جالدرين)، سيقم لنا وليمة ويشكرنا على المجد الذي جلبناه إلى (كايرين)، سيملاً جيوبنا بالذهب ويكوم أوسمة التكريم على رؤوسنا. وإن حاولنا الرحيل (بالبوق) فسيقطع رؤوسنا المكرومة دون أن يتوقف لحظة ليلتقط أنفاسه».

تخلل (بيرين) شعره بيده. كلما عرف أكثر عن الملوك قل إعجابه بهم. تساءل (مات) بحرج: «ماذا عن الخنجر؟ لن يرغب في الاحتفاظ به، أليس كذلك؟». حدجه (إنجتار) بنظره، فتململ في توتر وقال: «أعرف أن (البوق) مهم، ولكنني لن أقاتل في (المعركة الأخيرة). ذلك الخنجر...».

أراحت (فيرين) يديها على ذراعي الكرسي وقالت: «لا يجب أن يحصل (جالدرين) على هذا أيضًا، ما نحتاج إليه هو طريقة ما لدخول قصر (بارثانيس)، إن تمكنا من العثور على البوق فقد نجد طريقة لاستعادته. أجل يا (مات)، والخنجر أيضًا. بمجرد أن يصير معروفًا أن هناك (آيز سيداي) في المدينة... حسنًا، عادة ما أتجنب هذه الأشياء، ولكن إن أخبرت (تايدرا) بأنني أرغب في رؤية قصر (بارثانيس) الجديد فستصليني دعوة في غضون يوم أو اثنين. لن يكون من الصعب أن أخذ معي بعضًا منكم على الأقل. ما الأمر يا (هورين)؟».

كان المتشمم يتأرجح بقلق على كاحليه منذ اللحظة التي ذكرت فيها الدعوة. «إن اللورد (راند) لديه دعوة بالفعل من اللورد (بارثانيس)».

حدق (بيرين) إلى (راند)، ولم يكن وحده من فعل هذا. أخرج (راند) اللفافتين المختومتين من جيب معطفه وأعطاهما (للآيز سيداي) دون كلمة. جاء (إنجتار) لينظر بتعجب من فوق كتفها إلى الختمين ثم قال: «(بارثانيس) و... (جالدرين)! كيف حصلت على هاتين يا (راند)؟ ما الذي كنت تفعله؟».

قال (راند): «لا شيء، لم أفعل أي شيء. إنها فقط أرسلاهما لي». تنهد (إنجتار) وفغر (مات) فمه. قال (راند) بصوت خافت: «حسنًا، إنها فقط أرسلاهما لي حقًا». كان هناك كبرياء حياله لم يعهده فيه (بيرين)، ولكنه كان ينظر إلى (الآيز سيداي) واللورد الشايناري كأنه ندُّ لهما.

هز (بيرين) رأسه. *إن هذا المعطف يلائمك. نحن جميعًا نتغير.* قال (هورين): «لقد أحرق اللورد (راند) الدعوات الأخرى. كل يوم تأتيه دعوات وكل يوم يحرقها. حتى جاءت هاتان بالطبع. كل يوم من عائلات من أقوى». بدا فخورًا.

قالت (فيرين) وهي تنظر إلى اللفافتين: «(عجلة الزمن) تنسجنا جميعًا في (النمط) بمشيئتها، وفي بعض الأحيان تمنحنا ما نحتاج إليه قبل أن نعرف أننا بحاجة إليه». ببساطة جعّدت دعوة الملك وألقت بها في المدفأة، حيث استقرت بيضاء على الحطب البارد. ثم فضت الختم الآخر بإبهامها وراحت تقرأ. «أجل، أجل، هذه ستفي بالغرض جيدًا».

سألها (راند): «كيف يمكنني الذهاب؟ سيعرفون أنني لست لوردًا، أنا راعي غنم ومُزارع». بدا (إنجتار) متشككًا. «أنا كذلك يا (إنجتار)، أخبرتك أنني كذلك». هز (إنجتار) كتفيه، ما زال يبدو غير مقتنع. حدق (هورين) إلى (راند) بعدم تصديق واضح.

قال (بيرين) لنفسه: بحق (النور)، لو لم أكن أعرفه لما صدقت هذا أيضًا. كان (مات) يراقب (راند) وهو يميل رأسه جانبًا ويعقد حاجبيه، كما لو أنه ينظر إلى شيء لم يره من قبل. إنه يرى هذا الآن أيضًا. قال (بيرين): «يمكنك أن تفعلها يا (راند)».

قالت (ثيرين): «سيكون من المفيد ألا تخبر الجميع بما أنت لست عليه، الناس يرون ما يتوقعون رؤيته. بالإضافة إلى هذا انظر إليهم في أعينهم وتحدث بحزم، بالطريقة التي كنت تتحدث بها إليّ». أضافت الجملة الأخيرة بسخرية فتوردت وجنتا (راند)، ولكنه لم يخفض عينيه. «لا يهم ما تقوله، سيعززون أي شيء في غير محله إلى كونك أجنبيًا. سيكون من المفيد أيضًا أن تذكر الطريقة التي تصرف بها أمام (الأميرلين)، إن تصرفت بمثل هذا الكبرياء فسيعتقدون أنك لورد حتى لو ارتديت أسماً بالية». ضحك (مات) ساخرًا. لَوَّح (راند) بيديه وقال: «حسنًا، سأفعلها، ولكنني ما زلت أعتقد أنهم سيعرفون حقيقتي بعد أن أفتح فمي بخمس دقائق. متى؟».

«لقد طلب منك (بارثانيس) الحضور في خمسة مواعيد مختلفة، أحدهم ليلة الغد». صاح (إنجتار): «الغد! قد يكون (البوق) على بعد خمسين ميلاً عبر النهر بحلول ليلة الغد، أو...». قاطعته (ثيرين) قائلة: «يمكن أن يراقب (أونو) وجنودك القصر. إن حاولوا أن يأخذوا (البوق) إلى أي مكان فيمكننا بسهولة أن نلحق بهم، وربما يكون الأمر حينها أسهل من استعادته من داخل أسوار (بارثانيس)».

وافقها (إنجتار) على مضض قائلاً: «ربما. أنا فقط لا أعجبني الانتظار الآن بينما (البوق) في متناول يديّ تقريبًا. سأحصل عليه. يجب عليّ هذا!».

حذق إليه (هورين) قائلاً: «ولكن يا لورد (إنجتار) هذا ليس صوابًا. ما حدث قد حدث، وما مقدر له أن يحدث فسوف...». قاطعته نظرة (إنجتار) القاسية، ولكنه رغم هذا تتم بصوت خافت: «هذا ليس صوابًا، الحديث عما يجب».

أولى (إنجتار) اهتمامه إلى (ثيرين) من جديد وقال بجمود: «إن الكايرينيين صارمون للغاية في مراسمهم يا (ثيرين سيداي)، إن لم يُرسل (راند) ردًا فقد يشعر (بارثانيس) بإهانة شديدة حتى إنه لن يسمح لنا بالدخول، حتى مع وجود هذه اللفافة معنا. ولكن إن فعل (راند)... حسنًا، (فاين) على الأقل يعرفه. ربما بفعل هذا نحذرهم مما يجعلهم ينصبون فخًا».

«سوف نفاجئهم». لم تكن ابتسامتها المقتضبة لطيفة. «ولكنني أعتقد أن (بارثانيس) سيرغب في رؤية (راند) على أي حال. أشك أنه سيتخلى عن مؤامرتة ضد العرش سواء كان صديقًا للظلام أم لا. إنه يذكر إنك مهتم بأحد مشاريع الملك يا (راند)، ولكنه لم يذكر طبيعته، هل تعرف ما يعنيه؟».

قال (راند) ببطء: «لا أعرف، لم نفعل أي شيء على الإطلاق منذ وصولنا. مهلاً، ربما يقصد التمثال، لقد مررنا بقريّة حيث كانوا ينقبون عن تمثال عملاق. يقولون إنه من (عصر الأساطير)، ينوي الملك نقله إلى

(كايرين)، ولكنني لا أعرف كيف يمكن أن ينقل شيئًا بهذه الضخامة. كل ما فعلته هو أن سألت عنه». «لقد مررنا به بالنهار ولكننا لم نتوقف لطرح أسئلة». تركت (فيرين) الدعوة تسقط في حجرها. «ربما ليس من الحكمة أن ينقب (جالديان) عن شيء كهذا. هذا لا يعني أن هناك أي خطر حقيقي، ولكن ليس من الحكمة أن يعيث مع أشياء من (عصر الأساطير) هؤلاء الذين لا يعرفون أي شيء عنها». سألها (راند): «ما هذا الشيء؟».

«سانجريال». قالتها وكأن الأمر ليس مهمًا حقًا. ولكن (بيرين) شعر فجأة أنها يتبادلان محادثة خاصة، فيقولان أشياء لا يمكن لأحد آخر أن يسمعها. «واحد من زوج، أكبر اثنين قد صُنعا على الإطلاق حسبما نعرف. أحدهما لا يزال مدفونًا في (تريالكينج)، ولا يمكن أن يستخدمه سوى امرأة. هذا لا يمكن أن يستخدمه سوى رجل، لقد صُنع أثناء حرب القوة ليكون سلاحًا. ولكن إن كان هناك شيء يمكن أن نكون ممتنين بشأنه في نهاية ذلك العصر أو (تحطم العالم) فهو أن النهاية قد جاءت قبل أن يتمكنوا من استخدامه. معًا قد يكونان قويين بما يكفي (لتحطيم العالم) مرة أخرى. بل وربما يكون أسوأ من (التحطم) الأول».

ضم (بيرين) قبضتيه، كان يتحاشى النظر مباشرة إلى (راند)، ولكن حتى من طرف عينه استطاع أن يرى الالبيضاخ حول فم (راند). فكر أن (راند) قد يكون خائفًا، ولكنه لا يستطيع أن يلومه مقدار ذرة. بدا (إنجتار) مصدومًا كما يجدر به أن يكون. «هذا الشيء يجب أن يُدفن مرة أخرى، وبأقصى عمق ممكن، وأن يكوم من فوقه التراب والحجارة. ماذا كان سيحدث لو عثر عليه (لوجاين)؟ أو أي رجل تعيس يمكنه التسخير، ناهيك برجل يزعم أنه (التنين العائد). يجب أن تحذري (جالديان) يا (فيرين سيدي) بشأن ما يفعله».

«ماذا؟ أوه، أعتقد أنه لا حاجة لهذا، يجب أن يعمل الاثنان معًا بانسجام تام للتعامل مع ما يكفي من (القوة الواحدة) (لتحطيم العالم). هكذا كان الحال في (عصر الأساطير). كان الرجل والمرأة اللذان يعملان معًا أقوى بعشر مرات مما يكون عليه واحد منهما بمفرده. وأي (آيز سيدي) الآن قد تساعد رجلًا على التسخير؟ إن أحد التمثالين بمفرده يكون قويًا بما يكفي، ولكنني أعرف عددًا قليلًا من النساء يمكنهن النجاة من التدفق عبر التمثال الموجود في (تريالكينج). (الأميرلين) بالطبع، و(مويرين)، و(إيليدا)، وربما واحدة أخرى أو اثنتان. وثلاثة لا يزلن في مرحلة التدريب. أما بالنسبة (للوجاين) فسيتطلب الأمر كل قوته ببساطة لمنع نفسه من الاحتراق إلى رماد، دون أن يتبقى لديه أي قوة لفعل أي شيء آخر. لا يا (إنجتار)، لا أعتقد أنك بحاجة إلى القلق. على الأقل ليس حتى يعلن (التنين العائد) الحقيقي عن نفسه، وبعدها سيكون لدينا جميعًا ما نقلق بشأنه بطبيعة الحال. دعنا الآن نقلق بشأن ما يجب أن نفعله عندما نصير بداخل قصر (بارثانيس)».

كانت تتحدث إلى (راند)، عرف (بيرين) هذا، ومن النظرة المضطربة المرتسمة في عيني (مات) أدرك أنه يعرف بدوره، حتى (لويال) تملل بتوتر في كرسیه. قال (بيرين) لنفسه: أوه، بحق (النور) يا (راند)، لا تسمح

لها باستغلالك.

كان (راند) يضغط بيديه بقوة على سطح الطاولة حتى إن مفاصل أصابعه قد ابيضت، ولكن صوته كان ثابتاً، ولم يُبعد عينيه عن (الآيز سيداي). «علينا أولاً أن نستعيد (البوق) والخنجر، وبعدها سيكون الأمر قد انتهى يا (فيرين)».

أحس (بيرين) بقشعريرة باردة وهو ينظر إلى ابتسامة (فيرين) الطفيفة والغامضة. لم يعتقد أن (راند) يعرف نصف ما يظن أنه يعرفه. بل أقل من النصف.

الفصل الثاني والثلاثون

كلمات خطيرة

كان قصر اللورد (بارثانيس) رابضاً في الليل كضفدع عملاق، ويحتل من الأرض قدر ما يحتله حصن، بكل أسواره ومبانيه الملحقه. ولكنه لم يكن حصناً، بنوافذه الطويلة في كل مكان، والأضواء وأصوات الموسيقى والضحك المنجرفة منه. ومع ذلك رأى (راند) الحراس يتحركون على قمم الأبراج، وعلى طول الممرات التي تربط ما بين الأسطح، ولم تكن أي من النوافذ قريبة من الأرض. ترجل من على صهوة (ريد)، وهندم معطفه وعدّل من وضع حزام سيفه. ترجل الآخرون من حوله، عند أول سلم عريض من الحجر الأبيض، يؤدي إلى الأعلى نحو أبواب القصر الواسعة المنقوشة.

كان هناك عشرة جنود شايناريين بقيادة (أونو)، يمثلون الحراسة المرافقة لهم. تبادل الرجل ذو العين الواحدة إيماءة صغيرة مع (إنجتار) قبل أن يتحدث إلى رجاله للانضمام إلى مجموعات الحرس المرافقين الآخرين، حيث تُقدّم الجمعة، وكان هناك ثور كامل يُشوى في سفود على نار كبيرة.

كان الشايناريون العشرة الآخرون قد بقوا في الحانة بصحبة (بيرين). كانت (فيرين) قد قالت إن كل واحد منهم يجب أن يكون ذاهباً لغرض ما، ولم يكن هناك غرض يمكن أن يحققه (بيرين) هذه الليلة. كان وجود حرس مرافقين أمراً ضرورياً من أجل الوقاء في أعين الكايرينيين، ولكن وجود أكثر من عشرة سيثير الريبة. لقد جاء (راند) لأنه قد تلقى الدعوة، وجاء (إنجتار) ليضفي لقبه هيبه، بينما (لويال) قد جاء لأن (الأوجير) يحظون بالاحترام بين الطبقات العليا من نبلاء (كايرين). تظاهر (هورين) بأنه خادم (إنجتار)، بينما هدفه الحقيقي هو اشتها رائحة أصدقاء الظلام و(الترولوكيين) إن استطاع هذا، لن يكون (بوق فالير) بعيداً عنهم. كان (مات) - الذي لا يزال يتذمر حيال الأمر - يتظاهر بأنه خادم (راند)، بما أنه قادر على الإحساس بالخنجر عندما يكون قريباً منه، وربما يتمكن من العثور على أصدقاء الظلام إن فشل (هورين) في هذا.

عندما سأل (راند) (فيرين) عن سبب وجودها ابتسمت وقالت: «لإبعاد بقيتكم عن المتاعب». بينما يصعدون السلم تتمم (مات): «ما زلت لا أفهم لم يجب أن أكون خادماً». كان هو و(هورين) يمشيان وراء البقية. «بحق (النور)، إن كان بمقدور (راند) أن يصير لوردًا فيامكاني أن أرتدي معطفًا فاخرًا أيضًا». قالت (فيرين) دون أن تنظر إلى الوراء ناحيته: «الخادم يمكنه أن يذهب إلى أماكن عديدة لا يستطيع الآخرون الذهاب إليها، والكثير من النبلاء لن يلاحظوه حتى. أنت و(هورين) لديكما مهامكما».

تدخل (إنجتار) قائلاً: «اصمت الآن يا (مات)، ما لم تكن راغباً في الكشف عن أمرنا». كانوا يقتربون من البوابة، حيث يقف نصف دزينة من الحرس، وعلى صدورهم شعار الشجرة والتاج الخاص (بال دامودريد)، وعدد مماثل من الخدم يرتدون ثياباً خضراء داكنة، مع شعار الشجرة والتاج على أكمامهم.

أخذ (راند) نفسًا عميقًا قبل أن يقدم الدعوة قائلاً: «أنا اللورد (راند)، من (آل الثور)». كان يتحدث بسرعة للانتهاء من الأمر. «وهؤلاء هم ضيوفى، (فيرين آيز سيداي) من (الآجاء البنيات)، اللورد (إنجتار) من عائلة شينوا في (شاینار)، (لويال ابن آرينت ابن هالان) من (ملاذ شانجتاي)». كان (لويال) قد طلب عدم ذكر ملاذه الذي رحل عنه، ولكن (فيرين) أصرت أنهم بحاجة إلى كل الرسميات التي يمكنهم تقديمها.

الخادم الذي مديده ليمسك بالدعوة بانحناء صورية كان يرتجف قليلاً مع ذكر كل اسم، واتسعت عيناه مع ذكر اسم (فيرين). ثم قال بصوت مختنق: «مرحباً بكما في ضيافة (آل دامودريد) أيها اللوردان، مرحباً بك أيتها (الآيز سيداي)، مرحباً بك أيها الصديق (الأوجير)». أشار إلى الخدم الآخرين أن يفتحوا البوابة على اتساعها، ثم انحنى (لراند) والآخرين وهو يشير لهم بأن يدخلوا، قبل أن يسرع بتمرير الدعوة إلى رجل آخر في زي رسمي، ويهمس في أذنه.

كان هذا الرجل يحمل شعار الشجرة والتاج كبيراً على صدر معطفه الأخضر. قال وهو يتوكأ على عصاه الطويلة لكي ينحني لكل واحد منهم على حدة، فكادت رأسه أن تصل إلى ركبتيه: «أيتها (الآيز سيداي)، أيها اللوردان، صديقي (الأوجير). أنا أدعى (آشين)، أرجوكم اتبعوني».

لم يكن بالرواق الخارجي سوى الخدم، ولكن (آشين) اصطحبهم إلى حجرة كبيرة مليئة بالنبلاء، مع شخص يتلاعب بالكرات في أحد طرفيها، وهلوانات في الطرف الآخر. كانت الأصوات القادمة من أماكن أخرى تشي بأن هؤلاء ليسوا الضيوف الوحيدين، وأن هذه ليست وسائل الترفيه الوحيدة. كان النبلاء يقفون في مجموعات من اثنين أو ثلاثة أو أربعة. أحياناً رجالاً ونساءً معاً، وأحياناً رجالاً فقط أو نساءً فقط. ودوماً مع وجود مسافة كافية لئلا يسترق أحد السمع لما يقال. كان الضيوف يرتدون الثياب الكايرينية داكنة الألوان مع خطوط زاهية تصل إلى منتصف الصدر على الأقل، وبعضهم تغطيهم الأشرطة حتى خصورهم. كانت النسوة يصففن شعورهن عالياً في أبراج من صفائر متداخلة، كل واحدة تختلف عن الأخرى، وكانت تنانيرهن الداكنة واسعة للغاية، حتى إنه كان عليهن التحرك بشكل جانبي للمرور عبر أي أبواب أضيق من تلك الموجودة في القصر. لم يكن أي من الرجال حليق الرأس كالجنود، وجميعهم يرتدون قبعات مخملية داكنة فوق شعر طويل، بعضها على شكل أجراس، وبعض آخر مسطح. وكما هو الحال مع النساء كان الدانتيل المكشكش الشبيه بالعاج الداكن يكاد أن يخفي أيديهم.

ضرب (آشين) بعصاه على الأرض وأعلن عن حضورهم بصوت عالٍ، معلناً عن (فيرين) أولاً. التفتت إليهم الأعين جميعها. كانت (فيرين) ترتدي شالها ذا الأهداب البنية المطرز بكروم العنب. إن الإعلان عن مجيء (آيز سيداي) جعل التتمتات تتعالى بين اللوردات والسيدات النبيلات، وجعل المتلاعب بالكرات يسقط إحدى كراته، رغم أن أحداً لم يعد ينظر إليه. تلقى (لويال) العدد نفسه من النظرات تقريباً، قبل حتى أن يعلن (آشين) عن اسمه. على الرغم من التطريز الفضي على الياقة والكُمّين فإن اللون الأسود

المصمت لمعطف (راند) جعله يبدو بارزًا إلى جانب الكايرينيين، وقد جذب سيفه وسيف (إنجتار) الكثير من النظرات. لم يبدو أن أيًا من اللوردات مسلحًا. سمع (راند) كلمات «سيف بعلامة البلشون» أكثر من مرة. بعض النظرات التي تلقاها كانت عابسة، فخمّن أنها ربما من رجال أهانهم بحرق دعواتهم.

اقترب منهم رجل نحيل وسيم، له شعر طويل رمادي، وعدد كبير من الأشرطة الملونة، تقطع الجزء الأمامي من معطفه البني الداكن، بدءًا من الياقة وحتى حافة المعطف فوق ركبتيه. كان طويلًا للغاية بالنسبة لكونه كايريني، فلم يكن أقصر من (راند) إلا بمقدار نصف رأس، ولديه طريقة في الوقوف تجعله أكثر طولًا، فيرفع ذقنه حتى يبدو وكأنه ينظر إلى الجميع من عليّ. كانت عيناه كحجرين صغيرين أسودين، وقد نظر إلى (فيرين) في حذر.

«(النعمة) تباركني بحضورك أيتها (الآيز سيداي)». كان صوت (بارثانيس دامودريد) عميقًا وواثقًا. مر ببصره على الآخرين وقال: «لم أكن أتوقع مثل هذه الحضور المميز. اللورد (إنجتار)، الصديق (الأوجير)». كانت انحناءته لكل واحد منهما ليست أكثر من إيماءة بالرأس. يعرف (بارثانيس) قدر السلطة التي يحظى بها. «وأنت أيها اللورد الشاب (راند). لقد أثرت الكثير من التعليقات في المدينة وبين العائلات، ربما سنحظى بفرصة لتبادل الحديث الليلة». بدا من نبرته أنه لن يشعر بأن شيئًا قد فاتته إن لم يحظَ بهذه الفرصة، ولم يبدو متحمسًا لأي تعليق. انتقلت عيناه قليلًا إلى (إنجتار) و(لويال) و(فيرين)، قبل أن يتدرك نفسه ويقول: «مرحبًا بكم». سمح لامرأة جميلة أن تجذبه بعيدًا وهي تضع يداً مغطاة بالدانتيل على ذراعه ولكن بصره عاد إلى (راند) بينما يسير مبتعدًا.

تعالت تمتمات الحديث من جديد، بينما المتلاعب بالكرات يحرك الكرات مرة أخرى في دائرة تكاد أن تصل إلى السقف المطلي بالخص، على ارتفاع أربعة باعات. لم يتوقف البهلوانات قط. قفزت امرأة في الهواء بعد أن دفعها أحد رفاقها لأعلى، فلمعت بشرتها الدهنية في ضوء مئة مصباح وهي تدور حول نفسها، قبل أن تهبط بقدميها على يدي رجل كان يقف بالفعل فوق كتفي شخص آخر. رفعها على ذراعيه الممدودتين كما يرفعه الرجل الذي من تحته بالطريقة نفسها، فبسطت ذراعيها كما لو أن هناك من يصفق لها. ولكن لم يبدو أن أحدًا من الكايرينيين يلاحظ ما يحدث.

تحركت (فيرين) و(إنجتار) عبر الحشد. تلقى الشايناري بعض النظرات الحذرة، ونظر البعض إلى (الآيز سيداي) بأعين متسعة، وآخرون بنظرات قلقة كما لو أنهم يرونها ذئبًا مسعورًا على مقربة منهم. كانت النظرات الأخيرة تأتي من الرجال أكثر من النساء، وبعض النساء قد تحدثن إليها.

أدرك (راند) أن (مات) و(هورين) قد اختفيا بالفعل في المطابخ، حيث يجتمع كل الخدم الذين يأتون بصحبة الضيوف إلى أن يرسل أحد في طلبهم. كان يأمل أنها لن يواجهها مشكلة عند تسللها.

أحنى (لويال) رأسه ليتحدث في أذن (راند) قائلاً: «هناك (بوابة طريق) على مقربة من هنا يا (راند)، يمكنني الشعور بها».

قال (راند) بصوت خافت: «هل تعني أن هذا كان بستان (أوجير)؟».

أوماً (لويال) برأسه وقال: «لم يكن (ملاذ تسوفو) قد تأسس عندما زُرِع هذا البستان وإلا فإن (الأوجير) الذين ساعدوا في بناء (ألكاير اينالين) ما كانوا ليحتاجوا إلى بستان لتذكيرهم بالملاذ. كانت هذه كلها غابة عندما مررت (بكايرين) من قبل، وكانت تخص الملك».

«على الأرجح استطاع (بارثانيس) أن يستولي عليها بمؤامرة ما». تلفت (راند) في أرجاء الحجرة بقلق، كان الجميع ما زالوا يتحدثون، ولكن عددًا منهم يراقبهما هو و(الأوجير). لم يستطع أن يرى (إنجتار)، وكانت (فيرين) واقفة وسط مجموعة من النساء. «أتمنى لو أن بمقدورنا أن نبقي معًا».

«قالت (فيرين) يجب علينا ألا نفعل هذا يا (راند)، قالت إنهم جميعًا سيشعرون بالريبة والغضب وسيعتقدون أننا ننأى بأنفسنا عنهم. علينا ألا نثير الشكوك إلى أن يتمكن (هورين) و(مات) من العثور على ما يجب عليهما العثور عليه».

«لقد سمعت أنا أيضًا ما قالته يا (لويال)، ولكني ما زلت أقول إنه إن كان (بارثانيس) صديقًا للظلام إذن فهو يعرف بالتأكيد لماذا نحن هنا. إن مجيئنا إلى هنا بأنفسنا هو أشبه بأن نطلب أن يضر بنا أحد على رؤوسنا».

«تقول (فيرين) إنه لن يفعل أي شيء حتى يعرف إن كان بمقدوره أن يستفيد منا. فلتفعل ما قالته يا (راند)، (الآيز سيدي) يعرف ما يفعله». تحرك (لويال) ناحية الحشد، ولكن قبل أن يخطو عشر خطوات اجتمعت حوله دائرة من اللوردات والسيدات النبيلات.

خطا آخرون ناحية (راند) بعد أن صار وحده، ولكنه استدار على عقبيه في الاتجاه الآخر وأسرع مبتعدًا. ربما (الآيز سيدي) يعرف ما يفعله، ولكني أتمنى لو أنني أعرف. لا يعجبني هذا، بحق (النور)، كم أتمنى أن أعرف إن كانت تقول الحقيقة. (الآيز سيدي) لا يكذب مطلقًا، ولكن الحقيقة التي تسمعها قد لا تكون الحقيقة التي تظنها.

واصل الحركة لتفادي الحديث مع النبلاء. كان هناك المزيد من الحجرات الأخرى، جميعها ممتلئة باللوردات والسيدات النبيلات، بالإضافة إلى المستعرضين. كان هناك ثلاثة صانعي بهجة مختلفين بعباءاتهم المميزة، والمزيد من المتلاعبين بالكرات والبهلوانات، وعازفو المزامير والعجاجات والسناطير والأعواد، وخمسة أحجام مختلفة من الكمان، وستة أنواع من الأبواق المستقيمة والمنحنية والملتفة، وعشرة أحجام من الطبول؛ من الدف حتى الطبلبة الكبيرة. أمعن النظر إلى بعض عازفي الأبواق، هؤلاء الذين يعزفون على أبواق ملتفة، ولكن الآلات الموسيقية كلها كانت من النحاس البسيط.

قال لنفسه: لن يكون لديهم (بوق فالير) هنا أيها الأحمق، ما لم يرغب (بارثانيس) في أن يعود الأبطال الموتى ليكونوا جزءًا من الترفيه.

كان هناك شاعر يرتدي حذاءً تيريًا مشغولًا بالفضة ومعطفًا أصفر، يتجول بين الحجرات وهو يعزف على أوتار قيثارته، ويتوقف في بعض الأحيان لينشد في ترنيم عالٍ. كان يحدق بازدراء إلى صانعي البهجة، ولا يمكنه في الحجرات الموجودين فيها، ولكن (راند) لم يرَ اختلافًا كبيرًا بينه وبينهم سوى في الملابس.

فجأة صار (بارثانيس) يمشي إلى جانب (راند)، وعلى الفور قدّم له خادم في الثياب الموحدة صحيفة فضية وهو ينحني. أخذ (بارثانيس) قدحًا من زجاج منبعج يحتوي على نبيذ. كان الخادم يمشي إلى الوراء أمامهم وهو لا يزال ينحني، وقدّم الصحيفة (لراند)، ولكن (راند) هز رأسه فذاب الخادم وسط الحشد.

قال (بارثانيس) وهو يرتشف النبيذ: «أنت تبدو متململاً».

«أحب المشي». تساءل (راند) كيف يمكنه أن يتبع نصيحة (فيرين)، وتذكر ما قالته عن زيارته (للأميرلين)، فاتخذ مشية (القط يقطع الباحة)، لم يكن يعرف مشية أكثر عجرفة من هذه. أطبق (بارثانيس) فمه، فكّر (راند) أنه ربما يجده اللورد متعجرفاً أكثر من اللازم، ولكن عليه أن يتبع نصيحة (فيرين)، لذا لم يتوقف. للتخفيف من حدة الموقف قال بلطف: «هذه حفلة جميلة، لديك العديد من الأصدقاء ولم أر هذا العدد من المستعرضين من قبل».

وافقه (بارثانيس) قائلاً: «المزيد من الأصدقاء. يمكنك أن تخبر (جالدرين) كم عددهم ومن هم. بعض الأسماء قد تفاجئه».

«أنا لم ألتق بالملك من قبل يا لورد (بارثانيس)، ولا أعتقد أنني سألتقي به».

«بالطبع، لقد تصادف فقط أنك كنت في تلك القرية الوضيعة، ولم تكن تتحقق من التقدم المحرز في استعادة التمثال. إنه مشروع عظيم».

«أجل». بدأ يفكر في (فيرين) مرة أخرى، متمنياً لو أنها قدمت له بعض النصائح حول كيفية التحدث مع رجل يفترض أنه يكذب. أضاف من دون تفكير: «من الخطير أن يعبث المرء مع أشياء من (عصر الأساطير) إن لم يكن يعرف ما يفعله».

نظر (بارثانيس) إلى نبيذه متأملاً كما لو أن (راند) قال للتو شيئاً عميقاً. ثم سأله أخيراً: «هل تقول إنك لا تدعم (جالدرين) في هذا؟».

«قلت لك إنني لم ألتق بالملك من قبل».

«أجل، بالطبع. لم أكن أعرف أن الأندوريين يلعبون (اللعبة الكبرى) بمثل هذه البراعة. نحن لا نرى كثيراً منهم هنا في (كايرين)».

أخذ (راند) نفساً عميقاً ليمنع نفسه من أن يُخبر الرجل في غضب أنه لا يلعب (لعبتهم). «هناك العديد من بارجات الغلال من (أندور) في النهر».

«إنهم باعة وتجار. من قد يلاحظ أمثالهم؟ إن الأمر أشبه بملاحظة وجود الخنافس على أوراق الأشجار». كان صوت (بارثانيس) يحمل ازدراءً للخنافس والتجار على حد سواء. ولكنه عقد حاجبيه مرة أخرى كما لو أن (راند) قد ألمح إلى شيء ما. «لا يسافر العديد من الرجال بصحبة (آيز سيدي)». أنت تبدو صغيراً للغاية على أن تكون (حامياً)، أفترض أن اللورد (إنجتار) هو حامي (فيرين سيدي)، أليس كذلك؟».

قال (راند): «نحن نكون ما قلنا إننا نكونه». ثم تجهّم وهو يفكر: باستثنائي أنا.

كان (بارثانيس) يتفحص وجه (راند) بشكل صريح تقريباً ثم قال: «أنت صغير على أن تحمل سيفاً بعلامة البلشون».

قال (راند) بشكل تلقائي: «عمري أقل من عام واحد». وعلى الفور تمنى لو أنه لم يقل هذا، فقد بدا ما قاله أحمق. ولكن (فيرين) قالت إن عليه أن يتصرف كما كان يتصرف مع (عرش أميرلين). وهذه هي الإجابة التي أخبره بها (لان)، إن أي رجل من (البلاد الحدودية) يعتبر أن يوم ولادته هو اليوم الذي يحصل فيه على سيفه.

«إذن فأنت أندوري، ومع ذلك قد تدربت على أساليب (البلاد الحدودية). أم أن هذا تدريب (الحماة)؟». ضيق (بارثانيس) عينيه وهو يتفحص (راند). «أعرف أن (مورجيز) لديها ابن واحد، اسمه (جاوين) حسبما سمعت. لا شك أنك في مثل عمره تقريباً».

قال (راند) بحذر: «لقد التقيت به».

«هاتان العينان، هذا الشعر. لقد سمعت أن السلالة الملكية الأندورية لديها لون (الآيل) تقريباً في شعرها وأعينها».

تعثر (راند) رغم أن الأرض كانت من رخام أملس، ثم قال: «أنا لست آييلياً يا لورد (بارثانيس)، ولست من السلالة الملكية أيضاً».

«كما تشاء. لقد منحني الكثير لأفكر فيه. أعتقد أننا قد نجد أرضية مشتركة عندما نتحدث مرة أخرى». أوماً (بارثانيس) برأسه ورفع كأسه في تحية صغيرة، ثم التفت ليتحدث إلى رجل ذي شعر رمادي مع العديد من الأشرطة الملونة على معطفه.

هز (راند) رأسه ثم مضى قدماً مبتعداً عن المزيد من المحادثات. كان من السيئ بما يكفي أن يتحدث مع أحد لوردات (كايرين)، لذا لم يرغب في أن يغامر بالتحدث إلى اثنين. بدا أن (بارثانيس) يجد معاني عميقة في أكثر التعليقات بساطة. أدرك (راند) أنه قد تعلم الآن ما يكفي عن (الدائس دايمار) لكي يعرف أنه لا يملك أدنى فكرة على الإطلاق عن كيفية لعبها. أتمنى أن يجد (مات) و(هورين) شيئاً بسرعة لكي يتمكن من الخروج من هنا. هؤلاء الأناس مجانين.

ثم دلف إلى حجرة أخرى، فوجد أن صانع البهجة الموجود على الناحية الأخرى من الحجرة وهو يعزف على قيثارته ويحكي حكاية عن (الصيد العظيم للبوق) هو (توم ميريلين). توقف (راند) في موضعه. لم يبدو أن (توم) قد رآه، رغم أن نظرة صانع البهجة قد مرت عليه مرتين. يبدو أن (توم) كان يعني ما قاله عندما تحدث عن الافتراق.

استدار (راند) على عقبه لينصرف، ولكن امرأة خبطت بسلاسة أمامه ووضعت يدها على صدره، فراجع الدانتيل ليكشف عن معصم بض. لم تكن رأسها تصل إلى كتفه، ولكن ضفائرها المجتمعة كانت تصل إلى عينيه، وياقة ثوبها العالية تضع الدانتيل المكشكش تحت ذقنه. والأشرطة التي تغطي الجزء الأمامي من

فستانها الأزرق الداكن تصل إلى ما تحت صدرها. «أنا (آلين تشولياندريد)، وأنت (راند ألثور) الشهير. أفترض أنه في قصر (بارثانيس) سيكون لديه الحق للتحديث إليك أولاً، ولكننا جميعاً منبهرون بما قد سمعناه عنك. بل إنني سمعت أنك تعزف المزمار، هل يعقل أن هذا صحيح؟»
«أنا أعزف المزمار بالفعل». كيف عَرَفْتُ...؟ (كالدثوين). بحق (النور)، الجميع يسمعون كل شيء في (كايرين).
«إن سمحت لي...».

«لقد سمعت أن بعض اللوردات الأجانب يعزفون الموسيقى، ولكنني لم أصدق الأمر قط، أود حقاً أن أسمع عزفك، ربما نتبادل الحديث عن هذا أو ذاك. يبدو أن (بارثانيس) يجد أن محادثتك مثيرة للاهتمام، يقضي زوجي أياماً في أخذ عينات من مزارع الكروم الخاصة به، ويتركني وحدي تماماً. إنه لا يكون موجوداً للحديث معي مطلقاً».

قال (راند) محاولاً أن يخطو من حول تنورتها الواسعة: «لا شك أنك تفتقدينه». أطلقت ضحكة رنانة كما لو أن ما قاله هو أطرف شيء في العالم.

خطت امرأة أخرى إلى جانب الأولى ووُضعت يد أخرى على صدره. كانت ترتدي العديد من الأشرطة مثل (آلين)، وفي مثل عمرها، كلتاها أكبر منه بقاربة عشرة أعوام. «هل تعتقدين أنك ستحتفظين به لنفسك يا (آلين)؟». تبادلت المرأتان الابتسام ولكن نظرات أعينهما كانت كالخناجر. التفتت الثانية بابتسامتها إلى (راند) وقالت: «أنا (بيليقيار أوسيلين). هل جميع الرجال الأندوريين يمثل هذا الطول؟ وبمثل هذه الوسامة؟».

تنحى وقال: «آه... بعضنا طوال القامة. والآن إن سمحتا لي...».
«لقد رأيته تتحدث مع (بارثانيس)، يقولون إنك تعرف (جالدرين) أيضاً، يجب أن تأتي لرؤيتي والحديث معي، إن زوجي يزور مقاطعتنا في الجنوب».

قالت (آلين) بحدة: «إن مهارتك في التلميح أشبه بمهارة عاهرة في حانة». ثم التفتت إلى (راند) مبتسمة على الفور وقالت: «ليس لديها أي لباقة، لا يمكن لرجل أن يحب امرأة لها مثل هذا الأسلوب اللفظي. فلتجلب مزمارك إلى قصري، سنتبادل الحديث، وربما يمكنك أن تعلمني العزف».

قالت (بيليقيار) بعدوبة: «ما تعتبره (آلين) مهارة في التلميح ما هو إلا افتقار إلى الشجاعة. إن الرجل الذي يحمل سيفاً بعلامة البلشون يجب أن يكون شجاعاً. هذا حقاً سيف بعلامة البلشون، أليس كذلك؟».
حاول (راند) أن يتراجع مبتعداً عنهما وهو يقول: «إذا سمحتا لي، أنا...». كانتا تتبعانه خطوة بخطوة حتى التصق ظهره بالجدار، وقد شكَّلت تنورتاهما العريضتان معاً جداراً أمامه.

جفل عندما انضمت إليهما امرأة ثالثة، وقد شكَّلت تنورتها جداراً آخر إلى جانبه. كانت أكبر منهما سنّاً، ولكنها جميلة أيضاً بابتسامه مرحة لم تخفف من حدة عينيها. كانت تحمل أشرطة أكثر بمرّة ونصف من أشرطة (آلين) و(بيليقيار). انحنتا إليها انحناء بسيطة وحدقتا إليها بوجوم.

قالت المرأة الأكبر سنًا ضاحكة: «هل تحاول هاتان العنكبوتان نسجك في شباكهما؟ معظم الوقت تعلقان في شباكهما أكثر من أي شخص آخر. تعال معي يا صغيري الأندوري وسأخبرك عن بعض المتاعب التي قد توقعانك بها. على سبيل المثال ليس لدي زوج لتقلق بشأنه. الأزواج دومًا ما يسببون المتاعب». من فوق رأس (آلين) استطاع أن يرى (توم) يعتدل من انحناء دون أي تصفيق أو أن يلاحظه أحد على الإطلاق، فتجههم صانع البهجة وهو ينتزع قدحًا من على صحيفة يحملها خادم مما جعله يجفل. قال (راند) للنسوة: «لقد رأيت شخصًا ما يجب أن أتحدث إليه». ثم ضغط يده عبر الحاجز الذي شكلته من حوله في اللحظة التي كانت فيها المرأة الأخيرة تمد ذراعها ناحيته. حدثت إليه الثلاثة وهو يسرع ناحية صانع البهجة.

نظر إليه (توم) من فوق حافة قدحه ثم تجرع جرعة أخرى طويلة. «أعرف أنك قلت إن علينا أن نفرق يا (توم)، ولكن عليّ أن أهرب من هؤلاء النسوة، كل ما يرغب في الحديث بشأنه هو عدم وجود أزواجهن، ولكنهن كن يلمحن بالفعل إلى أشياء أخرى». اختنق (توم) وهو يشرب النبيذ، فضربه (راند) على ظهره وقال: «أنت تشرب بسرعة كبيرة، وأحيانًا ما يدخل شيء في المجرى الخاطئ. إنهن يعتقدن أنني أتامر مع (بارثانيس) يا (توم)، أو ربما (جالدرين)، ولا يصدقنني عندما أقول إنني لست كذلك. كنت أحتاج فقط إلى عذر للابتعاد عنهن». مسد (توم) شاربه الطويل بمفصل إصبعه ثم اختلس النظر عبر الحجرة إلى النسوة الثلاثة. كن لا يزلن واقفات معًا يراقبهن هو و(راند). «أنا أعرف هؤلاء الثلاثة يا (راند). (برين تابوروين) وحدها ستمنحك درسًا يجب أن يتعلمه كل رجل مرة واحدة على الأقل في حياته، إن كان قادرًا أن يعيش بعده. القلق بشأن أزواجهن. يعجبني هذا يا فتى». فجأة اكتست عيناه بالحدة وقال: «لقد أخبرتني أنك قد ابتعدت عن (الآيز سيدي)، نصف الموجودين هنا يتحدثون عن لورد أندوري ظهر دون سابق إنذار، وإلى جانبه (آيز سيدي). (بارثانيس) و(جالدرين). لقد تركت (البرج الأبيض) يضعك في إناء الطهو هذه المرة». «إنها لم تأت إلا بالأمس يا (توم)، وبمجرد أن يصير (البوق) آمنًا سأتحرك منهن مرة أخرى، سأحرص على أن يحدث هذا».

قال (توم) ببطء: «تحدث كما لو أنه ليس آمنًا الآن. لم أشعر بهذا في حديثك في المرة السابقة». «لقد سرقه أصدقاء الظلام يا (توم)، وجلبوه إلى هنا، (بارثانيس) واحد منهم». بدا أن (توم) يتفحص نبيذه، ولكن عينيه كانتا تتحركان بسرعة للتيقن من أنه لا يوجد أحد قريب بما يكفي لاستراق السمع. كان هناك آخرون إلى جانب النسوة الثلاثة يراقبونها بنظرات جانبية بينما يتظاهرون بالحديث فيما بينهم، ولكن كل مجموعة كانت تحافظ على مسافة بينها وبين المجموعات الأخرى. ومع ذلك تحدث (توم) بصوت خافت: «إنه شيء خطير لقوله إن لم يكن حقيقيًا، وأكثر خطورة إن كان حقيقيًا. اتهام

كهذا ضد أقوى رجل في المملكة... تقول إن لديه (البوق)؟ أفترض أنك تريد مساعدة مني مرة أخرى الآن بعدما صرت عالقًا مع (البرج الأبيض) من جديد».

«لا». كان قد قرر أن (توم) محق، حتى لو لم يعرف صانع البهجة لماذا. لا يمكنه أن يورط أي شخص آخر في متاعبه. «لقد أردت فقط أن أبتعد عن هؤلاء النسوة».

نفخ صانع البهجة شاربه مندهشًا ثم قال: «حسنًا، نعم، هذا جيد، المرة الأخيرة التي ساعدتك فيها صرتُ أعرج، ويبدو أنك سمحت لنفسك بأن تعلق في خيوط (تار فالون) مرة أخرى، سيكون عليك أن تُخرج نفسك من الأمر هذه المرة». بدا وكأنه يحاول إقناع نفسه.

«سأفعل يا (توم)، سأفعل». بمجرد أن يكون (البوق) بأمان ويستعيد (مات) ذلك الخنجر اللعين. (مات)، (هورين)، أين أنتما؟

كما لو أن الفكرة كانت استدعاءً ظهر (هورين) في الحجرة وعيناه تبحثان بين اللوردات والسيدات النبيلات. كانت أعينهم تمر عليه دون أن تراه، فالخدم لا يكونون موجودين ما لم تكن هناك حاجة لهم. عندما رأى (راند) و(توم) شق طريقه بين مجموعات النبلاء، وانحنى (لراند) قائلاً: «لقد أرسلت لإخبارك يا سيدي اللورد أن خادمك قد سقط ولوى ركبته، لا أعلم مدى سوء حالته يا سيدي».

للحظة حدق (راند) إليه قبل أن يفهم، كان مدرّكًا لكل الأعين التي تنظر إليه فقال بصوت عالٍ بما يكفي لأن يسمعه أقرب النبلاء له: «يا له من أخرق أحقق، ما فائدته بالنسبة لي إن كان لا يستطيع المشي. أفترض أنه من الأفضل أن آتي لأرى ما مدى سوء إصابته بنفسه».

قال (توم) بصوت خافت: «أنت تلعب دور اللورد جيدًا، ولكن تذكر هذا، ربما يلعب الكايرينيون (الدائس دايهار)، ولكن (البرج الأبيض) هو الذي صنع (اللعبة الكبرى) في المقام الأول، احترس لنفسك يا فتى». ألقى نظرة على النبلاء ثم وضع قدحه الفارغ على صحيفة يحملها خادم عابر، قبل أن يخطو مبتعدًا وهو يعزف على قيثارته. بدأ يردد أغنية (الزوجة الطيبة ميل وتاجر الحرير).

قال (راند) مخاطبًا (هورين) وهو يشعر بالحماقة: «خذني إليه يا رجل». وبينما يتبع المتشمم إلى خارج الحجرة كان يشعر بالأعين التي تلاحقه.

الفصل الثالث والثلاثون

رسالة من الظلام

«هل عثرتما عليه؟». تساءل (راند) وهو يلحق بهورين هابطاً درجاً ضيقاً. تقع المطابخ في الطوابق السفلية، والخدم الذين قد جاؤوا لخدمة الضيوف قد أرسلوا جميعاً هناك. «أم أن (مات) مصاب حقاً؟».

قال المتشمم: «أوه، (مات) بخير يا لورد (راند)، على الأقل يبدو بخير، ويتذمر كرجل معافى. لم أقصد أن أقلقك، ولكنني كنت بحاجة إلى سبب لكي أجعلك تأتي إلى الأسفل. لقد عثرت على الأثر بسهولة كافية. الرجال الذين أشعلوا الحريق في الحانة جميعهم قد دخلوا حديقة مسورة وراء القصر، وقد انضم إليهم (ترولوكيون) وذهبوا إلى الحديقة معهم. أعتقد أن هذا كان في وقت ما بالأمس، وربما حتى الليلة قبل السابقة». تردد ثم قال: «إنهم لم يخرجوا من جديد يا لورد (راند)، لا شك أنهم جميعاً لا يزالون بالداخل».

عند آخر الدرج انجرف عبر الردهة صوت الخدم وهم يستمتعون بوقتهم، ضحك وغناء. شخص ما معه عجّاج، ويعزف على أوتاره لحناً مرحاً، على وقع التصفيق والأقدام التي تضرب الأرض في حركة راقصة. لم يكن هناك أي طلاء بالحص، أو مفروشات جميلة، مجرد حجر عارٍ وأخشاب بسيطة. يأتي الضوء في الردهات من مشاعل مترافقة، فيتصاعد الدخان إلى السقف، وموضوعة على مسافات متباعدة، فيكون فيما بينها أماكن لا يصل إليها الضوء.

قال (راند): «أنا مسرور لأنك تتحدث إليّ بطريقة طبيعية مرة أخرى. الطريقة التي كنتَ تنحني وتتذلل بها جعلتني أبدأ في الاعتقاد بأنك كايبريني أكثر من الكايرينيين».

احمرّ وجه (هورين) خجلاً ثم قال: «حسنًا، بالنسبة لهذا...». نظر عبر الردهة ناحية الضوضاء وبدأ أنه يرغب في البصق. «إنهم جميعاً يتظاهرون بأنهم يتصرفون بأسلوب لائق للغاية، ولكن... كل واحد منهم يا لورد (راند) يقول إنه مخلص لسيدته أو سيدته، ولكنهم جميعاً يلمحون إلى أنهم مستعدون لبيع ما يعرفونه أو ما قد سمعوه. وبعد أن تتناول بعض المشروبات معهم سيخبرونك بكل شيء، سيهمسون جميعاً في أذنك بأشياء عن اللوردات والسيدات النبيلات الذين يخدمونهم، أشياء ستجعل شعرك ينتصب. أنا أعرف أنهم كايبرينيون، ولكنني لم أسمع قط عن مثل هذه الأمور».

«سنخرج من هنا قريباً يا (هورين)». كان (راند) يأمل أن هذا صحيح. «أين هذه الحديقة؟». انعطف (هورين) عند ردهة جانبية تؤدي ناحية الجزء الخلفي من القصر. «هل جلبت (إنجتار) والآخرين إلى هنا بالفعل؟».

هز المتشمم رأسه وقال: «لقد سمح اللورد (إنجتار) لنفسه بأن تحاصره ست أو سبع من هؤلاء اللاتي يسمين أنفسهن سيدات نبيلات، و(فيرين سيداي) كانت بصحبة (بارثانيس). لقد نظرت إليّ نظرة حادة عندما اقتربت منها، فلم أحاول حتى أن أخبرها».

انعطفوا عند زاوية أخرى، وحينها رأيا (لويال) و(مات). كان (الأوجير) يقف منحنيًا بعض الشيء بسبب السقف المنخفض.

ارتسمت على وجه (لويال) ابتسامة عريضة وقال: «ها أنت ذا يا (راند)، لم أكن أعتقد أنني سأكون مسرورًا للابتعاد عن أي من هؤلاء الأشخاص الموجودين بالأعلى. لقد ظلوا يسألونني إن كان (الأوجير) سيعودون، وإن كان (جالديان) قد وافق على أن يدفع ما يدين به. يبدو أن السبب في مغادرة جميع (البنائين) (الأوجير) هو أن (جالديان) قد توقف عن الدفع لهم، إلا بالوعود. ظلت أقول لهم إنني لا أعرف أي شيء عن الأمر، ولكن يبدو أن نصفهم يعتقد أنني أكذب، والنصف الآخر يعتقد أنني أُلح إلى شيء ما».

قال (راند) ليطمئنه: «قريبًا سنخرج جميعًا من هنا. هل أنت بخير يا (مات)؟». كانت عظام وجنتي صديقه بارزة أكثر من ذي قبل، حتى عندما كانوا في الحانة.

قال (مات) متذمرًا: «أشعر أنني بخير. ولكنني بالتأكيد لم أواجه أي مشكلة في ترك الخدم الآخرين. هؤلاء الذين لم يسألوني إن كنت أتضور جوعًا ظنوا أنني مريض، ولم يرغبوا في الاقتراب مني أكثر من اللازم». سأله (راند): «هل أحسست بالخنجر؟».

هز (مات) رأسه بوجوم وقال: «الشيء الوحيد الذي شعرت به هو أن شخصًا ما يراقبني معظم الوقت. هؤلاء الأشخاص سيئون مثل (العواتم) في التسلسل. بحق (النور)، لقد شعرت بالفزع عندما أخبرني (هورين) أنه قد عثر على أثر أصدقاء الظلام. لا يمكن أن أشعر به على الإطلاق يا (راند)، وقد جبت هذا المبنى اللعين من السقف إلى القبو».

«هذا لا يعني أنه ليس هنا يا (مات). لا تنسَ أنني قد وضعت في الصندوق مع البوق، ربما هذا يمنعك من الإحساس به. لا أعتقد أن (فاين) يعرف كيفية فتحه، وإلا لما تكبد عناء هذا الحمل الثقيل عندما هرب من (فال دارا). حتى ذلك القدر من الذهب ليس مهمًا إلى جانب (بوق فالير). عندما نجد (البوق) سنجد الخنجر، سوف ترى».

تمتم (مات): «ما دمتُ لست مضطرًا للتظاهر بأنني خادمك أكثر من هذا. ما دمتَ لن تصاب بالجنون و...». بتر جملة وقد التوى فمه.

قال (لويال): «(راند) ليس مجنونًا يا (مات). لم يكن الكايرينيون ليسمحوا له بالدخول إلى هنا لو لم يكن لوردًا. بل هم المجانين».

قال (راند) بحدة: «أنا لست مجنونًا، ليس بعد، فلترني هذه الحديقة يا (هورين)».

«من هذا الطريق يا لورد (راند)».

خرجوا إلى الليل عبر باب صغير، حتى إن (راند) كان مضطرًا لخفض رأسه لكي يمر من خلاله، أما (لويال) فكان مضطرًا للانحناء تمامًا وضم كتفيه. كان هناك ما يكفي من دوائر الضوء الصفراء المنبعثة عن النوافذ لكي يميز (راند) الجدران القرميدية بين أحواض الزهور المربعة. كانت ظلال الإسطبلات والمباني

الملحقة الأخرى كثيفة في الظلام على كلا الجانبين. ومن آن لآخر تنبعث شذرات من الموسيقى من الخدم بالأسفل أو من هؤلاء الذين يقدمون الترفيه للسادة بالأعلى.

اقتادهم (هورين) عبر الممرات حتى تلاشى الوهج الخافت، وشقوا طريقهم دون ضوء ليهديهم سوى ضوء القمر، بينما صوت خطواتهم يتردد خافتًا على القرميد. الشجيرات التي ربما كانت مشرقة بالزهور نهارًا تبدو الآن كأشكال مبهمه في الظلام. تحسس (راند) سيفه ولم يسمح لعينه بأن تنظرا إلى بقعة واحدة لوقت طويل. يمكن أن يختبئ مئة (ترولوك) من حولهم دون أن يراهم أحد. كان يعرف أن (هورين) سيشتم رائحة (الترولوكيين) إن كانوا موجودين، ولكن هذا لم يساعده كثيرًا. إن كان (بارثانيس) صديقًا للظلام فبالتأكيد بعض من خدمه وحرسه كذلك، و(هورين) لا يمكنه دومًا أن يشتم رائحة أصدقاء الظلام. إن انقضاص مجموعة من أصدقاء الظلام عليهم في الليل لن يكون أهون بكثير من مجموعة من (الترولوكيين). قال (هورين) هامسًا وهو يشير بإصبعه: «هناك يا لورد (راند)».

أمامهم كان هناك جدران حجرية، لا ترتفع كثيرًا عن رأس (لويال)، وتحيط بمساحة مربعة ربما بعرض بخمسين خطوة. لم يستطع (راند) أن يكون متيقنًا في الظلال، ولكن بدا أن الحديقة تمتد إلى ما وراء الجدران. تساءل لم قد يبنى (بارثانيس) مكانًا مسورًا في منتصف حديقته. لم يكن هناك سقف فوق الجدران. لم قد يأتون إلى هنا ويمكثون؟

انحنى (لويال) ليقرب فمه من أذن (راند) وقال: «أخبرتك أن هذا كله كان بستان (أوجير) ذات يوم. إن (بوابة الطريق) بداخل هذه الجدران يا (راند)، يمكنني أن أشعر بها». سمع (راند) (مات) يتنهد بيأس فقال له: «لا يمكن أن نستسلم يا (مات)».

«أنا لا أستسلم، ولكني فقط لدي ما يكفي من العقل كيلا أرغب في السفر عبر (الطرق) مرة أخرى». قال له (راند): «قد نضطر إلى هذا. اذهب وابحث عن (إنجتار) و(فيرين)، وتنحّ بهما جانبًا بطريقة ما - لا أبالي كيف - وأخبرهما أنني أعتقد أن (فاين) قد أخذ (البوق) عبر (بوابة طريق)، فقط لا تجعل شخصًا آخر يسمعك. وتذكر أن تعرج، لا تنس أنه من المفترض أنك قد سقطت». كان من العجيب بالنسبة له أن يغامر (فاين) بعبور (الطرق)، ولكنها بدت الإجابة الوحيدة. لن يقضوا يومًا وليلة جالسين هنا دون سقف فوق رؤوسهم. انحنى (مات) وقال بسخرية: «في الحال يا سيدي اللورد. كما يشاء سيدي اللورد. هل أحمل رايتك يا سيدي؟». بدأ يخطو عائداً إلى القصر وتذمره يتلاشى. «الآن عليّ أن أعرج، المرة التالية سيكون عنقًا مكسورًا أو...».

قال (لويال): «إنه فقط قلق بشأن الحنجر يا (راند)».

قال (راند): «أعرف». ولكن كم سيمضي من الوقت قبل أن يخبر أحداً بحقيقته دون حتى أن يقصد هذا؟ لم يعتقد أن (مات) سيخونه عن عمد. هذا القدر من صداقتها ما زال باقياً على الأقل. «ارفعني يا (لويال) لكي أتمكن من الرؤية من فوق الجدار».

«(راند)، إن كان أصدقاء الظلام لا يزالون...».

«إنهم ليسوا موجودين، ارفعني يا (لويال)».

اقترب ثلاثتهم من الجدار، وصنع (لويال) ركابًا بيديه من أجل قدم (راند). استطاع (الأوجير) بسهولة أن يرفع (راند) عاليًا بما يكفي لأن يرى من فوق قمة الجدار.

كان القمر المتضائل الرفيع يمنح القليل من الضوء، ومعظم المنطقة كانت غارقة في الظلال، ولم يبدُ أن هناك أي زهور أو شجيرات بداخل المنطقة المربعة المحاطة بالجدران، لم يكن هناك سوى مقعد وحيد من الرخام الأبيض، موضوع كما لو أن رجلًا يمكن أن يجلس عليه ليحرق إلى ما يبدو في منتصف المساحة كلوح حجري ضخمة منتصب.

أمسك (راند) بقمة الجدار وجذب نفسه لأعلى. همس (لويال) معترضًا وهو يمسك بقدمه، ولكنه انتزع قدمه ليحررها وتدرج من فوق الجدار ليسقط بالداخل. كان هناك عشب مجزوز تحت قدميه، وفكر بشكل مبهم أن (بارثانيس) بلا شك يسمح للأغنام بالدخول على الأقل. راح يحدق إلى اللوح الخشبي الغارق في الظلال؛ (بوابة الطريق)، ثم جفل عندما سمع صوت حذاء يرتطم بالأرضية إلى جانبه.

اعتدل (هورين) واقفًا على قدميه وهو ينفض الغبار عن ثيابه ثم قال: «يجب أن تكون حذرًا في فعل هذا يا لورد (راند)، ربما يكون هناك شخص ما مختبئ هنا، أو شيء ما». نظر إلى الظلمة بداخل الجدران ثم تحسس حزامه كأنها يبحث عن سيفه القصير وخنجره اللذين تركهما في الحانة، فالخدم لا يكونون مسلحين في (كايرين). «إن قفرت في حجر دون أن تنظر فسيكون به ثعبان بالتأكيد».

قال (راند): «كنت لتشتم رائحتهم».

«ربما». أخذ المتشمم نفسًا عميقًا. «ولكني لا أستطيع أن أشم إلا ما فعلوه، ليس ما ينوون فعله».

جاء صوت احتكاك من فوق رأس (راند)، وبعد هذا تدلى (لويال) من الجدار. لن يكن (الأوجير) حتى مضطربًا لأن يفرد ذراعيه بالكامل قبل أن يلمس حذاؤه الأرض. تتمم: «أنتم البشر دومًا مندفعون ومتهورون، والآن تجعلونني أفعل هذا. كان الكبير (هامان) ليوبخني، وأمي...». كان الظلام يُخفي وجهه، ولكن (راند) كان متيقنًا من أن أذنيه ترتعشان بقوة. «إن لم تبدأ في توخي الحذر قليلًا يا (راند) فسوف توقعني في مشكلة».

خطأ (راند) ناحية (بوابة الطريق) ثم دار من حولها. حتى عن قرب لم تبدُ أكثر من مربع حجري سميك أطول منه. كان الجزء الخلفي أملس وملمس بارد - لم يلمسه بيده إلا بحركة خاطفة - ولكن الجزء الأمامي كان منحوتًا بيدي فنان، فتغطيه كروم عنب وأوراق شجر وأزهار، وكلها منقوشة بدقة شديدة حتى إنها كادت أن تبدو حقيقية في ضوء القمر الخافت.

تحسس الأرض أمامها، كان العشب مكشوطًا في قوسين، كما قد يحدث عند فتح مصراعي بوابة.

تساءل (هورين) في تردد: «هل هذه (بوابة طريق)؟ لقد سمعت عنها بالطبع، ولكن...». تشمم الهواء. المسار يتجه إليها مباشرة ثم يتوقف يا لورد (راند). كيف سنلحق بهم الآن؟ لقد سمعت أنك إن مررت عبر (بوابة طريق) فإنك تخرج مجنوناً، هذا إن خرجت على الإطلاق».

«يمكن المرور عبرها يا (هورين)، لقد فعلت هذا من قبل، وكذلك (لويال) و(مات) و(بيرين)». لم يُبعد (راند) عينيه عن أوراق الشجر المتشابكة على الحجر. كان يعرف أن هناك واحدة لا تُشبه الأخريات المنقوشة هنا. الورقة الثلاثية لشجرة (أفنديسورا) الأسطورية؛ (شجرة الحياة). وضع يده عليها. «أراهن أنك ستقدر على اشتتام أثرهم عبر (الطرق). يمكننا أن نلحق بهم إلى أي مكان يهربون إليه». لن يضير أن يثبت لنفسه أنه قادر على أن يخطو عبر (بوابة طريق). «سأثبت هذا لك». سمع (هورين) يتأوه. إن الورقة المنحوتة من الحجر كالأخريات قد خرجت في يده. سمع (لويال) يتأوه أيضاً.

في لحظة بدا وهم النباتات الحية حقيقياً فجأة، بدت الأوراق الحجرية وكأنها تتحرك مع النسيم، وبدت الزهور وكأن لها ألواناً حتى في الظلام. ظهر خط في منتصف الكتلة الحجرية، وتأرجح نصف اللوح ببطء ناحية (راند). تراجع إلى الوراء ليسمح لهما بأن يفتحا. وجد أنه لا ينظر إلى الجانب الآخر من الساحة المسورة، ولكنه لم يرَ أيضاً الانعكاس الفضي الباهت الذي يتذكره. كانت المسافة ما بين المصراعين الحجريين سوداء ومظلمة للغاية، حتى إنها جعلت الليل المحيط بهم يبدو أقل ظلمة. كان الظلام الدامس يتسلل من بين المصراعين اللذين لا يزالان يتحركان.

قفز (راند) إلى الوراء وهو يصرخ، فسقطت ورقة (الأفنديسورا) إثر حركته المتعجلة، وصاح (لويال): «(ماكين شين)، (الرياح السوداء)».

ملاً صوت الرياح آذانهم، وتحركت الحشائش في تموجات ناحية الجدران، وثار الغبار متصاعداً في الهواء. بدا أن هناك ألف صوت مجنون يصرخ في الرياح. عشرة آلاف، متداخلة، تغطي بعضها على بعض. استطاع (راند) أن يميز بعضها رغم أنه حاول ألا يفعل هذا.

... دماء عذبة للغاية، شرب الدماء عذب للغاية، الدماء التي تتقاطر، تتقاطر، تتقاطر حمراء للغاية. عيان جميلتان، عيان رائعتان، ليس لي أعين، أقتلع عينيك من رأسك، أطحن عظامك، أكسر عظامك بداخل لحكم، أشرب النخاع بينما تصرخ، تصرخ، تصرخ. صراخاً غنائياً، غنّ بصراخك... والأسوأ من هذا كله هو وجود خيط هامس بين كل الأصوات الأخرى. (ألثور)، (ألثور)، (ألثور).

وجد (راند) الفراغ من حوله فاحتضنه، دون أن يبالي بوهج (السايدين) المغربي والمثير للغثيان خارج مرمى بصره. إن أعظم المخاطر في (الطرق) هي (الرياح السوداء) التي تأخذ أرواح هؤلاء الذين تقتلهم، أما من تركهم على قيد الحياة فإنها تدفعهم إلى الجنون، ولكن (ماكين شين) جزء من (الطرق)، ولا يمكن أن تغادرها. ولكنها الآن تندفق إلى الليل، و(الرياح السوداء) تنادي باسمه.

لم تكن (بوابة الطريق) قد فُتحت تمامًا بعد، فقط لو استطاعوا أن يعيدوا ورقة (الأفنديسورا) إلى موضعها... رأى (لويال) يجثو على يديه وركبتيه وهو يبحث في الظلمة بين الأعشاب.

ملأه (السايدين)، أحس كأن عظامه ترتجف، أحس بالتدفق الساخن الثلجي (للقوة الواحدة)، أحس بأنه ينبض بالحياة كأنها لم يكن حيًا من دونها من قبل، وأحس بالدنس الزيتي... لا! وفي صمت صرخ في نفسه من وراء الفراغ: إنها قادمة من أجلنا! ستقتلنا جميعًا! ألقى كل شيء ناحية الانبعاث الأسود، وقد صار واقفًا على مسافة باع كامل من (بوابة الطريق). لم يعرف ما هذا الذي ألقى به أو كيف، ولكن في قلب هذه الظلمة ازدهر ينبوع متألق من الضوء.

صرخت (الرياح السوداء)، عشرة آلاف صرخة عذاب صامتة، راح الانبعاث يتضاءل ببطء وعلى مضض بوصة تلو الأخرى. ببطء راح الانسياب ينعكس عائداً إلى (بوابة الطريق) التي لا تزال مفتوحة.

تدفقت (القوة) عبر (راند) كالسيل، كان يشعر بالارتباط بينه وبين (السايدين)، كنه في فيضان، بينه وبين النيران النقية المتأججة في قلب (الرياح السوداء)، شلال هائج. صارت الحرارة بداخله مستعرة، في وميض من شأنه أن يذيب الحجارة ويبخر الفولاذ ويجعل الهواء يشتعل باللهب. تزايدت البرودة حتى صار من المفترض أن تتجمد الأنفاس في رثتيه لتصير صلبة كالمعدن. كان يشعر بكل شيء يغمره، يشعر بالحياة تتآكل، كضفة نهر طينية ناعمة، يشعر بكينونته تتفتت.

لا يمكنني أن أتوقف! إن خرجت... يجب أن أقتلها! لا... يمكنني... أن... أتوقف! تشبث في يأس بشذرات نفسه. زارت (القوة الواحدة) من خلاله، واعتلاها كقشة في فيضان. بدأ الهواء يذوب ويتدفق، وتبخّر الفراغ مع البرد القارس.

توقفت حركة (بوابة الطريق) ثم انعكست.

حدق (راند) إلى الأفكار الخافتة خارج الهواء وهو متيقن أنه فقط يرى ما يرغب في أن يراه. اقترب مصراعا البوابة أحدهما من الآخر، وهما يدفعان (ماكين شين)، كما لو أن (الرياح السوداء) مادة صلبة. لا يزال الجحيم يزأر في صدرها.

في تعجب مبهم بعيد رأى (راند) (لويال) لا يزال على يديه وركبتيه وهو يتراجع بعيداً عن البوابة الآخذة في الانغلاق.

ضاقت الفجوة ثم تلاشت. اندمجت الأوراق والكروم بالجدار المصمت ثم صارت حجراً. شعر (راند) بالرابط بينه وبين النار ينقطع، وتوقف تدفق (القوة الواحدة) من خلاله. لحظة أخرى وكانت ستجرفه تمامًا. سقط على ركبتيه مرتجفاً، لا يزال (السايدين) بالداخل، لم يعد يتدفق، ولكنه هناك، في بركة. شعر (راند) أنه بركة من (القوة الواحدة). ارتجف وهو يشعر بها، استطاع أن يشم رائحة العشب والتراب من تحته، والأحجار والجدران. حتى في الظلام كان بمقدوره أن يرى كل ورقة عشب، منفصلة وكاملة،

جميعها في آن واحد. استطاع أن يشعر بكل حركة طفيفة للهواء على وجهه. انكمش لسانه مع مذاق الدنس، واضطربت معدته وتشنجت.

شق طريقه بشكل محموم للخروج من الخواء، لا يزال على ركبتيه، لا يتحرك، وهو يقاتل من أجل حريته. وبعدها لم يتبق سوى المذاق الخبيث المتلاشي على لسانه، والاضطراب في معدته، والذكريات. نابضًا... بالحياة.

«لقد أنقذتنا أيها (البئء)». كان ظهر (هورين) ملتصقًا بالجدار وصوته مبحوحًا. «هذا الشيء... هل كانت هذه هي (الرياح السوداء)؟ لقد كانت أسوأ من... هل كانت ستلقي بتلك النار ناحيتنا؟ لورد (راند)！هل آذتك؟ هل مسّتك؟». جاء راكضًا ليساعد (راند) بينما يعتدل واقفًا على قدميه. كان (لويال) يعتدل بدوره وهو ينفض الغبار عن يديه وركبتيه.

«لن نلحق (بفاين) عبر هذا». لمس (راند) ذراع (لويال). «شكرًا لك، لقد أنقذتنا». لقد أنقذني على الأقل. كان الأمر سيقتلني. كان سيقتلني وقد شعرت... أنه رائع. ازدرد لعابه، لا يزال يغطي فمه أثر ذلك المذاق. «أريد شيئًا لأشربه».

قال (لويال) وهو يهز كتفيه: «أنا فقط عثرت على الورقة وأعدتها إلى موضعها، لقد خمنت أننا إن لم نتمكن من غلق (بوابة الطريق) فإنها ستقتلنا. أخشى أنني لست بطلاً شجاعاً يا (راند)، لقد كنت خائفاً للغاية وبالكاد استطعت التفكير».

قال (راند): «كلانا كان خائفاً. ربما نكون بطلين سيئين، ولكن لم يكن هناك سوانا. من الجيد أن (إنجتار) معنا».

قال (هورين) في تردد: «لورد (راند)، هل يمكننا... أن نغادر الآن؟».

اعترض المتشمم على أن يقفز (راند) من فوق الجدار أولاً بينما لا يعرفون ما ينتظرهم بالخارج، حتى أشار (راند) إلى أنه الوحيد الذي يحمل سلاحاً من بينهم، وحتى حينها لم يبدُ أن (هورين) راغباً في ترك (لويال) يحمل (راند) ليُمسك بقمة الجدار ويرفع نفسه من فوقه.

هبط (راند) على قدميه بصوت ارتطام، ثم أصغى السمع وهو ينظر عبر الليل. للحظة خيّل إليه أنه يرى شيئاً يتحرك، ويسمع صوت حذاء على الممشى القرميدي، ولكن لم يتكرر هذا ولا ذاك، فاعتبر أن الأمر نابع عن توتر أعصابه. فكّر أنه محق في إحساسه بالتوتر، ثم التفت ليساعد (هورين) على الهبوط.

بمجرد أن لمست قدما المتشمم الأرض الصلبة حتى قال: «كيف ستبعمهم الآن يا لورد (راند)؟ وفقاً لما سمعته عن (الطرق) فإن هذه المجموعة قد تكون على الجانب الآخر من العالم، وعبر أي اتجاه».

«ستجد (فيرين) طريقة». أحس (راند) فجأة بالرغبة في الضحك. لكي يجد (البوق) والخنجر - هذا إن كان بمقدورهم العثور عليهما الآن - فإن عليه أن يعود إلى (الآيز سيدي). لقد أطلقن سراحه، والآن عليه أن يعود إليهن. «لن أترك (مات) يموت دون محاولة».

انضم إليهما (لويال)، ثم توجهوا عائدين ناحية القصر، ليقابلهم عند الباب الصغير (مات) الذي فتحه بمجرد أن مد (راند) يده ناحية المقبض. «تقول (فيرين) إن عليكم ألا تفعلوا شيئاً. تقول إنه إن كان (هورين) قد عرف المكان الذي يحتفظون فيه (البوق) فهذا كل ما يمكننا فعله الآن. تقول إننا سنغادر بمجرد عودتكم ووضع الخطة، وأنا أقول إن هذه هي المرة الأخيرة التي أتنقل فيها جيئةً وذهاباً حاملاً رسائل. إذا أردت أن تقول شيئاً ما لشخص ما فلتخبره بنفسك من الآن فصاعداً». نظر (مات) إلى ما ورائهم ناحية الظلمة ثم قال: «هل (البوق) هناك بالخارج في مكان ما؟ في أحد المباني الملحقة؟ هل رأيتم الخنجر؟».

دفعه (راند) ليستدير عائداً إلى المبنى. «إنه ليس في أحد المباني الملحقة يا (مات). آمل أن (فيرين) لديها فكرة جيدة عما يجب أن نفعله الآن، فأنا لا أملك أي فكرة على الإطلاق».

بدا أن (مات) على وشك أن يطرح الأسئلة، ولكنه سمح (لراند) أن يدفعه عبر الممر خافت الإضاءة، بل إنه تذكر أن يعرج عندما بدأوا في الصعود إلى الطابق العلوي.

عندما عاد (راند) والآخرون إلى الحجرات المليئة بالنبلاء تلقوا عدداً من النظرات. تساءل (راند) عما إن كانوا يعرفون بطريقة أو بأخرى شيئاً عما حدث بالخارج، أو إن كان عليه أن يُرسل (هورين) و(مات) للانتظار في الردهة الأمامية، ولكنه أدرك حينها أن النظرات لم تكن مختلفة عما كانت من قبل، فضولية وحذرة، ومتسائلة عما يخطط له اللورد و(الأوجير). كان الخدم غير مرئيين لهؤلاء الناس، لم يحاول أحد أن يقترب منهم بما أنهم كانوا معاً. يبدو أن هناك أصولاً للتأمر في (اللعبة الكبرى)، أي شخص قد يحاول الإصغاء إلى محادثة، ولكنه لن يحاول التطفل عليها.

كانت (فيرين) و(إنجتار) يقفان معاً، ومن ثم كانا وحدهما. بدا أن (إنجتار) يشعر بالدوار بعض الشيء. ألقت (فيرين) ناحية (راند) والثلاثة الآخرين نظرة مقتضبة، وعقدت حاجبها مع النظرة المرتسمة على وجوههم، ثم عدلت من وضع شالها قبل أن تتوجه ناحية ردهة الاستقبال.

عندما وصلوا إليها ظهر (بارثانيس) كأن شخصاً ما قد أخبره أنهم يغادرون. «هل ستغادرون بهذه السرعة؟ ألا يمكنني أن أناشدك بأن تبقي لوقت أطول يا (فيرين سيدي)؟».

هزت (فيرين) رأسها وقالت: «يجب أن نذهب يا لورد (بارثانيس)، أنا لم آتِ إلى (كايرين) منذ بضعة أعوام، وقد سررت بدعوتك للشاب (راند). لقد كان الأمر... مثيراً للاهتمام».

«إذن فلترعك (النعمة) حتى تصلي بأمان إلى حانتك؛ (حانة الشجرة العظيمة)، أليس كذلك؟ ربما يمكنك أن تتكرمي عليّ بحضورك مرة أخرى؟ ستسبغين عليّ شرفاً يا (فيرين سيدي)، وأنت يا لورد (راند)، وأنت يا لورد (إنجتار)، ناهيك بك يا (لويال ابن آرينت ابن هالان)». كانت انحناءته (للآيز سيدي) أكبر قليلاً من انحناءاته للآخرين، ولكنها لا تزال إيماءة بسيطة.

أومأت (فيرين) برأسها في عرفان وقالت: «ربما، فليشرق عليك (النور) يا لورد (بارثانيس)». ثم التفتت ناحية الباب.

بينما (راند) يتحرك ليلحق بالبقية أمسك (بارثانيس) كفه بإصبعه، ليوقفه في موضعه. بدا أن (مات) على وشك أن يمكث بدوره، ولكن (هورين) جذبته لينضم إلى (فيرين) والبقية. قال (بارثانيس) بصوت خافت: «أنت قد تعمقت في (اللعبة الكبرى) أكثر مما كنت أظن. عندما سمعت اسمك لم أصدق الأمر، ومع ذلك قد جئت، والوصف يناسبك، و... لقد حُمِلَتْ برسالة من أجلك، أعتقد أنني سأبلغك بها على أي حال».

أحس (راند) بقشعريرة ترحف على ظهره بينما (بارثانيس) يتحدث، ولكنه في النهاية قال: «رسالة؟ ممن؟ السيدة (سيلين)؟».

«بل من رجل، ليس من النوع الذي أحمل منه رسائل عادة، ولكن لديه... سلطة ما عليّ لا يمكنني تجاهلها. لم يخبرني باسمه، ولكنه كان لوجارديًا. آه! أنت تعرفه».

«أنا أعرفه». (فاين) ترك رسالة؟ تلفت (راند) حوله عبر الرواق الواسع، كان (مات) و(فيرين) والآخرين ينتظرون عند الباب. كان هناك خدم في الثياب الرسمية يقفون على طول الجدران، مستعدين للوثب لتنفيذ أي أمر، ولكن في الوقت ذاته يبدو عليهم أنهم لا يسمعون ولا يرون. كانت أصوات الحشود تأتي من أعماق القصر. لم يبدو أنه مكان قد يهاجم فيه أصدقاء الظلام. «أي رسالة؟».

«قال إنه سيتظرك في (تومان هيد). إن لديه ما تبحث عنه، وإن كنت تريده فيجب أن تلحق به. يقول إنك إن رفضت أن تلحق به فسيتعقب أهلك وقومك وكل من تحب حتى تواجهه. يبدو من الجنون بالطبع أن يقول رجل كهذا أنه سيتعقب لوردًا، ولكن مع ذلك كان هناك شيء حياله. أعتقد أنه مجنون، كما أنه قد أنكر أنك لورد وهو ما تراه العين بوضوح. ولكن هناك شيئًا ما؛ ما الذي يحمله معه ويحتاج إلى (ترولوكين) لحراسته؟ ما الذي تسعى وراءه؟». بدا (بارثانيس) مصدومًا لأنه طرح أسئلته بهذا الشكل المباشر.

«فليشرق عليك (النور) يا لورد (بارثانيس)». استطاع (راند) أن ينحني، ولكن كانت ساقاه ترتجفان عندما انضم إلى (فيرين) والآخرين. إنه يريد مني أن ألحق به؟ وسوف يؤذي (إيموندز فيلد) و(تام) إن لم أفعل هذا. لم يكن لديه أدنى شك أن (فاين) قادر على فعل هذا، وأنه سيفعل هذا. على الأقل (إيجوين) بأمان في (البرج الأبيض). ارتسمت في ذهنه صور مثيرة للغثيان عن حشود من (الترولوكين) تحتاج (إيموندز فيلد)، وعن (عواتم) بلا أعين يتعقبون (إيجوين). ولكن كيف يمكن أن ألحق به؟ كيف؟

ثم خرج إلى الليل وامتنطى (ريد). كانت (فيرين) و(إنجتار) والآخرين قد امتطوا خيولهم بالفعل، والحرس الشايناريون مجتمعون من حولهم.

تساءلت (فيرين): «ما الذي اكتشفته؟ أين يحتفظ به؟». تنحى (هورين) بصوت عالٍ، وتلملم (لويال) في سرجه العالي. نظرت (الآيز سيدي) إليهما.

قال (راند) بوجوم: «لقد أخذ (فاين) (البوق) إلى (تومان هيد) عبر (بوابة الطريق)، إنه على الأرجح ينتظرني هناك بالفعل بحلول هذا الوقت».

«ستحدث في هذا الأمر لاحقاً». قالتها (فيرين) بحزم شديد حتى إن أحداً لم يتحدث على الإطلاق طوال رحلة العودة إلى المدينة، إلى (حانة الشجرة العظيمة).

تركهم (أونو) هناك بعد أن تبادل كلمة خافتة مع (إنجتار)، ليعيد الجنود إلى حانتهم في (فورجيت). ألقى (هورين) نظرة على وجه (فيرين) الحازم في ضوء الحجرة العامة، وتمتم بشيء ما عن الجعة، قبل أن يُسرع إلى طاولة في الزاوية ويجلس بمفرده. تجاهلت (الآيز سيدي) آمنيات صاحبة الحانة بأنها قد استمتعت بوقتها، ثم اصطحبت (راند) والبقية بصمت إلى حجرة الطعام الخاصة.

عندما دلفوا إلى الداخل رفع (بيرين) عينيه عن كتاب (رحلات جين فارسترايدر)، وعقد حاجبيه عندما رأى وجوههم. قال وهو يغلق الكتاب ذا الغلاف الجلدي: «لم يسر الأمر على نحو جيد، أليس كذلك؟». كانت المصابيح والشموع في أرجاء الحجرة تمنح ضوءاً جيداً. إن تكلفة البقاء في حانة السيدة (تايدرا) باهظة ولكنها لا تبخل في الإنفاق.

طوت (فيرين) شالها بحرص، ثم وضعت على ظهر الكرسي، قبل أن تقول: «أخبروني مرة أخرى، أصدقاء الظلام قد أخذوا (البوق) عبر (بوابة طريق)؟ في قصر (بارثانيس)؟».

قال (لويال) مفسراً: «الأرض المحيطة بالقصر كانت في الماضي بستان (أوجير)، عندما بنينا...». بتر جملة وتهدلت أذناه مع نظرتها.

قال (راند) وهو يُلقى بجسده بتعب على أحد الكراسي: «لقد تعقبهم (هورين) إليها مباشرة». عليّ الآن أن ألق الحق به أكثر من ذي قبل، ولكن كيف؟ «لقد فتحتها لأريه أنه قادر على تتبع الأثر أينما ذهبوا، ولكن (الرياح السوداء) كانت هناك. لقد حاولت أن تصل إلينا، ولكن (لويال) استطاع أن يُغلق البوابة قبل أن تتمكن من الخروج». احمر وجهه قليلاً مع قول هذا، ولكن حسبما يعرف كانت (ماكين شين) ستخرج لولا هذا. «لقد كانت موضوعة لحراسة (البوابة)».

قال (مات) في ذهول وقد تجمد في موضعه بينما يخفض جسده ليجلس على كرسي: «(الرياح السوداء)». كان (بيرين) يحدق إلى (راند) أيضاً، وكذلك (فيرين) و(إنجتار). ألقى (مات) بجسده على الكرسي. قالت (فيرين) أخيراً: «أنت مخطئ، لا يمكن استخدام (ماكين شين) للحراسة، لا أحد يمكنه أن يجبر (الرياح السوداء) على فعل أي شيء».

قال (مات) وهو يشعر بالخدر يسري في أوصاله: «إنها من مخلوقات (سيد الظلام)، وهم أصدقاء ظلام، ربما عرفوا كيف يطلبون منها المساعدة، أو جعلها تساعدهم».

قالت (فيرين): «لا أحد يعرف ماهية (ماكين شين) بالضبط، ربما باستثناء أنها جوهر الجنون والقسوة. لا يمكن التفاهم معها يا (مات)، أو مساومتها، أو الحديث إليها، لا يمكن لأحد أن يجبرها، ولا حتى (الآيز

سيداي) اللاتي على قيد الحياة الآن، ربما حتى ولا أي شخص قد عاش من قبل. هل تعتقد حقًا أن (بادان فاين) قادر على فعل ما لا تستطيع عشر (آيز سيداي) فعله». هز (مات) رأسه.

خيّم القنوط على الغرفة، بسبب ضياع الأمل والغاية. لقد اختفى الهدف الذي كانوا يسعون وراءه، حتى التعبير المرتسم على وجه (فيرين) كان متحيرًا.

«لم أكن أظن أن (فاين) لديه الشجاعة لعبور (الطرق)». لقد بدا (إنجتار) هادئًا تقريبًا، ولكنه فجأة ضرب بقبضته على الحائط وقال: «لا أبالي كيف تعمل (ماكين شين) لصالح (فاين) أو حتى إن كانت تعمل لصالحه. لقد أخذوا (بوق فالير) عبر (الطرق) أيتها (الآيز سيداي)، بحلول هذا الوقت ربما يكونون في (البلاء العظيم)، أو في منتصف الطريق إلى (تير) أو (تانتشيكو) أو على الجانب الآخر من (فلاة آيل). لقد ضاع (البوق). أنا ضعت». هوت يده على جانبيه وتهذلت كتفاه. «أنا ضعت».

قال (راند): «لقد أخذه (فاين) إلى (تومان هيد)». وعلى الفور صار محط أنظار الجميع مرة أخرى.

تفحصته (فيرين) بتمعن ثم قالت: «لقد قلت هذا من قبل، ولكن كيف تعرف؟».

قال (راند): «لقد ترك رسالة مع (بارثانيس)».

قال (إنجتار) باستخفاف: «إنها خدعة، لن يُخبرنا أين نلحق به».

قال (راند): «لا أعرف ما سيفعله بقيتكم، ولكنني سأذهب إلى (تومان هيد)، يجب عليّ هذا، سأغادر مع أول ضوء للصباح».

قال (لويال): «ولكننا سنحتاج إلى أشهر للوصول إلى (تومان هيد) يا (راند)، ما الذي يجعلك تعتقد أن (فاين) سينتظرنا هناك؟».

«سوف ينتظر». ولكن إلى متى سينتظر قبل أن يقرر أنني لست قادمًا؟ لماذا وضع هذه الحراسة إن كان يريد مني أن ألحق به؟ «سأتحرك بأقصى سرعة يا (لويال)، وإن جعلت (ريد) يركض حتى الموت سأشتري حصانًا آخر، أو سأسرق آخر، إن كنت مضطرًا لهذا. هل أنت واثق أنك تريد المجيء؟».

«لقد ظللت معك لوقت طويل يا (راند)، لم سأتوقف الآن؟». أخرج (لويال) غليونيه وكيسه وبدأ يضع الطباقي في الغليون. «أنا معجب بك، وسأظل معجبًا بك حتى لو لم تكن (تافيرين). ربما أنا معجب بك رغمًا عن هذا. يبدو أنك تورطني في المتاعب، ولكنني سأذهب معك على أي حال». أخذ نفسًا من الغليون ليختبر السحب، ثم أخذ شظية خشبية من الوعاء الحجري على رف المدفأة ووضعها في اللهب ليشعلها. «ولا أعتقد أنك تستطيع منعي حقًا».

قال (مات): «حسنًا، أنا سأذهب. لا يزال الخنجر بحوزة (فاين)، لذا سأذهب. ولكن كل هذا التظاهر بأنني خادم سينتهي الليلة».

تنهد (بيرين)، وقد ظهرت في عينيه الصفراوين نظرة عميقة، قبل أن يقول: «أفترض أنني سأتي أيضًا». وبعد لحظة ابتسم وقال: «يجب أن يكون هناك شخص ما لكي يبقى (مات) بعيدًا عن المتاعب».

تتم (إنجتار): «إنها ليست حتى خدعة بارعة. سأنفرد (بارثانيس) بطريقة ما وسأعرف الحقيقة. أنا أنوي استعادة (بوق فالير) وليس مطاردة سراب».

قالت (فيرين) بحرص وقد بدت كأنها تتفحص الأرضية تحت أصابع قدميها: «قد لا تكون خدعة، كان هناك أشياء معينة قد تُركت في السرايب في (فال دارا)، كتابات تشير إلى وجود صلة بين ما حدث في تلك الليلة وبين...». اختلست نظرة سريعة ناحية (راند) من بين حاجبيها المنخفضين. «(تومان هيد). ما زلت لم أفهمها بشكل كامل، ولكنني أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى (تومان هيد)، أعتقد أننا سنجد (البوق) هناك».

قال (إنجتار): «حتى إن كانوا قد ذهبوا إلى (تومان هيد)، فبحلول الوقت الذي نصل فيه إلى هناك سيكون (فاين) أو أحد أصدقاء الظلام الآخرين قد وجد وقتًا لأن ينفخ في (البوق) مرة، وسيعود الأبطال من القبور ويقاثلون من أجل (الظل)».

قالت له (فيرين): «كان بمقدور (فاين) أن ينفخ في (البوق) مرة منذ أن غادر (فال دارا)، وأعتقد أنه كان ليفعل هذا إن استطاع أن يفتح الصندوق، ما يجب أن نقلق بشأنه هو أنه قد يجد شخصًا ما يعرف كيفية فتح الصندوق. يجب أن نلحق به عبر (الطرق)».

رفع (بيرين) بصره بحدة، وتلملم (مات) في كرسيه، أما (لويال) فقد تأوه بصوت خافت. قال (راند): «حتى لو استطعنا أن نتسلل بطريقة ما متجاوزين حرس (بارثانيس)، فأعتقد أننا سنجد (ماكين شين) لا تزال هناك. لا يمكننا أن نستخدم (الطرق)».

قالت (فيرين) بلا اكتراث: «كم واحد منا يمكنه التسلل إلى أراضي (بارثانيس)؟ هناك (بوابات طريق) أخرى، إن (ملاذ تسوفو) يقع على مسافة ليست ببعيدة عن المدينة في الاتجاه الجنوبي الشرقي. إنه ملاذ حديث قد أُعيد اكتشافه ربما قبل ستمئة عام فقط، ولكن كبراء (الأوجير) كانوا لا يزالون يُؤمنون (الطرق) حينها. ستكون هناك (بوابة طريق) في (ملاذ تسوفو)، إنها هناك وسوف نرحل مع أول ضوء للصباح».

تأوه (لويال) بصوت أعلى، ولم يكن (راند) متيقنًا إذا ما كان هذا بسبب ذكر (بوابة الطريق) أم الملاذ. لا يزال (إنجتار) يبدو غير مقتنع، ولكن (فيرين) كانت سلسلة وحازمة ككرة ثلج تتدحرج على جانب تل. «فلتأمر جنودك بالاستعداد للرحيل يا (إنجتار). أرسل (هورين) ليُخبر (أونو) قبل أن يخلد إلى النوم. أعتقد أننا جميعًا يجب أن نخلد إلى النوم في أقرب وقت ممكن. لقد سبقنا أصدقاء الظلام بيوم على الأقل، وأنا أنوي تعويض أكبر قدر ممكن غدًا». كان أسلوب (الآيز سيدي) الممتلئة حازمًا للغاية حتى إنها كانت بالفعل تدفع (إنجتار) ناحية الباب قبل أن تنتهي من الحديث.

لحق (راند) بالآخرين، ولكنه عند الباب توقف إلى جانب (الآيز سيدي)، وشاهد (مات) يتحرك عبر الردهة المضاءة بالشموع. سأله: «لم يبدو هكذا؟ ظننت أنك قد عاجلتني، بما يكفي لمنحه بعض الوقت على الأقل».

انتظرت حتى بدأ (مات) والآخرين في صعود السلم قبل أن تقول: «من الواضح أن الأمر لم يعمل بشكل جيد كما اعتقدنا، لقد اتخذ المرض بداخله مسارًا مثيرًا للاهتمام، لا تزال قوته باقية، أعتقد أنه سيحتفظ بها حتى النهاية، ولكن جسده يذبل. أعتقد أنه لم يتبقَّ لديه إلا بضعة أسابيع أخرى على الأكثر. هناك سبب للإسراع كما ترى».

قال (راند) بصرامة: «أنا لا أحتاج إلى حافز آخر أيتها (الآيز سيداي)». (مات)، (البوق)، تهديد (فاين)، (إيجوين)! بحق (النور)، أنا لا أحتاج إلى حافز آخر.

«وماذا عنك يا (راند أثور)؟ هل تشعر أنك بخير؟ هل ما زلت تقاوم الأمر أم أنك استسلمت (لعجلة الزمن)؟».

قال لها: «سأتي معك لإيجاد (البوق)، وبعدها لن يكون هناك أي شيء بيني وبين أي (آيز سيداي)، هل تفهميني؟ ولا أي شيء!».

لم تتحدث فمشى مبتعدًا عنها، ولكنه عندما انعطف ليصعد السلم كانت لا تزال تراقبه وعيناها السوداوان حادثان ومتأملتان.

الفصل الرابع والثلاثون

نسيج عجلة الزمن

كان أول ضوء للصباح يتلألأ في السماء بالفعل عندما وجد (توم ميريلين) نفسه يخطو عائداً إلى (حانة عناقيد العنب). حتى عندما تكتظ القاعات والحانات بالناس تكون هناك لحظة عابرة يجيم فيها الصمت على (فورجيت) وهي تلتقط أنفاسها، ولكن في حالته المزاجية الحالية ما كان (توم) ليلاحظ إن اشتعلت النيران في الشارع الخالي.

كان بعض ضيوف (بارثانيس) قد أصروا على إبقائه لوقت طويل بعد رحيل معظم الناس، بعد وقت طويل من توجه (بارثانيس) نفسه إلى الفراش. كان خطؤه هو ترك (الصيد العظيم للبوقة) والتحول إلى نوع الحكايات التي يحكيها والأغاني التي يغنيها في القرى. (مارا والملوك الحمقى الثلاثة) و(كيف روضت سوزا جين فارسترايدر) وحكايات (آنلا المستشارة الحكيمة). كان قصده من اختياره هو التعليق بشكل خفي على غبائهم، دون أن يحلم بأن أيًا منهم قد يستمع ناهيك بأن يكون مفتونًا. كانوا مفتونين بطريقة خاصة، فطلبوا المزيد من نفس الحكايات، ولكنهم كانوا يضحكون في المواضيع الخاطئة. كانوا يضحكون عليه أيضًا، معتقدين أنه قد لا يلاحظ، أو ربما معتقدين أن وضع كيس مليء بالمال في جيبه سيشفئ أي جروح. كاد أن يُلقى به مرتين بالفعل.

لم يكن الكيس الثقيل في جيبه الذي يجرح كبريائه هو السبب الوحيد لحالته المزاجية ولا حتى ازدياد النبلاء، لقد طرحوا أسئلة حول (راند)، ولم يكلفوا أنفسهم حتى عناء السؤال بشكل غير مباشر مع مجرد صانع بهجة. ما سبب تواجد (راند) في (كايرين)؟ لم قد يتنحى لورد أندوري بصانع بهجة جانبًا؟ الكثير من الأسئلة. لم يكن متيقنًا أن إجاباته كانت بارعة بما يكفي، إن ردود أفعاله تجاه (اللعبة الكبرى) قد صارت صدئة.

قبل أن يتوجه إلى (حانة عناقيد العنب) كان قد ذهب إلى (حانة الشجرة العظيمة)، لم يكن من الصعب معرفة أين يمكن شخص ما في (كايرين) إن وضعت عملة فضية أو اثنتين في راحة يد أحدهم. لم يكن واثقًا مما يرغب في قوله، لقد ذهب (راند) بصحبة أصدقائه و(الآيز سيدي)، هذا جعله يشعر بأن هناك شيئًا ما يجب فعله. يجب أن يعتمد الفتى على نفسه الآن. أنا خارج الأمر بحق (النور)!

خطا عبر الحجرة العامة التي كانت فارغة بشكل غير معتاد، وصعد السلم قاطعًا درجتين في المرة. أو على الأقل حاول هذا، لم تكن ساقه اليمنى تشني جيدًا، وكاد أن يسقط. غمغم لنفسه متذمرًا وصعد بقية السلم بوتيرة أبطأ، ثم فتح باب غرفته بهدوء لكيلا يوقظ (دينا).

رغمًا عنه ابتسم عندما رآها مستلقية على السرير ووجهها ناحية الجدار وهي لا تزال مرتدية فستانها. لقد غلبها النوم بينما تنتظرن. يا لها من فتاة حمقاء. ولكنه قد فكر في هذا دون أي مشاعر سلبية. لم يكن متيقنًا من أنها

قد تفعل أي شيء لا يمكن أن يغفره أو يعذره. قرر فجأة أن هذه هي الليلة التي سيسمح لها بأن تستعرض للمرة الأولى. أنزل حقيبة قيثارته على الأرضية، ثم وضع يده على كتفها ليوقطها ويخبرها.

تدحرج جسدها بشكل مرتخ لتصير على ظهرها وهي تحديق إليه بعينين مفتوحتين على اتساعهما فوق جرح عميق يقطع حلقها. كان جانب السرير الذي يخفيه جسدها دافئًا ورطبًا.

انقبضت معدة (توم)، ولولا أن حلقه كان مختنقًا إلى حد أنه لم يستطع التنفس لتقيًا، أو صرخ، أو كليهما. لم يتلقَّ تحذيرًا إلا صرير باب خزانة الملابس، فدار على عقبيه ليخرج سكينان من كميته ويتركها يديه في الحركة نفسها. النصل الأول أصاب حلق رجل أصلع بدين يحمل خنجرًا في يده، فتعثر الرجل إلى الوراء، والدم يتدفق من حول أصابعه التي أمسكت بحلقه وهو يحاول أن يصرخ.

ولكن الدوران على ساقه المصابة جعل النصل الآخر يخطئ هدفه فأصاب كتف رجل مفتول العضلات تغطي الندوب وجهه بينما يخرج من خزانة الملابس الأخرى. سقط خنجر الرجل الضخم من يده التي رفضت فجأة أن تطيعه، وجرح جسده ناحية الباب.

قبل أن يخطو خطوة أخرى أخرج (توم) سكينًا آخر ومزق الجزء الخلفي من ساقه. صرخ الرجل الضخم وتعثر فأمسك (توم) بحفنة من شعره الدهني وضرب وجهه بالحائط إلى جانب الباب. صرخ الرجل مرة أخرى عندما ارتطم مقبض السكين البارز من كتفه بالباب.

وضع (توم) النصل الذي يمسك به على مسافة بوصة من عين الرجل السوداء. كانت الندوب على وجه الرجل الضخم تمنحه نظرة صارمة، ولكنه حدق إلى النصل دون أن يرمش ولم يحرك عضلة واحدة. ضرب الرجل المستلقي نصفه في الخزانة ضربة أخيرة بقدمه قبل أن يهدم جسده.

قال (توم): «قبل أن أقتلك أخبرني لماذا؟». كان صوته هادئًا وخدرًا، وقد شعر بالخدر بداخله. قال الرجل على الفور: «(اللعبة الكبرى)». كانت نبرته تشي بأنه من العامة، وكذلك ملابسه، ولكنها ذات لون جميل وغير بالية تمامًا، لقد كان لديه من العملات لينفقه أكثر مما يجب أن يكون مع رجل من (فورجيت). «لا شيء ضدك شخصيًا، إنها (اللعبة) فحسب».

«(اللعبة)؟ أنا لست متورطًا في (الدائس دايمار)! مَنْ قد يرغب في قتلي من أجل (اللعبة الكبرى)؟». تردد الرجل فقرب (توم) النصل منه، لو رمش الرجل بعينه للمست رموشه النصل. «مَنْ؟».

قال الرجل بصوت مبحوح: «(بارثانيس)، اللورد (بارثانيس). لم نكن لنقتلك، (بارثانيس) يريد معلومات، كنا فقط نرغب في معرفة ما تعرفه، يمكن أن تجني ذهبًا من هذا، كراوَنًا ذهبيًا كاملاً نظير ما تعرفه، وربما اثنين».

«كاذب. لقد كنت في قصر (بارثانيس) الليلة الماضية، وكنت بقربه بقدر ما أنا بقربك، إن أراد أن يعرف أي شيء مني لما تركني أخرج حيًّا».

«صدقني، لقد كنا نبحت عنك أو عن أي شخص يعرف أي شيء عن ذلك اللورد الأندوري لأيام، لم أسمع اسمك حتى الليلة الماضية، في الطابق السفلي. اللورد (بارثانيس) كريم، يمكنك أن تحصل على خمسة كراونات».

حاول الرجل أن يبعد رأسه عن السكين الذي في يد (توم)، فدفعه (توم) بقوة أكبر ناحية الجدار. «أي لورد أندوري؟». ولكنه يعرف، إنه يعرف بحق (النور).

«(راند) من (آل ألثور)، طويل وشاب وسيف، أو على الأقل يحمل سيفًا، أعرف أنه قد جاء لرؤيتك، هو و(الأوجير)، وقد تبادلتم الحديث. أخبرني بما تعرفه، وربما أضيف أنا كراونًا أو اثنين».

قال (توم) في غضب: «أيها الأحمق». هل ماتت (دينا) من أجل هذا؟ أوه، بحق (النور)، لقد ماتت. شعر وكأنه يرغب في البكاء. «الفتى راعي غنم». راعي غنم في معطف فاخر، وحوله (آيز سيدي) كالنحل حول زهور العسل. «مجرد راعي غنم». أحكم قبضته على شعر الرجل.

«مهلاً! مهلاً! يمكنك أن تجني أكثر من خمسة كراونات أو حتى عشرة. بل مئة على الأرجح. كل عائلة ترغب في أن تعرف بشأن (راند ألثور) هذا. لقد تواصلت معي عائلتان أو أكثر بشأن الأمر. بما تعرفه، ومعرفتي بمن يريد أن يعرفه، يمكن لكلينا أن يملأ جيوبه. وكان هناك امرأة، سيدة نبيلة، لقد رأيتها أكثر من مرة تسأل عنه، إن استطعنا أن نعرف من هي... يمكننا أن نبيع لها هذه المعلومات أيضًا».

قال (توم): «لقد ارتكبت خطأً واحدًا حقيقياً في كل هذا».

«خطأ؟». بدأت يد الرجل البعيدة تتسلل ناحية حزامه. لا شك أن لديه خنجرًا آخر هناك. تجاهل (توم) هذا.

«ما كان يجب عليك أن تلمس الفتاة».

اندفعت يد الرجل ناحية حزامه، ثم انتفض بشكل متشنج عندما أصاب سكين (توم) هدفه. تركه (توم) يسقط بعيداً عن الباب، ثم اعتدل واقفاً للحظة، قبل أن ينحني بتعب ويحرر نصله. انفتح الباب بقوة فدار على عقبيه وقد ارتسم على وجهه تعبير شرس.

تراجعت (زيرا) جافلة إلى الوراء، ورفعت يدها إلى حلقها محدقة إليه. قالت بصوت مرتجف: «تلك الحمقاء (إيلا) أخبرتني للتو أن اثنين من رجال (بارثانيس) كانا يسألان عنك الليلة الماضية، ومع ما سمعته هذا الصباح... ظننت أنك قلت إنك لم تعد تلعب (اللعبة)».

قال لها في تعب: «لقد سعوا ورائي».

خفضت بصرها من على وجهه، ثم اتسعت عيناها مع رؤية جثتي الرجلين. خطت في عجالة إلى داخل الغرفة وأغلقت الباب وراءها. «هذا سيئ يا (توم)، سيكون عليك أن تغادر (كايرين)». وقع بصرها على الفراش فحبست أنفاسها ثم قالت: «أوه لا، أوه لا. أنا آسفة للغاية يا (توم)».

«لا يمكنني أن أغادر بعد يا (زيرا)». تردد ثم جذب بطانية فوق (دينا) ليغطي وجهها. «هناك رجل آخر يجب أن أقتله أولاً».

تمالكت صاحبة الحانة نفسها، ثم أبعدت عينيها عن الفراش. كان صوتها لا يزال لاهثاً بعض الشيء وهي تقول: «إن كنت تقصد (بارثانيس) فقد فات الأوان، الجميع يتحدثون عن الأمر بالفعل، لقد مات. عثر عليه خدمه هذا الصباح ممزقاً إلى أشلاء في فراشه. الطريقة الوحيدة التي عرفوا بها الأمر هو أن رأسه كان موضوعاً على شوكة فوق المدفأة». وضعت يدها على ذراعه وقالت: «لا يمكنك أن تخفي حقيقة أنك كنت هناك الليلة الماضية يا (توم)، ليس عن أي شخص يرغب في أن يعرف. أضف إلى الأمر هذين الاثنين ولن يصدق أحد في (كايرين) أنك غير متورط». كان هناك استفهام بسيط في نبرتها في الكلمات الأخيرة كما لو أنها تتساءل أيضاً.

قال في وجوم: «أفترض أن هذا لا يهم». لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إلى الجسد المغطى بالبطانية على الفراش. «ربما سأعود إلى (أندور). إلى (كايملين)».

أمسكت بكتفيه وجعلته يستدير بعيداً عن الفراش، ثم تنهدت وقالت: «أنتم الرجال دومًا ما تفكرون بعضلاتكم أو بقلوبكم، ولا تفكرون برؤوسكم. (كايملين) سيئة مثل (كايرين) بالنسبة لك، وفي كلتا الحالتين سينتهي بك المطاف ميتاً أو في السجن. هل تعتقد أنها كانت لترغب في هذا. إن كنت تريد تكريم ذكرها فلتبقَ حيًّا».

«هل ستعتنين ب...». لم يستطع أن يقولها، وفكّر أنه يكبر في السن، ويصير ليناً. أخرج الكيس الثقيل من جيبه وأحاطه بيديه قبل أن يقول: «يجب أن يغطي هذا... كل شيء، وسيساعدك أيضاً عندما يبدوون في طرح الأسئلة بشأني».

قالت برفق: «سأعتني بكل شيء، يجب أن تذهب الآن يا (توم)». أوماً برأسه على مضض، وببطء بدأ يضع بعض الأشياء في مجموعة من أكياس السرج. بينما يفعل هذا أُلقت (زيرا) أول نظرة متفحصة على الرجل البدين الممدد وجزء منه في خزانة الملابس، قبل أن تشهق بصوت عالٍ. نظر إليها متسائلاً، فهو يعرفها منذ وقت طويل، ولم يسبق لها أن فقدت وعيها بسبب الدماء. «هذان ليسا من رجال (بارثانيس) يا (توم)، على الأقل هذا الرجل ليس كذلك». كانت تومى ناحية الرجل البدين. «لا يخفى على أحد أنه يعمل لصالح (آل رايتين)، لصالح (جالدرين)».

قال بصوت خالٍ من المشاعر: «(جالدرين)؟». «ما الذي ورطني فيه ذلك الراعي اللعين؟ ما الذي ورطت فيه (الآيز سيدي) كلينا؟ ولكن رجال (جالدرين) هم من قتلوها».

لا شك أن تعبيرات وجهه قد أفصحت عن شيء مما يحول بخاطره، فقالت (زيرا) بحدة: «(دينا) تريدك أن تكون على قيد الحياة أيها الأحمق! إن حاولت قتل الملك فستموت قبل أن تصل إلى مسافة مئة باع منه، هذا إن اقتربت إلى ذلك الحد!».

تعالى صوت هدير من داخل أسوار المدينة، كأن نصف قاطني (كايرين) يصيحون. عقد (توم) حاجبيه وهو يطل عبر نافذته. من وراء قمة الأسوار الرمادية فوق أسطح (فورجيت) كان عمود من الدخان يتصاعد إلى السماء، بعيداً من وراء الأسوار، وإلى جانب العمود الأسود الأول تصاعدت بعض الخيوط الرمادية الأخرى لتتحول إلى عمود آخر، ثم ظهرت المزيد من خيوط الدخان على مسافة أبعد. قدّر المسافة ثم أخذ نفساً عميقاً.

«ربما يجب أن تفكري بشأن الرحيل أيضاً، يبدو أن شخصاً ما يشعل النار في مخازن الغلال.»

«لقد عاصرت بعض التمردات من قبل، اذهب الآن يا (توم)». ألقى نظرة أخيرة على جسد (دينا) المغطى، ثم جمع أغراضه. ولكن بينما هو على وشك الرحيل تحدثت (زيرا) مرة أخرى قائلة: «إن لديك نظرة خطيرة في عينيك يا (توم ميريلين). تخيل أن (دينا) جالسة هنا على قيد الحياة وبصحة جيدة، فكّر فيما ستقوله؛ هل ستسمح لك بالذهاب والتسبب في قتل نفسك بلا سبب؟».

قال من عند الباب: «أنا مجرد صانع بهجة». و(راند) (ألثور) مجرد راعي غنم، ولكن كلينا يفعل ما يجب عليه فعله. «من يمكن أن أشكل خطراً عليه؟».

وبينما يغلق الباب وراءه ليخفيها، ليخفي (دينا)، ارتسمت ابتسامة قاسية كثيفة على وجهه. ألمته ساقه، ولكنه بالكاد كان يشعر بها وهو يسرع في عزيمة هابطاً السلم وخارجاً من الحانة.

كان (بادان فاين) على صهوة حصانه فوق قمة تل يعلو (فالبي)، في واحدة من الأجمات القليلة المتبقية على التلال خارج البلدة. ارتطم حصان البضائع الذي يحمل عبئه الثمين بساقه فركله في الضلوع دون أن ينظر. نخر الحيوان وانتفض إلى الوراء حتى آخر الحبل المربوط بسرج (فاين). لم تكن المرأة راغبة في التخلي عن حصانها، مثلما لم يرغب أي من أصدقاء الظلام الذين يتبعونه في البقاء بمفردهم في التلال مع (الترولوكيين) دون حضور (فاين) الذي يمثل حماية لهم. لقد حل المشكلتين بسهولة، اللحوم في وعاء طبخ (الترولوكيين) لا تحتاج إلى حصان. إن رفاق المرأة قد حطّمت أعصابهم الرحلة عبر (الطرق) إلى (بوابة الطريق) خارج ملاذ مهجور منذ زمن بعيد في (تومان هيد). ورؤية (الترولوكيين) وهم يعدون عشاءهم جعلت أصدقاء الظلام الباقين على قيد الحياة خاضعين للغاية.

من حافة الأشجار تفحص (فاين) البلدة غير المسورة ثم ابتسم في سخرية. كان هناك قافلة تجارية صغيرة تمر عبر الإسطبلات ومرابض الخيول وساحات العربات على تخوم المدينة. بينما تتحرك أخرى خارجة ليعلو الغبار من الأراضي الترابية الممهدة بفعل سنوات من مرور القوافل. كان الرجال الذين يقودون العربات والقلّة الذين يركبون الخيول إلى جانبهم جميعاً من الرجال المحليين حسب ملابسهم، ومع ذلك كان الرجال الذين يمتطون الخيول على الأقل يحملون سيوفاً في أحزمتهم، وبعض الرماح والأقواس. الجنود الذين رأهم - وكان عددهم قليلاً - لم يبدُ عليهم أنهم يراقبون الرجال المسلحين، الذين من المفترض أنهم قد غزوهم.

لقد تعلم شيئاً عن هؤلاء الناس، هؤلاء (الشوننتشان)، في اليوم والليلة اللذين أمضاهما في (تومان هيد). على الأقل قدر ما يعرفه القوم المهزومون. لم يكن من الصعب العثور على شخص بمفرده، ودوماً ما يجيئون عن الأسئلة المطروحة بشكل صحيح. جمع الرجال معلومات عن الغزاة، كما لو أنهم يعتقدون حقاً أنهم سيفعلون شيئاً في النهاية بما يعرفونه. ولكنهم أحياناً ما يحاولون كتم ما يعرفونه. يبدو أن معظم النساء مهتمات بمواصلة حياتهن أياً كان من يحكمهن، ومع ذلك فقد لاحظن تفاصيل لا يلاحظها الرجال، ويتحدثن بسرعة أكبر بمجرد أن يتوقفن عن الصراخ. يتحدث الأطفال بشكل أسرع من أي شخص آخر، ولكنهم نادراً ما يقولون شيئاً يستحق المعرفة.

لقد اعتبر أن ثلاثة أرباع ما سمعه هراء وشائعات تتحول إلى خرافات. ولكنه الآن قد تراجع عن بعض هذه الاستنتاجات. يبدو أن أي شخص على الإطلاق يمكنه أن يدخل (فالبي). جفل وهو يرى شيئاً من «الهراء» الذي سمعه يتحول أمام عينيه إلى حقيقة بينما عشرون جندياً يخرجون من البلدة. لم يستطع أن يرى ما يمتطونه بوضوح، ولكنها بالتأكيد لم تكن خيولاً. كانت تتحرك برشاقة سلسلة، وجلودها الداكنة تبدو وكأنها تتألق في شمس الصباح، كما لو أنها حراشف. اشرب بعنقه ليراقبهم بينما يختفون متوغلين عبر اليابسة، ثم وكر حصانه بكاحليه ليتحرك ناحية البلدة.

لم يمنحه السكان المحليون - ما بين الأسطبلات والعربات الواقفة في ساحاتها ومرابض الخيول المسورة - أكثر من نظرة عابرة أو اثنتين. لم يكن مهتماً بهم أيضاً وهو يتحرك إلى داخل البلدة عبر شوارعها المرصوفة بالحصى نحو الميناء. كان بمقدوره أن يرى الميناء بوضوح، والسفن الشوننتشانية الضخمة غريبة الشكل الراسية هناك. لم يزعجه أحد بينما يفتش الشوارع التي لم تكن مكتظة ولا فارغة. وجد هناك المزيد من الجنود الشوننتشانيين. كان الناس يسرعون إلى شئونهم مطرقين بأعينهم ومنحنين كلما مر الجنود، ولكن (الشوننتشان) لم يعيروهم أي اهتمام. بدا كل شيء مسالماً ظاهرياً، رغم (الشوننتشان) المسلحين في الشوارع والسفن في الميناء. ولكن (فاين) استطاع أن يشعر بالتوتر تحت السطح الظاهري. لطالما أبلى حسناً حيث يكون الرجال متوترين وخائفين.

وصل إلى بيت كبير، يقف لحراسته أكثر من دزينة من الجنود. توقف (فاين) وترجل عن حصانه. باستثناء واحد منهم يبدو أنه الضابط كانوا جميعاً يرتدون دروعاً سوداء داكنة، وخوذات جعلته يفكر في رؤوس الجراد. على جانبي الباب الأمامي يقف وحشان سميكاً الجلد لهما منقارين بدلاً من الفم، وراضيعين كالضفادع. وكل جندي يقف إلى جانب مخلوق منهما، مرسوم على صدر درعه ثلاث أعين. نظر (فاين) إلى الراية التي تحف فوق السطح، ذات الحواف الزرقاء والصقر الباسط جناحيه الذي يُمسك في مخالبه باللسنة برق، ثم ضحك ساخرًا في قرارة نفسه.

كان هناك نسوة يدخلن ويخرجن من بيت على الجانب الآخر من الشارع، يربط بينهن سلاسل فضية، ولكنه تجاهلهن. لقد عرف بشأن (الداماني) من القرويين، قد يكون لهن فائدة في وقت لاحق ولكن ليس

الآن.

كان الجنود ينظرون إليه، وخصوصًا الضابط، الذي كان درعه كله ذهبيًا وأحمر وأخضر. رسم (فاين) ابتسامة متملقة على وجهه وانحنى انحناء كبيرة قبل أن يقول: «أيها السادة، إن معي شيئًا سيثير اهتمام سيدكم العظيم. أؤكد لكم أنه سيرغب في رؤيته، ورؤيتي شخصيًا». أشار إلى الشكل المربع على صهوة حصانه الذي لا يزال مغطى بالبطانية الكبيرة المخططة الذي وجده رجاله مغلفًا بها. تفحصه الضابط من رأسه حتى أخمص قدميه، ثم قال: «أنت تبدو غريبًا عن هذه البلاد. هل أقسمت بالعهود؟».

أجابه (فاين) بسلاسة: «أنا أطيع وأنتظر وسوف أخدم». كل من استجوبهم تحدثوا عن العهود، على الرغم من أن أحدًا لم يفهم ما تعنيه، إن أراد هؤلاء الناس العهود فسوف يُقسم على أي شيء. لقد أقسم على الكثير من العهود حتى إنه قد نسي عددها.

أشار الضابط إلى اثنين من رجاله لكي ينظرا إلى ما تحت البطانية. زجرا في دهشة من ثقله بينما يرفعانه وينزلانه من على السرج، ثم تحولت إلى شهقات عندما انتزعا البطانية. حلق الضابط بوجه خالٍ من التعبيرات إلى الصندوق الذهبي المطعم بالفضة، المستقر على الأرض المرصوفة بالحصى، ثم نظر إلى (فاين) وقال: «هدية تليق بالإمبراطورة نفسها. سوف تأتي معي».

راح أحد الجنود يفتش (فاين) بشكل خشن، ولكنه تحمل الأمر في صمت، ملاحظًا أن الضابط والجنديين اللذين حملا الصندوق قد تخلوا عن سيوفهم وخناجرهم قبل أن يدخلوا إلى الداخل. أي شيء يتعلمه عن هؤلاء الناس - مهما كان ضئيلاً - قد يساعده، رغم أنه كان واثقًا من خطته بالفعل. لطالما كان واثقًا من نفسه، ولكن ثقته تكون أكبر عندما يخشى اللوردات القتل غيلة بخنجر على يد واحد من أتباعهم.

بينما يدلّفون عبر الباب نظر إليه الضابط عاقدًا حاجبيه، وللحظة تساءل (فاين) عن السبب. بالطبع، الوحشان، أيًا ما كانا فإنهما بالتأكيد ليسا أسوأ من (الترولوكيين)، ولن يكونا شيئًا مقارنة (بالميردرال)، لذا لم يبال بالنظر إليهما أكثر من نظرة عابرة. لقد فات أوان التظاهر بأنه خائف منهما، ولكن (الشوننتشان) لم يقولوا شيئًا، فقط اقتادوه عميقًا عبر البيت.

وهكذا وجد (فاين) نفسه منكبًا على وجهه في حجرة خالية من الأثاث إلا من الألواح القابلة للطي التي تغطي الجدران، بينما الضابط يخبر (السيد السامي توراك) عنه وعن عرضه. جلب الخدم طاولة وضع عليها الصندوق لكيلا يضطر (السيد السامي) للانحناء. كل ما رآه (فاين) منهم هو النعال التي تتحرك بسرعة. انتظر أن يحين وقته بفارغ الصبر، عاجلاً أو آجلاً سيأتي وقت لن يكون فيه هو من ينحني.

ثم صُرف الجنود، وقيل (لفاين) أن ينهض. فعل هذا ببطء وهو يتفحص كلاً من (السيد السامي) برأسه الحليق وأظافره الطويلة وروبه الحريري الأزرق المطرز بالأزهار، والرجل الذي يقف إلى جانبه بشعره الأشقر الذي لم يخلق سوى نصفه، المجدول في جديلة طويلة. كان (فاين) متيقنًا من أن الرجل ذا الرداء

الأخضر ليس سوى خادم مهما كان عظيمًا، ولكن الخدم قد يكونون مفيدين، خاصة إن كانوا مقررين من سيدهم.

رفع (توراك) عينيه عن الصندوق ناظرًا إلى (فاين) وقال: «هدية مدهشة». كان هناك رائحة ورود تفوح من (السيد السامي). «ومع ذلك فإن السؤال يطرح نفسه؛ كيف استطاع شخص مثلك أن يحصل على صندوق لا يستطيع العديد من اللوردات الأقل شأنًا تحمل تكلفته؟ هل أنت لص؟».

جذب (فاين) معطفه البالي المتسخ بعض الشيء وقال: «من الضروري أحيانًا أن يبدو المرء أقل مما هو عليه أيها (السيد السامي)، إن مظهري الرث الحالي قد سمح لي أن أجلب لك هذا دون أن أتعرض للمضايقات. هذا الصندوق قديم أيها (السيد السامي)، بقدم (عصر الأساطير)، وبداخله كنز لم تره الكثير من الأعين. قريبًا، قريبًا للغاية أيها (السيد السامي)، سأكون قادرًا على فتحه، وأن أمنحك ما سيمكنك من أن تستولي على هذه الأرض إلى الحد الذي تريده، إلى (فقار العالم)، إلى (فلاة آييل)، إلى الأراضي الواقعة وراءها. لا شيء سيقف في وجهك أيها (السيد السامي)، بمجرد أن أتمكن...». بتر جملة عندما بدأ (توراك) في تمرير يده ذات الأظافر الطويلة على الصندوق.

قال (السيد السامي): «لقد رأيت صناديق كهذه من قبل، صناديق من (عصر الأساطير)، ولكن لا شيء يمثل هذه الجودة. من المفترض ألا يتمكن من فتحها إلا هؤلاء الذين يعرفون النمط، ولكني... آه!». ضغط بين الزخارف والتنوءات، ثم تعالى صوت تكة حادة قبل أن يرفع الغطاء. ظهرت لمحة من خيبة الأمل على وجهه.

عض (فاين) بقوة على الجزء الداخلي من فمه، حتى شعر بمذاق الدماء، لكي يمنع نفسه من الزجاجة. إن كونه ليس الشخص الذي فتح الصندوق يُضعف من موقفه في المساومة. ومع ذلك فإن ما تبقى يمكن أن يسير على النحو الذي خطط له إن تمكن من التحلي بالصبر. ولكنه قد صبر لوقت طويل للغاية.

«هذه كنوز من (عصر الأساطير)؟». قالها (توراك) وهو يرفع (البوق) الملتوي بيد والخنجر الذهبي ذا الياقوتة في مقبضه باليد الأخرى. ضم (فاين) قبضتيه على جانبيه لكيلا ينتزع منه الخنجر. «(عصر الأساطير)». كررها (توراك) بصوت خافت وهو يمرر طرف الخنجر على الكتابة الفضية حول الفم الذهبي للبوق. رفع حاجبيه في دهشة، وهو أول تعبير صريح يراه منه (فاين)، ولكن في اللحظة التالية صار وجه (توراك) خاليًا من التعبيرات مرة أخرى. «هل لديك أدنى فكرة عن ماهية هذا الشيء؟».

«(بوق قالير) أيها (السيد السامي)». قالها (فاين) بسلاسة وكان مسرورًا لرؤية الرجل ذي الجديلة وهو يفرغ فمه. أما (توراك) فقد اكتفى بأن أوماً برأسه كأنها لنفسه.

استدار (السيد السامي) بعيدًا. رمش (فاين) بعينه وفتح فمه، ولكن بإشارة حادة من الرجل ذي الشعر الأصفر تبعه دون أن يتكلم.

كانت حجرة أخرى خالية من الأثاث إلا من الألواح القابلة للطي، وكروسي وحيد يواجه خزانة مستديرة طويلة. بينما (توراك) لا يزال مُمسكًا (بالبوق) والخنجر نظر إلى الخزانة ثم أشاح ببصره. لم يقل شيئًا، ولكن الشونتشاني الآخر أصدر أوامر سريعة بصوت حاد، وفي لحظات ظهر رجال في أرواب صوفية بسيطة عبر باب وراء الألواح، يحملون طاولة صغيرة. كان هناك امرأة شابة بشعر شاحب للغاية حتى يكاد أن يكون أبيض، وتحمل بين ذراعيها حوامل صغيرة من خشب مصقول بأحجام وأشكال مختلفة. كانت ثيابها من حرير أبيض، ورقيقة للغاية حتى إن (فاين) استطاع أن يرى بوضوح من خلالها. ولكنه لم يكن ينظر إلا إلى الخنجر. إن (البوق) وسيلة لتحقيق غاية، ولكن الخنجر جزء منه.

لمس (توراك) أحد الحوامل الخشبية التي تحملها الفتاة بشكل عابر، فوضعت في منتصف الطاولة. أدار الرجال الكرسي ليواجهه وفق أوامر الرجل ذي الجديلة. كان شعر الخدم الأدنى منزلة يصل إلى أكتافهم. أسرعوا مبتعدين وهم ينحنون حتى تكاد رؤوسهم أن تلمس ركبهم. وضع (توراك) (البوق) على الحامل بحيث يكون منتصبًا في وضع مستقيم، ثم وضع الخنجر على الطاولة أمامه، وذهب ليجلس على الكرسي.

لم يستطع (فاين) أن يتحمل أكثر من هذا، فمد يده ناحية الخنجر. أمسك الرجل ذو الشعر الأصفر بمعصمه في قبضة ساحقة، وقال: «أيها الكلب غير الحليق! اعلم أن اليد التي تمسك ملكية (السيد السامي) دون إذن تُقطع».

قال (فاين) مزجرًا: «إنه ملكي». الصبر! لقد مضى وقت طويل. استرخى (توراك) إلى الوراء في كرسيه، ثم رفع ظفرًا مطليًا باللون الأزرق، فجذب (فاين) جانبًا لكي يتمكن (السيد السامي) من رؤية البوق دون عائق.

قال (توراك): «ملكك؟ بداخل الصندوق الذي لم تستطع فتحه؟ إن أثرت اهتمامي بدرجة كافية فقد أمنحك الخنجر، حتى لو كان من (عصر الأساطير) فإنني لا أهتم بمثل هذه الأشياء، وقبل كل شيء ستُجيب عن سؤالي، لماذا جلبت لي (بوق قالير)؟».

نظر (فاين) إلى الخنجر بنظرة اشتياق للحظة أخرى، ثم جذب معصمه ليحرره وراح يفركه بينما ينحني. «لكي تنفخ فيه أيها (السيد السامي)، وبعدها سيتسنى لك أن تأخذ من كل هذه الأراضي ما يحلو لك، أن تأخذ كل العالم، يمكنك أن تحطم (البرج الأبيض) وتطحن (الآيز سيدي) إلى غبار. وحتى قواهن لا يمكنها أن توقف الأبطال العائدين من الموت».

قال (توراك) بنبرة فاترة: «ربما أنفخ فيه وأحطم (البرج الأبيض)، ولكن السؤال أيضًا هو لماذا؟ أنت تزعم أنك تطيع وتنتظر وتخدم، ولكن هذه أرض الحائنين بالقسم، لم تمنحني أرضك؟ هل لديك مشكلة شخصية مع أولئك... النسوة؟».

حاول (فاين) أن يجعل صوته مقنعًا. الصبر، مثل دودة تحفر طريقها من الداخل. «هناك تقليد متوارث في عائلتنا أيها (السيد السامي)، جيلًا بعد جيل، لقد خدمنا الملك السامي (أرتور بايندرج تانريال)، وعندما قُتل على يد ساحرات (تار قالون) لم نتخلَّ عن عهودنا. عندما تصارع الآخرون ومزقوا ما صنعه (أرتور هاوكوينج) تشبنا بقسمنا وعانينا من أجله، ولكننا ما زلنا متمسكين به. هذا هو تقليدنا أيها (السيد السامي)، يورثه الأب لابنه والأم لابنتها عبر السنوات التي تلت قتل (الملك السامي)، أن ننتظر عودة الجيوش التي أرسلها (أرتور هاوكوينج) عبر (محيط آريث)، أن ننتظر عودة دماء (أرتور هاوكوينج) لتدمير (البرج الأبيض) واستعادة ما كان ملك (الملك السامي). وعندما تعود دماء (هاوكوينج) سنخدم ونصح، كما فعلنا من أجل (الملك السامي). إن الراية التي تحقّق فوق البيت أيها (السيد السامي) - باستثناء الحواف الزرقاء - هي راية (ليوثير)، الابن الذي أرسله (أرتور بايندرج تانريال) مع الجيوش عبر المحيط». جثا (فاين) على ركبتيه متظاهرًا بأن مشاعره قد غلبته. «لا أتمنى أيها (السيد السامي) سوى أن أخدم وأنصح دماء (الملك السامي)».

لاذ (توراك) بالصمت لوقت طويل، حتى إن (فاين) تساءل إن كان بحاجة إلى المزيد من الإقناع. كان مستعدًا بالمزيد، قدر ما يتطلبه الأمر. ولكن (السيد السامي) تحدث أخيرًا: «يبدو أنك تعرف ما لم يتحدث به أحد منذ مجئنا إلى هذه الأرض، سواء من النبلاء أو العامة. الناس هنا يتحدثون عن الأمر وكأنه شائعة من بين عشر شائعات، ولكنك تعرف، يمكنني أن أرى هذا في عينيك وأسمعه في صوتك. أكاد أظن أنك أرسلت للإيقاع بي في فخ. ولكن من الذي سيمتلك (بوق فالير) ويستخدمه هكذا؟ لا أحد من (الدماء) الذين جاؤوا مع (الهاليلين) يمكنه أن يحوز (البوق)، فالأساطير تقول إنه كان مخفيًا في هذه الأرض. وبالتأكيد أي لورد في هذه الأرض سيستخدمه ضدي بدلًا من وضعه في يدي. كيف وصل (بوق فالير) إلى حوزتك؟ هل تزعم أنك بطل مثلما في الأسطورة؟ هل فعلت أشياء بطولية؟».

«أنا لست بطلاً أيها (السيد السامي)». غامر (فاين) بابتسامة منكرة للذات، ولكن وجه (توراك) لم يتغير، فتحلى عن ابتسامته. «لقد عثر أحد أسلافي على (البوق)، أثناء الاضطرابات التي أعقبت موت (الملك السامي). كان يعرف كيف يفتح الصندوق، ولكن السر مات معه في (حرب المئة عام) التي مزقت إمبراطورية (أرتور هاوكوينج). لذلك كل ما عرفناه نحن الذين جئنا من بعده هو أن (البوق) موجود بالداخل، ويجب علينا أن نحافظ عليه آمنًا حتى تعود دماء (الملك السامي)».

«أكاد أن أصدقك».

«صدقني أيها (السيد السامي)، بمجرد أن تنفخ في (البوق)....».

«لا تفسد ما تمكنت من إقناعي به، لن أنفخ في (بوق فالير). عندما أعود إلى (شونتشان) سأقدمه إلى الإمبراطورة كأهم الغنائم التي أحرزتها. ربما ستنفخ فيه الإمبراطورة بنفسها».

قال (فاين) محتجًا: «ولكن أيها (السيد السامي)، يجب عليك...». وجد نفسه مستلقيًا على جانبه وهو يشعر بالألم في رأسه. لم يدرك ما قد حدث إلا عندما استطاع أن ينظر بوضوح ليرى الرجل ذي الجديلة الشقراء يفرك مفاصله.

قال الرجل بهدوء: «بعض الكلمات لا يجب استخدامها عند مخاطبة (السيد السامي)». قرر (فاين) كيف سيموت الرجل.

نقل (توراك) بصره من (فاين) إلى (البوق) بهدوء، كما لو أنه لم ير شيئًا. «ربما سأمنحك إلى الإمبراطورة مع (بوق فالير). قد تجدك مثيرًا للاهتمام؛ رجل يزعم أن عائلته ظلت مخلصًا بيننا الآخرين جميعًا قد حثوا بعهودهم أو نسوها».

أخفى (فاين) ابتهاجه المفاجئ بينما يعتدل واقفًا على قدميه. لم يكن يعرف بوجود إمبراطورة حتى ذكرها (توراك)، ولكن الوصول إلى أحد الحكام مرة أخرى... هذا فتح مسارات جديدة وخططًا جديدة. الوصول إلى حاكمة ومن تحتها قوة (شونتشان) وبين يديها (بوق فالير)، هذا أفضل بكثير من جعل (توراك) ملكًا عظيمًا. يمكنه أن ينتظر من أجل بعض أجزاء خطته. بهدوء. يجب ألا تجعله يعرف كم ترغب في هذا. بعد كل هذا الوقت الطويل لن يضير المزيد من الصبر. قال محاولاً أن يبدو كرجل لا يرغب إلا في الخدمة: «كما يشاء (السيد السامي)».

قال (توراك): «تكاد أن تبدو متحمسًا». فقاوم (فاين) بالكاد رغبته في أن يتجهم. «سأخبرك لم لن أنفخ في (بوق فالير)، أو أحفظ به، وربما هذا سيشفي لهفتك. لا أريد لشخص أهديه للملكة أن يهين الإمبراطورة بتصرفاته، إن لم يكن من المحتمل علاج لهفتك فلن تُشيع قط، لأنك لن تغادر هذه الشواطئ. هل تعرف أن من ينفخ في (بوق فالير) يرتبط به بعدها؟ وهكذا ما دام على قيد الحياة فلن يكون أكثر من مجرد بوق بالنسبة لأي شخص آخر؟». لم يبد أنه يتوقع إجابة، وعلى أي حال لم يتوقف لانتظار أي إجابات. «أنا أقف في المركز الثاني عشر في خط خلافة العرش البلوري. إن احتفظتُ (ببوق فالير) فسيعتقد كل شخص بيني وبين العرش أنني أريد أن أكون الأول من الآن فصاعدًا، وبينما سترغب الإمبراطورة بالطبع في أن نتنافس فيما بيننا لكي يخلفها الأقوى والأكثر دهاءً فإنها تفضل حاليًا ابنتها الثانية. ولن يعجبها أن يكون هناك أي شيء يهدد (تيون). إن نفختُ في البوق - حتى إن وضعت هذه الأرض تحت قدميها وجلبت كل امرأة في (البرج الأبيض) مقيدة - فإن الإمبراطورة - فلتعش إلى الأبد - ستعتقد بالتأكيد أنني أريد أن أكون أكثر من وريث لها».

منع (فاين) نفسه من أن يقترح مدى إمكانية تحقيق هذا بمساعدة (البوق). شيء ما في صوت (السيد السامي) يوحي بأنه يتمنى حقًا أن تعيش إلى الأبد، بقدر ما وجد (فاين) صعوبة في تصديقه. يجب أن أكون صبورًا، دودة في الجدر.

أكمل (توراك): «إن (مستمعي) الإمبراطورة قد يكونون في أي مكان. أي شخص قد يكون (مستمعًا)، لقد وُلد (هوان) وترعرع بين (آل آلا دون)، وكذلك عائلته لأحد عشر جيلًا من قبله. ومع ذلك لا يمكن أن يكون (مستمعًا)». بدا الرجل ذو الجذيلة وكأنه على وشك الاحتجاج قبل أن يُجبر نفسه على السكون. «حتى أي (سيد سام) - أو (سيدة سامية) - يمكن أن يجد أن أعرق أسرارهِ معروفة (للمستمعين)، يمكن أن يستيقظ ليجد نفسه يُسلم بالفعل إلى (الباحثين عن الحقيقة). دومًا ما يكون من الصعب العثور على الحقيقة، ولكن (الباحثين) لا يدخرون أي جهد في بحثهم، وسيبحثون ما داموا يعتقدون أن هناك حاجة لهذا. إنهم يبدلون جهدًا كبيرًا لكيلا يموت (سيد سام) أو (سيدة سامية) في عهدتهم بالطبع، لأنه لا يجوز لإنسان أن يقتل شخصًا تجري في عروقه دماء (أرتور هاو كوينج). إن كان على الإمبراطورة أن تأمر بموت شخص كهذا فإنه يوضع حيًّا في كيس حريري ويُعلَّق الكيس على جانب (برج الغربان). لن يكون هناك هذه المراقبة بالنسبة لشخص مثلك، في (بلاط الأقمار التسعة) في (شوندار) يُمكن لشخص مثلك أن يُقدِّم (للباحثين) بسبب نظرة من عينيك، أو كلمة خاطئة، أو من أجل نزوة. هل ما زلت متلهفًا؟».

تظاهر (فاين) بأن ركبته ترتجفان وقال: «لا أريد فقط سوى أن أخدم وأنصح أيها (السيد السامي)». أعرِف الكثير الذي قد يكون مفيدًا». بدا هذا البلاط في (شوندار) مكانًا يمكن أن تجد فيه خطته ومهاراته تربة خصبة.

«حتى يحين موعد عودتي إلى (شونتشان) ستسليني بحكاياتك عن عائلتك وتقاليدها، من المريح أن أجد شخصًا ثانيًا في هذه الأرض التي هجرها (النور) يمكنه أن يسليني، حتى إن كان كليكما يحكي الأكاذيب كما أعتقد. يمكنك أن تنصرف الآن». لم ينطق أحد بكلمة أخرى، ولكن الفتاة ذات الشعر الذي يكاد أن يكون أبيض، والثوب الذي يكاد أن يكون شفافًا، ظهرت بخطوات مسرعة، لتجثو على ركبتيها وتحني رأسها بجانب (السيد السامي)، وهي تقدم له قدحًا يتصاعد منه البخار على صحيفة مطوية.

قال (فاين): «أيها (السيد السامي)». الرجل ذو الجذيلة الذي يدعى (هوان) أمسك بذراعه، ولكنه جذبها ليخلصها. ضيقَ (هوان) فمه في غضب بينما (فاين) ينحني أعرق انحناء له حتى الآن. سوف أقتله ببطء، أجل. «أيها (السيد السامي)، هناك هؤلاء الذين يتعقبونني، إنهم يريدون أخذ (بوق فالير). أصدقاء ظلام وما هو أسوأ أيها (السيد السامي)، وهم على مسافة يوم أو اثنين على الأكثر من ورائي».

أخذ (توراك) رشفة من السائل الأسود من القدح الرفيع المتوازن على أطراف أصابعه ذات الأظافر الطويلة. «لم يتبق سوى عدد قليل من أصدقاء الظلام في (شونتشان)، هؤلاء الذين ينجون من (الباحثين عن الحقيقة) يواجهون فأس الجلاذ. سيكون من المثير للاهتمام مقابلة صديق للظلام».

«إنهم خطيرون أيها (السيد السامي)، ومعهم (ترولوكيون). يقودهم شخص يسمى نفسه (راند ألثور)، شاب ولكنه مدنس (بالظل) بشكل لا يُصدق، بلسان كاذب وخادع. في أماكن كثيرة زعم لنفسه هويات

مختلفة، ولكن دومًا ما يلحق به (الترولوكيون) أينما يذهب أيها (السيد السامي)، دومًا ما يأتي (الترولوكيون)... ويقتلون».

قال (توراك) في اهتمام: «(ترولوكيون)؟ لا يوجد (ترولوكيون) في (شونتشان). ولكن (جيوش الليل) لديهم حلفاء آخرون، أشياء أخرى. لطالما تساءلت إن كان (الجرولم) قادرًا على قتل (ترولوك). سأضع عليك حراسة من أجل (الترولوكيين) وأصدقاء الظلام، هذا إن لم يكن الأمر كذبة أخرى. هذه الأرض تصيني بالسأم». تنهد واستنشق أبخرة قذحه.

ترك (فاين) (هوان) المتجههم يجذبه إلى خارج الحجرة، وبالكاد يُصغي إلى المحاضرة الغاضبة حول ما سيحدث إن رفض مرة أخرى المغادرة عندما يأمره اللورد (توراك) بالانصراف. بالكاد لاحظ عندما دُفع إلى الشارع، مع عملة معدنية وتعليقات بالعودة في الغد. لقد نال من (راند ألثور) الآن. سأراه مَيِّتًا أخيرًا، وبعدها سيدفع العالم ثمن ما فعله بي.

ضحك بصوت خافت، ثم اقتاد حصانه عبر البلدة بحثًا عن حانة.

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الخامس والثلاثون

ملاذ تسوفو

بعد أن ركب (راند) والآخرون الخيل لمدة نصف يوم بدأت التلال المحاذية للنهر - التي تقع عليها مدينة (كايرين) - تُفسح الطريق للأراضي المنبسطة والغابات. كان الشايناريون لا يزالون يحملون دروعهم على أحصنة البضائع. لم يكن هناك طرق حيث يذهبون، بل مجرد مسارات متباعدة للعربات، وعدد قليل من المزارع والقرى. كانت (ثيرين) تلح من أجل الإسراع، وقد وافقها (إنجتار) الذي كان يتذمر باستمرار بأنهم يسمحون لأنفسهم بأن يُخدعوا وأن (فاين) لم يكن ليخبرهم إلى أين يذهب حقًا، وفي الوقت ذاته يتذمر من توجههم في الاتجاه المعاكس (لتومان هيد)، كما لو أن جزءًا منه يصدق، وستكون (تومان هيد) على بعد بضعة أشهر ما لم يسلكوا هذا المسار. كانت راية البومة البنية تخفق مع الريح أثناء تحركهم.

كان (راند) ممتطيًا حصانه والتصميم مرتسم على وجهه، متجاهلاً الحديث مع (ثيرين). لديه هذا الأمر لينهيه - هذا الواجب كما يسميه (إنجتار) - وبعدها سيتحرر من (الآيز سيداي) إلى الأبد. بدا أن (بيرين) يشاركه شيئًا من حالته المزاجية، فقد كان يحدق إلى الخواء بينما يتحركون. عندما توقفوا أخيرًا في الليل عند حافة غابة وقد أوشك الظلام التام أن يخيم عليهم وجّه (بيرين) أسئلة (للويا) حول الملاذ. لن يدخل (الترولوكيون) أي ملاذ، ولكن هل ستدخله الذئاب؟ أجابه (لويال) باقتضاب إن مخلوقات (الظل) فقط هي التي ستحجم عن دخول الملاذ، و(الآيز سيداي) بالطبع، بما أنه لا يمكنهم لمس (المصدر الحقيقي) داخل الملاذ أو تسخير (القوة الواحدة)، ولكن (الأوجير) نفسه بدا الأكثر إحجامًا عن الذهاب إلى (ملاذ تسوفو). وحده (مات) قد بدا متلهفًا، بل ويكاد أن يكون مستميتًا. بدت بشرته وكأنها لم ترَ الشمس منذ عام، وصارت وجنتاه غائرتين، رغم قوله إنه مستعد لأن يتسابق ركضًا على قدميه. وضعت (ثيرين) يديها عليه من أجل الشفاء قبل أن يتدثر ببطانيته، ومرة أخرى قبل أن يمتطوا خيولهم في الصباح، ولكن هذا لم يصنع فارقًا في هيئته. حتى (هورين) كان يعقد حاجبيه عندما ينظر إلى (مات).

كانت الشمس قد اعتلت السماء في اليوم الثاني، عندما اعتدلت (ثيرين) في سرجها وتلفتت حولها. إلى جانبها جفل (إنجتار).

لم يستطع (راند) أن يرى فارقًا في الغابات المحيطة بهم. لم تبدُ الشجيرات كثيفة للغاية، وقد وجدوا مسارًا سهلًا تحت قمم أشجار البلوط والجوز والصمغ الأسود والزان، التي تتخللها هنا وهناك أشجار الصنوبر الطويلة، أو أشجار الورق الجلدي، أو شريط أبيض من أشجار لحاء الورق. ولكنه بينما يتبعهم شعر فجأة بقشعريرة تجتاحه، كأنها قد قفز في بركة في غابة الماء في الشتاء. استمرت القشعريرة للحظة قبل أن تختفي، تاركة وراءها إحساسًا بالانتعاش. وكان هناك أيضًا شعور باهت وبعيد بالخسارة، رغم أنه لم يستطع أن يتخيل ما الذي خسره.

كل راكب يصل إلى هذه المرحلة يجفل أو يند عنه تعبير عن الدهشة. فغر (هورين) فمه، وهمس (أونو): «اللعة، بحق...». ثم هز رأسه كأنها لم يستطع أن يفكر في شيء آخر لقوله. كان هناك نظرة تعرف في عيني (بيرين) الصفراوين.

أخذ (لويال) نفسًا عميقًا ثم زفره ببطء قبل أن يقول: «من الرائع... العودة... إلى ملاذ». عقد (راند) حاجبيه وهو يتلفت حوله. لقد توقع أن يكون الملاذ مختلفًا بشكل ما، ولكن باستثناء هذه القشعريرة فإن الغابة هي نفسها التي كانوا يقطعونها طيلة اليوم. كان هناك إحساس مفاجئ بالارتياح بالطبع، ثم خطت (أوجير) من وراء شجرة بلوط.

كانت أقصر من (لويال) - مما يعني أنها أطول من (راند) برأس وكتفين - ولكنها تمتلك نفس الأنف العريض والعينين الواسعتين ونفس الفم العريض والأذنين المشعرتين، ولكن حاجبيها لم يكونا بطول حاجبي (لويال)، وبدت ملامحها رقيقة مقارنة به، وخصلات الشعر على أذنيها أكثر نعومة. كانت ترتدي فستانًا أخضر طويلًا، وعباءة خضراء مطرزة بالزهور، وتحمل باقة من أزهار الجرس الفضي كما لو أنها كانت تجمعها. نظرت إليهم بهدوء وترقب.

ترجل (لويال) مسرعًا من على حصانه الطويل وانحنى في عجالة. فعل (راند) والآخرين مثله، وإن لم يكن بنفس سرعة (لويال)، حتى (فيرين) أوامت برأسها. أخبرها (لويال) بأسئلتهم بشكل رسمي، ولكنه لم يذكر اسم ملاذه.

للحظة راحت فتاة (الأوجير) - كان (راند) متيقنًا من أنها لا تكبر (لويال) عمرًا - تتفحصهم، ثم ابتسمت وقالت: «مرحبًا بكم في (ملاذ تسوفو)». كان صوتها نسخة أكثر خفة من صوت (لويال) أيضًا؛ دمدمة أكثر رقة لنحلة أصغر حجمًا. «أنا (إريث ابنة إيثا ابنة الآر). مرحبًا بكم. لم يأتنا الكثير من الزوار البشر منذ أن ترك (البنائون) (كايرين)، والآن يأتي مثل هذا العدد الكبير مرة واحدة، بل إن لدينا بعض (الجوالين)، ولكنهم بالطبع غادروا عندما... أوه، أنا أتحدث كثيرًا. سأخذكم إلى الكبراء. فقط...». راحت تفتش بينهم عن الشخص المسئول، قبل أن يستقر بصرها أخيرًا على (فيرين). «إن معك الكثير من الرجال أيتها (الآيز سيداي)، وهم مسلحون. هل يمكنك أن تتركي بعضهم بالخارج؟ اغفري لي، ولكن دومًا ما يكون من المقلق وجود عدد كبير من البشر المسلحين في الملاذ في الآن ذاته».

قالت (فيرين): «بالطبع يا (إريث). هلا اعتنيت بالأمر يا (إنجتار)؟».

أصدر (إنجتار) أوامره (لأونو)، وهكذا تقرر أنه هو و(هورين) سيكونان الشايناريين الوحيدين اللذين يتبعان (إريث) إلى أعماق الملاذ.

اقتاد (راند) حصانه ثم رفع بصره عندما اقترب (لويال)، الذي يختلس النظر إلى (إريث) بينما تتقدمهم بصحبة (فيرين) و(إنجتار). كان (هورين) يمشي في منتصف المسافة بينهم وهو يتلفت حوله في دهشة، رغم

أن (راند) لم يكن متيقناً إلى ماذا ينظر بالضبط. انحنى (لويال) ليتحدث بصوت خافت قائلاً: «أليست جميلة يا (راند)؟ وصوتها يغني».

ضحك (مات) ساخراً، ولكن عندما نظر إليه (لويال) بتساؤل قال: «إنها جميلة للغاية يا (لويال)، طويلة بعض الشيء بالنسبة لذوقي كما تفهم، ولكنني واثق من أنها جميلة للغاية». عقد (لويال) حاجبيه في تردد، ولكنه أوماً برأسه وقال: «أجل، إنها كذلك». ثم تهللت أساريره وهو يقول: «من الرائع حقاً أن أكون في ملاذٍ من جديد، هذا لا يعني أن (الاشتياق) كان يغلبني، أنت تفهم». قال (بيرين): «(الاشتياق)؟ أنا لا أفهم يا (لويال)».

«نحن (الأوجير) مرتبطون بالملاذ يا (بيرين). يقال إنه قبل (تحطم العالم) كنا قادرين على الذهاب أينما نشاء وقدر ما نشاء، مثلكم أيها البشر، ولكننا تغيرنا مع (تحطم العالم). كان (الأوجير) مشغولين مثل كل الشعوب الأخرى، ولم يقدروا على العثور على أي ملاذ مرة أخرى، كل شيء قد تحرك، كل شيء قد تغير، الجبال والأنهار وحتى البحار».

قال (مات) في نفاذ صبر: «الجميع يعرفون بشأن (تحطم العالم)، ما علاقته بهذا... هذا (الاشتياق)؟». «لم يغمرنا (الاشتياق) إلا أثناء (المنفى)، عندما كنا نهييم في الأرض ضائعين. الرغبة في أن نعرف الملاذات مرة أخرى، أن نعرف ديارنا مرة أخرى. لقد مات الكثيرون بسببه». هز (لويال) رأسه في حزن. «كان من ماتوا أكثر ممن ظلوا على قيد الحياة. عندما بدأنا نجد الملاذات مرة أخرى، واحداً تلو الآخر، في سنوات (ميثاق الأمم العشرة)، بدأ أننا قد هزمننا (الاشتياق) أخيراً، ولكنه قد غيّرنا، وضع بذرة بداخلنا، الآن إن أمضى (أوجير) وقتاً طويلاً (بالعالم الخارجي) يأتي (الاشتياق) مرة أخرى، ويبدأ في الضعف، ويموت إن لم يعد».

سأله (راند) بقلق: «هل تحتاج إلى البقاء هنا لبعض الوقت؟ لا حاجة لأن تقتل نفسك بالمجيء معنا». قال (لويال) ضاحكاً: «سأعرفه عندما يأتي، سيمضي وقت طويل قبل أن يكون قوياً بما يكفي لإيدائي. لقد أمضت (دالار) عشر سنوات بين (قوم البحر) دون حتى أن ترى ملاذاً، وقد عادت بسلام إلى الديار». ظهرت امرأة (أوجير) من بين الأشجار وتوقفت للحظة لتتحدث مع (إريث) و(فيرين). نظرت إلى (إنجتار) من رأسه حتى أخمص قدميه، وبدت أنها لم تكثر له، مما جعله يرمش. نظرت إلى (لويال)، ثم إلى (هورين) وفتية (إيموندز فيلد) نظرة عابرة، قبل أن تعود إلى الأشجار. بدا (لويال) وكأنها يحاول أن يختفي وراء حصانه، ثم قال وهو ينظر بحذر عبر سرجه إلى حيث اختفت: «كما أنها حياة رتيبة في الملاذ، مقارنة بالسفر مع ثلاثة من (التافيرين)».

تمتم (مات): «إن كنت ستتحدث عن هذا الأمر مرة أخرى». فقال (لويال) على الفور: «ثلاثة أصدقاء إذن، أنتم أصدقائي كما أمل».

قال (راند) ببساطة: «أنا كذلك». فأوماً (بيرين) برأسه.

قال (مات) ضاحكًا: «كيف يمكن ألا أكون صديقًا لشخص يلعب النرد بمثل هذا السوء؟». لَوَّحَ بيديه عندما نظر إليه (راند) و(بيرين). «أوه، حسنًا، أنا معجب بك يا (لويال)، أنت صديقي. فقط لا تتحدث بشأن... آه! أحيانًا تكون صحبتك سيئة مثل صحبة (راند)». ثم خفض صوته ليصير متممة: «على الأقل نحن آمنون هنا في الملاذ».

تجههم (راند)، فقد فهم ما يقصده (مات). هنا في الملاذ، حيث لا يمكنني التسخير. لكم (بيرين) (مات) في كتفه، ولكنه بدا آسفًا على هذا عندما نظر إليه (مات) متجهًا بهذا الوجه الهزيل. كانت الموسيقى هي أول ما لاحظته (راند)، مزامير وآلات وترية غير مرئية في لحن مرح يتسلل عبر الأشجار، وأصوات عميقة تغني وتضحك.

«أحرث الحقول ومهدّها جيّدًا
لا تترك جذورًا ولا أعشابًا ضارة
هنا نعمل وهنا نكدح

هنا ستنمو الأشجار الشاهقة».

في الوقت ذاته تقريبًا أدرك أن الشكل الضخم الذي ينظر إليه عبر الأشجار هو شجرة أيضًا، بجذع ذي نتوءات ودعامات، لا شك أنه بعرض عشرين خطوة. فغر فمه وهو يصعد بعينه لأعلى عبر قمم أشجار الغابة، إلى الأغصان المنبسطة كقمم فطر عيش غراب عملاق على ارتفاع مئة خطوة فوق الأرض، ومن ورائها كان هناك أشجار أطول.

قال (مات) مبهورًا: «بحق (النور)، يمكنك أن تبني عشرة بيوت بشجرة واحدة من هذه، بل خمسين بيتًا».

«أتريد أن تقطع (شجرة عظيمة)؟». بدا (لويال) مصدومًا، وغاضبًا بعض الشيء. كانت أذناه منتصبين ومتيبستين، وحاجباه الطويلان متهدلان على وجنتيه. «نحن لا نقطع أي شجرة من (الأشجار العظيمة) ما لم تمت، وهي نادرًا ما تموت. بعضها قد نجا من (تخطم العالم)، ولكن بعضًا من أكبرها كانت مجرد شتلات أثناء (عصر الأساطير)».

قال (مات): «المعذرة، كنت أعبر فقط عن مدى ضخامتها، لن أؤذي أشجارك». أومأ (لويال) برأسه وقد هدأ غضبه.

ظهر المزيد من (الأوجير)، يمشون بين الأشجار، معظمهم بدوا مشغولين بما يفعلونه أيًا ما كان، رغم أنهم جميعًا نظروا إلى الوافدين الجدد، حتى إنهم قد أومأوا إيماءة ودية أو انحنوا انحناء صغيرة، ولكن أيًا منهم لم يتوقف أو يتحدث. كان لديهم طريقة غريبة في التحرك، حيث كانوا يمزجون بطريقة ما بين التروي الحذر والمرح الطفولي اللاهي. إنهم يعرفون ويحبون من هم وماذا يكونون وأين هم، ويبدو أنهم في سلام مع أنفسهم ومع كل شيء من حولهم. وجد (راند) نفسه يحسدهم.

كان هناك عدد قليل من رجال (الأوجير) أطول من (لويال)، ولكن كان من السهل تمييز الرجال الأكبر سنًا، فجميعهم لهم شوارب بطول حواجبهم المتدلّية، ولحى رفيعة تحت ذقونهم. كل الشباب كانوا حليقي الوجه مثل (لويال)، معظمهم يرتدون قمصانًا ويمتلئون معاول وفؤوسًا، أو مناشير ودلاء من القار. الآخرون يرتدون معاطف بسيطة ذات أزرار تصل إلى الركبة وتتسع حول ركبهم مثل التنانير. بدا أن النساء يفضلن الثياب المطرزة بالزهور، ومعظمهن يضعن زهورًا في شعرهن أيضًا. كان التطريز بالنسبة للشابات مقتصرًا على العباءات، أما النساء الأكبر سنًا فكانت فساتينهن مطرزة أيضًا، وبعض النساء ذوات الشعر الرمادي ثيابهن مطرزة بالزهور والأغصان من عنق الثوب إلى حافته. بدا أن بعض نساء (الأوجير) والفتيات على وجه الخصوص يولين (لويال) اهتمامًا خاصًا، فراح يمشي محققًا إلى الأمام مباشرة وعينه ترتعشان بقوة أكبر كلما تقدموا.

جفل (راند) عندما رأى (أوجير) يبدو أنه يخرج من الأرض، من إحدى الروابي العشبية المغطاة بالزهور البرية المتناثرة بين الأشجار، ثم رأى نوافذ في الروابي وامرأة من (الأوجير) تقف عند إحدى النوافذ وهي تفرد عجينة فطيرة، قبل أن يدرك أنه ينظر إلى بيوت (الأوجير). كانت إطارات النوافذ حجرية، ولكنها لم تبد أنها تشكيلات طبيعية فحسب، بل بدت وكأن الرياح والمياه قد نحتتها على مدار أجيال.

كانت (الأشجار العظيمة) بجذوعها الضخمة وجذورها الممتدة السميكة بحجم الخيول تحتاج إلى مساحة كبيرة بينها، ولكن العديد منها كان ينمو في منتصف البلدة. كانت المنحدرات الترابية تصنع مسارات فوق الجذوع. في الواقع كانت الطريقة الوحيدة - باستثناء الممرات - للتفريق بين البلدة والغابة من النظرة الأولى هي المساحة الواسعة في منتصف البلدة، حول ما لا يمكن أن يكون إلا جذع إحدى (الأشجار العظيمة). كانت بعرض مئة خطوة تقريبًا، وسطحها مصقول كأى أرضية أخرى، وكان هناك درجات مبنية لتؤدي إليها، في أماكن عديدة. كان (راند) يتخيل مدى ارتفاع هذه الشجرة عندما تحدثت (إريث) بصوت عالٍ لكي يسمعوها جميعًا.

«ها قد جاء ضيوفنا الآخرون».

كان هناء ثلاث نساء بشریات يخطين من وراء الجذع الضخم، وأصغرهن تحمل وعاء خشبيًا. قال (إنجتار): «(آيل). (عذراوات الرمح). من الجيد أنني تركت (ماسيا) مع الآخرين». ومع ذلك ابتعد عن (فيرين) و(إريث)، ومد يده من فوق كتفه ليحرر سيفه قليلاً في غمده.

تفحص (راند) الآيليات في مزيج من التوتر والفضول. كن يشبهن ما حاول العديد من الناس أن يزعموا أنه يكونه. امرأتان منهن كانتا ناضجتين، والأخرى أكبر بقليل من كونها فتاة، ولكن ثلاثهن طويلات بالنسبة لكونهن نساء. كان شعرهن القصير يتراوح ما بين البني المحمر إلى الذهبي تقريبًا، مع ذيل رفيع، ويصل حتى الكتفين. كن يرتدين سراويل فضفاضة مدسوسة في أحذية ناعمة، وكل ثيابهن بدرجات من البني أو الرمادي أو الأخضر. فكّر أن هذه الثياب ستتهامى مع الصخور أو الغابات جيدًا مثل عباءات

(الحياة). كانت الأقواس القصيرة تبرز من فوق أكتافهن، وجعاب وسكاكين طويلة متدلية من أحزمتهن، وكل واحدة تحمل ترسًا دائريًا صغيرًا من الجلد، ومجموعة من الرماح ذات عصي قصيرة ونصال طويلة. حتى أصغرهن كانت تتحرك برشاقة تشي باعتيادها على استخدام الأسلحة التي تحملها.

فجأة أدركت النساء وجود البشر الآخرين، بدون مندهشات لرؤية (راند) والآخرين، ولكنهن تحركن بسرعة البرق. صاحت الصغرى: «شاي نار يون!». واستدارت لتضع الوعاء بحذر وراءها. الاثنتان الأخريان رفعت كل منهما قطعة قماشية من حول كتفيها لتلفها حول رأسها، لتلثم وجهها بلثام أسود وتخفي كل شيء عدا عينيها. وبدأت الصغرى في محاكاتها. انحنين وهن يتقدمن بحركة مدروسة، وقد رفعن تروسهن مع مجموعات الرماح باستثناء رمح تحمله كل امرأة في يدها الأخرى.

استل (إنجتار) سيفه من غمده وقال: «تراجعي أيتها (الآيز سيداي)، تراجعي يا (إريث)». استل (هورين) خنجره المسنن وهو متردد ما بين الهراوة والسيوف من أجل اليد الأخرى، وبعد نظرة على رماح (الآيل) اختار السيوف.

قالت فتاة (الأوجير) باحتجاج: «لا يجب عليكم هذا». ضمت قبضتيها وهي تنقل بصرها ما بين (إنجتار) و(الآيل)، ثم قالت مرة أخرى: «لا يجب عليكم هذا».

أدرك (راند) أن السيوف ذا علامة البلشون في يديه. أخرج (بيرين) فأسه جزئيًا من الحلقة في حزامه، ولكنه كان مترددًا وهو يهز رأسه.

تساءل (مات): «هل أنتما مجنونان؟». كان قوسه لا يزال معلقًا على ظهره. «لا أبالي إن كن آييليات، إنهن نساء».

قالت (فيرين) امرأة: «كفوا عن هذا! كفوا عن هذا على الفور!». لم تتوقف الآييليات عن تقديمهن، فضمت (الآيز سيداي) قبضتيها في إحباط.

تحرك (مات) إلى الورا ليضع قدمًا في ركابه وقال: «أنا مغادر، هل تسمعونني؟ لن أبقى هنا وأتركهن يغرسن هذه الأشياء في جسدي، ولن أطلق سهمًا على امرأة!».

صاح (لويال): «(الميثاق)! تذكروا (الميثاق)!». لم يكن لهذا تأثير أكثر من مناشدات (فيرين) و(إريث) المتواصلة.

لاحظ (راند) أن (الآيز سيداي) وفتاة (الأوجير) تبقيان مسافة بينهما وبين الآييليات. تساءل إن كان (مات) محققًا، لم يكن واثقًا أن باستطاعته أن يؤدي امرأة حتى لو كانت تحاول قتله. ما حسم أمره هو إدراكه أنه حتى إذا وصل إلى سرج (ريد) فإن المسافة التي تفصله عن الآييليات أقل من ثلاثين خطوة. حُمن أنه يمكن رمي تلك الرماح القصيرة لتقطع هذه المسافة. وبينما النساء يقتربن وهن لا يزلن منحنيات والرماح مستعدة توقف عن القلق بشأن عدم إيذائهن وبدأ يقلق بشأن كيفية منعهن من إيذائه.

في توتر راح يبحث عن الخواء فجاءه، وراودته فكرة من بعيد تطفو بالخارج أنه الخواء فحسب، لم يكن توهج (السايدين) موجودًا. كان الفراغ أكثر خواءً مما يذكر وأكثر اتساعًا، كأنما هو جوع عظيم بما يكفي لالتهامه، الجوع من أجل المزيد. كان من المفترض أن يكون هناك شيء آخر.

فجأة خطأ (أوجير) بين المجموعتين، ولحيته الرفيعة ترتجف. قال بصوت مصدوم: «ما معنى هذا؟ ضعوا أسلحتكم». نظر إلى (إنجتار) و(هورين) و(راند) و(بيرين)، ولم تستثنِ نظرتهم (مات) رغم أنه لا يحمل سلاحًا. «بالنسبة لكم هناك عذر ما». ثم التفت إلى نسوة (الآيل) اللاتي توقفن عن التقدم وقال: «أما بالنسبة لكنّ، فهل نسيتم (الميثاق)؟».

كشفت النسوة عن رؤوسهن وجوههن في عجالة شديدة، حتى بدا وكأنهن يحاولن التظاهر بأنهن لم يغطين وجوههن قط. كان وجه الفتاة متوردًا، والمرأتان الأخريان قد بديتا خجلتين. إحدى المرأتين الكبيرتين، المرأة ذات الشعر المائل للحمرة، قالت: «اغفر لنا يا (أخا الأشجار)، وما كنا لنكشف عن سلاحنا، ولكننا في أرض (قتلة الشجرة). حيث تكون كل يد ضدنا، وقد رأينا رجالًا مسلحين». رأى (راند) أن عينيها رماديتان مثل عينيهِ.

قال (الأوجير) برفق: «أنت في ملاذ يا (ريان) الجميع آمن في الملاذ أيتها الأخت الصغرى. لا يوجد قتال هنا، ولا يد تُرفع ضد أخرى». أوامات برأسها في خجل، فنظر (الأوجير) إلى (إنجتار) والآخرين.

غمد (إنجتار) سيفه، وفعل (راند) مثله، ولكن ليس بسرعة (هورين)، الذي كاد أن يبدو محرجًا مثل الآيليات. لم يكن (بيرين) قد استل فأسه بشكل كامل. بينما (راند) يُبعد يده عن المقبض ترك الخواء يتلاشى، ولكنه ترك وراءه صدى فراغ يتلاشى ببطء من حوله، والرغبة في شيء يملأه.

التفت (الأوجير) إلى (فيرين) وانحنى قائلاً: «أنا (چوين ابن لاسيل ابن لاود). لقد جئت لآخذك إلى الكبراء، إنهم يرغبون في معرفة سبب قدوم (آيز سيدي) إلينا، بصحبة رجال مسلحين، وواحد من شبابنا». انكمش (لويال) على نفسه، كما لو أنه يرغب في أن يختفي.

نظرت (فيرين) إلى الآيليات بأسى، كما لو أنها ترغب في الحديث إليهن، ثم أشارت إلى (چوين) أن يتقدمها، فأخذها بعيدًا دون أن يقول كلمة أخرى، أو حتى ينظر إلى (لويال).

لبضع لحظات ظل (راند) والآخرين واقفين في مواجهة نسوة (الآيل) الثلاثة في توتر. وأخيرًا عرف (راند) سبب توتره؛ لقد بدا أن (إنجتار) والآخرين ثابتون كالحجر، فلا يرتسم على وجوههم سوى تعبير واحد. ربما قد كشفت الآيليات عن وجوههن، ولكن لا يزلن يمسكن برماحهن في أيديهن، وقد رحن يتفحصن الرجال الأربعة كما لو أنهن يحاولن سبر أغوارهم. تلقى (راند) على وجه الخصوص نظرات غاضبة بشكل متزايد، سمع أصغرهن تتمتم: «إنه يحمل سيفًا». في نبرة تمزج ما بين الرعب والازدراء. ثم رحل ثلاثهن دون أن يتوقفن إلا لاستعادة الوعاء الخشبي، ونظرن من فوق أكتافهن إلى (راند) والآخرين، قبل أن يختفين بين الأشجار.

تتم (إنجتار): «(عذراوات الرمح). لم أعتقد أنهم قد يتوقفن بعد أن يلثمن وجوههن. بالتأكيد ليس بعد سماع بضع كلمات». نظر إلى (راند) وصديقيه قائلاً: «يجب أن تروا هجوماً من (التروس الحمراء) أو (الكلاب الحجرية)، إن محاولة إيقافهم أشبه بمحاولة إيقاف انهيار ثلجي».

قالت (إريث) مبتسمة: «لن يخرقن الميثاق بمجرد تذكيرهن به، لقد جئن من أجل الخشب المغني. لدينا اثنان من (مغني الأشجار) هنا في (ملاذ تسوفو). لقد سمعت أن (ملاذ شانجتاي) به (مغني أشجار) شاب موهوب للغاية، ولكن لدينا اثنين». احمر وجه (لويال) خجلاً، ولكن لم يبدُ عليها أنها قد لاحظت. «إن جئتم معي فسأريكم أين يمكنكم أن تنتظروا حتى ينتهي الكبراء من الحديث».

بينما يتبعونها تتم (بيرين): «خشب مغني؟ هذا هراء! إن (الآيل) يبحث عن (هذا الذي يأتي مع الفجر)».

أضاف (مات) بسخرية: «إنهن يبحثن عنك يا (راند)».

«يبحثن عني! هذا جنون، ما الذي يجعلك تعتقد...».

بتر جملة عندما أرتمهم (إريث) درجات تؤدي إلى بيت مغطى بالزهور البرية، من الواضح أنه مخصص للضيوف من البشر. كانت الحجرات باتساع عشرين خطوة من جدار حجري إلى آخر، بسقف مطلي على ارتفاع باعين من الأرضية، ولكن (الأوجير) قد بذلوا قصارى جهدهم ليصنعوا شيئاً من شأنه أن يكون مريحاً للبشر، ومع ذلك كان الأثاث كبيراً بعض الشيء على أن يوفر الراحة، والكراسي طويلة حتى إن الرجل سيضطر لرفع كاحليه عن الأرض، وكانت الطاولة أعلى من خصر (راند). بل إن (هورين) على الأقل كان قادراً على أن يمشي منتصباً إلى داخل المدفأة الحجرية التي بدت كأنها هي شيء متآكل بفعل الماء، وليس شيئاً مصنوعاً بالأيدي. نظرت (إريث) إلى (لويال) بشك، ولكنه لوَّح لها بيده ألا تقلق، وجذب كرسيّاً إلى الزاوية التي لا يمكن رؤيتها بسهولة من الباب.

بمجرد مغادرة فناء (الأوجير) تنحى (راند) (بمات) و(بيرين) جانباً وقال: «ما الذي كنت تعنيه بأنهن يبحثن عني؟ لماذا؟ لأي سبب؟ لقد استطعن رؤيتي بوضوح قبل أن ينصرفن».

قال (مات) مبتسماً: «لقد نظرن إليك وكأنك لم تستحم منذ شهر، وعلاوة على ذلك قد غمرت نفسك في مغطس الغنم». ثم تلاشت ابتسامته وقال: «ولكنهن ربما يبحثن عنك. لقد التقينا بآيلي آخر».

أصغى (راند) بدهشة متزايدة إلى حكايتهما عن اللقاء في (خنجر قاتل أهله)، أخبره (مات) بمعظمها، وكان (بيرين) يضيف كلمة للتصحيح بين الحين والآخر عندما يبالغ (مات) في وصف الأمر. لقد قدّم (مات) عرضاً رائعاً عن مدى خطورة اللقاء بذلك الآيلي، وكيف كان اللقاء موشكاً على أن يتحول إلى معركة.

أنهى حكايته قائلاً: «وبما أنك الآيلي الوحيد الذي نعرفه فمن المحتمل أن تكون أنت من يبحثون عنه. قال (إنجتار) إن (الآيل) لا يعيشون مطلقاً خارج (الفلاة)، إذن يجب أن تكون أنت الشخص الوحيد».

قال (راند) متذمرًا: «لا أعتقد أن هذا مضحك يا (مات)، أنا لست آييليًا». قالت (الأميرلين) إنك كذلك. (إنجتار) يعتقد أنك كذلك. قال (تام)... كان مريضًا، محمومًا. إن (الآيز سيدي) و(تام) قد بتروا الجذور التي كان يعتقد أنه يملكها، رغم أن (تام) كان مريضًا على أن يعي ما يقوله. لقد قطعوا جذوره ليستقط في مهب الريح، ثم عرضوا عليه شيئًا جديدًا ليتمسك به. (تنين كاذب). آييليًا. لا يمكنه أن يعتقد أن هذه هي جذوره، لا يرغب في هذا. «ربما لا أنتمي إلى أي شخص، ولكن (النهرين) هي الوطن الوحيد الذي أعرفه». قال (مات) محتجًا: «أنا لم أقصد شيئًا، الأمر وما فيه... بحق (النور)، (إنجتار) يقول إنك كذلك، و(ماسيا) يقول إنك كذلك، وكان (يورين) يبدو كأنه ابن عمك، وإن ارتدت (ريان) فستأنا وقالت إنها عمك فأنت نفسك ستصدق الأمر. أوه، لا بأس. لا تنظر إليّ هكذا يا (بيرين). إن أراد أن يقول إنه ليس كذلك فلا بأس، ما الفارق الذي يصنعه هذا على أي حال؟». هز (بيرين) رأسه.

جلبت فتيات (الأوجير) الماء والمناشف لغسل الوجوه والأيدي، وجلبن الخبز والفاكهة والنبيد، مع أقذاح قصديرية أكبر بقليل من أن تكون مريحة في اليد. جاءت نسوة (أوجير) أخريات أيضًا، وفساتينهن جميعها مطرزة. لقد ظهرن واحدة تلو الأخرى ليسألن إن كان البشر يشعرون بالراحة أو إن كانوا بحاجة إلى أي شيء، وكل واحدة كانت تولي اهتمامها (للوليال) قبل أن تغادر. كان يحببهن بكل احترام، ولكن بكلمات قليلة على غير عهد (راند) به. وهو يقف ممسكًا بكتاب بحجم مناسب (لأوجير) مجلد بالخشب، يضمه إلى صدره كأنها هو ترس، وعندما ينصرفن يهوي بجسده على كرسيه واضعًا الكتاب أمام وجهه. كانت الكتب في البيت من بين الأشياء التي لا تتناسب مع حجم البشر.

قال (هورين): «فلتشتم رائحة الهواء يا لورد (راند)». ثم ملأ رئتيه بهواء مبتسمًا. كانت ساقاه متدليتين من أحد الكراسي إلى جانب الطاولة، بينما يؤرجهما كأنها هو طفل صغير. «إن معظم الأماكن لا تكون رائحتها سيئة، ولكن هذا المكان... لا أعتقد أن هناك أي قتل قد حدث هنا يا لورد (راند)، ولا أي إيذاء، إلا من باب المصادفة».

قال (راند): «من المفترض أن يكون الملاذ آمنًا للجميع». كان ينظر ناحية (لوليال). «هذا ما تقوله الحكايات على أي حال». ابتلع قطعة أخيرة من الجبن الأبيض ثم اقترب من (الأوجير). لحق به (مات) وهو يحمل قدحًا في يده. قال (راند): «ما الأمر يا (لوليال)؟ أنت تبدو متوترًا كقط في باحة كلاب منذ أن جئنا إلى هنا».

قال (لوليال): «لا شيء». ثم نظر ناحية الباب بنظرة متوترة من طرف عينه.

«هل أنت خائف من أن يكتشفوا أنك تركت (ملاذ شانجتاي) دون إذن من كبرائك؟».

تلقت (لوليال) حوله بشكل جامح، وخصلات شعر أذنيه ترتعش، ثم همس بحدة: «لا تقل هذا، ليس على مسمع من أي شخص. إن اكتشفوا الأمر...». تنهد بعمق ثم استرخى بجسده إلى الوراء وهو ينقل نظره ما بين (راند) و(مات). «لا أعرف كيف يجري الأمر بينكم أنتم البشر، ولكن بين (الأوجير)... إن رأيت فتاة

فتى وأعجبت به فإنها تذهب إلى أمه، أو أحياناً، ترى الأم شخصاً تعتقد أنه مناسب، على أي حال إن وافقتا فإن أم الفتاة تذهب إلى أم الفتى، وقبل أن يُدرك الفتى يجد أن زواجه قد تحدد.

قال (مات) في عدم تصديق: «ألا يكون للفتى رأي في الأمر برمته؟».

«مطلقاً. النسوة دومًا ما يقلن إنهن إن تركن الأمر لنا فسنمضي حياتنا متزوجين من الأشجار». تململ (لويال) متجهماً وقال: «نصف زيجاتنا تكون ما بين الملاذات، مجموعة من شباب (الأوجير)، يزورون ملاذاً تلو الآخر، لكي يَروا ويُروا. إن اكتشفوا أنني بالعالم الخارجي من دون إذن فسيقرون بالتأكيد أنني بحاجة إلى زوجة لتجعلني أستقر، وقبل أن أدرك الأمر سيُرسِلون رسالة إلى (ملاذ شانجتاي)، إلى أمي، وستأتي إلى هنا وتجعلني أتزوج قبل أن تنفض عنها غبار رحلتها. إنها دومًا ما تقول إنني متسرع للغاية وأحتاج إلى زوجة، أعتقد أنها كانت تبحث لي عن زوجة عندما خرجت. أيًا كانت الزوجة التي ستختارها لي... حسنًا، أي زوجة على الإطلاق لن تسمح لي بالعودة إلى (العالم الخارجي) حتى يكون هناك شعر رمادي في لحيتي. الزوجات دومًا ما يقلن إنه لا يجب على الرجل الخروج إلى (العالم الخارجي) قبل أن يستقر بما يكفي للتحكم في أعصابه».

قهقهه (مات) بصوت عالٍ كافٍ لجذب أنظار الجميع، ولكن مع إشارة (لويال) المحمومة تحدث بصوت خافت قائلاً: «بيننا نحن البشر الرجال هم من يختارون، ولا يمكن لأي زوجة أن تمنع رجلاً من فعل ما يحلو له».

عقد (راند) حاجبيه وهو يتذكر كيف كانت (إيجوين) تلاحقه في الأنحاء عندما كانا صغيرين. حينها أولت السيدة (ألفير) اهتماماً خاصاً به، أكثر من الفتيان الآخرين. لاحقاً كانت بعض الفتيات يرقصن معه في الأعياد وبعض آخر لا، وأولئك اللاتي يرقصن معه كن دومًا أصدقاء (إيجوين)، وأولئك اللاتي لا يرقصن معه كن فتيات لا تحبهن (إيجوين). كما تذكر أن السيدة (ألفير) قد تنحت (بتام) جانباً وراحت تتمتم بشأن عدم وجود زوجة لكي تتحدث إليها! وبعدها صار (تام) وكل شخص آخر يتصرفون وكأنه هو و(إيجوين) قد تحدد زواجهما، رغم أنها لم يبحثوا أمام (دائرة النساء) ليقولا الكلمات. لم يفكر في الأمر بهذه الطريقة من قبل. كانت علاقته (بإيجوين) تبدو دومًا كما لو أنها بديهية، وهذا كل ما في الأمر.

تتمتم (راند): «أعتقد أننا نفعل الشيء ذاته». وعندما ضحك (مات) أضاف: «هل تتذكر أن أباك قد فعل شيئاً لم تكن والدتك تريد منه حقاً أن يفعله؟». فتح (مات) فمه مبتسماً، ثم عقد حاجبيه مفكراً، قبل أن يُعلقه مرة أخرى.

جاء (چوين) هابطاً الدرجات من الخارج وقال: «هل يمكنكم أن تأتوا معي جميعاً إن سمحتم، الكبراء يرغبون في رؤيتكم». لم ينظر ناحية (لويال)، ولكنه كاد أن يُسقط كتابه.

قال (راند): «إن حاول الكبراء أن يجعلوك تبقى فسنخبرهم بأننا نحتاج إليك معنا».

قال (مات): «أراهن أن الأمر ليس له علاقة بك على الإطلاق، أراهن أنهم فقط سيقولون إن باستطاعتنا استخدام (بوابة الطريق)». ثم هز رأسه وخفض صوته قائلاً: «علينا حقاً أن نفعل هذا، أليس كذلك». لم يكن سؤالاً.

قال (لويال) متجهماً في أسي: «البقاء والزواج، أو السفر عبر (الطرق). لا تكون الحياة سهلة عندما يتصادق المرء مع (تافيرين)».

الفصل السادس والثلاثون

بين الكبراء

بينها (چوين) يأخذهم عبر بلدة (الأوجير) رأى (راند) أن (لويال) يزداد توترًا. كانت أذناه متيستين كظهره، وعيناه تتسعان كلما رأى (أوجير) آخر ينظر إليه، وخاصة النسوة والفتيات، وقد بدا بالفعل أن العديد منهن يولينه اهتمامًا خاصًا. بدا وكأنها يترقب إعدامه.

أشار (الأوجير) الملتحي إلى خطوات عريضة تهبط إلى رابية عشبية أكبر بكثير من أي رابية أخرى قد رأوها حتى الآن. لقد كان تلاً من الناحية العملية، قرب قاعدة إحدى (الأشجار العظيمة).

قال (راند): «لم لا تنتظرنا هنا بالخارج يا (لويال)؟».

قال (چوين): «إن الكبراء...».

تدخل (راند) قائلاً: «على الأرجح يرغبون في رؤية بقيتنا فحسب».

أضاف (مات): «لم لا يتركونه وشأنه؟».

أوماً (لويال) برأسه في حماس وقال: «أجل، أجل، أعتقد...». كان هناك عدد من نسوة (الأوجير) يراقبهن، من الجذات ذوات الشعر الأبيض إلى البنات في عمر (إريث)، ومجموعة منهن يتحدثن فيما بينهن ولكن أعينهن مصوبة نحوه. انتفضت أذناه، ولكنه نظر إلى الباب العريض الذي تؤدي إليه الدرجات الحجرية، قبل أن يومئ برأسه مرة أخرى وهو يقول: «أجل، سأجلس هنا وأقرأ. هذا كل ما في الأمر، سأقرأ». أخرج كتاباً من جيب معطفه بحركة متخبطة، ثم جلس على الرابية إلى جانب الدرجات، وقد بدا الكتاب صغيراً في يديه، وثبت عينيه على الصفحات. «سأكتفي بالجلوس هنا والقراءة حتى تخرجون». ارتعشت أذناه كما لو أنه يشعر بأعين النساء.

هز (چوين) رأسه، ثم هز كتفيه، وأشار إلى الدرجات مرة أخرى قائلاً: «هيا بنا، الكبراء في انتظاركم». كانت الحجرة الكبيرة عديمة النوافذ بداخل الرابية مناسبة لحجم (الأوجير)، بسقف ذي عوارض سمكية، يزيد ارتفاعه عن أربعة باعات. يمكن أن تلائم أي قصر من حيث الحجم على الأقل. (الأوجير) السبعة الجالسون على المنصة المواجهة للباب مباشرة جعلوها تبدو منكشمة قليلاً بسبب حجمهم، ولكن رغم هذا شعر (راند) أنه في كهف. كانت أحجار الأرضية الداكنة ملساء، وإن كانت ضخمة وغير منتظمة الشكل، ولكن الجدران الرمادية بدت كأنها جانب جرف خشن. أما العوارض الخشبية رغم أنها منحوتة بشكل بدائي فقد بدت كأنها هي جذور عظيمة.

باستثناء الكرسي عالي الظهر الذي تجلس عليه (فيرين) في مواجهة المنصة كان الأثاث الوحيد هو كرسي الكبراء الثقيلة المنحوتة من الأغصان. كانت امرأة (الأوجير) في منتصف المنصة تجلس على كرسي مرتفع قليلاً عن كرسي الآخرين؛ ثلاثة رجال ملتحين على يسارها، في معاطف طويلة واسعة، وثلاث نساء على

يمينها، في فساتين كفستانها؛ مطرزة من العنق إلى الحافة بأغصان وزهور. جميعهم بوجوه تشي بكبر السن، وشعر أبيض تمامًا حتى خصلات آذانهم، وتحيط بهم هالة من الوقار الشديد.

حدق إليهم (هورين) فاغراً فمه بشكل واضح، وشعر (راند) برغبة في التحديق بدوره، فحتى (فيرين) لم تكن تحظى بهيئة الحكمة التي تبدو في أعين الكبراء الواسعة، وحتى (مورجيز) في تاجها لم تكن تتمتع بنفس سلطانهم، وحتى (مويرين) في سكونها لم تكن تتمتع بنفس هدوئهم. كان (إنجتار) هو أول من انحنى بشكل رسمي كما لم يره (راند) يفعل من قبل، بينما ظل الآخرون متسمرين حيث يقفون.

عندما اتخذ الآخرون موضعهم إلى جانب (فيرين) قالت امرأة (الأوجير) الجالسة على كرسي عالٍ: «أنا (ألار)، كبيرة كبراء (ملاذ تسوفو)، لقد أخبرتنا (فيرين) عن حاجتكم لاستخدام (بوابة الطريق) هنا. إن استعادة (بوق فالير) من أصدقاء الظلام حاجة ماسة بالتأكيد، ولكننا لم نسمح لأحد بالسفر عبر (الطرق) منذ أكثر من مئة عام، لا نحن ولا كبراء أي ملاذ آخر».

قال (إنجتار) في غضب: «يجب عليّ أن أجد (البوق)، إن لم تسمحوا لنا باستخدام (بوابة الطريق)...». لاذ بالصمت عندما نظرت إليه (فيرين)، ولكن التجهم ظل مرتسماً على وجهه.

ابتسمت (ألار) وقالت: «لا تكن متعجلاً أيها الشايناري، أنتم البشر لا تستغرقون وقتاً في التفكير، ليس هناك قرارات أكيدة إلا تلك التي يصل إليها المرء وهو هادئ». تلاشت ابتسامتها لتحل محلها الجدية، ولكن صوتها ظل هادئاً بشكل محسوب. «لا يمكن لك أن تواجه أخطار (الطرق) بسيف في يدك، فهذا لا يختلف عن مواجهة (الآليل) المندفعين أو (الترولوكيين) المتوحشين. يجب أن أخبرك أن دخول (الطرق) لا يعني أنكم تخاطرون بالموت أو الجنون فحسب، بل ربما بخسارة أرواحكم ذاتها».

قال (راند): «لقد رأينا (ماكين شين)». فأوماً (مات) و(بيرين) برأسيهما في موافقة، ولكنهما لم يبديا متلهفين لفعل هذا مرة أخرى.

قال (إنجتار) بحزم: «سأتبع (البوق) حتى (شاويل غول) ذاتها إن تطلب الأمر». اكتفى (هورين) بأن أوماً برأسه كما لو أنه يضم نفسه إلى كلمات (إنجتار).

قالت (ألار) آمرة: «اجلبوا (ترايال)». فانحنى (چوين) الذي كان واقفاً عند الباب ثم غادر. قالت مخاطبة (فيرين): «لا يكفي أن تسمعوا بما يمكنه أن يحدث، يجب أن تروه وتعرفوه في قلوبكم».

خيّم صمت غير مريح حتى عاد (چوين)، وصار أكثر إثارة للتوتر عندما لحقت به امرأتان من (الأوجير) ترشدان (أوجير) بلحية داكنة في منتصف العمر، يتحرك بشكل متخطب، كما لو أنه لا يعرف كيف تعمل ساقاه. كان وجهه مرتخياً، بلا أي تعبيرات مرتسمة عليه على الإطلاق، وعيناه الواسعتان خاويتان ولا ترمشان، لا تحدقان ولا تنظران ولا يبدو عليهما حتى أنها تريان. بلطف مسحت إحدى المرأتين اللعاب الذي سال من زاوية فمه. أمسكتا بذراعيه ل تمنعاه من التقدم، فتحرّكت قدمه للأمام في تردد ثم هوت للأمام قبل أن ترتطم بالأرض. بدا أنه قانع بالوقوف كما كان قانعاً بالمشي، أو على الأقل لا يبالي.

قالت (الآر) بهدوء: «كان (ترايال) واحدًا من آخر الذين سلكوا (الطرق) من بيننا. لقد خرج على هذه الهيئة التي ترونها. هلا لمستِه يا (فيرين)؟».

نظرت إليها (فيرين) نظرة طويلة، ثم اعتدلت واقفة ومشّت ناحية (ترايال). لم يتحرك بينما تضع يديها على صدره العريض، أو يطرف له جفن. تراجعت إلى الوراء وهي تطلق هسيسًا حادًا محدقة إليه، ثم دارت على عقبيها لتتظر إلى الكبراء. «إنه... خاو. هذا الجسد حي، ولكن لا شيء بداخله. لا شيء». بدت على وجوه الكبراء جميعًا نظرة من الحزن الذي لا يحتمل.

قالت إحدى الكبيرات الجالسات على يمين (الآر) بصوت خافت: «لا شيء». بدا أن عينيها تحملان كل الألم الذي لم يعد (ترايال) قادرًا على أن يحمله. «لا عقل ولا روح، لم يبق شيء من (ترايال) سوى جسده». تنهد أحد الرجال وقال: «كان (مغني أشجار) رائعًا».

أشارت (الآر) بيدها، فاقتادت المرأتان (ترايال) إلى الخارج. كان عليهما أن تدفعا للحركة قبل أن يبدأ في المشي.

قالت (فيرين): «نحن نعرف المخاطر، ولكن أيًا ما كانت هذه المخاطر فيجب أن نتبع (بوق فالير)». أومأت كبيرة الكبراء برأسها وقالت: «(بوق فالير)، لا أعرف أيهما أسوأ، أنه بين أيدي أصدقاء الظلام، أم أنه قد عُثر عليه على الإطلاق». خفضت بصرها إلى صف الكبراء، فأومأ كل منهم برأسه على حدة، وأحد الرجال قد جذب لحيته في شك أولًا. «لا بأس. لقد أخبرتني (فيرين) أن الوقت ضيق. سأريكم (بوبة الطريق) بنفسي». شعر (راند) بمزيج من الارتياح والخوف. أضافت: «إن معكم (أوجير) شاب، (لويال ابن آرينت ابن هالان)، من (ملاذ شانجتاي). إنه بعيد عن دياره».

قال (راند) على الفور: «نحن بحاجة إليه». تباطأت كلماته تحت وطأة نظرات الكبراء و(فيرين)، ولكنه أكمل في عناد: «نحن نحتاج إليه معنا، وهو يرغب في هذا».

قال (بيرين): «(لويال) صديق». وفي الوقت ذاته قال (مات): «إنه لا يعيقنا، ويتدبر أمره بنفسه». لم يبدُ أي منهما مرتاحًا لتحول تركيز الكبراء إليهما، ولكنهما لم يتراجعا.

تساءل (إنجتار): «هل هناك سبب ما يمنعه من المجيء معنا؟ إنه يتدبر أمره كما قال (مات). لا أعرف لم قد نحتاج إليه، ولكن إن كان يرغب في المجيء معنا، فلماذا...؟».

تدخلت (فيرين) قائلة بنبرة سلسلة: «نحن نحتاج إليه بالفعل، هناك عدد قليل لا يزالون يعرفون (الطرق)، ولكن (لويال) قد درسها، يمكنه أن يفك رموز (الأدلاء)».

نظرت إليهم (الآر) واحدًا تلو الآخر، ثم استقر بصرها على (راند) وهي تتفحصه. بدت وكأنها تعرف أشياء، كل الكبراء يبدو عليهم هذا، ولكنها بدت كأنها تعرف أكثر من أي شخص آخر. قالت أخيرًا: «تقول (فيرين) إنك (تاثيرين)، ويمكنني أن أشعر بهذا فيك، وقد رقي على الشعور بهذا يعني أنك (تاثيرين) بشكل

قوي للغاية حقًا، فمثل هذه المواهب ضعيفة فينا، هذا إن كانت موجودة. هل جذبت (لويال ابن آرينت ابن هالان) إلى (التاماراليلين)؛ الشبكة التي ينسجها (النمط) من حولك؟».

«أنا... أنا فقط أريد أن أجد (البوق) و...». لم يكمل (راند) جملته. لم تذكر (الار) خنجر (مات)، لم يعرف إن كانت (فيرين) قد أخبرت الكبراء بشأنه، أم أنها قد أحجمت عن ذكره لسبب ما. «إنه صديقي يا كبيرة الكبراء».

قالت (الار): «صديقك. إنه شاب وفقًا لطريقة تفكيرنا، وأنت شاب أيضًا، ولكنك (تافيرين). سوف تعتنى به وعندما ينتهي النسج ستحرص على أن يعود بأمان إلى دياره في (ملاذ شانجتاي)». قال لها: «سأفعل». شعر وكأنه قد صار ملزمًا بالأمر، كأنها قد أقسم عهدًا. «إذن فسوف تذهبون عبر (بوابة الطريق)».

عندما ظهروا بالخارج تتقدمهم (الار) و(فيرين) أسرع (لويال) واقفًا على قدميه. أرسل (إنجتار) (هورين) ليحلب (أونو) والجنود الآخرين. نظر (لويال) إلى كبيرة الكبراء بحذر، ثم انضم إلى (راند) في مؤخرة الموكب. إن نسوة (الأوجير) اللائي كن يراقبنه قد اختفين جميعًا. «هل قال الكبراء شيئًا عني؟ هل قالت...». نظر إلى ظهر (الار) العريض بينما تأمر (چوين) أن يحلب خيولهم. بدأت تمشي بصحبة (فيرين)، بينما (چوين) ينحني وهو يتعد، محنية رأسها لتتحدث بصوت خافت.

قال (مات) مخاطبًا (لويال) بجدية بينما يلحقون بالموكب: «لقد طلبت من (راند) أن يعتني بك، وأن يحرص على عودتك إلى الديار بأمان كأنك طفل صغير. لا أفهم لم لا ترغب في البقاء هنا والزواج». قال راند بحدة: «لقد قالت إن باستطاعتك أن تأتي معنا». ثم حذق إلى (مات) مما جعله يضحك ساخرًا؛ لقد بدا الصوت غريبًا وهو يخرج من هذا الوجه المشدود. كان (لويال) يحرك ساق زهرة القلب المخلص بين أصابعه، فسأله (راند): «هل ذهبت لتقطف الزهور؟».

قال (لويال) وهو يراقب البتلات الصفراء تدور: «لقد منحتها لي (إريث). إنها جميلة حقًا، حتى لو لم يكن (مات) يرى هذا».

«هل هذا يعني أنك لا ترغب في المجيء معنا في نهاية المطاف؟».

جفل (لويال) وقال: «ماذا؟ أوه، لا. أعني أجل، أنا أرغب في الذهاب. إنها فقط قد منحتني زهرة، مجرد زهرة». ولكنه أخرج كتابه من جيبه ووضع الزهرة تحت الغلاف الأمامي. بينما يعيد الكتاب إلى جيبه تتم لنفسه بصوت خافت ولكنه تنامي إلى مسمعي (راند): «وقالت إنني وسيم أيضًا». ضحك (مات) وهو ينثني على نفسه ممسكًا بجانيه، فتوردت وجنتا (لويال). «حسنًا... هي من قالت هذا وليس أنا».

ضرب (بيرين) (مات) على رأسه بمفاصل أصابعه وقال: «لا أحد قد قال من قبل إن (مات) وسيم، لذا فهو يشعر بالغيرة فحسب».

قال (مات) وهو يعتدل فجأة: «هذا ليس صحيحًا، (ماريسا آيلين) تعتقد أنني وسيم، لقد قالت لي هذا أكثر من مرة».

سأله (لويال): «هل (ماريسا) جميلة؟».

قال (بيرين) بلا اكتراث: «إن لها وجهًا كالماعز». اختنقت الكلمات في حلق (مات) وهو يحاول أن يحتج. ابتسم (راند) رغمًا عنه، كانت (ماريسا) جميلة مثل (إيجوين) تقريبًا. وكان هذا الموقف يشبه الأيام الخوالي، كأننا قد عادوا إلى الديار، ويتبادلون المزاح، ولا يوجد شيء أكثر أهمية في العالم من الضحك ومحاولة إغاطة شخص آخر.

بينما يشقون طريقهم عبر البلدة راح (الأوجير) يحيون كبيرة الكبراء، وهم ينحنون لها احترامًا بينما ينظرون إلى الزوار البشر باهتمام، لكن وجه (ألار) الصارم منع أي شخص من التوقف للحديث. الشيء الوحيد الذي أشار إلى مغادرتهم البلدة هو غياب الروابي، فلا يزال هناك (أوجير) في الأنحاء يتفحصون الأشجار أو يعملون بالقار والمنشار أو الفأس، حيث تكون هناك أطراف ميتة، أو تكون هناك شجرة بحاجة إلى المزيد من ضوء الشمس. كانوا يؤدون مهامهم بلطف.

انضم إليهم (چوين) وهو يجذب خيولهم وراءه، وجاء (هورين) على صهوة حصانه بصحبة (أونو) والجنود الآخرين وأحصنة البضائع، قبل أن تشير (ألار) وتقول: «إنها هناك». فتلاشى المزاح.

شعر (راند) بالدهشة للحظة، يجب أن تكون (بوابة الطريق) خارج الملاذ، (فالطرق) قد بدأت باستخدام (القوة الواحدة)، لذا من المستحيل أن تكون قد صُنعت بالداخل، ولكن لم يكن هناك أي شيء يشي بأنهم قد عبروا حدود الملاذ. ثم أدرك أن هناك فارقًا، الإحساس بخسارة شيء ما الذي انتابه منذ أن دخل الملاذ قد تلاشى. هذا منحه قشعريرة من نوع آخر، لقد عاد (السايدين)، وينتظر.

تقدمتهم (ألار) لتجاوز شجرة بلوط طويلة، وهناك في مساحة صغيرة خالية من الأشجار كان اللوح الحجري الكبير الذي يمثل (بوابة الطريق)، وواجهته منقوشة بدقة بأغصان متداخلة وأوراق شجر من مئة نبتة مختلفة. حول حافة هذه المساحة قد بنى (الأوجير) حاجزًا حجريًا منخفضًا، يبدو كأنه نما هناك، مما يشي بدائرة من الجذور. هذا المشهد جعل (راند) يشعر بعدم الارتياح، لقد احتاج للحظة قبل أن يدرك أن الجذور تشي بأن هذه أشجار شوكية وعليق وأشجار الورقة المحترقة وبلوط الحكة، ليس نوعًا من النباتات يرغب المرء في أن يتعرّض فيه.

توقفت كبيرة الكبراء قرب الحاجز، وقالت: «الهدف من هذا السور هو تحذير من يقترب من هنا، هذا لا يعني أن الكثير منا يفعلون هذا، أنا نفسي لن أعبره، ولكن يمكنكم العبور». لم يقترب (چوين) مثلها، وظل يفرك يديه على الجزء الأمامي من معطفه دون أن ينظر (لبوابة الطريق).

قالت لها (ثيرين): «شكرًا لك، إن الحاجة ماسة، وإلا لما طلبت هذا».

توتر (راند) بينما (الآيز سيداي) تخطو من فوق الحاجز لتقترب من (بوابة الطريق). أخذ (لويال) نفساً عميقاً وتمتم لنفسه. (أونو) وبقية الجنود تلملوا في سروجهم وأرخوا سيوفهم في أعمادها. لم يكن هناك شيء على طول (الطرق) يمكن استخدام السيف ضده، ولكنه كان شيئاً ليقنعوا أنفسهم بأنهم مستعدون. فقط (إنجتار) و(الآيز سيداي) قد بديا هادئين، حتى (ألار) قد أمسكت تنورتها بكلتا يديها.

انترعت (فيرين) ورقة (الأفنديسورا) فمال (راند) للأمام باهتمام. شعر برغبة في أن يستدعي الخواء، أن يكون مستعداً للوصول إلى (السايدين) إن احتاج إلى هذا.

تحركت الأوراق والأغصان المنحوتة على (بوابة الطريق)، كما لو أن هذا بفعل نسيم غير محسوس، وتطايرت أوراق الشجر عندما ظهرت فجوة في منتصف الكتلة الحجرية، وبدأ النصفان في الانفتاح. حدق (راند) عبر الصدع، لم يكن هناك انعكاس فضي باهت من ورائها، بل مجرد ظلمة أكثر سواداً من القار. صاح: «أغلقوها! (الرياح السوداء)! أغلقوها!».

نظرت (فيرين) في دھول، ثم أعادت الورقة ثلاثية الأطراف إلى موضعها بين الأوراق المتنوعة وقد بقيت في موضعها عندما أبعدت يدها وتراجعت إلى الوراء ناحية الحاجز. بمجرد أن عادت ورقة (الأفنديسورا) إلى موضعها بدأت (بوابة الطريق) في الانغلاق على الفور. اختفى الصدع، واندمجت الأغصان والأوراق لتخفي سواد (ماكين شين)، وصارت (بوابة الطريق) مجرد حجر مرة أخرى، وإن كان حجراً منحوتاً ليحاكي الحياة بأقرب شيء ممكن.

زفرت (ألار) نفساً مرتجفاً وقالت: «(ماكين شين). قريبة إلى هذا الحد».

قال (راند): «إنها لم تحاول الخروج». ند عن (چوين) صوت مختنق.

قالت (فيرين): «لقد أخبرتكم إن (الرياح السوداء) من مخلوقات (الطرق)، ولا يمكن أن تغادرها». بدت هادئة، ولكنها في الوقت ذاته كانت تسمح يديها في تنورتها. فتح (راند) فمه ثم استسلم. تابعت: «ومع ذلك فأنا أتعجب من وجودها هنا. أولاً في (كايرين)، والآن هنا. هذا أمر مثير للعجب». نظرت ناحية (راند) نظرة جانبية جعلته يجفل. كانت النظرة سريعة للغاية، حتى إنه لم يعتقد أن شخصاً آخر قد لاحظها، ولكن (راند) شعر أنها تربط بينه وبين (الرياح السوداء).

قالت (ألار) ببطء: «لم أسمع عن هذا من قبل، أن تكون (ماكين شين) منتظرة عند فتح (بوابة طريق)، لطلما جابت (الطرق)، ولكن وقتاً طويلاً قد مضى، وربما (الرياح السوداء) جائعة وتأمل في أن توقع بشخص غير حذر يدلف عبر (بوابة). بالتأكيد لا يمكنك استخدام (بوابة الطريق) هذه يا (فيرين)، ولا يمكنني أن أقول إنني أشعر بالأسف مهما كانت حاجتك ماسة. إن (الطرق) تنتمي (للظل) الآن».

عقد (راند) حاجبيه وهو ينظر إلى (بوابة الطريق). هل يُعقل أنها تلحق بي؟ كان هناك الكثير من الأسئلة. هل استطاع (فاين) بطريقة ما أن يأمر (الرياح السوداء)؟ لقد قالت (فيرين) إن هذا مستحيل. ولم قد يطلب

(فاين) منه أن يلحق به ثم يحاول إيقافه؟ كان يعرف فقط أنه يصدق الرسالة، يجب عليه أن يذهب إلى (تومان هيد). حتى إن عثروا على (بوق فالير) وخنجر (مات) تحت شجرة في الغد فلا يزال عليه الذهاب. ظلت (فيرين) واقفة وقد شردت عيناها في تفكير، كان (مات) يجلس على الحاجر واضعاً رأسه بين يديه، و(بيرين) يراقبه في قلق. بدا أن (لويال) يشعر بالارتياح لأنهم لا يستطيعون استخدام (بوابة الطريق)، ويشعر بالخجل من إحساسه بالارتياح.

قال (إنجتار): «لقد انتهى الأمر هنا. لقد تبعتك إلى هنا يا (فيرين سيدي) رغم أن هذا يعارض ما أعتقد أنه صواب، ولكنني لا أستطيع أن أتبعك بعد الآن، يجب أن أعود إلى (كايرين)، يستطيع (بارثانيس) أن يخبرني أين ذهب أصدقاء الظلام، وبطريقة ما سأجعله يتحدث».

قال (راند) في تعب: «لقد ذهب (فاين) إلى (تومان هيد)، وحيث يذهب سيكون (البوق) والخنجر». هز (بيرين) كتفيه وقال على مضض: «أفترض... أفترض أنه يمكننا أن نجرب (بوابة طريق) أخرى. في ملاذ آخر؟».

فرك (لويال) ذقنه وتحدث بسرعة كما لو أنه يكفر عن إحساسه بالارتياح لفشلهم هنا: «يقع (ملاذ كانتوين) على الجانب الآخر من (نهر إيراليل) مباشرة، و(ملاذ تاجينج) شرقة عند (فقار العالم). ولكن (بوابة الطريق) في (كايملين) - حيث كان البستان - أقرب، و(البوابة) في البستان في (تار فالون) هي الأقرب على الإطلاق».

قالت (فيرين) في شرود: «أيًا كانت (بوابة الطريق) التي سنستخدمها فإنني أخشى أننا سنجد (ماكين شين) في انتظارنا». نظرت إليها (ألار) بتساؤل، ولكن (الآيز سيدي) لم تقل شيئاً يمكن لأحد أن يسمعه. بدلاً من هذا راحت تتمتم لنفسها وهي تهز رأسها، كما لو أنها تتجادل مع نفسها.

قال (هورين) بتردد: «ما نحتاج إليه هو أحد (أحجار البوابة) تلك». نظر إلى (ألار)، ثم إلى (فيرين)، وعندما لم تطلب منه إحداها أن يتوقف أكمل حديثه بثقة متزايدة: «قالت السيدة (سيلين) إن (الآيز سيدي) القدامى قد درسوا تلك العوالم، وهكذا عرفوا كيف يصنعون (الطرق)، وذلك المكان الذي كنا فيه... حسناً، لقد استغرق منا الأمر يومين - أو ربما أقل - لقطع مسافة مئة فرسخ. إن استطعنا أن نستخدم (حجر بوابة) للذهاب إلى ذلك العالم، أو عالم مثله، فقد يستغرق الأمر منا أسبوعاً أو أسبوعين للوصول إلى (محيط آريث)، ويمكننا أن نعود منه في (تومان هيد). ربما الأمر ليس سريعاً للغاية مثل (الطرق)، ولكنه أسرع بكثير من السفر غرباً على صهوات الخيول. ما رأيك يا لورد (إنجتار)؟ لورد (راند)؟».

أجابته (فيرين): «ما تقترحه قد يكون ممكناً أيها المتشمم. ولكن الأمل في العثور على (حجر بوابة) يُشبه أن نأمل في أن نفتح (بوابة الطريق) هذه مرة أخرى لنجد أن (ماكين شين) قد اختفت. لا أعرف (حجر بوابة) أقرب من (فلاة آيل)، رغم أنه يمكننا أن نعود إلى (خنجر قاتل أهله) إن كنت أنت أو (راند) أو (لويال) تعتقدون أن باستطاعتنا إيجاد ذلك (الحجر) مرة أخرى».

نظر (راند) إلى (مات)، لقد رفع صديقه رأسه في أمل مع ذلك الحديث عن (الأحجار). لقد قالت (ثيرين) إن ما تبقى له بضعة أسابيع. إن سافروا غربًا بالطريقة التقليدية فلن يعيش (مات) لرؤية (تومان هيد).

قال (راند) على مضض: «يمكنني العثور عليه». شعر بالخجل. سيموت (مات)، وسيحصل أصدقاء الظلام على (بوق فالير)، وسيؤدي (فاين) (إيموندز فيلد) إن لم تلحق به، وأنت تخشى تسخير (القوة الواحدة). مرة للذهاب ومرة للعودة. لن تدفعك مرتان أخريان للجنون. ولكن ما جعله خائفًا حقًا هو اللهفة التي غمرته عندما فكر في التسخير مرة أخرى، والإحساس (بالقوة الواحدة) تملأه، والإحساس بأنه على قيد الحياة حقًا. قالت (الار) ببطء: «أنا لا أفهم هذا الأمر، (أحجار البوابة) لم تُستخدم منذ (عصر الأساطير)، لا أعتقد أنه لا يزال هناك شخص يعرف كيفية استخدامها».

قالت (ثيرين) ببساطة: «إن (الآجاه البنيات) يعرفن الكثير من الأشياء، وأنا أعرف كيفية استخدام (الأحجار)».

أومأت كبيرة الكبراء برأسها وقالت: «حقًا هناك عجائب في (البرج الأبيض) لا نحلم بها، ولكن إذا كان بمقدورك استخدام (حجر بوابة) فليس هناك حاجة للذهاب إلى (خنجر قاتل أهله). هناك (حجر) على مسافة غير بعيدة عن هنا».

«(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، و(النمط) يمنحنا ما نحتاج إليه». اختفت النظرة الشاردة من على وجه (ثيرين) تمامًا وهي تقول بحيوية: «خذينا إليه، لقد أضعنا ما يكفي من الوقت بالفعل».

الفصل السابع والثلاثون

ما قد يكون

اقتادتهم (ألار) بعيدًا عن (بوابة الطريق)، وهي تمشي بوقار رغم أن (چوين) بدا أكثر من متلهف للابتعاد عن (بوابة الطريق). على الأقل كان (مات) ينظر إلى الأمام متحمسًا، و(هورين) يبدو واثقًا، بينما يبدو (لويال) قلقًا بشأن تغيير (ألار) لرأيها حيال ذهابه معهم أكثر من أي شيء آخر. لم يتعجل (راند) وهو يجذب (ريد) وراءه من لجامه. لم يعتقد أن (فيرين) تنوي استخدام (الحجر) بنفسها.

كان العمود الحجري الرمادي منتصبًا بالقرب من شجرة زان بطول مئة قدم وعرض أربع خطوات. كان (راند) ليعتقد أنها شجرة كبيرة لو لم يرَ (الأشجار العظيمة). لم يكن هناك أي حاجز تحذيري هنا، فقط عدد قليل من الزهور البرية تبرز من التربة الورقية لأرضية الغابة. كان (حجر البوابة) نفسه قد تعرّض للعوامل الجوية، ولكن الرموز التي تغطيه لا تزال واضحة بما يكفي لتمييزها. انتشر الجنود الشايناريون الركبان والمشاة في دائرة حول (الحجر).

قالت (ألار): «لقد نصبناه بشكل مستقيم عندما عثرنا عليه قبل سنوات عديدة، ولكننا لم نحركه، يبدو أنه... يقاوم تحريكه». خطت نحو (الحجر) مباشرة ووضعت يدها الضخمة عليه. «لطالما فكرت فيه كرمز لما ضاع وما قد نُسي. في (عصر الأساطير) كان يُمكن دراسته وفهمه إلى حد ما، ولكن بالنسبة لنا هو مجرد حجر».

«أكثر من هذا كما آمل». ازداد صوت (فيرين) حيوية. «أشكرك على مساعدتنا يا كبيرة الكبراء. اغفري لنا أننا لن نغادر بالمراسم اللائقة، ولكن (عجلة الزمن) لا تنتظر أحدًا، على الأقل لن نزعج سكينه ملاذكُم أكثر من هذا».

قالت (ألار): «لقد استدعينا (البنائين) من (كايرين)، ولكننا ما زلنا نسمع بما يحدث في (العالم الخارجي)؛ (التنانين الكاذبين)، (الصيد العظيم للبوق). نحن نسمع بما يحدث ويمر بنا مرور الكرام، ولكنني لا أعتقد أن (تارمون جايدون) ستمر بنا مرور الكرام، أو تتركنا وشأننا. وداعًا يا (فيرين سيداي). وداعًا لكم جميعًا، وليحومكم (الخالق) بيده. هيا بنا يا (چوين)». ألقت نظرة نازرة عابرة على (لويال)، ونظرة تحذيرية أخيرة على (راند)، ثم اختفت هي و(چوين) بين الأشجار.

تعالى صرير من السروج بينما يتململ الجنود. تلفت (إنجتار) حوله ناظرًا إلى الدائرة التي صنعوها، ثم قال: «هل هذا ضروري يا (فيرين سيداي)؟ حتى لو كنا قادرين على فعل هذا... نحن لا نعرف حتى إن كان أصدقاء الظلام قد أخذوا (البوق) إلى (تومان هيد) حقًا. ما زلت أعتقد أن باستطاعتي أن أجعل (بارثانيس)...».

قاطعته (فيرين) قائلة ببساطة: «إن لم نستطع أن نكون متيقنين فإن (تومان هيد) مكان جيد للبحث فيه كأبي مكان آخر. لقد سمعتك أكثر من مرة تقول إنك ستذهب إلى (شايول غول) إن لزم الأمر لاستعادة (البوق)، هل ستُحجم الآن عند هذا؟». أشارت إلى (الحجر) تحت الشجرة ذات اللحاء الأملس. تيبس ظهر (إنجتار) وقال: «أنا لا أُحجم عند أي شيء، خذينا إلى (تومان هيد) أو إلى (شايول غول). إن كان (بوق فالير) موجودًا في نهاية الطريق فسألحق بك».

«هذا عظيم يا (إنجتار). والآن يا (راند)، قلت إنك قد نُقلت باستخدام (حجر بوابة) مؤخرًا في وقت أقرب مما استخدمته أنا. تعال». أشارت إليه فجذب لجام (ريد) ليقترّب منها عند (الحجر). «أنتِ قد استخدمتِ (حجر بوابة)؟». نظر وراءه ليتيقن من عدم وجود أي شخص قريبًا بما يكفي لسماعه. «إذن فأنتِ لا تريدين مني أن أفعلها». هز كتفيه في ارتياح.

نظرت إليه (فيرين) بجمود وقالت: «أنا لم أستخدم (حجر بوابة) قط، لذا فإن استخدامك له أقرب من استخدامي. أنا أدرك حدودي جيدًا، سأدّمرّ قبل أن أقترّب من تسخير ما يكفي من (القوة الواحدة) لتشغيل (حجر بوابة)، ولكنني أعرف القليل عن (الأحجار)، مما يكفي لمساعدتك بعض الشيء». «ولكنني لا أعرف عنها أي شيء». جذب حصانه ليدور حول (الحجر) وينظر إليه من أعلى إلى أسفل. «الشيء الوحيد الذي أذكره هو رمز عالمنا، لقد أرّنتي (سيلين) إياه، ولكنني لا أراه هنا».

«بالطبع لن تراه، ليس على (حجر) في عالمنا. الرموز تساعد على الوصول إلى عالم». هزت رأسها. «سأدفع أي ثمن للحديث مع فتاتك تلك، أو الأفضل أن أضع يديّ على كتابها. إن الاعتقاد الشائع هو أنه لم تنج أي نسخة من (مرايا العجلة) بشكل كامل من (تحطم العالم). دومًا ما تخبرني (سيرافيل) أن هناك الكثير من الكتب نعتقد أنها ضائعة تنتظر أن نعثر عليها. حسنًا، لا حاجة للقلق بشأن ما لا أعرفه، الرموز الموجودة في النصف العلوي من الحجر تمثل العوالم، ولكن ليس كل (العوالم التي يمكن أن تكون) بالطبع، من الواضح أنه ليس كل (حجر) مرتبطًا بكل عالم، و(الآيز سيدي) في (عصر الأساطير) كانوا يعتقدون أن هناك عوالم محتملة لم يمسه أي (حجر) على الإطلاق. ألا ترى أي شيء يحفز ذاكرتك؟».

«لا شيء». إن وجد الرمز الصحيح فيمكنه أن يستخدمه لإيجاد (فاين) و(البوق)، لإنقاذ (مات)، لمنع (فاين) من إيذاء (إيموندز فيلد). إن وجد الرمز فسيكون عليه أن يلمس (السايدين). يريد أن ينقذ (مات) ويوقف (فاين)، ولكنه لا يرغب في لمس (السايدين). كان خائفًا من التسخير، ويشعر بالجوع إليه كجوع المرء للطعام. «لا أتذكر أي شيء».

تنهدت (فيرين) وقالت: «الرموز في الجزء السفلي تشير إلى (أحجار) في أماكن أخرى، إن كنت تعرف كيفية استخدامه فيمكنك أن تأخذنا ليس إلى نفس (الحجر) في عالم آخر، ولكن إلى واحد من تلك (الأحجار) الأخرى هناك، أو حتى واحد منها هنا. إنه شيء يشبه (الارتحال) كما أعتقد. ولكن مثلما لا يتذكر أي شخص كيفية (الارتحال) فلا أحد يتذكر كيفية استخدام (الأحجار). من دون هذه المعرفة يمكن

للمحاولة أن تدمرنا جميعاً». أشارت إلى خطين متموجين متوازيين يتقاطعان مع خط متعرج غريب محفورين في الجزء السفلي من العمود. «هذا يشير إلى (حجر) في (تومان هيد)، إنه واحد من (الأحجار) الثلاثة التي أعرف رموزها، والوحيد الذي زرته من بين الثلاثة. ما قد تعلمته - بعد أن كادت الثلوج أن تحاصرني في (جبال الضباب) وبعد أن كدت أن أتجمد بينما أقطع (سهل الموث) - لم يكن شيئاً على الإطلاق. هل تلعب النرد أو الأوراق يا (راند أثور)؟».

«(مات) هو المقامر. لماذا؟».

«أجل. حسناً، أعتقد أننا سنتركه خارج الأمر. أنا أعرف هذه الرموز الأخرى أيضاً».

مررت إصبعها على مستطيل يحتوي على ثمانية نقوش متشابهة، دائرة وسهم، ولكن نصف الأسهم كانت تحتويها الدوائر، بينما النصف الآخر يخترق الدوائر. كانت الأسهم تشير إلى اليسار واليمين والأعلى والأسفل، ويحيط بكل دائرة خط مختلف اعتقد (راند) أنه كتابة، رغم أنها لم تكن لغة يعرفها. كانت عبارة عن خطوط منحنية، تتحول فجأة إلى خطاطيف مسننة، قبل أن تتدفق مرة أخرى.

أكملت (فيرين) قائلة: «على الأقل أعرف هذا عنها، كل واحدة تمثل عالماً، ودراستها قد أدت في النهاية إلى صنع (الطرق). هذه ليست كل العوالم التي درست، ولكنها الوحيدة التي أعرف رموزها. هنا يأتي دور المقامرة. لا أعرف ما يبدو عليه أي من هذه العوالم، ولكن يُعتقد أن هناك عوالم يكون العام فيها يوماً واحداً، وأخرى يكون اليوم عاماً. من المفترض أن هناك عوالم يمكن أن يقتلنا فيها الهواء بمجرد تنفسه، وعوالم بها بالكاد ما يكفي من الواقع لتظل متماسكة. لن أتكهن بما يمكن أن يحدث إذا وجدنا أنفسنا في أحد هذه العوالم، يجب عليك أن تختار. كما كان أبي يقول؛ حان وقت رمي النرد».

حدق إليها (راند) ثم هز رأسه وقال: «من المحتمل أن أقتلنا جميعاً بغض النظر عما سأختاره».

«ألست مستعداً لتحمل هذه المخاطرة؟ من أجل (بوق فالير)؟ من أجل (مات)؟».

«لم أنت راغبة للغاية في خوض هذه المخاطرة؟ أنا لا أعرف حتى إن كان بمقدوري فعلها. هذا... هذا لم ينجح في كل مرة حاولت فيها». كان يعرف أن أحداً لم يقترب، ولكنه تلفت حوله على أي حال. كانوا جميعاً ينتظرون في دائرة حول (الحجر)، يراقبون لكن دون أن يقتربوا بما يكفي لاستراق السمع. «أحياناً يكون (السايدين) هناك، يمكنني أن أشعر به، ولكن لا يمكنني لمسه، مثلما أرى القمر ولا يمكنني لمسه، وحتى لو نجح الأمر، ماذا لو أخذتُنا إلى مكان لا يمكننا التنفس فيه؟ كيف سيساعد هذا (مات)؟ أو كيف سيساعدنا على إيجاد (البوق)؟».

قالت بصوت خافت: «أنت (التنين العائد)، أجل يمكن أن تموت، ولكني لا أعتقد أن (النمط) سيتركك تموت قبل أن ينتهي منك. وفي الوقت ذاته فإن (الظل) يخيم على (النمط)، ومن يعرف كيف سيؤثر هذا على النسيج؟ كل ما يمكنك فعله هو أن تتبع مصيرك».

قال متذمراً: «أنا (راند أثور). أنا لست (التنين العائد)، ولن أكون (تنيناً كاذباً)».

«أنت ما أنت عليه. هل ستختار، أم ستقف هنا حتى يموت صديقك؟».

سمع (راند) صرير أسنانه وهو يجز عليها، ثم أجبر نفسه على أن يرخي فكه. كانت الرموز كلها لا تعني شيئاً بالنسبة له، فلو كانت جميعها متشابهة لما صنع هذا فارقاً، ولا فارق بالنسبة له بين هذه الكتابة ونقش الدجاج. وأخيراً استقر على واحد مع سهم يشير إلى اليسار، لأنه يشير ناحية (تومان هيد). سهم قد اخترق دائرته لأنه قد تحرر، كما يرغب (راند) في أن يتحرر. أراد أن يضحك؛ إنه يقامر بحياتهم على مثل هذه الأشياء الصغيرة.

قالت (فيرين) آمرة الآخرين: «اقربوا. من الأفضل أن تكونوا قريبين». أطاعوها بقليل من التردد. قالت وهم يجتمعون من حولها: «حان وقت البدء».

دفعت عباءتها للوراء ووضعت يديها على العمود، ولكن (راند) رآها تراقبه من طرف عينها. كان مدرّكاً لسعال الرجال العصبي وتنحنحهم من حول (الحجر)، وسبة من (أونو) لشخص قد تلکاً بالوراء، ومزحة باهتة من (مات)، وازدرد (لويال) لعبابه بصوت عالٍ. استدعى الخواء.

صار الأمر سهلاً للغاية؛ شعلة اللهب التهمت الخوف والعاطفة، ثم تلاشت قبل حتى أن يفكر في تكوينها. تلاشت تاركة الفراغ فحسب، و(السايدين) المتألق، المغربي، المثير للغثيان. مد يده ناحيته... فملاًه، وجعله نابضاً بالحياة. لم يحرك عضلة واحدة، ولكنه شعر كأنها يرتجف مع اندفاع (القوة الواحدة) بداخله. تشكل الرمز من تلقاء نفسه، سهماً يخترق دائرة، ليطفو وراء الخواء، صلباً كالعادة التي نُحت عليها. ترك (القوة الواحدة) تتدفق من خلاله إلى الرمز.

توهج الرمز وومض.

قالت (فيرين): «شيء ما يحدث. شيء ما...».

ومض العالم.

دار القفل الحقيقي على أرضية البيت الريفي وأسقط (راند) غلاية الشاي الساخنة بينما يلوح في المدخل هيئة ضخمة بقرني كبش على رأسها، مع ظلام (ليلة الشتاء) من ورائها.

صاح (تام): «اهرب!». لمع سيفه، وسقط (الترولوك)، ولكنه جذب (تام) أرضاً أثناء سقوطه. المزيد من الهيئات تزدهم عند الباب، بدروع من زرد أسود ووجوه بشرية مشوهة بالخطوم والمناكير والقرون، وسيوف مقوسة بشكل غريب تطعن (تام) بينما يكافح للوقوف على قدميه، وفؤوس مسننة تتأرجح، ودماء حمراء على الفولاذ.

صرخ (راند): «أبي!». استل سكين حزامه من غمده وألقى بنفسه من فوق الطاولة ليساعد أباه، ثم صرخ مرة أخرى عندما اخترق أول سيف صدره.

تدفقت الدماء من فمه، وصوت يهمس بداخل رأسه: لقد انتصرت مرة أخرى يا (ليوز ثيرين).

وميض.

كافح (راند) ليتشبث بالرمز، وهو مدرك بشكل مبهم لصوت (فيرين). «... هذا ليس...».

تدفقت (القوة الواحدة).

وميض.

كان (راند) سعيدًا بعد زواجه من (إيجوين)، وحاول ألا يدع الحالة المزاجية تسيطر عليه، ففي أوقات يعتقد فيها أنه يجب أن يكون هناك شيء آخر، شيء مختلف. الأخبار عن العالم الخارجي تأتي إلى (النهرين) مع الباعة الجائلين والتجار الذين يأتون لشراء الصوف والطباق. دومًا ما تكون أخبارًا عن اضطرابات جديدة، عن حروب و(تنانين كاذبين) في كل مكان. كان هناك عام لم يأت فيه التجار ولا الباعة الجائلون، وعندما جاؤوا في العام التالي جلبوا أخبارًا أن جيوش (أرتور هاوكوينج) قد عادت، أو المنحدرين من سلالتهم على الأقل. قالوا إن الأمم القديمة قد تخطمت وإن أسياد العالم الجدد الذين يستخدمون (الآيز سيدي) المكبلين بالسلاسل في معاركهم قد دمروا (البرج الأبيض) وأحرقوا الأرض التي كانت عليها (تار فالون)، وإنه لم يعد هناك (آيز سيدي).

لم يشكل كل هذا فارقًا كبيرًا في (النهرين)، إنهم ما زالوا يزرعون المحاصيل ويمجزون أصواف الأغنام ويعتنون بالحمelan. صار لدى (تام) أحفاد وحفيدات، ليجلسوا على ركبته قبل أن يستريح بجانب زوجته، وصار بالبيت الريفي القديم حجرات جديدة. صارت (إيجوين) هي الحكيمة، واعتقد معظم قاطني القرية أنها أفضل مما كانت عليه الحكيمة القديمة (ناينيث ألميرا). وكان هذا من حسن الحظ، فعلاجاتها التي تعمل بشكل إعجازي مع الآخرين بالكاد تبقي (راند) على قيد الحياة من المرض الذي بدا أنه يهدده باستمرار. ازدادت حالته المزاجية سوءًا وقتامة، وقد شعر بالغضب لأن هذا ما كان من المفترض أن يحدث. صارت (إيجوين) تخاف منه كلما سيطرت عليه هذه الحالة المزاجية، فأحيانًا ما تحدث أشياء غريبة عندما يكون في أشد حالاته كآبة. عواصف رعديّة لم تسمعها وهي تصغي إلى الرياح، أو حرائق في الغابات، ولكنها تحبه وترعاه وتبقيه عاقلًا، رغم أن البعض يتمتمون بأن (راند ألتور) مجنون وخطير.

عندما ماتت جلس وحيدًا لساعات طويلة إلى جانب قبرها والدموع تبلل لحيته التي خطها الشيب. صار مرضه أشد سوءًا، لقد فقد إصبعين في يده اليمنى، وإصبعًا في يده اليسرى، وبدت أذناه كأنهما ندبتان، وتهامس الرجال بأن رائحة العفن تفوح منه. ازداد كآبة ووجودًا.

ومع ذلك عندما جاءت الأخبار الأليمة لم يرفض أحد قبوله إلى جانبه. إن (الترولوكين) و(العواتم) وأشياء لم يحلم بها أحد قد تدفقت من (البلاء العظيم)، وقد سقط أسياد العالم الجدد رغم كل القوة التي يحوزونها. وهكذا حمل (راند) قوسه ولم يكن لديه إلا الأصابع الكافية لإطلاق السهام، وراح يعرج مع

هؤلاء الذين تقدموا شمالاً ناحية (نهر تارين)؛ رجالاً من كل قرية ومزرعة وزاوية في (النهرين)، مع أقواسهم وفؤوسهم ورماحهم وسيوفهم التي كادت أن تصدأ في العليات. حمل (راند) سيفاً أيضاً، بعلامة بلشون على النصل، قد عثر عليه بعد موت (تام)، رغم أنه لم يعرف كيف يستخدمه. وجاءت النساء أيضاً، يحملن على أكتافهن ما استطعن أن يجدهن من أسلحة، وهن يتقدمن إلى جانب الرجال. ضحك البعض قائلين إن لديهم شعوراً غريباً بأنهم قد فعلوا هذا من قبل.

وعند (نهر تارين) التقى شعب (النهرين) بالغزاة، صفوف لا نهاية لها من (الترولوكيين)، يتقدمهم (عواتم) كابوسيون، تحت راية سوداء قائمة تبدو وكأنها تلتهم الضوء. رأى (راند) تلك الراية وخيّل إليه أن الجنون قد استحوذ عليه مرة أخرى. فقد شعر أن هذا ما وُلد من أجله؛ أن يقاتل هذه الراية. أطلق كل سهم نحوها، بشكل مباشر قدر ما تسمح به له مهارته والخواء، دون أن يقلق بشأن (الترولوكيين) الذين يشقون طريقهم عبر النهر، أو الرجال والنساء الذين يموتون على جانبيه. كان أحد هؤلاء (الترولوكيين) هو الذي دهسه قبل أن يركض وهو يعوي من أجل الدماء، متوغلاً في (النهرين). وبينما كان مستلقياً على ضفة (نهر تارين)، يراقب السماء تبدو وكأنها تظلم في الظهيرة، وأنفاسه تتباطأ، سمع صوتاً يقول: لقد انتصرتُ مرة أخرى يا (ليوزثيرين).

وميض.

تلوى رمز السهم والدائرة ليتحول إلى خطوط متموجة فصارع الأمر مرة أخرى.

صوت (فيرين): «... صحيحاً. شيء ما...».

تأججت (القوة الواحدة).

وميض.

حاول (تام) أن يواسي (راند) عندما مرضت (إيجوين) وماتت قبل أسبوع واحد من زفافهما. حاولت (ناينيف) مواساته أيضاً، ولكنها كانت مصدومة بدورها. فرغم كل مهارتها لم يكن لديها أدنى فكرة ما الذي قتل الفتاة. لقد جلس (راند) خارج بيت (إيجوين) بينما تحتضر، وبدا أنه لا يوجد مكان في (إيموندز فيلد) يمكن أن يذهب إليه ولا يسمع صراخها. كان يعرف أنه لا يستطيع البقاء. منحه (تام) سيفاً بعلامة بلشون، ورغم أنه لم يفسر كيف يمكن لراعي غنم من (النهرين) أن يحصل على شيء كهذا فإنه قد علّم (راند) كيف يستخدمه. في اليوم الذي غادر فيه (راند) منحه (تام) خطاباً قال إنه قد يجعل (راند) يلتحق بجيش (إليان)، ثم عانقه وقال: «لم يكن لديّ ابن آخر، ولم أرغب في ابن آخر. عد بزوجة كما فعلت أنا إن استطعت، ولكن عد على أي حال».

لقد سُرقت أموال (راند) في (بايرلون)، وخطاب التعريف الخاص به، وكاد أن يفقد سيفه، ثم التقى بامرأة تُدعى (مين)، أخبرته بأشياء مجنونة بشأنه حتى إنه ترك المدينة أخيرًا لبيتعد عنها. في نهاية المطاف أخذه تجواله إلى (كايملين)، وهناك جعلته مهارته في استخدام السيف يجد لنفسه مكانًا بين حرس الملكة. أحيانًا يجد نفسه ينظر إلى ولاية العهد (إيلالين)، وفي مثل هذه الأوقات تملأه أفكار غريبة، بأن الأمور لم يكن من المفترض أن تسير على هذا النحو، وأن حياته ينقصها شيء ما. لم تنظر إليه (إيلالين) بالطبع، لقد تزوجت من أمير (تيري) رغم أنها لم تبدُ سعيدة بهذا. كان (راند) مجرد جندي، وكان ذات يوم مجرد راعي غنم من قرية صغيرة بعيدة للغاية قرب الحدود الغربية، حتى إنه لم يعد يربطها فعليًا (بأندور) سوى الخطوط الموجودة على الخريطة، كما أنه قد تمتع بسمعة سيئة كرجل ذي حالة مزاجية عنيفة.

قال البعض إنه مجنون، وربما في الأوقات العادية لم تكن مهارته في استخدام السيف لتكون كافية لإبقائه في الحرس، ولكن هذه لم تكن أوقاتًا عادية. (التنانين الكاذبون) يظهرون كالأعشاب الضارة. في كل مرة يسقط فيها واحد يُعلن اثنان آخران عن نفسيهما، أو ثلاثة، حتى مزقت الحرب كل أمة، وقد سطع نجم (راند) فقد تعلّم سر جنونه، سرًا يجب عليه أن يكتمه، وقد فعل هذا. إنه قادر على التسخير. كان هناك دومًا أوقات في المعارك يكون فيه القليل من التسخير - ليس كثيرًا بما يكفي لملاحظته في الفوضى - كافيًا لجلب الحظ. أحيانًا ينجح هذا التسخير، وأحيانًا أخرى لا ينجح، ولكنه قد نجح في معظم الأوقات. لقد عرف أنه مجنون ولم يبال. أصابه الهزال بفعل المرض ولم يبال بهذا أيضًا، ولم يبال أي شخص آخر، فقد وصلت أنباء عن عودة جيوش (أرتور هاوكوينج) لاسترداد الأرض.

قاد (راند) ألف رجل عندما عبر حرس الملكة (جبال الضباب). لم يفكر قط في الانعطاف جانبًا لزيارة (النهرين)، فلم يعد يفكر في (النهرين) إلا لمامًا، وقد قاد الحرس عندما تقهقرت الفلول المحطمة منسحبة عبر الجبال. لقد قاتل على طول (أندور)، وتراجع وسط جحافل اللاجئين الهاربين، حتى وصل أخيرًا إلى (كايملين). كان العديد من سكان (كايملين) قد هربوا بالفعل، والكثيرون قد نصحوا الجيش بالتراجع أكثر، ولكن (إيلالين) قد صارت الملكة، وأقسمت أنها لن تترك (كايملين). لم ترغب في النظر إلى وجهه المشوه بفعل المرض، ولكنه لم يستطع أن يتركها. وهكذا استعد ما تبقى من حرس الملكة للدفاع عن الملكة بينما يهرب شعبها.

جاءت (القوة الواحدة) إليه أثناء معركة (كايملين)، فصب البرق والنار على رؤوس الغزاة، وشق الأرض من تحت أقدامهم، ومع هذا راوده ذلك الشعور مرة أخرى، أنه قد وُلِدَ من أجل شيء آخر. ورغم كل ما فعله كان الأعداء أكبر عددًا من أن يتمكن من إيقافهم جميعًا، وكان من بينهم من يمكنه التسخير. وأخيرًا أسقطت صاعقة (راند) من على سور القصر، مكسورًا ونازفًا ومحترقًا. وبينما آخر نفس يتردد في صدره سمع صوتًا يهمس: لقد انتصرتُ مرة أخرى يا (ليوزثيرين).

وميض.

كان (راند) يكافح ليتشبث بالخواء، بينما يرتعش تحت الضربات المدوية للعالم المومض. ليتشبث بالرمز،
بينما ألف رمز يندفعون على سطح الخواء. كان يكافح للتشبث بأي رمز.
«... خاطئٌ!». صرخت (فيرين).
(القوة الواحدة) هي كل شيء.
وميض. وميض. وميض. وميض. وميض. وميض.

[illegible]

تلاشى الخواء وانقطع الاتصال (بالسايدين) وسقط (راند) مرتطمًا بالأرض بقوة كانت كافية لإيلامه لو لم يكن مخدر الجسد بالفعل. شعر بالحجر الخشن تحت وجنته ويديه. كان باردًا.

كان مدرّكًا لوجود (فيرين)، وهي تكافح لتعتدل من على ظهرها وتتكئ على يديها وركبتيها. سمع شخصًا ما يتقيأ بعنف فرفع رأسه؛ كان (أونو) جاثيًا على ركبتيه على الأرض ويمسح فمه بظهر يده. كان الجميع ساقطون أرضًا، والخيول تقف بأقدام متصلة وهي ترتجف، وأعينها جامحة وزائغة. كان (إنجتار) قد استل سيفه متشبثًا بالمقبض بقوة حتى اهتز النصل وهو يحدق إلى اللاشيء. كان (لويال) جالسًا ممدد الأطراف مذهولًا بعينين متسعيتين، و(مات) متكومًا على نفسه يحيط رأسه بذراعيه، و(بيرين) يغرس أصابعه في وجهه كما لو أنه يرغب في انتزاع أيا كان ما رآه، وربما لاقتلاع العينين اللتين رأتا ذلك الشيء. لم يكن أي

من الجنود أفضل حالًا. كان (ماسيا) يبكي دون مداراة والدموع تسيل على وجهه، و(هورين) يتلفت حوله كما لو أنه يبحث عن مكان للهرب إليه.

«ماذا...؟». توقف (راند) ليزدرد لعبه. كان مستلقيًا على حجر خشن متآكل نصف مدفون في التراب. «ماذا حدث؟».

«اجتياح من (القوة الواحدة)». اعتدلت (الآيز سيدي) واقفة على قدميها مترنحة، ثم جذبت عباؤها بقوة وهي ترتجف. «لقد بدا الأمر وكأننا مجبرون... مدفوعون... لقد بدا وكأنه جاء من اللامكان. يجب أن تتعلم السيطرة على الأمر. يجب عليك هذا! هذا القدر من (القوة الواحدة) يمكن أن يحرّك إلى رماد». «(فيرين)، أنا... لقد عشتُ... لقد كنتُ...». أدرك أن الحجر الذي تحته مستدير؛ (حجر البوابة). في عجلة وهو يرتجف دفع نفسه ليقف على قدميه. «لقد عشتُ ومِتُّ يا (فيرين) ولا أعرف كم مرة، كل مرة يكون الأمر مختلفًا، ولكنه كان أنا. لقد كان أنا».

«(الخطوط) التي تربط ما بين (العوالم التي قد تكون) قد وضعها هؤلاء الذين يعرفون (أرقام الفوضى)». ارتجفت (فيرين)، لقد بدت وكأنها تتحدث لنفسها. «لم أسمع بذلك من قبل، ولكن لا يوجد سبب يمنعنا من أن نولد في تلك العوالم، ومع ذلك فإن الحيوانات التي عشناها قد تكون حيوات مختلفة. بالطبع، حيوات مختلفة بالطرق المختلفة التي كان يمكن أن تجري بها الأمور».

«هل هذا ما حدث؟ أنا... نحن... قد رأينا كيف يمكن لحيواتنا أن تكون؟». لقد انتصرتُ مرة أخرى يا (ليوز ثيرين). لا! أنا (راند ألتور)!

هزت (فيرين) رأسها كأنها لتنفض عنها الأفكار، ثم نظرت إليه وقالت: «هل يدهشك أن حياتك قد تكون مختلفة إن اتخذت قرارات مختلفة أو حدثت لك أشياء مختلفة؟ رغم أنني لم أفكر أنني... حسنًا، الشيء المهم هو أننا هنا، وإن لم يكن كما كنا نأمل».

سألها: «ما هذا المكان الذي نحن فيه؟». لقد تلاشت غابة (ملاذ تسوفو)، وحل محلها أرض متعرجة. بدا أن هناك غابة على مسافة غير بعيدة غربًا وبعض التلال. كانت الشمس في ذروة السماء عندما اجتمعوا حول (الحجر) في الملاذ، ولكن هنا تبدو الشمس خفيفة قرب نهاية النهار في سماء رمادية. الأشجار القليلة القريبة كانت عارية الأغصان، أو بها أوراق قليلة بألوان زاهية. هبَّت رياح باردة من الشرق، لتجعل الأوراق تنجرف عبر الأرض.

قالت (فيرين): «(تومان هيد)، هذا هو (الحجر) الذي قد زُرته. لم يكن عليك أن تحاول إحضارنا مباشرة إلى هنا. لا أعرف ما الذي جرى على نحو خاطئ - ولا أفترض أنني سأعرف - ولكن وفقًا للأشجار سأقول إننا في آخر الخريف. نحن لم نكسب أي وقت بفعل هذا يا (راند)، لقد خسرنا وقتًا، أخمن أننا قد أمضينا أربعة أشهر في المجيء إلى هنا».

«ولكنني لم...».

«يجب أن تدعني أرشدك في مثل هذه الأشياء، صحيح أنني لا أستطيع أن أعلمك، ولكن ربما يمكنني على الأقل أن أمنعك من قتل نفسك - وقتل بقيتنا - من خلال المبالغة في استخدام (القوة الواحدة). حتى لو لم تقتل نفسك، إن أحرقت (التنين العائد) نفسه كشعلة ذابلة، فمن سيواجه (سيد الظلام) حينها». لم تنتظر منه أن يحتج مرة أخرى ولكنها بدلاً من هذا توجهت ناحية (إنجتار).

جفل الشايناري عندما لمست ذراعه، ثم نظر إليها بعينين محمومتين وقال بصوت مبحوح: «أنا أمشي في (النور)، سأجد (بوق فالير) وأهدم قوة (شايبول غول). سأفعل هذا!».

قالت بسلاسة: «بالطبع ستفعل هذا». أمسكت وجهه بين يديها فأخذ نفساً مفاجئاً، ثم تعافى على الفور من مصابه، باستثناء الذكرى التي لا تزال كامنة في عينيه. قالت له: «ها أنت ذا، هذا سيفي بالغرض بالنسبة لك، سأرى كيف يمكنني مساعدة البقية، ربما لا يزال بمقدورنا استعادة (البوق). ولكن طريقنا لم يصبح أكثر سلاسة».

بينما تخطو من واحد لآخر وهي تتوقف لوقت قصير عند كل واحد منهم توجه (راند) إلى صديقيه. عندما حاول أن يساعد (مات) على الاعتدال واقفاً انتفض (مات) وحقق إليه ثم أمسك بمعطف (راند) بكلتا يديه وقال: «(راند)، أنا لن أخبر أي شخص بشأن... بشأنك. أنا لن أخونك، يجب أن تصدق هذا!». لقد بدا أسوأ حالاً من أي وقت مضى، ولكن (راند) فكر أن هذا في الغالب بسبب الخوف.

قال (راند): «أنا أصدقك». تساءل أي حيوات قد عاشها (مات)، وما الذي فعله، لا شك أنه قد أخبر شخصاً ما، وإلا لما شعر بالقلق حيال الأمر. لا يمكن أن يحمل ضغينة ضده بسبب هذا، لقد كان هؤلاء آخريين يحملون اسم (مات)، وليس صديقه. كما أن بعض الحيوانات البديلة التي رآها بنفسه... «أنا أصدقك. (بيرين)؟».

أنزل الشاب ذو الشعر الأشعث يديه من على وجهه وهو يتنهد، كان هناك علامات حمراء على جبهته ووجنتيه حيث كان يغرس أظافره. كانت عيناه الصفراوان تخفيان أفكاره. «ليس لدينا الكثير من الخيارات، أليس كذلك يا (راند)؟ أياً كان ما يحدث، أياً كان ما نفعل، فهناك أشياء تحدث دومًا بنفس الطريقة». تنهد تنهيدة أخرى طويلة وقال: «أين نحن؟ هل هذه واحدة من تلك العوالم التي تحدثنا عنها أنت و(هورين)؟».

قال (راند): «نحن في (تومان هيد)، في عالمنا، أو هذا ما تقوله (فيرين). في فصل الخريف». بدا (مات) قلقاً وهو يقول: «كيف يعقل...؟ لا، لا أريد أن أعرف كيف حدث هذا، ولكن كيف سنجد (فاين) والخنجر الآن؟ يمكن أن يكون في أي مكان بحلول هذا الوقت».

قال (راند) مؤكداً له: «إنه هنا». كان يأمل أن يكون محققاً، فقد كان لدى (فاين) الوقت الكافي لأخذ سفينة إلى أي مكان يرغب في الذهاب إليه. الوقت الكافي للذهاب إلى (إيموندز فيلد)، أو (تار فالون). بحق

(النور)، أتمنى ألا يكون قد سئم من الانتظار، إن آذى (إيجوين) أو أي شخص آخر في (إيموندز فيلد) فسوف... بحق (النور) لقد حاولت أن آتي في الوقت المناسب.

قال (فيرين) بصوت عالٍ لكي يسمعها الجميع: «البلدات الكبرى في (تومان هيد) تقع غرب هذا المكان». كان الجميع قد اعتدلوا واقفين على أقدامهم مرة أخرى، باستثناء (راند) وصديقيه، فاقتربت منهم ووضعت يديها على (مات) بينما تتحدث: «هذا لا يعني أن هناك الكثير من القرى الكبيرة بما يكفي لوصفها بالبلدات، إن كنا نريد العثور على أي أثر لأصدقاء الظلام فيجب أن نبدأ بحثنا من الغرب، ولا أعتقد أنه يجب أن نضيع ضوء النهار بالجلوس هنا».

عندما رمش (مات) بعينه واعتدل واقفًا كان لا يزال يبدو مريضًا، ولكنه قد تحرك بخفة، فوضعت يديها على (بيرين). تراجع (راند) عندما مدت يديها ناحيته. قالت له: «لا تكن أحمق».

قال بصوت خافت: «لا أريد مساعدة منك، أو من أي واحدة من (الآيز سيدي)». ارتعشت شفتاها وقالت: «كما تشاء».

امتطوا خيولهم على الفور وتوجهوا غربًا تاركين (حجر البوابة) وراءهم. لم يحتاج أحد، وعلى وجه الخصوص (راند). بحق (النور)، أتمنى ألا أكون قد جئت بعد فوات الأوان.

الفصل الثامن والثلاثون

التدريب

كانت (إيجوين) تجلس معقودة الساقين على فراشها، مرتدية فستانها الأبيض، وقد صنعت ثلاث كرات صغيرة من الضوء، تنسج أنماطاً فوق يديها. لم يكن من المفترض أن تفعل هذا دون أن يكون هناك على الأقل واحدة من (المقبولات) للإشراف عليها، ولكن (ناينيف) - التي تنظر محدقة وهي تخطو ذهاباً وإياباً أمام المدفأة - ترتدي على أي حال خاتم الأفعوان الذي يُمنح (للمقبولات)، وفستانها الأبيض مزيناً بالحلقات الملونة عند حافته، حتى لو لم يكن مسموحاً لها أن تحاول أن تعلم أحداً بعد. وقد وجدت (إيجوين) خلال الأسابيع الثلاثة عشرة الماضية أنها لا تستطيع المقاومة. إنها تعرف كم من السهل أن تلمس (السايدار) الآن، يمكنها دوماً أن تشعر بوجوده، ينتظرها، ويغريها، كرائحة عطر أو ملمس حرير. وبمجرد أن تلمسه لا تكاد تستطيع أن تتوقف عن التسخير، أو على الأقل أن تحاول هذا. كانت تفشل في مرات بقدر ما تنجح، ولكن هذا لم يكن سوى حافز آخر لكي تستمر في المحاولة.

عادة ما يخيفها الأمر، يخيفها مدى رغبتها في التسخير، وكم تشعر بالكآبة والوجوم عندما لا تسخر مقارنة بما تشعر به أثناء التسخير. لقد أرادت أن تتجرعه كله، رغم التحذيرات بشأن إحراق نفسها، وهذه الرغبة كانت أكثر ما يخيفها. أحياناً تتمنى لو أنها لم تأتِ إلى (تار فالون)، ولكن هذا الخوف لم يستطع منعها لوقت طويل، مثلما لم يمنعها الخوف من أن تُمسك بها واحدة من (الآيز سيدي) أو أي من (المقبولات) باستثناء (ناينيف).

ولكنها كانت آمنة بما يكفي هنا في غرفتها. كانت (مين) جالسة على المقعد ثلاثي القوائم وهي تراقبها، ولكنها تعرف (مين) جيداً بما يكفي لتعرف أنها لن تبلغ عنها أبداً. فكرت أنها محظوظة لأنها اكتسبت صديقتين عزيزتين منذ مجيئها إلى (تار فالون).

كانت غرفة صغيرة خالية من النوافذ كما هو الحال مع غرف كل المبتدئات. يمكن لثلاث خطوات أن تأخذ (ناينيف) من جدار مطلي بالخص الأبيض إلى آخر. كانت غرفة (ناينيف) أكبر، ولكن بما أنها لم تكتسب أي صديقات بين (المقبولات) الأخريات فإنها تأتي إلى غرفة (إيجوين) عندما تحتاج إلى الحديث مع شخص ما، حتى في مثل هذا الوقت بينما لا تتحدث على الإطلاق. كانت النيران الصغيرة بالمدفأة الضيقة تردع أول برودة للخريف المقرب، ومع ذلك كانت (إيجوين) متيقنة أنها لن تجدي نفعاً عندما يحل الشتاء. كان الأثاث مكتملاً بطاولة صغيرة من أجل الدراسة، وكانت أغراضها معلقة على صف من المشاجب على الحائط أو موضوعة على الرف القصير فوق الطاولة. عادة ما تكون المبتدئات مشغولات للغاية فلا يمكنهن قضاء بعض الوقت في غرفهن، ولكن اليوم كان عطلة، يوم العطلة الثالث فقط منذ قدومها هي و(ناينيف) إلى (البرج الأبيض).

قالت (مين) وهي تميل بالمقعد ليستقر على قائمتين: «كانت (إيلس) تنظر بهيام إلى (جالاد) اليوم بينما يتدرب مع (الحماة)».

ارتعشت كرات الضوء الصغيرة للحظة فوق يدي (إيجوين)، ثم قالت بلا اكتراث: «يمكنها أن تنظر إلى من يحلو لها، لا أعرف لمَ قد يهمني هذا».

«أفترض أنه لا يوجد سبب. إنه وسيم إلى حد كبير، إن كنتِ لا تمانعين كونه صارماً للغاية، ومن المبهج النظر إليه، وخصوصاً عندما ينتزع قميصه».

دارت الكرات بعنف. «أنا متيقنة من أنه ليس لدي الرغبة في النظر إلى (جالاد)، بقميصه أو من دونه».

قالت (مين) بأسف: «لا يفترض بي أن أحاول إغاظتك، أعذر عن هذا، ولكنك تنظرين إليه حقاً - لا تنظري إليّ متجهمة هكذا - وكذلك تفعل كل امرأة تقريباً في (البرج الأبيض) باستثناء (الحمراوات). لقد رأيت (آيز سيداي) بالأسفل في ساحات التدريب عندما يتدرب على التشكيلات، وخصوصاً (الخضراوات). يقلن إنهن يتفقدن (حماتهن)، ولكنني لا أرى الكثير منهن عندما لا يكون (جالاد) موجوداً. حتى الطاهيات والخدمات يخرجن لمشاهدته».

توقفت الكرات في موضعها، وللحظة راحت (إيجوين) تحديق إليها، ثم تلاشت. فجأة ضحكت وقالت: «إنه حسن المظهر، أليس كذلك؟ حتى عندما يمشي يبدو وكأنه يرقص». توردت وجنتاها. «أعرف أنه لا يجب عليّ التحديق إليه، ولكنني لا أستطيع منع نفسي».

قالت (مين): «وأنا أيضاً لا أستطيع منع نفسي، رغم أنني أستطيع أن أرى ما يكون عليه».

«ولكن إن كان خيراً...».

«(إيجوين)، إن (جالاد) خَيْرٌ للغاية بشكل مثير للغیظ؛ إنه سيؤذي شخصاً لأنه يعتقد أن هذا سيحقق خيراً أعظم. لن يلاحظ حتى من آذاه، لأن اهتمامه منصب على الأمر الآخر. ولكن إن لاحظ فإنه سيتوقع منهم أن يتفهموا وأن يعتقدوا أن كل شيء على ما يرام».

قالت (إيجوين): «أفترض أنك تعرفين». لقد رأت قدرة (مين) على النظر إلى الناس، وقراءة مختلف الأشياء عنهم. (مين) لا تخبر الجميع بما تراه، ولا ترى دوماً أشياء، ولكن كان هناك ما يكفي لأن تصدقها (إيجوين). نظرت ناحية (ناينيث) التي كانت لا تزال تقطع الغرفة جيئة وذهاباً وهي تتمتم لنفسها، ثم لمست (السايدار) من جديد، وعادت إلى اللعب بالكرات بطريقة عشوائية.

هزت (مين) كتفيها وقالت: «أعتقد أن هناك شيئاً آخر يجب أن أخبرك به، إنه لم يلاحظ حتى أن (إيلس) توليه اهتماماً. لقد سألتها إن كانت تعرف إذا ما كنتِ سستمشين في الحديقة الجنوبية بعد العشاء، بما أن اليوم عطلة. أشعر بالأسف من أجلها».

تمتت (إيجوين): «(إيلس) المسكينة». ثم صارت كرات الضوء أكثر حيوية فوق يديها. ضحكت (مين).

انفتح الباب بقوة بفعل الرياح. صرخت (إيجوين) وتركت الكرات تختفي، قبل أن ترى أنها (إيلين) فحسب.

أغلقت ولية عهد (أندور) ذات الشعر الذهبي الباب، وعلقت عباءتها على مشجب. «لقد سمعت للتو أن الشائعات صحيحة، الملك (جالدرين) قد مات، هذا يجعلها حربًا على خلافة العرش». قالت (مين) ساخرة: «حرب أهلية، حرب الخلافة، الكثير من الأسماء السخيفة للشيء ذاته. هل تمانعين ألا نتحدث عن الأمر؟ هذا كل ما نسمعه؛ حرب في (كايرين)، حرب في (تومان هيد)، ربما قد قبضوا على (التنين الكاذب) في (سالدايا)، ولكن لا يزال هناك حرب في (تير). معظمها شائعات على أي حال. بالأمس سمعت واحدة من الطاهيات تقول إنها قد سمعت أن (أرتور هاوكوينج) يزحف بجيش نحو (تانتشيكو). (أرتور هاوكوينج)!!».

قالت (إيجوين): «خمنت أنك لن ترغب في الحديث عن الأمر».

قالت (إيلين): «لقد رأيت (لوجاين)، كان يجلس على مقعد في الباحة الداخلية ويبكي، لقد ركض عندما رأي. لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإحساس بالأسف تجاهه».

قالت (مين): «من الأفضل أن يبكي هو بدلًا من أن نبكي نحن يا (إيلين)».

قالت (إيلين) بهدوء: «أعرف ما هو عليه، أو بالأحرى ما كان عليه، ولكنه لم يعد كذلك، ويمكنني أن أشعر بالأسف تجاهه».

اتكأت (إيجوين) بظهرها إلى الجدار وهي تفكر في (راند). دومًا ما يجعلها (لوجاين) تفكر في (راند). إنها لم تحلم به منذ أشهر، ليست نوعية الأحلام التي كانت تراودها على متن سفينة (ملكة النهر). لا تزال (آنايا) تجعلها تكتب كل شيء تحلم به، و(الآيز سيداي) يتفحصنها بحثًا عن علامات، أو روابط بالأحداث. ولكن لم يكن هناك أي شيء متعلق (براند) باستثناء الأحلام التي قالت (آنايا) إنها تعني أنها تفتقده. الغريب هو أنها شعرت كما لو أنه لم يعد موجودًا، كما لو أنه قد اختفى من الوجود مثل أحلامها، بعد بضعة أسابيع من وصولها إلى (البرج الأبيض). قالت لنفسها بمرارة: وأنا أجلس هنا لأفكر في مدى جمال مشية (جالاد). لا شك أن (راند) بخير، لو أنهم قبضن عليه أو رفقته كنت لأسمع شيئًا.

شعرت بالقشعريرة الباردة التي تتأبها كلما فكّرت في أن يُرَقَّق (راند) وأن يبكي ويرغب في الموت مثل (لوجاين).

جلست (إيلين) إلى جانبها على الفراش، وطوت قدميها من تحتها. «إن كنتِ تشعرين بالوله تجاه (جالاد) فلن تحظي بأي تعاطف مني يا (إيجوين). سأطلب من (ناينيف) أن تمنحك جرعة من واحدة من تلك التركيبات الشنيعة التي تتحدث عنها دومًا». نظرت عاقدة حاجبها تجاه (ناينيف) التي لم تلاحظ دخولها. «ما خطبها؟ لا تقولي إنها تشعر بالهيام تجاه (جالاد) أيضًا!».

انحنى (مين) ناحيتها وخفضت صوتها قائلة: «أنصحكما ألا ترعجاها، تلك (المقبولة) النحيلة (آريلا) أخبرتها أنها خرقاء كبقرة، وأنها تتمتع بنصف المواهب، فضربتها (ناينيف) على أذنها». جفلت (إيلالين) فتمتمت (مين): «بالضبط. لقد أخذوها إلى مكتب (شيريام) على الفور، ومنذ ذلك الحين لم تعد مناسبة للعيش معها».

من الواضح أن (مين) لم تخفض صوتها بما يكفي، فقد زجرت (ناينيف). فجأة انفتح الباب مرة أخرى وهبت عاصفة إلى داخل الغرفة. لم تحرك البطانيات على فراش (إيجوين)، ولكن (مين) ومقعدها انقلبا ليرتطما بالجدار. هدأت الرياح على الفور، وتوقفت (ناينيف) في موضعها بنظرة مصدومة على وجهها. أسرع (إيجوين) إلى الباب لتختلس النظر، كانت شمس الظهيرة تبخر آخر بقايا العاصفة المطيرة بالأمس. كانت الشرفة الرطبة المحيطة بباحة المبتدئات فارغة، وأبواب غرف المبتدئات جميعها مغلقة في صف طويل. لا شك أن المبتدئات اللاتي انتهن يوم العطلة للاستمتاع بوقتتهن في الحدائق يحاولن تعويض ما فاتهن من نوم. لم يكن هناك أحد على مرمى البصر. أغلقت الباب وعادت إلى موضعها إلى جانب (إيلالين) بينما (ناينيف) تساعد (مين) للوقوف على قدميها.

قالت (ناينيف) بأسف: «المعذرة يا (مين)، في بعض الأحيان أعصابي... لا يمكن أن أطلب منك أن تغفري لي هذا». ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: «إن أردت أن تبلغني عني (شيريام) فسأنفهم الأمر، أنا أستحق هذا».

تمنت (إيجوين) لو أنها لم تسمع هذا الاعتراف، يمكن أن تشعر (ناينيف) بالخرج من شيء كهذا. راحت تفتش عن شيء تصوب عليه تركيزها، شيء يجعل (ناينيف) تصدق أنه لفت انتباهها. فوجدت نفسها تلمس (السايدار) مرة أخرى، وتبدأ في التلاعب بكرات الضوء. على الفور انضمت إليها (إيلالين). رأت (إيجوين) الوهج يتشكل حول ولية العهد، قبل حتى أن تظهر الكرات الثلاثة الصغيرة فوق يديها. راحتا تمرران الكرات المتوهجة جيئة وذهاباً في أنماط ترداد تعقيداً. أحياناً تنطفئ كرة عندما تفشل واحدة منهما في الحفاظ عليها بينما تقترب منها، ثم تضيء من جديد وقد تغير ضوءها وحجمها بعض الشيء.

ملأت (القوة الواحدة) (إيجوين) بالحياة، اشتمت رائحة الورد الخافتة للصابون من حمام (إيلالين) الصباحي. كان بمقدورها أن تشعر بالجلص الحشن على الجدران، وأحجار الأرضية الملساء، كما تشعر بالفراش الذي تجلس عليه. كان بمقدورها أن تسمع أنفاس (مين) و(ناينيف)، ناهيك بكلماتها الهادئة.

قالت (مين): «إن كنا نتحدث عن المغفرة فربما أنت من يجب أن يغفر لي. أنت سريعة الغضب، وأنا لدي فم كبير، سأغفر لك إن غفرت لي». مع غمغمات «المغفرة» من الجانبين تعانقت المرأتان. قالت (مين) ضاحكة: «ولكن إن فعلت هذا مرة أخرى فقد أضربك على أذنك».

أجابتها (ناينيف): «في المرة التالية سأقذفك بشيء». كانت تضحك بدورها، ولكنها بترت ضحكتها فجأة عندما وقع بصرها على (إيجوين) و(إيلالين). «أنتما الاثنان، توقفا عن هذا، وإلا فسيذهب شخص ما إلى

(سيدة المبتدئات). شخصان».

قالت (إيجوين) محتجة: «لن تفعل هذا يا (ناينيث)!». ولكنها عندما رأت النظرة في عيني (ناينيث) قطعت اتصالها على الفور (بالسايدار). «حسنًا، أنا أصدقك، لا حاجة لإثبات الأمر».

قالت (إيلالين): «يجب علينا أن نتدرب، إنهن يطلبن المزيد والمزيد منا، إن لم نتدرب بمفردنا فلن نتمكن من مجاراتهن». أظهر وجهها رباطة جأش هادئة، ولكنها تخلت عن (السايدار) في عجلة مثلما فعلت (إيجوين).

تساءلت (ناينيث): «وماذا سيحدث عندما تغترfan أكثر من اللازم ولا يكون هناك أحد ليمنعكما؟ أتمنى لو كنتما خائفتين أكثر. أنا خائفة. هل تعتقدان أنني لا أعرف بـمَ تشعران؟ إنه موجود هناك، وترغبان في ملء نفسيكما به. في بعض الأحيان يكون هذا هو كل ما يمكنني فعله لإيقاف نفسي. أنا أريده كله، أعرف أنه سيحرقني إلى رماد، ولكنني أريده على أي حال». ارتجفت وقالت: «أتمنى فقط لو كنتما أكثر خوفًا».

تنهدت (إيجوين) وقالت: «أنا خائفة، بل مرعوبة، ولكن لا يبدو أن هذا يساعدني. ماذا عنك يا (إيلالين)؟».

قالت (إيلالين) بمرح: «الشيء الوحيد الذي يرعيني هو غسل الأطباق، يبدو أنني مضطرة إلى غسل الأطباق كل يوم». أَلقت (إيجوين) بوسادتها ناحيتها، فجذبتها (إيلالين) من على رأسها وألقت بها ناحية (إيجوين). ولكن بعد ذلك تهذلت كتفاها وقالت: «حسنًا، أنا مرعوبة للغاية، حتى أنني لا أعرف لمَ لا تصطك أسناني. أخبرني (إيليدا) أنني سأكون خائفة للغاية، حتى أنني سأرغب في الهرب مع (الجوالين)، ولكنني لا أفهم. إن الرجل الذي يعامل ثيرانه بقسوة كما يتعاملن معنا سيكون منبوذًا. أنا متعبة طول الوقت، أستيقظ متعبة، وأذهب إلى الفراش منهكة، وأحيانًا أخشى أن أنجرف وأسخر من (القوة الواحدة) أكثر مما يمكنني التعامل معه، حتى أنني...». بترت جملتها وهي تنظر إلى حِجرها.

أدركت (إيجوين) ما لم تقله. كانت غرفتهما متجاورتين، ومثل العديد من غرف المبتدئات كان هناك ثقب صغير عبر الجدار بينهما قد نُقب قبل وقت طويل، وصغير للغاية على أن يراه من لا يبحث عنه. ولكنه مفيد من أجل تبادل الأحاديث بعد إطفاء المصابيح عندما لا تستطيع الفتيات مغادرة غرفهن. لقد سمعت (إيجوين) (إيلالين) تبكي حتى تنام أكثر من مرة، ولم يكن لديها شك أن (إيلالين) قد سمعت بكاءها هي أيضًا.

وافقتها (ناينيث) قائلة: «إن الذهاب مع (الجوالين) مغرٍ ولكن أينما ذهبَ فلن يغير هذا من حقيقة ما يمكنك فعله. لا يمكنك الهرب من (السايدار)». لم يبدُ عليها أن ما تقوله يعجبها.

قالت (إيلالين): «ما الذي تريده يا (مين)؟ هل سنصير جميعًا (آيز سيداي) قويات، أم سنمضي ما تبقى من حياتنا نغسل الصحون كمبتدئات، أم...». هزت كتفها في عدم ارتياح كما لو أنها لا ترغب في ذكر البديل

الثالث الذي تبادر إلى ذهنها. إعادتهن إلى الديار، إخراجهن من (البرج). لقد طُردت اثنتان من المبتدئات منذ مجيء (إيجوين)، والجميع يتحدث عنهما همسا كما لو أنهما قد ماتتا.

تلملت (مين) في مقعدها وتمتمت: «لا أحب قراءة الأصدقاء، الصداقة تعترض طريق القراءة، إنها تجعلني أحاول تفسير ما أراه على أفضل وجه. لذلك لم أفعل هذا مع ثلاثتكن بعد. على أي حال لا شيء حيالكن قد تغير يمكنني أن...». نظرت إليهن مضيقة عينيها، وفجأة عقدت حاجبيها وقالت: «هذا جديد».

سألتها (ناينيف) بحدة: «ماذا؟».

ترددت (مين) قبل أن تجيب: «خطر. أنتن في خطر من نوع ما، أو سيكون هناك خطر قريبًا، لا أستطيع تمييزه ولكنه خطر».

قالت (ناينيف) للفتاتين الجالستين على الفراش: «هل رأيتم؟ يجب أن تكونا حذرتين، يجب أن نكون جميعًا كذلك. يجب أن تعداني ألا تحاولا التسخير دون شخص ما ليرشدكما».

قالت (إيجوين): «لم أعد راغبة في الحديث عن الأمر أكثر من هذا».

أومأت (إيلان) برأسها في حماس وقالت: «أجل، دعونا نتحدث عن شيء آخر. إن ارتديت فستانًا يا (مين) فأراهن أن (جاوين) سيطلب منك الخروج للتمشية معه، أنت تعرفين أنه كان ينظر إليك، ولكني أعتقد أن السروال والمعطف الرجالي قد أثنياه عن الأمر».

«سأرتدي ملابس بالطريقة التي تحلو لي، ولن أتغير من أجل لورد، حتى لو كان أخاك». كانت (مين) تتحدث بشرود وهي لا تزال تحديق إليهن عاقدة حاجبيها. لقد خضن هذه المحادثة من قبل. «أحيانًا يكون من المفيد أن تبدين كصبي».

قالت (إيلان) مبتسمة: «لا أحد ينظر إليك بتمعن سيصدق أنك صبي».

أحست (إيجوين) بعدم الارتياح، كانت (إيلان) تتظاهر بالمرح و(مين) بالكاد تبدي أي اهتمام، و(ناينيف) تبدو وكأنها على وشك أن تحذرهما مرة أخرى.

عندما انفتح الباب مرة أخرى قفزت (إيجوين) واقفة على قدميها لتغلقه. ممتنة لأن هناك شيئًا آخر تفعله إلى جانب مراقبة الأخريات وهن يتظاهرن. ولكن قبل أن تصل إلى الباب خطت إلى الغرفة (آيز سيدي) ذات عينين داكنتين، وشعر أشقر مجدول في جدائل عديدة. رمشت (إيجوين) بعينيها في دهشة، لرؤيتها (للآيز سيدي)، وعلى وجه الخصوص لكونها (لياندرين). لم تكن قد سمعت أن (لياندرين) قد عادت إلى (البرج الأبيض)، وعلاوة على ذلك إن أرادت (آيز سيدي) أن ترى مبتدئات فإنها تُرسل في طلبهن. أن تأتي الأخت بنفسها فهذا لا يعني خيرًا.

صارت الغرفة مكتظة بوجود خمس نساء فيها. توقفت (لياندرين) لتهندم شالها ذا الأهداب الحمراء بينما تنظر إليهن. لم تتحرك (مين)، ولكن (إيلان) اعتدلت واقفة، وانحنت الثلاثة الواقفات رغم أن (ناينيف)

بالكاد ثنت ركبتيها. لم تعتقد (إيجوين) أن (ناينيث) ستعتاد وجود أشخاص آخرين لهم سلطة عليها. استقرت عينا (لياندرين) على (ناينيث) وقالت بصوت ثلجي: «ولماذا أنتِ هنا في جناح المبتدئات يا طفلي؟».

قالت (ناينيث) في ضيق: «أنا هنا لزيارة صديقتي». ثم أضافت بعد لحظة متأخرة: «يا (لياندرين) سيداي».

«لا يمكن أن يكون (للمقبولات) صديقات بين المبتدئات، من المفترض أن تكوني قد تعلمت ذلك بحلول هذا الوقت يا طفلي، ولكن من الجيد أنني وجدتك هنا». ثم أشارت بإصبعها ناحية (إيلان) و(مين) وقالت: «أنتما ستنصرفان».

قالت (مين) وهي تعتدل ببساطة: «سأعود لاحقاً». لم تبذل أي مجهود لتظهر أنها في عجلة من أمرها لتطيع الأمر، وخطت من جوار (لياندرين) مبتسمة، ولم يبدُ أن (لياندرين) قد لاحظت هذا على الإطلاق. نظرت (إيلان) في قلق إلى (إيجوين) و(ناينيث) قبل أن تنحني وتغادر.

بعد أن أغلقت (إيلان) الباب وراءها ظلت (لياندرين) واقفة وهي تتفحص (إيجوين) و(ناينيث). بدأت (إيجوين) تتململ تحت نظرتها المتفحصة، بينما حافظت (ناينيث) على ثباتها، فلم يتغير شيء فيها عدا احمراراً بسيطاً في وجنتيها.

قالت (لياندرين) فجأة: «أنتما الاثنان من نفس قرية الفتية الذين كانوا يسافرون مع (مويرين)، أليس هذا صحيحاً؟».

سألتها (إيجوين) بلهفة: «هل لديك أخبار عن (راند)؟». نظرت إليها (لياندرين) وهي ترفع حاجباً، فقالت: «اغفري لي أيها (الآيز سيداي)، لقد نسيت نفسي».

قالت (ناينيث): «هل لديك أخبار عنهم؟». كادت أن تبدو نبرة آمرة. لا يوجد قانون يمنع (المقبولات) من الحديث إلى واحدة من (الآيز سيداي) ما لم تتحدث هي أولاً.

«أنتما قلقتان بشأنهم، هذا جيد. إنهم في خطر، وقد يكون بمقدوركما مساعدتهم».

«كيف تعرفين أنهم في مشكلة؟». لم يكن هناك شك في أن صوت (ناينيث) يحمل نبرة آمرة هذه المرة. زمت (لياندرين) شفتيها الورديتين، ولكن لهجتها لم تتغير. «رغم أنكما لا تعرفان هذا فإن (مويرين) قد أرسلت خطابات إلى (البرج الأبيض) تتعلق بكما. إن (مويرين سيداي) قلقة بشأنكما، وبشأن... أصدقائكما اليافعين. أولئك الفتية، إنهم في خطر. هل ترغبان في مساعدتهم أم تركهم لمصيرهم؟».

قالت (إيجوين): «أجل». وفي الوقت نفسه قالت (ناينيث): «ما نوع الخطر؟ ولم تهتمين أنتِ بمساعدتهم؟». نظرت (ناينيث) إلى أهداب شال (لياندرين) الحمراء وقالت: «كما أنني ظننت أنك لا تحبين (مويرين)».

قالت (لياندرين) بحدة: «لا تفترضي الكثير يا طفلي، أن تكوني (مقبولة) لا يعني أنك أخت، (المقبولات) والمبتدئات على حد سواء يصغين السمع عندما تتحدث أخت، ويفعلن ما يُطلب منهن». أخذت نفسًا عميقًا ثم أكملت حديثها وقد صارت نبرتها باردة وهادئة مرة أخرى رغم البقعتين البيضاوين على وجنتيها بفعل الغضب. «أنا متيقنة من أنكما يومًا ما ستخدمان قضية، وستعلمان حينها أنه لكي يخدم المرء قضية فيجب عليه العمل حتى مع أولئك الذين لا يحبهم. لقد عملت مع العديد من الأشخاص الذين لن أشاركهم غرفة إن كان الأمر متعلقًا بي وحدي. ألن تعملان جنبًا إلى جنب مع أكثر شخص تكرهانه إن كان هذا سينقذ أصدقاءكم؟».

أومأت (ناينيث) برأسها على مضض، وقالت: «ولكنك لم تخبرينا بعد بنوع الخطر الذي يواجهونه يا (لياندرين سيداي)».

«الخطر يأتي من (شايبول غول). هناك من يتعقبهم، كما أعرف أن هذا قد حدث من قبل. إن أتيتما معي فقد نقضي على بعض الأخطار على الأقل. لا تسألاني كيف، فلا يمكن أن أخبركما، ولكني أقول لكم بوضوح إن الأمر كذلك».

قالت (إيجوين): «سنأتي يا (لياندرين سيداي)».

قالت (ناينيث): «إلى أين سنذهب؟». فنظرت إليها (إيجوين) في نفاذ صبر.

«(تومان هيد)».

فغرت (إيجوين) فمها، وتمتعت (ناينيث): «هناك حرب في (تومان هيد)، هل هذه الأخطار لها علاقة بجيوش (أرتور هاوكوينج)؟».

«أنت تصدين الشائعات يا طفلي؟ ولكن إن كانت حقيقة فهل هذا كافٍ لإيقافك؟ ظننت أنك تعتبرين هؤلاء الفتية أصدقاءك». قالتها (لياندرين) وكأنها لن تفعل الشيء ذاته.

قالت (إيجوين): «سوف نأتي». فتحت (ناينيث) فمها مرة أخرى ولكن (إيجوين) قالت على الفور: «سوف نذهب يا (ناينيث)، إن كان (راند) بحاجة إلى مساعدتنا، و(مات) و(بيرين)، فسيكون علينا الذهاب».

قالت (ناينيث): «أعرف هذا، ولكن ما أريد أن أعرفه هو لماذا نحن؟ ما الذي يمكننا أن نفعله ولا يمكنك أنت يا (لياندرين) أو (مويرين) أن تفعلاه؟».

ازدادت وجنتا (لياندرين) ابضاضا وأدركت (إيجوين) أن (ناينيث) قد نسيت أن تخاطبها باللقب الشريف. ولكن ما قالته هو: «أنتما الاثنتان قد جئتما من قريتهم، بطريقة ما لا أفهمها تمامًا أنتما مرتبطتان بهم، لا يمكنني أن أقول أكثر من هذا، ولن أجيب عن المزيد من أسئلتكما الحمقاء. هل ستأتیان معي من أجل مصلحتهم؟». توقفت للحظة للحصول على موافقتها، وقد خف توترها بشكل واضح عندما أومأتا

برأسيهما. «جيد، سوف تلتقيان بي عند الحافة الشمالية لبستان (الأوجير) قبل ساعة من غروب الشمس، مع حصانيكما وكل ما ستحتاجان إليه من أجل الرحلة. لا تجربا أحداً عن هذا».

قالت (ناينيث) ببطء: «لا يفترض بنا أن نغادر أراضي (البرج) دون إذن».

«لديكما إذني، لا تجربا أحداً، لا أحد على الإطلاق. (الآجاه السوداء) يمشين في أروقة (البرج الأبيض)».

شهقت (إيجوين) وسمعت شهقة مماثلة من (ناينيث). ولكن (ناينيث) تماكنت نفسها بسرعة وهي تقول: «ظننت أن كل (الآيز سيدي) ينكرون وجود... وجودهن».

ابتسمت (لياندرين) في سخرية وقالت: «الكثيرات ينكرون وجودهن، ولكن (تارمون جايدون) تقترب، ولم يعد هناك وقت للإنكار. (الآجاه السوداء) هن نقيض كل شيء يمثله (البرج)، ولكنهن موجودات يا طفلي. إنهن في كل مكان، ويمكن لأي امرأة أن تنتمي إليهن، وهن يخدمن (سيد الظلام). إن كان (الظل) يتعقب أصدقاءكما فهل تعتقدان أن (الآجاه السوداء) سيترككنما حيتين وحرتين لمساعدتهن؟ لا تجربا أحداً - لا أحد على الإطلاق! - وإلا فلن تبقيا على قيد الحياة حتى تصلا إلى (تومان هيد). ساعة واحدة قبل غروب الشمس. لا تخذلاني». وما إن قالت هذا حتى انصرفت وأغلقت الباب وراءها بقوة.

انهارت (إيجوين) على فراشها وهي تضع يديها على ركبتيها. «إنها من (الآجاه الحمراء) يا (ناينيث)، لا يمكن أن تعرف بشأن (راند)، إن عرفت...».

وافقتها (ناينيث) قائلة: «من المستحيل أن تعرف، أتمنى أن أعرف لم قد ترغب واحدة من (الحمراوات) في أن تساعد، أو لماذا هي مستعدة للعمل مع (مويرين). أكاد أن أقسم أن أيًا منهما لن تسقي الأخرى الماء إن كانت تموت عطشًا».

«هل تعتقدين أنها تكذب؟».

قالت (ناينيث) بجمود: «إنها (آيز سيدي). سأراهن بأفضل دبوس فضي لدي مقابل حبة توت أن كل كلمة قالتها صحيحة، ولكنني أتساءل إن كنا سمعنا ما نعتقد أننا سمعناه».

قالت (إيجوين) مرتجفة: «(الآجاه السوداء). لا يوجد لبس فيها قالته بشأنهن، فليساعدنا (النور)».

قالت (ناينيث): «أجل، لا لبس في هذا، وقد منعنا من طلب النصيحة من أي شخص، إن كان هذا صحيحًا فمن يمكن أن نثق فيه؟ فليساعدنا (النور) حقًا».

عادت (مين) و(إيلان) مسرعتين وأغلقتا الباب وراءهما. تساءلت (مين): «هل ستذهبان حقًا؟».

فأشارت (إيلان) نحو الثقب الصغير الموجود في الجدار فوق فراش (إيجوين) وقالت: «لقد استرقنا السمع من غرفتي وسمعنا كل شيء».

تبادلت (إيجوين) النظرات مع (ناينيث)، وتساءلت عن قدر ما سمعته، ورأت القلق نفسه مرتسمًا على وجه (ناينيث). «إن استطاعتا أن تخمنا شيئًا له علاقة (براند)...».

حذرتهما (ناينيث) قائلة: «عليكما أن تبقيا هذا الأمر سرًّا. أفترض أن (لياندرين) قد ربّبت إذنًا من (شيريام) لكي نرحل، ولكن حتى لو لم تكن قد فعلت، حتى لو بدأنا في تفتيش (البرج) من أعلاه لأسفله غدًا بحثًا عنا، فيجب ألا تقولا كلمة».

قالت (مين): «نُبقي الأمر سرًّا؟ لا تخشي هذا، فأنا ذاهبة معكما. كل ما أفعله طوال اليوم هو أن أحاول أن أفسر لأخت بنية أو أخرى شيئًا أنا نفسي لا أفهمه. لا يمكنني حتى أن أخرج للتمشية دون أن تأتي (الأميرلين) نفسها لتطلب مني قراءة أي شخص نراه. عندما تطلب منك تلك المرأة أن تفعل شيئًا فلا يبدو أن هناك مفرًا من الأمر. لا شك أنني قرأت نصف (البرج الأبيض) من أجلها، ولكنها دومًا ما ترغب في استعراض آخر، كل ما أحتاج إليه هو عذر للرحيل، وهذا هو العذر الذي كنت أبحث عنه». ارتسم على وجهها تصميم لا يترك مجالًا للجدال.

تساءلت (إيجوين) عن سبب إصرار (مين) على الذهاب معها بدلًا من أن تغادر ببساطة بمفردها، ولكن قبل أن تجد وقتًا للمزيد من التساؤل قالت (إيلالين): «أنا ذاهبة أيضًا».

قالت (ناينيث) برفق: «(إيلالين)، أنا و(إيجوين) ترعرعنا مع الفتية في (إيموندز فيلد). أنتِ ودية عهد (أندور)، إن اختفيتِ من (البرج الأبيض) فقد يؤدي هذا إلى اندلاع حرب».

«لن تبدأ أُمي حربًا مع (تار فالون) حتى إن جففوني وملّحوني، وربما هذا ما يحاول فعله معي. إن كان بمقدور ثلاثتك أن تنطلقن وتخضن مغامرة فلا تعتقدن أنني سأبقى هنا لغسل الأطباق وتنظيف الأرضيات بينما واحدة من (المقبولات) توبخني لأنني لم أجعل النار بنفس درجة الأزرق التي تريدها. سيموت (جاوين) من الحسد عندما يكتشف الأمر». ابتسمت (إيلالين) وجذبت شعر (إيجوين) في مرج قائلة: «كما أنك إن تركتِ (راند) طليقًا فقد أجد فرصة لأخذه».

قالت (إيجوين) بحزن: «لا أعتقد أن أيًا منا ستحصل عليه».

«إذن سنعرف من سيختارها وسنجعل حياتها تعيسة، ولكن ليس من المعقول أن يكون أحق بها يكفي لأن يختار شخصًا آخر عندما يكون بمقدوره أن يختار واحدة منا. أوه، أرجوكِ ابتسمي يا (إيجوين)، أعرف أنه لك، ولكنني أشعر فقط أنني...». ترددت وهي تبحث عن الكلمة. «حرة. لم أخض مغامرة من قبل. أراهن أن أيًا منا لن تبكي حتى تنام أثناء مغامرة، حتى إن فعلنا فسنحرص على أن يتغاضى صانع البهجة عن هذا الجزء».

قالت (ناينيث): «هذه حماقة، نحن ذاهبات إلى (تومان هيد)، لقد سمعتِ الأخبار والشائعات، سيكون الأمر خطيرًا، يجب أن تبقيا هنا».

«لقد سمعت أيضًا ما قالته (لياندرين سيداي) عن... (الآجاء السوداء)». خفت صوت (إيلالين) ليصير همسًا مع هذا الاسم. «إلى أي مدى سأكون آمنة إن كن موجودات هنا؟ إن شكت أُمي في وجود (الآجاء السوداء) بالفعل فستلقي بي في معركة لكي تبعدي عنهن».

«ولكن يا (إيلان)...».

«هناك طريقة واحدة لتمنعي من المجيء، وهي إخبار (سيدة المبتدئات). سوف نشكل صورة جميلة، ثلاثتنا مصطفات في مكتبها، بل أربعتنا، لا أعتقد أن (مين) ستهرب من شيء كهذا. وبما أنك لن تخبري (شيريام سيداي) فأنا آتية أيضًا».

لَوَّحت (ناينيف) بيديها وقالت مخاطبة (مين): «ربما يمكنك أن تقولي شيئًا لإقناعها».

كانت (مين) متكئة إلى الباب، تنظر مضيقّة عينها إلى (إيلان)، ثم هزت رأسها وقالت: «أعتقد أنها يجب عليها الذهاب مثلكما. مثلنا جميعًا. يمكنني أن أرى الخطر حولكن أكثر وضوحًا الآن، ليس واضحًا بما يكفي لتمييزه، ولكنني أعتقد أن له علاقة بقراركن بالذهاب. لهذا هو أكثر وضوحًا، لأنه أكثر تأكيدًا».

قالت (ناينيف): «هذا ليس سببًا يجعلها تأتي».

ولكن (مين) هزت رأسها مرة أخرى وقالت: «إنها مرتبطة بهؤلاء الفتية مثلك أنتِ أو (إيجوين) أو أنا، إنها جزء من الأمري (ناينيف) أيًا ما كان، جزء من (النمط) كما قد تقول واحدة من (الآيز سيداي)».

بدت (إيلان) مندهشة، ومهتمة أيضًا. «أنا؟ أي جزء يا (مين)؟».

قالت (مين): «لا يمكنني أن أراه بوضوح». ثم أطرقت برأسها وقالت: «أحيانًا أتمنى لو أنني لا أقدر على قراءة الناس على الإطلاق، معظم الناس لا يرضيهم ما أقرأه على أي حال».

قالت (ناينيف): «إن كنا جميعًا ذاهبات فيجب أن نبدأ في رسم الخطط». بغض النظر عن جدالها مسبقًا، فإنه بمجرد تحديد مسار العمل تتجه (ناينيف) دومًا إلى الإجراءات العملية؛ ما الذي يجب عليهن أخذه معهن، وكم سيكون الجو باردًا عند وصولهن إلى (تومان هيد)، وكيف يمكنهن جلب خيولهن من الإسطبلات دون إيقافهن.

بينما (إيجوين) تصغي إليها لم تستطع منع نفسها من التساؤل حيال الخطر الذي رآته (مين) بالنسبة لهن، وما هو الخطر الذي يهدد (راند). كانت تعرف أن هناك خطرًا واحدًا يمكن أن يهدده، وجعلها هذا تشعر بالبرودة عند التفكير فيه. اصمد يا (راند)، اصمد أيها الأحمق العنيد. سأساعدك بطريقة ما.

الفصل التاسع والثلاثون

الهرب من البرج الأبيض

كانت (إيجوين) و(إيلين) تومئان برأسيهما باقتضاب لكل مجموعة نساء تمران بها، بينما تقطعان طريقهما عبر (البرج). فكرت (إيجوين) أنه من الجيد أن هناك الكثير من النساء من الخارج في (البرج) اليوم، على أن تصحب كل واحدة منهن (آيز سيداي) أو (مقبولة). كن منفردات أو في مجموعات صغيرة، في ثياب باهظة أو رخيصة، بأزياء من عدة أراضٍ مختلفة، وبعضها لا يزال مغبراً من الرحلة إلى (تار قالون)، وقد نئين بأنفسهن منتظرات دورهن لطرح أسئلتهن على (الآيز سيداي) أو تقديم عروضهن. بعض النسوة - سيدات نبيلات أو تاجرات أو زوجات تجار - كان معهن خادمت، بل إن بعض الرجال قد جاؤوا بعروضهم، يقفون بمفردهم ويبدو عليهم التردد حيال وجودهم في (البرج الأبيض)، وينظرون إلى كل شخص آخر بتوتر.

كانت (ناينيف) في المقدمة وتبقي عينيها أمامها بحزم، وعباءتها تخفق من ورائها وهي تمشي كأنها تعرف إلى أين هن ذاهبات - وهي تعرف هذا بالفعل ما دام لم يوقفهن أحد - ولديها كل الحق في الذهاب إلى هناك، وهو أمر مختلف تماماً بالطبع. كن يرتدين الملابس التي قد جلبوها معهن إلى (تار قالون)، فلم يبدن كقاطنات (البرج). كل واحدة منهن قد اختارت أفضل فستان به تنورة مشقوقة من أجل ركوب الخيل، وعباءة من الصوف الفاخر غنية بالتطريزات. فكرت (إيجوين) أنهن سيصلن إلى وجهتهن في نهاية المطاف إن استطعن تجنب أي شخص قد يتعرف عليهن، وقد استطعن بالفعل تجنب العديد ممن يعرفون وجوههن.

بينما (إيجوين) تساعد (ناينيف) على غلق أزرار الفستان الحريري الرمادي المطرز بخيوط ذهبية وأزهار لؤلؤية على الصدر والأكمام قالت (ناينيف) ساخرة: «هذا سيكون ملائماً للتجول في حديقة لورد وليس السفر إلى (تومان هيد)، ولكنه قد يساعدنا على الخروج دون أن يلاحظنا أحد».

عدلت (إيجوين) من وضع عباءتها وهندمت فستانها الأخضر الرمادي المطرز بالذهب، ثم نظرت إلى (إيلين) التي ترتدي فستاناً أزرق مزيناً بخيوط زبدية اللون وهي تأمل أن (ناينيف) محقة. حتى الآن قد عدّهن الجميع نبيلات أو مقدمات عروض أو على الأقل نساء ثريات، ولكن (إيجوين) أحست أنهن من المفترض أن يلفتن الأنظار. كانت مندهشة عندما أدركت السبب، فهي تشعر بعدم الارتياح في هذا الفستان الفاخر، بعد أن ارتدت فستان المبتدئات الأبيض البسيط طيلة الأشهر القليلة الماضية.

كان هناك مجموعة قليلة من النساء القرويات يرتدين ملابس صوفية سميقة داكنة، وينحنين لهن أثناء مرورهن. بمجرد تجاوز المجموعة ألقت (إيجوين) نظرة إلى الورا ناحية (مين) التي لا تزال ترتدي سروالها وقميصها الرجالي الفضفاض، والمعطف والعباءة البنية الذكوريين، وتعتمر قبعة ذات أطراف عريضة تغطي شعرها القصير. قالت ضاحكة: «يجب على واحدة منا أن تكون الخادمة، فالنسوة اللاتي يرتدين مثلكن دوماً

ما تصحبهن خادمة واحدة على الأقل. ستمنين لو أنكن ترتدين سروالاً مثلي إن اضطررنا للركض». كانت تحمل على ظهرها أربع مجموعات من أكياس السرج الممتلئة بالملابس الثقيلة، فالشتاء سيحل بالتأكيد قبل عودتهن. كما كانت تحمل عبوات من الطعام المسروق من المطابخ، ما يكفيهن حتى يتمكنَّ من شراء المزيد. تساءلت (إيجوين) بصوت خافت: «هل أنتِ واثقة أنني لا أستطيع حمل بعض من هذه يا (مين)؟». قالت (مين) مبتسمة: «إنها ليست ثقيلة ولكن يصعب حملها فحسب». بدا أنها تعتقد أن الأمر مجرد لعبة، أو أنها تتظاهر باعتقادها هذا. «وسيتساءل الناس بالتأكيد لمَ تحمل سيدة نبيلة مثلك أكياس سرجها بنفسها. يمكن أن تحملي أكياس سرجك - وأكياسِي أيضًا - بمجرد أن...». تلاشت ابتسامتها وهي تهمس بحدة: «(آيز سيدي)!».

نظرت (إيجوين) إلى الأمام على الفور. كانت هناك (آيز سيدي) بشعر أسود طويل ناعم وبشرة عاجية تقترب منهن عبر الممر، وهي تصغي إلى امرأة ترتدي ملابس ريفية خشنة وعباءة مرقعة. لم ترهن (الآيز سيدي) بعد، ولكن (إيجوين) قد تعرفت عليها؛ (تاكيا) من (الآجاه البنيات)، التي تُدرِّس تاريخ (البرج الأبيض) و(الآيز سيدي)، والتي يمكن أن تتعرف على إحدى تلميذاتها من على مسافة مئة خطوة. انعطفت (ناينيث) عند رواق جانبي دون أن تتردد لخطوة واحدة، ولكن كان هناك واحدة من (المقبولات)؛ امرأة نحيلة بوجه عابس، تسرع متجاوزة إياهن وهي تجذب مبتدئة محتقنة الوجه من أذنها. كان على (إيجوين) أن تزدرد لعبها قبل أن تتمكن من الحديث: «كانت هذه (آيريل) ومعها (إيلس). هل لاحظتانا؟». لم تستطع أن تجعل نفسها تنظر إلى الوراء لكي ترى. قالت (مين) بعد لحظة: «لا، كل ما رأته هو ملابسنا». تنفست (إيجوين) الصعداء وسمعت (ناينيث) ترفرف بارتياح بدورها.

تمتمت (إيلين): «قد ينفجر قلبي قبل أن نصل إلى الإسطبلات، هل هذا ما تكون عليه المغامرات طيلة الوقت يا (إيجوين)؟ أن يكون قلبك في فمك ومعدتك بين قدميك؟». قالت (إيجوين) ببطء: «أفترض هذا». وجدت أنه من الصعب أن تصدق أنه كان هناك وقت كانت فيه متلهفة للمغامرة وفعل شيء خطير ومثير مثل الأشخاص في الحكايات. الآن تعتقد أن الجزء المثير هو ما تتذكره عندما تسترجع الأمر، وأن القصص تتغاضى عن ذكر الكثير من الأشياء غير السارة. أخبرت (إيلين) بهذا.

قالت ولية العهد بحزم: «مع ذلك لم أشعر بأي إثارة حقيقية من قبل، ومن غير المرجح أن أشعر بأي إثارة ما دامت أُمِّي صاحبة الرأي، وعلى الأرجح ستظل هكذا حتى أجلس على العرش بنفسِي». قالت (ناينيث): «فلتصمنا أنتما الاثنتان». صرن وحدهن في الرواق لأول مرة، ولم يكن هناك أحد يمكن رؤيته في كلا الاتجاهين. أشارت إلى سلم ضيق يؤدي إلى الأسفل وقالت: «لا شك أن هذا ما نريده، إن لم أكن قد ضللت الطريق مع كل هذه المنعطفات التي أخذناها».

قطعت الدرج كما لو أنها متيقنة على أي حال، ولحقت بها الأخريات. وبالفعل كان الباب الصغير في آخر الدرج يؤدي إلى الباحة المغبرة للإسطبل الجنوبي، حيث يُحتفظ بخيول المبتدئات - أولئك اللاتي لديهن خيول - حتى يحتجن إلى خيولهن مرة أخرى، وهو ما لا يحدث عادة حتى يصرن (مقبولات) أو يُرسلن إلى بيوتهن. كان (البرج) اللامع الضخم يرتفع من ورائهن، وأراضي (البرج) ممتدة على مساحات كبيرة من الأراضي، وأسواره أعلى من أسوار بعض المدن.

خطت (ناينيف) إلى الإسطبل كما لو أنها تملكه. كانت رائحته مشبعة برائحة القش والخيول، وهناك صفان طويلان من الحجيرات يمتدان إلى الوراء حتى الظلال التي تقطعها خيوط من الشمس المتسللة من فتحات التهوية بالأعلى. العجيب هو أن (بيلا) الشعثاء وفرس (ناينيف) الرمادية كانتا واقفتين في حجيرتين بالقرب من الباب. مدت (بيلا) أنفها من فوق باب الحجيرة وصهلت بصوت خافت تجاه (إيجوين). لم يكن هناك سوى سائس واحد في المكان، رجل لطيف المظهر بلحية خطها الشيب، يمضغ عودًا من القش.

قالت له (ناينيف) بأقصى نبرة أمرة: «فلتسرج خيولنا؛ هاتين الفرسين. (مين)، اعثري على حصانك، وحصان (إيلان)». أنزلت (مين) أكياس السرج أرضًا، ثم جذبت (إيلان) إلى عمق الإسطبل. عقد السائس حاجبيه وهو يتتبعهما بصره، ثم أخرج عود القش ببطء من فمه وقال: «لا شك أن هناك خطأ ما يا سيدتي، هذه الخيول...».

«... ملكنا». قالتها (ناينيف) بحزم وهي تعقد ذراعيها بحيث يكون خاتم الأفعوان واضحًا. «وسوف تسرجها الآن».

حبست (إيجوين) أنفاسها. كانت هذه هي خطة الطوارئ، أن تحاول (ناينيف) التظاهر بأنها (آيز سيدي) إن واجهت أي صعوبة مع شخص قد لا يقبل حقًا أنها واحدة. لن تصدقها (آيز سيدي) أو (مقبولة) بالطبع، أو حتى مبتدئة، ولكن سائس...

رمش الرجل بعينه وهو ينظر إلى خاتم (ناينيف)، ثم قال أخيرًا دون أن يبدو عليه التأثير: «لقد قيل لي اثنتان، واحدة من (المقبولات) ومبتدئة، لم يُقل لي شيئًا عن أربعتهن».

شعرت (إيجوين) برغبة في الضحك. بالطبع لم تكن (لياندرين) تصدق أنها قادرتان على إحضار فرسيهما بنفسيهما.

بدت (ناينيف) خائبة الأمل، وازداد صوتها حدة وهي تقول: «فلتجلب تلك الخيول وتسرجها وإلا فستحتاج إلى شفاء (لياندرين)، هذا إن منحته لك».

حرَّك السائس شفثيه باسم (لياندرين)، ولكن نظرة واحدة إلى وجه (ناينيف) جعلته يذهب ليعتني بأمر الفرسين، وهو يغمغم مرة أو اثنتين بصوت لم يكن عاليًا بما يكفي لأن يسمعه أحد سواه. عادت (مين) و(إيلان) بحصانيهما في الوقت الذي انتهى فيه من ربط الحزام الثاني. كان حصان (مين) طويلًا وبلون الغبار، أما فرس (مين) فكانت بلون أحمر وبعنق مقوس.

عندما امتطين خيولهن خاطبت (ناينيف) السائس مرة أخرى قائلة: «لا شك أنه قد قيل لك أن تُبقي هذا الأمر سرًا، وهذا لم يتغير، سواء كنا اثنتين أو مئتين. إن كنت تعتقد غير هذا ففكر فيما ستفعله (لياندرين) إن تحدثت عن شيء قد قيل لك أن تُبقيه سرًا».

وبينما يتحركن بخيولهن إلى الخارج أَلقت إليه (إيلان) بعملة معدنية وتمتت: «من أجل تعبك أيها الرجل الصالح، لقد أبليت حسنًا». بالخارج نظرت إلى (ناينيف) وابتسمت قائلة: «تقول أمي إن العصا والعسل يعملان معًا بشكل أفضل من العصا وحدها».

قالت (إيجوين): «أمل ألا نحتاج إلى هذا أو ذاك مع الحرس، أمل أن (لياندرين) قد تحدثت إليهم أيضًا». ولكن عند (بوابة تارلومين) التي تخترق السور الجنوبي المرتفع لأراضي (البرج) لم يكن هناك ما يدل على ما إذا كان أحد قد تحدث إلى الحراس أم لا، لقد سمحوا للنسوة الأربعة بالمرور دون أكثر من نظرة وانحناء سريعة. يُفترض بالحرس أن يبقوا الأشخاص الخطيرين بالخارج، ولكن من الواضح أنهم لم يتلقوا أي أوامر بشأن إبقاء أي شخص بالداخل.

منحهن النسيم البارد القادم من الخارج عذرًا لارتداء أغطية الرأس بعباءاتهن، بينما يتحركن بخيولهن ببطء عبر شوارع المدينة. ضاع رنين حوافر خيولهن على أحجار الرصف بين ضجيج الحشود التي ملأت الشوارع والموسيقى المنبعثة من بعض المباني التي مررن بها. كان الناس يرتدون ثيابًا من كل أرض، من الثياب الكايرينية الداكنة الكثيرة، وحتى الألوان الزاهية البراقة (للجوالين)، وكل طراز فيما بينهما، وهم يفسحون الطريق من أمام خيولهن كما تتفرق مياه النهر من حول صخرة، ولكنهن مع ذلك لم يستطعن التحرك بوتيرة أسرع من مشي بطيء.

لم تولِ (إيجوين) أي اهتمام للأبراج الرائعة بجسورها العالية، أو المباني التي تبدو شبيهة بأماج متكسرة أو منحدرات منحوتة بالرياح أو أصداف جميلة أكثر من كونها شيئًا مبنياً من الحجر. كثيرًا ما تخرج (الآيز سيدي) إلى المدينة، وفي هذا الحشد قد يجدن أنفسهن في مواجهة إحداهن قبل أن يلاحظن الأمر. بعد وقت أدركت أن رفيقاتها يراقبن عن كثب مثلها، ولكنها لم تشعر بأكثر من وميض من الارتياح عندما ظهر بستان (الأوجير) في الأفق.

صارت (الأشجار العظيمة) مرئية من وراء الأسطح وقممها المنبسطة تعلو في الهواء بمئة باع أو أكثر. إن الأشجار الشاهقة من البلوط والدردار والأوراق الجلدية والتنوب قد بدت ضئيلة من تحتها. كان هناك سور من نوع ما يحيط بالبستان، بعرض ميلين أو أكثر، ولكنها لم تكن سوى سلسلة لا نهاية لها من الأقواس الحجرية الحلزونية، كل واحد بارتفاع خمسة باعات وعرضه ضعف هذا.

على الجانب الخارجي من السور كانت العربات والناس يتحركون في صخب عبر شارع، بينما في الداخل تكمن برية من نوع ما. لم يبدُ البستان مروضًا كالمنتزه، ولا عشوائيًا تمامًا كأعماق الغابة. بل بدا وكأنه الشكل المثالي للطبيعة، وكأنها هذه هي الغابة المثالية، أجمل غابة يمكن أن تكون. بعض الأوراق قد بدأ يتغير لونها

بالفعل، وحتى الأجزاء الصغيرة البرتقالية والصفراء والحمراء بين الأوراق الخضراء قد بدت (لايجوين) وكأنها تشبه تمامًا الشكل الذي يجب أن تبدو عليه أوراق الشجر في الخريف.

خطا بعض الأشخاص إلى الداخل عبر الأقواس المفتوحة، ولم يلتفت أحد عندما دلفت النسوة الأربعة بخيولهن تحت الأشجار. سرعان ما اختفت المدينة عن الأنظار وحتى أصواتها قد خفتت ثم حجبتها البستان تمامًا. بعد أن قطعن عشر خطوات بدا وكأنهن على مسافة أميال من أقرب بلدة. تمتت (ناينيث): «قالت الحافة الشمالية من البستان. لا يوجد نقطة أبعد شمالاً من...». بترت جملتها عندما خرج حصانان من أجمة من شجر البلسان الأسود، فرس سوداء لامعة على ظهرها راكب، وحصان بضائع خفيف الحمل.

رفعت الفرس السوداء قائمتيها الأماميتين وهي تضرب الهواء بحافريها عندما جذبت (لياندرين) اللجام بقسوة. كان وجه (الآيز سيدي) قناعاً من الغضب وهي تقول: «قلت لك ألا تخبري أحداً! ولا أي شخص!». لاحظت (إيجوين) المصاييح ذات العصي على حصان البضائع وفكرت أن هذا غريب.

قالت (ناينيث) بظهر متيبس: «هاتان صديقتان...».

ولكن (إيلان) تدخلت قائلة: «اغفري لنا يا (لياندرين سيدي)، إنها لم تجربانا، بل استمعنا إلى حديثكن. لم نقصد استراق السمع، ولكن الحديث قد تناهى إلى مسامعنا، ونحن نرغب في مساعدة (راند ألثور) أيضاً». ثم أضافت على الفور: «والفتية الآخرين بالطبع».

نظرت (لياندرين) إلى (إيلان) و(مين). كانت أشعة شمس ما بعد الظهيرة المتسللة ما بين الأغصان تُلقي بظلالها على وجهيهما من تحت غطاء رأس عباةيهما. قالت أخيراً وهي لا تزال تتفحصهما: «لقد ربت الأمر منا أجل الاعتناء بكما، ولكن بما أنكما هنا فلا مفر من هذا. يمكن لأربعة قطع هذه الرحلة مثل اثنتين». قالت (إيلان): «الاعتناء بنا يا (لياندرين سيدي)؟ أنا لا أفهم».

قالت: «أنتِ وتلك الأخرى معروفتان بأنكما صديقتان لهاتين اثنتين يا طفليتي، ألا تعتقدين أن هناك من سيستجوبك عندما يكتشف أنها غائبتان؟ هل تعتقدين أن (الآجاه السوداءوات) سيكون لطيفات معكِ لأنك وريثة العرش. إن بقيت في (البرج الأبيض) فربما ما كنتِ لتظلي حية حتى الصباح». خيم الصمت عليهن جميعاً للحظة، ولكن (لياندرين) دارت بحصانها وصاحت: «اتبعني!».

اقتادتهن (الآيز سيدي) عميقاً عبر البستان، حتى وصلن إلى سياج حديدي طويل تعلوه أشواك حادة. كان السياج مقوساً قليلاً وكأنه يحيط بمنطقة واسعة، حتى يختفي عن الأنظار بين الأشجار يميناً ويساراً. كان هناك بوابة في السياج، مقفلة بقفل كبير. فتحت (لياندرين) القفل بمفتاح كبير أخرجته من عباةتها، ثم أشارت إليهن أن يدخلن قبل أن تعيد إغلاق البوابة وراءهن وتتقدمهن على الفور. كان هناك سنجاب يثرثر من فوق غصن شجرة أعلاه، ومن مكان ما جاء النقر الحاد لنقار خشب.

تساءلت (ناينيث): «إلى أين نحن ذاهبات؟». لم تُجِبها (لياندرين)، فنظرت (ناينيث) بغضب إلى الأخريات. «لماذا نتعمق في هذه الغابة؟ علينا أن نعبّر جسراً أو أن نأخذ سفينة إذا كنا نريد أن نغادر (تار

قالون)، ولا يوجد أي جسر أو سفينة في...».

قالت (لياندرين): «يوجد هذا. إن السياج يُبقي بعيدًا بالخارج هؤلاء الذين قد يؤذون أنفسهم، ولكن نحن لدينا حاجة اليوم». ما أشارت إليه كان لوحًا طويلًا وسميكا يبدو أنه من الحجر، منتصبًا على حافته، وعلى جانبه منحوت أوراق وأغصان متداخلة.

اختنق حلق (إيجوين)، وفجأة عرفت لم جلبت (لياندرين) المصابيح. ولم يعجبها ما عرفته. سمعت (ناينيث) تهمس: «(بوابة طريق)». كلتاهما تتذكر (الطرق) جيدًا.

قالت كأنها تخاطب نفسها مثلما تخاطب (ناينيث): «لقد فعلناها مرة من قبل، يمكننا أن نفعلها مرة أخرى». إن كان (راند) والآخرين بحاجة إلينا فيجب علينا أن نساعدهم، هذا كل ما يجب علينا فعله.

قالت (مين) بصوت مختنق: «هل هذه حقًا...». لم تستطع أن تُنهي الجملة.

قالت (إيلالين) بأنفاس لاهثة: «(بوابة طريق)، لم أكن أعرف أنه لا يزال من الممكن استخدام (الطرق)، أو على الأقل لم أكن أعرف أن استخدامها مسموح به».

كانت (لياندرين) قد ترجلت بالفعل عن فرسها وانتزعت ورقة (الأفنديسورا) الثلاثية من النحت الذي يبدو كمصراعي باب ضخمين منسوجين من أغصان حية، فبدأ المصراعان يفتحان ليكشفوا عما يبدو أنه مرآة فضية باهتة تُظهر انعكاسهن بشكل خافت.

قالت (لياندرين): «ليس عليك المجيء، يمكنك الانتظار هنا بأمان محاطات بالسياج حتى آتي إليك، أو ربما ستجدكن (الآجاء السوداء) قبل أي شخص آخر». لم تكن ابتسامتها سارة، ومن ورائها انفتحت (بوابة الطريق) على اتساعها قبل أن يتوقف المصراعان.

قالت (إيلالين): «لم أقل إنني لن آتي». ولكنها ألقت على الغابة الظليلة نظرة طويلة.

قالت (مين) بصوت مبحوح: «إن كنا سنفعل هذا فلنفعله». كانت تحديق إلى (بوابة الطريق) وخُيِّل (لايجوين) أنها سمعتها تتمم: «فليحرقك (النور) يا (راند ألثور)».

قالت (لياندرين): «يجب أن أكون آخر من يدخل. ادخلن جميعًا وسوف ألحق بكن». راحت تنظر إلى الغابة بدورها، وكأنها تتوقع أن شخصًا ما قد يلحق بهن. «بسرعة! بسرعة!».

لم تكن (إيجوين) تعرف ما الذي تتوقع (لياندرين) رؤيته، ولكن إن جاء أي شخص على الإطلاق فعلى الأرجح سيمنعهن من استخدام بوابة الطريق. قالت لنفسها: (راند)، أيها الأحمق العنيد، لم لا تورط نفسك ولو لمرة واحدة في متاعب من النوع الذي لا يجبرني على التصرف مثل بطلة في حكاية؟

وكزت جانبي (بيلا) بكاحليها، فقفزت الفرس الشعثاء - التي كانت حروناً بسبب الوقت الطويل الذي أمضته في الأسطبل - إلى الأمام.

صاحت (ناينيث): «بطيء!». ولكن بعد فوات الأوان.

اندفعت (إيجوين) وبيلا ناحية انعكاسهما الباهت، فتلامس أنفي الفرسين الشعثاوين، وبدا كأنها كلاً منهما تتدفق إلى الأخرى، ثم اندمجت (إيجوين) بصورتها في صدمة ثلجية. بدا الوقت وكأنه يمتد، وكأن الثلج يزحف عليها بمقدار شعرة في المرة، وكل شعرة تستغرق دقائق.

فجأة تعثرت (بيلا) في الظلمة الدامسة، وتحركت بسرعة كبيرة حتى كادت أن تنقلب على رأسها. تماثلت الفرس نفسها، واعتدلت واقفة وهي ترتجف، بينما (إيجوين) تترجل في عجالة وهي تتحسس قوائم الفرس في الظلمة لترى إن كانت قد أُصيبت. كادت أن تكون مسرورة بالظلمة لأنها تخفي وجهها المحتقن بالدماء. كانت تعرف أن الوقت والمسافة مختلفان على الجانب الآخر من (بوابة الطريق)، لقد تحركت قبل أن تفكر.

لم يكن هناك سوى الظلام حولها في كل اتجاه، باستثناء مستطيل (بوابة الطريق) المفتوحة، كنافذة من زجاج معتم عند رؤيته من الجانب، لا تسمح لأي ضوء بالدخول - بدا أن الظلام يقاوم الضوء - ولكن من خلالها استطاعت (إيجوين) أن ترى الأخريات يتحركن ببطء شديد كأشخاص في كابوس. كانت (ناينيف) تصر على توزيع المصابيح ذات العصي وإضاءتها، وكانت (لياندرين) تقبل على مضض، ومن الواضح أنها تصر على الإسراع.

عندما جاءت (ناينيف) عبر (بوابة الطريق) تتقدم فرسها الرمادية ببطء شديد كادت (إيجوين) أن تركض لمعانقتها، كما شعرت بالامتنان للمصباح الذي تحمله (ناينيف). لقد صنع المصباح دائرة من الضوء أصغر مما يفترض به، فقد بدت الظلمة كأنها تضغط على الضوء محاولة إعادته إلى المصباح. ولكن (إيجوين) قد بدأت تشعر بالظلام يضغط عليها وكأنه حمل ثقيل. بدلاً من هذا اكتفت بأن قالت: «(بيلا) بخير، ولم أكسر رقبتني كما كنت أستحق».

ذات يوم كان هناك ضوء في (الطرق)، قبل أن تندنس (القوة الواحدة) التي قد صُنعت بها في البداية، قبل أن يُفسدها تدنيس (سيد الظلام) للسايدين.

وضعت (ناينيف) عصا المصباح بين يديها، ثم التفتت لتجذب آخر من تحت حزام سرجها. تمنت: «ما دمت تعترفين أنك تستحقينه إذن فأنت لا تستحقينه». وفجأة ضحكت قائلة: «أعتقد أن أقوالاً مثل هذه هي التي صنعت لقب الحكيمة أكثر من أي شيء آخر. حسناً، إليك مقولة أخرى، إن كسرت عنقك فسأحرص على إصلاحه لكي أكسره مرة أخرى».

لقد قالتها بمرح، ووجدت (إيجوين) نفسها تضحك بدورها، قبل أن تتذكر أين هي، ولم يستمر مرح (ناينيف) لوقت طويل أيضاً.

جاءت (مين) و(إيلان) عبر (بوابة الطريق) في تردد تتقدمان حصانيهما وتحملان مصباحين، ومن الواضح أنهما تتوقعان أن تجدا وحوشاً تنتظرهما. بدا عليهما الارتياح في البداية لأنهما لم تجدا سوى الظلمة، ولكن الضغط الهائل للظلمة جعلهما تتمللان في توتر على أقدامهما. أعادت (لياندرين) ورقة

(الأفنديسورا) إلى موضعها، ثم تحركت على صهوة حصانها عبر مصراعي (بوابة الطريق) المغلقين وهي تجذب وراءها حصان البضائع.

لم تنتظر (لياندرين) حتى تنغلق البوابة، بل ألقت بلجام حصان البضائع إلى (مين) دون كلمة، وبدأت تتحرك على خط أبيض يظهر بشكل خافت على ضوء مصباحها، لتقودهن عبر (الطرق). بدت الأرضية حجرية، متآكلة ومثقوبة بفعل حمض. صعدت (إيجوين) في عجلة على ظهر (بيلا)، ولكنها لم تسرع في اللحاق (بالآيز سيداي) أكثر من أي واحدة أخرى. بدا أنه ليس هناك شيء في العالم سوى الأرضية الخشنة تحت حوافر الخيول.

كان الخط الأبيض يمتد للأمام كسهم مستقيم عبر الظلمة إلى لوح حجري كبير مغطى بكتابة (أوجير) مطعمة بالفضة، نفس الثقوب التي أصابت الأرضية قد أفسدت النص في عدة أماكن.

تمتمت (إيلالين) وهي تدور في سرجها لتتلفت حولها في توتر: «هذا (دليل). لقد علمتني (إيليدا) القليل عن (الطرق). لم تقل الكثير، ليس ما يكفي». ثم أضافت بوجوم: «أوربا قالت أكثر من اللازم».

بهدهوء راحت (لياندرين) تقارن (الدليل) مع ورقة، ثم أعادتها إلى جيب عباءتها قبل أن تتمكن (إيجوين) من إلقاء نظرة عليها.

كان ضوء المصابيح يتوقف فجأة بدلاً من أن يتلاشى بشكل تدريجي عند الحواف، ولكنه كان كافياً لكي ترى (إيجوين) درابزين حجرياً سميكاً متآكلاً في عدة أماكن، بينما (الآيز سيداي) تتقدمهن مبتعدات عن (الدليل). لقد أطلقت عليها (إيلالين) اسم (جزيرة)، وكان الحكم على حجم (الجزيرة) صعباً بسبب الظلام، ولكن (إيجوين) خمنت أنها قد تكون بعرض مئة خطوة.

كانت الجسور والمنحدرات الحجرية تحترق الدرابزين، وكل منها إلى جانبه عمود حجري عليه صقر واحد من كتابة (الأوجير). بدا وكأن الجسور تمتد إلى لا شيء، والمنحدرات تؤدي إلى أعلى أو أسفل، ومن المستحيل رؤية أكثر من بداية أي منها أثناء مرورهن.

لم تتوقف (لياندرين) إلا لإلقاء نظرة على الأعمدة الحجرية، ثم سلكت منحدرًا يؤدي إلى الأسفل، وسرعان ما لم يعد هناك شيء سوى المنحدر والظلام. كان هناك صمت ثقيل مخيمًا على كل شيء، وأحست (إيجوين) أنه حتى قعقة حوافر الخيول على الأرض الحجرية الخشنة لا تبتعد أكثر من حافة الضوء.

ظل المنحدر يمتد لأسفل، متقوسًا على نفسه حتى وصل إلى (جزيرة) أخرى بها درابزين متكسر ما بين الجسور والمنحدرات، و(دليل) قارنته (لياندرين) مع ورقتها. بدت (الجزيرة) وكأنها حجر صلب، تمامًا مثل (الجزيرة) الأولى. تمت (إيجوين) لو أنها لم تكن متيقنة من أن (الجزيرة) الأولى فوق رؤوسهن مباشرة.

تحدثت (ناينيف) فجأة معبرة عن أفكار (إيجوين)، بدا صوتها ثابتًا ولكنها توقفت في منتصف حديثها لتزدرد لعابها.

قالت (إيلان) بصوت خافت: «ربما... ربما تكون كذلك». رفعت عينيها لأعلى، وعلى الفور خفضتها مرة أخرى. «قالت (إيليدا) إن قواعد الطبيعة لا تسري على (الطرق)، أو على الأقل ليست مثلما تسري بالخارج».

تمتتم (مين): «بحق (النور)!». ثم رفعت صوتها قائلة: «إلى متى تعتقدن أننا سنبقى هنا؟». أدارت (الآيز سيدي) ذات الجدائل العسلية رأسها لتنظر إليهن، ثم قالت ببساطة: «حتى أخرجكن، كلما طال إزعاجكن لي طال بقاؤكن هنا». ثم عادت لتفحص الورقة و(الدليل).
لاذت (إيجوين) والأخريات بالصمت.

انطلقت (لياندرين) من (دليل) إلى آخر، عبر منحدرات وجسور تبدو وكأنها تمتد بلا شيء يدعمها عبر الظلام اللانهائي. لم تُعر (الآيز سيدي) بقيتهن اهتماماً، وتساءلت (إيجوين) إذا ما كانت (لياندرين) ستعود للبحث عن إحداهن إذا تخلفت عن الركب. ربما راودت الأخريات الفكرة نفسها، فقد كن جميعاً يتبعن الفرس السوداء عن كثب.

اندهشت (إيجوين) عندما أدركت أنها لا تزال تشعر بجاذبية (السايدار)، بحضور النصف الأنثوي من (المصدر الحقيقي) والرغبة في لمسه وتسخير تدفقه. بطريقة ما كانت تعتقد أن دنس (الظل) على (الطرق) سيخفيه عنها. كانت قادرة على الشعور بالدنس بطريقة ما، وإن كان خافتاً ولا علاقة له (بالسايدار)، ولكنها كانت متيقنة من أن لمس (المصدر الحقيقي) هنا سيكون أشبه بكشف ذراعها إلى دخان قذر دهني من أجل الوصول إلى كوب نظيف. أياً كان ما تفعله فسيكون مدنساً. ولأول مرة منذ أسابيع لم تجد أي صعوبة على الإطلاق في مقاومة جاذبية (السايدار).

كان الوقت قد اقترب من منتصف الليل في العالم خارج (الطرق) عندما ترجلت (لياندرين) فجأة من على فرسها على إحدى (الجزر) وأعلنت أنهم سيتوقفون من أجل تناول العشاء والنوم، وأن هناك طعاماً على صهوة حصان البضائع.

قالت دون أن تبالي بتكليف واحدة معينة بالمهمة: «فلتوزعنه، سيستغرق منا الأمر يومين للوصول إلى (تومان هيد)، ما كنت لأسمح بوصولكن جائعات لو لم تكن حمقاوات بما يكفي لئلا تجلبن طعامكن بأنفسكن». في حيوية فكت سرج فرسها وقيدتها ثم جلست على سرجها وانتظرت أن تحضر لها إحداهن شيئاً لتأكله.

حملت (إيلان) الخبز والجبن إلى (لياندرين). أوضحت (الآيز سيدي) أنها لا تريد صحبتهن لذا تناول بقيتهن الخبز والجبن بعيداً عنها بعض الشيء، جالسات على سروجهن، متقاربات من بعضهن بعضاً. لم يكن لديهن شهية حقيقية بسبب الظلمة من وراء المصابيح.

بعد بعض الوقت قالت (إيجوين): «ماذا سنفعل إن واجهنا (الرياح السوداء) يا (لياندرين سيدي)؟». شكّلت (مين) الكلمة بشفتيها في تساؤل دون أن تتكلم، بينما أصدرت (إيلان) صرخة. «قالت (مويرين

سيداي) إنه لا يمكن قتلها أو إيذاؤها إلى حد كبير، ويمكنني أن أشعر بالدنس في هذا المكان ينتظر لتشويه أي شيء نفعله (بالقوة الواحدة)».

قالت (لياندرين) بحدة: «ليس عليك حتى أن تفكري في (المصدر) ما لم أمرك بهذا. إن حاولت واحدة منكن التسخير هنا، في (الطرق)، فقد تصاب بالجنون مثل الرجال. إنكن لم تتلقين التدريب الكافي للتعامل مع دنس أولئك الرجال الذين صنعوا هذا المكان. إن ظهرت (الرياح السوداء) فسوف أتعامل معها». زمت شفيتها وهي تتفحص قطعة من الجبن الأبيض ثم قالت: «إن (مويرين) لا تعرف الكثير كما تعتقد». وضعت الجبن في فمها مبتسمة.

«إنها لا تعجبني». قالتها (إيجوين) بصوت خافت للغاية للتيقن من أن (الآيز سيداي) لن تسمعها. قالت (ناينيف) بصوت خافت: «إن كان بمقدور (مويرين) العمل معها فيمكننا هذا أيضًا، هذا لا يعني أنني أحب (مويرين) أكثر من (لياندرين)، ولكن إن كن يتدخلن في شئون (راند) والآخرين مرة أخرى...». لاذت بالصمت وهي تضم العباءة على جسدها. لم تكن الظلمة باردة، ولكن بدا أنها يفترض أن تكون كذلك.

تساءلت (مين): «ما (الرياح السوداء) هذه؟». عندما شرحت (إيلان) مستعينة بالكثير مما قالته (إيليدا) ومما قالته أمها تنهدت (مين) وقالت: «هناك الكثير الذي يجب أن يجيب (النمط) عنه، لا أعتقد أن أي رجل يستحق هذا».

ذكرتها (إيجوين): «لم يكن يجب عليك المجيء. كان بمقدورك المغادرة في أي وقت، لم يكن أحد ليحاول منعك من مغادرة (البرج)».

قالت (مين) بسخرية: «أوه، كان بمقدوري التجول بعيدًا بسهولة مثلك أو مثل (إيلان). (النمط) لا يبالي بما نريده. ماذا لو أن (راند) لم يتزوجك بعد كل ما تمرين به من أجله يا (إيجوين)؟ ماذا لو تزوج امرأة لم تريها من قبل، أو تزوج (إيلان)، أو تزوجني؟ ماذا ستفعلن حينها؟». ضحكت (إيلان) قائلة: «لن توافق أُمي أبدًا».

ظلت (إيجوين) صامتة لبعض الوقت، قد لا يتزوج (راند) أي امرأة، وإن فعل... لم تستطع تخيل (راند) يؤذي أي شخص. ولا حتى بعد أن يصبح مجنونًا؟ يجب أن تكون هناك طريقة ما لإيقاف هذا، طريقة ما لتغييره. (الآيز سيداي) يعرفن الكثير، ويمكنهن أن يفعلن الكثير. إن كان بمقدورهن إيقافه فلم لم يفعلن؟ الإجابة الوحيدة هي أنهن لا يستطعن، وهذا ليس ما تريده.

حاولت أن تضفي المرح على صوتها وهي تقول: «لا أفترض أنني سأتزوجه، أنت تعرفين أن (الآيز سيداي) نادرًا ما يتزوجن، ولكني ما كنت لأعلق قلبي عليه لو كنت في موضعك، أو أنت يا (إيلان). أنا لا أعتقد...». اختنق صوتها فسعلت لتخفي الأمر. «لا أعتقد أنه سيتزوج أبدًا، ولكن إن فعل فأتمنى الخير لمن سيتهي بها المطاف معه، حتى لو كانت واحدة منكم». فكرت أنها تبدو وكأنها تقصد ما قالته. «إنه عنيد

كالبغل، ومنتشبت برأيه بشكل مرضي، ولكنه لطيف». ارتجف صوتها، ولكنها استطاعت أن تحول الارتجافة إلى ضحكة.

قالت (إيلين): «مهيا قلت إنك لا تبالين فأعتقد أنك ستوافقين على الأمر أقل من موافقة أُمي، إنه مثير للاهتمام يا (إيجوين)، أكثر إثارة للاهتمام من أي رجل قابلته على الإطلاق، حتى لو كان راعي غنم. إن كنت حمقاء بما يكفي للتخلي عنه فلا تلومين إلا نفسك إن قررت أن أواجهك أنت وأُمي. لن تكون المرة الأولى التي لا يحمل فيها (أمير أندور) لقبًا قبل زواجه. ولكنك لن تكوني بهذه الحماقة، لذا لا تحاولي التظاهر بأنك ستكونين كذلك. لا شك أنك ستختارين (الآجاء الخضراوات) وستجعلينه واحدًا من (هُماتك). لا توجد خضراء لها (حام) واحد إلا وهي متزوجة منه».

أجبرت (إيجوين) نفسها على مجازاة الأمر قائلة إنها لو صارت (خضراء) فسيكون لديها عشرة (حماء). راقبتها (مين) وهي تعقد حاجبيها، وكانت (ناينيث) تراقب (مين) وهي تفكر. خيمَ عليهن الصمت بينما يخرجن من أكياس سروجهن ثيابًا أكثر ملاءمة للسفر. لم يكن من السهل الحفاظ على الروح المعنوية في هذا المكان.

جاء النوم ببطء إلى (إيجوين)، وكان نومًا متقطعًا مليئًا بالكوابيس. لم تحلم (براند)، بل بالرجل ذي العينين المشتعلتين. لم يكن وجهه مقنعًا هذه المرة، وكان شنيعًا بآثار حرق لم تُشفَ بشكل كامل. اكتفى بالنظر إليها والضحك، ولكن هذا كان أسوأ من الأحلام التي تلتها، أحلام عن كونها ضائعة في الطرق إلى الأبد، تلك الأحلام التي تطاردها فيها (الرياح السوداء). أحست بالامتنان عندما انغرس طرف حذاء (لياندرين) في ضلوعها لإيقاظها، وقد شعرت كأنها لم تنم على الإطلاق.

لقد جعلتهن (لياندرين) يتحركن بوتيرة سريعة في اليوم التالي، أو ما مر كأنه يوم، فلم يكن لديهن شمس سوى مصابيحهن، دون أن تدعهن يتوقفن للنوم إلا بعد أن صرن يتأرجحن في سروجهن. لقد مثلت الأحجار فراشًا صلبًا، ولكن (لياندرين) أيقظتهن بقسوة بعد بضع ساعات، ولم تنتظر أن يمتطين خيولهن قبل أن تبدأ في التقدم. لقد رأت (إيجوين) الكثير من المنحدرات والجسور و(الجزر) و(الأدلاء) في تلك الظلمة الدامسة، حتى إنها لم تستطع أن تحصي عددها. لم تعد قادرة حتى على أن تحصي الساعات أو الأيام. لم تسمح لهن (لياندرين) إلا بالتوقف لفترات وجيزة لتناول الطعام وإراحة خيولهن، وكان الظلام ثقیلاً على أكتافهن. لقد انكمشن في سروجهن كجالات من الحبوب، باستثناء (لياندرين). بدت (الآيز سيدي) وكأنها لا تتأثر بالتعب أو الظلام، لقد كانت في قمة نشاطها مثلما كانت في (البرج الأبيض)، وبنفس البرود. لم تسمح لأي منهن بإلقاء نظرة على الورقة التي تقارنها (بالأدلاء)، وعندما سألتها (ناينيث) وضعتها في جيبتها قائلة باقتضاب: «إنه شيء لا يمكنك أن تفهميه».

ولاحقًا بينما (إيجوين) ترمش بعينيها في تعب كانت (لياندرين) تبتعد عن (دليل)، ليس ناحية جسر أو منحدر آخر، بل على طول خط أبيض منقط يؤدي إلى الظلمة. حدثت (إيجوين) إلى صديقاتها ثم أسرعن

جميعًا للحاق بها. أمامهن على ضوء مصباحها كانت (الآيز سيدي) تزيل ورقة (الأفنديسورا) من النقوش على (بوابة طريق).

قالت (لياندرين) مبتسمة: «لقد وصلنا. لقد جلبتكن أخيرًا إلى المكان الذي يجب أن تذهبن إليه».

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الأربعون

الداماني

ترجلت (إيجوين) عن فرسها بينما (بوابة الطريق) تفتح، وعندما أشارت لهن (لياندرين) بالمرور جذبت الفرس الشعثاء من ورائها بحذر، ومع ذلك تعثرت هي و(بيلا) في الشجيرات المنبسطة بفعل فتح (بوابة الطريق)، عندما بدا فجأة أنها تتحركان ببطء شديد. كان هناك ستار من الشجيرات الكثيفة تحيط (ببوابة الطريق) المخفية. لم يكن هناك سوى بعض الأشجار القليلة على مسافة قريبة، وأوراقها تصدر حفيفاً مع نسيم الصباح، وبها ألوان أكثر بعض الشيء من ألوان الأوراق في (تارقالون).

كانت تراقب صديقاتها يخرجن من ورائها، وقد استغرقت دقيقة كاملة قبل أن تدرك أن هناك آخرين موجودين بالفعل على الجانب الآخر من (البوابة) خارج نطاق الرؤية. عندما لاحظتهم حدقت إليهم في ريبة، كانوا أغرب مجموعة تراها على الإطلاق، وقد سمعت الكثير من الشائعات عن الحرب في (تومان هيد).

رجال مسلحون، على الأقل خمسون منهم، بصفائح معدنية متداخلة على صدورهم وخوذات سوداء أشبه برؤوس حشرات، جالسين في سروجهم أو واقفين إلى جانب خيولهم، يحدقون إليها وإلى النسوة اللاتي يخرجن من (بوابة الطريق) وهم يتمتمون فيما بينهم. الرجل الوحيد حاسر الرأس بينهم كان طويلاً بوجه داكن وأنف معقوف، يقف واضعاً خوذة مطلية ومذهبة على خصره، وهو ينظر في دهشة إلى ما يراه. كان هناك نسوة بصحبة الجنود أيضاً؛ امرأتان ترتدي كل منهما فستاناً رمادياً بسيطاً وياقة فضية عريضة، تحدقان باهتمام إلى الخارجات من (بوابة الطريق)، وكل منهما معها امرأة أخرى تقف وراءها على مسافة قريبة كما لو أنها مستعدة للحديث في أذنها. كان هناك امرأتان أخريان تقفان على مسافة متقاربة ترتدي كل منهما تنورة واسعة مقسمة تصل إلى كاحليها وأشرطة مطرزة بصواعق متشعبة على صدرها وتنورتها. أغرب ما في الأمر كان المرأة الأخيرة، المضطجعة في هودج يحمله ثلاثة رجال عراة الصدور مفتولو العضلات يرتدون سراويل سوداء فضفاضة. كان جانباً رأسها حليق، ولا يتبقى سوى خصلة عريضة من الشعر الأسود تنسدل على ظهرها. كانت ترتدي روباً طويلاً بلون زبدي مطرز بالزهور والطيور على أشكال بيضاوية زرقاء مرتبة بعناية لإظهار تنورتها ذات الثنيات البيضاء، وكانت أظافر أصابعها بطول بوصة، وأول ظفرين من كل يد مطليان باللون الأزرق.

تساءلت (إيجوين) في توتر: «هل تعرفين هؤلاء الأشخاص يا (لياندرين سيدي)؟». كانت صديقاتها يمسكن بألجمة خيولهن كأنها يتساءلن إن كان عليهن امتطاء الخيول والهرب، ولكن (لياندرين) أعادت ورقة (الأنفنديسورا) إلى موضعها وخطت إلى الأمام بثقة بينما (بوابة الطريق) تبدأ في الانغلاق. قالت (لياندرين): «(السيدة السامية سوروث)؟». كان شيئاً ما بين السؤال والتقرير.

أومأت المرأة الجالسة على الهودج برأسها جزئياً وقالت: «أنتِ (لياندرين)». كان حديثها مدغمًا، واحتاجت (إيجوين) لحظة لكي تفهم. أضافت (سوروث) وهي تلوي شفيتها: «(الآيز سيدي)». فتعالت متممة بين الجنود. «يجب أن ننتهي من الأمر هنا سريعًا يا (لياندرين)، هناك دوريات حراسة، ليس من مصلحتنا أن يعثروا علينا. أنتِ لن تستمتعي باهتمام (الباحثين عن الحقيقة) أكثر من استمتاعي به. أنا أنوي العودة إلى (فالبي) قبل أن يعرف (توراك) أنني قد رحلت».

تساءلت (ناينيف): «ما الذي تتحدثين عنه؟ ما الذي تتحدث عنه يا (لياندرين)؟». وضعت (لياندرين) يداً على كتف (ناينيف) والأخرى على كتف (إيجوين) وقالت: «هاتان هما الاثنتان اللتان أخبرتكِ عنهما، وهناك أخرى». أومأت برأسها ناحية (إيلان). «إنها ولية عهد (أندور)». اقتربت المراتان ذاتا الفستانين المزينين بالصواعق من المجموعة الواقفة أمام (بوابة الطريق) - لاحظت (إيجوين) أنها تحملان لفائف من معدن فضي - وجاء معهما الجندي حاسر الرأس. لم يضع يده بالقرب من مقبض السيف البارز من فوق كتفه، وكان يبتسم ابتسامة بسيطة، ورغم ذلك ظلت (إيجوين) تراقبه عن كثب. لم يظهر على (لياندرين) أي علامة على الاضطراب وإلا لقفزت (إيجوين) على ظهر (بيلا) على الفور. قالت بإلحاح: «من هؤلاء الأشخاص يا (لياندرين سيدي)؟ هل هم هنا لمساعدة (راند) والآخرين أيضًا؟».

أمسك الرجل ذو الأنف المعقوف (مين) و(إيلان) من ياقتيهما، وفي لحظة بدا أن كل شيء قد حدث في الوقت ذاته. أطلق الرجل سبة، وصرخت امرأة، أو ربما أكثر من امرأة، لم تكن (إيجوين) متيقنة. فجأة تحول النسيم إلى رياح تعصف بصراخ (لياندرين) الغاضب في سحب من الغبار وأوراق الشجر جعلت الأشجار تن وتثني. رفعت الخيول قوائمها الأمامية وراحت تصهل بحدة. مدت إحدى المراتين يديها وربطت شيئًا حول عنق (إيجوين).

كانت عباءة (إيجوين) تحقق كالشراع وهي تقاوم الرياح وتجذب ما شعرت أنه طوق من معدن أملس. لم يتزحزح تحت أصابعها المحمومة، وشعرت أنها قطعة واحدة، رغم أنها متيقنة من وجود مشبك من نوع ما. انزلقت الحلقات الفضية التي تمسك بها المرأة على كتف (إيجوين)، وبدا أن طرفها الآخر ملتحم بسوار لامع على معصم المرأة الأيسر. كوّرت (إيجوين) قبضتها بإحكام وضربت المرأة بأقوى ما تستطيع في عينها مباشرة... ثم ترنحت وسقطت على ركبتيها وهي تشعر بطنين في رأسها. لقد شعرت وكأن رجلاً ضخماً قد ضربها في وجهها.

عندما استطاعت أن تعتدل واقفة مرة أخرى كانت الرياح قد خمدت. بعض الخيول قد تحررت، ومن بينها (بيلا) و(فرس (إيلان))، وراح بعض الجنود يسبون وهم ينهضون من على الأرض. كانت (لياندرين) هادئة وهي تنفض الغبار وأوراق الشجر عن فستانها، و(مين) جاثية على ركبتيها مستندة إلى يديها وهي تحاول النهوض بضعف، والرجل ذو الأنف الخطافي واقف أمامها ويده تقطر دمًا. كان سكين (مين) ملقى بعيدًا

عن متناول يدها وقد تلطخ نصله بالدماء الحمراء على أحد جانبيه. لم يكن هناك أي أثر (لناينيف) و(إيلان)، وقد اختفت فرس (ناينيف) أيضًا، وكذلك بعض الجنود وإحدى المرأتين. كانت المرأتان الأخريان لا تزالان موجودتين، واستطاعت (إيجوين) أن ترى أنهما مرتبطتان بحبل فضي تمامًا مثل الحبل الذي يربطها بالمرأة التي تقف إلى جانبها.

كانت المرأة تفرك وجنتها بينما تجلس القرفصاء إلى جانب (إيجوين)، وقد ظهرت كدمة بالفعل حول عينها اليسرى. كانت جميلة بشعر أسود طويل وعينين بنيتين واسعتين، وربما تكبر (ناينيف) بعشرة أعوام. قالت بحزم: «هذا هو درسك الأول». لم يكن هناك أي عداء في صوتها، بل كاد أن يبدو وديًا. «لن أعاقبك أكثر هذه المرة، بما أنني كان يجب أن أكون حذرة مع (داماني) قد أمسك بها حديثًا. فلتعري هذا، أنت (داماني)، (ملجومة)، وأنا (سولدام)، (حاملة اللجام). عندما يحدث ارتباط بين (الداماني) و(السولدام) فإن أي أذى ينال (السولدام) تشعر (الداماني) بضعفه، حتى الموت. لذا يجب أن تتذكري أن عليك ألا تحاولي مهاجمة (السولدام) بأي شكل من الأشكال، ويجب عليك أن تحمي (السولدام) الخاصة بك أكثر من حماية نفسك. أنا (رينا). ما اسمك؟».

تمتت (إيجوين): «أنا لست... أيًا كان ما قلته». جذبت الطوق مرة أخرى، ولكنه لم يلن أكثر من ذي قبل. فكرت في إسقاط المرأة أرضًا ومحاولة انتزاع السوار من معصمها، ولكنها نحت الفكرة جانبًا على الفور، فحتى لو لم يحاول الجنود إيقافها - لقد بدا حتى الآن أنهم يتجاهلوننا هي و(رينا) تمامًا - فإن لديها إحساسًا أن المرأة تقول الحقيقة؛ إن لمس عينها اليسرى جعل وجهها يتقلص ألمًا، ولكنها لم تشعر أن عينها منتفخة، لذا ربما لم تكن في الواقع تعاني من كدمة تُشبه كدمة (رينا)، ولكنها لا تزال تؤلمها. عينها اليسرى وعين (رينا) اليسرى. رفعت صوتها قائلة: «(لياندرين سيدي)؟ لم تسمحين لهم بفعل هذا؟». نفضت (لياندرين) الغبار عن يديها دون أن تنظر ناحيتها.

قالت (رينا): «أول شيء يجب أن تتعلميه هو أن تفعلي ما يُطلب منك ودون تأخير».

شهقت (إيجوين)، فجأة شعرت بحرق في جلدها ووخز كأنها تتدحرج في نبات القراص، من باطن قدميها وحتى فروة رأسها. راحت تلوح برأسها عندما ازداد إحساسها بالاحتراق.

أكملت (رينا) حديثها بالنبرة نفسها التي تكاد أن تكون ودية: «العديد من (السولدام) لا يعتقدون أنه يجب السماح (للداماني) بأن يكون هن أساء، أو على الأقل ليس أساءًا من اختيارهن، ولكني أنا من أخذتك، لذا سأكون مسؤولة عن تدريبك، وسأسمح لك بالإبقاء على اسمك، هذا إن لم تغضبيني كثيرًا، فأنا مستاءة منك بعض الشيء الآن. هل ترغبين حقًا في المواصله حتى أصير غاضبة؟».

ارتجفت (إيجوين) وهي تجز على أسنانها، وغرست أظافرها في راحتي يديها، بينما تحاول ألا تخمش بشكل جامح. أيتها الحمقاء! إنه اسمك فحسب. استطاعت أن تقول: «(إيجوين). أنا (إيجوين ألفير)». وعلى الفور تلاشى الإحساس الحارق، فأطلقت زفيرًا طويلًا مرتجفًا.

قالت (رينا): «(إيجوين)، إنه اسم جميل». شعرت (إيجوين) بالرعب عندما ربتت (رينا) على رأسها كأنها تربت على رأس كلب.

عندها أدركت أن ما شعرت به في صوت المرأة هو نوع من التسامح مع كلب أثناء التدريب، وليس ودية إنسان تجاه إنسان آخر.

ضحكت (رينا) وقالت: «الآن صرت أكثر غضبًا، إن كنتِ تنوين ضربي مرة أخرى فتذكري أن تضربي ضربة صغيرة لأنك ستشعرين بضعف ما سأشعر به. لا تحاولي التسخير، فلن تستطيعي فعل هذا دون أمر واضح مني».

نبضت عين (إيجوين) ألمًا. دفعت نفسها للوقوف على قدميها وحاولت أن تتجاهل (رينا) قدر ما يمكنك تجاهل شخص يمسك بلجام مربوط إلى طوق حول عنقك. احمرت وجنتاها عندما ضحكت المرأة الأخرى من جديد. حاولت أن تذهب إلى (مين) ولكن القدر الذي تخلت عنه (رينا) من اللجام لم يسمح لها بالوصول إلى هذا الحد. قالت بصوت خافت: «هل أنت بخير يا (مين)؟».

اعتدلت (مين) ببطء على كاحليها، وأومأت برأسها، ثم وضعت يديها على رأسها كما لو أنها تتمنى لو أنها لم تحركها.

ومض برق في السماء قبل أن يضرب الأرض بين الأشجار على مسافة قريبة، جفلت (إيجوين) ثم ابتسمت فجأة، لا تزال (ناينيف) حرة، وكذلك (إيلان). إن كان هناك أي شخص يمكنه تحذيرها هي و(مين) فسيكون (ناينيف). تلاشت ابتسامتها وهي تتحول إلى نظرة حادة صوبتها ناحية (لياندرين). أيا كان السبب وراء خيانة (الآيز سيداي) لهن فسيكون هناك حساب، يومًا ما، بطريقة ما. لم تُجدِ النظرة الحادة نفعا، فلم تكن (لياندرين) قد أبعدت نظرها عن الهودج.

جثا الرجال عراة الصدور على ركبهم وأنزلوا الهودج على الأرض فترجلت (سوروث) وهي تهدم رובהا بحرص، ثم خطت ناحية (لياندرين) بقدمين تتعلان نعلًا رقيقًا. كانت المرأتان متماثلتين في الحجم. عينان بنيتان تحدقان بنبات إلى عينين سوداوين.

قالت (سوروث): «كان يُفترض بك أن تجلبي اثنتين، وبدلاً من هذا لدي واحدة فقط، وهناك اثنتان طليقتان، إحدهما أقوى بكثير مما جعلتني أعتقد. ستجذب كل دورية من دوريات حراستنا في نطاق فرسخين».

قالت (لياندرين) بهدوء: «لقد جلبت لك ثلاثة، إن كنتِ لا تستطيعين الاحتفاظ بهن فربما يجب على سيدنا أن يجد شخصًا آخر بينكم لخدمته. أنتِ تخافين من أشياء تافهة. إن جاءت دوريات الحراسة اقتلهم». ومض البرق مرة أخرى في الأفق القريب، وبعد لحظات دوى صوت كالرعد على مسافة غير بعيدة من الموضع الذي ضربه البرق، وتصاعدت سحابة من الغبار في الهواء. لم يبدُ على (لياندرين) أو (سوروث) أنها قد لاحظتا هذا.

قالت (سوروث): «لا يزال بمقدوري أن أعود إلى (فالمي) مع اثنتين جديدتين من (الداماني). يحزنني أن أسمع لـ... (آيز سيدي)...». قالت الكلمة كأنها سبة. «أن تظل حرة». لم يتغير وجه (لياندرين)، ولكن (إيجوين) رأت هالة تنوهج حولها فجأة.

صاحت (رينا): «احذري يا (سيدتي السامية)، إنها تتأهب!».

حدثت جلبة بين الجنود الذين مدوا أيديهم إلى السيوف والرماح، ولكن (سوروث) اكتفت بأن شبكت يديها، مبتسمة إلى (لياندرين) من فوق أظافرها الطويلة قائلا: «لن تفعل أي شيء ضدي يا (لياندرين)، سيكون سيدنا مستاءً، لأنه بالتأكيد يحتاج إليّ هنا أكثر منك، وأنتِ تخشينه أكثر من خشيتك أن تصيري (داماني)».

ابتسمت (لياندرين)، على الرغم من أن البقعتين البضاوين اللتين غطتا وجنتيها أشارتا إلى كونها غاضبة. «وأنتِ يا (سوروث) تخشينه أكثر من خشيتك أن تحترقي إلى رماد حيث تقفين».

«هذا صحيح، نحن الاثنان نخشاه، ولكن احتياجات سيدنا ستتغير مع الوقت. كل (الماراثداماني) سيُلجمن في نهاية المطاف. ربما أكون أنا من يضع الطوق حول عنقك الجميل».

«كما تقولين يا (سوروث)، احتياجات سيدنا سوف تتغير، سأذكرك بهذا في اليوم الذي تركعين فيه أمامي». فجأة اشتعلت النيران في شجرة أوراق جلدية، على مسافة ميل تقريباً.

قالت (سوروث): «لقد صار هذا مملاً، فلستدعهم يا (إلبار)». أخرج الرجل ذو الأنف المعقوف بوقاً لا يزيد حجماً عن قبضته، وأطلق نفيراً خشناً ثاقباً.

قالت (لياندرين) بحدة: «يجب أن تعثري على تلك المرأة المدعوة (ناينيث)، (إيلان) ليست مهمة، ولكن تلك المرأتين وهذه الفتاة هنا يجب أخذهن معكن عندما تبجلون».

«أعرف الأوامر جيداً أيتها (الماراثداماني)، رغم أنني سأدفع أي ثمن لأعرف السبب».

قالت (لياندرين) ساخرة: «لن تعرفي أكثر من المسموح لك بمعرفته يا طفلي، تذكرني أنك تخدمين وتطيعين. يجب نقل هاتين الاثنتين إلى الجانب الآخر من (محيط آريث) وإبقاؤهما هناك».

قالت (سوروث) بكبرياء: «لن أبقى هنا لكي أجد (ناينيث) هذه، ستتفني الحاجة إلينا بالنسبة لسيدنا إن سلمنا (توراك) إلى (الباحثين عن الحقيقة)». فتحت (لياندرين) فمها في غضب ولكن (سوروث) رفضت أن تسمح لها بأن تنطق بكلمة. «لن تبقى المرأة حرة لوقت طويل، لن تبقى أي واحدة منهن حرة، عندما نبحر مرة أخرى سنأخذ معنا كل امرأة في هذه البقعة التعيسة من الأرض يمكنها التسخير ولو قليلاً، بلجام وطوق حول عنقها. إن كنتِ تريدين البقاء والبحث عنها فلتفعلي هذا، دوريات الحراسة ستأتي قريباً، من أجل الاشتباك مع الغوغاء الذين لا يزالون مختبئين في هذه البرية. بعض الدوريات تأخذ (الداماني) معها ولا يباليون أي سيد تخدمه. إن نجوت من المواجهة فإن اللجام والطوق سيعلمانك الحياة الجديدة، ولا أعتقد أن سيدنا سيكلف نفسه عناء إنقاذ امرأة حمقاء بما يكفي للسماح لنفسها بأن يُقبض عليها».

قالت (لياندرين) بحزم: «إن سُمح لأي منهما بالبقاء هنا فإن سيدنا سيكلف نفسه عناء التعامل معك يا (سوروث). خذي كلتيهما أو ادفعي الثمن». سارت بخطوات واسعة نحو (بوابة الطريق) ممسكة بزمام فرسها. سرعان ما انغلقت وراءها.

عاد الجنود الذين ذهبوا وراء (ناينيث) و(إيلان) مهرولين بخيولهم، مع المراتين اللتين يربط بينهما لجام وطوق وسوار؛ (الداماني) و(السولدام)، تركبان حصانيهما جنبًا إلى جنب. كان هناك ثلاثة رجال يجذبون خيولًا على سروجها جثث. شعرت (إيجوين) بموجة من الأمل عندما أدركت أن الجثث جميعها ترتدي دروعًا، لم يتمكنوا من القبض على (ناينيث) أو (إيلان).

كانت (مين) على وشك النهوض، ولكن الرجل ذا الأنف المعقوف وضع حذائه بين كتفيها ودفعها إلى الأرض. راحت تلهث لالتقاط أنفاسها وهي ترتعش بضعف. قال: «أرجو الإذن بالحديث يا (سيدتي السامية)». أشارت (سوروث) بيدها في حركة طفيفة، فأكمل الرجل حديثه قائلاً: «هذه الفلاحة قد جرحني يا (سيدتي السامية). إن لم يكن لدى (سيدتي السامية) أي استخدام لها...؟». أشارت (سوروث) بحركة طفيفة مرة أخرى وهي تستدير مبتعدة بالفعل، فمد يده من فوق كتفه إلى مقبض سيفه.

صاحت (إيجوين): «لا!». سمعت (رينا) تسب بصوت خافت، ثم غطى جلدها مرة أخرى ذلك الإحساس الحارق، أسوأ من ذي قبل، ولكنها لم تتوقف. «أرجوك! أرجوك! يا (سيدتي السامية)! إنها صديقتي!». اجتاحتها ألم حارق لم تشعر بمثله من قبل، كل عضلة في جسدها كانت متشنجة وسقطت على وجهها في التراب وهي تنن، ولكنها لا تزال تستطيع أن ترى نصل (إلبار) المقوس الثقيل يتحرر من غمده وتراه يرفعه بكلتا يديه. «أرجوك! أوه، (مين)!».

فجأة تلاشى الألم كأنها لم يكن، ولم يتبق سوى ذكراه. ظهر نعل (سوروث) الأزرق المخملي أمام وجهها وقد تلطخ بالتراب، ولكنها كانت تحديق ناحية (إلبار). ظل واقفًا هناك رافعًا سيفه فوق رأسه، واضعًا قدمه على ظهر (مين) بكل ثقله... ولكنه لم يتحرك.

قالت (سوروث): «هذه الفلاحة صديقتك؟».

كانت (إيجوين) على وشك الوقوف، ولكن (سوروث) رفعت حاجبًا في دهشة فظلت مستلقية حيث هي ولم ترفع سوى رأسها. يجب عليها أن تنقذ (مين)، حتى لو كان هذا يعني التذلل... فتحت شفتيها المشدودتين في محاولة للابتسام، ثم قالت: «أجل يا (سيدتي السامية)».

«وإن عفوت عنها وسمحت لها بأن تزورك من آن لآخر فهل ستعملين بجد، وتتعلمين ما يجب أن تتعلميه؟».

«سأفعل يا (سيدتي السامية)». كانت لتعد بالمزيد لتمنع ذلك السيف من شق جمجمة (مين). قالت لنفسها بمرارة: بل سأفي بالوعد ما دمت مضطرة لهذا.

قالت (سوروث): «ضع الفتاة على حصانها يا (إلبار)، وقيدها إن لم تكن قادرة على الجلوس في سرجها. إن ثبت أن هذه (الداماني) مخيبة للآمال فربما سأسمح لك بأن تحصل على رأس الفتاة». كانت تخطو بالفعل ناحية هودجها.

جذبت (رينا) (إيجوين) بقسوة لتقف على قدميها، ودفعتها ناحية (بيلا)، ولكن (إيجوين) كانت تنظر تجاه (مين). كان (إلبار) يتصرف مع (مين) بخشونة مثلما تتصرف (رينا) معها، ولكنها فكرت أن (مين) بخير. على الأقل تجاهلت (مين) محاولة (إلبار) ربطها في سرجها، وصعدت حصانها بمساعدة طفيفة فحسب.

بدأت المجموعة الغريبة في التحرك غربًا، تتقدمها (سوروث)، بينما (إلبار) على مسافة صغيرة وراء الهودج، ولكنه قريب بما يكفي للاستجابة سريعًا لأي استدعاء. كانت (رينا) و(إيجوين) تتحركان في المؤخرة بصحبة (مين) و(السولدام) و(الداماني) الأخريات من وراء الجنود. المرأة التي يُفترض بها على ما يبدو أن تضع الطوق حول عنق (ناينيف) كانت لا تزال تحمل اللجام وتبدو غاضبة. كانت الغابة المتفرقة تغطي أرضًا متعرجة، وسرعان ما تحول الدخان المتصاعد من شجرة الأوراق الجلدية إلى لطخة في السماء وراءهم.

بعد مرور بعض الوقت قالت (رينا): «كان شرف لك أن تتحدث إليك (السيدة السامية). في وقت آخر كنت سأسمح لك بارتداء شريط للإشارة إلى هذا الشرف، ولكن بما أنك لفت انتباهها إليك...».

صرخت (إيجوين) عندما شعرت كأن سوطًا قد ضرب ظهرها، ثم آخر على ساقها وذراعها. بدا أن الضربات تأتي من كل الاتجاهات. كانت تعرف أنه لا يوجد شيء لتصده، ولكنها لم تستطع منع نفسها من التلويح بذراعيها كأنها لتوقف الضربات. عضت على شفتها لتكتم تأوهاتا ولكن مع ذلك سالت الدموع على وجنتيها. أطلقت (بيلا) صهيلاً وراحت تراقص، ولكن قبضة (رينا) على اللجام الفضي منعها من حمل (إيجوين) بعيدًا. لم ينظر أي من الجنود وراءه حتى.

صاحت (مين): «ما الذي تفعلينه بها؟ (إيجوين)؟ كفي عن هذا!!».

قالت (رينا) ببساطة: «أنتن تعيشن على المعاناة يا... (مين)، أليس كذلك؟ فليكن هذا درسًا لك أيضًا، ما دمت تحاولين التدخل فلن يتوقف الأمر».

رفعت (مين) قبضتها ثم تركتها تهوي إلى جانبها. «لن أتدخل، فقط كفي عن هذا أرجوك. أنا آسفة يا (إيجوين)».

استمرت الضربات غير المرئية لبضع لحظات أخرى، وكأنها تريد أن تُظهر (مين) أن تدخلها لم يصنع فارقًا، ثم توقفت، ولكن (إيجوين) لم تستطع أن تتوقف عن الارتجاف. لم يتلاش الألم هذه المرة، دفعت كم فستانها إلى الوراء معتقدة أنها قد ترى جلدها ملتهبًا. ولكن لم يكن به أي علامات، رغم إحساسها بالألم هناك. ازدردت لعابها وقالت: «هذا لم يكن خطأك يا (مين)». لوحت (بيلا) برأسها وزاغت عيناها فربتت (إيجوين) على عنق الفرس الشعثاء وقالت: «لم يكن خطأك أيضًا».

قالت (رينا): «كان خطأك يا (إيجوين)». بدت صبورًا للغاية، كأنها تتعامل بلطف شديد مع شخص غبي للغاية فلا يرى ما هو صواب، حتى إن (إيجوين) أرادت أن تصرخ. «عندما تُعاقب (داماني) يكون هذا دومًا خطأها، حتى لو لم تعرف السبب. يجب على (الداماني) أن تتوقع ما تريده منها (السولدام) الخاصة بها، ولكن هذه المرة أنت تعرفين السبب، (الداماني) مثل الأثاث أو الأدوات، تكون دومًا جاهزة للاستخدام، ولكنها لا تسعى لجذب الانتباه لنفسها، وخصوصًا ليس اهتمام واحدة من (الدماء)».

عضت (إيجوين) على شفتها حتى شعرت بمذاق الدم. هذا كابوس، لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا. لم فعلت (لياندرين) هذا؟ لم يحدث هذا؟ «هل... هل يمكنني أن أسأل سؤالاً؟».

ابتسمت (رينا) وقالت: «بالنسبة لي يمكنك أن تسألني. العديد من (السولدام) سيرتدين سوارك على مر السنوات - هناك دومًا (سولدام) أكثر من (الداماني) - وبعضهن سيمزقنك إربًا إن رفعت عينيك عن الأرض أو فتحت فمك دون إذن، ولكني لا أرى سببًا لمنعك من الحديث ما دمت ستكونين حريصة فيما ستقولين». ضحكت واحدة من (السولدام) الأخريات ضحكة ساخرة بصوت عالٍ، كانت مرتبطة بامرأة جميلة ذات شعر أسود في منتصف العمر، تُبقي عينيها على يديها.

بدأت (إيجوين) حديثها قائلة: «(لياندرين)...». لم تمنحها اللقب التشريفي، لن تفعل هذا مرة أخرى أبدًا. «... و(السيدة السامية)، قد تحدثنا عن سيد تخدمناه». ارتسمت في ذهنها صورة رجل بحروق لم تتعاف بشكل كامل تشوه وجهه، وعينين وفم أحيانًا ما يتحولون إلى نار، ولكن حتى لو كان مجرد شخص في أحلامها فقد كان التفكير فيه مريعًا. «من يكون؟ وما الذي يريده مني و... من (مين)؟». كانت تعرف أنه من السخيف تجنب ذكر اسم (ناينيف) - لم تعتقد أن أيًا من هؤلاء الأشخاص سينسونها لمجرد عدم ذكر اسمها، وخصوصًا (السولدام) ذات العينين الزرقاوين التي تداعب لجامها الفارغ - ولكنها كانت الطريقة الوحيدة للمقاومة التي خطرت على بالها في هذه اللحظة.

قالت (رينا): «ليس من اختصاصي أن أهتم بشئون (الدماء)، وليس من اختصاصك بالتأكد. ستخبرني (السيدة السامية) بما تريد مني أن أعرفه، وسأخبرك بما أريد منك أن تعرفه. أي شيء آخر تسمعيه أو تريه يجب أن يكون بالنسبة لك كأنها لم يُقل ولم يحدث. هذه الطريقة تضمن السلامة، وخصوصًا بالنسبة (لداماني). إن (الداماني) لهن قيمة كبيرة فلا يمكن قتلهن من دون تفكير، ولكنك قد تجدين نفسك ليس معاقبة بشدة فحسب، بل تفتقدن لسانًا للحديث أو يدين للكتابة، يمكن (للاماني) أن تفعلن ما يجب عليهن فعله دون هذه الأشياء».

ارتجفت (إيجوين)، رغم أن الهواء لم يكن شديد البرودة. جذبت عباءتها على كتفيها فلمست يداها اللجام، فراحت تهزه بعنف. «هذا شيء فظيع، كيف يمكنكم فعل هذا بأي شخص؟ أي عقل مريض قد فكر في هذا؟».

زجرت (السولدام) ذات العينين الزرقاوين واللجام الفارغ وقالت: «هذه الفتاة يمكنها الاستغناء عن لسانها بالفعل يا (رينا)».

اكتفت (رينا) بأن ابتسمت بصبر وقالت: «كيف يكون الأمر فظيعة؟ هل يجب علينا أن نسمح لأي شخص يمكنه فعل ما تقدر (الداماني) على فعله بأن يظل طليقاً؟ أحياناً يولد الرجال بقدرات مثل (الماراثداماني) النساء - سمعت أن هذا هو الحال هنا أيضاً - ويجب قتلهم بالطبع. ولكن النساء لا يصبن بالجنون، من الأفضل لمن أن يصبحن (داماني) بدلاً من إثارة المتاعب بالتصارع على السلطة، أما العقل الذي فكر أولاً في (الآيدام) فكان عقل امرأة تُطلق على نفسها لقب (آيز سيداي)».

عرفت (إيجوين) أن عدم التصديق مرتسم بلا شك على وجهها لأن (رينا) ضحكت جهراً وقالت: «عندما واجه (ليوثير بايندرج مونديون) - ابن (هاوكوينج) - (جيوش الليل) لأول مرة وجد بينهم العديد ممن يطلقن على أنفسهن لقب (آيز سيداي). كنَّ يتنافسن على السلطة فيما بينهن، ويستخدمن (القوة الواحدة) في ساحة المعركة. امرأة منهن تُدعى (ديان) فكرت أنها من الأفضل أن تخدم الإمبراطور - لم يكن الإمبراطور حينها بالطبع - بما أنه لم يكن لديه (آيز سيداي) في جيوشه. فجاءت إليه بآلة قد اخترعتها؛ أول (آيدام)، مربوطاً حول عنق واحدة من أخواتها. رغم أن تلك المرأة لم تكن راغبة في خدمة (ليوثير) فإن (الآيدام) قد جعلها تخدم. صنعت (ديان) المزيد من (الآيدام)، وعُثر على أول (سولدام)، والنساء اللاتي كن يطلقن على أنفسهن لقب (آيز سيداي) اكتشفن أنهن في الحقيقة مجرد (ماراثداماني)؛ (أولئك اللاتي يجب لجمهن). قيل إنها نفسها قد جُمت لاحقاً، وهزت صرخات (ديان) (أبراج منتصف الليل)، ولكنها بالطبع كانت (ماراثداماني) أيضاً، و(الماراثداماني) لا يمكن تركهن أحراراً. قد يكون لديك القدرة على صنع (الآيدام)، إن كان الأمر هكذا فسوف تُدللين. يمكنك أن تكوني متيقنة من هذا».

نظرت (إيجوين) باشتياق إلى البرية التي يقطعونها، حيث بدأت الأرض تعلو في تلال خفيضة، وتقلصت الغابات إلى أجسام متناثرة، ولكنها كانت متيقنة من أنها قادرة على أن تختبئ فيها. قالت بمرارة: «هل من المفترض أن أطلع إلى تدليلي ككلب أليف؟ أن أقضي حياتي مقيدة برجال ونساء يعتقدون أنني حيوان من نوع ما؟».

ضحكت (رينا) وقالت: «لا يوجد رجال، كل (السولدام) نساء، إن ارتدى رجل هذا السوار فلن يكون الأمر مختلفاً عن تعليقه على مشجب على الجدار».

قالت (السولدام) ذات العينين الزرقاوين بقسوة: «وفي بعض الأحيان سيموت كلاكما وأنتما تصرخان». كانت المرأة لها قسمات حادة وشفتان رفيعتان، وأدركت (إيجوين) أن الغضب هو التعبير المرتسم على وجهها دوماً على ما يبدو. «في بعض الأحيان تلعب الإمبراطورة مع اللوردات بربطهم إلى (داماني)، هذا يجعل اللوردات يتصببون عرقاً ويسلي (بلاط الأقمار التسعة). لا يعرف اللورد إن كان سيعيش أم سيموت حتى ينتهي الأمر، ولا تعرف (الداماني) هذا أيضاً». كانت ضحكتها شرسة.

قالت (رينا) بحدة: «الإمبراطورة وحدها من يمكنها إهدار (داماني) بهذه الطريقة يا (ألواين). أنا لا أنوي تدريب هذه (الداماني) فقط لكي يتخلص أحد منها».

«أنا لم أرَ أي تدريب حتى الآن يا (رينا)، بل قدرًا كبيرًا من الثروة، كأنك أنتِ وهذه (الداماني) صديقتان منذ الطفولة».

قالت (رينا) وهي تتفحص (إيجوين): «ربما حان الوقت لكي نرى ما يمكنها فعله. هل لديك ما يكفي من السيطرة للتسخير من على هذه المسافة؟». كانت تشير إلى شجرة بلوط طويلة تنتصب وحيدة على قمة تل.

عقدت (إيجوين) حاجبيها وهي تنظر إلى الشجرة، ربما على بعد نصف ميل من الخط الذي يتبعه الجنود وهودج (سوروث). لم تحاول من قبل أن تفعل شيئًا أبعد من تناول اليد، ولكنها فكرت أن هذا قد يكون ممكنًا. قالت: «لا أعرف».

قالت لها (رينا): «حاولي. اشعري بالشجرة، اشعري بالعصارة داخل الشجرة. لا أريد منك أن تجعلها ساخنة فحسب، بل ساخنة للغاية حتى إن كل قطرة من العصارة في كل غصن ستتحول إلى بخار في لمح البصر. افعلي هذا».

كانت (إيجوين) مصدومة لاكتشاف رغبة في فعل ما تأمرها به (رينا)، إنها لم تسخر أو حتى تلمس (السايدار) منذ يومين، لذا فقد جعلتها الرغبة في ملء نفسها (بالقوة الواحدة) ترتجف. «أنا...». كانت على وشك أن تقول «لن أفعل هذا»، ولكنها منعت نفسها في اللحظة الأخيرة. كانت لا تزال تشعر بآثار الحروق بشدة على أن تكون بمثل هذه الحماقة. لذا فإنها أنهت جملتها قائلة: «لا أستطيع... إنها بعيدة للغاية، وأنا لم أفعل شيئًا كهذا من قبل».

ضحكت واحدة من (السولدام) بصوت عالٍ، وقالت (ألواين): «إنها حتى لم تحاول».

هزت (رينا) رأسها بحزن تقريبًا، وقالت: «عندما تكون المرأة (سولدام) لوقت طويل فإنها تتعلم معرفة الكثير عن (الداماني) حتى من دون سوار، ولكن مع هذا السوار يمكن دومًا معرفة ما إذا كانت (الداماني) قد حاولت التسخير. يجب ألا تكذبي عليَّ أبدًا، ولا على أي (سولدام)، ولا بمقدار شعرة».

فجأة عادت السياط الخفية لتضربها في كل مكان. صرخت وهي تحاول أن تضرب (رينا)، ولكن (السولدام) صدت قبضتها ببساطة وشعرت (إيجوين) كأن (رينا) قد ضربتها في ذراعها بعصا. غرست كاحليها في جانبي (بيلا)، ولكن قبضة (السولدام) على اللجام كادت أن تسقطها من على السرج. بشكل محموم حاولت الوصول إلى (السايدار) عازمة على إيذاء (رينا) بما يكفي لجعلها تتوقف، أن تذيبها الألم نفسه الذي تشعر به. هزت (السولدام) رأسها في سخرية ثم راحت (إيجوين) تعوي وهي تشعر أن جلدها يحترق. لم يتلاش ألم الاحتراق إلا بعدما هربت من (السايدار) تمامًا، ولكن الضربات الخفية لم تتوقف أو تتباطأ.

أرادت أن تصرخ بأنها ستحاول فقط لو توقفت (رينا)، ولكن كل ما استطاعت فعله هو أن تصرخ وتتلوى أَلماً.

أدركت بشكل مبهم أن (مين) تصيح في غضب، وتحاول أن تركض بحصانها إلى جانبها، وأن (ألواين) تنتزع اللجام من يديها، و(سولدام) أخرى تتحدث بحدة إلى (الداماني) الخاصة بها التي نظرت إلى (مين)، ثم راحت (مين) تصرخ بدورها وهي تلوح بذراعيها كأنها لتصد ضربات أو تبعد حشرات لاسعة. ولكن في ألمها بدا ألم (مين) بعيداً.

كانت صرخاتها معاً كافية لجعل الحراس يستديرون في سروجهم، وبعد نظرة واحدة ضحكوا وهم ينظرون أمامهم من جديد. ليس من شأنهم كيف تتعامل (السولدام) مع (الداماني). شعرت (إيجوين) أن الألم سيستمر إلى الأبد، ولكن النهاية جاءت أخيراً. استلقت بضعف على مقدمة سرجها ووجتها مبللتان بالدموع وهي تبكي في عرف (بيلا). صهلت الفرس في توتر. قالت (رينا) بهدوء: «من الجيد أنك تملكين روحاً، فأفضل (الداماني) هن أولئك اللائي يملكن روحاً يمكن صوغها وتشكيلها».

أغلقت (إيجوين) عينيها بقوة، تمت لو أنها تستطيع إغلاق أذنيها أيضاً لكي توقف صوت (رينا). يجب عليّ الهرب، يجب عليّ هذا، ولكن كيف؟ ساعدني يا (ناينيف)، فليساعدني شخص ما بحق (النور). قالت (رينا) بنبرة رضا: «ستكونين واحدة من أفضلهن». مسدت شعر (إيجوين) بيدها وكأنها سيدة تطمئن قلبها.

مالت (ناينيف) في سرجها لتنظر من وراء ستار الشجيرات ذات الأوراق الشائكة. التقت عيناها بأشجار متناثرة، بعضها بأوراق قد تغير لونها. كانت المساحة الممتدة من الأعشاب والشجيرات تبدو خاوية، لم يكن هناك شيء يتحرك يمكنها أن تراه باستثناء عمود الدخان الرفيع المتصاعد من شجرة الأوراق الجلدية ويتمايل مع النسيم.

كان هذا من صنيعها، شجرة الأوراق الجلدية، والصاعقة التي استدعتها من سماء صافية، وبعض الأشياء الأخرى التي لم تفكر في تجربتها حتى تجربتها هاتان المرأتان عليها. فكرت أنها بلا شك تعملان معاً بطريقة ما، رغم أنها لم تفهم علاقتهما غير كونها مقيدتين إحداهما بالأخرى. واحدة ترتدي طوقاً، ولكن الأخرى كانت بالتأكيد مقيدة بسلسلة مثلها. ما كانت (ناينيف) متيقنة منه هو أن إحداهما (آيز سيدي)، إن لم تكن كلتاهما. لم تستطع أن تنظر إليهما بوضوح لترى توهج التسخير، ولكنها كانت متيقنة من الأمر.

قالت لنفسها في سخرية مريرة: سيسعدني بالتأكيد أن أخبر (شيريام) عنهما. (الآيز سيدي) لا يستخدم (القوة الواحدة) كسلاح، أليس كذلك؟

لقد فعلت هذا بالتأكيد، على الأقل قد أسقطت المرأتين بصاعقة البرق تلك، وقد رأت أحد الجنود - أو بالأحرى جسده - يحترق بفعل كرة النار التي ألقتها ناحيتهم. ولكن مضى بعض الوقت قبل أن ترى أيًا من الغرباء.

تصبب العرق من على جبينها، ولم يكن كله بفعل الجهد المبذول، لقد تلاشى اتصالها (بالسايدار)، ولم تعد قادرة على استرجاعه. في نوبة الغضب الأولى بعد أن عرفت أن (لياندرين) قد خانتها كان (السايدار) هناك قبل حتى أن تفكر في الأمر، وغمرتها (القوة الواحدة). لقد شعرت كأنها تستطيع أن تفعل أي شيء. وبينما يطاردونها كان غضب مطاردتها كحيوان يغذيها، ولكن الآن قد اختفت المطاردة، وكلما طالت مدة عدم رؤيتها لعدو يمكنها مشاهدته زاد قلقها من أنهم قد يهاجمونها بغتة بطريقة ما، وقلقها بشأن ما قد يحدث (لإيجوين) و(إيلالين) و(مين). الآن صارت مضطرة للاعتراف بأن معظم ما تشعر به هو الخوف، الخوف عليهن، والخوف على نفسها. كان الغضب هو ما تحتاج إليه.

تحرك شيء ما وراء إحدى الأشجار، حبست أنفاسها وحاولت الوصول إلى (السايدار)، ولكن كل التمارين التي علمتها لها (شيريام) والأخريات، وكل الزهور المفتحة في عقلها، وكل الجداول المتخيلة وضفاف الأنهار، لم تُجد نفعًا. كانت قادرة على الإحساس (بالمصدر الحقيقي)، ولكنها لم تستطع لمسه.

خطت (إيلالين) من وراء شجرة وهي منحنية في حذر فارتحى جسد (ناينيف) وتنفس الصعداء. كان فستان ودية العهد متسخًا وممزقًا، وشعرها الذهبي عبارة عن كومة متشابكة من العقد وأوراق الشجر، وعيناها المتلفتتان واسعتان كعيني غزالة خائفة، ولكنها تُمسك خنجرها ذا النصل القصير بيد ثابتة. أمسكت (ناينيف) بلبجام فرسها وخرجت إلى العراء.

جفلت (إيلالين) بحركة متشنجة ثم وضعت يدها على حلقتها وأخذت نفسًا عميقًا. ترجلت (ناينيف) وتعانقت المرأتان وقد شعرت كل منهما بالراحة لإيجاد الأخرى.

قالت (إيلالين) أخيرًا بعد أن تعانقتا: «ظننت للحظة أنك... هل تعرفين أين هما؟ كان هناك رجلان يلحقان بي. بضع دقائق أخرى وكانا سيمسكان بي، ولكن دوى نفير بوق فاستدارا بحصانيهما وأسرعنا مبتعدين. كان بمقدورهما رؤيتي يا (ناينيف) ومع ذلك رحلا».

«لقد سمعته أيضًا، ولم أر أحدًا منهم منذ ذلك الحين. هل رأيت (إيجوين) أو (مين)؟».

هزت (إيلالين) رأسها، ثم هوت بجسدها جالسة على الأرض. «لم أرهما منذ... أن ضرب ذلك الرجل (مين) ليسقطها أرضًا، وإحدى أولئك النساء كانت تحاول أن تضع شيئًا حول عنق (إيجوين)، هذا ما رأيته قبل أن أهرب، لا أعتقد أنها قد أفلتتا يا (ناينيف)، كان يجب أن أفعل شيئًا ما، لقد جرحت (مين) اليد التي كانت تُمسك بي، و(إيجوين)... أنا فقط هربت يا (ناينيف)، أدركت أنني حرة فهربت. ربما من الأفضل أن تتزوج أُمي من (جاريث براين) وتنجب ابنة أخرى في أقرب وقت ممكن، أنا لست مؤهلة لاعتلاء العرش».

قالت (ناينيث) بحدة: «لا تكوني حمقاء. تذكرني أن لدي حزمة من جذور لسان الغنم بين أعشابى». وضعت (إيلالين) وجهها بين يديها، هذه المزحة لم تجعلها تغمغم حتى. «اسمعيني يا فتاة، هل رأيّنتي أبقى لأقاتل عشرين أو ثلاثين رجلاً مسلحاً، ناهيك (بالآيز سيدي)؟ إن انتظرتِ فكنتِ على الأرجح ستقعين في الأسر أيضاً، هذا إن لم يقتلوك. يبدو أنهم مهتمون بي أنا و(إيجوين) لسبب ما، ربما لا يبالون إن بقيتِ على قيد الحياة أو لا». لم يهتمون بي أنا و(إيجوين)؟ لم نحن على وجه الخصوص؟ لم فعلت (لياندرين) هذا؟ لماذا؟ لقد طرحت هذه الأسئلة على نفسها مرات عديدة، وفي كل مرة لا تجد إجابة.

قالت (إيلالين): «إن متُّ وأنا أحاول مساعدتهما...».

«... كنتِ ستموتين ولن يكون لك نفعا حينها، لنفسك أو لهما. والآن انهضي على قدميك وانفضي الغبار عن فستانك». راحت (ناينيث) تفتش في أكياس سرجها عن فرشاة شعر. «وصففي شعرك».

اعتدلت (إيلالين) واقفة ببطء ثم أخذت الفرشاة بابتسامة شاحبة. «أنتِ تبدين مثل (ليني)، مربيتي العجوز». بدأت تمرر الفرشاة خلال شعرها والألم يظهر على وجهها كلما جذبت جزءاً متشابكاً. «ولكن كيف سنساعدهما يا (ناينيث)؟ ربما تكونين قوية مثل أخت كاملة عندما تغضبين، ولكن لديهم نساء قادرات على التسخير أيضاً. لا أستطيع أن أتخيل أنهن (آيز سيدي)، ولكن ربما يكن كذلك. لا نعرف حتى في أي اتجاه أخذوهما».

قالت (ناينيث): «غرباً، تلك المخلوقة (سوروث) قد ذكرت (فالمي)، وهذا المكان يقع في أقصى غرب (تومان هيد). سنذهب إلى (فالمي)، أمل أن (لياندرين) ستكون هناك، سأجعلها تلعن اليوم الذي وقعت فيه عينا أمها على أبيها. ولكن أولاً أعتقد أننا من الأفضل أن نجد بعض الملابس الريفية، لقد رأيت نسوة تارابونيات ودومانيات في (البرج)، وما كن يرتدينه لا يشبه على الإطلاق ما نرتديه. سنكون بارزتين في (فالمي) باعتبارنا غريبتين».

«لا أمانع ارتداء فستان دوماني، رغم أن أمي ستغضب بالتأكيد إن عرفت أنني ارتديت واحداً، ولن تتوقف (ليني) عن توبيخي، ولكن حتى لو عثرنا على قرية فهل يمكننا تحمل تكلفة فساتين جديدة؟ ليس لدي فكرة عن مقدار المال الذي تملكينه، ولكن ليس لدي سوى عشرة ماركات ذهبية، وربما ضعف هذا العدد من الفضة، سيكفي هذا لأسبوعين أو ثلاثة، ولكني لا أعرف ماذا سنفعل بعدها».

قالت (ناينيث) ضاحكة: «إن بضعة أشهر كمبتدئة في (تار فالون) لم تمنعك من التفكير كولية عهد. ليس لدي عشر ما تملكينه، ولكن ما معنا في المجلد سيمنحنا شهرين أو ثلاثة من الراحة، بل لفترة أطول إن كنا حريصتين. لا أنوي شراء فساتين لنا، ولن تكون جديدة على أي حال. سينفعنا فستاني الرمادي الحريري مع كل هذه اللآلئ والخيوط الذهبية. إن لم أجد امرأة تمنحنا فستانين أو ثلاثة فساتين جيدة مقابل هذا الفستان سأمنحك هذا الخاتم وأصير أنا المبتدئة». ثم صعدت على سرجها ومدت يدها إلى (إيلالين) لتجذبها وراءها.

بعدما استقرت (إيلالين) على مؤخرة الفرس قالت متسائلة: «ما الذي سنفعله عندما نصل إلى (فالمي)؟».

«لن أعرف حتى نصل إلى هناك». صمتت (ناينيف) دون أن تتحرك بالحصان، ثم قالت: «هل أنتِ واثقة من أنك تريدين فعل هذا؟ سيكون الأمر خطيرًا».

«أكثر من خطورته على (إيجوين) و(مين)؟ كانتا ستأتیان وراءنا إن انعكست الظروف، أعرف أنهما ستفعلان هذا. هل ستبقين هنا طيلة اليوم؟». وكزت (إيلان) الفرس بكاحليها فبدأت في الحركة.

استدارت (ناينيف) بالفرس حتى صارت الشمس القرية من ذروتها في الظهيرة وراء ظهرها. «علينا أن نكون حذرتين، (الآيز سيدي) اللائي نعرفهن يمكنهن التعرف على امرأة قادرة على التسخير بمجرد أن تصير على مرمى ذراع منهن. قد تكون أولئك (الآيز سيدي) قادرات على تمييزنا بين الحشود إن كن يبحثن عنا، ومن الأفضل أن نفترض أنهن كذلك». كن بالتأكيد يبحثن عني وعن (إيجوين)، ولكن لماذا؟

«أجل، يجب أن نكون حذرتين. لقد كنتِ محقة من قبل أيضًا، لن نفعهما إن سمحنا لنفسينا بالوقوع في الأسر». صمتت (إيلان) للحظة. «هل تعتقدين أن كل هذا كان أكاذيب يا (ناينيف)؟ ما قالته لنا (لياندرين) بشأن كون (راند) في خطر؟ والآخرون؟ (الآيز سيدي) لا يكذبن».

كان هذا دور (ناينيف) أن تلوذ بالصمت بينما تتذكر (شيريام) وهي تخبرها عن العهود التي تقسم بها كل امرأة عندما ترتقي إلى مرتبة الأختية الكاملة، عهود تقسم بها وهي تمسك تيرانجリアル يجبرها على الالتزام بها. *ألا تقول كلمة غير صحيحة.* كان هذا أحد العهود، ولكن الجميع يعرفون أن الحقيقة التي تقولها (آيز سيدي) قد لا تكون الحقيقة التي تظن أنك سمعتها. قالت: «أتوقع أن (راند) يدفع قدميه أمام مدفأة اللورد (أجيلمار) في (فال دارا) في هذه اللحظة». لا يمكنني أن ألق بـشأنه الآن، يجب عليّ أن أفكر في (إيجوين) و(مين).

تنهدت (إيلان) وقالت: «أفترض أنه كذلك». ثم تلملت وراء السرج وقالت: «إن كانت (فالبي) بعيدة للغاية يا (ناينيف) فأتوقع أن أركب في السرج نصف الوقت، هذه ليست جلسة مريحة للغاية. لن نصل إلى (فالبي) على الإطلاق إن سمحت لهذه الفرس أن تمشي بالوتيرة التي تحلو لها طيلة الطريق».

وكزت (ناينيف) الفرس بكاحليها لكي تسرع مهرولة، فصرخت (إيلان) وتشبثت بعباءتها. قالت (ناينيف) لنفسها إنها ستأخذ دورها في الركوب في الورا ولن تشتكي إن جعلت (إيلان) الفرس تركض، ولكنها تجاهلت معظم الوقت شهقات المرأة المتقافزة وراءها. كانت مشغولة للغاية بتمني أنه بحلول الوقت الذي ستصلان فيه إلى (فالبي) ستمكن من التوقف عن كونها خائفة وتبدأ في كونها غاضبة. صار النسيم باردًا ومنعشًا، مع لمحة من البرد الذي لم يأت بعد.

الفصل الحادي والأربعون

الخلافات

دوى الرعد عبر سماء ما بعد الظهيرة الداكنة، جذب (راند) غطاء الرأس بعباءته، على أمل أن يمنع بعضًا من المطر البارد. كان (ريد) يخطو متفاديًا البرك الموحلة. كان غطاء الرأس المبلل يتدلى حول رأس (راند)، كبقية العباءة حول كتفيه، وكان معطفه الأسود الفاخر مبتلًا وباردًا بالقدر نفسه. لا تحتاج درجة الحرارة للانخفاض كثيرًا عن هذا قبل أن يتساقط الثلج بدلًا من المطر. قريبًا سيسقط الثلج مرة أخرى. قال قاطنو القرية الذين مروا بها إن الثلج قد تساقط مرتين بالفعل هذا العام. ارتجف (راند) وكاد أن يتمنى لو أن الثلج يتساقط، فحينها على الأقل لن يكون مبتلًا حتى النخاع.

كان الطابور يتقدم ببطء، وهم يراقبون الأرض المتعرجة بحذر. كانت راية البومة الرمادية الخاصة (بإنجتار) متدلّية بثقل حتى عندما تهب الرياح بقوة. أحيانًا ما ينتزع (هورين) غطاء رأسه ليتشمس الهواء. قال إن المطر أو البرد ليس لهما أي تأثير على الأثر، بالتأكيد ليس على نوع الأثر الذي يتعقبه، ولكن حتى الآن لم يستطع المتشمس أن يجد شيئًا. سمع (راند) (أونو) يتمتم بسبة من ورائه. ظل (لويال) يتفحص أكياس سرجه باستمرار. لم يبدُ عليه أنه يمانع أن يبتل، ولكنه كان قلقًا طيلة الوقت بشأن كتبه. كان الجميع بائسين، باستثناء (فيرين)، التي بدت غارقة في أفكارها، حتى إنها لم تلاحظ أن غطاء رأسها قد انزلق إلى الوراء ليكشف وجهها للمطر.

سألها (راند): «ألا يمكنك أن تفعلي شيئًا حيال هذا؟». كان هناك صوت خافت في أعماق عقله يخبره أنه يستطيع فعل هذا بنفسه، كل ما عليه فعله هو أن يحتضن (السايدين). ما أجمل نداء (السايدين)؛ أن تملأه (القوة الواحدة) وأن يتحد مع العاصفة. أن يحيل السماء صافية، أو أن يركب العاصفة وهي هائجة، وأن يذكي غضبها ويحتاج (تومان هيد) من البحر إلى السهل. أن يحتضن (السايدين). كبح جماح هذا الاشتياق بقسوة.

جفلت (الآيز سيداي) وقالت: «ماذا؟ أوه، أفترض هذا قليلًا، لا يمكنني إيقاف عاصفة بهذا الحجم، ليس بمفردي، فهي تغطي مساحة كبيرة من الأرض، ولكنني أستطيع تخفيفها قليلًا، حيث نحن موجودون على الأقل». مسحت المطر عن وجهها وبدأ أنها قد أدركت لأول مرة أن غطاء رأسها قد انزلق، فجذبته لأعلى بشرود.

قال (مات): «إذن لم لا تفعلين هذا؟». كان وجهه المرتجف يطل من تحت عباءته محددًا إلى باب الموت، ولكن صوته كان حيويًا.

«لأنني إن استخدمت هذا القدر من (القوة الواحدة) فإن أي (آيز سيداي) على مسافة عشرة أميال ستعرف أن شخصًا ما قد سخر (القوة الواحدة). نحن لا نريد أن نجلب هؤلاء (الشوننتشان) في أعقابنا مع

بعض من (الداماني) خاصتهم». التوى فمها في غضب.

كان قد عرف القليل عن الغزاة في تلك القرية التي تُدعى (طاحونة أتوان)، رغم أن معظم ما سمعوه كان يثير أسئلة أكثر مما يطرح إجابات. كان الناس يثرون في لحظة ويغلقون أفواههم في اللحظة التالية مرتجفين وهم يتلفتون حولهم. إنهم جميعاً يرتعدون خوفاً من عودة (الشوننتشان) مع وحوشهم و(الداماني) التابعات لهم. أولئك النسوة اللاتي من المفترض أن يكن (آيز سيدي) كن ملجومات كالحوانات، وقد أخفن القرويين أكثر من المخلوقات الغريبة التي يتحكم بها (الشوننتشان)؛ الأشياء التي لم يستطع قاطنو (طاحونة أتوان) وصفها همساً إلا بأنها آتية من الكوابيس. وأسوأ ما في الأمر كله هو المثال الذي ضربه لهم (الشوننتشان) قبل أن يتركوا قاطني القرية يرتجفون حتى النخاع. لقد دفنوا موتاهم، ولكنهم خافوا من تنظيف البقع الكبيرة المتفحمة لساحة القرية. لم يقل أي منهم ما الذي حدث هناك، ولكن (هورين) تقياً بمجرد دخولهم القرية ورفض الاقتراب من الأرض المتفحمة.

كانت قرية (طاحونة أتوان) شبه مهجورة، البعض قد فروا إلى (فالمي)، معتقدين أن (الشوننتشان) لن يكونوا بهذه القسوة في بلدة يسيطرون عليها، والآخرين ذهبوا شرقاً. كان هناك الكثير ممن قالوا إنهم يفكرون في الأمر. هناك قتال في (سهل الموث)، قيل إن التارابونيين يقاتلون الدومانين، ولكن البيوت والحظائر التي أُحرقت هناك قد أشعلت فيها النار مشاعل بأيدي الرجال. إن مواجهة الحرب أسهل من مواجهة ما فعله (الشوننتشان) وما قد يفعلون.

تمتم (بيرين): «لماذا جلب (فاين) (البوق) إلى هنا؟». لقد طرحوا جميعاً هذا السؤال واحداً تلو الآخر، ولم يكن هناك إجابة في كل مرة. «هنالك حرب بالإضافة إلى هؤلاء (الشوننتشان) ووحوشهم، لماذا هنا؟».

استدار (إنجتار) في سرجه لينظر وراءه ناحيته. كان وجهه شاحباً تقريباً كوجه (مات). «هناك دوماً رجال يرون أن هناك ميزات لصالحهم في فوضى الحرب، (فاين) واحد من هؤلاء الرجال، لا شك أنه يفكر في سرقة (البوق) مرة أخرى، من (سيد الظلام) هذه المرة، واستخدامه لمصلحته الخاصة».

قالت (فيرين): «(أبو الأكاذيب) لا يضع مطلقاً خططاً بسيطة. ربما يريد من (فاين) أن يجلب (البوق) إلى هنا لسبب معروف فقط في (شايبول غول)».

قال (مات) ساخراً: «وحوش». كانت وجنتاه غائرتين وعيناه خاويتين. إن كون صوته يبدو صحيحاً قد جعل الأمر أسوأ فحسب. «لقد رأوا بعض (الترولوكيين) أو عاتماً إن أردتم رأيي. إن كان (الشوننتشان) لديهم (آيز سيدي) يقاتلن من أجلهم فما الذي يمنع أن يكون لديهم (عواتم) و(ترولوكيون)؟». رأى (فيرين) تحديقاً إليه فجفل وقال: «حسناً، إنهن كذلك، سواء كن ملجومات أم لا، يمكنهن التسخير، وهذا يجعلهن (آيز سيدي)». ثم نظر إلى (راند) وضحك ضحكة خشنة وقال: «هذا يجعلك (آيز سيدي)، فليساعدنا (النور) جميعاً».

جاء (ماسيما) مهرولاً بحصانه من الأمام، عبر الوحل والمطر الذي لا ينقطع. قال وهو يوقف حصانه إلى جانب (إنجتار): «هناك قرية أخرى أمامنا يا سيدي». مرت عيناه على (راند)، فضيقهما ولكنه لم ينظر ناحية (راند) مرة أخرى. «إنها خاوية يا سيدي، لا يوجد قرويون ولا (شونتشان) ولا أحد على الإطلاق. البيوت كلها تبدو سليمة، باستثناء بيتين أو ثلاثة لم... حسناً، لم يعد لهم وجود يا سيدي».

رفع (إنجتار) يده وأشار بالإسراع.

كانت القرية التي عثر عليها (ماسيما) تغطي جوانب تل، وفي قمته ساحة مرصوفة تحيط بها دائرة من الأسوار الحجرية. كانت البيوت من الحجر، وكلها ذات أسقف مسطحة، وعدد قليل منها مكون من أكثر من طابق واحد. ثلاثة منها كانت أكبر حجماً، على جانب الساحة، قد صارت مجرد أكوام من الركام المتفحم، وكانت شظايا الحجارة وعوارض السقف متناثرة في أرجاء الساحة. كانت بعض مصاريع النوافذ تصدر صوت ارتطام عندما تهب الرياح.

ترجل (إنجتار) أمام المبنى الكبير الوحيد الذي لا يزال قائماً. كانت اللافتة التي تصدر صريراً فوق الباب عليها امرأة تتلاعب بالنجوم كأنها كرات، ولكن بلا اسم. ويهطل المطر من زوايا اللافتة في خطين من القطرات الرتيبة. أسرعت (فيرين) إلى الداخل بينما قال (إنجتار): «فلتفتش كل بيت يا (أونو)، إن كان هناك أي شخص متبقي فربما يمكنه أن يخبرنا بما حدث هنا، وربما نخبرنا بالمزيد عن هؤلاء (الشونتشان). وإن كان هناك أي طعام فلتجلبه أيضاً، والبطانيات». أوماً (أونو) برأسه وبدأ في توجيه الأوامر إلى رجاله. التفت (إنجتار) إلى (هورين) وقال: «ما الذي تشمه؟ هل مر (فاين) من هنا؟».

فرك (هورين) أنفه ثم هز رأسه وقال: «ليس هو يا سيدي، وليس (الترولوكين) أيضاً، ولكن أياً كان من فعل هذا فقد ترك رائحة كريهة». أشار إلى الحطام المتبقية من البيوت. «لقد حدث قتل يا سيدي، كان هناك أناس بالداخل».

قال (إنجتار) مزجراً: «(الشونتشان). دعونا ندخل. فلتجد إسطبلاً ما من أجل الخيول يا (راجان)».

كانت (فيرين) قد أشعلت النيران بالفعل في المدفأتين الكبيرتين على جانبي الحجرة العامة، وراحت تصطلي بالنار عند إحداها، وقد نشرت عباءتها المبتلة على إحدى الطاولات المتناثرة على الأرضية المبلطة. لقد وجدت بعض الشموع أيضاً، وكانت تحترق على الطاولات مثبتة في شحمها الذائب. كان المكان فارغاً، وهادئاً إلا من زججرة الرعد من آن لآخر، بالإضافة إلى الظلال المتراقصة التي منحت المكان إحساساً بالخواء. ألقى (راند) عباءته ومعطفه المبتلين على إحدى الطاولات وانضم إليها. وحده (لويال) بدا مهتماً بتفحص كتبه أكثر من تدفئة نفسه.

قال (إنجتار): «على هذا النحو لن نجد (بوق فالير) أبداً. لقد مضى ثلاثة أيام منذ... منذ أن وصلنا إلى هنا...». ارتجف ومرر يده خلال شعره. تساءل (راند) عما رآه الشايناري في حيواته الأخرى. «... ويتبقى يومان آخران على الأقل للوصول إلى (فالبي)، ولم نعثر حتى على شعرة من (فاين) أو أصدقاء الظلام. هناك

عشرات القرى على طول الساحل. كان متاح له الوقت لكي يذهب إلى إحداها ويأخذ سفينة إلى أي مكان. هذا إن كان قد جاء إلى هنا على الإطلاق».

قالت (فيرين) بهدوء: «إنه هنا، وقد ذهب إلى (فالبي)».

قال (راند): «وهو لا يزال هنا». ينتظرنى. أتمنى بحق (النور) أنه لا يزال ينتظرنى.

قال (إنجتار): «إن المتشمم لم يشم أدنى رائحة له حتى الآن». هز المتشمم كتفيه كأنها يلوم نفسه على هذا الفشل. «لم قد يختار (فالبي)؟ إن كنا سنصدق هؤلاء القرويين فإن (فاين) الآن في قبضة (الشوننتشان). سأدفع أفضل كلب صيد لدي ثمنًا لأعرف من هم ومن أين جاؤوا».

قالت (فيرين) وهي تجثو على ركبتها لتحل أكياس سرجها وتخرج ثيابًا جافة: «لا يهمننا من هم، على الأقل لدينا غرف لتبديل ثيابنا فيها، رغم أن هذا لن ينفعنا كثيرًا ما لم يتغير الجو. ربما يكون ما أخبرنا به القرويون صحيحًا يا (إنجتار)، وأنهم أحفاد جيوش (أرتور هاوكوينج) العائدون. ما يهمننا هو أن (بادان فاين) قد ذهب إلى (فالبي). الكتابة على جدران السرداب في (فال دارا)...».

«... لم تذكر (فاين) قط. اغفري لي أيتها (الآيز سيداي)، ولكن هذه قد تكون خدعة لا نبوءة مظلمة. لا أعتقد أنه حتى (الترولوكيون) سيكونون أغبياء بما يكفي ليخبرونا بما ينوون فعله قبل أن يفعلوه». استدارت لتنظر إليه وقالت: «وما الذي تنوي فعله إن كنت لن تأخذ بنصيحتي؟».

قال (إنجتار) بحزم: «أنا أنوي استعادة (بوق فالير). اغفري لي ولكنني أثق في حواسي أكثر من بعض كلمات قد خطها (ترولووك)...».

تمتت (فيرين): «(ميردرال) بالتأكيد». ولكنه لم يتوقف لحظة.

«... أو صديق للظلام يبدو أنه يخون نفسه بيده. أنا أنوي قطع الأرض حتى يشتم (هورين) أثرًا أو نجد (فاين) نفسه. يجب أن أستعيد البوق يا (فيرين سيداي)، يجب عليّ هذا!».

قال (هورين) بصوت خافت: «هذا ليس صوابًا، الحديث عما يجب، ما سيحدث سيحدث». لم يعره أحد اهتمامًا.

تمتت (فيرين) وهي تنظر إلى أكياس سرجها: «هذا يجب علينا جميعًا، ومع ذلك هناك بعض الأشياء التي قد تكون أكثر أهمية».

لم تقل أكثر من هذا، ولكن (راند) تجهم. كان يتوق للابتعاد عنها، وعن إيماءاتها وتلميحاتها. أنا لست (النتين العائد). ولكنني أتمنى بحق (النور) لو أن باستطاعتي أن أبتعد عن (الآيز سيداي) تمامًا. «أعتقد أنني سأذهب إلى (فالبي) يا (إنجتار)، (فاين) هناك، أنا متيقن من هذا. وإن لم أذهب إليه قريبًا فإنه... سوف يفعل شيئًا ليؤذي (إيموندز فيلد)». لم يذكر هذا الجزء من قبل.

حدقوا جميعًا إليه. كان (مات) و(بيرين) مقطبين جبينيهما، قلقين ولكنهما يضعان الأمر في الحسبان. أما (فيرين) فقد بدت وكأنها رأت للتو قطعة جديدة تضاف إلى أحجية. بدا (لويال) مندهشًا، وبدا (هورين)

متحيرًا. أما (إنجتار) فقد بدا عليه عدم التصديق بشكل واضح.
قال الشايناري: «لم قد يفعل هذا؟».

قال (راند) كاذبًا: «لا أعرف». ثم أضاف: «ولكن كان هذا جزءًا من الرسالة التي تركها مع (بارثانيس)». سألته (إنجتار): «وهل قال (بارثانيس) إن (فاين) ذاهب إلى (فالبي)؟ لا، لا يهم إن كان قد قال». ثم ضحك بمرارة وقال: «إن أصدقاء الظلام يكذبون مثلما يتنفسون».

قال (مات): «إن كنت أعرف كيف أمنع (فاين) من إيذاء (إيموندز فيلد) لمنعته يا (راند)، إن كنت متيقنًا من أنه سيفعل ذلك. ولكنني بحاجة إلى ذلك الخنجر يا (راند)، و(هورين) لديه أفضل فرصة للعثور عليه». قال (لويال): «سأذهب أينما تذهب يا (راند)». كان قد انتهى من التيقن من أن كتبه جافة، وبدأ يخلع معطفه المبتل. «ولكنني لا أرى كيف يمكن لبضعة أيام أن تغير أي شيء بطريقة أو بأخرى. حاول أن تكون أقل تسرعًا هذه المرة».

قال (بيرين) وهو يهز كتفيه: «لا يهم بالنسبة لي إن ذهبنا إلى (فالبي) الآن أو لاحقًا أو لم نذهب أبدًا، ولكن إن كان (فاين) يهدد (إيموندز فيلد) حقًا... حسنًا، (مات) محق، (هورين) هو أفضل طريقة للعثور عليه». تدخل (هورين) قائلاً: «يمكنني العثور عليه يا لورد (راند)، أريد فقط أن أشم رائحته وسأخذك إليه مباشرة. لا يوجد أي شيء آخر يترك أثرًا مثل أثره».

قالت (فيرين) بحرص: «يجب عليك أن تحسم اختياراتك يا (راند)، ولكن تذكر أن (فالبي) يسيطر عليها غزاة لا نعرف عنهم شيئًا تقريبًا، إن ذهبت إلى (فالبي) وحدك فقد تجد نفسك سجينًا أو ما هو أسوأ، وهذا لن ينفع أحدًا. أنا متيقنة من أن الاختيار الذي ستختاره سيكون الاختيار الصحيح».

تمتم (لويال): «(تأثيرين)».

لوح (راند) بيديه.

جاء (أونو) من الساحة وهو ينفض المطر عن عباءته.

«لم نجد شخصًا واحدًا لعينًا يا سيدي، يبدو لي أنهم جميعًا قد هربوا كخنازير خائفة. لقد اختفت كل الماشية، ولم يتبقَّ أي عربة لعينة أيضًا. نصف البيوت قد جُردت من كل محتوياتها، أراهن براتبي في الشهر المقبل أن باستطاعتك تعقبهم من الأثاث اللعين الذي سيلقون به على جانبي الطريق عندما يدركون أنه يُثقل عرباتهم اللعينة».

سألته (إنجتار): «ماذا عن الملايس؟».

رمش (أونو) بعينه الواحدة في دهشة ثم قال: «بعض القطع الصغيرة يا سيدي. بشكل أساسي ما لم يروا أنه يستحق أن يأخذوه معهم».

«ستفي بالغرض. (هورين)، أريد منك وبعض الأشخاص - أكبر عدد ممكن - أن ترتدوا ملابس السكان المحليين لكيلا تبرزوا. أريد منك أن تتحرك على نطاق واسع شمالًا وجنوبًا حتى تجد الأثر». دخل

المزيد من الجنود وتجمعوا حول (إنجتار) و(هورين) للإصغاء.

اتكأ (راند) بيديه على رف المدفأة وحدث إلى ألسنة اللهب، لقد جعلته يفكر في عيني (بعلزمون). قال: «لا يوجد الكثير من الوقت. أشعر... بشيء ما... يجذبني إلى (فالبي)، ولا يوجد الكثير من الوقت». رأى أن (فيرين) تراقبه فأضاف بحدة: «ليس هذا. إنه (فاين) من يجب عليّ أن أجده، هذا ليس له علاقة ب... ذاك». أو مات (فيرين) وقالت: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، ونحن جميعاً نُنسج في (النمط). (فاين) كان هنا قبلنا ببضعة أسابيع، وربما أشهر. بضعة أيام أخرى لن تصنع فارقاً كبيراً أيّاً كان ما سيحدث».

تمتم وهو يحمل أكياس سرجه: «سأحصل على قسط من النوم. من المستحيل أن يكونوا قد حملوا كل الأسيرة». في الطابق العلوي عثر بالفعل على أسيرة، ولكن عدداً قليلاً منها كان عليه مراتب، وهذه المراتب كانت غير مستوية حتى إنه شعر أن النوم على الأرض سيكون مريحاً أكثر. وأخيراً اختار سريراً مرتبته مرتحية في المنتصف، لم يكن هناك أي شيء آخر بالغرفة باستثناء كرسي خشبي وطاوله بها قائم متزعزع.

انتزع ملابسه المبتلة وارتدى قميصاً وسروالاً جافين قبل أن يستلقي على الفراش، ولم تكن هناك ملاءات أو بطانيات، ثم وضع سيفه إلى جانب مقدمة الفراش. فكر في سخرية أن الشيء الوحيد الجاف معه الذي يمكن أن يغطي نفسه به هو راية (التنين)، ولكنه تركها مخبأة بأمان داخل أكياس سرجه.

كان المطر يطرق على السقف، والرعد يزار بالأعلى، ومن آن لآخر يومض البرق في النوافذ. ارتجف وهو يتقلب يميناً ويساراً على الفراش بحثاً عن وضعية مريحة للاستلقاء، متسائلاً إذا ما كانت الراية ستجدي نفعاً عند استخدامها كبطانية على أي حال، ومتسائلاً إذا ما كان يجب عليه الذهاب إلى (فالبي).

انقلب على جانبه الآخر فوجد (بعلزمون) يقف بجانب الكرسي وراية (التنين) البيضاء في يديه. بدت الغرفة أكثر ظلمة، كما لو أن (بعلزمون) يقف على حافة سحابة من الدخان الأسود الزيتي. كانت الحروق التي لم تُشفَ بشكل كامل متقاطعة على وجهه، وبينما (راند) ينظر اختفت عيناه المظلمتان للحظة ليحل محلها كهفان لا نهائين من النار. كانت أكياس سرج (راند) عند قدميه وأبازيمها مفتوحة، وقد فُتح الغطاء حيث كانت الراية مخفية.

«إن الوقت يقترب يا (ليوز ثيرين)، آلاف الخيوط تتشابك، و قريباً ستجد نفسك مقيداً ومحاصراً، موضوعاً على مسار لا يمكنك تغييره. الجنون. الموت. هل ستقتل كل من تحبه مرة أخرى قبل أن تموت؟».

نظر (راند) إلى الباب، ولكن لم يتحرك إلا للاعتدال جالساً على جانب الفراش. ما فائدة محاولة الهرب من (سيد الظلام)؟ شعر بحلقه جافاً كالرمال. قال بصوت مبحوح: «أنا لست (التنين) يا (أبا الأكاذيب)».

اضطربت الظلمة وراء (بعلزمون)، وتأججت الأفران عندما ضحك. «أنت تسبغ عليّ الشرف وفي الوقت ذاته تقلل من نفسك. أنا أعرفك جيداً، لقد واجهتك ألف مرة، ألف ألف مرة، أعرفك حتى روحك البائسة يا (ليوز ثيرين قاتل أهله)». ضحك مرة أخرى فوضع (راند) يده أمام وجهه إثر حرارة ذلك الفم الناري.

«ما الذي تريده؟ أنا لن أخدمك. لن أفعل أي شيء تريده. سأموت أولاً!».

«ستموت بالفعل أيها الدودة! كم مرة متَّ عبر العصور أيها الأحق، وكم نفعلك الموت؟ القبر بارد وموحش، إلا من الديدان. القبر ملكي. هذه المرة لن تولد من جديد. هذه المرة ستتخطم (عجلة الزمن)، وسيُعاد تشكيل العالم على صورة (الظل). هذه المرة سيكون موتك أبدياً! أيهما ستختار؟ الموت الأبدي؟ أم الحياة الأبدية، والقوة!».

بالكاد أدرك (راند) أنه قد وقف على قدميه، كان الخواء محيطاً به، و(السايدين) هناك، و(القوة الواحدة) تندفق إليه. هذه الحقيقة كادت أن تشقق الفراغ. هل هذه حقيقة؟ هل هذا حلم؟ هل يمكنه التسخير في حلم؟ ولكن التيار المتدفق بداخله اجتاح كل شكوكه. ألقى (بالقوة الواحدة) ناحية (بعلمون)، (القوة الواحدة) النقية، القوة التي تحرك (عجلة الزمن)، القوة التي يمكنها أن تحرق البحار وتلتهم الجبال. قطع (بعلمون) نصف خطوة إلى الوراء، ممسكاً براية (التنين) أمامه. تقافزت ألسنة اللهب في فمه وعينيه المتسعتين، وبدأ أن الظلمة تغلفه بالظلال، (بالظل). غرقت (القوة) في ذلك الضباب الأسود وتلاشت. لقد ابتلعها كما تبتلع الرمال الجافة الماء.

اغترف (راند) من (السايدين)، جاذباً المزيد والمزيد. بدا جلده بارداً للغاية كأنها سيتخطم بلمسة، شعر أنه يحترق وكأنها سيغلي. شعر أن عظامه على وشك أن تتحول إلى رماد بلوري بارد. لم يبال، شعر وكأنه يشرب الحياة ذاتها.

زأر (بعلمون): «أيها الأحق! ستدمر نفسك؟».

(مات). طفت الفكرة في مكان ما وراء الطوفان المدمر. الخنجر. (البوق). (فاين). (إيموندز فيلد). لا يمكنني أن أموت بعد.

لم يكن متيقناً كيف فعلها، ولكن فجأة تلاشت (القوة)، و(السايدين)، والخواء. ارتجف بشكل تصعب السيطرة عليه، وهوى على ركبتيه إلى جانب الفراش، وهو يحيط جسده بذراعيه في محاولة عبثية لإيقاف ارتعاشهما.

«هذا أفضل يا (ليوز ثيرين)». ألقى (بعلمون) بالراية على الأرضية ثم وضع يديه على ظهر الكرسي فتصاعدت خيوط من الدخان من بين أصابعه، لم يعد (الظل) يحيط به. «ها هي رايتك يا (قاتل أهله)، ستنفعل كثيراً. ألف خيط قد نُسجت عبر ألف عام قد جذبتك إلى هنا. عشرة آلاف قد نُسجت عبر العصور تربطك كخروف من أجل الذبح. (عجلة الزمن) نفسها تسجنك لمصيرك عصرًا تلو الآخر، ولكنني أستطيع تحريرك، أيها الوغد الخائف، أنا وحدي في العالم كله من يمكنه تعليمك كيف تستخدم (القوة الواحدة)، أنا وحدي من يمكنه منعها من قتلك قبل أن تُتاح لك الفرصة للإصابة بالجنون، أنا وحدي من يمكنه إيقاف الجنون. لقد خدمتني من قبل، اخدمني مرة أخرى يا (ليوز ثيرين) أو ستُدمر إلى الأبد!».

قال (راند) بقوة من بين أسنان مصطكة: «اسمي (راند أثور)». أجبره الارتجاف على أن يُغلق عينيه، وعندما فتحها مرة أخرى كان وحيداً.

لقد اختفى (بعلز مون)، واختفى (الظل). كانت أكياس سرجه موضوعة على الكرسي وأبازيمها مغلقة، وأحد الجوانب متفخاً براية (التنين)، تماماً كما تركها. ولكن على ظهر الكرسي كانت خيوط الدخان لا تزال تتصاعد من آثار متفحمة لأصابع.

الفصل الثاني والأربعون

فالمي

دفعت (ناينيث) (إيلين) إلى الورا عبر الزقاق الضيق ما بين متجر أقمشة وورشة فخار، بينما امرأتان يربط بينهما لجام فضي تمران عبر الشارع المرصوف بالحجر ناحية ميناء (فالمي). لم يجرؤا على السماح لهاتين الاثنتين بالاقتراب أكثر من اللازم. كان الناس في الشارع يفسحون الطريق لهما أسرع حتى من إفساحهم الطريق للجنود (الشونتشان)، أو هوداج النبلاء التي تمر من آن لآخر والتي كانت مغطاة بستائر ثقيلة بعد أن صار النهار أكثر برودة. حتى الفنانون في الشوارع لم يعرضوا عليهما رسمهما بالطباشير أو الأقلام الرصاص رغم أنهم يزعجون كل شخص آخر. أطبقت (ناينيث) فمها بينما عيناها تتبعان (السولدام) و(الداماني) عبر الحشد. لا يزال هذا المشهد يثير غثيانها حتى بعد قضاء بضعة أسابيع في البلدة، بل ربما صار يثير غثيانها أكثر. لم يكن بمقدورها أن تتخيل أن تفعل هذا بأي امرأة، حتى لو كانت (مويرين) أو (لياندرين).

حسنًا، ربما (لياندرين). اعترفت لنفسها بمرارة. في بعض الأحيان في الليل في الغرفة الصغيرة ذات الرائحة الكريهة التي استأجرتها فوق بائع سمك كانت تفكر فيما ستفعله (بلياندرين) عندما تضع يديها عليها. (لياندرين) أكثر حتى من (سوروث). لقد شعرت بالصدمة أكثر من مرة من قسوتها، حتى عندما تكون مسرورة بقدرتها على الابتكار.

بينما لا تزال تحاول أن تبقي عينيها على الاثنتين وقع بصرها على رجل نحيل بعيدًا عبر الشارع قبل أن يُخفيه الحشد مرة أخرى. لم تر سوى لمحة لأنف كبير في وجه رفيع. كان يرتدي روبًا مخمليًا برونزيًا فاخرًا بطراز شونتشاني فوق ثيابه، ولكنها فكرت أنه لم يكن شونتشانيًا، رغم أن الخادم الذي يلحق به كان كذلك، وهو خادم رفيع المستوى فقد كان أحد صدغيه حليقًا. لم يتبع السكان المحليون صيحات المؤضة الشونتشانية، وخصوصًا هذه الصيحة. فكرت في عدم تصديق أنه يبدو مثل (بادان فاين). هذا مستحيل، ليس هنا.

قالت (إيلين) بصوت خافت: «هل يمكننا أن نتحرك الآن يا (ناينيث)، هذا الرجل الذي يبيع التفاح ينظر إلى طاولته كأنها يفكر أنه كان لديه المزيد قبل لحظات، ولا أريده أن يتساءل عن الموجود في جيوبي». كانت كل منهما ترتدي معطفًا طويلًا من جلد الغنم، مبطّنًا بالصوف، ومطرزًا على الصدر بتموجات حمراء زاهية. كانت ملابس ريفية، ولكنها مقبولة إلى حد ما في (فالمي)، حيث يأتي العديد من الناس من المزارع والقرى. كانت الاثنتان قادرتين على الاندماج مع الحشود دون أن يلاحظهما أحد. كانت (ناينيث) قد مشطت ضفيرتها ووضعت خاتمها الذهبي - الأفعوان الذي يأكل ذيله - تحت فستانها بجانب خاتم (لان) الثقيل على الحبل الجلدي الذي يحيط بعنقها.

كانت جيوب معطف (إيلين) الكبيرة منتفخة بشكل مثير للريبة.

قالت (ناينيث) بفحيح خافت: «هل سرقت هذه التفاحات؟». ثم جذبت (إيلان) إلى الشارع المزدهم. «ليس علينا أن نسرق يا (إيلان)، ليس بعد على أي حال».

«حقاً؟ كم تبقى معنا من المال؟ لقد زعمت أنك لست جائعة عدة مرات في أوقات الوجبات في الأيام القليلة الماضية».

قالت (ناينيث) بحدة محاولة تجاهل الفراغ في بطنها: «حسنًا، أنا لست جائعة». إن تكلفة كل شيء باهظة أكثر مما كانت تتوقع. لقد سمعت السكان المحليين يشتكون بشأن ارتفاع الأسعار منذ مجيء (الشونتشان). «امنحيني واحدة من هذه». كانت التفاحة التي أخرجتها (إيلان) من جيبها صغيرة وصلبة، ولكنها أصدرت صوت قرمشة مع مذاق لذيذ عندما قضمتها (ناينيث). لعقت العصارة من على أصابعها وقالت: «كيف استطعت أن...». جذبت (إيلان) لتوقفها وحدثت إلى وجهها. «هل أنت...؟ هل أنت...؟». لم تستطع أن تفكر في طريقة لتقولها مع العدد الكبير من المارة، ولكن (إيلان) قد فهمت.

«القليل فحسب، لقد جعلت كومة من البطيخ القديم ذي البقع اللينة تسقط، وعندما بدأ في ترتيبها من جديد...». رأت (ناينيث) أنها لم تمتلك حتى الكياسة الكافية لأن يحمر وجهها خجلًا أو أن تبدو محرجة. راحت تأكل إحدى التفاحات بلا اكتراث، ثم هزت كتفيها وقالت: «لا حاجة لأن تعبسي في وجهي هكذا. لقد تلفتُ حولي بحذر لأتقن من عدم وجود (داماني) بالقرب مني». ثم قالت في كبرياء: «لو وقعت في الأسر فما كنت لأساعد أسري في العثور على نساء أخريات لاستعبادهن، ومع ذلك فإن الطريقة التي يتصرف بها هؤلاء الفالميون تجعلك تعتقدين أنهم خدم أبديون هؤلاء الذين يجب أن يكونوا أعداءهم حتى الموت». تلفتت حولها بازدراء واضح، ناظرة إلى الأشخاص المسرعين بجانبها. من الممكن تتبع مسار أي شونتشاني أو حتى الجنود العاديين من على مسافة بعيدة، من خلال موجات الانحناءات. «يجب أن يقاوموا، يجب أن يقاتلوا».

«كيف؟ ضد... هذا؟». كان عليهما أن تخطوا إلى جانب الطريق، مع كل شخص آخر عندما اقتربت دورية حراسة شونتشانية قادمة من اتجاه الميناء. استطاعت (ناينيث) أن تنحني واضعة يديها على ركبتيها، بوجه خالٍ من التعبيرات تمامًا. كانت (إيلان) أبطأ وقد انحنت مع التواء شفتيها في اشمئزاز.

كانت الدورية مكونة من عشرين رجلًا وامرأة مدرعين، يمتطون الخيول، وقد كانت (ناينيث) ممتنة لهذا. لم تستطع أن تعتاد رؤية الناس يمتطون هذه الأشياء التي تبدو وكأنها قطط بحراشف برونزية وبلا ذبول. وكان راكب واحد على أحد الوحوش الطائرة كافيًا لجعلها تشعر بالدوار. كانت ممتنة لأن هناك عددًا قليلًا منهم. ومع ذلك كان هناك مخلوقان ملجومان يهرولان إلى جانب الدورية كطائر بلا أجنحة، وبجلد خشن ومنقارين حادين يعلوان فوق رؤوس الجنود. بدا من قوائمها الطويلة القوية أنها قادران على الركض أسرع من أي حصان.

انتصبت ببطء بعد اختفاء (الشوننتشان). بعض من هؤلاء الذين كانوا منحنيين كادوا أن يركضوا. لم يكن هناك أحد مرتاح لرؤية الوحوش الشوننتشانية إلا (الشوننتشان) أنفسهم. قالت بصوت خافت بينما تستأنفان المشي: «إن قبض علينا يا (إيلين) فأقسم أنه قبل أن يقتلونا، أو يفعلوا أيًا كان ما سيفعلونه، أن أتوسل إليهم راحة أن يسمحوا لي بتمزيق جلدك بأقوى سوط يمكنني العثور عليه! إن كنت لا تزالين غير قادرة على تعلم توخي الحذر فربما حان الوقت للتفكير بشأن إعادتك إلى (تار فالون)، أو إلى ديارك في (كايملين)، أو أي مكان آخر عدا هنا».

«أنا حذرة، على الأقل أحرص على عدم وجود (داماني) على مقربة منا، ماذا عنك؟ لقد رأيتك تسخرين مع وجود واحدة على مرمى البصر».

تمتمت (ناينيف): «لقد تيقنت من أنها لا تنظر ناحيتي». كان عليها أن تجمع كل غضبها تجاه تقييد النساء كالحوانات لتتمكن من فعلها. «وقد فعلتها مرة واحدة، وكانت مجرد قطرة صغيرة».

«قطرة؟ لقد أمضينا ثلاثة أيام مختبئتين في غرفتنا، نحس أنفاسنا، بينما يفتشون البلدة بحثًا عنم فعلها. هل تسمين هذا حذرًا؟».

«كان عليّ أن أعرف إن كان هناك طريقة لفك تلك الأطواق». لقد اعتقدت أن هناك طريقة، كان عليها أن تختبر طوقًا آخر على الأقل قبل أن تتيقن، ولم تكن تتطلع إلى هذا. لقد فكرت - مثل (إيلين) - أن (الداماني) يجب أن يكن جميعًا سجينات يتقن إلى الهرب، ولكن المرأة في الطوق هي التي راحت تمنع.

مر من جانبها رجل يدفع عربة يدوية تتقاذف على أحجار الرصف وهو ينادي بشحذ المقصات والسكاكين. قالت (إيلين) بصوت خافت: «يجب عليهم أن يقاوموا بطريقة أو بأخرى، إنهم يتصرفون وكأنهم لا يرون شيئًا يحدث حولهم لا يكون (للشوننتشان) يد فيه».

تنهدت (ناينيف)، لم يساعدها تفكيرها في أن (إيلين) محقة بشكل جزئي على الأقل. في البداية فكرت أن خضوع الفالمين تظاهر فحسب، ولكنها لم تر أي دليل على المقاومة على الإطلاق. كانت تبحث في البداية على أمل أن تجد مساعدة في تحرير (إيجوين) و(مين)، ولكن الجميع كانوا خائفين من أدنى تلميح بمعارضة (الشوننتشان)، فتوقفت عن السؤال قبل أن تلفت النوع الخاطيء من الانتباه. الحقيقة هي أنها لا يمكنها أن تتصور كيف يمكن للناس أن يقاتلوا. وحوش و(آيز سيدي). كيف يمكن لك أن تقاتل وحوشًا و(آيز سيدي)؟

أمامها تنتصب بيوت حجرية عالية، من أكبر البيوت في البلدة، وتُشكّل معًا كتلة سكنية، وعلى بعد شارع منها عثرت (ناينيف) على زقاق بجانب محل خياطة، حيث يمكنها مراقبة مداخل بعض من البيوت العالية على الأقل. لم يكن بوسعها رؤية كل الأبواب في الوقت ذاته، لم ترغب في أن تغامر بالسماح (لإيلين) بالذهاب بمفردها لمراقبة المزيد من البيوت، كما لم يكن من الحكمة الاقتراب أكثر من هذا. فوق الأسطح في الشارع التالي كانت راية الصقر الذهبي الخاصة (بالسيد السامي توراك) تحفّق في الرياح.

فقط النساء كن يدخلن ويخرجن من تلك البيوت، وأغلبهن من (السولدام)، بمفردهن أو يسحبن (الداماني). لقد استولى (الشوننتشان) على المباني لتسكين (الداماني). لا شك أن (إيجوين) بالداخل، وعلى الأرجح (مين). لم ترَ إحداهما أثرًا (لين) حتى الآن، رغم أنه من المحتمل أن تكون مختبئة بين الحشود مثلها. لقد سمعت (ناينيف) الكثير من الحكايات عن النساء والفتيات اللائي يُختطفن من الشوارع، أو يُجلبن من القرى، وجميعهن قد دخلن هذه البيوت، ولم يُرَين مرة أخرى إلا وهن يرتدين طوقًا.

جلست (ناينيف) على صندوق بجانب (إيلان)، ثم بحثت في معطف الأخيرة عن حفنة من التفاح الصغير. كان هناك عدد قليل من السكان المحليين في هذه الشوارع، الجميع يعرفون طبيعة هذه البيوت، والجميع يتجاهلونها، تمامًا كما يتجاهلون الأسطبلات التي يحتفظ فيها (الشوننتشان) بوحوشهم. لم يكن من الصعب مراقبة الأبواب من خلال الفراغات بين المارة. امرأتان فقط قد توقفتا لتناول شيء من الطعام. مجرد شخصين آخرين لا يستطيعان تحمل تكلفة تناول الطعام في حانة. لا شيء يجذب انتباهًا أكثر من نظرة عابرة. راحت (ناينيف) تأكل برتابة وهي تحاول رسم خطة أخرى. إن قدرتها على فتح الطوق - إن كانت قادرة على هذا حقًا - لن تنفعها ما لم تكن قادرة على الوصول إلى (إيجوين). لم يعد مذاق التفاح حلواً.

من نافذة ضيقة في غرفتها الصغيرة تحت الأفاريز - واحدة من مجموعة من الغرف تشكلت بوضع جدران كيفما اتفق في ذلك المكان أيًا ما كان من قبل - استطاعت (إيجوين) أن ترى الحديقة حيث (السولدام) يمشين (الداماني). كانت حدائق متعددة قبل أن يهدم (الشوننتشان) الجدران التي تفصل بينها، ويستولون على البيوت الكبيرة للاحتفاظ (بالداماني) فيها. كانت الأشجار كلها عارية من الأوراق، ولكن (الداماني) كن يؤخذن إلى الخارج من أجل الهواء، سواء أردن هذا أم لا. كانت (إيجوين) ترأب الحديقة لأن (رينا) هناك بالأسفل، تتحدث مع (سولدام) أخرى، وما دام بمقدورها رؤية (رينا) فلن تأتي وتباغتها.

قد تأتي (سولدام) أخرى، هناك دومًا (سولدام) أكثر بكثير من (الداماني)، وكل (سولدام) تريد دورها في ارتداء سوار، يطلقن على هذا اسم الاكتمال، ولكن (رينا) لا تزال مسئولة عن تدريبها، وهي من ترتدي سوارها أربع مرات من أصل خمسة. إن جاء أي شخص فلن يجد عائقًا للدخول. لا توجد أقفال على أبواب غرف (الداماني). لم تكن غرفة (إيجوين) تحتوي إلا على سرير صلب ضيق وحوض اغتسال به إبريق ووعاء مكسورين، وكرسي واحد وطاولة صغيرة، ولكن لم يكن بها مساحة من أجل المزيد، (الداماني) لا يحتجن إلى الراحة أو الخصوصية أو الممتلكات. إن (الداماني) هن الممتلكات. كان لدى (مين) غرفة مثل هذا في بيت آخر، تستطيع (مين) أن تذهب وتجيء كما تشاء، أو يكاد أن يكون الأمر هكذا. إن (الشوننتشان) متمسكون بالقواعد، ولديهم الكثير من القواعد لكل شخص، أكثر مما لدى (البرج الأبيض) تجاه المبتدئات.

كانت (إيجوين) تقف بعيدًا عن النافذة، لم تكن تريد من أي من النساء بالأسفل أن ينظرن إلى الأعلى ويرين الوهج الذي تعرف أنه يحيط بها بينما تسخر (القوة الواحدة)، وتتفحص الطوق المحيط بعنقها بدقة،

بحثًا عن نقاط ضعف. لم تكن تعرف حتى إن كان الطوق منسوجًا أم مصنوعًا من حلقات، أحيانًا يبدو هذا وأحيانًا يبدو ذاك، ولكنه معظم الوقت يبدو قطعة واحدة. كانت مجرد قطرة من (القوة الواحدة). أصغر نقطة يمكنها أن تتخيلها، ولكنها مع ذلك جعلت معدتها تتقلص ووجهها يتصبب عرقًا. كانت هذه واحدة من خصائص (الأيдам)؛ إن حاولت (الداماني) أن تسخر دون أن ترتدي (السولدام) سوارها فإنها تشعر بالمرض، وكلما زادت (القوة) التي تسخرها ازدادت مرضًا. إن إشعال شمعة بعيدًا عن متناول ذراعها كان كافيًا لجعل (إيجوين) تنقيًا. ذات مرة أمرتها (رينا) بأن تتلاعب بكرات صغيرة من الضوء بينما السوار موضوع على الطاولة. إن تذكر هذا لا يزال يجعلها ترتجف.

الآن كان اللجام الفضي متلويًا على الأرضية العارية وصاعدًا الجدار الخشبي غير المطلي حيث يتدلى السوار من مشجب. إن رؤيته معلقًا هناك تجعلها تجز على أسنانها في غضب. إن الكلب الذي يُلقى لجامه بلا اكتراث يُمكن أن يهرب بعيدًا، ولكن إن حاولت (الداماني) تحريك سوارها مقدار قدم من الموضع الذي لمستة فيه (السولدام) آخر مرة... لقد جعلتها (رينا) تفعل هذا أيضًا، أمرتها أن تحمل سوارها عبر الغرفة، أو أن تحاول فعل هذا. كانت متيقنة من أنه لم يمر سوى دقائق قبل أن تضع (السولدام) السوار حول معصمها، ولكن بالنسبة (لإيجوين) فإن الصرخات والتشنجات التي جعلتها تتلوى على الأرض قد بدت وكأنها استمرت لساعات.

نقر شخص ما على الباب فجفلت (إيجوين) قبل أن تدرك أنها من المستحيل أن تكون (سولدام). تركت (السايدار) يتلاشى على أي حال، وقد بدأت تشعر بمرض واضح. «(مين)؟».

قالت (مين) وهي تدخل وتغلق الباب وراءها: «ها أنا ذا قد جئت من أجل زيارتي الأسبوعية». لقد بدا مرحها مصطنعًا بعض الشيء ولكنها دومًا ما تبذل قصارى جهدها لرفع معنويات (إيجوين). «ما رأيك في هذا؟». دارت حول نفسها في دائرة صغيرة لتُظهر فستانها الصوفي الأخضر الداكن على الطراز الشونتشاني. كان على ذراعيها عباءة ثقيلة من لون مماثل، بل وكان هناك شريط أخضر يحيط بشعرها الأسود رغم أنه بالكاد كان طويلًا بما يكفي من أجل هذا. كانت مع ذلك تحمل سكينها في غمده عند خصرها. لقد تفاجأت (إيجوين) عندما رأت (مين) لأول مرة وهي تحمله، ولكن يبدو أن (الشونتشان) يثقون بالجميع حتى يكسروا قاعدة.

قالت (إيجوين) بحذر: «إنه جميل، ولكن لماذا؟».

«لم أنضم إلى الأعداء إن كان هذا ما تفكرين فيه. كان عليّ أن أفعل هذا وإلا فسيكون عليّ أن أجد مكانًا آخر لأقيم فيه في البلدة، وحينها قد لا أقدر على زيارتك مرة أخرى». حاولت أن تفرج ساقها لتجلس على الكرسي المقلوب كما اعتادت أن تفعل وهي ترتدي سروالًا، ثم هزت رأسها بسخرية، قبل أن تديره لتجلس عليه. قالت محاكية بشكل ساخر: «الجميع لهم مكان في (النمط)، ويجب أن يكون مكان كل شخص واضحًا بسهولة». ثم أضافت: «يبدو أن تلك العجوز الشمطاء (مولاين) قد سئمت من عدم معرفة مكانتي بمجرد

رؤيتي وقررت أنني في نفس مرتبة الخادמות. لقد أعطتني حرية الاختيار. يجب عليك أن تري بعض الأشياء التي ترتديها خادמות (الشوننتشان)، أولئك اللائي يخدمن اللوردات. قد يكون الأمر ممتعاً، ما لم أكن مخطوبة، أو الأفضل متزوجة. حسناً، لا يوجد مجال للتراجع، ليس بعد على أي حال، لقد أحرقت (مولايين) معطفي وسروالي». تجهمت معبرة عن رأيها في الأمر ثم التقطت حجراً من كومة صغيرة على الطاولة وبدأت ترميه من يد إلى أخرى. قالت ضاحكة: «الأمر ليس سيئاً للغاية، باستثناء أنني لم أرتد التنانير منذ فترة طويلة، حتى إنني أتعثر فيها باستمرار».

كان على (إيجوين) أن تشاهد ملابسها وهي تحترق أيضاً، بما في ذلك الفستان الحريري الأخضر الجميل. كانت مسرورة لأنها لم تجلب المزيد من الملابس التي أعطتها لها السيدة (أماليسا)، رغم أنها قد لا ترى أيّاً منها - أو (البرج الأبيض) - مرة أخرى. ما ترتديه الآن هو نفس الثوب الرمادي الداكن الذي ترتديه جميع (الداماني). لقد قيل لها إن (الداماني) لا يمتلكن شيئاً، فالفستان الذي ترتديه (الداماني)، والطعام الذي تأكله، والفراش الذي تنام عليه، جميعها هدايا من (السولدام) خاصتها. من حق (السولدام) أن تختار أن تنام (الداماني) على الأرض بدلاً من الفراش أو في الإسطبل. (مولايين) - المسئولة عن مساكن (الداماني) - لها صوت أنفي طنان، ولكنها تتصرف بحدة مع أي (داماني) لا تتذكر كل كلمة من محاضراتها المملة.

قالت (إيجوين): «لا أعتقد أنه سيكون هناك أي مجال للتراجع بالنسبة لي على الإطلاق». تنهدت وهي تجلس على فراشها، ثم أشارت إلى الصخور على الطاولة وقالت: «لقد منحتني (رينا) اختباراً بالأمس. لقد فرقت ما بين قطع الحديد الخام وقطع النحاس الخام معصوبة العينين في كل مرة تخلطهما فيها. لقد تركتها هنا لتذكرني بنجاحي. يبدو أنها تعتقد أن التذكير نوع من المكافأة».

«لا يبدو هذا الأمر أسوأ من البقية، ليس بسوء جعل الأشياء تنفجر كالألعب النارية. ولكن ألم يكن بمقدورك أن تكذبي؟ أن تخبريها بعدم قدرتك على التفريق بينهما؟».

«ما زلت لا تفهمين طبيعة الأمر». جذبت (إيجوين) الطوق. لم يكن الجذب أكثر فائدة من التسخير. «عندما ترتدي (رينا) السوار فإنها تعرف ما الذي أفعله (بالقوة الواحدة) وما الذي لا أفعله. بل أحياناً يبدو أنها تعرف حتى عندما لا ترتديه. إنها تقول إن (السولدام) يطورن صلة - كما تسميها - بعد فترة من الوقت». ثم تنهدت وقالت: «لم يفكر أحد في اختباري في هذا باكراً. إن الأرض هي واحدة من القوى الخمسة التي تكون أقوى لدى الرجال، عندما ميزت بين تلك الصخور أخذتني إلى خارج البلدة، وكنت قادرة على أن أشير مباشرة إلى منجم حديد مهجور. كان مغطى بالنباتات ولم يكن هناك أي فتحة يمكن رؤيتها على الإطلاق، ولكنني بمجرد أن عرفت كيف أفعل هذا صار بمقدوري أن أشعر بخام الحديد الذي لا يزال في باطن الأرض. لم يعد فيه ما يكفي لجعله يستحق العمل منذ مئة عام، ولكنني عرفت أنه هناك. لا يمكنني أن أكذب عليها يا (مين). لقد عرفت أنني أشعر بالمنجم بمجرد إحساسي به، لقد شعرت بالحماس ووعدتني بتناول حلوى البودنج مع عشائي». شعرت بحرارة وجنتيها تزداد مع إحساسها بالغضب

والإحراج. قالت بمرارة: «من الواضح أنني صرت ثمينة للغاية، فلا يمكن إهداري في جعل الأشياء تتفجر. أي (داماني) يمكنها أن تفعل هذا، ولكن عددًا قليلًا يمكنهن العثور على المواد الخام في باطن الأرض. بحق (النور)، أنا أكره جعل الأشياء تتفجر، ولكني أتمنى لو أن هذا كل ما يمكنني فعله».

ازداد وجهها احتقًا، إنها تكره هذا؛ أن تجعل الأشجار تتمزق إلى شظايا والأرض تثور. هذا من أجل المعارك والقتل، وهي لا تريد أن تكون جزءًا منه. ولكن أي شيء يسمح لها (الشوننتشان) بفعله هو فرصة أخرى للمس (السايدار)، أن تشعر (بالقوة الواحدة) تتدفق بداخلها. إنها تكره الأشياء التي تجربها (رينا) و(السولدام) الأخريات على فعلها. ولكنها كانت متيقنة من أنها تستطيع الآن التعامل مع قدر من (القوة الواحدة) أكثر بكثير مما كانت قادرة على التعامل معه قبل أن تغادر (تار فالون). إنها تعرف قطعًا أن باستطاعتها أن تفعل أشياء لم تفكر أي أخت في (البرج) في فعلها من قبل. إنهن لم يفكرن قط في تمزيق الأرض إربًا لقتل الرجال.

قالت (مين) مبتسمة: «ربما لن تضطري إلى القلق بشأن أي من هذا لوقت أطول، لقد عثرت لنا على سفينة يا (إيجوين). إن (الشوننتشان) يحتجزون القبطان هنا، وهو مستعد للإبحار بإذن أو من دون إذن».

قالت (إيجوين) بتعب: «إن كان سيأخذك يا (مين) فاذهبي معه، قلت لك إنني ثمينة الآن. تقول (رينا) إنهم سيرسلون سفينة لتعود إلى (شوننتشان) في غضون بضعة أيام، فقط لكي يأخذوني».

تلاشت ابتسامة (مين)، وراحت كل منهما تحديق إلى الأخرى. فجأة ألقت (مين) بصخرتها ناحية الكومة على الطاولة مما جعلها تتناثر. «يجب أن يكون هناك طريقة للخروج من هنا، يجب أن يكون هناك طريقة لانتزاع هذا الشيء اللعين من حول عنقك».

اتكأت (إيجوين) برأسها إلى الجدار وقالت: «أنتِ تعرفين أن (الشوننتشان) كانوا يجمعون كل امرأة يعثرون عليها يمكنها التسخير ولو مقدار ذرة. إنهن يأتين من كل مكان، ليس فقط من هنا في (فالبي)، ولكن من كل قرى الصيد وبلدات المزارع الداخلية؛ نسوة تارابونيات ودومانيات، راكبات من السفن التي قد أوقفوها. هناك اثنتان من (الآيز سيدي) بينهما».

صاحت (مين): «(آيز سيدي)!». بحكم العادة تلفتت حولها لتتقن من أن آيا من (الشوننتشان) لم يسمعها وهي تنطق بهذا الاسم. «إن كان هناك (آيز سيدي) هنا يا (إيجوين) فربما يمكنهما مساعدتنا. سوف أتحدث إليهما...».

«لا يمكنهما حتى مساعدة نفسيهما يا (مين)، لقد تحدثت مع إحداها، اسمها (ريبا). (السولدام) لا ينادينها بهذه الاسم، ولكنه اسمها. لقد حرصت على أن أعرفه، وأخبرتني أن هناك واحدة أخرى. قالت هذا من بين دموعها. إنها (آيز سيدي)، وكانت تبكي يا (مين)! كان هناك طوق حول عنقها. إنهن يجعلنها تستجيب لاسم (بورا)، ولا يمكنها أن تفعل شيئًا حيال الأمر أكثر مما يمكنني فعله، لقد أمسكوا بها عندما سقطت (فالبي). كانت تبكي لأنها بدأت تتوقف عن مقاومة الأمر، لأنها لم تعد قادرة على تحمل العقاب».

كانت تبكي لأنها تريد أن تتحرر، ولا تستطيع حتى أن تفعل هذا دون إذن. أنا أعرف كيف تشعر بحق (النور)!!».

تلملت (مين) في توتر، ثم راحت تهندم فستانها بيدين متوترتين. «(إيجوين)، هل ترغبين حقًا في... يجب ألا تفكري في إيذاء نفسك يا (إيجوين)، سأخرجك بطريقة ما، سأفعل هذا». قالت (إيجوين) بنبرة جافة: «لن أقتل نفسي حتى لو كان بوسعي هذا. دعيني أحمل سكينك، هيا، لن أؤذي نفسي، فقط أعطيني إياه».

ترددت (مين) قبل أن تخرج سكينها ببطء من غمده عند خصرها. مدت السكين بحذر، وكانت مستعدة بشكل واضح لأن تقفز في حال أن حاولت (إيجوين) فعل أي شيء.

أخذت (إيجوين) نفسًا عميقًا ثم مدت يدها ناحية المقبض. سرت رعشة طفيفة عبر عضلات ذراعيها، عندما صارت يدها على مسافة قدم من السكين شعرت بتشنج مفاجئ في أصابعها. ضيقت عينيها وهي تحاول إجبار يدها على الاقتراب أكثر. اجتاحت التشنجات ذراعها بأسرها، وتشنجت عضلات كتفها. تأوهت وهي تتراجع إلى الوراء وتفرك ذراعها وتركز أفكارها على عدم لمس السكين. بدأ الألم يتلاشى ببطء.

حدقت (مين) إليها في حيرة ثم قالت: «ماذا...؟ أنا لا أفهم».

«ليس مسموحًا (للداماني) أن يلمس سلاحًا من أي نوع». راحت تفرك ذراعها وهي تشعر بالتشنجات تتلاشى. «حتى اللحم يُقَطَّع من أجلنا. أنا لا أرغب في إيذاء نفسي، ولكني لا أستطيع فعل هذا حتى لو أردت. لا تُترك أي (داماني) بمفردها في مكان يمكنها فيه أن تقفز من علوٍ - هذه النافذة مغلقة بالمسامير - أو أن تلقي نفسها في النهر».

«حسنًا، هذا شيء جيد. أعني... أوه، لا أعرف ما الذي أعنيه، إن كنتِ قادرة على القفز في نهر فربما تستطيعين الهرب».

أكملت (إيجوين) حديثها بوجوم وكأن (مين) لم تتحدث: «إنهن يدربنني يا (مين). (السولدام) و(الأيدام) يدربانني. لا يمكنني أن ألمس شيئًا أفكر فيه حتى باعتباره سلاحًا. قبل بضعة أسابيع فكرت في ضرب (رينا) على رأسها بذلك الإبريق، ولم أستطع صب ماء الاغتسال بعدها لثلاثة أيام. بمجرد أن فكرت فيه بهذه الطريقة لم يعد عليّ فقط أن أتوقف عن التفكير في ضربها به، بل صار عليّ أن أقنع نفسي أنني لن أضربها به تحت أي ظرف قبل أن أتمكن من لمسه مرة أخرى. لقد عرفت ما حدث، وأخبرتني بما يجب عليّ فعله. ولم تسمح لي بالاغتسال في أي مكان إلا باستخدام ذلك الإبريق والوعاء. أنتِ محظوظة لأن هذا قد حدث بين أيام زيارتك. لقد حرصت (رينا) على أن أقضي تلك الأيام وأنا أتصبب عرقًا من وقت استيقاظي وحتى أسقط نائمة في تعب. أنا أحاول مقاتلتهم، ولكنهن يدربنني تمامًا كما يدربن (بورا)». وضعت يديها على فمها وتأوهت من بين أسنانها. «اسمها (ريما)، يجب عليّ أن أتذكر ذلك الاسم، وليس الاسم الذي

منحنه لها. إنها (ريما)، وهي من (الآجاء الصفراوات)، وقد قاتلتهم لأطول فترة ممكنة، وبكل ما تملك من قوة. ليس ذنبها أنها لم تعد تملك ما يكفي من القوة للقتال أكثر من هذا. أتمنى لو أنني أعرف من الأخت الأخرى التي ذكرتها (ريما)، أتمنى لو أنني أعرف اسمها. تذكرتي كلتيهما يا (مين)؛ (ريما) من (الآجاء الصفراوات)، و(إيجوين ألفتير)، ليس (إيجوين) (الداماني)، بل (إيجوين ألفتير) من (إيموندز فيلد). هل ستفعلين هذا؟».

قالت (مين) بحدة: «كفي عن هذا! كفي عن هذا على الفور! إن أرسلت على متن سفينة إلى (شونتشان) فسأذهب إلى هناك معك، ولكنني لا أعتقد أنك ستذهبين، أنت تعرفين أنني قد قرأتك يا (إيجوين). أنا لا أفهم معظم الأمر - عادة لا أفهم معظمه - ولكنني أرى أشياء واثقة من أنها تربطك (براند) و(بيرين) و(مات)، و... أجل، وحتى (جالاد)، فليحفظك (النور) من حماقتك. كيف يمكن لأي من هذا أن يحدث إن أخذك (الشونتشان) عبر المحيط؟».

«ربما سيغزون العالم بأسره يا (مين). إن كانوا سيغزون العالم فلا يوجد سبب يمنع (راند) و(جالاد) والبقية من أن ينتهي بهم المطاف في (شونتشان)». «أيتها الحمقاء الساذجة!».

قالت (إيجوين) بحدة: «أنا أفكر بشكل عملي، لا أنوي التوقف عن القتال ما دام في صدري نفس يتردد، ولكنني لا أرى أي أمل في التخلص من هذا (الأيدام) أيضًا، تمامًا كما لا أرى أي أمل في أن يوقف أي شخص (الشونتشان). إن كان قبطان تلك السفينة سيأخذك فلتذهبي معه يا (مين)». انفتح الباب وخطت (رينا) إلى الداخل.

قفزت (إيجوين) واقفة على قدميها وانحنت بحدة كما فعلت (مين). كانت الغرفة ضيقة على الانحناء، ولكن (الشونتشان) يضعون البروتوكول فوق الراحة. قالت (رينا): «إنه يوم زيارتك، أليس كذلك؟ لقد نسيت. حسنًا، هناك تدريب يجب إنجازه حتى في أيام الزيارة».

راقبت (إيجوين) بحدة بينما (السولدام) تُنزل السوار وتفتحه قبل أن تربطه حول معصمها. لم تستطع أن ترى كيف حدث الأمر، لو كان بمقدورها أن تتفحص الأمر باستخدام (القوة الواحدة) لفعلت هذا، ولكن (رينا) ستعرف على الفور. عندما انغلق السوار حول معصم (رينا) ارتسمت نظرة على وجه (السولدام) جعلت قلب (إيجوين) ينقبض.

«لقد كنتِ تسخرين». كان صوت (رينا) هادئًا بشكل مخادع، فهناك شرارة غضب في عينيها. «أنتِ تعرفين أن هذا محرم إلا عندما نكون مكتملتين». بللت (إيجوين) شفتيها. «ربما كنت متساهلة للغاية معك، ربما تعتقدين أنه نظرًا لكونك ثمينة الآن فإن هذا يمنحك رخصة لفعل ما يحلو لك. أعتقد أنني قد ارتكبت

خطأً بالسماح لك بالاحتفاظ باسمك القديم. كان لدي قطعة تُدعى (تولي) عندما كنت طفلة. سيكون اسمك (تولي) من الآن فصاعداً. يمكنك الانصراف الآن يا (مين)، إن يوم زيارتك (لتولي) قد انتهى». ترددت (مين) للحظة فحسب، لتلقي نظرة حزينة على (إيجوين)، قبل أن تغادر. إن أي شيء تقوله (مين) أو تفعله سيجعل الأمور أسوأ. ولكن (إيجوين) لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر باشتياق إلى الباب بينما ينغلق وراء صديقتها.

جلست (رينا) على الكرسي ونظرت إلى (إيجوين) عاقدة حاجبيها. «يجب أن أعاقبك بشدة على هذا. لقد أُستدعيت كلتانا إلى (بلاط الأقمار التسعة) - أنت بسبب ما يمكنك فعله، وأنا لكوني (السولدام) خاصتك ومدربتك - لن أسمح لك بأن تخزيني أمام الإمبراطورة. سأتوقف عندما تخبريني بمدى حبك لكونك (داماني)، وكم ستكونين مطيعة بعد هذا. والآن يا (تولي) اجعليني أصدق كل كلمة».

الفصل الثالث والأربعون

خطة

بالخارج في الرواق ذي السقف المنخفض غرست (مين) أظافرها في راحة يدها مع أول صرخة حادة من الغرفة. قطعت خطوة ناحية الباب قبل أن تتمكن من إيقاف نفسها، وعندما توقفت تفجرت الدموع من عينيها. فليساعدني (النور)، كل ما يمكنني فعله هو جعل الأمر أسوأ. أنا آسفة يا (إيجوين)، أنا آسفة.

شعرت أنها عديمة الفائدة، بل ما هو أسوأ، فأمسكت بتنورتها وركضت تلاحقها صرخات (إيجوين)، لم تستطع أن تُجبر نفسها على البقاء، وجعلها الرحيل تشعر أنها جبانة. بينما البكاء شبه يعميها وجدت نفسها في الشارع قبل أن تُدرك هذا. كانت تنوي العودة إلى غرفتها، ولكنها لم تستطع فعل هذا. لم تتحمل فكرة أن (إيجوين) تتعرض للإيذاء بينما تجلس هي دافئة وآمنة تحت السقف المجاور. مسحت الدموع من عينيها ثم أحاطت كتفيها بالعباءة وخطت عبر الشارع. كل مرة تمسح عينيها تسيل الدموع من جديد على وجنتيها. لم تكن معتادة على البكاء علانية، ولكنها في الوقت ذاته لم تكن معتادة على الإحساس بكونها عاجزة وعديمة الفائدة. لم تكن تعرف إلى أين هي ذاهبة، بل تعرف فقط أن عليها الابتعاد قدر الإمكان عن صرخات (إيجوين).

«(مين)!».

جعلتها الصرخة الرفيعة تتوقف في موضعها. في البداية لم تعرف من الذي يناديها، هناك عدد قليل من الأشخاص يسرون قريباً من بيوت (الداماني). باستثناء رجل وحيد يحاول إثارة اهتمام رجلين من (الشوننتشان) لشراء لوحة سيرسمها لهما بطباشير ملون كان كل شخص محلي آخر يحاول أن يمر بسرعة دون أن يبدو حقاً وكأنه يركض. كان هناك اثنتان من (السولدام) تمشيان في مكان قريب تتبعهما اثنتان من (الداماني) بأعين مطرقة، والمرأتان الشوننتشانيتان تتحدثان عن عدد (الماراثداماني) الذي يتوقعون العثور عليه قبل أن يبحروا. مرت عينا (مين) على امرأتين في معطفين صوفيين طويلين، ثم أعادت بصرها في دهشة بينما تقتربان منها. «(ناينيث؟) (إيلين؟)».

«ومن غيرنا؟». كانت ابتسامة (ناينيث) متوترة، كلتاها قد بدت متوترة، كأنها تبدلان قصارى جهدهما لكيلا تقطبا جبينيهما في قلق. فكرت (مين) أنها لم ترَ قط شيئاً رائعاً مثل رؤيتهما. أكملت (ناينيث): «هذا اللون يناسبك، كان عليك ارتداء الفساتين منذ وقت طويل، على الرغم من أنني فكرت في ارتداء السراويل منذ أن رأيتك ترتديها». صار صوتها حاداً عندما اقتربت بما يكفي لرؤية وجه (مين). «ما الأمر؟».

قالت (إيلين): «لقد كنتِ تبكين، ما الذي حدث (لإيجوين؟)».

جفلت (مين) ونظرت وراءها، كان هناك (سولدام) و(داماني) تخطوان عبر الدرج الذي استخدمته، وتتوجهان عبر الاتجاه الآخر ناحية الأسطبلات ومرابض الخيول. كان هناك امرأة أخرى ترتدي فستاناً عليه

صواعق تقف أعلى الدرج، وتتحدث مع شخص لا يزال بالداخل. أمسكت (مين) ذراعي صديقتها ودفعتهما عبر الشارع ناحية الميناء. «إن وجودكما هنا يشكل خطرًا عليكما. بحق (النور)، إن وجودكما في (فالبي) يشكل خطرًا عليكما، هناك (داماني) في كل مكان، وإن عثرنا عليكما... أنتما تعرفان من هن (الداماني)؟ أوه، أنتما لا تعرفان كم من الرائع رؤيتكما».

قالت (ناينيف): «أتخيل أنه بنصف روعة رؤيتك. هل تعرفين أين (إيجوين)؟ هل هي في أحد هذه المباني؟ هل هي بخير؟».

ترددت (مين) للحظة ثم قالت: «إنها بخير قدر ما يمكن توقعه». كانت (مين) تعرف جيدًا ما ستفعلانه إن أخبرتهما بما يحدث (لإيجوين) في هذه اللحظة، على الأرجح ستندفع (ناينيف) في محاولة لإيقاف الأمر. أتمنى بحق (النور) أن الأمر قد انتهى. أتمنى بحق (النور) أن تُحني عنقها العنيد ولولمة واحدة قبل أن تكسره. «ولكني لا أعرف كيف أخرجها، لقد عثرت على قبطان سفينة أعتقد أنه سيأخذنا إن استطعنا الوصول إلى سفينته معها. لن يساعدنا ما لم نصل إلى ذلك الحد، ولا يمكنني أن ألومه، ولكن ليس لدي أدنى فكرة عن كيفية فعل هذا».

قالت (ناينيف) مفكرة: «سفينة، هذا يعني ببساطة التوجه شرقًا. ولكني يجب أن أقول إنني أشعر بالقلق حيال الأمر. حسبما أعرف فإننا سنحتاج إلى تجاوز (تومان هيد) قبل أن نبتعد عن دوريات (الشوننتشان) تمامًا، وبعدها سيكون هناك كما أفترض قتال من نوع ما في (سهل ألوث). لم أفكر في سفينة، لدينا خيول، ولكن ليس معنا مال من أجل السفر. كم يريد هذا الرجل؟».

هزت (مين) كتفيها وقالت: «لم أصل إلى هذا الحد. ليس لدينا أي أموال أيضًا، فكرت أنه ربما يمكننا تأجيل الدفع حتى نبحر، وبعدها... حسنًا، لا أعتقد أنه سينزل في أي ميناء يوجد به (شوننتشان). أينما ينزلنا فستكون لدينا فرصة أفضل من هنا. المشكلة هي إقناعه بالإبحار على الإطلاق، إنه يرغب في هذا ولكن هناك دوريات قبالة الميناء أيضًا، ولن يعرف أحد إن كان هناك (داماني) على متن سفنهم إلا بعد فوات الأوان. لقد قال امنحيني (داماني) خاصة بي على متن سفيتي وسأبحر في التو واللحظة، ثم بدأ يتحدث عن التيارات المائية والمياه الضحلة والشواطئ المحمية من الرياح. لا أفهم أي شيء من هذا، ولكن ما دمت أبتسم وأومئ برأسي بين الحين والآخر فإنه يستمر في الحديث، وأعتقد أن باستطاعتي أن أجعله يتحدث طويلاً بما يكفي حتى يقنع نفسه بالإبحار». أخذت نفسًا مرتجفًا وبدأت عيناها تترقرقان بالدموع من جديد. «ولكني لا أعتقد أن هناك وقتًا كافيًا لجعله يقنع نفسه بالإبحار، إنهم سيرسلون (إيجوين) إلى (شوننتشان) يا (ناينيف)، وقريبًا».

شهقت (إيلان) وقالت: «ولكن لماذا؟».

قالت (مين) في بؤس: «إنها قادرة على العثور على المواد الخام. لقد قالت إن هذا سيكون بعد بضعة أيام، ولا أعرف إن كانت بضعة أيام كافية لهذا الرجل لكي يقنع نفسه بالإبحار. وحتى لو كانت كافية، فكيف

ننزع عنها ذلك الطوق اللعين؟ كيف نخرجها من البيت؟».

تنهدت (إيلان) وقالت: «أتمنى لو كان (راند) هنا». وعندما نظرنا إليها احمرت وجتتها خجلًا وأضافت على الفور: «حسنًا، إن معه سيفًا. أتمنى لو كان معنا شخص يحمل سيفًا. عشرة منهم. مئة». قالت (ناينيف): «نحن لا نحتاج إلى السيوف أو القوة العضلية، بل نحتاج إلى الذكاء. الرجال عادة يفكرون بشعر صدورهم». لمست صدرها بشروء وكأنها تتحسس شيئًا ما من خلال معطفها. «معظمهم كذلك».

قالت (مين): «سوف نحتاج إلى جيش، جيش كبير. لقد كان عدد (الشوننتشان) قليلًا عندما واجهوا التارابونيين والدومانين، ومع ذلك فقد انتصروا بسهولة في كل معركة حسبما سمعت». في عجلة جذبت (ناينيف) و(إيلان) إلى الجانب الآخر من الشارع، بينما (داماني) و(سولدام) تمران من جوارهن. أحست بالارتياح لأن المرأتين الأخريين كانتا تراقبان المرأتين المرتبطتين بحذر مثلها دون إلحاح منها. «بما أننا لا نملك جيشًا فسيكون على ثلاثتنا فعلها. آمل أن إحداكما يمكنها التفكير في شيء لم أفكر فيه، لقد اعتصرت ذهني ودومًا ما أتعثر عندما يصل الأمر إلى (الأيدام)؛ اللجام والطوق. لا تحب (السولدام) أن يراقبهن أحد عن كذب بينما تفتحن (الأيدام). أعتقد أنه باستطاعتي أخذكما إلى الداخل، إن كان هذا سيساعدكما. واحدة منكما على الأقل. إنهن ينظرن إليّ باعتباري خادمة، ولكن الخادמות يستقبلن زوارًا، ما دام أن هذا في مساكن الخادومات».

عقدت (ناينيف) حاجبيها في تفكير عميق، ولكن سرعان ما ارتسم التصميم على وجهها قائلة: «لا تقلقي يا (مين)، لدي بعض الأفكار. لم أقضِ وقتي هنا مكتوفة اليدين. فلتأخذيني إلى ذلك الرجل، إن كان التعامل معه أصعب من التعامل مع رجال (مجلس القرية) بكل عنادهم فسأكل معطفي». أومأت (إيلان) برأسها مبتسمة، وشعرت (إيلان) بأمل حقيقي لأول مرة منذ مجيئها إلى (فالمي). للحظة وجدت (مين) نفسها تقرأ هالتي المرأتين. هناك خطر، ولكن هذا كان متوقعًا. وهناك أشياء جديدة أيضًا بين الصور التي قد رأتها من قبل. هذا يحدث أحيانًا. خاتم رجالي من ذهب ثقيل يطفو فوق رأس (ناينيف)، وفوق رأس (إيلان)، حديد ساخن للغاية وفأس. كانت متيقنة أن هذا يعني المتاعب، ولكن الأمر يبدو بعيدًا في مكان ما في المستقبل. لم تستمر القراءة إلا للحظة، وبعدها صار كل ما تراه هو (إيلان) و(ناينيف) تنظران إليها في ترقب.

قالت: «إنه هناك بالقرب من المياه».

كان الشارع المنحدر يزداد ازدحامًا كلما انحدروا للأسفل. كان الباعة الجائلون يزاحمون التجار الذين جلبوا العربات من القرى الداخلية، ولن يرحلوا مرة أخرى قبل أن يحل فصل الشتاء وينتهي؛ باعة ينادون المارة وهم يحملون صحافهم، فالميون بعباءاتهم المطرزة يمرون من أمام عائلات المزارعين في معاطفهم الصوفية الثقيلة. لقد فر العديد من الناس إلى هنا من القرى البعيدة عن الساحة. لم ترَ (مين) أي جدوى من

هذا، إنهم يهربون من احتمالية مجيء (الشوننتشان) إلى يقين وجود (الشوننتشان) من حولهم، ولكنها سمعت بما يفعله (الشوننتشان) عند ذهابهم إلى قرية لأول مرة، ولم تستطع أن تلوم القرويين على خوفهم من مجيء (الشوننتشان) مرة أخرى. كان الجميع ينحنون عندما يمر (الشوننتشان) أو هودج مغطى بالسائر عبر الشارع المنحدر.

كانت (مين) مسرورة لرؤية أن (ناينيث) و(إيلين) تعرفان بشأن الانحناء. لم يكن حاملو الهودج عراة الصدور يهتمون بالأشخاص المنحنيين أكثر من اهتمام الجنود المدرعين المتغطرسين، ولكن عدم الانحناء سيلفت انتباههم بالتأكيد.

تحدثن قليلاً بينما يمشين عبر الشارع، واندeshشت عندما عرفت أنها قد جاءتا إلى البلدة بعد أيام قليلة من مجيئها هي و(إيجوين)، ولكن بعد لحظة فكرت أنه ليس من المستغرب أنها لم تلتقي بهما مسبقاً، ليس مع هذا الازدحام في الشوارع. لم تكن راغبة في قضاء وقت بعيدة عن (إيجوين) أكثر مما هو ضروري، وكان هناك دوماً خوفاً من أن تذهب لزيارة (إيجوين) وتجد أنها قد رحلت. والآن سوف ترحل، ما لم تفكر (ناينيث) في شيء ما.

صار الهواء مثقلاً برائحة الملح والقار، وتعالَت صرخات طيور النورس وهي تحلق في السماء. ظهر البحارة بين الحشود، العديد منهم يمشون حفاة رغم البرد.

كانت الحانة قد أُعيد تسميتها في عجالة لتصير (حانة أزهار البرقوق الثلاثة)، ولكن جزءاً من كلمة «المراقبين» لا يزال ظاهراً من بين الطلاء العشوائي على اللافتة. على الرغم من الحشود بالخارج فإن الحجرة العامة كانت نصف خاوية، فالأسعار باهظة للغاية على أن يتحمل معظم الناس الجلوس لتناول الجعة. كانت الحجرة العامة دافئة بفعل النار المتأججة في المدفأتين على جانبيها، وكان صاحب الحانة البدين يرتدي قميصاً بلا معطف. نظر إلى النسوة الثلاثة عاقداً حاجبيه، وفكرت (مين) أن فستانها الشوننتشاني هو ما منعه من أن يطلب منهن الرحيل. فمن المؤكد أنه لم يبدُ على (ناينيث) و(إيلين) في معطفيهما الريفيين أن معهما ما لا لئفاقه.

كان الرجل الذي تبحث عنه يجلس وحيداً على طاولة في زاوية الحجرة، في مكانه المعتاد، يتمتم لنفسه بينما يحرق إلى نبيذه. قالت له: «هل لديك وقت للحديث يا قبطان (دومون)؟».

رفع بصره ثم مسح بيده على لحيته عندما رأى أنها لم تكن وحيدة. لا تزال تعتقد أن شفته العليا تبدو غريبة مع اللحية. «إذن فقد جلبت صديقتين للشراب على حسابي، أليس كذلك؟ حسناً، ذلك اللورد الشوننتشاني قد اشترى حمولتي، لذا فأنا أملك المال. فلتجلسن». جفلت (إيلين) عندما صاح فجأة: «يا صاحب الحانة! نبيذ ساخن هنا!».

قالت لها (مين): «اطمئني». ثم جلست على طرف المقعد عند الطاولة وقالت: «إنه فقط يبدو كأنه دب». فجلست (إيلين) على الطرف الآخر وهي تبدو متشككة.

قال (دومون) ضاحكًا: «أنا أبدو دُبًّا؟ حسنًا، ولكن ماذا عنك يا فتاة؟ هل تخلّيتِ عن فكرة الرحيل؟ هذا الفستان يبدو شونتشانياً».

قالت (مين) بحدة: «مطلقاً!». ولكن ظهور الخادمة وهي تحمل النبيذ المتبل الذي يتصاعد منه البخار جعلها تلوذ بالصمت.

كان (دومون) حذرًا مثلها، فقد انتظر حتى رحلت الفتاة وهي تحمل عملاته المعدنية قبل أن يقول: «بحق الحظ يا فتاة، لم أقصد إساءة، معظم الناس يرغبون فقط في أن تستمر حياتهم، سواء كان سادتهم (الشونشان) أو غيرهم».

اتكأت (ناينيف) بساعديها على الطاولة وقالت: «نحن أيضًا نرغب في أن تستمر حياتنا أيها القبطان، ولكن دون أي (شونتشان). لقد عرفت أنك تنوي الرحيل قريباً».

قال (دومون) بوجوم: «سأبحر اليوم إذا كان بمقدوري هذا. كل يوم أو يومين يُرسل (توراك) في طلبي لأحكي له حكايات عن الأشياء القديمة التي قد رأيته. هل أبدو لكُمن صانع بهجة؟ كنت أعتقد أنني سأحكي حكاية أو اثنتين ثم أمضي في طريقي، ولكني الآن أعتقد أنه عندما لا يعد بمقدوري تسليته فإن الرهان سيكون متساوياً ما بين السماح لي بالرحيل وقطع رأسي. هذا الرجل يبدو ليناً، ولكنه صلب كالحديد، وقاسي القلب».

سأله (ناينيف): «هل يمكن لسفينتك أن تتفادى (الشونتشان)؟».

«بحق الحظ، يمكنني أن أخرج من الميناء إن لم يكن هناك (داماني) يمكنها أن تمزق (سبراي) إلى شظايا. لن أسمح لسفينة (شونتشان) تحمل (داماني) أن تقترب كثيراً بمجرد أن أخرج إلى البحر. هناك مياه ضحلة على طول هذا الساحل، و(سبراي) يمكنها الإبحار في المياه الضحلة، يمكنني أن أخذها إلى مياه لم تغامر هذه السفن الشونتشانية الضخمة بالإبحار فيها. يجب أن يكونوا حذرين من الرياح بالقرب من الشاطئ في هذا الوقت من العام. وبمجرد أن أبحر (سبراي)....».

قاطعت (ناينيف) قائلة: «إذن سوف نبحر معك أيها القبطان، سنكون أربعة، وأتوقع منك أن تكون مستعداً بمجرد صعودنا على متن السفينة».

فرك (دومون) شفته العليا بإصبعه ثم نظر إلى نبيذه وقال: «حسنًا، لا يزال هناك مسألة الخروج من الميناء، أولئك (الداماني)....».

قالت (ناينيف) بصوت خافت: «ماذا لو قلت لك إنك ستبحر بشيء أفضل من (داماني)؟». اتسعت عينا (مين) عندما أدركت ما تقصده (ناينيف).

غمغمت (إيلين): «وأنّ من قلت لي أن أكون حذرة».

نظر (دومون) إلى (ناينيف) نظرة حذرة وهمس: «ماذا تقصدين؟».

فتحت (ناينيف) معطفها وراحت تبحث حول عنقها حتى أخرجت الحبل الجلدي المخبأ داخل فستانها. كان هناك خاتمان ذهبيان يتدليان من الحبل. شهقت (مين) عندما رأت أحدهما؛ كان الخاتم الرجالي الثقيل الذي رأته وهي تقرأ (ناينيف) في الشارع، ولكنها عرفت أن الخاتم الآخر الأخف وزناً المصنوع من أجل إصبع نحيفة لامرأة هو الذي جعل عينا (دومون) تجحطان؛ أفعوان يأكل ذيله. قالت (ناينيف): «أنت تعرف ما يعنيه هذا». ثم بدأت في إخراج الخاتم الأفعواني من الحبل، ولكن (دومون) أغلق يده عليه.

«فلتخبيئه». راح ينظر يميناً ويساراً في توتر، لم يكن هناك أحد ينظر إليهم كما ترى (مين)، ولكن بدا وكأنه يعتقد أن الجميع يحدقون. «هذا الخاتم خطير، إن رآه أحد...». قالت (ناينيف) بهدوء حسدتها عليه (مين): «المهم هو أنك تعرف ما يعنيه». جذبت الحبل من يد (دومون) وأعادت ربطه حول عنقها.

قال بصوت مبحوح: «أعرف ما يعنيه، ربما يكون هناك فرصة إن كنت... تقولين أربعة؟ هذه الفتاة التي تحب الإصغاء إلى ثرثرتي هو واحدة من الأربعة بالتأكيد، وأنت و...». نظر إلى (إيلين) عاقداً حاجبيه. «بالتأكيد هذه الفتاة ليست... ليست مثلك».

نصبت (إيلين) ظهرها في غضب، ولكن (ناينيف) وضعت يداً على ذراعها وابتسمت بهدوء إلى (دومون) قائلة: «إنها تسافر معي أيها القبطان، قد يدهشك ما كان بمقدورنا فعله قبل حتى أن نستحق خاتماً. عندما نُبحر سيكون معك ثلاثة على متن سفيتك يمكنهن مقاتلة (داماني) إن لزم الأمر».

قال في دهشة: «ثلاثة؟ ربما تكون هناك فرصة، ربما...». تهللت أساريره للحظة، ولكنه عندما نظر إليهن اكتسى وجهه بالجدية مرة أخرى. «ربما يجب أن آخذكن إلى (سبراي) الآن وأبحر مبتعداً، ولكني لا أعرف بحق الحظ ما الذي ستواجهنه إن بقيتن هنا، وما الذي قد تواجهنه إن جئتن معي. اسمعني جيداً وتذكرن ما سأقوله». تلفت حوله في نظرة حذرة، ثم خفض صوته واختار كلماته بعناية. «لقد رأيت... امرأة ترتدي خاتماً كهذا قد أخذها (الشوننتشان). كانت امرأة نحيلة جميلة، ومعها (حـا...) رجل ضخيم يبدو أنه يعرف كيف يستخدم سيفه، لا شك أن أحدهما كان مستهتراً، فقد نصب (الشوننتشان) لهما فخاً. أسقط الرجل الضخم ستة جنود أو سبعة قبل أن يموت، أما الـ... المرأة... لقد أحاطت بها ست من (الداماني) قد خرجن من الأزقة فجأة، أعتقد أنها قد... تفعل شيئاً - أنتن تعرفن ما أقصده - ولكن... أنا لا أعرف شيئاً عن هذه الأشياء. للحظة بدت وكأنها ستدمرهن جميعاً، ثم ارتسم الرعب على وجهها وبدأت في الصراخ».

قالت (إيلين) بوجه ممتقع: «لقد قطعنها عن (المصدر الحقيقي)».

قالت (ناينيف) بهدوء: «لا يهم، لن نسمح بحدوث الشيء ذاته لنا».

«أجل، ربما يكون الأمر كما تقولين، ولكني سأذكره حتى أموت. ساعديني يا (ربيا)؛ كان هذا ما صرخت به، ثم هوت واحدة من (الداماني) أرضاً وهي تبكي. لقد وضعن واحداً من تلك الأطواق حول

عنق الـ... مرأة، وأنا... ركضتُ». هز كتفيه وفرك أنفه ثم نظر إلى نبذه وقال: «لقد رأيت ثلاث نساء يُخطفن، ولا يمكنني تحمل هذا. كنت لأترك جدتي المسنة واقفة على رصيف الميناء لأبحر من هنا، ولكن كان عليّ أن أخبركن».

قالت (مين) ببطء: «قالت (إيجوين) إن لديهن سجينتين؛ (ريها)، (صفراء)، ولم تعرف الأخرى». نظرت إليها (ناينيف) بحدة فلاذت بالصمت وقد احمر وجهها خجلاً. وفقاً للنظرة المرتسمة على وجه (دومون) لم يكن في صالحهن أن يخبرنه أن (الشوننتشان) يحتجزون اثنتين من (الآيز سيداي) وليس واحدة فقط. ولكنه حدق فجأة إلى (ناينيف) وأخذ جرعة كبيرة من النبيذ قبل أن يقول: «هل هذا سبب وجودك هنا؟ لتحرير... هاتين الاثنتين؟ قلت إنه سيكون هناك ثلاث منكن».

قالت (ناينيف) بحيوية: «أنت تعرف ما تحتاج إلى معرفته، يجب أن تكون مستعداً للإبحار في أي لحظة خلال اليومين أو الثلاثة القادمين. هل ستفعل هذا، أم ستبقى هنا لترى إن كانوا سيقطعون رأسك في نهاية المطاف؟ هناك سفن أخرى أيها القبطان، وأنا أنوي اليوم أن أتقن أنني سأبحر على متن إحداها».

حبست (مين) أنفاسها وعقدت أصابعها تحت الطاولة. أخيراً أوماً (دومون) برأسه وقال: «سأكون مستعداً».

عندما عدن إلى الشارع تفاجأت (مين) عندما رأت (ناينيف) تتكى على واجهة الحانة بمجرد إغلاق الباب. سألتها في قلق: «هل أنت مريضة يا (ناينيف)؟».

أخذت (ناينيف) نفساً عميقاً ثم اعتدلت واقفة وهي تهندم معطفها. قالت: «مع بعض الناس يجب أن تكوني واثقة، إن أظهرت لهم ولو ذرة شك فسيجذبونك في اتجاه لا ترغبين في الذهاب إليه. بحق (النور)، لقد كنت خائفة من أن يرفض. تعالياً، هناك خطط يجب أن نرسمها، لا يزال هناك مشكلة صغيرة أو اثنتين لحلها».

قالت (إيلالين): «آمل أن رائحة السمك لا تزعجك يا (مين)».

فكرت (مين) وهي تلحق بهما؛ مشكلة صغيرة أو اثنتين؟ كانت تأمل بشدة أن (ناينيف) لا تظهر بالثقة مرة أخرى.

الفصل الرابع والأربعون

خمسة ركبان

نظر (بيرين) إلى القرويين بحذر، وهو يربط عباءة قصيرة للغاية مطرزة على الصدر وبها بعض الثقوب غير المرقعة، ولكن أيًا منهم لم يعره اهتمامًا، رغم مزيج ثيابه الغريب والفأس على خصره. كان (هورين) يرتدي معطفًا به دوامات زرقاء على الصدر تحت عباءته، وارتدى (مات) سروالًا فضفاضًا يدسه في حذائه. كان هذا كل ما استطاعوا العثور عليه في القرية المهجورة مما قد يناسبهم. تساءل (بيرين) إن كانت هذه القرية ستهجر قريبًا. كانت نصف البيوت الحجرية خاوية، وأمام الحانة على طول الشارع الترابي هناك ثلاث عربات تجرها ثيران، محملة بشكل ثقيل بأكوام ضخمة، وكل شيء مغطى بقماش مشدود، ومن حولها اجتمعت العائلات.

بينما يراقبهم يجتمعون معًا ويودعون من اختاروا البقاء على الأقل في الوقت الحالي فكَرَّ (بيرين) أن الأمر لم يكن عدم اهتمام من القرويين تجاه الغرباء، بل كانوا يتفادون بحذر النظر إليه وإلى البقية. لقد تعلم هؤلاء الناس ألا يظهروا الفضول تجاه الغرباء، حتى الغرباء الذين يكون من الواضح أنهم (شونتشان). قد يُمثل الغرباء خطرًا هذه الأيام في (تومان هيد). لقد واجهوا نفس هذه اللامبالاة المتعمدة في القرى الأخرى. كان هناك المزيد من البلدات على مسافة بضعة فراسخ من الساحل، وكل واحدة تعد نفسها مستقلة، أو على الأقل سيظل الأمر هكذا حتى يأتي (الشونتشان).

قال (مات): «أرى أن الوقت قد حان لجلب الخيول، قبل أن يقرروا البدء في طرح الأسئلة. يجب أن تكون هناك مرة أولى لهذا».

كان (هورين) يحدق إلى دائرة كبيرة محترقة على الأرض تشوه العشب البني في الساحة الخضراء للقرية. كان لها مظهر ذابل، ولكن لم يبال أحد بإزالتها. تتم قائلًا: «ربما منذ ستة أشهر أو ثمانية، ولا تزال رائحتها كريهة. (مجلس القرية) بأسره وعائلاتهم، لم قد يفعلون شيئًا كهذا؟».

تتم (مات): «من يعرف لم يفعلون أي شيء؟ لا يبدو أن (الشونتشان) بحاجة إلى سبب لقتل الناس. لا يمكنني تخمين سبب على أي حال».

حاول (بيرين) ألا ينظر إلى البقعة المتفحمة وهو يقول: «هل أنت واثق بشأن (فاين) يا (هورين)؟ (هورين)؟». كان من الصعب جعل المتشتم ينظر إلى أي شيء آخر منذ أن دخلوا القرية. «(هورين)!!».

«ماذا؟ أوه، (فاين)، أجل». نفخ (هورين) فتحتي أنفه، وعلى الفور اكتسى وجهه بالامتعاض. «لا شك في هذا، حتى لو مر عليها وقت طويل، إنه يجعل رائحة (الميردرال) تبدو كالورود. لقد مر من هنا بالتأكيد، ولكنني أعتقد أنه كان وحيدًا. لم يكن معه (ترولوكيون) على الأقل. وإن كان معه أصدقاء ظلام فإنهم لم يفعلوا الكثير مؤخرًا».

كان هناك نوع من الاضطراب بالقرب من الحانة، حيث يتصايح الناس ويشيرون بأيديهم. لم يكونوا يشيرون إلى (بيرين) والآخرين، ولكن إلى شيء لم يستطع (بيرين) رؤيته في التلال الخفيضة الواقعة شرق القرية.

قال (مات): «هل يمكننا أن نجلب الخيول الآن؟ ربما يكون هذا بسبب (الشونتشان)».

أوماً (بيرين) برأسه ثم بدأوا يركضون إلى حيث قد قيدوا خيولهم وراء بيت مهجور. بينما (مات) و(هورين) يختفيان حول زاوية البيت نظر (بيرين) وراءه ناحية الحانة وتوقف في دهشة. كان (أبناء النور) يدخلون البلدة على صهوة خيولهم، طابور طويل منهم.

قفز وراء الآخرين قائلاً: «أصحاب العباءات البيضاء!».

حقاً إليه في عدم تصديق للحظة واحدة، قبل أن يسرعا إلى سرجيهما. أبقى ثلاثتهم البيوت بينهم وبين شارع القرية الرئيسي، ثم خرجوا من القرية غرباً ينظرون وراءهم بحثاً عنم يلاحقهم. كان (إنجتار) قد قال لهم أن يتفادوا أي شيء قد يُبطئهم. ومن المؤكد أن طرح أصحاب العباءات البيضاء للأسئلة سيؤدي إلى ذلك، حتى لو استطاعوا أن يجيبوا بإجابات ترضيهم. كان (بيرين) أكثر حذراً من الاثنين الآخرين، فقد كان لديه أسبابه الخاصة لعدم الرغبة في مقابلة أصحاب العباءات البيضاء. الفأس في يدي. بحق (النور)، سأدفع أي ثمن لتغيير هذا.

كانت التلال ذات الغابات القليلة تُخفي القرية، وبدأ (بيرين) يفكر أنه ربما لا أحد يلاحقهم. جذب لجام حصانه وأشار إلى الاثنين الآخرين أن يتوقفا. فعلاً هذا وهما ينظران إليه في تساؤل بينما يُصغي السمع. صارت أذناه أكثر حدة مما كانتا عليه في السابق، ولكنه لم يسمع أي صوت حوافر.

في تردد راح يبحث بعقله عن الذئب، فعثر عليهم على الفور، قطع صغير يرقد حتى ينتهي النهار، في التلال المطلة على القرية التي تركوها للتو. كان هناك لحظات من الدهشة القوية للغاية، حتى كاد أن يظن أنها نابعة منه. هؤلاء الذئاب قد سمعوا شائعات، ولكنهم لم يصدقوا حقاً أن هناك أصحاب ساقين يمكنهم الحديث إلى بني جنسهم. لقد تصبب عرقاً في الدقائق التي استغرقها لتعريفهم بنفسه؛ منحهم رغماً عنه صورة (الثور الشاب)، وأضاف رائحته وفقاً للعرف بين الذئاب. إن الذئاب يتشبثون بالرسميات عند اللقاء الأول، ولكنه أخيراً استطاع طرح سؤاله. لم يكن لديهم أي اهتمام بكائن ذي ساقين لا يستطيع التحدث إليهم، ولكنهم أخيراً هبطوا لأسفل لإلقاء نظرة دون أن تراهم الأعين الكليّة لأصحاب الساقين.

بعد مرور بعض الوقت جاءته الصور التي رأتها الذئاب؛ أصحاب العباءات البيضاء على خيولهم يتجمعون حول القرية ويتحركون حولها وبين البيوت، ولكن أياً منهم لم يغادر، وخصوصاً ليس باتجاه الغرب. قال الذئاب إن كل ما اشتموه يتحرك غرباً هو (بيرين) نفسه والاثنان الآخران صاحباً الساقين، مع ثلاثة من الطوال ذوي الأقدام الصلبة.

قطع (بيرين) الاتصال بالذئاب وهو يشعر بالامتنان، كان مدرّكاً أن (هورين) و(مات) ينظران إليه.

قال: «إنهم لا يلحقون بنا».

سأله (مات): «كيف يمكنك أن تكون متيقناً؟».

قال بحدة: «أنا متيقن!» ثم لانت لهجته وهو يقول: «أنا متيقن فحسب».

فتح (مات) فمه ثم أغلقه مرة أخرى، وأخيراً قال: «حسناً، إن كانوا لا يلحقون بنا فأقترح أن نعود إلى (إنجتار) ونتبع أثر (فاين)، لن يقترب الخنجر منا إن اكتفينا بالوقوف هنا».

قال (هورين): «لا يمكننا الاقتراب إلى هذا الحد من القرية لالتقاط الأثر مرة أخرى، ليس دون المخاطرة بمواجهة أصحاب العباءات البيضاء. لا أعتقد أن اللورد (إنجتار) سيكون سعيداً بهذا، ولا (فيرين سيداي)».

أوماً (بيرين) برأسه وقال: «ستتبعه على بعد بضعة أميال على أي حال، ولكن كن متيقظاً، نحن بالتأكيد لم نعد بعيدين عن (فالمي)، لن ننفعا أن نتجنب أصحاب العباءات البيضاء لنجد أنفسنا في مواجهة دورية شونتشانية».

بينما يبدؤون في الحركة مرة أخرى لم يستطع منع نفسه من التساؤل عن سبب وجود أصحاب العباءات البيضاء هنا.

نظر (جيو فرام بورنهالد) عبر شارع القرية، وهو يجلس على سرجه بينما الفيلق يتفرق في أرجاء البلدة الصغيرة ويحيط به. كان هناك شيء حيال الرجل عريض المنكبين الذي اندفع متوارياً عن الأنظار، شيء قد داعب ذاكرته. أجل، بالطبع، إنه الشاب الذي زعم أنه حداد، ماذا كان اسمه؟

جذب (بيار) لجام حصانه ليقف أمامه واضعاً يده على صدره وقال: «القرية مؤمنة يا سيدي القائد». كان القرويون الذين يرتدون معاطف ثقيلة من جلود الأغنام يحتشدون في ارتباك، بينما الجنود يجمعونهم بالقرب من العربات المشحونة أمام الحانة. كان الأطفال الباكون يتشبثون بتنانير أمهاتهم، ولكن لا أحد يبدو متحدياً. كانت الأعين الكليلة تطل من وجوه البالغين، تنتظر في استسلام ما سيحدث أياً ما كان. كان (بورنهالد) ممتناً لهذا، لم تكن لديه رغبة حقيقية في جعل أي من هؤلاء الأشخاص عبءاً للآخرين، ولم يكن لديه أي رغبة على الإطلاق في إضاعة الوقت.

ترجل عن حصانه وهو يُلقي بزمامه إلى أحد (أبناء النور) ثم قال: «فلتحرص على إطعام الرجال يا (بيار)، ضع السجناء في الحانة، مع أكبر قدر يمكن أن يحملوه من الطعام والشراب، ثم أغلق جميع الأبواب والنوافذ بالمسامير. اجعلهم يعتقدون أنني تركت بعض الرجال للحراسة، حسناً؟».

وضع (بيار) يده على صدره مرة أخرى، ثم دار بحصانه وهو يصيح بالأوامر. بدأوا في دفع الناس من جديد، هذه المرة إلى داخل الحانة ذات السقف المسطح، بينما (أبناء النور) الآخرون يفتشون البيوت بحثاً عن مطارق ومسامير.

بينما كان (بورنهالد) يراقب الوجوه العابسة التي تمر أمامه راح يفكر أنه سيمضي يومان أو ثلاثة قبل أن يجد أي منهم الشجاعة الكافية للهروب من الحانة واكتشاف عدم وجود حراس. إن كل ما يحتاج إليه هو يومان أو ثلاثة، ولكنه لا ينوي تنبيه (الشوننتشان) إلى وجوده الآن.

لقد ترك ما يكفي من الرجال وراءه لجعل (المستجوبين) يعتقدون أن فيلقه كله منتشر في أرجاء (سهل الموث)، وقد جلب أكثر من ألف من (أبناء النور) على طول (تومان هيد) دون أن يلفت انتباه أحد حسبما يعرف. لقد انتهت ثلاث مواجهات مع دوريات (الشوننتشان) بسرعة. لقد اعتاد (الشوننتشان) مواجهة الغوغاء المهزومين بالفعل، حتى إن (أبناء النور) كانوا مفاجأة مميتة. ومع ذلك فإن (الشوننتشان) يعرفون كيف يقاتلون مثل جحافل (سيد الظلام)، ولم يستطع أن يمنع نفسه من تذكر المواجهة التي كلفته أكثر من خمسين رجلاً. لم يكن متيقناً أي من المرأتين اللتين ثقبتهما السهام كانت (الآيز سيدي).

«(بيار)!». أحد رجل (بورنهالد) أعطاه ماءً في كوب فخاري من إحدى العربات، شعر به بارداً في حلقه. قفز الرجل ذو الوجه النحيل من على سرجه وقال: «أجل يا سيدي القائد؟». قال (بورنهالد) ببطء: «عندما أواجه العدو يا (بيار) لن تشارك في القتال، ستراقب من بعيد وستُخبر ابني بها حدث».

«ولكن يا سيدي القائد...!».

قال بحدة: «هذا أمر مني أيها (الابن بيار)! ستطيعه، صحيح؟».

تيسر ظهر (بيار) وحقق إلى الأمام مباشرة. «كما تأمر يا سيدي القائد».

تفحصه (بورنهالد) للحظة، هذا الرجل سيفعل ما أمر به، ولكن من الأفضل أن يمنحه سبباً آخر بدلاً من إخبار (داين) كيف مات والده. ليس الأمر وكأنه لا يعرف أن وجوده ضروري في (أمادور). منذ تلك المواجهة مع (الآيز سيدي) - هل كانت واحدة منهما، أم كلتاها؟ ثلاثون جندياً من (الشوننتشان) قد كلفوني مقاتلين بارعين، وكلفتني امرأتان ضعف هذه الخسائر - منذ ذلك الحين لم يعد يتوقع أن يعيش حتى يغادر (تومان هيد). وإن لم يقتله (الشوننتشان) - وهو احتمال ضعيف للغاية - فمن المرجح أن يقتله (المستجوبون).

«عندما تعثر على ابني - يجب أن يكون مع السيد القائد (إيامون فالدا) بالقرب من (تار فالون) - وتخبره فسيكون عليك أن تذهب إلى (أمادور) وتبلغ السيد القائد الأعلى شخصياً. عليك أن تبلغ (بيدرون نبال) شخصياً أيها (الابن بيار)، ستخبره بما عرفته عن (الشوننتشان)، سأكتبه لك. احرص على أن يدرك أننا لم نعد نستطيع الاعتماد على أن تكتفي ساحرات (تار فالون) بالتلاعب بالأحداث من الظلال. إن كن يقاتلن علانية من أجل (الشوننتشان) فسنواجههن بالتأكد في مكان آخر». تردد، كان الشيء الأخير هو الأهم على الإطلاق. يجب عليهم أن يعرفوا تحت (قبة الحقيقة) أنه رغم كل عهودهن المزعومة فإن (الآيز سيدي) سيزحفن إلى المعركة. لقد جعله هذا يشعر بالاكئاب، إن العالم الذي يستخدم فيه (الآيز سيدي) (القوة

الواحدة) في المعارك هو عالم لا يعتقد أنه سيندم على الرحيل منه. ولكن كان هناك رسالة أخرى يريد حملها إلى (أمدور). «شيء آخر يا (بيار)... أخبر (بيدرون نيال) كيف تعرضنا للاستغلال على يد (المستجوبين)». قال (بيار): «كما تأمر يا سيدي القائد». ولكن (بورنهالد) تنهد مع التعبير المرتسم على وجهه. هذا الرجل لم يفهم. بالنسبة (ليبار) يجب إطاعة الأوامر سواء كانت صادرة عن السيد القائد أو (المستجوبين). قال: «سأكتب لك ما ستسلمه إلى يد (بيدرون نيال) أيضًا». لم يكن متيقنًا من نفع هذا الأمر على أي حال. راودته فكرة وعقد حاجبيه ناظرًا إلى الحانة، حيث كان بعض الرجال يدقون المسامير على النوافذ والأبواب بصوت عالٍ. تتمم قائلاً: «(بيرين)، كان هذا اسمه. (بيرين) من (النهرين)». «صديق الظلام يا سيدي القائد؟».

«ربما يا (بيار)». لم يكن متيقنًا تمامًا. ولكن من المؤكد أن الرجل الذي يجعل الذئاب تقاتل من أجله لا يمكن أن يكون شيئًا آخر. بالتأكيد، (فيرين) هذا قد قتل اثنين من (أبناء النور). «خُيِّلَ إليَّ أنني رأيته أثناء مجيئنا، ولكنني لا أتذكر أي واحد من بين السجناء يبدو وكأنه حداد». «لقد رحل حدادهم قبل شهر يا سيدي القائد، وبعضهم كان يشتكي من أنهم كانوا ليرحلوا قبل وصولنا لو لم يكن عليهم إصلاح عجالات عرباتهم بأنفسهم. هل تعتقد أن ذلك الرجل كان (بيرين) يا سيدي القائد؟».

«أيًا من كان فإنه شخص لم نحسب حسابه، صحيح؟ وربما يحمل خبرًا عنا إلى (الشوننتشان)».

«أي صديق ظلام سيفعل هذا بالتأكيد يا سيدي القائد».

تجرع (بورنهالد) آخر ما تبقى من الماء ثم ألقى بالكوب جانبًا. «لن يتناول الرجال وجبة هنا يا (بيار)، لن أسمح لهؤلاء (الشوننتشان) بالإمساك بي وأنا نائم، سواء كان من سيحذرهم هو (بيرين) من (النهرين) أو شخصًا آخر. فلنأمر الفيلق بامتطاء الخيول أيها (الابن بيار)». «عاليًا في السماء كان يحوم شكل ضخمة مجنح دون أن يلاحظه أحد».

في المساحة الخالية من الأشجار وسط أجمة على قمة تل، حيث أقاموا مخيمهم، كان (راند) يتدرب على التشكيلات باستخدام سيفه. أراد أن يمنع نفسه من التفكير. لقد سنحت له الفرصة أن يبحث مع (هورين) عن أثر (فاين). لقد فعلوا ذلك جميعًا، في مجموعات من اثنين وثلاثة لكيلا يجذبوا الانتباه، وجميعهم لم يجدوا شيئًا حتى الآن. الآن ينتظرون عودة (مات) و(بيرين) مع المتشمم. كان من المفترض أن يعودوا قبل ساعات.

كان (لويال) يقرأ بالطبع، ولم يكن هناك ما يدل على إذا ما كان ارتعاش أذنيه بسبب ما يقرأه في كتابه أم بسبب تأخر مجموعة الاستطلاع، ولكن (أونو) ومعظم الجنود الشاينارين كانوا يجلسون متوترين، يدهنون سيوفهم بالزيت، أو ينظرون بين الأشجار كأنهم يتوقعون ظهور (الشوننتشان) في أي لحظة. وحدها (فيرين)

بدت غير مبالية، كانت (الآيز سيدي) جالسة على جذع خشبي بجانب نارهم الصغيرة، تتمتع لنفسها وتكتب على التراب بعضاً طويلاً. وكانت تهز رأسها بين الحين والآخر، وتكشط التراب بقدمها قبل أن تبدأ من جديد. كانت الخيول جميعها مسرجة ومستعدة للانطلاق، وأحصنة الشايناريين مقيدة إلى رماح مغروسة في الأرض.

قال (إنجتار): «(خوض البلشون في القصب)». كان يجلس متكئاً بظهره إلى شجرة، وهو يمرر حجر شحذ على سيفه ويراقب (راند). «يجب ألا تبالي بهذه التشكيلة، إنها تتركك مكشوفاً تماماً». للحظة توازن (راند) على أصابع إحدى قدميه، ممسكاً بسيفه بكلتا يديه فوق رأسه، قبل أن ينتقل بسلاسة إلى قدمه الأخرى. «يقول (لان) إنها مفيدة لتطوير التوازن». لم يكن من السهل الحفاظ على توازنه. في الخواء عادة ما يبدو له أنه يستطيع الحفاظ على توازنه فوق جلمود متدحرج، ولكنه لا يجرؤ على استدعاء الخواء. كان يرغب حقاً في أن يثق في نفسه.

«ما تتدرب عليه كثيراً ستستخدمه من دون تفكير. يمكنك أن تغرس سيفك في الرجل الآخر بهذه الطريقة إن كنت سريعاً، ولكن ليس قبل أن يطعنك بين ضلوعك. إنك من الناحية العملية تدعوه لطعنك، لا يمكنني أن أتخيل رجلاً يواجهني بهذا الشكل المفتوح دون أن أوجه السيف ناحيته، حتى لو عرفت أنه قد يصيبني إن فعلت هذا».

«هذا فقط من أجل التوازن يا (إنجتار)». ارتجف (راند) على قدم واحدة، فكان مضطراً لإنزال القدم الأخرى لمنع نفسه من السقوط. أعاد السيف إلى غمده ثم التقط عباءته الرمادية التي كان يستخدمها في تنكره. كانت متآكلة بفعل العثة، وممزقة في الجزء السفلي، ولكنها مبطنة بصوف سميك، وكانت الرياح تهب قوية وباردة من الغرب. «أتمنى لو يعودون».

وكأن أمنيته كانت إشارة؛ قال (أونو) بإلحاح: «هناك فرسان قادمون يا سيدي». أصدرت الأغمار صليلاً بينما الرجال الذين لم يكونوا قد استلوا سيوفهم يستلونها بالفعل. بعضهم قفزوا إلى سروجهم وهم ينتزعون الرماح.

تلاشى التوتر عندما اقتاد (هورين) الآخرين إلى المساحة الخالية، ثم عاد مرة أخرى عندما قال: «لقد عثرنا على الأثر يا لورد (إنجتار)».

قال (مات) وهو يترجل عن حصانه: «لقد تتبعناه حتى (فالبي) تقريباً». بدا الاحمرار في وجنتيه الشاحبتين كأنه محاكاة ساخرة للصحة، فقد كان الجلد مشدوداً على جمجمته. اجتمع الشايناريون حوله متحمسين مثله. «كان (فاين) فقط، ولكن لا يوجد أي مكان آخر يُحتمل أن يكون قد ذهب إليه. لا شك أن معه الخنجر».

قال (بيرين) وهو يقفز من على سرجه: «لقد عثرنا على أصحاب العباءات البيضاء أيضاً، المئات منهم». صاح (إنجتار) عاقداً حاجبيه: «أصحاب العباءات البيضاء؟ هنا؟ حسناً، إن لم يزعجوننا فلن نزعجهم. ربما إن انشغل (الشوننتشان) بهم فسييساعدنا هذا على الوصول إلى (البوق)». وقع بصره على (فيرين) التي لا

تزال جالسة إلى جانب النار. «أفترض أنك ستقولين إنه كان عليّ أن أنصت إليك أيتها (الآيز سيدي). لقد ذهب الرجل بالفعل إلى (فالمي)».

قالت (فيرين) بهدوء: «(عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، وكل ما يحدث مع (التأثيرين) هو ما كان يُفترض أن يحدث، ربما كان (النمط) يتطلب هذه الأيام الإضافية. (النمط) يضع كل شيء في موضعه بدقة، وعندما نحاول تغييره، وخصوصًا إن كان الأمر يتعلق (بالتأثيرين)، فإن النسيج يتغير ليعيد (النمط) إلى ما يُفترض أن يكون عليه». خيم صمت متوتر لم يبدُ أنها لاحظته وهي ترسم بشرود بعضاها. «ولكنني الآن أعتقد أنه ربما يُفترض بنا أن نرسم خطأ. لقد جلبنا (النمط) إلى (فالمي) أخيرًا، إن (بوق فالير) قد أخذ إلى (فالمي)».

جلس (إنجتار) القرفصاء على الناحية المقابلة أمام النار ثم قال: «عندما يقول عدد كافٍ من الناس الشيء نفسه فإنني أميل إلى تصديقه. السكان المحليون يقولون إن (الشوننتشان) لا يبدو عليهم أنهم يبالون بمن يذهب إلى (فالمي) أو يخرج منها. سأخذ (هورين) وعددًا قليلًا من الآخرين إلى البلدة، بمجرد أن يتعقب أثر (فاين) إلى (البوق)... حسنًا، بعدها سنرى ما يُفترض بنا أن نراه».

مسحت (فيرين) بقدمها العجلة التي رسمتها في التراب، وبدلاً منها رسمت خطين قصيرين يتلامسان في أحد طرفيهما. «(إنجتار) و(هورين)، و(مات) لأنه يستطيع أن يشعر بالخنجر إن اقترب منه بما يكفي. أنت تريد الذهاب، أليس كذلك يا (مات)؟».

بدا (مات) مترددًا، ولكنه أخيرًا أومأ برأسه بحدة وقال: «يجب أن أفعل هذا، أليس كذلك؟ يجب أن أجد ذلك الخنجر».

رسمت (فيرين) خطأ ثالثًا لتبدو الرسمة كأثر قدم طائر، ثم نظرت إلى (راند) نظرة جانبية. قال: «سأذهب. لقد جئت لهذا السبب». ظهر ضوء غريب في عيني (الآيز سيدي)؛ وميض يشي بأنها تعرف شيئًا، مما جعله يشعر بالتوتر. قال بحدة: «(المساعدة) (مات) في العثور على الخنجر، و(إنجتار) في العثور على (البوق)». أضاف لنفسه: «و(فاين)، يجب عليّ أن أجد (فاين)، إن لم يكن الآن قد فات بالفعل. رسمت (فيرين) خطأ رابعًا، لتحيل أثر قدم الطائر إلى نجمة غير متناسبة. قالت بهدوء وهي تمسك بالعصا في استعداد: «ومن غيره؟».

قال (بيرين): «أنا». وبعده بجزء من الثانية قال (لويال): «أعتقد أنني أود الذهاب أيضًا». ثم راح (أونو) والجنود الشايناريون الآخرون يتصايحون من أجل الانضمام.

قالت (فيرين): «لقد تحدث (بيرين) أولاً». كأن هذا يحسم الأمر. أضافت خطأ خامسًا، ثم رسمت دائرة حول الخطوط الخمسة. انتصب الشعر على عنق (راند). كانت العجلة نفسها التي مسحها في المقام الأول. تمتعت: «خمسة ركبان سيذهبون».

قال (لويال): «أود حقًا أن أرى (فالمي)، أنا لم أرَ (محيط آريث) من قبل، كما أنني يمكنني أن أحمل الصندوق إن كان (البوق) لا يزال بداخله».

قال (أونو): «من الأفضل أن تشركني أنا على الأقل يا سيدي، أنت واللورد (راند) ستحتاجان إلى سيف آخر في ظهريكما إن حاول هؤلاء (الشوننتشان) الملاعين إيقافكما». تتم بقية الجنود بنفس الرأي.

قالت (ثيرين) بحدة: «لا تكونوا حمقى». نظرتها أخرستهم جميعاً. «لا يمكنكم الذهاب جميعاً، مهما كان (الشوننتشان) غير مهتمين بالغرباء فإنهم بالتأكيد سيلاحظون عشرين جندياً، وأنتم تبدوون جنوداً حتى من دون الدروع، وذهاب واحد أو اثنين منكم لن يصنع فرقاً. خمسة أشخاص هو عدد قليل بما يكفي للدخول دون جذب انتباه، ومن المناسب أن يكون ثلاثة منهم هم (التاثيرين) الثلاثة بيننا. لا يا (لويال)، يجب أن تبقى أيضاً، لا يوجد أي (أوجير) في (تومان هيد). ستجذب من الانتباه وحدك ما قد يجذبه بقيتنا مجتمعين». سأها (راند): «وماذا عنك؟».

هزت (ثيرين) رأسها. «لقد نسيت (الداماني)». تلوى فيها في امتعاض. «الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها مساعدتكم هي تسخير (القوة الواحدة)، ولن يكون هذا مفيداً إذا جذب انتباه (الداماني) إليكم. حتى لو لم يكن قريبات بما يكفي لأن يرين فإنهن سيشعرن إن سخرت أي امرأة - أو رجل في الواقع - (القوة الواحدة)، إن لم تكن حريصة على جعل تسخير (القوة) ضئيلاً». لم تنظر ناحية (راند)، وقد شعر أن هذا الفعل يبدو متعمداً، وفجأة صار (مات) و(بيرين) راغبين في أن يعتدلاً واقفين.

قال (إنجتار) متعجباً: «رجل؟ لم تضيفين مشكلات يا (ثيرين سيدي)؟ نحن لدينا ما يكفي بالفعل دون افتراض وجود رجال قادرين على التسخير. ولكن مجيئك معنا سيكون مفيداً، إن كنا بحاجة إليك...».

«لا، أنتم الخمسة يجب أن تذهبوا وحدكم». مررت قدمها على العجلة المرسومة على التراب لتمسح جزءاً منها، ثم تأملت كل واحد منهم باهتمام على حدة عاقدة حاجبيها، قبل أن تقول: «خمسة ركبان سيذهبون». للحظة بدا أن (إنجتار) سيطلب منها مرة أخرى، ولكن عندما حدق إلى عينيها الثابتتين هز كتفيه والتفت إلى (هورين). «كم من الوقت سنستغرق للوصول إلى (فالبي)؟».

حك المتشمم رأسه ثم قال: «إن غادرنا الآن وواصلنا الحركة طيلة الليل فسنصل بحلول شروق شمس الغد».

«إذن فهذا ما سنفعله، لن أضيع المزيد من الوقت. فلتسرجوا خيولكم جميعاً. (أونو)، أريدك أن تجلب الآخرين وراءنا، ولكن ابقوا بعيداً عن الأنظار، ولا تدعوا أحداً...».

حدق (راند) إلى العجلة المرسومة بينما (إنجتار) يواصل إصدار تعليماته. لقد صارت عجلة مكسورة، بأربعة أقطار فحسب. لسبب ما جعله هذا يرتجف. أدرك أن (ثيرين) تراقبه، وعيناها السوداوان لامعتان وحادتان كعيني طائر. تطلب الأمر منه مجهوداً كبيراً ليعبد نظره عنها ويبدأ في جمع متعلقاته.

قال لنفسه في انزعاج: أنت تسمح للخيل بالسيطرة عليك. لا يمكنها أن تفعل شيئاً إن لم تكن موجودة هناك.

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الخامس والأربعون

السياف

كانت الشمس مشرقة تدفع حافتها القرمزية فوق الأفق، وترسل ظلالاً طويلة عبر شوارع (فالبي) المرصوفة بالأحجار تجاه الميناء. كان نسيم البحر يدفع دخان مواقد طهو الإفطار المتصاعد من المداخلن تجاه اليايسة. لم يكن هناك أحد في الشوارع، إلا من يستيقظون باكراً، وأنفاسهم تتحول إلى بخار في الصباح الباكر. بالمقارنة مع الحشود التي ستملأ الشوارع في غضون ساعة أخرى فإن البلدة قد بدت شبه خاوية.

كانت (ناينيف) تدفع يديها تحت ذراعيها وهي تتفحص جيشها بينما تجلس على برمبل مقلوب أمام متجر أدوات حدادة لا يزال مغلقاً. كانت (مين) جالسة على عتبة باب في الجهة المقابلة، متدثرة في عباءتها الشونتشانية وهي تأكل ثمرة برقوق متغضنة، و(إيلالين) في معطفها الصوفي تجلس منكمشة على نفسها على حافة زقاق على مسافة غير بعيدة منها. كان هناك جوال كبير مسروق من أرصفة الميناء مطوي بعناية بجانب (مين). قالت (ناينيف) لنفسها بوجوم: *هذا هو جيشي، ولكن لا يوجد شخص آخر.*

لمحت (سولدام) و(داماني) تمشيان عبر الشارع، امرأة بشعر أصفر ترتدي السوار، وامرأة سمراء ترتدي الطوق، كلتاهما تتشاب في نعاس. الفالميون القلائل الذين يتشاركون الشارع معها تحاشوا النظر إليهما وأفسحوا لهما الطريق. وبقدر ما استطاعت أن ترى تجاه الميناء لم يكن هناك أي شونتشاني آخر. لم تلتفت إلى الاتجاه الآخر، بدلاً من هذا تمطت وحركت كتفيها كما لو أنها تطرد البرد عن جسدها، قبل أن تسترخي مرة أخرى في جلستها.

ألقت (مين) بثمره البرقوق التي أكلت نصفها جانباً، وألقت نظرة عابرة على الشارع، ثم اتكأت بظهرها إلى إطار الباب. كان الطريق خالياً هناك أيضاً، وإلا لاضطرت لوضع يديها على ركبتها. بدأت (مين) تفرك يديها في توتر، وأدركت (ناينيف) أن (إيلالين) تتقافز الآن بلهفة على أصابع قدميها.

إن كشفتنا أمرنا فسأضرب رأسيهما. ولكنها كانت تعرف أنه إن كشف أمرهن فإن (الشونتشان) هم من سيقروون ما سيحدث لثلاثتهن. كانت مدركة تماماً أنها لا تملك أدنى فكرة عما إذا كانت خطتها ستنجح أم لا. يمكن أن يكون فشلها هو ما سيكشف أمرهن. قررت مرة أخرى أنه إن حدث أي خطأ فستلفت الانتباه إلى نفسها بطريقة ما بينما تهرب (مين) و(إيلالين). لقد أخبرتهما أن تركضا إن جرى أي أمر على نحو خاطئ، وجعلتهما تعتقدان أنها ستركض بدورها. لم تكن تعرف ما الذي ستفعله حينها. *باستثناء أنني لن أسمح لهم بأن يأخذوني حية. أتمنى بحق (النور) ألا يحدث هذا.*

سارت (السولدام) و(الداماني) عبر الشارع حتى حوصرتا بين النسوة الثلاثة المنتظرات. أسرع أكثر من عشرة من الفالمين للابتعاد عن المرأتين المترابطتين.

استجمعت (ناينيث) كل غضبها. (الملجومات) و(حاملات اللجام). لقد وضعوا طوقهم القذر حول عنق (إيجوين)، وسيضعونه حول عنقها وعنق (إيلالين) إن استطاعوا. لقد جعلت (مين) تجربها كيف تفرض (السولدام) مشيئتهن. كانت متيقنة من أن (مين) قد أخفت بعضاً من أسوأ الأمور، ولكن ما قالته كان كافياً لإثارة غضب (ناينيث) بشدة. في لحظة تفتحت زهرة بيضاء على غصن أسود شائك من أجل الضوء، من أجل (السايدار)، وملأتها (القوة الواحدة). كانت تعلم أن هناك وهجاً حولها، لأولئك اللائي يمكنهن رؤيته. جفلت (السولدام) ذات البشرة الشاحبة، وفتحت (الداماني) السمرء فمها، ولكن (ناينيث) لم تمنحها فرصة. لم يكن ما سخرته سوى قطرة من (القوة الواحدة)، ولكنها وجهتها بقوة كأنها توجه سوطاً ناحية ذرة من الغبار في الهواء.

انفتح الطوق الفضي، وسقط على أحجار الرصف بصوت قعقعة. تنفست (ناينيث) الصعداء وهي تقفز واقفة على قدميها.

حدقت (السولدام) إلى الطوق الساقط أرضاً كأنها تنظر إلى ثعبان سام. رفعت (الداماني) يداً مرتعشة إلى حلقها، ولكن قبل أن تتمكن المرأة التي ترتدي الفستان المزين بالصواعق من الحركة التفتت (الداماني) ولكمتها في وجهها. اثنت ركبتا (السولدام) وكادت أن تسقط أرضاً.

صاحت (إيلالين): «تستحقين هذا!». كانت بالفعل تركض للأمام بدورها، وكذلك (مين).

قبل أن تتمكن أي منهن من الوصول إلى المرأتين تلفتت (الداماني) حولها بنظرة ذاهلة، ثم بدأت تركض بأسرع ما تستطيع.

نادتها (إيلالين): «لن نؤذيك! نحن صديقاتك!».

قالت (ناينيث) بحدة: «اصمتي!». كانت قد أخرجت حفنة من قصاصات الأقمشة ودستها بقسوة في فم (السولدام)، التي لا تزال تترنح. على الفور نفضت (مين) الجوال ليثير سحابة من الغبار قبل أن تضعه على رأس (السولدام) فغطى المرأة حتى خصرها. «لقد جذبنا بالفعل الكثير من الاهتمام».

كان هذا صحيحاً، وليس صحيحاً تماماً في الوقت ذاته. كانت أربعتهن واقفات في الشارع الذي يصير خاوياً بسرعة. ولكن الأشخاص الذين قرروا أن عليهم الذهاب إلى مكان آخر كانوا يتحاشون النظر إليهن. كانت (ناينيث) تعتمد على هذا؛ أن يبذل الناس قصارى جهدهم لتجاهل أي شيء له علاقة (بالشوننتشان)، لكي تكسب بضع دقائق. إنهم سيتحدثون عن الأمر في نهاية المطاف، ولكن همساً، وهكذا قد يستغرق الأمر بضع ساعات حتى يصل إلى (الشوننتشان) ويعرفوا أن شيئاً قد حدث. بدأت المرأة تقاوم مطلقة صرخات مكتومة من داخل الجوال، ولكن (ناينيث) و(مين) جذبتها بقوة ناحية زقاق قريب. كان اللجام والطوق يطلقان صوت رنين على أحجار الرصف من ورائهن.

قالت (ناينيث) بحدة مخاطبة (إيلالين): «احمليه، إنه لن يعضك».

أخذت (إيلان) نفسًا عميقًا، ثم جمعت المعدن الفضي بحذر، كأنها تخشى أن يعرضها حقًا. شعرت (ناينيث) ببعض التعاطف، ولكن ليس كثيرًا، كل شيء يعتمد على أن تفعل كل منهن ما هو مخطط له.

راحت (السولدام) تركل وهي تحاول تخلص نفسها، ولكن (ناينيث) و(مين) أجبرتاها على السير عبر الزقاق، ثم إلى زقاق آخر؛ ممر أكثر اتساعًا بقليل وراء البيوت، ثم إلى زقاق آخر، وأخيرًا إلى سقيفة خشبية تبدو أنها كانت ذات يوم إسطبلًا يضم حصانين في حجيرتين. لم يعد الكثيرون يتحملون تكلفة تربية الخيل منذ مجيء (الشوننتشان)، وأثناء مراقبة (ناينيث) للسقيفة طيلة يوم لم يقترب أحد منها. كان المكان بالداخل به رائحة غبار عطنة تشي بأن المكان مهجور. بمجرد أن صرن بالداخل أسقطت (إيلان) اللجام الفضي ومسحت يديها ببعض القش.

سحّرت (ناينيث) قطرة أخرى فسقط السوار على الأرضية الترابية، فصرخت (السولدام) وهي تكافح لتخلص نفسها.

تساءلت (ناينيث): «هل أنتما مستعدتان؟». أو مأت الاثنتان الأخريان برأسيهما ثم جذبن الجوال من على سجيتهن.

كانت (السولدام) تتنفس بصعوبة وعيناها الزرقاوان تدمعان من الغبار، ولكن وجهها كان أحمر من الغضب بقدر ما هو بفعل الجوال. اندفعت ناحية الباب ولكنهن أمسكن بها مع أول خطوة. لم تكن ضعيفة، ولكنهن كن ثلاثة. وعندما انتهين كانت (السولدام) قد تجردت من ملابسها إلا من القميص الداخلي، وألقيت في إحدى الحجيرتين، مقيدة اليدين والقدمين بحبل سميك، مع حبل آخر ليمنعها من إخراج الكمامة من فمها.

بينما (مين) تريح شفتها المتورمة راحت تتفحص الفستان المزين بالصواعق والحذاء الناعم الموضوعين أمامها. «قد يناسبك يا (ناينيث)، ولكنه لن يناسبني أو يناسب (إيلان)». كانت (إيلان) تُخرج القش من شعرها.

«يمكنني أن أرى هذا، لم تكوني اختياريًا على أي حال. إنهم يعرفونك جيدًا». خلعت (ناينيث) ملابسها في عجلة، وألقت بها جانبًا، ثم ارتدت فستان (السولدام). ساعدتها (مين) على ربط الأزرار.

حشرت (ناينيث) قدميها في الحذاء، كان ضيقًا بعض الشيء. كان الفستان ضيقًا أيضًا عند الصدر، وفضفاضًا في أماكن أخرى. كاد طرف الفستان أن يلمس الأرض، وهذا أدنى مما كان عليه عندما كانت (السولدام) ترتديه، ولكنه سيكون أقل ملائمة إن ارتدته واحدة من الاثنتين الأخريين. انتزعت السوار وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تُغلقه حول معصمها الأيسر. التحم الطرفان وبدا السوار محكمًا. لم تشعر أنه أي شيء باستثناء أنه سوار. كانت تخشى أنه سيكون كذلك.

«اجلبي الفستان يا (إيلان)». لقد صبغن فستانين - واحدًا من فساتينها وواحدًا من فساتين (إيلان) - باللون الرمادي الذي ترتديه (الداماني)، وأخفينها هنا. لم تتحرك (إيلان) واكتفت بالتحديق إلى الطوق

المفتوح وهي تعلق شفيتها. «يجب عليك أن ترتديه يا (إيلين)، الكثير منهم قد رأوا (مين)، فلا يمكنها أن تفعل هذا، كنت لأرتديه لو أن هذا الفستان يلائمك بدلاً مني». فكّرت أنها ستصاب بالجنون إن اضطرت إلى ارتداء الطوق، ولهذا السبب لم تتمكن من جعل صوتها حاداً مع (إيلين) هذه المرة. تنهدت (إيلين) وقالت: «أعرف، أتمنى فقط لو كنت أعرف المزيد عن تأثيره على المرء». أبعدت شعرها الأحمر الذهبي عن عنقها وقالت: «ساعديني من فضلك يا (مين)». بدأت (مين) في فك الأزرار الموجودة في الجزء الخلفي من فستانها.

استطاعت (ناينيف) أن تمسك بالطوق الفضي دون أن تجفل. «هناك طريقة واحدة للمعرفة». ترددت للحظة واحدة ثم انحنت وأغلقتة حول عنق (السولدام). قالت لنفسها بحزم: إنها تستحق هذا أكثر من أي شخص آخر. «قد تكون قادرة على إخبارنا بشيء مفيد على أي حال». حدقت المرأة ذات العينين الزرقاوين إلى اللجام الممتد من عنقها إلى معصم (ناينيف)، ثم رفعت بصرها إليها في ازدراء. قالت (مين): «إنه لا يعمل بهذه الطريقة». ولكن (ناينيف) بالكاد سمعتها.

لقد كانت... واعية... بالمرأة الأخرى، واعية بما تشعر به. الحبل المنغرس في كاحليها، وفي معصمها وراء ظهرها، ومذاق السمك الكريه في القصاصات القماشية في فمها، والقش الذي يخزها من خلال القماش الرقيق لقميصها الداخلي. لم يكن الأمر وكأن (ناينيف) تشعر بهذه الأشياء، ولكن في رأسها كان هناك كتلة من الأحاسيس التي تعرف أنها تنتمي إلى (السولدام).

ازدردت لعبها محاولة أن تتجاهل هذه المشاعر، ولكنها لم تختف، ثم خاطبت المرأة المقيدة: «لن أؤذيك إن أجبت عن أسئلتني بصدق. نحن لسنا (شونتشان)، ولكن إن كذبت عليّ». رفعت اللجام في تهديد. ارتجفت كتفا المرأة وانثنى فمها حول الكمامة في سخرية. احتاجت (ناينيف) إلى لحظة لتدرك أن (السولدام) تضحك. جزت على أسنانها ثم خطرت على بالها فكرة، بدا أن تلك الخزمة من الأحاسيس هي كل ما تشعر به المرأة الأخرى من الناحية الجسدية. جرّبت أن تضيف إليها.

جحظت عينا (السولدام) في رأسها وأطلقت صرخة لم توقفها الكمامة إلا جزئياً. راحت تحرك يديها من ورائها كأنها تصد شيئاً، ثم زحفت عبر القش في محاولة عبثية للهروب. فغرت (ناينيف) فمها، وعلى الفور تخلصت من المشاعر الزائدة التي أضافتها. ارتخى جسد (السولدام) وراحت تتحبب.

سألتها (إيلين) بصوت خافت: «ما الذي... ما الذي فعلته بها؟». أما (مين) فقد اكتفت بالتحديق فاعرة فمها.

أجابتها (ناينيف) بفضافة: «نفس الشيء الذي فعلته بك (شيريام) عندما أُلقيت قدحاً نحو (ماريث)». بحق (النور)، إنه شيء قذر.

ازدردت (إيلين) لعبها بصوت عالٍ، ثم قالت: «أوه».

قالت (مين): «ولكن لا يُفترض أن يعمل (الأيдам) بهذه الطريقة. لقد زعمن دومًا أنه لن يعمل مع أي امرأة لا تستطيع التسخير».

«لا أبالي كيف من المفترض أن يعمل ما دام أنه يعمل». أمسكت (ناينيث) باللجام المعدني الفضي من حيث يتصل بالطوق، ثم جذبت المرأة لأعلى بما يكفي لأن تحدق في عينيها. رأت الخوف في عينيها. «فلتسمعي جيدًا، أنا أريد إجابات، وإن لم أحصل عليها فسأجعلك تعتقدين أنني أسلخ جلدك». ارتسم الرعب الصارخ على وجه المرأة، وتقلصت معدة (ناينيث) عندما أدركت فجأة أن (السولدام) قد فهمت كلماتها بشكل حرفي. إن كانت تعتقد أن باستطاعتي فعلها، فهذا لأنها تعرف، هذا هو استخدام الأُلجمة. استجمعت رباطة جأشها لكي تمنع نفسها من نزع السوار عن معصمها، وبدلاً من هذا اكتسى وجهها بالصرامة وهي تقول: «هل أنت مستعدة للإجابة عن أسئلتني أم أنك بحاجة إلى مزيد من الإقناع؟».

كانت الإيلاءة المحمومة برأسها إجابة كافية. عندما انتزعت (ناينيث) الكمامة ظلت المرأة صامتة للحظة فحسب كي تزدرد لعابها، قبل أن تنهمر الكلمات من فمها: «لن أبلغ عنكن. أقسم بهذا. فقط انزعي هذا الشيء عن عنقي. إن معي ذهبًا، فلتأخذه. أقسم أنني لن أخبر أي شخص».

قالت (ناينيث) بحدة: «اصمتي!». فأطبقت المرأة فمها على الفور. «ما اسمك؟».

«(سيتا). أرجوك سأجيب عن أسئلتك ولكن أرجوك انزعيه عني! إن رآه أي شخص علي...». أنزلت (سيتا) عينيها لتحقق إلى اللجام، ثم أغلقتها بقوة وهمست: «أرجوك؟».

أدركت (ناينيث) شيئًا؛ لا يمكنها جعل (إيلالين) ترتدي هذا الطوق.

قالت (إيلالين) بحزم: «من الأفضل أن نمضي قدمًا في خطتنا». كانت قد انتزعت فستانها لتصير بقميصها الداخلي بدورها. «امنحيني لحظة أخرى لأرتدي هذا الفستان و...».

قالت (ناينيث): «فلترتدي ثيابك من جديد».

قالت (إيلالين): «يجب على واحدة أن تتظاهر بأنها (داماني)، وإلا فلن نصل أبدًا إلى (إيجوين)، هذا الفستان يلائمك، ولا يمكن أن تكون (مين)، هذا لا يترك سواي».

«قلت ارتدي ملابسك، لدينا واحدة بالفعل لتصير الملجومة». جذبت (ناينيث) اللجام الذي يقيد (سيتا) فشهقت (السولدام).

«لا! أرجوك، لا! إن رأني أحد...». بترت جملتها مع نظرة (ناينيث) الصارمة.

«بالنسبة لي أنتِ أسوأ من قاتلة، أسوأ من صديقة ظلام، لا يمكنني أن أفكر في شيء أسوأ منك. إن حقيقة أن عليّ ارتداء هذا الشيء في معصمي لأكون مثلك ولو لساعة واحدة تجعلني أشعر بالغثيان. إن كنتِ تعتقدين أنني سأتردد في فعل أي شيء بكِ فعليّ أن تراجع نفسيك. أنتِ لا تريدين أن يراكِ أحد؟ جيد، فنحن لا نريد هذا أيضًا. لا أحد ينظر حقًا إلى أي (داماني)، ما دمتِ تبقيين رأسك خفيضة كما يُفترض بأي (ملجومة) أن تفعل فلن يلاحظك أحد. ولكن من الأفضل أن تبذلي قصارى جهدك لكيلا تجذبي الانتباه

إلينا أيضًا، إن لاحظنا أحد فبالتأكيد سيرالك أيضًا. إن لم يكن هذا كافيًا لجعلك تحسنين التصرف فأعدك أنك ستلعنين أول قبلة منحتها أمك لأبيك. هل نحن متفاهمتان؟».

قالت (سيتا) بضعف: «أجل، أقسم بهذا».

كان على (ناينيف) أن تخلع السوار لكي يتمكن من تمرير فستان (إيلان) المصبوغ بالرمادي عبر اللجام وفوق رأس (سيتا). لم يلائم المرأة جيدًا، فقد كان فضفاضًا عند الصدر وضيقًا على الخصرتين، ولكن فستان (ناينيف) كان ليلائمها بشكل أسوأ، كما أنه قصير للغاية. كانت (ناينيف) تأمل أن الناس لا ينظرون إلى (الداماني) حقًا. أعادت السوار إلى موضعه على مضض.

جمعت (إيلان) ملابس (ناينيف) وغلفتها بالفستان الآخر المصبوغ بالرمادي لتصنع حزمة؛ حزمة ستحملها امرأة في ثياب ريفية بينما تتبع (سولدام) و(داماني). قالت ضاحكة: «سيشعر (جاوين) بالغيرة عندما يسمع بشأن هذا». لقد بدت ضحكة مفتعلة.

نظرت إليها (ناينيف) عن كثب ثم نظرت إلى (مين). لقد حان الوقت من أجل الجزء الخطير. «هل أنتما مستعدتان؟».

تلاشت ابتسامة (إيلان) وهي تقول: «أنا مستعدة».

قالت (مين) باقتضاب: «مستعدة».

قالت (سيتا): «إلى أين أنتن... نحن... ذاهبات؟». ثم أضافت على الفور: «إن كان لي أن أسأل».

قالت لها (إيلان): «إلى عرين الأسد».

قالت (مين): «للقص مع (سيد الظلام)».

تنهدت (ناينيف) وهزّت رأسها. «ما تحاول أن قوله هو إننا ذاهبات إلى حيث يحتفظون (بالداماني)، فنحن نعتزم تحرير واحدة منهن». كانت (سيتا) لا تزال فاعرة فمها بدهشة بينما يدفعنها للخروج من السقيفة.

كان (بايل دومون) يراقب شروق الشمس من على سطح سفينته، وأرصفت الميناء قد بدأت في الازدحام بالفعل، رغم أن الشوارع المؤدية إلى الميناء خاوية إلى حد كبير. كان هناك طائر نورس يقف على كومة من الحجارة ويحدق إليه. إن لطيور النورس أعينًا قاسية.

سأله (يارين): «هل أنت متيقن من هذا أيها القبطان؟ إن تساءل (الشوننتشان) حيال ما نفعله على متن السفينة...».

قال (دومون) بحدة: «تيقن فقط أن هناك فأسًا بالقرب من كل حبل إرساء. وإن حاول أي رجل أن يقطع حبلًا قبل صعود أولئك النسوة على متن السفينة فسأكسر جمجمته يا (يارين)».

«ماذا لو أنهم لم يأتين يا قبطان؟ ماذا لو أتى جنود (الشوننتشان) بدلًا منهم؟».

«فلتهدا يا رجل! إن جاء الجنود فسأهرب ناحية مدخل الميناء، وليرحمنا (النور) جميعًا. ولكن إلى أن يأتي الجنود سأنتظر أولئك النسوة. الآن اذهب وتظاهر بأنك لا تفعل أي شيء».

استدار (دومون) ليحديق إلى البلدة من جديد ناحية الموضع المحتجزة فيه (الداماني). راحت أصابعه تنقر بعصبية على سور السفينة.

جلب نسيم البحر رائحة طهو الإفطار إلى أنف (راند)، وكاد أن يجعل عباته التي أكلتها العثة تحفق، ولكنه تشبث بها بيد واحدة، بينما (ريد) يقترب من البلدة. لم يكن هناك معطف يناسبه في الملابس التي عثروا عليها، ورأى أنه من الأفضل إخفاء التطريز الفضي على كميته، وطيور البلشون على ياقته. إن سلوك (الشوننتشان) تجاه الأناس المهزومين الذين يحملون أسلحة قد لا يمتد إلى أولئك الذين يحملون سيوفًا بعلامة البلشون.

كانت أول ظلال الصباح تمتد أمامه. استطاع أن يرى (هورين) يتحرك بحصانه بين ساحات العربات ومرابض الخيول. لم يكن هناك سوى رجل أو رجلين يتحركان بين صفوف عربات التجار، وكانا يرتديان المئزرين الطويلين لمصلحي العجلات أو الحدادين. كان (إنجتار) - أول من دخل - قد اختفى بالفعل عن الأنظار، وكان (بيرين) و(مات) يتبعان (راند) على مسافات متباعدة. لم يرغب في النظر إلى الورا للاطمئنان عليهما. لم يكن من المفترض أن يكون هناك أي شيء يربطهما؛ خمسة رجال يأتون إلى (فالمي) في ساعة مبكرة، ولكن ليس معًا.

كانت مرابض الخيول محيطة بهم، والخيول تتجمع بالفعل عند الأسبجة في انتظار من يطعمها. برز (هورين) برأسه من بين إسطبلين، لا تزال أبوابها مغلقة بالمزاليج. ثم رأى (راند) فأشار إليه أن يقترب قبل أن يتراجع إلى الورا. استدار (راند) بحصانه في ذلك الاتجاه.

كان (هورين) واقفًا ممسكًا بحصانه من زمامه، مرتديًا سترة طويلة بدلًا من المعطف، ورغم العباءة الثقيلة التي تخفي سيفه القصير وخنجره فإنه كان يرتجف من البرد. قال وهو يومئ ناحية الممر الضيق: «اللورد (إنجتار) هناك، يقول إننا سنترك الخيول هنا ونكمل الطريق سيرًا على الأقدام». وبينما (راند) يترجل عن حصانه أضاف المتشمم: «لقد مر (فاين) عبر ذلك الشارع يا لورد (راند)، أكاد أن أشتم رائحته من هنا».

اقتاد (راند) (ريد) إلى حيث يربط (إنجتار) حصانه وراء الإسطبل، لم يعد الشايناري يبدو لوردًا في معطفه الصوفي المتسخ المهترئ المليء بالثقوب في أماكن عدة، وسيفه يبدو غريبًا وهو مربوط فوقه بحزام، وعيناه حادثان بشكل محموم.

قيد (راند) (ريد) إلى جانب حصان (إنجتار) ثم تردد وهو ينظر إلى أكياس سرجه. لم يكن قادرًا على ترك الراية وراءه. لم يعتقد أن أيًا من الجنود سيفتش حقائبه، ولكنه لا يستطيع قول الشيء ذاته عن (فيرين)، أو أن

يتوقع ما ستفعله إن وجدت الراية. ومع ذلك لم يرتح لفكرة أخذها معه، فقرر ترك أكياس السرج مربوطة وراء سرجه.

انضم إليهما (مات)، وبعد لحظات جاء (هورين) بصحبة (بيرين). كان (مات) يرتدي سروالاً فضفاضاً مدسوساً في الجزء العلوي من حذائه، و(بيرين) يرتدي عباءة قصيرة للغاية. فكر (راند) أنهم جميعاً يبدوون مثل متسولين أشرار، ولكنهم قد قطعوا القرى دون أن يلاحظهم أحد. قال (إنجتار): «والآن دعونا نرى ما يمكننا رؤيته».

خطوا خارجين إلى الشارع الترابي كأنهم لا يملكون وجهة محددة في أذهانهم، ويتحدثون فيما بينهم وهم يمشون متجاوزين ساحات العربات والشوارع المنحدرة المرصوفة بالحجارة. لم يكن (راند) متيقناً مما قاله، ولا أي واحد منهم. كانت خطة (إنجتار) أن يبدوا كأى مجموعة أخرى من الرجال يمشون معاً، ولكن كان هناك عدد قليل من الناس في الشارع. إن خمسة رجال يبدوون حشداً في تلك الشوارع الباردة صباحاً. كانوا يمشون في مجموعة، ولكن (هورين) يقودهم، وهو يتشمم الهواء منعطفاً عند هذا الشارع أو ذاك. كان البقية ينعطفون مثله، وكأن هذا ما ينوون فعله من البداية. قال (هورين) متجهماً: «لقد جاب هذه البلدة جيئةً وذهاباً، إن رائحته في كل مكان، وهي كريهة للغاية، من الصعب تمييز الرائحة القديمة عن الجديدة. على الأقل أعرف أنه لا يزال هنا. أنا متيقن أن بعض هذه الروائح لا يمكن أن تكون أقدم من يوم أو يومين». ثم أضاف بشك أقل: «أنا متيقن».

بدأ عدد قليل من الناس في الظهور؛ بائع فاكهة يضع بضاعته على الطاولات، رجل يسرع حاملاً لفافة كبيرة من الورق تحت ذراعه ولوحة رسم معلقة على ظهره، شاحذ سكاكين يضع الزيت على عجلة الشحذ في عربته الصغيرة. مرت امرأتان تمشيان متجهتين إلى الاتجاه الآخر، إحداهما مطرقة الرأس بطوق فضي يحيط بعنقها، والأخرى في فستان مزين بالصواعق تُمسك بلجام فضي ملفوف حول يدها. حبس (راند) أنفاسه، لقد بذل مجهوداً لكيلا ينظر إلى الورا ناحتها. «هل كانت هذه...؟». كانت عينا (مات) مفتوحتين على اتساعهما وتحققان من تجويفي عينيه الغائرتين. «هل كانت هذه (داماني)؟».

قال (إنجتار) باقتضاب: «هكذا وُصفت لنا. (هورين)، هل سنقطع كل شارع في هذه البلدة اللعينة؟». قال (هورين): «لقد ذهب إلى كل مكان يا لورد (إنجتار)، إن رائحته الكريهة في كل مكان». وصلوا إلى منطقة حيث كانت البيوت الحجرية مكونة من ثلاثة طوابق أو أربعة، وضخمة بحجم حانة. انعطفوا عند زاوية، وذُهل (راند) من مشهد قرابة عشرين جندياً من (الشوننتشان)، يقفون للحراسة أمام بيت كبير على جانب الشارع، ومشهد امرأتين ترتديان فستانين عليهما صواعق، تتحدثان على عتبة بيت آخر مع شخص بالداخل. كان هناك راية تحفّق فوق البيت الذي يحميه الجنود؛ صقر ذهبي يُمسك بصواعق. لم يكن هناك شيء يميز البيت الذي تتحدث عنده المرأتين باستثنائهما. كانت دروع الضابط متألّقة بالأحمر

والأسود والذهبي، وخودته مطلية ومذهبة أيضًا لتبدو وكأنها رأس عنكبوت، ثم رأى (راند) المخلوقين الضخمين ذوي الجلد الثخين الرابضين بين الجنود فكاد أن يتعثر.

(جرولم). لم يكن هناك مجال للخطأ في التعرف على الرأس الشبيه بالوتد ذي الثلاث أعين. هذا مستحيل، ربما يكون نائمًا حقًا وكل هذا مجرد كابوس. ربما لم نخرج بعد للتوجه إلى (فالمي).
حدق الآخرون إلى الوحوش بينما يمشون متجاوزين البيت الخاضع للحراسة.
تساءل (مات): «ما هذان بحق (النور)؟».

اتسعت عينا (هورين) وهو يقول: «لورد (راند)، إنها... هذان هما...».
قال (راند): «لا يهم». وبعد لحظة أو ما (هورين) برأسه.
قال (إنجتار): «نحن هنا من أجل (البوق)، وليس للتحديق إلى الوحوش الشونتشانية. فلتركز على العثور على (فاين) يا (هورين)».

بالكاد نظر الجنود ناحيتهم. كان الشارع يمتد مباشرة إلى الميناء الدائري. استطاع (راند) أن يرى السفن الراسية هناك، والسفن الطويلة مربعة الشكل ذات الصواري العالية التي تبدو صغيرة في الأفق.
حك (هورين) أنفه بظهر يده وقال: «لقد جاء إلى هنا كثيرًا. إن هذا الشارع به طبقات وطبقات من رائحته الكريهة. أعتقد أنه ربما جاء إلى هنا بالأمس يا لورد (إنجتار). ربما الليلة الماضية».
فجأة أمسك (مات) معطفه بكلتا يديه وهمس: «إنه موجود هناك». التفت ومشى إلى الورا وهو ينظر إلى البيت المرتفع ذي الراية. «الخنجر موجود هناك، لم ألاحظه من قبل بسبب... تلك الأشياء، ولكنني أستطيع الشعور به».

وكزه (بيرين) بإصبعه في ضلوعه وقال: «حسنًا، توقف عن هذا قبل أن يبدؤوا في التساؤل عن سبب تحديقك إليهم مثل الأحمق».

اختلس (راند) نظرة من فوق كتفه، كان الضابط يلاحقهم ببصره.
استدار (مات) متجهًا وقال: «هل سنواصل المشي فحسب؟ أقول لكم إنه موجود هناك».
قال (إنجتار) مزيجًا: «نحن نسعى وراء (البوق)، أنا أنوي إيجاد (فاين) وجعله يخبرنا بمكانه». لم يُطع من حركته.

لم يقل (مات) شيئًا، ولكن وجهه كان متوسلاً.
قال (راند) لنفسه: يجب عليّ إيجاد (فاين) أيضًا، يجب عليّ هذا. ولكنه عندما نظر إلى وجه (مات) قال: «إن كان الخنجر في ذلك البيت يا (إنجتار) فإن (فاين) هناك أيضًا على الأرجح، لا أستطيع أن أتخيل تركه للخنجر أو (البوق) بعيدًا عنه».

توقف (إنجتار) ثم قال بعد لحظة: «هذا محتمل، ولكننا لن نعرف ونحن هنا بالخارج».

قال (راند): «يمكننا أن نراقب حتى يخرج، إن كان قد خرج هذا الصباح إذن فسيمضي الليل هناك، وأراهن أنه سينام حيث يوجد (البوق). إن خرج بالفعل فيمكننا أن نعود إلى (ثيرين) بحلول منتصف النهار ونرسم خطة قبل حلول الليل».

قال (إنجتار): «أنا لا أنوي انتظار (ثيرين)، ولن أنتظر حلول الليل أيضًا، لقد انتظرت طويلًا بما يكفي. أنا أنوي أن أضع يديّ على (البوق) قبل أن تغرب الشمس مرة أخرى».

«ولكننا لا نعرف على وجه اليقين يا (إنجتار)».

قال (مات): «أنا أعرف أن الخنجر هناك».

«و(هورين) يقول إن (فاين) كان هناك في الليلة الماضية». تجاهل (إنجتار) محاولات (هورين) للتوضيح. «هذه هي المرة الأولى التي يقول فيها شيئًا أقرب من يوم أو يومين، نحن سنستعيد (البوق) الآن. الآن!».

سأله (راند): «كيف؟». لم يعد الضابط يراقبهم، ولكن لا يزال هناك عشرون جنديًا على الأقل أمام المبنى، واثنان من (الجرولم). هذا جنون، من المستحيل أن يوجد (جرولم) هنا. ولكن التفكير في هذا لم يجعل الوحشين يختفيان.

قال (إنجتار) وهو يتلفت حوله في تفكير: «يبدو أن هناك حقائق وراء هذه البيوت، إن كان أحد هذه الأزقة يمر بجانب سور حديقة... أحيانًا يكون الرجال مشغولين للغاية بحراسة المقدمة حتى إنهم يهملون المؤخرة. تعالوا». توجه مباشرة نحو أقرب ممر ضيق بين بيتين من البيوت العالية، فأسرع (هورين) و(مات) وراءه.

تبادل (راند) نظرة مع (بيرين)، ثم هز صديقه ذو الشعر الأشعث كتفيه في استسلام قبل أن يلحقا به بدورهما.

كان الزقاق بالكاد أكثر اتساعًا من أكتافهم، ولكنه يمتد بين أسوار حديقة عالية، حتى يتقاطع مع زقاق آخر كبير بما يكفي لدفع عربة يدوية أو عربة صغيرة. كان مرصوفًا بالحجارة أيضًا، ولكن ظهور المباني فقط تطل عليه، والنوافذ المغلقة والمساحات الواسعة من الحجارة والأسوار الخلفية العالية والحدائق التي تعلوها أغصان تكاد تكون خالية من الأوراق.

اقتادهم (إنجتار) عبر ذلك الزقاق حتى وصلوا إلى الجهة المقابلة للراية الخفاقة، أخرج قفازه الفولاذي من تحت معطفه، ثم ارتداه قبل أن يقفز ليُمسك بقمة السور ثم جذب نفسه لأعلى بما يكفي لأن يختلس النظر. قدّم تقريره في صوت خفيض رتيب: «أشجار، أحواض زهور، مماشٍ. لا يوجد شخص واحد يمكن... مهلاً! حارس، رجل واحد، إنه حتى لا يرتدي خوذة. عدوا حتى خمسين ثم اتبعوني». رفع إحدى قدميه أعلى قمة السور، ثم تدحرج إلى الداخل واختفى عن الأنظار قبل أن يتمكن (راند) من قول كلمة واحدة.

بدأ (مات) العد ببطء، وحبس (راند) أنفاسه، بينما (بيرين) يُمسك بفأسه و(هورين) يُمسك بمقبضي سلاحه.

«... خمسين». أسرع (هورين) صاعدًا السور، وعبر من فوقه، قبل أن تخرج الكلمة حتى من فم (مات)، وتبعه (بيرين) مباشرة.

فكر (راند) أن (مات) قد يحتاج إلى بعض المساعدة، فقد بدا شاحبًا ومتعبًا، ولكنه لم يُبدِ أدنى إشارة على هذا بينما يتسلق صاعدًا. لقد وفرَّ الجدار الحجري العديد من المواضع للتشبث بها، وبعد لحظات كان (راند) رابطًا بالداخل بصحبة (مات) و(بيرين) و(هورين).

كان الخريف قد أحكم قبضته على الحديقة، وأحواض الزهور خالية إلا من بعض الشجيرات دائمة الخضرة، وكانت أغصان الأشجار عارية من الأوراق تقريبًا. الرياح التي تجعل الراية تحفق أثارت الغبار عبر الماشي المعبدة بالحجر. للحظة لم يستطع (راند) أن يجد (إنجتار)، ثم رأى الشاناري ملتصقًا بالجدار الخلفي للبيت، ويشير إليهم أن يقتربوا وهو يحمل سيفه في يده.

ركض (راند) منحنياً، وتركيزه منصب على النوافذ التي تطل بخواء من البيت أكثر من أصدقائه الذين يركضون إلى جانبه. أحس بالارتياح عندما التصق بالبيت إلى جانب (إنجتار).

راح (مات) يتمتم لنفسه: «إنه بالداخل، يمكنني أن أشعر به».

همس (راند): «أين الحارس؟».

قال (إنجتار): «ميت. كان الرجل مبالغًا في ثقته في نفسه، فلم يحاول حتى أن يصرخ، لقد أخفيت جسده تحت واحدة من تلك الشجيرات».

حدق (راند) إليه. كان الشونتشاني مبالغًا في ثقته في نفسه؟ الشيء الوحيد الذي منعه من العودة في تلك اللحظة هو تقات (مات) المعبدة.

«لقد كدنا أن نصل». بدا (إنجتار) وكأنه يتحدث إلى نفسه أيضًا. «كدنا أن نصل. هيا بنا».

استل (راند) سيفه بينما يصعدون الدرجات الخلفية. لاحظ أن (هورين) يحرر سيفه القصير وخنجره بلا تباطؤ بينما (بيرين) يستل فأسه من حلقة حزامه على مضض.

كانت الردهة بالداخل ضيقة، والباب نصف المفتوح على يمينهم تفوح منه رائحة تشي بأنه يؤدي إلى مطبخ. كان هناك العديد من الأفراد يتحركون في تلك الحجرة، وأصوات حديث مبهمة، ومن آن لآخر تأتي قعقة غطاء قدر خافتة.

أشار (إنجتار) إلى (مات) أن يتقدمهم، فتسللوا متجاوزين الباب. راح (راند) يراقب الفتحة الضيقة حتى وصلوا المنعطف التالي.

خرجت امرأة نحيلة بشعر أسود من باب أمامهم تحمل صحيفة عليها كوب واحدة. تجمد الجميع في موضعهم. التفتت لتمشي في الاتجاه الآخر دون أن تنظر ناحيتهم. اتسعت عينا (راند). كان رداؤها الأبيض

الطويل شفافاً تماماً. اختفت عند منعطف آخر.

قال (مات) بصوت مبحوح: «هل رأيتم هذا؟ يمكنك أن ترى مباشرة من خلال...». وضع (إنجتار) يده على فم (مات) وهمس: «لا تشتت عقلك عن سبب وجودنا هنا. والآن اعثر عليه، اعثر على (البوق) من أجلي».

أشار (مات) إلى مجموعة ضيقة من السلالم المتعرجة، أسرعوا صاعدين الدرج ثم اقتادهم ناحية مقدمة البيت. كان الأثاث قليلاً في الردهات، وبدا أنه مصنوع من منحنيات، وهنا وهناك مفروشات جدارية معلقة على حائط أو لوحات قابلة للطّي في الناحية المقابلة، كل منها مرسوم عليه بضعة طيور على أغصان أو زهرة أو اثنتين. كان هناك نهر متدفق عبر إحدى اللوحات، ولكن باستثناء المياه المتدفقة وشريطي الضفتين الضيقتين فإن بقية اللوحة كانت خاوية.

في كل مكان من حولهم كان (راند) قادراً على أن يسمع أصوات الناس وهم يتحركون والنعال وهي تضرب الأرض وغمغمات الحديث الخافتة. لم يرَ أحداً، ولكنه استطاع أن يتخيل الأمر جيداً، شخص يخطو إلى ردهة ليجد خمسة رجال يتسللون مشهرين أسلحتهم فيطلق صيحة تحذير...

همس (مات): «إنه هناك». كان يشير إلى باب مكون من مصراعين منزلقين، ولا يزينه شيء سوى مقبضين منحوتين. «أو على الأقل الخنجر هناك».

نظر (إنجتار) إلى (هورين)، ففتح المشمم مصراعي الباب وقفز (إنجتار) مشهراً سيفه. لم يكن هناك أحد بالداخل، أسرع (راند) والآخرين وراءه وأغلق (هورين) المصراعين على الفور.

كانت الألواح المطلية تخفي جميع الجدران وأي أبواب أخرى وتحجب الضوء القادم من النوافذ التي لا شك أنها تطل على الشارع. في أحد جانبي الحجرة الكبيرة تنتصب خزانة دائرية طويلة، وعلى الجانب الآخر طاولة صغيرة وكرسي وحيد على السجادة موضوع في مواجهة الطاولة. سمع (راند) (إنجتار) يشهق، ولكنه لم يشعر إلا برغبة في أن يتنفس الصعداء. كان (بوق قالير) الملتوي الذهبي موضوعاً على حامل فوق الطاولة، وتحته ينعكس الضوء على الياقوتة الموجودة في مقبض الخنجر المزخرف.

اندفع (مات) ناحية الطاولة منتزحاً (البوق) والخنجر، ثم صاح وهو يهز الخنجر في قبضته: «لقد حصلنا عليه، لقد حصلنا عليها معاً».

قال (بيرين) متجهماً: «أخفض صوتك، نحن لم نُخرجهما من هنا بعد». كانت يدها مشغولتين بمقبض الفأس، ولكنهما بديتا كأنهما ترغبان في حمل شيء آخر.

«(بوق قالير)». كان هناك رهبة شديدة في صوت (إنجتار). لمس (البوق) بتردد ومرر إصبعه على الكتابة الفضية حول فم البوق وهو يحرك شفتيه بالترجمة، ثم أبعد يده مرتجفاً في حماس. «إنه هو. بحق (النور)، إنه هو! لقد نجوت».

حرّك (هورين) الألواح التي تخفي النوافذ، ثم دفع اللوح الأخير بعيداً عن طريقه ونظر إلى الشارع بالأسفل. «هؤلاء الجنود لا يزالون هناك، ويبدون متسمرين في موضعهم». ثم ارتجف وقال: «وهذان ال... الشيطان أيضاً».

انضم (راند) إليه. هذا الوحشان (جرولم)، لا مجال لإنكار هذا. «كيف وصلنا...». بينما يرفع عينيه من الشارع اختنقت الكلمات في حلقه. كان ينظر من فوق سور إلى حديقة البيت الكبير على الناحية المقابلة من الشارع، استطاع أن يرى الجدران التي هُدمت لتُضم إليها حدائق أخرى. كانت النسوة جالسات على مقاعد هناك، أو يتجولن على الماشي. دوماً في أزواج. كانت النسوة مرتبطات ببعضهن بعضاً، من العنق إلى المعصم، بألجمة فضية. إحدى النساء التي ترتدي طوقاً حول عنقها رفعت وجهها، كان بعيداً للغاية على أن يميز وجهها بوضوح، ولكن للحظة بدا وكأن أعينها قد التقت، وحينها عرف. غاضت الدماء من وجهه، ثم قال لاهثاً: «(إيجوين)».

سأله (مات): «ما الذي تتحدث عنه؟ (إيجوين) آمنة في (تار قالون). أتمنى لو كنت هناك». قال (راند): «إنها هنا». كانت المرأتان تستديران وتمشيان ناحية أحد المباني على الجانب البعيد من الحدائق المتلاحمة. «إنها هناك، على الناحية المقابلة من الشارع. أوه، بحق (النور)، إنها ترتدي واحداً من تلك الأطواق!».

سأله (بيرين): «هل أنت متيقن؟». جاء لينظر من النافذة. «أنا لا أراها يا (راند)، و... ويمكنني التعرف عليها إن رأيتها حتى من هذه المسافة البعيدة».

قال (راند): «أنا متيقن». اختفت المرأتان في أحد البيوت التي تواجه الشارع المجاور. انقبضت معدته. من المفترض أن تكون بأمان، من المفترض أن تكون في (البرج الأبيض). «يجب عليّ أن أخرجها، أما بقيتكم...». «إذن!». كان الصوت المدغم ناعماً كصوت المصراعين وهما ينزلقان في مسارهما. «أنتم لستم من كنت أتوقع».

للحظة قصيرة راح (راند) يحدق، كان الرجل الطويل ذو الرأس الحليق الذي دلف إلى الغرفة يرتدي روباً أزرق طويلاً يجره على الأرض، وأظافر أصابعه طويلة للغاية، حتى إن (راند) تساءل إن كان يستطيع التعامل مع أي شيء. كان الرجلان الواقفان بخنوع وراءه قد حلق كل منهما نصف رأسه فقط، بينما بقية الشعر يتدلى في جديلة سوداء على وجنته اليمنى. أحدهما كان يحمل سيفاً مغمداً بين ذراعيه.

قال الرجل الذي يحمل السيف: «أنتم في حضرة (السيد السامي توراك)». كان يحدق إلى (راند) والآخرين بغضب، ولكن حركة مقتضبة من إصبع زرقاء الظفر جعلته يصمت. تقدم الخادم الآخر إلى الأمام منحنيًا ثم بدأ في خلع روب (توراك).

قال الرجل ذو الرأس الحليق بهدوء: «عندما عُثر على أحد الحراس ميتاً اشتبهت في الرجل الذي يسمي نفسه (فاين)، إنني أرتاب فيه منذ أن مات (هوان) بطريقة غامضة، ودوماً ما كان راغباً في ذلك الخنجر».

رفع ذراعيه لكي يخلع الخادم روبه. على الرغم من صوته الناعم الذي يُشبه الغناء فإن العضلات القوية كانت ظاهرة على ذراعيه وصدره الأملس الذي كان عاريًا إلا من حزام أزرق يُثبت سروالًا أبيض فضفاضًا يبدو أنه مصنوع من مئات الطيات. لقد بدا غير مهتم وغير مبالي بالأسلحة التي في أيديهم. «والآن أجد غرباء لا يحملون الخنجر فحسب، بل و(البوق) أيضًا. يسعدني أن أقتل واحدًا منكم أو اثنين عقابًا على إفساد صباحي. هؤلاء الذين سينجون منكم سيخبرونني من أنتم ولم أتيتم». مد يده دون أن ينظر، فوضع الرجل الممسك بالغمد مقبض السيف في يده، فاستل نصلًا مقوسًا ثقيلًا. «لن أسمح بأن يتضرر (البوق)».

دون أن يعطي (توراك) إشارة دلف أحد الجنود إلى الغرفة ومد يده ناحية (البوق). لم يعرف (راند) إن كان عليه أن يضحك أم لا، كان الرجل يرتدي درعًا، ولكن وجهه المتعجرف بدا غافلًا عن أسلحتهم مثل (توراك).

حسم (مات) الأمر. بينما الشونتشاني يمد يده جرحه (مات) بالخنجر ذي المقبض الياقوتي. سب الجندي وهو يقفز إلى الوراء وقد بدا مندهشًا، ثم صرخ، فأصابت صرخته جميع من في الغرفة بالقشعريرة وجعلتهم يتجمدون في موضعهم في دهشة. كانت اليد المرتجفة التي رفعها أمام وجهه تتحول إلى اللون الأسود، الظلام يتسلل من الجرح النافذ الذي يقطع راحة يده. فتح فمه على اتساعه وهو يعوي، ثم راح يخدش ذراعه، وبعدها كتفه. راح يركل ويتنفض قبل أن يسقط أرضًا، ثم راح يضرب السجادة الحريية ويصرخ بينما وجهه يتحول إلى اللون الأسود وعيناه الداكنتان تحفظان كبروقيتين فاسدتين، حتى خنقه لسانه الأسود المتورم. ارتعش جسده واختنق بشكل متشنج وهو يضرب بكاحليه، وبعدها لم يتحرك مرة أخرى. كل جزء مكشوف من لحمه كان أسود كقطران أسن، وبدا مستعدًا للانفجار مع أدنى لمسة.

لعق (مات) شفثيه ثم ازدرد لعابه. كانت قبضته على الخنجر متململة بشكل متوتر. حتى (توراك) راح يحرق فاعرًا فمه.

قال (إنجتار) بهدوء: «كما ترى، نحن لسنا لقمة سائغة». فجأة قفز من فوق الجثة ناحية الجنود الذين لا يزالون يحرقون بأعين متسعة إلى ما تبقى من الرجل الذي كان واقفًا إلى جانبهم قبل لحظات. صرخ: «بحق (آل شينوا)! اتبعوني!». قفز (هورين) ورائه وتراجع الجنود أمامهما، وتعالى صليل الفولاذ على الفولاذ.

بدأ (الشونتشان) في الطرف الآخر من الحجرة في التقدم إلى الأمام بينما (إنجتار) يتحرك، ولكن بعد ذلك بدأوا في التراجع خوفًا من أن يطعنهم (مات) بخنجره أكثر من خوفهم من الفأس الذي يلوح به (بيرين) وهو يزجر.

في لحظة واحدة وجد (راند) نفسه وحيدًا في مواجهة (توراك)، الذي رفع سيفه أمام وجهه. لقد تلاشت صدمته. كانت عيناه حادتين وهو يحرق إلى وجه (راند)، وكأن جثة الجندي السوداء المنتفخة غير موجودة. لم يبدو أن لها وجودًا بالنسبة للخادمين أيضًا، تمامًا كما لا يوجد (راند) أو سيفه أو أصوات القتال التي صارت تتصاعد الآن من الحجرات على الجانبين وعبر البيت. بدأ الخادمان في طي روب (توراك) بهدوء، بينما (السيد

السامي) يُشهر سيفه، ولم يرفعا بصريهما حتى مع صرخات الجندي الميت، فصارا جاثين إلى جانبي الباب وهما يراقبان بأعين لا مبالية.

«لقد خمنت أن هذا الأمر سيقصر عليّ أنا وأنت». راح (توراك) يدير نصله بسهولة دورة كاملة في اتجاه واحد، ثم في الاتجاه الآخر، وأصابعه ذات الأظافر الطويلة تتحرك بدقة على المقبض. لم يبدُ أن أظافره تعيقه على الإطلاق. «أنت لا تزال شابًا، دعنا نرى ما يتطلبه الأمر ليكتسب المرء سيفًا بعلامة البلشون على هذا الجانب من المحيط».

فجأة رأى (راند) أن هناك طائر بلشون طويلًا على نصل (توراك). إن عليه أن يواجه سيفًا حقيقيًا بالقليل من التدريب الذي تلقاه. في عجالة ألقى بعباءته المبطنة بالصوف جانبًا ليخلص نفسه من وزنها وعبئها. انتظر (توراك).

أراد (راند) بشكل يائس أن يبحث عن الخواء. كان من الواضح أنه سيحتاج إلى كل ذرة يمكن حشدها من قدراته، وحتى حينها ستكون فرصته في مغادرة الغرفة حيًا ضئيلة للغاية. يجب عليه أن يغادر حيًا. لقد كانت (إيجوين) قريبة بما يكفي لأن يناديها، ويجب عليه أن يحررها بطريقة ما، ولكن (السايدين) ينتظر في الخواء، هذه الفكرة جعلت قلبه يخفق في لهفة في الوقت ذاته الذي جعلت فيه معدته تنقبض. ولكن النساء الأخريات كن قريبيات بقدر ما كانت (إيجوين) قريبة. (الداماني). إن لمس (السايدين)، إن لم يستطع منع نفسه من التسخير، فسوف يعرفن، هذا ما قالت له (فيرين). سيعرفن ويتعجبن. إنهن كثيرات للغاية وقربيات للغاية. قد ينجو من (توراك) ليموت في مواجهة (الداماني)، ولا يمكنه أن يموت قبل أن تتحرر (إيجوين). رفع (راند) سيفه.

انزلق (توراك) نحوه بخطوات صامتة، ثم تعالى صليل النصل على النصل كالطرقة على السندان. بدا واضحًا (لراند) من البداية أن الرجل يختبره، فلا يهجم بقوة إلا بما يكفي لرؤية ما يقدر على فعله، ثم يهجم بقوة أكبر قليلًا، وبعدها أكبر قليلًا. لم يُبقِ (راند) حيًا إلا معصماه السريعان وقدماه السريعتان، بقدر ما أبقتهم مهارته. من دون الخواء كان دومًا متأخرًا بمقدار جزء من الثانية، لقد أحدث طرف سيف (توراك) الثقل خدشًا حارقًا تحت عينه اليسرى. انكشف جزء من كم معطفه من عند كتفه، وقد اغمق لونه بفعل الدماء. كان هناك جرح دقيق تحت ذراعه اليمنى، دقيق كقطع خياط. استطاع أن يشعر بالسائل الدافئ يسيل على ضلوعه.

كان هناك خيبة أمل على وجه (السيد السامي). تراجع إلى الوراء وهو يشير باشمئزاز. «أين عثرت على هذا النصل يا فتى؟ أم أنهم هنا يمنحون البلشون حقًا لهؤلاء الذين لا يزيدون عنك مهارة؟ لا يهم. اتلّ صلاتك الأخيرة، حان الوقت لكي تموت». ثم هجم مرة أخرى.

غلّف الخواء (راند)، وتدفق (السايدين) ناحيته، متوهجًا مع وعد (بالقوة الواحدة)، ولكنه تجاهله. لم يكن الأمر أكثر صعوبة من تجاهل شوكة تنغرس في لحمه. رفض أن تملأه (القوة)، أن يكون واحدًا مع

النصف الذكوري من (المصدر الحقيقي). كان واحدًا مع السيف الذي بين يديه، واحدًا مع الأرضية التي تحت قدميه، واحدًا مع الجدار. واحدًا مع (توراك).

تعرف على التشكيلات التي يستخدمها (السيد السامي)، كانت مختلفة قليلًا عما تعلمه، ولكن ليس بدرجة كافية. التقت تشكيلة (السنونو ينساب في الهواء) مع (شق الحرير). (القمر على الماء) مع (الطيحوج الخشبي يرقص). (شريط في الهواء) مع (أحجار تسقط من على جرف). كانا يتحركان في أرجاء الغرفة وكأنهما يرقصان، وكانت موسيقاهما الفولاذ على الفولاذ.

تلاشت خيبة الأمل والاشمئزاز من عيني (توراك)، وحل محلها المفاجأة ثم التركيز. ظهر العرق على وجه (السيد السامي) بينما يضغط على (راند) بقوة أكبر. التقت تشكيلة (برق الشوكات الثلاثة) مع (ورقة في النسيم).

كانت أفكار (راند) تطفو خارج الخواء، بمعزل عنه، وبالكاد يلاحظها. لم يكن هذا كافيًا، إنه يواجه سيافًا بالخواء وكل ذرة من مهارته وبالكاد يقدر على الصمود. كان عليه أن ينهي الأمر قبل أن ينهي (توراك). (السايدين)؟ لا، أحيانًا يكون من الضروري أن تعتمد السيف في جسدك. ولكن هذا لن يساعد (إيجوين) أيضًا، يجب عليه أن ينهي بطريقة ما، والآن.

اتسعت عينا (توراك) بينما (راند) ينزلق إلى الأمام، حتى الآن كان يدافع فقط، الآن يهجم بكل قوته. (الخنزير يندفع هابطًا الجبل). كل حركة من نصله كانت محاولة للوصول إلى (السيد السامي)، والآن كل ما يمكن أن يفعله (توراك) هو أن يتراجع ويدافع على طول الغرفة، حتى كاد أن يصل إلى الباب.

في لحظة بينما (توراك) لا يزال يحاول مواجهة (الخنزير) اندفع (راند). (النهر يقوض الضفة). سقط على إحدى ركبتيه بينما النصل يضربه بعنف. لم يكن بحاجة إلى شهقة (توراك) أو أن يشعر بالمقاومة لضربته لكي يعرف. سمع صوتي ارتطام فأدار رأسه وهو يعرف ما سيراه. نظر عبر نصله الذي صار مبللًا وأحمر إلى حيث يستلقي (السيد السامي) وقد سقط السيف من يده المرتخية والرطوبة الداكنة تلتصق بالطين المنسوجة في السجادة تحت جسده. كانت عينا (توراك) مفتوحتين، ولكن الموت يغشاهما بالفعل.

ارتجف الخواء، لقد واجه (ترولوكين) من قبل، واجه مخلوقات (الظل). ولكنه لم يواجه إنسانًا من قبل يحمل سيفًا إلا في تدريب أو في محاولة للخداع. لقد قتلت رجلًا. ارتجف الخواء وحاول (السايدين) أن يملأه. حاول يائسًا أن يحرر نفسه، بينما يتنفس بصعوبة وهو يتلفت حوله. جفل عندما رأى الخادمين لا يزالان جاثيين بجانب الباب. لقد نسيهما، والآن لا يعرف ما الذي يجب أن يفعله بشأنهما. لم يكن أي من الرجلين مسلحًا، ولكن كل ما عليهما فعله هو أن يصرخا...

لم ينظرا إليه، أو أحدهما إلى الآخر. بدلًا من هذا راحا يحدقان في صمت إلى جثة (السيد السامي). أخرج كل منهما خنجرًا من تحت روبه فأحكم قبضته على السيف، ولكن كل رجل وضع طرف الخنجر على صدره.

قالا مترنمين في صوت واحد: «من المولد إلى الممات أنا أخدم (الدماء)». ثم غرسا خنجرهما في قلوبهما. انحنيا للأمام في سكينه ورأساهما إلى الأرض كأنهما ينحنيان بعمق إلى سيدهما.

حدق (راند) إليهما في عدم تصديق. قال لنفسه: هذا جنون. ربما سأصاب بالجنون ولكنهما كانا مجنونين بالفعل. كان ينهض على قدميه مرتجفاً عندما جاء (إنجتار) والآخرين مسرعين. كانوا جميعاً مصابين بجروح وخدوش، ومعطف (إنجتار) الجلدي ملطخ في أكثر من موضع. لا يزال (مات) يحمل (البوق) وخنجره، ونصله داكن أكثر من الياقوتة في مقبضه. كان فأس (بيرين) أحمر أيضاً، وبدأ أنه سيتقياً في أي لحظة. قال (إنجتار) وهو ينظر إلى الجثث: «أنت تعاملت معهم؟ إذن فقد انتهى الأمر، إن كانوا لم يطلقوا أي إنذار. هؤلاء الحمقى لم يصرخوا من أجل النجدة ولو مرة واحدة».

قال (هورين): «سأرى إن كان الحرس قد سمعوا أي شيء». ثم اندفع ناحية النافذة. هز (مات) رأسه وقال: «هؤلاء الناس مجانين يا (راند). أعلم أنني قلت هذا من قبل، ولكن هؤلاء الناس مجانين حقاً. هؤلاء الخدم...». حبس (راند) أنفاسه متسائلاً إن كانوا جميعاً قد قتلوا أنفسهم. قال (مات): «كلما رأونا نقاتل كانوا يثبون على ركبهم ويضعون وجوههم على الأرضية ويحيطون رؤوسهم بأذرعهم. إنهم لم يتحركوا أو يصرخوا، ولم يحاولوا مساعدة الجنود أو إطلاق إنذار. إنهم لا يزالون هناك حسبما أعرف».

قال (إنجتار) بجمود: «لن أعول على بقائهم على ركبهم. سنغادر الآن وبأسرع ما نستطيع». قال (راند): «فلتذهبوا أنتم. (إيجوين)...». قال (إنجتار) بحدة: «أيها الأحمق! لدينا ما جئنا من أجله؛ (بوق فالير)، الأمل في الخلاص. ما قيمة فتاة واحدة - حتى لو كنت تحبها - إلى جانب (البوق)؟».

«لا أبالي إن حصل (سيد الظلام) نفسه على (البوق)! ما قيمة (البوق) إن تخلت عن (إيجوين) من أجله؟ إن فعلت هذا فلن يتمكن (البوق) من إنقاذه، لن يتمكن (الخالق) من إنقاذه. سأحكم على نفسي باللعة». حدق إليه (إنجتار) بتعير مبهم على وجهه وقال: «أنت تقصد ما قلته بالضبط، أليس كذلك؟».

قال (هورين) بإلحاح: «شيء ما يحدث بالخارج. لقد جاء رجل راكضاً للتو، وجميعهم مضطربون كالسمك في دلو. مهلاً، لقد دلف الضابط إلى الداخل».

قال (إنجتار): «اذهبوا!». حاول أن يأخذ (البوق)، ولكن (مات) كان يركض بالفعل. تردد (راند) ولكن (إنجتار) أمسك به من ذراعه وجذبه إلى الردهة. اندفع الآخرون وراء (مات). ألقى (بيرين) ناحية (راند) نظرة متأللة قبل أن يذهب. «لا يمكنك إنقاذ الفتاة إن ظللت واقفاً هنا ومتاً!».

ركض (راند) معه، كان جزء منه يكره نفسه لأنه يركض، وجزء آخر يهمس: سوف أعود، سوف أحررها بطريقة ما.

بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى آخر الدرج الضيق المتعرج سمع صوتًا عميقًا لرجل يرتفع في مقدمة البيت، ويطالب بغضب أن يقف شخص ما ويتحدث إليه. كان هناك خادمة في رובה الشفاف جاثية على ركبتها عند نهاية الدرج، وامرأة بشعر رمادي في صوف أبيض ومئزر طويل مغطى بالدقيق جاثية على ركبتها عند باب المطبخ. كانتا تمامًا كما وصف (مات)؛ وجهاهما إلى الأرضية وأذرعهما حول رأسيهما، ولم تتحركا قيد أنملة عندما مر بهما (راند) والآخران مسرعين. أحس بالارتياح لأنهما تتنفسان. قطعوا الحديقة راكضين، وتسلقوا السور الخلفي بسرعة. سب (إنجتار) عندما ألقى (مات) (بوق فالير) أمامه، وحاول مرة أخرى أن يأخذه عندما سقط بالخارج، ولكن (مات) انتزعه بسرعة وقال: «إنه لم يُخدش حتى». ثم أسرع راكضًا عبر الزقاق. تعالت المزيده من الصيحات من البيت الذي تركوه للتو. صرخت امرأة وبدأ شخص ما يقرع جرسًا. سأعود من أجلها. بطريقة ما. ركض (راند) وراء الآخرين بأسرع ما يستطيع.

الفصل السادس والأربعون

الخروج من الظل

سمعت (ناينيث) والأخريات صيحات بعيدة، بينما يقتربن من المباني التي تقطن فيها (الداماني). بدأت الحشود تتزايد وكان هناك توتر مخيم على الناس في الشارع، وتسارعت وتيرة خطواتهم، وصار هناك حذر إضافي في الطريقة التي ينظرون بها إلى ما وراء (ناينيث) في فستانها المزين بالصواعق، والمرأة التي تجذبها بلجام فضي.

بينما (إيلين) تُمسك بحزمتهما في توتر راحت تنظر ناحية ضجيج الصيحات في الشارع المقابل، حيث الصقر الذهبي الممسك بالصواعق يخفق في مهب الريح. «ما الذي يحدث؟».

قالت (ناينيث) بحزم: «شيء لا علاقة لنا به».

أضافت (مين): «أنتِ تأملين، وكذلك أنا». أسرعت في حركتها وسبقت الأخريات بعدة خطوات قبل أن تختفي داخل البيت الحجري الطويل.

شدت (ناينيث) قبضتها على اللجام وقالت: «تذكري يا (سيتا)؛ أنتِ تريدين أن نمر من هذا الأمر بسلام بقدر ما نريد».

قالت المرأة الشونتشانية بشكل محموم: «أنا أريد هذا». أبقت ذقنها على صدرها لتُخفي وجهها. «لن أتسبب لك في أي متاعب، أقسم بهذا».

بينما يصعدن الدرجات الحجرية الرمادية ظهرت (سولدام) و(داماني) عند أول الدرج هابطتين من الأعلى. لم تنظر (ناينيث) ناحيتهما إلا نظرة واحدة، للتيقن من أن المرأة التي في الطوق ليست (إيجوين). استخدمت (الأيдам) لتبقي (سيتا) قريبة منها، لذا إن أحست (الداماني) بالقدرة على التسخير في واحدة منها فستعتقد أنها (سيتا). شعرت بالعرق يسيل على عمودها الفقري، حتى أدركت أنها غير منتبهتين لها أكثر مما هي منتبهة إليهما. كل ما رأته هو فستان مزين بالصواعق، وفستان رمادي، والمرأتان اللتان ترتديانها يربط بينهما (آيдам) فضي. مجرد (حاملة لجام) أخرى، مع (ملجومة)، وفتاة محلية تُسرع وراءهما، مع حزمة تنتمي إلى (السولدام).

دفعت (ناينيث) الباب ودلفت إلى الداخل.

أيًا كان سبب الاضطراب تحت راية (توراك) فإنه لم يمتد إلى هنا، ليس بعد. لم يكن هناك سوى نسوة يتحركن في أرجاء بهو الدخول، وكل واحدة يسهل تحديد مكانتها من فستانها. كان هناك ثلاث من (الداماني) يرتدين فساتين رمادية مع (سولدام) يرتدين الأساور. كان هناك امرأتان في فستانين مزينين بالصواعق تتبادلان الحديث، وثلاثة على الناحية الأخرى من البهو بمفردهن. أربعة يرتدين مثل (مين)؛ ملابس بسيطة من الصوف الداكن، يسرعن في طريقهن حاملات الصحف.

كانت (مين) واقفة تنتظر في بهو الدخول عندما دلفن إلى الداخل، فنظرت إليهن نظرة واحدة ثم توغلت في البيت. اقتادت (ناينيف) (سيتا) عبر البهو ناحية (مين) بينما (إيلان) تسرع في أعقابهما. أحست (ناينيف) أن أحداً لم يُلَقَ أكثر من نظرة عابرة، ولكنها فكرت أن قطرات العرق التي تسيل على عمودها الفقري ستتحول إلى نهر قريباً. جعلت (سيتا) تتحرك بسرعة لكيلا ينال أحد فرصة لإلقاء نظرة متفحصة، أو الأسوأ أن يطرح سؤالاً. كانت عينا (سيتا) مثبتتين على أصابع قدميها، ولم تكن بحاجة إلى الكثير من التحفيز حتى إن (ناينيف) فكرت أنها ستركض لولا اللجام الذي يقيد حركتها.

بالقرب من مؤخرة البيت قطعت (مين) درجاً ضيقاً حلزونياً إلى الأعلى، دفعت (ناينيف) (سيتا) أعلى الدرج أمامها، حتى وصلن إلى الطابق الرابع. كان السقف خفيضاً هناك، والردهات خاوية وصامتة إلا من أصوات نحيب منخفضة. بدا النحيب ملائماً لجو الردهات المثير للشعريرة.

قالت (إيلان): «هذا المكان...». ثم هزت رأسها وقالت: «إنه يبدو...».

قالت (ناينيف) بوجوم: «أجل، إنه كذلك». حدقت إلى (سيتا) التي أبقت وجهها منخفضاً. إن شحوب الخوف قد جعل بشرة المرأة الشونتشانية أكثر امتقاعاً مما تكون عليه عادة.

دون أن تنطق (مين) بكلمة فتحت باباً ودلفت إلى الداخل، ولحقن بها. كانت الغرفة التي تقع وراء الباب مقسمة إلى غرف أصغر بجدران خشبية مصنوعة كيفما اتفق، مع ممر ضيق يؤدي إلى نافذة. تحركت (ناينيف) وراء (مين) بينما تسرع إلى آخر باب على اليمين وتفتحه.

كان هناك فتاة نحيلة ذات شعر أسود تجلس أمام طاولة صغيرة وهي تريح رأسها على ذراعين مطويتين. ولكن قبل حتى أن ترفع رأسها عرفت (ناينيف) أنها (إيجوين). كان هناك شريط من معدن لامع يمتد من الطوق الفضي حول عنق (إيجوين) إلى سوار معلق في مشجب على الحائط. اتسعت عيناها عند رؤيتهن وراحت تحرك فمها في صمت. عندما أغلقت (إيلان) الباب ضحكت (إيجوين) فجأة ثم وضعت يديها على فمها لتكتم الضحكة. كانت الغرفة الصغيرة مزدحمة مع وجودهن جميعاً فيها.

قالت بصوت مرتجف: «أعرف أنني لا أحلم، لأنني لو كنت أحلم لكنتن (راند) و(جالاد) على حصانين طويلين. لقد كنت أحلم. خُيِّلَ إليَّ أن (راند) هنا، لم أستطع رؤيته ولكن خُيِّلَ إليَّ...». بترت جملتها.

قالت (مين) بسخرية: «إن كنت تفضلين البقاء وانتظارهما...».

«أوه، لا. لا، أنتن جميعاً جميلات، أجمل شيء رأيته على الإطلاق، من أين جئتن؟ كيف فعلتن هذا؟ هذا الفستان يا (ناينيف) و(الأيдам). ومن هذه...». ضحكت فجأة وقالت: «هذه (سيتا)، كيف...؟». صار صوتها صارماً حتى إن (ناينيف) بالكاد تعرفت عليه. «أود أن أضعها في قدر من الماء المغلي». كانت (سيتا) مغمضة عينيها وهي تمسك تنورتها بيديها. كانت ترتجف.

صاحت (إيلان): «ما الذي فعلته بك؟ ما الذي يُمكن أن يفعله لجعلك ترغين في شيء كهذا؟».

لم ترفع (إيجوين) عينيها عن المرأة الشونتشانية. «أود حقًا أن أجعلها تشعر بالأمر. هذا ما فعلته بي، جعلتني أشعر وكأنني غارقة حتى عنقي في...». ارتجفت وقالت: «أنتِ لا تعرفين شعور ارتداء واحد من هذه الأشياء يا (إيلان). أنتِ لا تعرفين ما الذي يمكن أن يفعله بك. لا يمكنني أن أقرر إن كانت (سيتا) أسوأ من (رينا)، ولكنهن جميعًا حاقدات».

قالت (ناينيف) بصوت خافت: «أعتقد أنني أعرف». كانت قادرة على الإحساس بالعرق يتصبب على جلد (سيتا)، والارتعاشات الباردة التي تهز أطرافها. كانت الشونتشانية ذات الشعر الأصفر مرعوبة. كان كل ما استطاعت فعله هو أن تمنع مخاوف (سيتا) من التحقق في هذه اللحظة.

تساءلت (إيجوين) وهي تلمس الطوق: «هل يمكنك نزع هذا عني، لا شك أنك قادرة على هذا، وإلا لما استطعت أن ترتدي هذا السوار...».

سخرت (ناينيف) قطرة صغيرة للغاية. لقد منحها الطوق المحيط بعنق (إيجوين) غضبًا كافيًا، ولو لم يفعل لكان خوف (سيتا) ومعرفتها بأنها تستحقه حقًا، ومعرفتها هي بما تريد أن تفعله بالمرأة، كافين لإثارة غضبها. انفتح الطوق وسقط من حول حلق (إيجوين). اكتسى وجه (إيجوين) بالتعجب وهي تلمس عنقها. قالت لها (ناينيف): «ارتدي فستاني ومعطفي». كانت (إيلان) تفك بالفعل حزمة الملابس على السرير. «سنخرج من هنا ولن يلاحظك أحد حتى». فكّرت في الحفاظ على اتصالها (بالسايدار). كانت غاضبة بما يكفي حقًا وقد انتابها إحساس رائع، ولكنها تركته يذهب على مضض. كان هذا هو المكان الوحيد في (فالمي) الذي لا تأتي إليه (سولدام) و(داماني) للتحقق من الأمر إن شعرتا أن شخصًا ما يُسخر. ولكنهن سيتحققن من الأمر بالتأكيد إن رأت (داماني) امرأة من المفترض أنها (سولدام) يحيط بها وهج التسخير. «لا أعرف لم لم ترحلي بعد. أنتِ هنا بمفردك، وحتى لو لم تعرفي كيف تتخلصين من هذا الشيء كان بمقدورك فقط أن تحمليه وتهربي».

بينما (مين) و(إيلان) تسرعان في مساعدتها على تغيير ملابسها إلى فستان (ناينيف) القديم شرحت لها (إيجوين) بشأن تحريك السوار من الوضع الذي تركته فيه (سولدام)، وكيف أن التسخير يجعلها تمرض ما لم ترتدي (سولدام) السوار. في ذلك الصباح فحسب اكتشفت كيف يمكن فتح السوار من دون استخدام (القوة)، ووجدت أن لمس القفل بقصد فتحه يجعل يدها تتشنج وتصير عديمة الفائدة. يمكنها أن تلمسه قدر ما تريد ما دامت لا تفكر في فتح القفل، ولكن مجرد التفكير ولو للمحة عابرة في الأمر...

شعرت (ناينيف) بالغثيان بدورها، إن السوار على معصمها يجعلها تشعر بالغثيان، إنه شيء فظيع للغاية، أرادت أن تخلعه عن معصمها قبل أن تتعلم المزيد عن (الأيدام)، قبل أن تتعلم شيئًا يجعلها تشعر بالندس إلى الأبد بمجرد ارتدائه.

خلعت السوار الفضي ثم أغلقته وعلّقت على أحد المشاجب. «لا تفكري أن هذا يعني أن بمقدورك أن تصرخي طلبًا للنجدة الآن». لوّحت بقبضتها تحت أنف (سيتا). «لا يزال بمقدوري أن أجعلك تتمنين لو لم

تولدي إن فتحت فمك، ولا أحتاج إلى هذا... الشيء اللعين».

قالت (سيتا) هامسة: «أنت... أنت لا تنوين تركي هنا معه، لا يمكنك هذا. قيديني، كممي فمي لكيلا أتمكن من أن أطلق تحذيرًا. أرجوك».

ضحكت (إيجوين) ضحكة قاسية وقالت: «اتركه عليها، لن تصرخ طلبًا للنجدة حتى من دون كمامة. من الأفضل أن تأمل أن من يجذك سيزيل (الأيдам) ويكتم شرك الصغير يا (سيتا)، شرك القدر، أليس كذلك؟».

قالت (إيلالين): «ما الذي تتحدثين بشأنه؟».

قالت (إيجوين): «لقد فُكِّرت بشأن هذا الأمر كثيرًا، كان التفكير هو كل ما يمكنني فعله عندما يتركني وحدي هنا. (السولدام) يزعم أنهن يكتسبن صلة بعد بضع سنوات، يمكن لمعظمهن معرفة متى تسخر امرأة سواء كانت مرتبطة بها أم لا. لم أكن متيقنة، ولكن (سيتا) قد أثبتت هذا».

تساءلت (إيلالين): «أثبتت ماذا؟». ثم اتسعت عيناها مع الإدراك المفاجئ.

ولكن (إيجوين) أكملت حديثها قائلة: «(الأيдам) لا يعمل إلا على امرأة يمكنها التسخير يا (ناينيف)، ألا ترين؟ (السولدام) يمكنهن التسخير مثل (الداماني)». تأوهت (سيتا) من بين أسنانها وهزت رأسها في إنكار عنيف. «أي (سولدام) تفضل الموت على أن تعترف بقدرتها على التسخير، حتى لو كانت تعرف، وهن لا يدربن هذه القدرة، لذا فلا يمكنهن أن يفعلن أي شيء بها، ولكن يمكنهن التسخير».

قالت (مين): «قلت لك إن الطوق لا يُفترض أن يعمل عليها». كانت تغلق آخر أزرار أسفل ظهر (إيجوين). «أي امرأة لا يمكنها التسخير ستكون قادرة على ضربك بينما تحاولين السيطرة عليها باستخدام هذا الشيء».

قالت (ناينيف): «كيف يُعقل هذا؟ لقد ظننت أن (الشوننتشان) يضعن اللجام على أي امرأة يمكنها التسخير».

قالت لها (إيجوين): «كل من يمكنهم العثور عليهن، ولكن أولئك اللائي يعثرون عليهن هم مثلي ومثلك ومثل (إيلالين)، لقد وُلدنا بهذه القدرة. يمكننا التسخير سواء علمنا أحد أم لا. ولكن ماذا عن فتيات (الشوننتشان) اللائي لم يولدن بهذه القدرة، ويمكن تعليمهن؟ لا يمكن لأي امرأة أن تصير... (حاملة لجام). لقد ظنت (رينا) أنها تتصرف بودية عندما أخبرتني بهذا، من الواضح أن هذا يوم عيد في قرى (الشوننتشان) عندما تأتي (السولدام) لاختبار الفتيات. إنهن يرغبن في العثور على أي واحدة مثلك ومثلي لوضع اللجام عليها. ولكنهن يسمحن لكل الأخريات بارتداء السوار ليرين إن كن قادرات على الإحساس بما تشعر به المسكينة التي ترتدي الطوق. أولئك اللائي يمكنهن ذلك يؤخذن ليتدربن ليصرن (سولدام). إنهن النسوة اللائي يمكن تعليمهن».

كانت (سيتا) تتأوه بصوت خافت وهي تقول: «لا، لا، لا». مرارًا وتكرارًا.

قالت (إيلين): «أعرف أن هذا فظيع، ولكنني أشعر وكأنني يجب أن أساعدها بطريقة ما، ربما تكون واحدة من أخواتنا ولكن (الشونشان) شوهوها».

فتحت (ناينيف) فمها لتقول إنه من الأفضل لهن أن يقلقن بشأن مساعدة أنفسهن عندما انفتح الباب. تساءلت (رينا) وهي تخطو إلى داخل الغرفة: «ما الذي يحدث هنا؟ ما هذا الجمع؟». حدثت إلى (ناينيف) واضعة يديها على خاصرتيها. «لم أسمح لأي شخص آخر بأن يرتبط بحيواني الأليف (تولي)، أنا لا أعرف حتى من أنت...». وقعت عيناها على (إيجوين)... (إيجوين) ترتدي فستان (ناينيف) بدلاً من فستان (الداماني) الرمادي، بلا طوق حول عنقها... ثم انفتحت عيناها على اتساعهما. لم تسنح لها فرصة للصراخ.

قبل أن يتمكن أي شخص آخر من التحرك انتزعت (إيجوين) الإبريق من حوض الاغتسال وضربت به بطن (رينا). تحطم الإبريق وشهقت المرأة بصوت متحشرج وهي تنحني للأمام. بينما تسقط قفزت (إيجوين) عليها مزجرة ودفعتها أرضاً، ثم أمسكت بالطوق الذي كانت ترتديه، والذي لا يزال على الأرضية، وأغلقتة حول عنق المرأة الأخرى. سحبت (إيجوين) اللجام الفضي لتجذب السوار من المشجب ووضعتة حول معصمها. تراجعت شفيتها لتكشفها عن أسنانها وثبتت عينيها على وجه (رينا) بتركيز رهيب. كانت جاثية بكلتا ركبتيها على كتفي (السولدام) وهي تضع يديها على فم المرأة. راحت (رينا) تتشنج بشدة وجحظت عيناها في وجهها وخرجت أصوات متحشرجة من حلقها؛ صرخات تكتمها (إيجوين) بيدها، وضربت بكاحليها على الأرضية.

«كفي عن هذا يا (إيجوين)!». أمسكت (ناينيف) بكتفي (إيجوين) وجذبتها بعيداً عن المرأة الأخرى. «(إيجوين)، كفي عن هذا! هذا ليس ما تريدينه!». كانت (رينا) مستلقية وهي تلهث وتحقق بجنون إلى السقف.

فجأة ألقت (إيجوين) بنفسها ناحية (ناينيف) وهي تبكي بحرقة على صدرها. «لقد آذنتي يا (ناينيف)، لقد آذنتي. جميعهن قد فعلن هذا، لقد آذنتني وآذنتني حتى فعلت ما يردن. أنا أكرههن، أكرههن لإيذائي، وأكرههن لأنني لم أستطع منعهن من إجباري على فعل ما يردن».

قالت (ناينيف) برفق وهي تمسك شعر (إيجوين): «أعرف، لا بأس بأن تكرهين يا (إيجوين)، هذا صحيح، إنهن يستحقن هذا. ولكن ليس من الصواب أن تسمحين لهن بجعلك مثلهن».

كانت (سيتا) تضغط بيديها على وجهها، و(رينا) تلمس الطوق حول عنقها بيد مرتجفة في عدم تصديق. نصبت (إيجوين) قامتها ومسحت دموعها على الفور وقالت: «أنا لست مثلهن». كادت أن تخلع السوار عن معصمها وتلقي به. «أنا لست كذلك، ولكنني أتمنى لو أن باستطاعتي أن أقتلهن جميعاً». «إنهن يستحقن هذا». كانت (مين) تحقق بوجوم إلى المراتين (السولدام).

قالت (إيلان): «كان (راند) ليقتل الشخص الذي يفعل شيئاً كهذا». بدت وكأنها تهيب نفسها لشيء غير سار. «أنا واثقة أنه كان ليفعل هذا».

قالت (ناينيث): «ربما يستحقن هذا، وربما كان ليقتلهن. ولكن الرجال عادة ما يخطئون في اعتبار الانتقام والقتل عدالة، نادرًا ما يكون لديهم جرأة من أجل تحقيق العدالة». كثيرًا ما جلست للحكم مع (دائرة النساء)، في بعض الأحيان يمثل الرجال أمامهن معتقدين أن النساء قد يسمعنهم بشكل أفضل من رجال (مجلس القرية). ولكن الرجال عادة ما يعتقدون أنهم قادرون على التأثير على القرار بالبلاغة أو بالتوسلات من أجل الرحمة. تمنح (دائرة النساء) الرحمة عندما تكون مستحقة، ولكنها تحقق العدالة دومًا. وكان دور الحكيمه هو الإعلان عن هذه العدالة. أمسكت بالسوار الذي ألقته به (إيجوين) وأغلقتها. «سأحرر كل امرأة هنا إن استطعت، وسأدمر كل واحدة من هؤلاء، ولكن بما أنني لا أستطيع...». وضعت السوار على نفس المشجب الذي يحمل السوار الآخر، ثم التفتت لتخاطب المراتين (السولدام). قالت لنفسها إنها لم تعودا (حاملتي لجام). «ربما إن ظللتما هادئتين فستتركان وحدكما هنا طويلًا بما يكفي لتمكنا من نزع الطوقين، (عجلة الزمن) تنسج بمشيئتها، وربما تكونان قد فعلتما من الخير ما يكفي لموازنة ما فعلتماه من شر، بما يكفي لأن يُسمح لكما بنزعهما. إن لم يكن الأمر كذلك فسوف يُعثر عليكما في نهاية المطاف، وأعتقد أن من سيجدكما سي طرح الكثير من الأسئلة قبل أن ينزع هذين الطوقين. أعتقد أنكما ربما ستختبران بنفسيكما الحياة التي منحتموها إلى النسوة الأخريات». ثم التفتت إلى الأخريات وأضافت: «هذه هي العدالة».

كانت (رينا) تحملق في رعب، وكتفا (سيتا) ترتجفان وهي تبكي واضعة وجهها بين يديها. لم تسمح (ناينيث) لقلبها بأن يلين - قالت لنفسها إن هذه هي العدالة - ثم اقتادت الأخريات خارج الغرفة. لم يُعرهن أحد اهتمامًا أثناء خروجهن كما حدث أثناء دخولهن، فكّرت (ناينيث) أن الفضل في هذا يعود إلى فستان (السولدام)، ولكنها لم تكن تطيق صبرًا لتغير ملابسها إلى شيء آخر، أي شيء آخر. إن أقدر أسمال ستكون أكثر نظافة على جلدها.

كانت الفتيات صامتات وهي يمشين خلفها، حتى خرجن إلى الشارع المرصوف بالحجر من جديد. لم تكن تعرف إن كان هذا بسبب ما فعلته أم بسبب الخوف من أن أحدًا قد يوقفهن. عبس وجهها؛ هل كن ليشعرن بتحسّن لو سمحت لهن بأن يستسلمن لغضبهن ويقطعن عنقي المراتين؟ قالت (إيجوين): «سنحتاج إلى خيول، أعرف الإسطبل الذي أخذوا إليه (بيلا)، ولكنني لا أعتقد أن باستطاعتنا الوصول إليها».

قالت لها (ناينيث): «سيكون علينا أن نترك (بيلا) هنا، سنغادر على متن سفينة».

تساءلت (مين): «أين الجميع؟». وفجأة أدركت (ناينيث) أن الشارع خاوٍ.

كان الحشد قد اختفى بلا أدنى أثر، وكل المتاجر والنوافذ على طول الشارع مغلقة بإحكام. ولكن في نهاية الشارع من ناحية الميناء ظهرت مجموعة من جنود (الشوننتشان)، مئة أو أكثر في صفوف منتظمة، يتقدمهم ضابط بدرعه المطلي. كان لا يزال نصف الشارع يفصلهم عن النسوة، ولكنهم يتقدمون بخطوات حازمة، وقد بدا (لناينيف) أن كل عين مصوبة عليها. هذا سخيف، لا يمكنني رؤية أعينهم داخل هذه الخوذات، وإن أطلق أحد تحذيراً فسيكون من ورائنا. ولكنها توقفت على أي حال.

تمتعت (مين): «هناك المزيد من ورائنا». صار بمقدور (ناينيف) أن تسمع خطوات الأقدام. «لا أعرف أيهم سيصل إلينا أولاً».

أخذت (ناينيف) نفساً عميقاً ثم قالت: «لا علاقة لنا بهم». نظرت وراء الجنود المقربين ناحية الميناء المليء بالسفن الشوننتشانية المكعبة، لم تتمكن من تمييز (سبراي). راحت تدعو أنها لا تزال هناك، وأنها جاهزة. «سنمر بجوارهم مباشرة». بحق (النور)، آمل أن نستطيع هذا.

تساءلت (إيلالين): «ماذا لو طلبوا منا الانضمام إليهم يا (ناينيف)؟ أنتِ ترتدين هذا الفستان. إن بدأوا في طرح الأسئلة...».

قالت (إيجوين) بوجوم: «أنا لن أعود، أفضل الموت على هذا. دعيني أريهم ما علموني إياه». فجأة رأت (ناينيف) أن هناك هالة ذهبية تحيط بها.

قالت: «لا!». ولكن بعد فوات الأوان.

مع دوي كالرعد انفجر الشارع تحت الصفوف الأولى من (الشوننتشان)، وتطاير الغبار وأحجار الرصف والرجال المدرعون جانباً، كذاذ من نافورة. وبينما (إيجوين) لا تزال تتوهج دارت على عقبيها لتحقق عبر الشارع، وتكرر دوي الرعد. هطل تراب كالطر فوق النسوة، تفرق جنود (الشوننتشان) الصاخبون بشكل منتظم للاحتماء في الأزقة وخلف الشرفات. في لحظات كانوا جميعاً قد اختفوا عن الأنظار، باستثناء هؤلاء الذين يركضون حول الحفرتين الكبيرتين اللتين تشوهان الشارع. بعضهم لا يزال يتحرك في ضعف، وقد ملأت التأوهات الشارع.

لوحث (ناينيف) بذراعيها وهي تحاول أن تنظر في كلا الاتجاهين في وقت واحد. «أيتها الحمقاء! نحن نحاول ألا نجذب الانتباه إلينا!». لم يعد هناك أمل في هذا الآن. كانت تأمل فقط أن يتمكن من شق طريقهن حول الجنود إلى الميناء عبر الأزقة. لا شك أن (الداماني) قد عرفن بما حدث في هذه اللحظة. من المستحيل أن يغفلن عن هذا.

قالت (إيجوين) بشراسة: «لن أعود إلى ذلك الطوق، لن أعود!».

صاحت (مين): «انتبهن!».

مع صوت أنين حاد انطلقت كرة نارية بحجم حصان من فوق الأسطح في قوس قبل أن تبدأ في السقوط ناحيتهم مباشرة.

صاحت (ناينيث): «اركضن!». ثم ألقت بنفسها نحو أقرب زقاق بين متجرين مغلقين. سقطت بشكل حرج على بطنها فتأوهت وهي تشهق بينما كرة النار ترتطم بالأرض. اجتاحتها الرياح الساخنة في الممر الضيق. راحت تعب الهواء عباً وهي تتدحرج على ظهرها ثم راحت تحديق إلى الشارع. كانت أحجار الرصف حيث كن يقفن قد تكسرت وتشققت وتفحمت في دائرة بعرض عشر خطوات. كانت (إيلين) رابضة داخل زقاق على الجانب الآخر من الشارع، ولم يكن هناك أدنى أثر على وجود (مين) أو (إيجوين). وضعت (ناينيث) يدها على فمها في رعب. بدا أن (إيلين) قد فهمت ما تفكر فيه. هزت ولية العهد رأسها بعنف ثم أشارت عبر الشارع. لقد ذهبتا في هذا الاتجاه.

تنفست (ناينيث) الصعداء ثم تحولت على الفور إلى زججرة. فناة حمقاء! كان بمقدورنا أن نفلت منهم! ولكن لم يكن هناك وقت للتوبيخ. هرعت إلى الناصية واختلست النظر بحذر من حول حافة المبنى. كان هناك كرة نارية بحجم رأس تندفع عبر الشارع ناحيتها. قفزت إلى الورا قبل أن تنفجر عند الناصية حيث كان رأسها، وتناثرت عليها شظايا الحجارة. كان الغضب قد غمرها (بالقوة الواحدة) قبل أن تُدرك هذا. ومض البرق في السماء ليضرب في مكان ما عبر الشارع بصوت تحطم بالقرب من مصدر الكرة النارية. شقت صاعقة أخرى السماء، ثم ركضت عبر الزقاق. من ورائها طعنت الصاعقة مدخل الزقاق. إن لم يكن (دومون) في انتظارنا بتلك السفينة فسوف... أتمنى بحق (النور) أن نصل إلى هناك بأمان.

انتفض (بايل دومون) منتصباً بينما صاعقة تشق السماء الرمادية لتضرب في مكان ما في البلدة، ثم صاعقة أخرى. ليس هناك ما يكفي من السحب من أجل الصواعق! تردد دوي هائل في البلدة ثم اصطدمت كرة من النار بأحد الأسطح فوق أرصفة الميناء مباشرة لتتناثر شظايا الأرذواز في دوائر واسعة. كانت الأرصفة قد خلت من الناس قبل بعض الوقت باستثناء عدد قليل من (الشوننتشان). راحوا في هذه اللحظة يركضون بجنون وهم يستلون سيوفهم ويصيحون. ظهر رجل من أحد المستودعات وإلى جانبه (جرولم)، يركض لمواكبة قفزات الوحش الطويلة بينما يختفيان في أحد الشوارع التي تؤدي بعيداً عن الماء.

قفز أحد أفراد طاقم (دومون) لالتقاط فأس ورفعها عالياً فوق حبل الرسو. في خطوتين واسعتين أمسك (دومون) الفأس بيد وحلق الرجل باليد الأخرى. «(سبراي) ستبقى حتى أقول أبجروا يا (آيدوين كول)!».

صاح (يارين): «لقد أصيبوا بالجنون يا قبطان!». تردد دوي انفجار عبر الميناء مما جعل طيور النورس تصرخ وهي تحلق في دوائر، ثم ومض البرق مرة أخرى ليضرب الأرض داخل (فالمي). «(الداماني) سيقتلنا

جميعاً! دعنا نذهب بينما هن مشغولات بقتل بعضهن بعضاً. لن يلاحظنا حتى نرحل!». قال (دومون): «لقد قطعت وعداً». انتزع الفأس من يد (كول) وألقى بها على سطح السفينة فأصدرت قعقة. «لقد قطعت وعداً». قال لنفسه: أسرع يا امرأة، أيتها (الآنسة سيدي) أو أيتها من تكونين. فلتسرع!

نظر (جيو فرام بورنهالد) إلى البرق الذي يومض فوق (فالبي) ثم تجاهله. كان هناك مخلوق ضخم طائر - أحد وحوش (الشوننتشان) بلا شك - يخلق في دوائر واسعة للهرب من الصواعق. إن كانت هناك عاصفة فستعيق (الشوننتشان) بقدر ما ستعيقه. لا تزال التلال الخالية من الأشجار والتي يعلو بعضها أجمات متفرقة تخفي البلدة عنه وتخفيه عنها.

كان رجاله الألف متشرين على كلا جانبيه؛ صف طويل من الركبان يتماوج على طول الأغوار بين التلال. كانت عبااتهم البيضاء تخفق في الرياح وكذلك الراية إلى جانب (بورنهالد). الشمس الذهبية ذات الأشعة المتموجة التي تمثل (أبناء النور).

قال آمراً: «اذهب الآن يا (بيار)». تردد الرجل ذو الوجه النحيل، فقال (بورنهالد) بحدة: «قلت اذهب أيها (الابن بيار)!».

وضع (بيار) يده على قلبه وانحنى قائلاً: «كما تأمر يا سيدي القائد». ثم استدار بحصانه مبتعداً وكل جزء منه يصرخ بالرفض.

أبعد (بورنهالد) (بيار) عن عقله، لقد فعل ما يمكنه فعله. رفع صوته قائلاً: «سيتقدم الفيلق مشياً!». مع صرير السروج تقدم الصف الطويل من الرجال ذوي العباات البيضاء ببطء ناحية (فالبي).

اختلس (راند) النظر من حول الناصية إلى (الشوننتشان) المقترين ثم تراجع إلى الزقاق الضيق ما بين الإسطبلين متجهماً. سيصلون قريباً. كان هناك دم متجلط على وجنته، كانت الجراح التي أصابه بها (توراك) تحرقه، ولكن لا يوجد ما يمكن فعله حيالها الآن. ومض البرق في السماء مرة أخرى، ف شعر بالأرض ترتجف إثر ارتطامه بها. ما الذي يحدث بحق (النور)؟

قال (إنجتار): «هل اقتربوا؟ يجب إنقاذ (بوق فالير) يا (راند)». رغم (الشوننتشان)، رغم البرق والانفجارات الغريبة في البلدة بدا منشغلاً بأفكاره الخاصة. كان (مات) و(بيرين) و(هورين) على الجانب الآخر من الزقاق، يراقبون دورية شوننتشانية أخرى. إن المكان الذي تركوا فيه خيولهم قريب، فقط لو استطاعوا الوصول إليه.

تمتم (راند): «إنها في ورطة». (إيجوين). كان هناك شعور غريب في رأسه، وكأن أجزاء من حياته في خطر. (إيجوين) قطعة منها، خيط من الحبل الذي يشكل حياته. ولكن كان هناك خيوط أخرى، وكان قادراً على

الإحساس بها معرضة للخطر. هنالك في (فالمي). وإذا دُمِّر أي من هذه الخيوط فإن حياته لن تكتمل، كما يُفترض بها أن تكتمل. لم يفهم الأمر، ولكن الشعور كان أكيدًا ويقينًا.

قال (إنجتار): «يمكن لرجل واحد أن يصد خمسين هنا». كان الإسطبلان قريبين، وبالكاد توجد مساحة بينهما كافية لأن يقفا جنبًا إلى جنب. «رجل واحد يصد خمسين في ممر ضيق. ليست طريقة سيئة للموت. هناك أغاني قد أنشدت حول ما هو أقل من هذا».

قال (راند): «آمل أنه لا داعي لهذا». انفجر سقف في البلدة. كيف سأعود إلى هنا؟ يجب عليّ أن أصل إليها. أن أصل إليهم؟ هز رأسه ثم نظر من حول الناصية مرة أخرى. كان (الشوننتشان) يقتربون، لا يزالون قادمين.

قال (إنجتار) بصوت خافت كأنها يكلم نفسه: «لم أكن أعرف ما الذي سيفعله». استل سيفه واختبر حافته بإبهامه. «رجل ضئيل شاحب ما كنت لتلاحظه حتى وأنت تنظر إليه. قيل لي خذه إلى داخل (فال دارا)، إلى داخل الحصن. لم أكن راغبًا في هذا، ولكن كان عليّ أن أفعل هذا. هل تفهمني؟ كان عليّ أن أفعل هذا. لم أكن أعرف ما الذي ينوي فعله حتى أطلق ذلك السهم. ما زلت لا أعرف إن كان السهم موجهاً ناحية (الأميرلين) أم ناحيتك».

أحس (راند) بقشعريرة باردة، حلق إلى (إنجتار) وقال هامسًا: «ما الذي تتحدث عنه؟». راح (إنجتار) يتفحص نصله ولم يبدُ عليه أنه قد سمعه. «لقد اجتاحت البشرية في كل مكان. تداعت الأمم وتلاشت، أصدقاء الظلام في كل مكان، ولا يبدو أن أيًا من الجنوبيين يلاحظون أو يبالون. نحن نقاتل من أجل الحفاظ على الحدود وإبقائهم آمنين في بيوتهم، وكل عام - رغم كل ما نفعله - يتقدم (البلاء). وهؤلاء الجنوبيون يعتقدون أن (الترولوكيين) مجرد خرافة، وأن (الميردرال) حكاية من حكايات صانعي البهجة». عقد حاجبيه وهز رأسه. «لقد بدا أن هذا هو السبيل الوحيد، ستتدمر بلا سبب، دفاعًا عن أشخاص لا يعرفون حتى أو يبالون. لقد بدا الأمر منطقيًا، لم يجب أن نُدَمِّر من أجلهم بينما يمكننا أن نصنع سلامنا بأنفسنا؟ لقد فكَّرت أن (الظل) أفضل من الدمار والنسيان بلا طائل، مثل (كارالين) أو (هاردان) أو... لقد بدا منطقيًا للغاية حينها».

جذب (راند) (إنجتار) من تلايبه وقال: «إن حديثك بلا معنى». من المستحيل أنه يقصد ما يقوله، هذا مستحيل. «قل ما تريده بشكل واضح، أيًا كان ما تعنيه. أنت تتحدث بجنون!».

للمرة الأولى ينظر (إنجتار) إلى (راند)، كانت عيناه تلمعان بدموع لم تسَل. «أنت رجل أفضل مني، سواء كنت راعي غنم أو لوردًا فأنت رجل أفضل. تقول النبوءة على لسان (البوق)؛ من ينفخ فيّ لن يفكر في المجد بل في الخلاص فحسب. لم أكن أفكر إلا في الخلاص، كنت سأنفخ في (البوق) وأقود أبطال العصور ضد (شابول غول). بالتأكيد كان ذلك كافيًا لإنقاذي، لا يمكن لأري رجل أن يمشي طويلًا في (الظل) فلا يستطيع العودة إلى (النور). هذا ما يقولونه. بالتأكيد سيكون هذا كافيًا لمحو دنس ما كنت عليه وما فعلته».

«أوه، بحق (النور) يا (إنجتار)». أرخى (راند) قبضته عن الرجل الآخر واتكأ بظهره إلى جدار الإسطبل. «أعتقد... أن الرغبة في ذلك كافية، أعتقد أن كل ما عليك فعله هو أن تتوقف عن كونك... واحدًا منهم». جفل (إنجتار) وكأن (راند) قد قالها بصوت عالٍ. صديق للظلام.

«عندما جلبتنا (ثيرين) إلى هنا يا (راند) باستخدام (حجر البوابة) عشت... حيوات أخرى. في بعض منها كنت أمسك (البوق) ولكنني لم أنفخ فيه، لقد حاولت الهرب مما قد صرت عليه، ولكنني لم أهرب. دومًا ما يكون هناك شيء آخر مطلوب مني، ودومًا ما يكون أسوأ من السابق، حتى صرت... أنت كنت مستعدًا للتخلي عنه لإنقاذ صديقة. أنت لا تفكر في المجد. أوه، فلتساعدني أيها (النور)».

لم يعرف (راند) ماذا يقول، لقد بدا الأمر كما لو أن (إيجوين) قد أخبرته أنها قد قتلت أطفالًا. كان الأمر فظيعةً للغاية بحيث لا يمكن تصديقه، فظيعةً للغاية على أن يعترف به أي شخص ما لم يكن حقيقياً. فظيعةً للغاية.

بعد مرور بعض الوقت تحدث (إنجتار) مرة أخرى بحزم: «يجب أن يكون هناك ثمن يا (راند)، هناك دومًا ثمن، ربما يمكنني أن أدفعه هنا». «(إنجتار)، أنا...».

«من حق كل رجل يا (راند) أن يختار متى (يغمد السيف)، حتى رجل مثلي». قبل أن يتمكن (راند) من قول أي شيء جاء (هورين) راكضًا عبر الزقاق، قال في عجلة: «لقد انحرفت الدورية جانبًا عبر البلدة، يبدو أنهم يتجمعون هناك، لقد ذهب (مات) و(بيرين)». ألقى نظرة سريعة على الشارع ثم قال: «من الأفضل أن نفعل الشيء ذاته يا لورد (راند)، ولورد (إنجتار). هؤلاء (الشوننتشان) ذوو الرؤوس الحجرية كادوا أن يصلوا إلى هنا».

قال (إنجتار): «اذهب يا (راند)». انعطف ليوواجه الشارع، ولم ينظر إلى (راند) أو (هورين) مرة أخرى. «خذ (البوق) إلى حيث ينتمي، كنت أعرف دومًا أنه كان على (الأميرلين) أن تمنحك المسؤولية، ولكن كل ما أردته هو أن أبقى (شايانار) كاملة، أن أحميها من الاجتياح والنسيان».

«أعرف يا (إنجتار)». أخذ (راند) نفسًا عميقًا. «فليشرق عليك (النور) يا لورد (إنجتار) من (آل شينوا)، فلتحمك راحة يد (الخالق)». ثم لمس كتف (إنجتار) وقال: «إن الاحتضان الأخير للأمم يرحب بك في الديار». شهق (هورين).

قال (إنجتار) بصوت خافت: «شكرًا لك». بدا أن التوتر قد تلاشى منه، وللمرة الأولى منذ ليلة الغارة (الترولوجية) على (فال دارا) وقف كما رآه (راند) لأول مرة؛ واثقًا ومسترخيًا وراضيًا.

التفت (راند) ليجد (هورين) يحدق إليه، يحدق إليهما. «لقد حان الوقت لكي نذهب». «ولكن اللورد (إنجتار)».

«... يفعل ما يجب عليه فعله». قالها (راند) بحدة. «ولكن نحن سنذهب». أوماً (هورين) برأسه وهرول (راند) وراءه. كان (راند) قادرًا على سماع صوت خطوات (الشوننتشان) الثابتة. لم ينظر وراءه.

الفصل السابع والأربعون

القبر لن يكون عائقاً أمام ندائي

كان (مات) و(بيرين) على صهوة حصانيهما بحلول الوقت الذي وصل فيه (راند) و(هورين) إليهما. بعيداً من ورائه سمع (راند) صوت (إنجتار) يتعالى. «بحق (النور)، و(آل شينوا)!». تعالى صوت صليل الفولاذ مع هدير الأصوات الأخرى.

صاح (مات): «أين (إنجتار)؟ ما الذي يحدث؟». كان قد ربط (بوق فالير) إلى مقدمة سرجه العالية وكأنه مجرد بوق عادي، ولكن الخنجر كان في حزامه، والمقبض ذو الياقوتة محاطاً بشكل وقائي بيده الشاحبة التي يبدو وكأنها مصنوعة من عظام وأوتار فحسب.

قال (راند) بقسوة بينما يقفز على صهوة (ريد): «إنه على وشك الموت».

قال (بيرين): «إذن يجب علينا أن نساعد، يمكن (لمات) أن يأخذ (البوق) والخنجر إلى...».

قال (راند): «إنه يفعل هذا لكي يتمكن جميعاً من الفرار». ولذلك السبب أيضاً. «سنأخذ جميعاً (البوق) إلى (فيرين)، وبعدها يمكننا مساعدتها في أخذه إلى المكان الذي تقول إنه ينتمي إليه».

سأله (بيرين): «ما الذي تعنيه؟». غرس (راند) كاحليه في جانبي (ريد) فقفز بعيداً ناحية التلال وراء البلدة.

«بحق (النور)، و(آل شينوا)!». تعالت صيحة (إنجتار) من ورائهم، تبدو ظافرة، وأجابها البرق عبر السماء.

ضرب (راند) (ريد) ببلجامه، ثم انحنى على عنق الحصان بينما يندفع هارباً وعرفه وذيله يخفقان في الهواء. تمنى لو أنه لم يشعر وكأنه يهرب من صرخة (إنجتار)، يهرب مما كان يفترض به أن يفعله. (إنجتار)، صديق للظلام. أنا لا أبالي. إنه لا يزال صديقي. لا يمكن لركض الحصان أن يأخذه بعيداً عن أفكاره الخاصة. الموت أخف وزناً من الريشة، والواجب أثقل من جبل. الكثير من الواجبات؛ (إيجوين)، (البوق)، (فاين)، (مات) وخنجره. لم لا يمكن أن يكون هناك واحد فقط في المرة؟ يجب عليّ أن أعتني بهم جميعاً. أوه، بحق (النور)، (إيجوين).

جذب لجام (ريد) فجأة وانزلق حتى توقف جالساً على مؤخرته. كانوا في أجمة صغيرة من الأشجار العارية من الأوراق فوق قمة أحد التلال المطلة على (فالير). كان الآخرون يركضون من ورائه.

سأله (بيرين): «ما الذي تعنيه؟ نحن يمكننا أن نساعد (فيرين) في أخذ (البوق) إلى حيث يُفترض به أن يذهب؟ أين ستذهب أنت؟».

قال (مات): «ربما قد أصيب بالجنون بالفعل، لن يرغب في البقاء معنا إن كان قد أصيب بالجنون، أليس كذلك يا (راند)؟».

قال (راند): «أنتم الثلاثة ستأخذون (البوق) إلى (فيرين)». (إيجوين). الكثير من الخيوط، في خطر شديد. الكثير من الواجبات. «أنتم لستم بحاجة إليّ».

تحسس (مات) مقبض الخنجر وقال: «لا بأس في هذا، ولكن ماذا عنك؟ بحق (النور)، لا يُعقل أنك قد أصبت بالجنون بعد. هذا مستحيل!». كان (هورين) يحدق إليهم فاغراً فمه، دون أن يفهم نصف ما يقال. قال (راند): «أنا سأعود، ما كان يجب أن أغادر». بطريقة ما لم يبدُ هذا صحيحاً تماماً في أذنيه، لم يبدُ صحيحاً داخل رأسه. «يجب أن أعود الآن». بدا هذا أفضل. «لا تنسوا أن (إيجوين) لا تزال هناك، مع أحد تلك الأطواق حول رقبتها».

سأله (مات): «هل أنت متيقن؟ أنا لم أرها. آاه! إن كنت تقول إنها هناك إذن فهي هناك، سنأخذ جميعاً (البوق) إلى (فيرين)، وبعدها سنعود جميعاً من أجلها. أنت لا تعتقد أنني سأتركها هناك، أليس كذلك؟». هز (راند) رأسه. خيوط. واجبات. شعر وكأنه على وشك أن ينفجر كلعبة نارية. بحق (النور)، ما الذي يحدث لي؟ «يجب أن تأخذ (فيرين) هذا الخنجر إلى (تار قالون) يا (مات)، لكي تتحرر أخيراً منه. ليس لديك وقت لتضيقه».

«إنقاذ (إيجوين) ليس إضاعة للوقت!». ولكن مع ذلك شدد (مات) قبضته على الخنجر حتى ارتجفت يده.

قال (بيرين): «لن يعود أحد منا، ليس بعد. انظروا». كان يشير إلى الورا ناحية (فالمي). كانت ساحات العربات ومرابض الخيول تكتظ بالجنود (الشوننتشان)، الآلاف منهم، صفّاً تلو الآخر. مع قوات من الفرسان يمتطون وحوشاً ذات حراشف، بالإضافة إلى الرجال المدرعين على صهوات الخيول، وهناك شارات ملونة تميز الضباط. كان (الجرولم) متناثرين بين صفوف الجنود ومخلوقات أخرى غريبة تشبه طيوراً وحشية وعظايا وأشياء عديدة لا تشبه شيئاً يعرفه، مع جلود رمادية مجمعة وأنياب ضخمة. على مسافات متباعدة بين الصفوف تقف أعداد كبيرة من (السولدام) و(الداماني). تساءل (راند) إن كانت (إيجوين) واحدة منهن. في البلدة وراء الجنود لا يزال ينفجر سقف بين الحين والآخر، ولا يزال البرق يشق السماء. كان هناك وحشان طائران بأجنحة جلدية يصل طولها إلى عشرين باعاً، يحلقان في السماء بعيداً عن المكان الذي تتراقص فيه السنة البرق.

قال (مات) في عدم تصديق: «كل هذا من أجلنا؟ من يظنون أننا نكون؟». خطرت إجابة على ذهن (راند)، ولكنه نحاها جانباً قبل أن تجد فرصة لأن تتشكل تماماً. قال (هورين): «نحن أيضاً لن نذهب في الاتجاه الآخر يا لورد (راند). أصحاب العباءات البيضاء، المئات منهم». دار (راند) بحصانه لينظر إلى حيث يشير المتشمم، كان هناك صف طويل من أصحاب العباءات البيضاء يتقدم ببطء نحوهم عبر التلال.

تتم (هورين): «إن وقع بصر هؤلاء القوم على (بوق فالير) يا لورد (راند) فلن نستطيع أن نأخذه قريباً من (آيز سيداي)، بل لن نستطيع نحن أنفسنا أن نقرب منه مرة أخرى».

قال (مات) في أمل: «ربما لهذا يجتمع (الشوننتشان)، بسبب أصحاب العباءات البيضاء، ربما هذا شيء ليس له علاقة بنا على الإطلاق».

قال (بيرين) بجمود: «سواء كان له علاقة بنا أم لا فإن هناك معركة ستدور رحاها هنا بعد دقائق».

قال (هورين): «يمكن لأي الجانبين أن يقتلنا، حتى لو لم يروا (البوق). إن رأوه...».

لم يستطع (راند) أن يفكر بشأن أصحاب العباءات البيضاء، أو (الشوننتشان). يجب عليّ أن أعود، يجب عليّ هذا. أدرك أنه يحدق إلى (بوق فالير)، جميعهم يحدقون إليه. كان البوق الذهبي المتلوي المتدلي من مقدمة سرج (مات) هو نقطة تركيز أعينهم جميعاً.

لعق (مات) شفثيه وقال: «يجب أن يكون موجوداً في (المعركة الأخيرة)، ولكن لا شيء يشي بأنه لا يمكن استخدامه قبل ذلك الحين». جذب (البوق) ليحرره من أربطته، ثم نظر إليهم في توتر. «لا شيء يشي بأنه لا يمكن استخدامه».

لم يقل أحد آخر شيئاً، لم يعتقد (راند) أنه يستطيع التحدث. كانت أفكاره ملحة للغاية فلا تترك مجالاً للحديث. يجب أن أعود، يجب أن أعود. كلما أطلال النظر إلى (البوق) صارت أفكاره أكثر إلحاحاً. يجب عليّ هذا، يجب عليّ هذا.

ارتجفت يد (مات) وهو يرفع (بوق فالير) إلى شفثيه.

كانت نعمة واضحة، ذهبية مثلما البوق ذهبي. بدت الأشجار المحيطة بهم وكأنها تردد صداها، والأرض تحت أقدامهم، والسماء فوق رؤوسهم. ذلك الصوت الطويل قد غلّف كل شيء. بدأ الضباب يتصاعد من اللامكان، أولاً في خيوط رفيعة معلقة في الهواء، ثم موجات أكثر سمكاً وأكثر سمكاً، حتى غطت الأرض كالسحاب.

تيس (جيو فرام بورنهالد) في سرجه عندما ملأ صوت الهواء. صوت عذب للغاية حتى إنه أراد أن يضحك، وحزيناً للغاية حتى إنه أراد أن يبكي. لقد بدا أنه يأتي من كل مكان في وقت واحد. بدأ ضباب في الارتفاع وراح يتزايد بينما يراقب.

(الشوننتشان)، إنهم يحاولون فعل شيء ما، إنهم يعرفون أننا هنا.

كان هذا مبكراً للغاية، لا تزال المدينة بعيدة للغاية، ولكنه استل سيفه. فتعالت قعقة الأغمار على طول نصف فيلقه، فنادى: «سيتقدم الفيلق عدواً».

صار الضباب يغطي كل شيء، ولكنه يعرف أن (فالمر) لا تزال أمامه. ازدادت سرعة الخيول، لا يمكنه أن يراها ولكن يمكنه أن يسمعها.

فجأة انفجرت الأرض أمامه بدوي هائل لتمطره بالغبار والحصى. ومن بين الضباب الأبيض الذي يعمي الأبصار عن يمينه سمع دويًا آخر، وصرخ الرجال والخيول. ثم من على يساره مرة أخرى، وأخرى، وأخرى. رعد وصرخات يخفيها الضباب.

«فليهجم الفيلق!». قفز حصانه إلى الأمام وهو يكره بكاحليه، وسمع هدير الفيلق وهم يتبعونه، أو من بقي على قيد الحياة منهم.

رعد وصرخات مغلقة بضباب أبيض.

كانت آخر أفكاره هي الأسف، لن يقدر (بيار) على أن يخبر ابنه (داين) كيف مات.

لم يعد (راند) قادرًا على رؤية الأشجار من حوله. خفض (مات) (البوق) وعيناه متسعان في رهبة، ولكن صوته لا يزال يرن في أذني (راند). أخفى الضباب كل شيء في أمواج متدحرجة بيضاء كأجود أنواع الصوف المبيّض، ومع ذلك كان (راند) قادرًا على الرؤية. كان قادرًا على الرؤية ولكن الأمر كان جنونيًا، (فالبي) تطفو في مكان ما من تحته، وحدودها المواجهة لليابسة مكتظة بصفوف (الشوننتشان)، والبرق يمزق شوارعها. (فالبي) معلقة فوق رأسه، وأصحاب العباءات البيضاء يهجمون بينما الأرض تنشق في نيران من تحت حوافر خيولهم. كان الرجال يركضون على أسطح السفن الطويلة المربعة في الميناء، وعلى إحدى السفن - سفينة مألوفة - ينتظر رجل في خوف، بل كان قادرًا على التعرف على وجه القبطان؛ (بايل دومون). أمسك رأسه بكلتا يديه. كانت الأشجار مخفية ولكنه لا يزال قادرًا على رؤية كل واحد من رفاقه بوضوح. كان (هورين) قلقًا و(مات) يتمتم في خوف و(بيرين) يبدو وكأنه يعرف أن هذا كان من المفترض أن يحدث. كان الضباب يحيط بهم من كل جانب.

شهق (هورين). «لورد (راند)!». لم يكن هناك حاجة لأن يشير.

عبر الضباب المتصاعد كما لو أنه جانب جبل كان هناك أشخاص على صهوة خيول. في البداية كان الضباب يخفي هيئتهم، ولكنهم راحوا يقتربون ببطء، ثم حان دور (راند) لأن يشهق. إنه يعرفهم. رجال - ليسوا جميعًا يرتدون الدروع - ونساء. كانت ملابسهم وأسلحتهم من كل عصر، ولكنه يعرفهم جميعًا.

(روجوش عين العقاب)، رجل بمظهر أبوي له شعر أبيض، وعينان حادتان للغاية بما يكفي لجعل اسمه تلميحًا. (جايدال كاين)، رجل داكن البشرة يبرز مقبض سيفه من فوق كتفيه العريضتين. (بيرجيت ذات الشعر الذهبي)، بقوسها الفضي اللامع، وجعبة مليئة بأسهم فضية. كان يعرف وجوههم وأسماءهم، ولكنه سمع مئة اسم عندما نظر إلى كل وجه، وبعضها مختلف للغاية حتى إنه لم يتعرف عليها باعتبارها أسماء على الإطلاق، رغم معرفته أنها كذلك. (مايكل) بدلًا من (ميكيل)، و(باتريك) بدلًا من (بايدرج)، و(أوسكار) بدلًا من (أوتارين).

كان يعرف الرجل الذي يتقدمهم، كان طويل القامة، وأنفه معقوف، بعينيه السوداوين العميقتين، وسيفه العظيم (العدالة) إلى جانبه. (أرتور هاوكوينج).

فغر (مات) فمه محدقًا إليهم، وهم يجذبون ألجمة خيولهم ليقفوا أمامه وأمام الآخرين. «هل هذا... هل هذا كلكم؟». كانوا أكثر بقليل من مئة كما رأى (راند)، وأدرك أنه كان يعرف بطريقة ما أنهم سيكونون كذلك. كان فم (هورين) مفتوحًا وعيناه جاحظتان في رأسه.

«يتطلب الأمر أكثر من مجرد الشجاعة لربط رجل (بالبوق)». كان صوت (أرتور هاوكوينج) عميقًا وثقيلًا، صوت رجل معتاد على إصدار الأوامر.

قالت (بيرجيت) بحدة: «أو امرأة».

وافقها (هاوكوينج) قائلاً: «أو امرأة». ثم أضاف: «قليلون فقط هم الذين يرتبطون (بالعجلة)، ويُسَجَّون مرارًا وتكرارًا لتحقيق مشيئة (العجلة) في (نمط العصور). يمكنك أن تخبرهم يا (ليوز ثيرين) لو أنك تتذكر عندما كنتَ حيًّا بشحمك ولحمك». كان ينظر إلى (راند).

هز (راند) رأسه، لم يرغب في أن يضيع وقتًا في الإنكار. «لقد جاء غزاة، رجال يطلقون على أنفسهم (الشوننتشان)، ويستخدمون (الآيز سيدي) المكبلات في المعارك. يجب إجبارهم على أن يعودوا عبر البحر. وهناك فتاة، اسمها (إيجوين ألفير)، مبتدئة من (البرج الأبيض)، إنها أسيرة لدى (الشوننتشان)، يجب أن تساعدني في تحريرها».

لدهشته ضحك العديد من أفراد المجموعة الصغيرة وراء (أرتور هاوكوينج)، ثم قالت (بيرجيت) ضاحكة وهي تختبر وتر قوسها: «أنت دومًا ما تختار النساء اللاتي يسببن لك المتاعب يا (ليوز ثيرين)». كان هناك ودية في صوتها، كما قد يكون بين صديقين عزيزين.

قال بحدة: «اسمي (راند ألثور). يجب أن تسرعني لا يوجد الكثير من الوقت».

قالت (بيرجيت) مبتسمة: «الوقت؟ لدينا كل الوقت». أنزل (جايدال كاين) لجام حصانه وهو يوجهه بركبتيه، ثم استل سيفًا بكلتا يديه. وعلى طول الفرقة الصغيرة من الأبطال كان هناك استلال للسيوف وخلع للأقواس ورفع للرماح والفؤوس.

كان سيف (العدالة) يلمع مثل المرآة في قبضة (أرتور هاوكوينج) المغطاة بقفاز. «لقد حاربت إلى جانبك مرات لا تحصى يا (ليوز ثيرين)، وواجهتك مرات أخرى عديدة. (العجلة) تنسجنا من أجل أغراضها وليس أغراضنا، لخدمة (النمط). أنا أعرفك إن كنت لا تعرف نفسك. سنطرد هؤلاء الغزاة من أجلك». راح حصانه الحربي يتراقص بينما يتلفت حوله عاقدًا حاجبيه. «شيء ما خاطئ هنا، شيء ما يقيدني». فجأة التفت بنظرته الحادة إلى (راند). «أنت هنا. هل معك الراية؟». سرت تتممة بين أولئك الذين خلفه.

«أجل». فك (راند) أحزمة أكياس سرجه وأخرج راية (التنين). لقد ملأت يديه وتدلّت تقريبًا حتى رُكَب حصانه. تعالت التمتمة بين الأبطال.

قال (أرتور هاوكوينج): «(النمط) ينسج نفسه حول أعناقنا مثل الأرسان. أنت هنا. الراية هنا. ونسج هذه اللحظة محدد مسبقاً. لقد جئنا تلبية لنداء (البوق)، ولكننا يجب أن نتبع الراية، و(التنين)». أصدر (هورين) صوتاً خافتاً كما لو أن حلقه قد اختنق.

قال (مات) بأنفاس مبهورة: «بحق (النور)، إن الأمر حقيقي، بحق (النور)!». تردد (بيرين) للحظة قبل أن يترجل عن حصانه ويخطو عبر الضباب. تعالى صوت تقطيع، وعندما عاد كان يحمل شتلة قد جُردت من أغصانها. قال بجديّة: «أعطني إياها يا (راند). إن كانوا يحتاجون إليها... أعطني إياها».

في عجالة ساعده (راند) في ربط الراية بالسارية، وعندما صعد (بيرين) مرة أخرى على صهوة حصانه كانت السارية في يده والراية تخفق في تيار من الهواء، حتى بدا أن (التنين) الأفعواني يتحرك، ينبض بالحياة. لم تلمس الرياح الضباب الكثيف، بل الراية فحسب.

قال (راند) مخاطباً (هورين): «فلتبقَ هنا. عندما ينتهي الأمر... ستكون بأمان هنا». استل (هورين) سيفه القصير ممسكاً به كما لو أنه قد يكون مفيداً بالفعل من على صهوة حصانه. «أرجو المَعذرة يا لورد (راند)، ولكنني لا أعتقد هذا. لا أكاد أفهم شيئاً مما سمعته... أو مما أراه...». خفت صوته إلى تمتمة قبل أن يعلو مرة أخرى. «ولكنني قد قطعت هذا الشوط، وأعتقد أنني سأكمل الطريق».

ربت (أرتور هاوكوينج) على كتف المتشمم وقال: «أحياناً تضيف (العجلة) إلينا صديقاً، ربما ستجد نفسك بيننا يوماً ما». رفع (هورين) رأسه كما لو أنه قد مُنح تاجاً. انحنى (هاوكوينج) بشكل رسمي من سرجه إلى (راند) وقال: «بعد إذنك يا... لورد (راند). يا نافخ (البوق)، هلا عزفت لنا موسيقى على (البوق)؟ من الملائم أن نتقدمنا موسيقى (بوق فالير) إلى المعركة. يا حامل الراية، هلا تقدمت؟».

نفخ (مات) في (البوق) مرة أخرى، طويلاً وعالياً، فردد الضباب صداه، ثم وكز (بيرين) حصانه بكاحليه ليتقدم إلى الأمام. استل (راند) سيف علامة البلشون وتقدم بينهما.

لم يكن قادراً على رؤية أي شيء سوى الضباب الأبيض الكثيف، ولكن بطريقة ما كان لا يزال قادراً على رؤية ما كان يراه من قبل. شخص ما يستخدم (القوة) في الشوارع، والميناء، وجيش (الشوننتشان)، وأصحاب العباءات البيضاء المحتضرين، جميعهم من تحته، جميعهم معلقون من فوقه، تماماً كما كان الأمر من قبل. لقد بدا وكأنه لم يمر وقت على الإطلاق منذ أن نُفخ في (البوق) لأول مرة، وكأن الوقت قد توقف بينما الأبطال يجيبون النداء، والآن استأنف العد.

الصيحات الجارحة التي أطلقها (مات) من (البوق) تردد صداها في الضباب، فتعالى قرع حوافر الخيول بينما تزايد سرعتها. اندفع (راند) عبر الضباب متسائلاً عما إن كان يعرف إلى أين يتجه. تكاثفت السحب التي تخفي الطرفين البعيدين من صف الأبطال المهرولين على جانبيه، لتحجب المزيد والمزيد، حتى لم يعد بوسعه أن يرى بوضوح سوى (مات) و(بيرين) و(هورين). (هورين) المنحني في سرجه بعينين متسعيتين،

وهو يحث حصانه على الإسراع. (مات) الذي ينفخ في (البوق) ويضحك بين الحين والآخر. (بيرين) بعينه الصفراوين وراية (التنين) ترفرف من ورائه. ثم اختفوا جميعًا وصار (راند) بمفرده كما يبدو.

بطريقة ما لا كان لا يزال بمقدوره رؤيتهم، ولكنها نفس الطريقة التي يرى بها (فالمي) و(الشوننتشان). لم يكن بوسعه أن يحدد أين هم، أو أين هو. شدد قبضته على سيفه وهو يحدق عبر الضباب أمامه. اندفع وحيدًا عبر الضباب، وبطريقة ما عرف أن هذا ما كان يُفترض أن يحدث. فجأة صار (بعلزمون) أمامه في الضباب وهو يلوح بذراعيه.

رفع (ريد) قائمته الأماميتين بجموح ملقيًا (راند) من على سرجه. تشبث (راند) بسيفه وهو يخلق. لم يكن الهبوط صعبًا، في الواقع لقد فكّر وهو يشعر بالدهشة أن الأمر يشبه إلى حد كبير الهبوط على... لا شيء على الإطلاق. في لحظة كان يُبحر عبر الضباب، وفي اللحظة التالية لم يكن كذلك.

عندما اعتدل واقفًا على قدميه كان حصانه قد اختفى، ولكن (بعلزمون) لا يزال هناك، يخطو ناحيته وهو يمسك في يده بعضا طويلة سوداء متفحمة. كانا وحدهما، لم يكن سواهما والضباب المتماوج. من وراء (بعلزمون) كان هناك ظل. لم يكن الضباب أسود ورائه، ولكن بدا أن هذا السواد يطرد الضباب الأبيض.

كان (راند) مدرّكًا لأشياء أخرى أيضًا؛ (أرتور هاوكوينج) والأبطال الآخرون يواجهون (الشوننتشان) في ضباب كثيف، (بيرين) مع الراية يلوح بفأسه لصده هؤلاء الذين يحاولون الوصول إليه بدلًا من محاولة إيذائهم، (مات) لا يزال ينفخ بنغمات جامحة في (بوق فالير)، (هورين) قد ترجل من على سرجه ويقاقل بسيفه القصير وخنجره المسنن بالطريقة التي يعرفها. لقد بدا أن أعداد (الشوننتشان) ستجتاحهم في اندفاع واحد، ومع ذلك كان (الشوننتشان) ذوو الدروع الداكنة هم الذين يتراجعون.

تقدم (راند) ليواجه (بعلزمون). على مضض استدعى الخواء، ومد يده إلى (المصدر الحقيقي)، وامتلأ (بالقوة الواحدة)، لم يكن هناك سبيل آخر. ربما ليس لديه أي فرصة ضد (سيد الظلام)، ولكن أي فرصة تسنح له ستكون في (القوة الواحدة). لقد تسللت إلى أطرافه، وبدا كأنها تتغلغل في كل شيء من حوله؛ ثيابه وسيفه. شعر وكأنه يجب أن يتوهج كالشمس، لقد أثارت حماسه وجعلته يرغب في التقيؤ.

قال وهو يجز على أسنانه: «ابتعد عن طريقي، أنا لست هنا من أجلك».

قال (بعلزمون) ضاحكًا: «الفتاة؟». تحول فمه إلى لهب. كانت حروقه قد شُفيت تقريبًا، فلم تترك إلا بضع ندوب بنية قد بدأت تتلاشى بالفعل. لقد بدا وكأنه رجل وسيم في منتصف العمر، باستثناء فمه وعينه. «أيهن يا (ليوز ثيرين)؟ لن يكون لديك أحد لمساعدتك هذه المرة. أنت ملكي، أو ستموت. في كلتا الحالتين أنت ملكي».

قال (راند) مزجرًا: «كاذب!». ضرب (بعلزمون) بسيفه، ولكن عصاه المتفحمة صدت سيفه في وابل من الشر. «(أبو الأكاذيب)!».

«أيها الأحمق! ألم يخبرك هؤلاء الحمقى الآخرون الذين استدعيتهم من تكون؟». تأججت النيران في وجه (بعلزمون) مع ضحكته.

حتى وهو يطفو في الفراغ أحس (راند) بقشعريرة باردة. هل كانوا ليكنوا؟ لا أرغب في أن أكون (التنين العائد). شدد قبضته على سيفه. (شق الحرير)، ولكن (بعلزمون) كان يصد كل ضربة ويبعدها جانباً، والشرر يتطاير كما لو أنها مطرقة حداد تهوي على السندان. قال (راند): «لدي شئوني في (فالبي)، وليس لدي أي شأن معك، لن يكون لدي شأن معك أبداً». يجب أن أستحوذ على انتباهه حتى يتمكنوا من تحرير (إيجوين). كان قادراً بهذه الطريقة الغريبة أن يرى المعركة المحتدمة بين ساحات العربات ومرابض الخيول المغلفة بالضباب.

«أيها البائس المثير للشفقة، لقد نفخت في (بوق فالير)، وأنت الآن مرتبط به. هل تعتقد أن ديدان (البرج الأبيض) سيطلقن سراحك الآن؟ سيضعون حول عنقك أغلالاً ثقيلة للغاية حتى إنك لن تتمكن من قطعها».

كان (راند) مندهشاً للغاية حتى إنه شعر بهذا بداخل الخواء. إنه لا يعرف كل شيء. إنه لا يعرف! كان متيقناً أن الدهشة بادية على وجهه، ولكي يخفيها اندفع ناحية (بعلزمون). (طائر الطنان يقبل وردة العسل). (القمر على الماء). (السنونو ينساب في الهواء). تقوس البرق ما بين السيف والعصا، وغطى الضباب وابل من شرر متألق. ومع ذلك تراجع (بعلزمون) إلى الوراء وقد اتقدت عيناه كتنورين غاضبين.

عند حافة وعيه رأى (راند) (الشوننتشان) يتراجعون إلى شوارع (فالبي)، وهم يقاتلون بيأس، (الداماني) يمزقن الأرض (بالقوة الواحدة) ولكنهن لم يستطعن إيذاء (أرتور هاوكوينج) أو أي من أبطال (البوق) الآخرين.

قال (بعلزمون) مزحجراً: «هل ستظل دودة تحت صخرة؟». راحت الظلمة من ورائه تموج وتضطرب. «أنت تقتل نفسك بينما نفق هنا. (القوة الواحدة) تستعربداخلك، إنها تحرقك، إنها تقتلك! لا أحد في العالم عداي يمكنه أن يعلمك كيف تتحكم بها. اخدمني وعِش. اخدمني أو مُت!». «أبداً!!». يجب عليّ أن أردعه طويلاً بما يكفي. أسرع يا (هاوكوينج)، أسرع! انقض ناحية (بعلزمون) مرة أخرى. (الحمامة تحلق). (ورقة الشجرة المتساقطة).

هذه المرة كان هو من اضطر للتراجع إلى الوراء. رأى بشكل خافت (الشوننتشان) يقاتلون بين الأسطبلات. ضاعف جهوده. (الطائر صياد السمك يلتقط سمكة فضية). تراجع (الشوننتشان) أمام هجوم (أرتور هاوكوينج) وإلى جانبه (بيرين) في الطليعة. (حزم القش). تلقى (بعلزمون) ضربه في شرر كاليراعات القرمزية فكان عليه أن يقفز بعيداً قبل أن تشق العصا رأسه، فحركت رياح الضربة شعره. (الشوننتشان) يندفعون إلى الأمام. (الهجوم على الشرارة). تطاير الشرر كوابل من المطر، فقفز (بعلزمون) بعيداً عن ضربه، بينما (الشوننتشان) يتراجعون إلى الشوارع المرصوفة بالحجارة.

أراد (راند) أن يصرخ بصوت عالٍ، لقد أدرك فجأة أن المعركتين مرتبطتان، فعندما يتقدم فإن الأبطال الذين استدعاهم البوق يدفعون (الشونشان) إلى الوراء، وعندما يتراجع ينهض (الشونشان). قال (بعلزومون): «إنهم لن ينقذك. أولئك الذين قد ينقذك سيحملون بعيدًا عبر (محيط آريث)، وإن رأيتهم مرة أخرى فسيكونون عبيدًا في أطواق، وسيدمرونك من أجل أسيادهم الجدد». (إيجوين)، لا يمكنني أن أسمح لهم بفعل هذا بها.

طغى صوت (بعلزومون) على أفكاره. «ليس لديك سوى خلاص واحد يا (راند الثور)، يا (ليوز ثيرين قاتل أهله). أنا خلاصك الوحيد، اخدمني وسأمنحك العالم، قاومني وسأدمرك كما دمرت مرات عديدة من قبل، ولكنني هذه المرة سأدمرك حتى روحك، سأدمرك تمامًا وإلى الأبد». لقد انتصرت مرة أخرى يا (ليوز ثيرين). كانت الفكرة وراء الخواء، إلا أنه بذل مجهودًا كبيرًا لتجاوزها، لكيلا يفكر في كل الحيوانات التي سمعها فيها. أشهر سيفه، وجّه (بعلزومون) عصاه.

للمرة الأولى يدرك (راند) أن (بعلزومون) يتصرف وكأن السيف ذا علامة البلشون يمكن أن يؤذيه. لا يمكن للفولاذ أن يؤذي (سيد الظلام)، ولكن (بعلزومون) كان يراقب السيف بحذر. صار (راند) واحدًا مع سيفه، كان قادرًا على أن يشعر بكل جزء منه، أجزاء صغيرة للغاية على أن تُرى بالعين المجردة. وكان بمقدوره أن يشعر (بالقوة) التي تملأه تتدفق إلى سيفه أيضًا، وتتسلل عبر المصفوفات المعقدة التي صنعها (الآيز سيدي) أثناء حرب القوة.

حينها سمع صوتًا آخر؛ صوت (لان). سيأتي وقت تريد فيه شيئًا أكثر مما تريد الحياة. صوت (إنجتار). من حق كل رجل أن يختار متى (يغمد السيف). تشكلت صورة (إيجوين) وهي ترتدي طوقًا وتعيش حياتها (كداماني). خيوط من حياتي في خطر. (إيجوين). إن وصل (هاوكوينج) إلى (فالبي) فيمكنه أن ينقذها. قبل أن يُدرك كان قد اتخذ الوضعية الأولى من تشكيلة (خوض البلشون في القصب). متوازنًا على قدم واحدة، وسيفه مرفوع عاليًا، مفتوحًا وبلا دفاع. الموت أخف وزنًا من ريشة، والواجب أثقل من جبل.

حذق (بعلزومون) إليه. «لم تبسّم هكذا كالأبله أيها الأحمق؟ ألا تعلم أنني أستطيع أن أدمرك تمامًا؟». شعر (راند) بهدوء يفوق هدوء الخواء. «أنا لن أخدملك أبدًا يا (أبا الأكاذيب)، لن أفعل هذا في ألف حياة، أنا أعرف هذا، أنا متيقن من هذا. تعال، لقد حان وقت الموت».

اتسعت عينا (بعلزومون)، للحظة تحولتا إلى تنورين، حتى إن العرق تصبب على وجه (راند). ماج السواد وراء (بعلزومون) من حوله واكتسى وجهه بالصرامة. «إذن فلتمت أيها الدودة!». ضرب بعصاه كأنها يضرب برمح.

صرخ (راند) وهو يشعر بها تحترق جانبه، وتحرقه كمحرك ساخن. ارتجف الخواء ولكنه تشبث بآخر ما لديه من قوة، وغرس سيف علامة البلشون في قلب (بعلزومون). صرخ (بعلزومون)، وصرخ الظلام من ورائه. انفجر العالم في نيران.

الفصل الثامن والأربعون

المطالبة الأولى

تحركت (مين) عبر الشارع المرصوف بالحجارة، وهي تشق طريقها بين الحشود، وهؤلاء منهم الذين لم يصرخوا بشكل هستيري كان يقفون محقين بأوجه شاحبة. بعضهم كانوا يركضون على غير هدى، ولكن معظمهم كانوا يتحركون كدمى يجري التحكم فيها بشكل سيئ، خائفين من الذهاب أكثر من البقاء. راحت تفتش بين الوجوه آملة أن تجد (إيجوين) أو (إيلان) أو (ناينيف). ولكن كل من رأتهم كانوا فاليين. كان هناك شيء يجذبها كما لو أنها مربوطة بخيط.

بمجرد أن استدارت لتنظر وراءها كانت سفن (الشوننتشان) تخرق في الميناء، واستطاعت أن ترى المزيد من النيران قبالة مدخل الميناء. العديد من السفن المربعة كانت صغيرة بالفعل أمام الشمس الغاربة، تُبحر غربًا بأسرع ما يمكن (للداماني) أن يجعلن الرياح تدفعها. وكان هناك سفينة صغيرة تتعد عن الميناء وتميل لالتقاط الرياح لتأخذها عبر الساحل. (سبراي). لم تستطع أن تلوم (بايل دومون) على عدم انتظاره لفترة أطول، ليس بعد ما رأته. لقد فكّرت أنه من العجيب أنه قد بقي هذا الوقت الطويل.

كان هناك سفينة شوننتشانية واحدة في الميناء لا تخرق، رغم أن أبراجها صارت سوداء إثر النيران التي أُخمدت بالفعل. بينما السفينة الضخمة تقترب ببطء من مدخل الميناء ظهرت هيئة فجأة تمتطي حصانًا من عند المنحدرات المحيطة بالميناء. كانت تمتطي الحصان عبر الماء. فغرت (مين) فمها. ظهر تلالؤ فضي عندما رفعت الهيئة قوسًا ثم اخترق وميض فضي السفينة ذات الشكل المكعب بينما خط لامع يربط ما بين القوس والسفينة. تعالى هدير كان بمقدورها سماعه حتى من تلك المسافة، والتهمت النيران برج المقدمة من جديد، بينما البحارة يندفعون في أرجاء سطح السفينة.

رمشت (مين) بعينيهما، وعندما نظرت مرة أخرى كانت الهيئة التي تمتطي حصانًا قد اختفت. كانت السفينة لا تزال تشق طريقها ببطء عبر المحيط، بينما البحارة يكافحون لإطفاء النار.

هزت رأسها ثم بدأت تخطو عبر الشارع مرة أخرى. لقد رأت الكثير في ذلك اليوم، حتى إن شخصًا يمتطي حصانًا عبر الماء لم يكن أكثر من مجرد إلهاء عابر. حتى لو كانت هذه حقًا (بيرجيت) وقوسها. و(أرتور هاوكوينج). لقد رأيته. لقد رأيته حقًا.

توقفت في حيرة أمام أحد المباني الحجرية الطويلة، متجاهلة الناس الذين يمرون من جانبها كأنهم مذهبولون. إن عليها أن تذهب إلى مكان ما بالداخل. اندفعت صاعدة الدرج ودفعت الباب لتفتحه.

لم يحاول أحد أن يوقفها. وحسبما تعرف لم يكن هناك أحد في البيت. كان معظم سكان (فالبي) في الشوارع، يحاولون أن يقرروا إذا ما كانوا قد أصيبوا بالجنون معًا. قطعت البيت حتى وصلت إلى الحديقة وراءها، وهناك وجدته.

كان (راند) ممدداً على ظهره تحت شجرة بلوط، وجهه شاحب وعيناه مغمضتان ويده اليسرى تمسك بمقبض متصل بقاعدة نصل يبدو أنه قد ذاب في طرفه. كان صدره يعلو ويهبط ببطء شديد، وليس بالإيقاع المنتظم لشخص يتنفس بشكل طبيعي.

أخذت نفساً عميقاً لتهدئ نفسها، ثم ذهبت لترى ما يمكنها فعله من أجله. أول ما كان عليها فعله هو أن تتخلص من ذلك الجزء من النصل. قد يؤدي نفسه أو يؤذيها إن بدأ يلوح بشكل عشوائي. فتحت أصابع يده بقوة وجفلت عندما أدركت أن المقبض ملتصق براحة يده. ألقت به جانباً متجهمة، كان طائر البلشون على المقبض قد وسم نفسه على يده، ولكن كان من الواضح لها أن هذا ليس السبب الذي جعله يرقد فاقداً للوعي. كيف حدث له هذا؟ يمكن (لناينيث) أن تضع عليه مرهماً لاحقاً.

أظهر الفحص السريع أن معظم الجروح والكدمات التي أصيب بها لم تكن جديدة - على الأقل أُتيح للدم الوقت الكافي لأن يتحول إلى قشرة جافة، وبدأت الكدمات تتحول إلى الأصفر عند حوافها - ولكن هناك ثقب محترق في معطفه على الجانب الأيسر. فتحت معطفه وجذبت قميصه، ثم شهقت من بين أسنانها. كان هناك جرح محترق في جانبه، ولكنه قد كوى نفسه. ما صدمها هو ملمس جلده. كان ملمسه ثلجياً مما جعل الهواء يبدو دافئاً.

أمسكت بكتفيه وبدأت تجذبه ناحية البيت. كان جسده مرتجياً وله ثقل الموت. قالت وهي تجز على أسنانها: «أيها الأحمق، لم يكن بمقدورك أن تكون قصيراً وخفيفاً، أليس كذلك؟ كان يجب أن يكون لديك هاتان الساقان الطويلتان والكتفان العريضتان. من المفترض بي أن أتركك مستلقياً هنا».

ولكنها بذلت مجهوداً لجذبه صاعدة السلم، حريصة على أن تتفادى ارتطامه بالدرجات قدر الإمكان، ثم جذبته إلى الداخل. تركته بمجرد أن عبرت الباب، وراحت تمسك أسفل ظهره بينما تتمم بشيء ما عن (النمط)، ثم راحت تفتش البيت في عجالة. كان هناك غرفة نوم صغيرة في الجزء الخلفي من البيت، ربما غرفة لأحد الخدم، مع سرير مكس بالبطانيات، وقطع من الحطب موضوعة بالفعل في المدفأة. في لحظات أزاحت البطانيات وأشعلت النار كما أشعلت المصباح على الطاولة الصغيرة المجاورة للفراش، ثم عادت من أجل (راند).

لم يكن من السهل جذبه إلى الغرفة ثم وضعه على الفراش، ولكنها استطاعت أن تفعل هذا بمشقة، ثم غطته بالبطانيات. بعد لحظات وضعت يدها تحت البطانيات ثم جفلت وهزت رأسها. كانت الأغشية شديدة البرودة، فلم يكن جسده يشع بأي حرارة لتحجزها البطانيات. تنهدت في استسلام، ثم استلقت تحت الأغشية بجانبه، وأخيراً وضعت رأسه على ذراعها. كانت عيناه لا تزالان مغلقتين، وأنفاسه متقطعة، ولكنها فكرت أنه سيكون ميتاً بحلول الوقت الذي ستعود فيه إن غادرت للبحث عن (ناينيث). قالت لنفسها: إنه بحاجة إلى (آيز سيدي)، كل ما يمكنني فعله هو أن أمنحه القليل من الدفء.

تفحصت وجهه لبعض الوقت. لم تكن ترى سوى وجهه، لا يمكنها أن تقرأ أي شخص فاقداً للوعي. قالت له: «أحب الرجال الأكبر سنًا، أحب الرجال المتعلمين والأذكاء، ليس لدي أدنى اهتمام بالمزارع أو الأغنام أو الرعاة، وخصوصًا الفتية الرعاة». تنهدت وهي تبعد شعره عن وجهه. إن لديه شعرًا حرييرًا. «ولكنك لست راعيًا، أليس كذلك؟ لم تعد كذلك. بحق (النور)، لم كان على (النمط) أن يجعلني أعلق معك؟ لم لا يمكنني أن أحصل على شيء آمن وبسيط مثل أن أغرق في سفينة من دون طعام مع عشرات من رجال (الآيل) الجائعين؟».

جاء صوت من الردهة فرفعت رأسها بينما الباب يفتح. كانت (إيجوين) واقفة هناك تحديق إليهما على ضوء النار والمصباح. كل ما قالته هو: «أوه».
توردت وجنتا (مين). لماذا أتصرف وكأنني قد فعلت شيئًا خاطئًا؟ أيتها الحمقاء! أنا... أنا أبقية دافئًا. إنه فاقد الوعي وبارد كالثلج».

لم تقترب (إيجوين). «لقد... شعرت به يجذبني، يحتاج إليّ. لقد شعرت (إيلان) بهذا أيضًا. فكرت أنه شيء له علاقة بـ... بها هو عليه، ولكن (ناينيف) لم تشعر بأي شيء». أخذت نفسًا عميقًا مرتجفًا. «(إيلان) و(ناينيف) تجلبان الخيول، لقد عثرنا على (بيلا). لقد ترك (الشونشان) معظم خيولهم وراءهم. تقول (ناينيف) إنه يجب أن نذهب في أقرب وقت ممكن و... و... (مين)، أنت تعرفين الآن ما يكون عليه، أليس كذلك؟».

«أنا أعرف». أرادت (مين) أن تجذب ذراعها من تحت رأس (راند)، ولكنها لم تستطع أن تجبر نفسها على الحركة. «أعتقد أنني أعرف على أي حال. أيًا ما كان فإنه مصاب، لا يمكنني أن أفعل له شيئًا سوى محاولة تدفئته، ربما تستطيع (ناينيف) أن تفعل شيئًا».

«(مين)، أنت تعرفين... أنت تعرفين أنه لا يستطيع الزواج. إنه ليس... آمنًا... لأي واحدة منا يا (مين)». قالت (مين): «تحدثي عن نفسك». جذبت وجه (راند) إلى صدرها. «الأمر كما قالت (إيلان)، لقد ألقيته جانبًا من أجل (البرج الأبيض)، لم تبالين إن أخذته؟».

حدقت (إيجوين) إليها لما بدا أنه وقت طويل. لم تحديق إلى (راند) على الإطلاق، بل إليها فحسب. شعرت بوجهها يحتقن بالدماء، وأرادت أن تنظر بعيدًا، ولكنها لم تستطع.

قالت (إيجوين) أخيرًا: «سأجلب (ناينيف)». ثم مشت خارجة من الغرفة بظهر مستقيم ورأس مرفوع.
أرادت (مين) أن تناديهما، أن تذهب وراءها، ولكنها ظلت مستلقية هناك كأنها متجمدة. ترقرت عيناها بدموع الإحباط. هذا ما يجب أن يكون، أنا أعرف هذا، هذا ما قرأته فيهم جميعًا. بحق (النور)، لا أريد أن أكون جزءًا من الأمر. قالت مخاطبة هيئة (راند) الساكنة: «كل هذا خطأك. لا إنه ليس كذلك، ولكنني أعتقد أنك ستدفع ثمنه. لقد علقنا جميعًا كذباب في شبكة عنكبوت. ماذا لو أخبرتها أن هناك امرأة لم تأت بعد، امرأة لا تعرفها حتى؟ بل ماذا ستعتقد أنت أيها اللورد الراعي؟ أنت لست سيئ المظهر على الإطلاق، ولكنك... بحق

(النور)، لا أعرف حتى إن كنت أنا من ستختارها. لا أعرف إن كنتُ أريدك أن تختارني، أم ستحاول أن تدللنا نحن الثلاثة على ركبتك؟ قد لا يكون هذا خطأك يا (راند ألثور)، ولكن هذا ليس عدلاً».

قال صوت موسيقي من عند الباب: «ليس (راند ألثور)، بل (ليوز ثيرين تيلامون)، (التنين العائد)». حدقت إليها (مين)، كانت أجمل امرأة تراها على الإطلاق، ببشرة شاحبة ناعمة، وشعر أسود طويل، وعينين سوداوين كالليل. كان فستانها بلون أبيض يجعل الثلج يبدو باهتاً، بحزام فضي. كانت كل مجوهراتها فضية اللون. شعرت (مين) بنفسها تتأهب. «ما الذي تقصدينه؟ من أنت؟».

خطت المرأة لتقف أمام الفراش، كانت خطواتها رشيقة للغاية، حتى إن (مين) شعرت بوخزة من الغيرة، رغم أنها لم تحسد أي امرأة من قبل على أي شيء. ثم راحت تمسد شعر (راند) كأن (مين) ليست موجودة. «أعتقد أنه لا يصدق بعد. إنه يعرف ولكنه لا يصدق. لقد أرشدت خطواته، دفعته وجذبتة وأغريته. لطالما كان عنيداً، ولكن هذه المرة سأشكله، يعتقد (إشاميل) أنه يتحكم في الأحداث ولكني من أتحكم فيها». راحت تمسح جبين (راند) بإصبعها وكأنها ترسم علامة. فكرت (مين) بقلق أنها تبدو مثل (ناب التنين). تلملم (راند) وراح يغمغم. أول صوت وحركة يندان عنه منذ أن عثرت عليه.

سألتها (مين): «من أنت؟». نظرت إليها المرأة، نظرت فحسب، ولكنها وجدت نفسها تنكمش إلى الوراء في الوسائد، ممسكة (راند) بقوة.

«أنا أدعى (لانفير) يا فتاة».

شعرت (مين) أن فمها جاف، إلى حد أنها لم تقدر على الحديث، حتى لو كانت حياتها تعتمد على هذا. واحدة من (الملعونين)! لا! بحق (النور)، لا! كل ما استطاعت فعله هو أن تهز رأسها. هذا الإنكار جعل (لانفير) تبتسم.

«(ليوز ثيرين) كان ملكي، ولا يزال ملكي يا فتاة. اعتني به جيداً حتى آتي من أجله». ما إن قالت هذا حتى اختفت.

فغرت (مين) فمها، في لحظة كانت هناك، وفي اللحظة التالية اختفت. اكتشفت (مين) أنها تعانق جسد (راند) فاقد الوعي بقوة. تمت لو أنها لم تشعر وكأنها تريد منه أن يحميها.

كان وجه (بيار) النحيل متجهماً وقد ارتسم عليه التصميم، بينما يهرول بحصانه مولياً ظهره للشمس الغاربة دون أن ينظر ورائه. لقد رأى كل ما يحتاج إلى رؤيته، كل ما يمكنه رؤيته في ظل هذا الضباب اللعين. لقد مات الفيلق، ومات السيد القائد (جيو فرام بورنهالد)، ولم يكن هناك سوى تفسير واحد لهذا، لقد خانهم أصدقاء الظلام، أصدقاء ظلام مثل المدعو (بيرين) من (النهرين). يجب عليه أن يحمل هذا الخبر إلى (داين بورنهالد)، ابن السيد القائد، مع (أبناء النور) الذين يراقبون (تار فالون). ولكن لديه ما هو أسوأ لكي يخبر

به (بيدرون نيال) نفسه، يجب عليه أن يخبره بما رآه في السماء فوق (فالبي). ضرب حصانه بلجامه ولم ينظر وراءه قط.

الفصل التاسع والأربعون

ما كان يجب أن يكون

فتح (راند) عينيه فوجد نفسه يحدق لأعلى إلى ضوء الشمس المتسلل عبر أغصان شجرة أوراق جلدية، وأوراقها العريضة القاسية لا تزال خضراء رغم هذا الوقت من العام. كانت الرياح التي تحرك الأوراق تحمل لمحة من الثلج مع اقتراب حلول المساء. كان مستلقياً على ظهره وشعر بالبطانية التي تغطيه تحت يديه. بدا وكأن معطفه وقميصه قد اختفيا، ولكن شيئاً ما يشد صدره، وجانبه الأيسر يؤلمه. أدار رأسه فوجد (مين) جالسة على الأرض تراقبه. لم يكذب يعرفها وهي ترتدي تنورة. ابتسمت في تردد.

«(مين). هذه أنت. من أين جئت؟ أين نحن؟». عادت إليه ذاكرته في ومضات متقطعة. استطاع أن يتذكر أشياء قديمة، ولكن الأيام القليلة الماضية بدت قطعاً من مرآة مكسورة، تدور في ذهنه وتُظهر لمحات تختفي قبل أن يتمكن من رؤيتها بوضوح.

قالت: «(من) (فالمر). نحن على بعد خمسة أيام شرقاً من هناك، وكنت نائماً طيلة الوقت». «(فالمر)؟». المزيد من الذكريات. (مات) قد نفخ في (بوق فالمر). «(إيجوين)! هل هي...؟ هل حرروها؟». حبس أنفاسه.

«لا أعرف من تقصد بأنهم حرروها؟ ولكنها حرة، نحن حررناها بأنفسنا».

«نحن؟ أنا لا أفهم». إنها حرة. على الأقل إنها...

«(ناينيف) و(إيلان) وأنا».

«(ناينيف)؟ (إيلان)؟ كيف؟ كتنن جميعاً في (فالمر)؟». حاول أن يعتدل جالساً، ولكنها دفعته إلى الأسفل بسهولة، وبقيت هناك واضعة يديها على كتفيه، وعيناها مثبتتان على وجهه. «أين هي؟».

قالت (مين) وقد احمر وجهها: «لقد رحلت، جميعهم قد رحلوا، (إيجوين) و(ناينيف) و(مات) و(هورين) و(فيرين). لم يكن (هورين) راغباً في تركك حقاً. إنهم في طريقهم إلى (تار فالون). (إيجوين) و(ناينيف) ستعودان إلى تدريباتهما في (البرج)، و(مات) من أجل ما ستفعله (الآيز سيدي) بشأن ذلك الخنجر أياً ما كان. لقد أخذوا (بوق فالمر) معهم. لا أصدق أنني قد رأيته حقاً».

تمتم: «رحلت؟ لم تنتظر حتى إلى أن أستيقظ». ازداد الاحمرار في وجنتي (مين) فتراجعت إلى الوراء وراحت تحديق إلى حجرها.

رفع يديه ليمررهما على وجهه، ثم توقف محققاً إلى راحتيه في صدمة. كان هناك بلشون موسوم على راحته اليسرى أيضاً، ليضاهي الوسم الموجود على راحته اليمنى، وكل خط يبدو واضحاً. مرة البلشون ليحدد مساره، مرتين البلشون ليسميه باسمه. «لا!».

قالت: «لقد رحلوا، قولك لا لن يغير الأمر».

هز رأسه، شيء ما أخبره أن الألم في جانبه مهم. لم يستطع أن يتذكر أنه قد أصيب، ولكنه مهم. بدأ في رفع بطانياته لينظر، ولكنها صفت يديه لتبعدهما.

«لن يفيدك هذا في شيء، إنه لم يشفَ تمامًا بعد. لقد جربت (فيرين) الشفاء ولكنها قالت إنه لم يعمل كما يُفترض به». ترددت وهي تعض على شفتها. «تقول (مويرين) إن (ناينيف) قد فعلت شيئًا بلا شك، وإلا لما بقيت حيًّا حتى نحملك إلى (فيرين). ولكن (ناينيف) تقول إنها كانت خائفة للغاية على أن تشعل شمعة. هناك... شيء خاطئ حيال جرحك. سيكون عليك أن تنتظر حتى يتعافى بشكل طبيعي». بدت مضطربة.

«(مويرين) هنا؟». ضحك ضحكة مريرة. «عندما قلت إن (فيرين) قد رحلت ظننت أنني تحررت من (الآيز سيدي) مرة أخرى».

قالت (مويرين): «أنا هنا». ظهرت وهي ترتدي ثيابًا زرقاء بالكامل وتبدو عليها السكينة كأنها تقف في (البرج الأبيض)، تقترب ماشية لتقف أمامه. نظرت (مين) إلى (الآيز سيدي) عاقدة حاجبيها. كان لدى (راند) إحساس غريب بأنها تريد حمايته من (مويرين).

قال مخاطبًا (الآيز سيدي): «أتمنى لو لم تكوني هنا. يمكنك أن تعودتي إلى حيث كنتِ مختبئة وتبقي هناك». قالت (مويرين) بهدوء: «أنا لم أكن مختبئة، لقد كنت أفعل ما بوسعي هنا في (تومان هيد)، وفي (فالبي). كان الأمر بسيطًا بما يكفي رغم أنني تعلمت الكثير. لقد فشلت في إنقاذ اثنتين من أخواتي قبل أن يقتادهما (الشوننتشان) إلى السفن مع (الملجومات). ولكنني فعلت ما بوسعي».

«فعلت ما بوسعك! لقد أرسلت (فيرين) لكي ترعاني، ولكنني لست خروفاً يا (مويرين). لقد قلت إن باستطاعتي الذهاب إلى حيث أريد، وأنا أنوي الذهاب إلى حيث لا تريد مني الذهاب».

قالت (مويرين) عاقدة حاجبيها: «أنا لم أرسل (فيرين)، لقد فعلت هذا من تلقاء نفسها. أنت محل اهتمام الكثير من الناس يا (راند). هل عثر عليك (فاين) أم عثرت أنت عليه؟».

باغته تغيير الموضوع بشكل مفاجئ. «(فاين)؟ لا. أنا أمثل بطلاً رائعاً. حاولت إنقاذ (إيجوين) فأنقذتها (مين) قبلي. قال (فاين) إنه سيؤذي (إيموندز فيلد) إن لم أواجهه، ولم أره قط. هل ذهب مع (الشوننتشان) أيضًا؟».

هزت (مويرين) رأسها وقالت: «لا أعرف، أتمنى لو أنني أعرف. ولكن كان من الجيد أنك لم تجده، ليس قبل أن تعرف ماذا يكون على الأقل».

«إنه صديق للظلام».

«أكثر من هذا، أسوأ من هذا. لقد كان (بادان فاين) مخلوقًا من مخلوقات (سيد الظلام) حتى أعماق روحه، ولكنني أعتقد أنه في (شادار لوجوث) قد صارع (مورديث) الذي كان خبيثًا في قتال (الظل) كخبث (الظل) نفسه. لقد حاول (مورديث) أن يلتهم روح (فاين) ليحصل على جسد بشري من جديد، ولكنه

وجد روحًا قد لمسها (سيد الظلام) مباشرة، وما نتج عن ذلك... ما نتج عن ذلك لم يكن (بادان فاين) أو (مورديث)، بل شيئًا أكثر شرًا بكثير، مزيجًا من الاثنين. إن (فاين) - دعنا نسميه هكذا - أكثر خطورة مما تتصور. ربما لم تكن لتنجو من لقاء كهذا، ولو نجوت لربما كان هذا أسوأ من اللجوء إلى (الظل).

«إن كان على قيد الحياة، إن لم يكن قد ذهب مع (الشوننتشان)، فيجب عليّ أن...». بتر جملته وهو يُخرج سيف علامة البلشون من تحت عباءته. كان النصل ينتهي فجأة على مسافة قدم من المقبض كما لو أنه قد ذاب. عادت الذكريات إليه بقوة. قال بصوت خافت: «لقد قتلته. هذه المرة قد قتلته».

وضعت (مويرين) السيف التالف جانبًا وقد صار شيئًا عديم الجدوى، ثم مسحت يديها معًا. «(سيد الظلام) لا يُقتل بهذه السهولة، إن مجرد ظهوره في السماء فوق (فالبي) أكثر من مجرد حقيقة مقلقة. لا يجب أن يكون قادرًا على فعل هذا إن كان مقيدًا كما نعتقد، وإن لم يكن كذلك فلم لم يدمرنا جميعًا؟». تمللت (مين) في توتر.

قال (راند) في تعجب: «في السماء؟».

«كلاكما، لقد جرت معركتكما في السماء، على مرأى كل إنسان في (فالبي)، وربما في بلدات أخرى في (تومان هيد)، إن كان يمكن تصديق نصف ما سمعته».

قالت (مين) بصوت خافت: «نحن... قد رأينا كل شيء». وضعت يدها على إحدى يدي (راند) لتطمئنه. مدت (مويرين) يدها تحت عباءتها مرة أخرى وأخرجت ورقة مطوية؛ إحدى الأوراق الكبيرة التي يستخدمها فنانو الشوارع في (فالبي). كان الطباشير ملطخًا قليلًا عندما فتحت الورقة، ولكن الصورة لا تزال واضحة بما يكفي؛ رجل وجهه شعلة من نار يقاتل بعضا ضد آخر يحمل سيفًا بين السحاب حيث يرقص البرق، وخلفهما تحفق راية (التنين). كان من السهل التعرف على وجه (راند).

سألها: «كم عدد من رأوا هذه؟ مزقيها، أحرقها».

تركت (الآيز سيداي) الورقة تلتف على نفسها مرة أخرى ثم قالت: «هذا لن يكون مفيدًا يا (راند)، لقد اشتريتها قبل يومين في قرية مررنا بها. هناك المئات منها، وربما الآلاف، والحكاية تروى في كل مكان عن قتال (التنين) مع (سيد الظلام) في السماوات فوق (فالبي)».

نظر (راند) إلى (مين) فأومأت برأسها على مضض، وضغطت على يده. كانت تبدو خائفة، ولكنها لم تجفل. أتساءل إن كان هذا هو السبب وراء رحيل (إيجوين). كانت محقة في الرحيل.

قالت (مويرين): «(النمط) ينسج نفسه حولك بشكل أكثر إحكامًا. أنت تحتاج إليّ الآن أكثر من أي وقت مضى».

قال بقسوة: «أنا لا أحتاج إليك، ولا أريدك. لن يكون لي أي علاقة بهذا الأمر». تذكر كيف نودي باسم (ليوز ثيرين). لم ينادِه بهذا الاسم (بعلز مون) فقط، بل (أرتور هاوكوينج) أيضًا. «لن يكون لي أي علاقة بهذا الأمر. يُفترض (بالتنين) أن يحطم العالم من جديد. أن يمزق كل شيء. لن أكون (التنين)».

قالت (مويرين): «أنت ما أنت عليه، لقد أثرت الاضطراب في العالم بالفعل. (الآجاء السوداء) قد كشفت عن أنفسهن لأول منذ ألفي عام. كانت (آراد دومان) و(تارابون) على حافة الحرب، وسيصير الأمر أسوأ عندما تصل إليهما الأخبار من (فالمي). (كايرين) في حرب أهلية».

قال محتجًا: «لم أفعل شيئًا في (كايرين)، لا يمكنك أن تلوميني على هذا».

تنهدت وقالت: «إن عدم فعل شيء كان دومًا مناورة في (اللعبة الكبرى)، وخصوصًا كما يلعبونها الآن. لقد كنت الشرارة، وقد انفجرت (كايرين) مثل ألعاب (المنيرين) النارية. ماذا تعتقد أنه سيحدث عندما تصل أخبار (فالمي) إلى (آراد دومان) و(تارابون)؟ هناك دومًا رجال مستعدون لإعلان الولاء لأي رجل يزعم أنه (التنين)، ولكن لم يسبق لهم أن رأوا مثل هذا القدر من العلامات. هناك المزيد. انظر». ألقت بكيس على صدره.

تردد للحظة قبل أن يفتحه. بداخله كانت شظايا ما يبدو أنه فخار لامع باللونين الأسود والأبيض. لقد رأى مثلها من قبل. تتمم قائلاً: «ختم آخر من أختام سجن (سيد الظلام)». شهقت (مين). صارت قبضتها على يده تبحث عن الراحة بدلًا من تقديمها.

قالت (مويرين): «بل اثنان. ثلاثة من الأختام السبعة قد تكسرت. الختم الذي كان لدي واثنان وجدتهما في مسكن (السيد السامي) في (فالمي). عندما تنكسر الأختام السبعة - وربما قبل ذلك - فإن الرقعة التي وضعها الرجال فوق الثقب الذي حفروه في السجن الذي صنعه (الخالق) سوف تتمزق، وسيتمكن (سيد الظلام) مرة أخرى من مد يده عبر ذلك الثقب ولمس العالم، والأمل الوحيد للعالم هو أن يكون (التنين العائد) هناك لمواجهة».

حاولت (مين) أن تمنع (راند) من أن يزيح بطانياته، ولكنه دفعها برفق جانبًا. «أحتاج إلى المشي». ساعدته على النهوض، ولكن مع الكثير من التنهدات والتأوهات منه، مما جعل جرحه أسوأ. اكتشف أن صدره منفوخ بالضهادات. وضعت (مين) إحدى البطانيات على كتفيه كعباءة.

للمحظة ظل واقفًا يحرق إلى الأسفل نحو سيف علامة البلشون، أو ما تبقى منه، الملقى على الأرض. سيف (تام)، سيف والدي. على مضض أكثر من أي وقت آخر في حياته تخلى عن أمله في اكتشاف أن (تام) والده حقًا. شعر وكأنه يمزق قلبه. ولكن هذا لم يغير شعوره تجاه (تام). وكانت (إيموندز فيلد) هي الوطن الوحيد الذي عرفه. (فاين) هو الشيء المهم، لدي واجب قد تبقى، أن أوقفه.

اضطرت المرأتان لأن تسندها، واحدة عند كل ذراع. لكي يمشي إلى حيث كانت نيران المخيم مشتعلة بالفعل، ليست بعيدة للغاية عن طريق ترابي مهمد. كان (لويال) هناك، يقرأ كتابًا بعنوان «الإبحار إلى ما وراء الغروب»، و(بيرين) يحرق إلى النيران، والشايناريون يعدون وجبة العشاء. كان (لان) جالسًا تحت شجرة يشحذ سكين حزامه. ألقى (الحامي) ناحية (راند) نظرة متأنية، ثم أومأ برأسه.

كان هناك شيء آخر؛ راية (التنين) تحفق في الرياح فوق منتصف المخيم. في مكان ما وجدوا عصا مناسبة لتحل محل شتلة (بيرين).

تساءل (راند): «ما الذي تفعله هذه هنا حيث يمكن لأي شخص يمر بالجوار أن يراها؟». قالت (مويرين): «لقد فات أوان الاختباء يا (راند). لطالما كان الوقت متأخرًا على الاختباء بالنسبة لك». «ليس عليك أيضًا أن تضعي لافتة تقول ها أنا ذا. لن أجد (فاين) أبدًا إن قتلني شخص ما بسبب هذه الراية». التفت إلى (لويال) و(بيرين). «أنا مسرور لأنكما بقيتما. كنت سأفهم لو أنكما لم تفعلًا». قال (لويال): «لم قد أرحل؟ صحيح أنك (تافيرين) أكثر مما كنت أعتقد، ولكنك لا تزال صديقي. أمل أنك لا تزال صديقي». ارتعشت أذناه في تردد.

قال (راند): «أنا صديقك ما دام وجودك بالقرب مني آمنًا، وحتى بعد ذلك أيضًا». ارتسمت على وجهه (الأوجير) ابتسامة عريضة.

قال (بيرين): «أنا سأبقى أيضًا». كان صوته يحمل نبرة من الاستسلام، أو القبول. «(العجلة) تنسجنا بشكل محكم في (النمط) يا (راند). من كان ليتصور هذا عندما كنا في (إيموندز فيلد)؟».

كان الشياناريون يجتمعون حول (راند)، ولدهشته جثوا جميعهم على ركبهم. كل واحد منهم كان يراقبه. قال (أونو): «نحن نتعهد بالولاء لك». أو مآ الآخرون الجاثون برؤوسهم.

قال (راند) محتجًا: «إن عهودكم (لإنجتار) واللورد (أجيلمار). (إنجتار) قد مات يا (أونو)، مات لكي يتمكن بقيتنا من الفرار (بالوق)». لم يكن هناك حاجة لإخبارهم أو إخبار أي شخص آخر ببقية الأمر. كان يأمل أن (إنجتار) قد وجد (النور) مرة أخرى. «أخبر اللورد (أجيلمار) بهذا عندما تعود إلى (فال دارا)».

قال الرجل ذو العين الواحدة بحذر: «لقد قيل إنه عندما يعود (التنين) فسوف يحطم كل العهود ويمزق كل الروابط، لا شيء يقيدنا الآن، سنمنحك عهودنا». استل سيفه ووضعته أمامه، وهو يمد مقبضه تجاه (راند)، وفعل بقية الشاناريين الشيء ذاته.

قال (ماسيما): «لقد قاتلت (سيد الظلام)». (ماسيما) الذي كان يكرهه صار ينظر إليه كأنها يرى (النور). «لقد رأيتك أيها اللورد (التنين)، لقد رأيتك. أنا رجلك حتى الموت». لمعت عيناه السوداء بحماس.

قالت (مويرين): «يجب أن تختار يا (راند)، العالم سيتحطم سواء حطمته أنت أم لا، (تارمون جايدون) ستأتي، وهذا وحده كفيل بتمزيق العالم. هل ما زلت ستحاول الاختباء مما أنت عليه وتترك العالم يواجه (المعركة الأخيرة) دون حماية؟ فلتختر».

كانوا جميعًا يراقبونه، جميعًا ينتظرون. الموت أخف وزنًا من الريشة، والواجب أثقل من جبل. حسم قراره.

رف 404

t.me/Rff404

الفصل الخمسون

ما بعد

انتشرت الحكايات عبر السفن والجياذ، وعبر عربات التجار والرجال الذين يمشون على أقدامهم، تداولوها مرارًا وتكرارًا، متغيرة ولكنها دومًا متشابهة في جوهرها، إلى (آراد دومان) و(تارابون) وما ورائهما، عن العلامات والبشائر في السماء فوق (فالبي). وأعلن رجال عن ولائهم (للتنين)، وهاجمهم رجال آخرون وهوجموا بدورهم.

انتشرت حكايات أخرى، عن طابور من الركبان جاؤوا من مغرب الشمس عبر (سهل ألوث). قيل إنهم مئة من الرجال الحدوديين، لا، بل ألف، ألف بطل عادوا من القبر لتلبية نداء (بوق فالير)، عشرة آلاف. لقد دمروا فيلقًا كاملاً من (أبناء النور)، وجعلوا جيوش (أرتور هاوكوينج) العائدين يلوذون فرارًا عبر البحر. لقد كانوا حقًا جيوش (أرتور هاوكوينج) العائدين، لقد ركبوا ناحية الجبال، ناحية الفجر. ومع ذلك كان هناك شيء واحد مشترك بين كل الحكايات؛ في مقدمتهم كان يركب الرجل الذي قد رآه الناس في السماء فوق (فالبي)، وكانوا يركبون تحت راية (التنين العائد).

صرخ البشر ينادون (الخالق) قائلين: يا نور السماوات، يا نور العالم، دع (الموعود) يولد من الجبل، كما قالت (النبوءات)، فهو قد كان في عصور مضت وسوف يكون في عصور آتية. دع (أمير الصباح) يغني إلى الأرض حتى ينمو كل ما هو أخضر، وتمنحنا الوديان الحملان. دع ذراع (سيد الفجر) تقينا الظلام، وسيف العدل العظيم يدافع عنا. دع (التنين) يمتطي مرة أخرى رياح الزمن.

(من كتاب تشاوال درينان تي كالامون،

دورة (التنين).

المؤلف مجهول، العصر الرابع).

نهاية الكتاب الثاني من
الصيد العظيم
الجزء الثاني من سلسلة
(عجلة الزمن)

رف 404

t.me/Rff404

قاموس الأسماء والمصطلحات

-ملحوظة عن تواريخ هذا القاموس: هناك ثلاثة أنظمة قد استخدمت بشكل عام لتسجيل التواريخ منذ (تحطم العالم)، أول تسجيل للسنوات هو بعد التحطم (ب. ت.). نظرًا لأن سنوات (التحطم) وما تلاها كانت سنوات من الفوضى التامة، ونظرًا لأن هذا التقويم قد اعتمد بعد مئة عام من (تحطم العالم) فإن نقطة البدء كانت معينة بشكل عشوائي. مع نهاية (الحروب الترولوكية) كانت العديد من السجلات قد فُقدت، حتى إنه كان هناك جدال بشأن تحديد السنة بشكل دقيق في ظل النظام القديم، ومن ثم أُنشئ تقويم جديد، يرجع تاريخه إلى نهاية (الحروب الترولوكية)، ويحتفي بما يُفترض أنه تحرر العالم من تهديد (الترولوكيين). هذا التقويم يُسجل كل عام باسم عام الحرية (ع. ح.). بعد أن اجتاحت العالم الاضطراب والموت والدمار بفعل (حرب المئة عام) ظهر تقويم ثالث، وهذا التقويم الذي يُسمّى بتقويم العهد الجديد (ع. ج.) هو المستخدم حاليًا.

-آيدام: آلة تتكون من طوق وسوار يربط بينهما لجام معدني فضي. وقد يُستخدم للسيطرة على امرأة يمكنها التسخير ضد إرادتها. الطوق ترتديه الداماني، والسوار ترتديه السولدام. انظر أيضًا داماني، سولدام.

-آيز سيداي: مستخدمو القوة الواحدة. وبعد زمن الجنون لم يبقَ على قيد الحياة منهم سوى النساء. إنهن موضع ريبة وخوف في جميع أرجاء العالم، بل وحتى الكراهية، ويحملهن الكثيرون مسؤولية تحطم العالم. ويشيع الاعتقاد بأنهن يتدخلن في شئون الأمم. وفي الوقت نفسه فإن معظم الحكام يتخذون مستشارات من الآيز سيداي، حتى في البلاد التي يجب أن يبقى فيها مثل هذا الاتصال سرًا. انظر أيضًا آجاه، عرش أميرلين، زمن الجنون.

-أجيلمار، اللورد أجيلمار من آل چاجاد: لورد فال دارا، شعاره ثلاثة ثعالب حمراء راکضة.

-عصر الأساطير: العصر الذي انتهى بحرب الظل وتحطم العالم. الزمن الذي كان فيه الآيز سيداي يصنعون العجائب التي لا يمكن لأحد الآن إلا أن يحلم بها. انظر أيضًا عجلة الزمن، تحطم العالم، حرب الظل.

-الآييل: شعب فلاة آييل، أشداء وشجعان، ويُطلق عليهم أيضًا رجال آييل. إنهم يلثمون وجوههم قبل أن يقتلوا، مما أدى إلى ظهور مقولة «يتصرف كرجل بلثام أسود من آييل» لوصف شخص يتصرف بعنف. محاربون فتاكون بأسلحة أو من دون شيء سوى أيديهم العارية، ولن يلمسوا سيفًا. يعزفون بالمزامير في المعارك بموسيقى الرقصات، فأى معركة لرجال آييل يُطلق عليها اسم «الرقصة». انظر أيضًا مجتمعات محاربي الآييل، فلاة آييل.

-مجتمعات محاربي الآييل: جميع محاربي الآييل هم أعضاء في أحد مجتمعات المحاربين، مثل الكلاب الحجرية، أو الدروع الحمراء، أو عذراوات الرمح. كل مجتمع له عاداته الخاصة وأحيانًا واجباته المحددة. على سبيل المثال يلعب مجتمع الدروع الحمراء دور الشرطة. الكلاب الحجرية عادة ما يتعهدون بعدم التراجع بمجرد بدء القتال، وسيموتون حتى آخر رجل إذا لزم الأمر للوفاء بهذا العهد. كثيرًا ما تتقاتل عشائر الآييل فيما

بينها، ولكن أعضاء المجتمع نفسه لن يتقاتلوا فيما بينهم حتى لو كانت عشائرتهم تفعل هذا. بهذه الطريقة يكون هناك دومًا خطوط اتصال بين العشائر، حتى عندما تكون في حرب مفتوحة. انظر أيضًا الآييل، فلاة آييل، فار داريس ماي.

- فلاة آييل: الأرض القفر الوعرة التي تكاد أن تكون خالية من المياه شرق فقار العالم. قليل من الغرباء يغامرون بالذهاب إلى هناك، ليس فقط لأنه من المستحيل عمن لم يولد هناك أن يجد الماء، ولكن لأن الآييل يعتبرون أنفسهم في حرب مع كل الشعوب الأخرى، ولا يرحبون بالغرباء.

- الآجاه: مجتمعات داخل الآيز سيدي، ويتتمي إليها جميع الآيز سيدي، ولكل منها لون مميز، الآجاه الزرقاوات والآجاه الحمراوات والآجاه البيضاء والآجاه الخضراوات والآجاه البنية والآجاه الصفراوات والآجاه الرماديات. تتبع كل منها فلسفة معينة في استخدام القوة الواحدة والغاية التي يسعى إليها الآيز سيدي. على سبيل المثال تسخر الآجاه الحمراوات كل طاقاتهم للعثور على الرجال الذين يحاولون استخدام القوة الواحدة وترقيقهم. وعلى الجانب الآخر تخلت الآجاه البنية عن الارتباط بالعالم وكرسن أنفسهن للسعي وراء المعرفة. هناك شائعات (تُذكر تمامًا ولا يمكن ذكرها بأمان أمام أي واحدة من الآيز سيدي) عن آجاه سوداوات كرسن أنفسهن لخدمة سيد الظلام.

- آلانا موسقاني: آيز سيدي من الآجاه الخضراوات.

- آلانين: تعني في اللغة القديمة «الأخ»، وهي اختصار تيا أفندي آلانين «أخو الأشجار».

- ألالر: كبيرة كبراء ملاذ تسوفو.

- ألدیب: تعني في اللغة القديمة «الرياح الغربية»، الرياح التي تجلب أمطار الربيع.

- ناينيف ألميرا: امرأة من إيموندز فيلد في مقاطعة النهرين في أندور.

- راند الثور: شاب من إيموندز فيلد كان ذات يوم راعي أغنام.

- إيجوين ألقير: شابة من إيموندز فيلد.

- السيدة أماليسا: شایناریة من آل چاجاد، أخت اللورد أجيلمار.

- عرش أميرلین: (1) اللقب الذي يُمنح لرعيمة الآيز سيدي. تُنتخب مدى الحياة من مجلس قاعة البرج الأبيض، أرفع مجالس الآيز سيدي، ويتكون من ثلاث ممثلات (يُسَمَّين الجالسات) من كل واحدة من الآجاهات السبعة. تتمتع عرش أميرلین - من الناحية النظرية على الأقل - بسلطة مطلقة بين الآيز سيدي، ورتبتها تساوي أي ملك أو ملكة. يُطلق عليها بشكل غير رسمي لقب الأميرلین. (2) العرش الذي تجلس عليه زعيمة الآيز سيدي.

- آنايا: آيز سيدي من الآجاه الزرقاوات.

- أنجريال: أداة نادرة للغاية تسمح لأي شخص يقدر على تسخير القوة الواحدة بأن يتعامل مع قدر من القوة أكبر مما قد يكون من الممكن تسخيره بأمان دون مساعدة. بقايا من عصر الأساطير، ولم تعد وسيلة

- صنعها معروفة. انظر أيضًا سانجريال، تيرانجريال.
- آراد دومان: أمة على محيط آريث.
- آرافيل: إحدى البلاد الحدودية.
- أفنديسورا: تعني في اللغة القديمة «شجرة الحياة». وقد ذُكرت في العديد من الحكايات والأساطير.
- بيرين آيابارا: شاب من إيموندز فيلد، كان فيما سبق مساعد حداد.
- بعلزومون: تعني في لغة الترولوكيين «قلب الظلام»، ويشيع الاعتقاد أنه الاسم الذي يطلقه الترولوكيون على سيد الظلام. انظر أيضًا سيد الظلام، الترولوكيين.
- بارثانيس، لورد، من آل دامودريد: لورد كايريني، يلي الملك في السلطة، شعاره الشخصي هو الخنزير المهاجم. شعار آل دامودريد هو التاج والشجرة.
- بل تايين: عيد الربيع، احتفالاً بنهاية الشتاء وظهور أول براعم للمحاصيل وولادة أول الحملان.
- خائن الأمل: انظر إشامايل.
- بيرجيت: بطله ذهبية الشعر في الأساطير وحكايات صانعي البهجة، لها قوس فضي وسهام فضية لا تخطئ هدفها أبدًا.
- العجاج: آلة موسيقية قد يكون لها ستة أو تسعة أو اثني عشر وترًا، وتوضع بشكل مسطح على الركبتين، ويُعزف عليها بالنقر على الأوتار.
- الأراضي الخربة: الأراضي القاحلة المحيطة بشايول غول وراء البلاء العظيم.
- البلاء: انظر البلاء العظيم.
- جيو فرام بورنهالد: سيد قائد من أبناء النور.
- تحطم العالم: أثناء زمن الجنون تسبب الآيز سيديا الذكور الذين يمكنهم استخدام القوة الواحدة إلى درجة غير معروفة الآن في تغيير شكل العالم. لقد تسببوا في زلازل عظيمة وهدموا جبالًا وأنشأوا جبالًا جديدة ورفعوا اليابسة من قاع البحار، وجعلوا المحيطات تندفع إلى حيث توجد اليابسة. أماكن عديدة في العالم فُتت عن بكرة أبيها، وتناثر الناجون مثل الغبار في مهب الريح. هذا الدمار تذكره الحكايات والأساطير والتاريخ باسم تحطم العالم. انظر أيضًا زمن الجنون.
- جارت بيار: أحد ضباط أبناء النور.
- كايملين: عاصمة أندور.
- كايرين: يطلق الاسم على بلد على طول فقار العالم، وعلى عاصمة ذلك البلد. أُحرقت هذه المدينة ونُهبت أثناء حرب الآيل (976 إلى 978 ع.ج.). شعار كايرين شمس ذهبية متعددة الأشعة تشرق من وراء خلفية زرقاء سماوية.

-كارالين: إحدى الأمم التي انتزعت من إمبراطورية أرتور هاوكوينج أثناء حرب المئة عام. لقد ضعفت بعدها واختفت آخر آثار لها قرابة عام (500 ع.ج.).

-مات كاوثون: شاب من النهرين، اسمه بالكامل ماترم كاوثون.

-التسخير: التحكم في تدفق القوة الواحدة. انظر أيضًا القوة الواحدة.

-أبناء النور: جماعة تتبنى معتقدات تعبدية صارمة، قد سخروا حياتهم لهزيمة سيد الظلام وتدمير كل أصدقاء الظلام. تأسست أثناء حرب المئة عام على يد لوثير مانتيلا للتبشير في وجه الأعداد المتزايدة من أبناء الظلام، وقد تطورت لكي تتحول إلى منظمة عسكرية بالكامل، صارمون للغاية في معتقداتهم ومتيقنون تمام اليقين من أنهم وحدهم من يعرفون الحقيقة والصواب. إنهم يكرهون الآيز سيدي ويعتبرونهم - وأي شخص يدعمهم أو يصادقهم - من أصدقاء الظلام. يطلق عليهم الناس باستخفاف لقب أصحاب العباءات البيضاء. شعارهم شمس ذهبية على خلفية بيضاء.

-القيّمة على السجلات: السلطة الثانية بعد عرش أميرلين بين الآيز سيدي. كما تؤدي دور سكرتيرة الأميرلين. تختارها قاعة البرج الأبيض مدى الحياة، وعادة ما تكون من نفس آجاء الأميرلين. انظر أيضًا عرش أميرلين، الآجاء.

-كورين: تعني في اللغة القديمة «العودة».

-ميثاق الأمم العشرة: اتحاد تشكل في القرون التي تلت تحطم العالم عند إعادة تشكل الأمم (300 ب. ت. تقريبًا). كرّس هذا الاتحاد نفسه لهزيمة سيد الظلام، لكنه تفكك بسبب الحروب الترولوكية. انظر أيضًا الحروب الترولوكية.

-كوينديلاز: معروفة أيضًا باسم أحجار القلب. انظر أحجار القلب.

-الدائس دايمار: اللعبة الكبرى، تُعرف أيضًا باسم لعبة العائلات، الاسم الذي أُطلق على المكائد والمؤامرات والمناورات، لتحقيق مصالح العائلات النبيلة. تُعطى قيمة كبيرة للتصرف في الخفاء، والتظاهر باستهداف شيء في حين استهداف شيء آخر، وتحقيق الغايات بأقل جهد ظاهر ممكن.

-دايشان: لقب في البلاد الحدودية يعني سيد الحرب الملكي. انظر أيضًا البلاد الحدودية.

-الداماني: تعني في اللغة القديمة «الملجومات»، النسوة اللائي يمكنهن التسخير، ويقيدهن الأيدام، ويستخدمهن الشونتشان لأغراض عديدة، وأهمها استخدامهن كأسلحة في المعارك. انظر أيضًا الشونتشان، الأيدام، السولدام.

-اللورد جالادريد دامودريد: الأخ غير الشقيق لإيلان وجاوين. شعاره سيف فضي مجنح موجه للأسفل.

-أصدقاء الظلام: هؤلاء الذين يتبعون سيد الظلام ويعتقدون أنهم سينالون قوة ومكافآت عظيمة بل وحتى الخلود عندما يتحرر من سجنه.

-سيد الظلام: هو الاسم الشائع الذي تطلقه معظم البلاد على الشيطان، مصدر كل الشرور، ونقيض الخالق. سجنه الخالق لحظة الخلق في سجن شايول غول، وقد أدت محاولة تحريره من ذلك السجن إلى اندلاع حرب الظل وتدنيس السايدين وتحطم العالم ونهاية عصر الأساطير.

-النطق باسم سيد الظلام: قول الاسم الحقيقي لسيد الظلام (الشيطان) يجذب انتباهه، وهو ما يؤدي حتمًا إلى الحظ العاثر في أفضل الأحوال، وكارثة في أسوأها. لهذا السبب يستخدم الناس الكثير من الكنايات مثل: سيد الظلام، وأبو الأكاذيب، وعامي الأبصار، وسيد القبر، وراعي الليل، ومُهْلِك القلب، وناب القلب، وحارق العشب، وحارق الورقة. الشخص الذي يبدو أنه يجلب الحظ العاثر يقال عنه إنه «ينطق باسم سيد الظلام».

-ولية العهد: لقب يمنح لوريثة عرش أندور، وهي الابنة الكبرى التي تخلف أمها الملكة على العرش، وإن لم يكن هناك ابنة على قيد الحياة فإن العرش يذهب إلى أقرب أنثى إلى الملكة من حيث صلة الدم.

-ابنة الليل: انظر لانفير.

-قبة الحقيقة: قاعة الاجتماع الكبرى لأبناء النور، تقع في أمادور، عاصمة أماديسيا. هناك ملك لأماديسيا، ولكن أبناء النور هم الحاكمون الفعليون. انظر أيضًا أبناء النور.

-دو مير أفرون: انظر المراقبين عبر الأمواج.

-بايل دومون: قبطان سفينة سبراي، الذي يجمع أشياء قديمة.

-الدراكار: مخلوق من مخلوقات سيد الظلام، صُنع في الأصل عن طريق تشويه البشر. يظهر الدراكار على هيئة رجل ضخم له جناحان كجناحي الخفاش، وبشرته شاحبة للغاية، وعيناه كبيرتان للغاية. يُمكن لأغنية الدراكار أن تجذب فريسته إليه، مما يجمع إرادة الضحية. هناك قول مأثور «قبة الدراكار هي الموت». إنه لا يعرض، ولكن قبلته ستستهلك روح ضحيته أولاً ثم حياته.

-التنين الكاذب: أحيانًا ما يزعم بعض الرجال أنهم التنين العائد، وأحيانًا ما يكتسب أحدهم عددًا كبيرًا من الأتباع يحتاج إلى جيش لردعه، وقد بدأ بعضهم حروبًا شملت عديدًا من الأمم. على مدار قرون كان معظم الرجال غير قادرين على تسخير القوة الواحدة، ولكن بعضهم استطاع هذا. ومع ذلك فقد اختفوا جميعًا أو أُسروا أو قُتلوا دون أن تتحقق أي من النبوءات المتعلقة بعودة التنين. هؤلاء الرجال يُلقبون بلقب التنين الكاذبين، ومن بين هؤلاء الذين يمكنهم التسخير - الأقوى فيما بينهم - راولن داركسبين (335-336 ب. ت.) ويوريان ستونبو (قراة 1300-1308 ب. ت.) وديشان (351 ع. ح.)، وجوير أما لاسان (939-943 ع. ح.) ولوجاين (997 ع. ح.). انظر أيضًا التنين العائد.

-نبوءات التنين: القليل معروف عن النبوءات ونادرًا ما يتحدث عنها أحد، والتي وردت في حكايات كارايشون، وهي تنبأ بأن سيد الظلام سيتحرر مرة أخرى ليلمس العالم، وأن ليوز ثيرين تيلامون، التنين، محطم العالم، سيولد من جديد ليخوض تارمون جايدون، المعركة الأخيرة ضد الظل. انظر أيضًا التنين.

-التنين: الاسم الذي عُرف به ليوز ثيرين تيلامون أثناء حرب الظل. أثناء الجنون الذي استحوذ على كل ذكور الآيز سيدياي قتل ليوز ثيرين كل شخص حي يمت له بأدنى صلة قرابة، كما قتل كل شخص يحبه، ومن ثم اكتسب اسم «قاتل أهله». انظر أيضًا التنين العائد، نبوءات التنين.

-التنين العائد: وفقًا للنبوءات والأساطير فإن التنين سيولد من جديد في الوقت الذي يكون فيه البشر في أمس الحاجة له لكي ينقذ العالم. هذا ليس شيئًا يتطلع إليه الناس، لأن النبوءات تقول إن التنين العائد سيجلب تحطّمًا جديدًا للعالم، وبسبب ليوز ثيرين قاتل أهله صار التنين لقبًا يجعل البشر يرتعدون حتى بعد مرور أكثر من ثلاثة آلاف عام على موته. انظر أيضًا التنين، التنين الكاذب، نبوءات التنين.

-ناب التنين: رسمة مبسطة على هيئة دمعة مرتكزة على نقطتها. إن نقشها على باب أو بيت هو اتهام بالشر موجه ضد قاطني هذا البيت، أو محاولة لجذب انتباه سيد الظلام ومن ثم جذب الإيذاء لهم.

-سادة الرعب: الرجال والنساء القادرون على تسخير القوة الواحدة، الذين انحازوا إلى الظل أثناء الحروب الترولولوكية، حيث صاروا قادة لقوات الترولولوكيين.

-إيليدا: آيز سيدياي من الآجاه الحمراءات ومستشارة الملكة مورجيز في أندور، وأحيانًا يكون لديها القدرة على التنبؤ. انظر أيضًا التنبؤ.

-إيلالين: ابنة الملكة مورجيز، وولية العهد لعرش أندور، شعارها الزنبقة الذهبية.

-بادان فاين: رجل مسجون في حصن فال دارا باعتباره صديقًا للظلام.

-فار داريس ماي: تعني حرفيًا «عذراوات الرمح»، أحد مجتمعات محاربي الآيل، وعلى عكس المجتمعات الأخرى فإنها لا تقبل سوى النساء فحسب، أي عذراء لا يمكنها أن تتزوج وتبقى داخل المجتمع ولا يجوز لها أن تقاتل وهي تحمل طفلًا، وأي طفل يولد لعذراء منهن يُمنح لامرأة لتربيته، وهذا لكيلا يعرف أحد من هي أم الطفل. («لا يجوز أن تنتمي لرجل، ولا يجوز لرجل أن ينتمي إليك، ولا أي طفل. الرمح هو حبيبك وطفلك وحياتك»). هؤلاء الأطفال يُنظر إليهم باعتزاز لأن النبوءات تقول إن طفلًا يولد من عذراء سيوحد العشائر ويعيد الآيل إلى المجد الذي عرفوه أثناء عصر الأساطير. انظر أيضًا الآيل، مجتمعات محاربي الآيل.

-القوى الخمسة: هناك خيوط للقوة الواحدة، وكل شخص يمكنه أن يسخر القوة الواحدة يمكنه عادة أن يمسك ببعض الخيوط أفضل من غيرها، هذه الخيوط تحمل أسماءً وفقًا للأشياء التي يمكن فعلها باستخدامها - الأرض والهواء والنار والماء والروح - وتسمى بالقوى الخمسة. أي شخص يستخدم القوة الواحدة سيكون أكثر قوة مع واحدة أو اثنتين منها، وأقل قوة مع البقية. قد يتمتع بعضهم بقوة أكبر مع ثلاثة منها، ولكن منذ عصر الأساطير لم يتمتع أحد بقوة كبرى مع الخمسة جميعها، وحتى حينها كان هذا شيئًا نادرًا للغاية. يمكن أن تختلف درجة القوة بشكل كبير بين الأشخاص، لذا فإن بعض المسخرين يكونون أكثر قوة من غيرهم. يتطلب تنفيذ أعمال معينة باستخدام القوة الواحدة القدرة على استخدام

واحدة أو أكثر من القوى الخمسة، على سبيل المثال: إشعال النار يتطلب التحكم في قوة النار، التأثير في الطقس يتطلب التحكم في قوة الهواء، بينما الشفاء يتطلب التحكم في قوة الماء وقوة الروح. رغم أن قوة الروح توجد بالتساوي بين الرجال والنساء فإن القدرات العظيمة للأرض والنار توجد بشكل أكثر بين الرجال، بينما قدرات الماء والهواء توجد بشكل أكثر بين النساء. هناك بعض الاستثناءات، ولكن الأمر شائع للغاية حتى إنه يُنظر إلى الأرض والنار باعتبارهما قوتين ذكوريتين، والهواء والماء باعتبارهما قوتين أنثويتين. بشكل عام لا توجد قدرة تعتبر أقوى من غيرها رغم أن هناك مقولة بين الآيز سيدي إنه «لا توجد صخرة أقوى من أن تتآكل بفعل الماء والرياح، ولا نيران أكثر ضراوة من أن يخمدها الماء أو تطفئها الرياح». هذه المقولة صارت دارجة بعد وقت طويل من موت آخر الآيز سيدي الذكور، وقد ضاع منذ زمن طويل أي مقولة تعادها عند الآيز سيدي الذكور.

-شعلة تار قالون: رمز تار قالون وعرش أميرلين والآيز سيدي. رسمة مبسطة تمثل شعلة كدمعة بيضاء تشير نقطتها إلى الأعلى.

-الملعونون: الاسم الذي أُطلق على ثلاثة عشر من أقوى الآيز سيدي على الإطلاق، الذين انضموا إلى سيد الظلام أثناء حرب الظل نظير وعد بالخلود. وفقًا للأسطورة وشظايا السجلات التاريخية فإنهم قد سُجنوا مع سيد الظلام عند إعادة سجنه، ولا تزال أسماؤهم تُستخدم لتخويف الأطفال.

-جايدين: تعني حرفيًا «أخو المعارك»، لقب تستخدمه الآيز سيدي للإشارة إلى الحماية. انظر أيضًا الحماية.

-جالاد: انظر اللورد جالادريد دامودريد.

-جالدرين سو رياتين ري: تعني حرفيًا جالدرين من آل رياتين الملك. ملك كايرين. انظر أيضًا كايرين.

-لعبة العائلات: انظر الدايس دايار.

-جاوين: ابن الملكة مورجيز، وشقيق إيلان، شعاره الدب الأبيض.

-الترقيق: ما تفعله الآيز سيدي لإنهاء قدرة أي ذكر على تسخير القوة الواحدة. هذا فعل ضروري لأن أي رجل يتعلم التسخير سيُصاب بالجنون بسبب دنس السايدين. ومن المؤكد أنه سيفعل أشياء شنيعة باستخدام القوة الواحدة أثناء جنونه. الرجل الذي يُرقق يظل قادرًا على الإحساس بالمصدر الحقيقي ولكنه لا يستطيع لمسه. أي جنون قد أصيب به قبل الترقيق يُمكن إيقافه ولكن لا يمكن علاجه. وإن جرى الترقيق في الوقت المناسب فيمكن تجنب الموت. انظر أيضًا القوة الواحدة، التسكين.

-صانع البهجة: راوي حكايات متجول، وعازف موسيقى، ومتلاعب بالكرات، وبهلوان، وفنان شامل. يشتهرون بعباءاتهم المميزة ذات الرقع عديدة الألوان، ويؤدون استعراضاتهم بشكل أساسي في القرى والبلدات الصغيرة.

-جوابان: إحدى الأمم التي انتزعت من إمبراطورية أرتور هاوكوينج أثناء حرب المئة عام. لقد ضعفت بعدها واختفت آخر آثار لها قرابة عام (500 ع. ج.). انظر أيضًا أرتور هاوكوينج، حرب المئة عام.

- البلاء العظيم: منطقة في أقصى الشمال، يهيمن عليها فساد سيد الظلام، ويسكنها الترولوكيون والميردرال ومخلوقات أخرى من مخلوقات الظل.
- اللعبة الكبرى: انظر الدايس دايمار.
- الصيد العظيم للبوق: مجموعة من الحكايات تتعلق بالبحث الأسطوري عن بوق فالير في السنوات ما بين الحروب الترولوكية وحرب المئة عام، إن سرد هذه المجموعة من الحكايات في مجملها قد يستغرق عدة أيام.
- سيد الظلام العظيم: الاسم الذي يستخدمه أصدقاء الظلام للإشارة إلى سيد الظلام، ويزعمون أن استخدام اسمه الحقيقي يعد تجديفًا.
- الأفعوان العظيم: رمز للزمن والخلود، قديم من قبل عصر الأساطير ويتألف من أفعوان يلتهم ذيله. يمنح خاتم على شكل الأفعوان العظيم للنساء اللاتي يترقين إلى مرتبة المقبولات بين الآيز سيدي.
- هايلين: تعني في اللغة القديمة «هؤلاء الذين يأتون أولاً» أو «السابقين».
- أنصاف البشر: انظر الميردرال.
- هاردان: إحدى الأمم التي انتزعت من إمبراطورية أرتور هاوكوينج، وقد نُسيت منذ زمن بعيد، تقع بين كايرين وشاينار.
- أرتور هاوكوينج: ملك أسطوري حكم ما بين (943-994 ع. ح.). وحد جميع الأراضي غرب فقار العالم، بل إنه قد أرسل جيوشًا عبر محيط آريث (992 ع. ح.)، ولكن كل اتصال بها قد انقطع عند موته الذي أدى إلى اندلاع حرب المئة عام. كان شعاره صقرًا ذهبيًا محلقًا. انظر أيضًا حرب المئة عام.
- أحجار القلب: مادة لا يمكن تدميرها، صُنعت أثناء عصر الأساطير. أي قوة معروفة تُستخدم في محاولة كسر حجر القلب يمتصها الحجر مما يجعله أقوى. انظر أيضًا الكوينديلار.
- بوق فالير: البوق الأسطوري الذي يتمحور حوله الصيد العظيم للبوق، من المفترض أن البوق قادر على استدعاء الأبطال الموتى من القبور لمحاربة الظل.
- الرفاق المئة: مئة من الآيز سيدي الذكور، وكانوا من بين أقوى الرجال في عصر الأساطير، وتحت قيادة ليوز ثيرين تيلامون وجهوا الضربة الأخيرة التي أنهت حرب الظل بإعادة سيد الظلام إلى سجنه. ولكن ضربة سيد الظلام المضادة دنست السايدين فأصيب الرفاق المئة بالجنون وبدأوا تحطيم العالم. انظر أيضًا زمن الجنون، تحطم العالم، المصدر الحقيقي، القوة الواحدة.
- هورين: رجل شايناري لديه القدرة على اشتها العنفي في المكان الذي وقع فيه، وأن يتتبع رائحة مرتكبه. يُطلق عليه لقب المتشمم. وهو يخدم عدالة الملك في فال دارا، في شاينار.
- إليان: ميناء عظيم يطل على بحر العواصف، وتعد هذه المدينة عاصمة للبلد الذي يحمل الاسم ذاته.
- إنجتار، اللورد إنجتار من آل شينوا: محارب شايناري شعاره البومة الرمادية.

- إشاماييل: تعني في اللغة القديمة «خائن الأمل». واحد من الملعونين، وهو اسم أطلق على زعيم الآيز سيداي الذين انضموا إلى سيد الظلام في حرب الظل. يقال إنه حتى هو نفسه نسي اسمه الحقيقي. انظر أيضًا الملعونين.
- حكايات كارايتون: انظر نبوءات التنين.
- لامان: ملك كايرين من آل دامودريد، الذي فقد عرشه وحياته في حرب الآيل.
- لان، ألان ماندراجوران: حام مرتبط بمويرين. الملك غير المتوج للمالكير، دايشان، وآخر سادة مالكير المتبقين على قيد الحياة. انظر أيضًا الحامي، مويرين، مالكير، دايشان.
- لانفير: تعني في اللغة القديمة «ابنة الليل»، واحدة من الملعونين، وربما الأقوى بعد إشاماييل، على عكس بقية الملعونين فإنها قد اختارت هذا الاسم بنفسها. يُقال إنها كانت حبيبة ليوز ثيرين تيلامون. انظر أيضًا الملعونين، التنين.
- الفرسخ: انظر وحدات القياس.
- لياني: آيز سيداي من الآجاه الزرقاوات والقيّمة على السجلات.
- الملجومات: انظر الداماني.
- وحدات القياس: 10 بوصات = 3 أيدي = قدم. 3 أقدام = خطوة. خطوتان = باع. 1000 باع = ميل. 4 أميال = فرسخ.
- ليوز ثيرين تيلامون، ليوز ثيرين قاتل أهله: انظر التنين.
- لياندرين: آيز سيداي من الآجاه الحمراءوات، من تارابون.
- لوجاين: تنين كاذب رققنه الآيز سيداي.
- لويال: أوجير من ملاذ شانجتاي.
- لوك، اللورد لوك من آل مانثير: شقيق تيجرين، ويعتقد أن اختفائه في البلاء العظيم (971 ع. ج.) مرتبط باختفاء تيجرين لاحقًا. كان شعاره جوزة بلوط.
- ليوثير: انظر ليوثير بايندرج موندوين.
- مالكير: كانت ذات يوم من البلاد الحدودية، والآن ابتلعها البلاء العظيم. كان شعارها كركيًا ذهبيًا محلقًا.
- مانثيرن: إحدى الأمم العشرة التي وقعت الميثاق الثاني، وأيضًا يُطلق الاسم على عاصمة تلك الأمة. وقد تدمرت كل من المدينة والأمة تمامًا في الحروب الترولوكية.
- الماراثداماني: تعني في اللغة القديمة «أولئك اللائي يجب لجمهن». وهو مصطلح يستخدمه الشوننتشان من أجل النسوة اللائي يمكنهن التسخير، ولكن لم يقعن في الأسر بعد، ولم توضع الأطواق حول أعناقهن. انظر أيضًا الداماني، الآيدام، الشوننتشان.
- ماسييا: جندي شايناري يكره الآيل.

- ماشيارا: تعني في اللغة القديمة المحبوب، ولكنها تعني الحب الذي لا يمكن استعادته.

-توم ميريلين: صانع بهجة.

-الميل: انظر وحدات القياس.

-مين: شابة لديها القدرة على قراءة الهالات التي تراها أحيانًا تحيط بالناس.

-مويرين: آيز سيداي من الآجاء الزرقاوات.

-ليوثير بايندراج موندوين: ابن أرتور هاوكوينج. وكان قائد الجيوش التي أرسلها هاوكوينج عبر محيط آرث. كانت رايته صقرًا ذهبيًا يسط جناحيه، ويُمسك في قدميه بصواعق. انظر أيضًا أرتور هاوكوينج.

-مورديث: المستشار الذي حوّل مدينة أريدول إلى استخدام أساليب أصدقاء الظلام ضد أصدقاء الظلام، مما أدى إلى تدميرها واكتسابها اسمًا جديدًا؛ شادار لوجوث (حيث ينتظر الظل). لا شيء قد نجا في شادار لوجوث - إلى جانب الكراهية التي دمرتها - سوى مورديث نفسه، المقيد في أنقاضها لألفي عام، في انتظار أن يأتي شخص ليلتهم روحه ومن ثم يتخذ جسدًا جديدًا.

-مورجيز: ملكة أندور ببركة النور، والعرش العالي لآل تراكند.

-ميردرال: مخلوقات سيد الظلام وقادة الترولوكيين، نسل مشوه من الترولوكيين، عاد فيه الأصل البشري المستخدم في خلق الترولوكيين للظهور، ولكنه مدنس بالبشر الذي خلق الترولوكيين. إنهم أشبه بالبشر من الناحية الجسدية، باستثناء أنهم لا يمتلكون أعينًا، ولكن يمكنهم الرؤية مثل العقبان في الضوء أو الظلام. لديهم قوى معينة تنبع من سيد الظلام، بما في ذلك القدرة على الإصابة بالخوف الذي يشل الأطراف بمجرد النظر، والقدرة على الاختفاء أينما توجد الظلال. إحدى نقاط ضعفهم القليلة المعروفة هي أنهم يجمعون عن عبور المياه الجارية. يعرفون في البلدان المختلفة بأسماء عديدة، ومن بينها أنصاف البشر وعديمو الأعين ورجال الظل والكوامن والعواتم.

-بيدرون نيال: السيد القائد الأعلى لأبناء النور. انظر أيضًا أبناء النور.

-السيدة نيسورا: امرأة شاينارية نبيلة وإحدى وصيفات السيدة أماليسا.

-القوة الواحدة: القوة المستمدة من المصدر الحقيقي. معظم الناس لا يقدرّون على تعلم تسخير القوة الواحدة، وعدد أقل قليل يولدون بهذه القدرة. بالنسبة لهؤلاء القلائل ليس هناك حاجة للتعلم، وهم سيلمسون المصدر الحقيقي ويسخرون القوة الواحدة، سواء أرادوا هذا أم لم يريدوه، بل وربما دون أن يدركوا ما يفعلونه. تُظهر هذه القدرة الفطرية نفسها عادة في أواخر المراهقة أو في بداية البلوغ. إن لم يتعلم الشخص التحكم في الأمر أو يعلم نفسه (وهو أمر صعب للغاية، بمعدل نجاح واحد فقط من كل أربعة) فإن الموت أمر حتمي. منذ زمن الجنون لم يعد هناك رجل قادر على تسخير القوة الواحدة دون أن يصاب في النهاية بالجنون التام والفظيع. وحتى لو تعلم السيطرة على الأمر فإنه يموت من مرض الهزال الذي يؤدي إلى معاناة المرء من التعفن المؤلم وهو لا يزال حيًا. وسبب هذا المرض - مثل الجنون - هو تدنيس

السايدين على يد سيد الظلام. بالنسبة للمرأة فإن الموت الذي ينتج عن عدم سيطرتها على القوة الواحدة يكون أقل فظاعة، ولكنه موت على كل حال. تبحث الآيز سيداي عن فتيات يتمتعن بقدرة فطرية لإنقاذ حياتهن ولزيادة أعداد الآيز سيداي، ويبحثن عن الرجال الذين يمتلكون هذه القدرة لإيقاف الأشياء الفظيعة التي سيفعلونها حتمًا باستخدام القوة الواحدة أثناء جنونهم. انظر أيضًا التسخير، زمن الجنون، المصدر الحقيقي.

-نمط العصر: عجلة الزمن تنسج خيوط حياة الإنسان في نمط العصر، الذي يشكل جوهر الواقع لذلك العصر. يعرف أيضًا باسم نسيج العصور. انظر أيضًا تأثيرين.

-المستجوبون: جماعة ضمن أبناء النور، هدفها المعلن هو كشف الحقيقة في النزاعات، والكشف عن أصدقاء الظلام. في البحث عن الحقيقة والنور فإن أسلوبهم المعتاد في الاستجواب هو التعذيب، ونهجهم المعتاد هو أنهم يعرفون الحقيقة بالفعل وعليهم فقط أن يجعلوا ضحيتهم تعترف بها. يشير المستجوبون إلى أنفسهم على أنهم يد النور، اليد التي تستخرج الحقيقة. وفي بعض الأحيان يتصرفون وكأنهم منفصلون تمامًا عن أبناء النور ومجلس المختارين الذي يأمر أبناء النور. إن رئيس المستجوبين هو المستجوب الأعلى، الذي يكون عضوًا في مجلس المختارين. شعارهم عصا راعي معوجة حمراء قانية.

-راجان: محارب شايباري.

-الدروع الحمراء: انظر مجتمعات محاربي الآيل.

-رينا: امرأة شونتشانية، سولدام. انظر أيضًا شونتشان، سولدام.

-رياجيل: تعني في اللغة القديمة «العائدون إلى الوطن».

-سانجريال: أي واحدة من عدد من الأدوات التي تسمح لأي شخص يقدر على تسخير القوة الواحدة بأن يتعامل مع قدر من القوة أكبر مما قد يكون من الممكن تسخيره بأمان دون مساعدة. إن السانجريال مثل الأنجريال ولكنه أقوى منه بكثير. إن مقدار القوة الواحدة التي يمكن تسخيرها باستخدام السانجريال مقارنة بالقوة التي يمكن تسخيرها باستخدام الأنجريال يشبه مقارنة القوة التي يمكن تسخيرها باستخدام الأنجريال بالقوة التي يمكن تسخيرها دون عون. بقايا من عصر الأساطير، ولم تعد وسيلة صنعها معروفة. لم يتبقَّ منها سوى عدد قليل للغاية، أقل بكثير من الأنجريال.

-السايدار، السايدين: انظر المصدر الحقيقي.

-سالدايا: من البلاد الحدودية.

-سيوان سانشي: آيز سيداي كانت سابقًا من الآجاه الزرقاوات، اعتلت عرش أميرلين (988 ع. ج.). إن عرش أميرلين من جميع الاتجاهات ولا تنتمي لواحدة منها.

-قوم البحر: مشهورون باسم الآثان ميير، شعب البحر. قاطنو جزر في محيط آريث وبحر العواصف، يقضون القليل من الوقت في تلك الجزر ويعيشون معظم حياتهم على سفنهم. ومعظم التجارة البحرية

- تكون باستخدام سفن قوم البحر.
- شونتشان: (1) أحفاد الجيوش التي أرسلها أرتور هاوكوينج عبر محيط آريث، والذين عادوا لاستعادة أراضي أسلافهم. (2) الأرض التي جاء منها الشونتشان. انظر أيضًا هايدين، كورين، رياجيل.
- شوندار: عاصمة شونتشان، حيث تجلس الإمبراطورة على العرش البلوري في بلاط الأقمار التسعة.
- سيلين: امرأة تظهر أثناء الرحلة إلى كايرين.
- سيتا: امرأة شونتشانية، سولدام. انظرًا أيضًا شونتشان، سولدام.
- شادار لوجوث: مدينة مهجورة ومنبوذة منذ الحروب الترولوكية. أرضها مدنسة ولا يوجد بها حصاة آمنة. انظر أيضًا مورديث.
- الشیطان: انظر سيد الظلام.
- شايول غول: جبل في الأراضي الخربة وموقع سجن سيد الظلام.
- شيريام: آيز سيدي من الآجاء الزرقاوات. سيدة المبتدئات في البرج الأبيض.
- شاینار: من البلاد الحدودية، وشعارها صقر أسود منقش.
- الشوفا: من ثياب الآيل. قطعة قماشية عادة ما تكون بلون الرمال أو الصخور، تُلف حول الرأس والرقبة، ولا تترك شيئًا ظاهرًا سوى الوجه.
- الباع: انظر وحدات القياس.
- فقار العالم: سلسلة جبال شاهقة الارتفاع، لا يوجد بها سوى عدد قليل من الممرات، تفصل فلاة آيل عن الأراضي الواقعة غربًا.
- الملاذ: موطن الأوجير. هناك عديد من الملاذات المهجورة منذ تحطم العالم. إنها محمية بطريقة ما لم تعد مفهومة، فلا يمكن لأي آيز سيدي أن تسخر القوة الواحدة بداخلها، أو أن تشعر حتى بوجود المصدر الحقيقي. ومحاولة استخدام القوة الواحدة من خارج نطاق الملاذ لا يكون لها تأثير داخله. لن يحاول أي ترولوك أن يدخل الملاذ ما لم يُدفع لهذا دفعًا، وحتى أي ميردرال لن يفعل هذا إلا عند الحاجة القصوى وبأكبر قدر من الإحجام والنفور. حتى أصدقاء الظلام - إن كانوا مخلصين حقًا - يشعرون بعدم الارتياح داخل الملاذ.
- التسكين: فعل تؤديه الآيز سيدي لمنع امرأة يمكنها التسخير من استخدام القوة الواحدة. المرأة التي تُسَكَّن يمكنها أن تشعر بالمصدر الحقيقي، ولكن لا يمكنها لمسه. انظر أيضًا القوة الواحدة، الترقيق.
- الكلاب الحجرية: انظر مجتمعات محاربي الآيل.
- سولدام: امرأة قد نجحت في الاختبارات التي تُظهر أن بمقدورها أن ترتدي سوار الأيدام، ومن ثم يمكنها التحكم في داماني. انظر أيضًا الأيدام، الداماني.
- يوم الشمس: عيد واحتفال في منتصف الصيف، يشيع الاحتفال به على نطاق واسع.

- الخشب المغنى: انظر مغني الأشجار.
- السيدة السامية سوروث: امرأة شونتشانية نبيلة تحظى بمكانة عالية.
- تايشار: تعني في اللغة القديمة «الدماء الحقيقية ل».
- تاماريلين: تعني في اللغة القديمة «شبكة القدر». تغير عظيم في نمط العصر، يتمحور حوله شخص واحد أو أكثر يلقبون بالتأثيرين. انظر أيضًا نمط العصر، التأثيرين.
- أرتور بايندراج تانريال: انظر أرتور هاوكوينج.
- تارمون جايدون: المعركة الأخيرة. انظر أيضًا نبوءات التنين، بوق فالير.
- تارقالون: مدينة على جزيرة في نهر إيرينين. مركز سلطة الآيز سيدي ومقر عرش أميرلين.
- تأثيرين: شخص تنسج عجلة الزمن حوله خيوط الحياة المحيطة به، وربما كل خيوط الحياة، لتشكيل شبكة القدر. انظر أيضًا نمط العصر.
- تير: ميناء عظيم على بحر العواصف.
- ليوز ثيرين تيلامون: انظر أيضًا التنين.
- التانجريال: أي واحد من عدد من بقايا عصر الأساطير التي تستخدم القوة الواحدة. على عكس الأنجريال والسانجريال فإن التانجريال قد صُنع من أجل هدف محدد. على سبيل المثال: واحد منها يجعل الأقسام التي تُقسم بداخله ملزمة. يستخدم الآيز سيدي بعضًا منها، ولكن أغراضها الأصلية غير معروفة إلى حد كبير. بعضها قد يقتل أي امرأة تستخدمه، أو يدمر القدرة على التسخير بداخلها. انظر أيضًا الأنجريال، السانجريال.
- تيا أفندي آلانتين: «أخو الأشجار».
- تيامي أفين موريدين إيسايند فادين: تعني في اللغة القديمة «القبر لن يكون عائقًا أمام ندائي». منقوشة على بوق فالير. انظر أيضًا بوق فالير.
- تيجرين: بصفتها ولية عهد أندور تزوجت تارينجيل دامودريد وأنجبت ابنه جالادريد. أدى اختفاؤها عام (972 ع. ج.) - بعد اختفاء أخيها لوك في البلاء العظيم بوقت قصير - إلى اندلاع صراع في أندور يطلق عليه اسم الخلافة. وتسببت في الأحداث التي وقعت في كايرين والتي أدت في النهاية إلى حرب آييل. كان شعارها يد امرأة تمسك بوردة بيضاء شائكة.
- زمن الجنون: السنوات التي تلت هجمة سيد الظلام المضادة التي دنست النصف الذكوري من المصدر الحقيقي، عندما أُصيب الآيز سيدي الذكور بالجنون وحطموا العالم. من غير المعروف كم استمرت هذه الفترة بشكل دقيق، ولكن من المعتقد أنها استمرت لقاربة مئة عام، وانتهت بموت آخر الآيز سيدي الذكور. انظر أيضًا الرفاق المئة، المصدر الحقيقي، القوة الواحدة، تحطم العالم.
- الجوالون: انظر التوائان.

-الشجرة: انظر أفنديسورا.

-قاتلو الشجرة: الاسم الذي يطلقه الآيل على الكايريين. ودومًا ما ينطقونه بنبرة من الرعب والاشمئزاز.
-مغني الأشجار: الأوجير الذي لديه القدرة على الغناء للأشجار (تدعى «أغنية الأشجار»)، إما لشفائها، أو لمساعدتها على النمو والازدهار، أو لصنع أشياء من الخشب دون إيذاء الشجرة. الأشياء التي تُصنع بهذه الطريقة تُسمى «الخشب المغنى»، ولها قيمة عالية. لم يبق سوى عدد قليل من الأوجير الذين لديهم موهبة الغناء للأشجار، ويبدو أن هذه الموهبة في طريقها للانقراض.

-أغنية الأشجار: انظر مغني الأشجار.

-الترولوكيون: من مخلوقات سيد الظلام، خلقهم أثناء حرب الظل. أجسامهم ضخمة، وهم مزيج مشوه من أصل حيواني وبشري. إن طبيعتهم متوحشة ويقتلون من أجل متعة القتل. إنهم مخادعون إلى حد كبير ولا يمكن الثقة بهم إلا إذا كانوا مدفوعين بالخوف. إنهم ينقسمون إلى مجموعات شبه قبائلية، ومن بينها الداقول والكوبال والدايمون.

-الحروب الترولوكية: سلسلة من الحروب بدأت عام (1000 ب. ت). تقريبًا، واستمرت لأكثر من ثلاثمئة عام. اجتاحت خلالها جيوش الترولوكيين العالم. في النهاية قُتل الترولوكيون أو أُجبروا على العودة إلى البلاء العظيم، ولكن بعض الأمم لم يعد لها وجود، بينما بعض آخر لم يعد مأهولًا بالسكان تقريبًا. كل السجلات التاريخية عن تلك الحقبة متشظية. انظر أيضًا ميثاق الأمم العشرة.

-المصدر الحقيقي: القوة الدافعة للكون التي تحرك عجلة الزمن، إنها تنقسم إلى نصف ذكوري (السايدين) ونصف أنثوي (السايدار)، يتصارعان ويتعاونان في الوقت ذاته. لا يستطيع أحد أن يستمد القوة من السايدين سوى الرجال، ولا يستطيع أحد أن يستمد القوة من السايدار سوى النساء. منذ بداية زمن الجنون صار السايدين مدنسًا بلمسة سيد الظلام. انظر أيضًا القوة الواحدة.

-التوئان: قوم رحالة يُعرفون أيضًا باسم الجوالين، يعيشون في عربات مطلية بألوان زاهية، ويتبعون فلسفة سلمية تمامًا تُسمى طريقة الورقة. الأشياء التي يصلحها الجوالون تكون عادة أفضل من الأشياء الجديدة. إنهم من بين القلة الذين يمكنهم عبور فلاة آيل دون التعرض لمضايقات، لأن الآيل يتفادون بشكل صارم أي تواصل معهم.

-توراك، السيد السامي من آل آلادون: رجل شونتشاني يتمتع بمكانة عالية، وهو قائد الهايلين. انظر أيضًا الشونتشان، الهايلين.

-فيرين: آيز سيدي من الآجاه البنيات.

-الحامي: محارب مرتبط بواحدة من الآيز سيدي، وهذا الرابط هو شيء له علاقة بالقوة الواحدة، وبه يكتسب عديدًا من الهبات مثل سرعة الشفاء والقدرة على المضي قدمًا لوقت طويل دون طعام أو ماء أو راحة، والقدرة على الإحساس بدنس سيد الظلام من على مسافات بعيدة. ما دام الحامي على قيد الحياة

تعرف الآيز سيدي المرتبط بها بهذا مهما كان بعيداً عنها، وعندما يموت تعرف لحظة موته وكيف مات. رغم أن معظم الآجاه يعتقدون أن الآيز سيدي يجب أن يكون لها حام واحد في المرة، إلا أن الآجاه الحمرات يرفضن الارتباط بأي حام على الإطلاق، بينما الآجاه الخضرات يعتقدن أن الآيز سيدي يمكنها أن ترتبط بأي عدد من الحماة كما تشاء. من الناحية الأخلاقية يجب أن يقبل الحامي هذا الرابط، ولكن هناك حالات معروفة قد حدث فيها ذلك بشكل قسري. ما تجنيه الآيز سيدي من ذلك الرابط هو سر محبوب. انظر أيضاً الآيز سيدي.

-حرب القوة: انظر أيضاً حرب الظل.

-حرب المئة عام: سلسلة من الحروب المتداخلة بين تحالفات متغيرة باستمرار، بدأت بموت أرتور هاوكوينج والصراع الذي تلا ذلك على إمبراطوريته. لقد استمرت من عام (994 ع.ح.) إلى (1117 ع.ح.). أدت هذه الحرب إلى هلاك قاطني عديد من الأراضي الواقعة ما بين محيط آريث وفلاة آيل، من بحر العواصف إلى البلاء العظيم. كان الدمار هائلاً حتى إنه لم يتبقَّ إلا سجلات تاريخية متشظية عن تلك الحقبة. تفككت إمبراطورية أرتور هاوكوينج في الحروب وتشكلت الأمم الموجودة حالياً. انظر أيضاً أرتور هاوكوينج.

-حرب الظل: تُعرف أيضاً باسم حرب القوة، وقد أنهت عصر الأساطير. بدأت بعد وقت قصير من محاولة تحرير سيد الظلام، وسرعان ما شملت العالم بأسره. في عالم قد نسي حتى ذكر الحروب أعادوا اكتشاف كل جانب من جوانب الحرب، وقد تلوثت بلمسة سيد الظلام على العالم، واستخدمت القوة الواحدة كسلاح. انتهت الحرب بإعادة سجن سيد الظلام. انظر أيضاً الرفاق المئة، التنين.

-المراقبون عبر الأمواج: مجموعة تعتقد أن الجيوش التي أرسلها أرتور هاوكوينج عبر محيط آريث ستعود يوماً ما، لذا يواصلون المراقبة من بلدة فالمي في تومان هيد.

-شبكة القدر: انظر تamarاليلين.

-وحدات الوزن: 10 أونصات = رطل. 10 أرطال = حجر. 10 أحجار = قنطار. 10 قناطير = طن.

-عجلة الزمن: الزمن عجلة لها سبعة أقطار، كل قطر يمثل عصرًا، مع دوران العجلة تأتي العصور وتمضي، تاركة وراءها الذكريات، التي تتحول إلى أسطورة، ثم إلى خرافة، والتي تكون قد نُسيَت عندما يأتي ذلك العصر مرة أخرى. يختلف نمط العصر قليلاً في كل مرة يأتي فيها عصر ما، وفي كل مرة يكون التغيير أكبر، ولكنه في كل مرة يكون نفس العصر.

-أصحاب العباءات البيضاء: انظر أبناء النور.

-البرج الأبيض: قصر عرش أميرلين في تار فالون، والمكان الذي تتدرب فيه الآيز سيدي.

-الحكيمة: امرأة تختارها دائرة النساء في القرية من أجل معرفتها بأشياء مثل الشفاء والتنبؤ بالطقس، وكذلك الحس السليم. منصب له مسئوليات كبيرة وسلطة عظيمة، من الناحية الفعلية والضميمة. عادة ما

تعتبر نظيرة للعمدة، وفي بعض القرى تفوقه سلطة. إنها - على عكس العمدة - تشغل منصبها مدى الحياة، ومن النادر أن تُعزل الحكيمة عن منصبها قبل موتها. في بعض الأماكن قد يُطلق عليها لقب مختلف مثل المرشدة أو الشافية أو العارفة أو القارئة.

عن المؤلف

روبرت جوردان هو الاسم المستعار لجيمس أوليفر ريجيني جونيور، وهو كاتب أمريكي شهير في مجال الفانتازيا، وُلد في 17 أكتوبر 1948 في تشارلستون، كارولينا الجنوبية، وتوفي في 16 سبتمبر 2007. تعود شهرته إلى سلسلة «عجلة الزمن»، وهي سلسلة من روايات الفانتازيا بدأت في عام 1990 واستمرت حتى وفاته.

درس جوردان في معهد «ذا سيتادل»، الكلية العسكرية لولاية كارولينا الجنوبية، وحصل على درجة علمية في الفيزياء. خدم في الجيش الأمريكي خلال حرب فيتنام، حيث حصل على العديد من الأوسمة، مثل صليب الطيران المتميز والنجمة البرونزية.

بدأ جوردان الكتابة في أواخر السبعينيات، وكتب في عدة أنواع أدبية قبل أن يكرس معظم وقته لكتابة الفانتازيا. بالإضافة إلى ذلك، كان مهتمًا بالتاريخ وكتب نقدًا في مجال الرقص والمسرح، وكان يستمتع أيضًا بالرياضات الخارجية مثل صيد الطيور والأسماك والإبحار، والداخلية مثل البوكر والشطرنج والبياردو وجمع الغلايين.

سلسلة «عجلة الزمن» هي أشهر أعماله، وتتألف من 14 كتابًا بالإضافة إلى رواية تمهيدية. تُعتبر السلسلة واحدة من أعظم سلاسل الفانتازيا على الإطلاق، وقد بيعت منها ملايين النسخ حول العالم. بعد وفاته، أكمل الكاتب براندون ساندerson السلسلة استنادًا إلى الملاحظات والمخطوطات التي تركها جوردان. أثر روبرت جوردان بشكل كبير على عالم الفانتازيا، ولا تزال أعماله محط تقدير القراء وإعجابهم حتى اليوم.

عن المترجم

أحمد صلاح المهدي هو كاتب ومترجم وناقد مصري بارز، يحمل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة القاهرة. له إسهامات كبيرة في مجال الأدب، فقد نشر عددًا من الروايات التي تتنوع بين الفانتازيا والخيال العلمي والرعب. من أبرز أعماله التي حظيت بالاهتمام الدولي رواية «ريم» التي تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية، ورواية «ملاذ: مدينة البعث» التي تُرجمت إلى كل من الإنجليزية والإيطالية.

لم يقتصر نشاط أحمد صلاح المهدي على الرواية فحسب، بل امتد إلى كتابة القصص القصيرة والمقالات الأدبية والنقدية باللغتين العربية والإنجليزية، كما تُرجمت بعض أعماله إلى لغات أخرى مثل الرومانية والإسبانية.

كما أنه مترجم متميز أيضًا، فقد ترجم العديد من الروايات الشهيرة. من أبرز ترجماته سلسلة «القاعدة» للكاتب الشهير أيزاك أزيমوف، التي تحولت مؤخرًا إلى مسلسل على منصة أبل تي في. كما ترجم الجزء الأول من سلسلة «عجلة الزمن» بعنوان «عين العالم» للكاتب روبرت جوردان، التي تحولت أيضًا إلى مسلسل على منصة أمازون.

يُعد أحمد صلاح المهدي أحد الأسماء المتميزة في المشهد الأدبي المعاصر، وله تأثير واضح في نقل الأدب العالمي إلى القارئ العربي، وكذلك في تقديم الأدب العربي للعالم.

رف 404

t.me/Rff404
